مذكرات محمد عزة دروزة



سجل حافل

بمسيرة الحركة العربية والقضية الفلسطينية
خلال قرن من الزمن

1305 هـ - 1404 هـ / 1887 م - 1984 م

المجلد السادس



دار الغرب الإسلامي

المجلد السادس

1947 ـ 1972

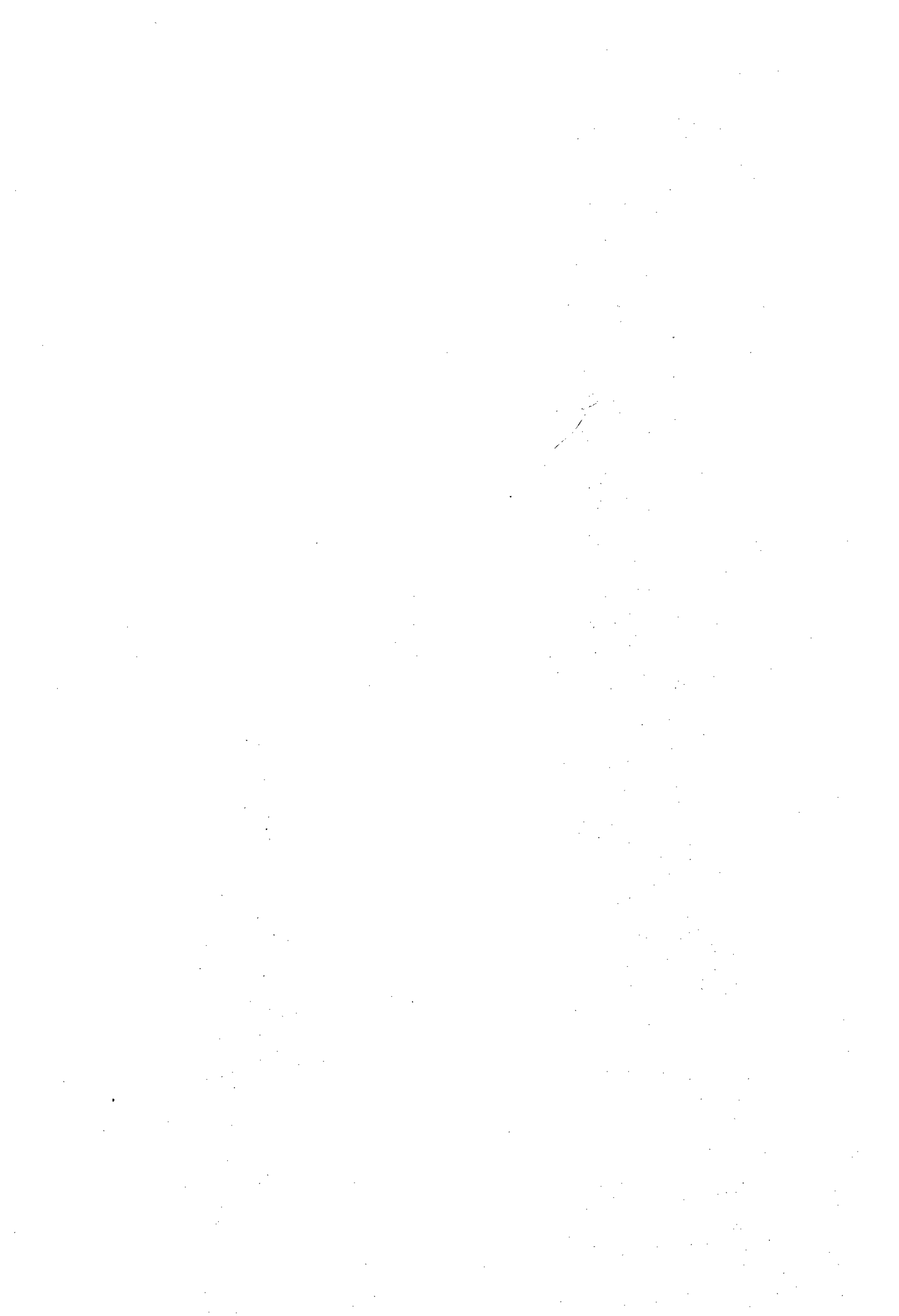
في سبيل قضية فلسطين والوحدة العربية
ومن وحي النكبة ولأجل معالجتها،
رسائل ومذكرات وتقارير الى شخصيات وهيئات عربية، ومقابلات وبحوث وتعقيبات.

الطبعة الاولى 1993

دار الغرب الإسلامي
ص.ب: 113/5787
بيروت ـ لبنان

مذكّرات محمّد عزّة دروزة

6

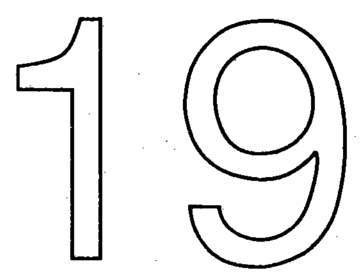


سبعة وتسعون عاماً في الحياة

1305 ـ 1404هـ / 1887 ـ 1984م

مذكرات وتسجيلات

محمد عزة دروزة



مقالات ورسائل وتعليقات ومقابلات
في صدد قضية فلسطين

من سنة 1948 الى سنة 1972

الجـزء التاسع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

لا نستطيع أن نغفل الإطار التاريخي الذي جرى فيه كل حدث، وعاصر كل مرحلة، فإذا أردت أن تصدر حكماً على زعيم أو على مرحلة فضعها في إطارها التاريخي الذي عاصرته، وبين المؤشرات التي أثرت فيه ثم أصدر حكماً عليها.

فكل مرحلة لها ضروراتها، ولا بد دائماً قبل إصدار الأحكام من تصور الظروف التاريخية التي جرت فيها الأحداث ووضعها في الاعتبار، ثم إصدار الأحكام على ضوء هذه الظروف، وليس على ضوء ما توفر لنا الآن من فرصة معايشة نتائج القرارات والأحداث، ويفترض على كل من يتصدى للنقد والتقييم التقيد به.



محمد عزة دروزة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

في سبيل قضية فلسطين والوحدة العربية ومن وحي نكبة فلسطين ولمعالجتها كتبنا منذ سنة 1948 رسائل ومقالات وبحوثاً متنوعة وتلقينا رسائل جوابية وغير جوابية. والتقينا بشخصيات رسمية وغير رسمية وسجلنا محاوراتنا معهم. وكتبنا تعليقات وتعقيبات على البحوث والرسائل التي كتبناها والاتصالات التي أجريناها وما يتصل بها من أحداث فصار من ذلك كله مجموعة كبيرة، رأينا أن ننشرها في كتاب على أمل أن يكون فيها العبرة والفائدة. بالإضافة إلى كونها تمثل صوراً من تاريخ النشاط العربي في سبيل القضيتين العربيتين الكبريين خلال ربع قرن من الزمن.

ولقد اقترح بعض الأخوان الأفاضل أن ننشر ترجمة شخصية مسهبة، فاستجبنا لهم وكتبنا مثل هذه الترجمة وأرسلناها إليهم فرأينا أن نلحقها بآخر هذه المجموعة، لأنها تمثل من ناحية ما جزءاً من ذلك التاريخ وصوره.

وقد رتبنا مواد المجموعة حسب تواريخنا، لما في ذلك من فائدة تاريخية من جهة، وقطع للرتابة في موضوع واحد من جهة أخرى.

وقد رأينا أن المجموعة ضخمة لجزء واحد فقسمناها على جزئين. فيحتوي الأول المواد العائدة إلى قضية فلسطين. والثاني المواد العائدة إلى قضية الوحدة العربية. وقد جعلنا ترجمتنا الشخصية خاتمة للجزء الثاني.

ولقد يكون في بعض المواد تكرار أحياناً موضوعياً أو سبكاً. ونرجو أن لا يكون في هذا بأساً. لأن ما كتب قد كتب في ظروف متباعدة ومناسبات مختلفة. وفي ذلك وفي التكرار معاً على كل حال تحقيق لهدف من أهداف نشر المجموعة.

وننبه على أن لدينا تسجيلات وتعليقات كثيرة أخرى على الأحداث الجارية قبل النكبة وبعدها، أخرنا نشرها لفرصة أخرى، واكتفينا بنشر هذه المجموعة لأنها تمثل ما كان بيننا وبين الآخرين من اتصالات ومراسلات ومحاورات، وما نشرناه باسمنا في الصحف والمجلات بعد النكبة في صدد القضيتين الكبيرتين.

وندعو الله أن لا يؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا وهو العليم بما في الصدور والحمد لله رب العالمين.

دمشق الشام ـ 28 جمادى الأولى 1392

9 تموز 1972

المؤلف

***

(1) رسالة من الكاتب إلى عبد الرحمن عزام[1] وجواب عليها 1948/6/28 :

الأخ الكريم عبد الرحمن عزام باشا حفظه الله . .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. وبعد فإني آسف كل الأسف على عدم تمكني من الاجتماع بكم في دمشق على شدة حرصي ورغبتي. وقد كنت أريد أن أحدثكم بنوع خاص في موضوعي إعداد الفلسطينيين وإشراكهم في حركة النضال بمقياس أوسع، وفي أمر تمثيل فلسطين في اجتماعات اللجنة السياسية. وها أنا أبعث برسالتي إليكم لأني خشيت أن يطول أمد عودتكم إلى دمشق، ورأيت أن من الممكن بحث هذين الموضوعين واتخاذ قرار فيهما هناك.

ولقد عرفت أنه جرى البحث في الموضوع الأول مع الأخوين معين وعوني[2] دون أن ينتهي إلى نتيجة، كما عرفت أن في منطقتي جيشي الأردن والعراق في فلسطين حركة في صدد هذه الفكرة، ولكن لا أعرف تفصيلاً عن مداها.

لا أريد أن أتعرض لما وقع من تقصير وأخطاء في صدد إعداد الفلسطينيين وتسليحهم، ثم عدم تنفيذ المقررات التي اتخذت في هذا الأمر منذ خريف عام 1947 مما كان له شأن غير يسير في ما وقع من نكبات أليمة. فقد أصبح هذا في ذمة التاريخ. وإنما أريد أن أقول أن خطورة إعداد الفلسطينيين وتجهيزهم وتقويتهم وفوائد ذلك الآن ليست أقل منها في بدء المعركة إن لم أقل إنها أهم بالنسبة للموقف الحاضر والاحتمالات المقبلة والمجهولة وفي مساعدتها في رفع معنوياتهم المنهارة. كذلك أريد أن أقول إن الصالحين والقادرين على حمل السلاح والذين يملكون شيئاً منه هم عدد كبير. وأن جلهم إن لم أقل كلهم يتمنون أن تتاح لهم مثل هذه الفرصة. وهم في حاجة إلى قيادة وإعداد وتنظيم وتموين وتمويل ولا ينتظر من الفلسطينيين شيء من ذلك الآن. لأنهم فقدوا كل شيء، ونكبوا نكبة تجل عن الوصف هولاً وبعد أثر، نتيجة لانهيارهم ونزوحهم وسيطرة الصهيونيين على المناطق التي

---

(1) التقينا بعبد الرحمن عزام لأول مرة في القدس في مناسبة انعقاد المؤتمر الإسلامي العام فيها في أواخر عام 1930، وكان قدم من مصر في وفد يمثل حزب الوفد المصري الشهير. ولقد كان له في ظروف العدوان الطلياني على طرابلس الغرب عام 1912 موقف قومي ومشاركة فعلية في حركة الدفاع الشعبي التي تصدت للعدوان وأبلى فيها بلاءً حسناً. ولقد كان من أوائل وقلائل المندمجين في حركة القومية العربية وفهم مداها وأبعادها، في حين كانت هذه الحركة إلى الثلاثينات في مصر ضعيفة بل وتقابل بالتهجم والتجهم. وقد اندمج في الحركة الوطنية بزعامة سعد زغلول وصار من شباب الوفد اللامعين. وعرف بقوة عارضته وألمعيته. وقد توثقت الصداقة بيننا وبينه وحينما جاء إلى القدس حيث كنت عضواً أو سكرتيراً عاماً للمؤتمر. وكانت له في المؤتمر مواقف عنيفة ضد الاستعمار، حتى إن السلطات أنذرته وأرغمته على الخروج من فلسطين. وقد اشترك مع قادة الحركة القومية العربية في المؤتمر الذي عقدوه، وكنا شاهدين أيضاً في ذلك الظرف اغتناماً لفرصة وجود طائفة كبيرة منهم في القدس. وبقيت صلاتنا به مستمرة بعد ذلك وفي أثناء توليه منصب الأمانة العامة لجامعة الدولة العربية. وهذه الرسالة أرسلت إليه بهذه الصفة وفي أثناء الهدنة الأولى في حرب فلسطين بين اليهود وجيوش الحكومات العربية.

(2) معين الماضي وعوني عبد الهادي وهما من زملائنا في الحركة القومية العربية وفي حزب الاستقلال وفي حركة القضية الوطنية الفلسطينية.

تتركز فيها ثرواتهم المنقولة وغير المنقولة. وقد وقع نهب وتدمير وتحريق وتقطيع بما يربو قيمته على خمسين مليون جنيه. وهم الآن بسبيل خسران البقية القليلة الباقية من المحاصيل والبيارات والأملاك، وقد خرج عشرات الألوف منهم من حيفا ويافا وصفد وطبريا وعكا وبيسان والقرى المجاورة هائمين على وجوههم بالثياب التي عليهم. والنادر من خرج يحمل ما يسد به رمقه لبضعة أسابيع. وهم الآن يعيشون على الإحسان في بقية أنحاء فلسطين وفي البلاد العربية المجاورة، ويقاسون أشد آلام المضاضة والذل بعد العز، والفقر بعد الغنى، والبطالة بعد العمل، في حالة تنفطر لها القلوب. هذا مع التسجيل أنهم لم يضنوا بمال ونفس طيلة السنوات السابقة. والثورات الكبرى التي قاموا بها حيث كانوا يزودونها بالمال وحيث لم يكن يبلغ ما جاء إليهم من الخارج عشراً مما دفعوه وتحملوه. وإنهم قبل هذا الانهيار والنزوح وخلال الأشهر الستة من بدء المعركة الحاضرة بذلوا أموالاً طائلة من ذات أنفسهم في شراء السلاح والعتاد والإنفاق على المجاهدين، ولا يكاد يبلغ ما دفع من الخارج لهذه الأغراض خمس ذلك.

وأنا أعرف أنه كان اتخذ قرار في صدد تنظيم القوى الفلسطينية قبيل تدخل الجيوش العربية، واعتمدت مبالغ مهمة له، وسمي شخص بعينه للقيادة، ولكن الأمر وقف عند هذا الحد.

على أن هناك فصائل عديدة من الفلسطينيين ظلت تشترك في النضال أو بالأحرى تحمل عبئه الأكبر في معارك باب الواد واللطرون ورأس العين واللد والرملة وصرفند والقدس والناصرة إلى أن عقدت الهدنة. وإني أرجوكم أشد الرجاء بأن تعيروا هذا الأمر العناية التي يستحقها. وأن تتخذوا فيه قراراً حاسماً نافذاً.

ويمكن تنفيذ الفكرة على أحد وجهين أو بهما معاً، فإما أن يأخذ كل جيش عربي في مناطق فلسطين على نفسه تجنيد الصالحين القادرين والمسلحين وإتمام تجهيزهم وإلحاقهم به كفرقة خاصة تحارب إلى جانبه على أن تحتفظ بكيانها من أجل المستقبل والإنفاق عليهم. ويتبادر لي أن هذا أفضل الوجهين. وإما أن ينفذ القرار المتخذ قبل تدخل الجيوش العربية بإنشاء قيادة خاصة للكتائب الفلسطينية، وإني أستميحكم بأن أعرض المشروع التالي كخطة لتنفيذ هذا الوجه:

1 ـ يعين الأمين العام للجامعة قائد عاماً للكتائب الفلسطينية يتولى تنظيم هذه الكتائب وتجهيزها وقيادتها.

2 ـ يعين الأمين العام مشاوراً فلسطينياً مدنياً لمساعدة القائد العام في مهمته.

3 ـ تعطى التعليمات لقواد الجيوش والحكام العسكريين بتسهيل المهمة المذكورة في مناطقهم[1].

4 ـ ترتبط قيادة هذه الكتائب العامة بقيادة الجيوش العربية العامة من الوجهة الفنية والحربية.

5 ـ تزود الجيوش العربية هذه الكتائب بما تحتاج إليه من عتاد وأجهزة متنوعة مما لا يمكن تداركه بجهد قيادتها العامة.

6 ـ ينشأ مكتب مالي إلى جانب قيادة الكتائب يعين الأمين العام للجامعة رئيسه. ويتولى هذا المكتب تدبير شؤون الكتائب المالية.

---

(1) في حالة الهدنة الأولى احتفظت الجيوش العربية بمراكزها وقام في كل منطقة حاكم عسكري.

7 ـ قائد الكتائب العام ومشاوره المدني يضعان ميزانية الكتائب وتنفذ باعتمادها من قبل الأمين العام.

8 ـ يعتمد مبلغ مئة ألف جنيه كدفعة أولى لتمويل هذا المشروع ويوضع تحت أمر رئيس المكتب المالي للإنفاق ودفع الميزانية المقررة.

9 ـ يمنح صرف مبلغ لا يزيد عن خمسة آلاف جنيه خارج الميزانية حين الضرورة بقرار القائد العام ومشاوره ورئيس المكتب المالي. وإذا اقتضت الضرورة صرف مبلغ أكبر من ذلك خارج الميزانية فيجب أخذ موافقة الأمين العام على القرار المتخذ في هذا الشأن.

وإني أقدر كلفة كتيبة مؤلفة من 200 محارب لمدة ثلاثة أشهر بنحو اثني عشر ألف جنيه. وإن من الممكن تشكيل عشرين أو خمس وعشرين كتيبة خلال شهر واحد من تاريخ تعيين القائد واعتماد المبالغ اللازمة.

هذا في صدد الموضوع الأول. وأما في صدد الموضوع الثاني فأقول إنه قد لوحظ أن فلسطين لم تدع ولم تمثل في اجتماعات عمان والقاهرة التي انعقدت في هذا الشهر على غير العادة. كما أن اللجنة الفرعية التي ألفت للاتصال بالوسيط الدولي وهي غير لجنة الخبراء قد خلت من مندوب فلسطين.

وفلسطين عضو في جامعة الدول العربية. ومن حقها أن تمثل في كل اجتماع أصلي أو فرعي، وقد مارست هذا الحق فعلاً منذ نشأتها إلى ما قبل هذا الشهر. ومنذ إنشاء الهيئة العربية العليا صارت هذه الهيئة هي التي تمثل فلسطين وتدعى إلى تمثيلها وتعين ممثليها. ويبدو غريباً جداً أن يمنع عنها هذا الحق وبخاصة في هذه الآونة التي يبحث فيها في مصيرها.

ونحن نعلم أنه صدر تصريح من جلالة الملك عبد الله قبل دخول الجيوش العربية إلى فلسطين بحل الهيئة العربية العليا، وعدم اعتبارها ممثلة للبلاد. وهو تصريح لا يمكن اعتباره شرعياً، لأنه يتنافى مع كون الجامعة هي التي قررت نشوء هذه الهيئة وحقها في تمثيل فلسطين. ولا ندري مدى صلة هذا التصريح بعدم دعوة فلسطين إلى الاجتماعات الأخيرة. ومهما يكن من أمر فإنه ليس من شأن هذا التصريح حتى لو أقرته الجامعة أن يؤدي كما لا يخفى إلى عدم تمثيل فلسطين في اجتماعات الجامعة العربية الأصلية والفرعية، فضلاً عن أنه لا يجوز في حال أن يؤدي إلى إقصائها عن الأبحاث التي تجري في صدد تسوية قضية فلسطين في هذا الدور الخطير وخاصة إن دستور الجامعة لا ينص على أن تمثيل فلسطين متوقف على وجود هيئة عليا لها إذا فرضنا أن التصريح المذكور صدر بموافقة الأعضاء الآخرين في الجامعة، أو أن سكوتهم وعدم دعوة الهيئة كان بمثابة موافقة عليه.

وبناء عليه فيجب على ما نعتقد دعوة فلسطين وتمثيلها تمثيلاً كافياً وعلى الوجه المناسب في اجتماعات الجامعة الأصلية والفرعية، وبخاصة في الاجتماعات الخطيرة المقبلة.

وتستطيع الجامعة إذا كانت ترى النقص في تمثيل وكفاءة الهيئة العربية بحالتها الحاضرة أو اعتبرتها منحلة أو كانت ترى أن يكون تمثيل فلسطين عن طريق هيئة فلسطينية أكثر كفاءة وتمثيلاً، أن تعالج الأمر بنفسها كما عالجته حينما قررت إنشاء الهيئة العربية العليا في حزيران عام 1946. وقد يقال إن الحكومات العربية لن تألو جهداً في تثبيت حق الشعب العربي الفلسطيني الكامل في وطنه تثبيتاً صحيحاً لا زيف فيه، لأن ذلك متصل بمستقبل

وأمن جميع بلاد العرب، وفيه قضاء على الخطر الذي يهددها. غير أن إهمال فلسطين ومنعها من ممارسة حقها في نطاق جامعة الدول العربية ثغرة لا يصح أن تكون. فضلاً عن الاعتبارات المبدئية والاختبارية والأولوية، وفضلاً عما يؤدي إليه ذلك من اشتداد شعور أهل فلسطين بالمضاضة، وعما يمكن أن يجر إليه من تفسيرات ليست في مصلحة وحدة الشعور والهدف والتضامن العربية، تضر بما نحرص عليه أشد الحرص من ذلك. ولهذا أرجو أن تهتموا للنظر إلى هذا الأمر بعين العناية، وحله على وجه حاسم وموافق. والله يمدكم بعونه والسلام.

وقد أرسل الأمين العام للجامعة للكاتب الرسالة الجوابية التالية
القاهرة 1948/7/7:

عزيزي الأخ عزت بك

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد وصلني خطابك الكريم، وكأننا كنا متفقين على أن يأتيني، فإنني عملت على تنفيذ كل ما أشرت إليه، ومايزال همي منصرفاً لإخراجه إلى حيز الوجود لتأخذ فلسطين مكانها بين الشعوب والحكومات العربية ولتزيد معوناتها ولتضرب مثلاً خالداً في الجهاد جديراً بأهلها. أما بالتعاون في كل منطقة مع جيش إحدى الدول العربية، ذلك ما يجري الآن تحت إشراف الجامعة وبنفقاتها مع الجيش المصري والجيش العراقي. والنية متجهة لخلق جيش فلسطيني بذاته وبقيادة وإدارة فلسطينية مع معاونة الجامعة، وعندي الآن نحو أربعمائة فلسطيني في أحد المعسكرات في مصر يدربهم الجيش المصري للجامعة ليكونوا نواة للجيش الفلسطيني النظامي. ويجب علينا جميعاً أن نعرف بأننا دخلنا في صراع مسلح سيدوم عهداً طويلاً، فلا نلتفت إلى غلطات الماضي بل نستفيد منها لترجع الأمور إلى نصابها.

أرجو الله أن يجمعنا في خير ونصر العرب والمسلمين، وأرجو تبليغ تحياتي إلى جميع الإخوان.

* * *

(2) هل من علاج لمأساة فلسطين الدامية
25 تموز 1948:

.. ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم[1]..

ليس من ريب في أن العرب قاسوا محنة شديدة في قضية فلسطين وحربها، وأنهم قد خابوا فيها أشد خيبة يمكن أن تخيب بها أمة في قضية لها. ولعل أنكى صور هذه الخيبة وأقساها إيلاماً للنفس ما كان بعد هدنة الأسابيع الأربعة. فقد رافق عقد هذه الهدنة موجة سخط ووجوم من مختلف طبقات الشعب في أقطاره المتعددة. كما رافقه تصريحات رجالات العرب الرسميين من أنهم قد قبلوها على مضض لإثبات رغبتهم في السلم، وبالرغم من علمهم بضررها الفادح على قضيتهم وجيوشهم. ثم ظلت هذه التصريحات تترى منهم خلال مدة الهدنة، حيث كان اليهود يخرقون أحكامها في كل مكان، وعلى كل الوجوه. رافق هذه التصريحات همهمة المغيظ المحنق الذي ينوي

(1) أرسل هذا المقال إلى جريدة المنار في دمشق ومجلة العالم العربي في القاهرة.

تأديب اليهود وإعطائهم درساً لا يمكن أن ينسى حال انتهاء أمد الهدنة، وكظم الشعب العربي غيظه تجاه هذه الهمهمة وتلك التصريحات منتظراً انتهاء ذلك الأمد. وقرب الأمد فعرض على العرب تمديده مدة أو أياماً أخرى، ولوح لهم بالعقوبات والنذر فلم يأبهوا، فأعلنت حكوماتهم أنها عازمة عزماً أكيداً على إستئناف القتال مهما كانت النتائج، وأنها قد حسبت لكل شيء حسابه، وأنها ستستأصل الصهيونية هذه المرة من جذورها. وقال رجل كبير من هذه الحكومات وقد عرفه الناس بالجد وقوة الشخصية والشكيمة لسائل سأله عن مدى الإستعداد لاستئناف القتال: «إنك تعلم لا ألقي الكلام على عواهنه ولا أسير في طريق إلا حيث أكون مطمئناً وإنه لولا السرية لأطلعتك على ما يدهشك ويطمئنك من الأرقام».

ثم استؤنف القتال في 9 تموز، فإذا هو في أكثر الجبهات فاتر لا يتناسب مع تلك التصريحات بل مع ما كان من سيره قبل الهدنة، ثم إذا باليهود يستولون بيسر وبدون قتال تقريباً على مدن الناصرة وشفا عمرو وصفورية وعدد غير يسير من القرى العربية في الشمال. وفي الشمال خمسة عشر ألف مقاتل، ويستولون بيسر وبدون قتال تقريباً أيضاً على مدن اللد والرملة ومطار اللد ومعسكر رأس العين، وعدد غير يسير من القرى العربية في الوسط الجنوبي وحوله ثلاثون ألف مقاتل، فيتشرد مئة ألف فلسطيني من جديد، وينضمون الى قوافل المشردين والهائمين على وجوههم، ثم يقبل الأمر الذي رفض سابقاً بوقف القتال، وكأنما كان استئنافه في مدى الأسبوع فرصة لا أقل ولا أكثر لليهود ليتموا فيه ما نقصهم قبل الهدنة من نصر، ويقضوا على ما كان من شيء يسير من التكافؤ بين موقفهم وموقف العرب في الأراضي التي خصصها التقسيم لكل منهما!. لم يغلب العرب ولم يخيبوا في محنتهم القاسية لقلة عدد مقاتليهم أو لضعف عدتهم. فإن اليهود لم يكونوا متفوقين عليهم في ذلك قط، وإنما غلبوا وخابوا بالروح التي كانت ومازال تسيرهم منذ عديد السنين، وفي مختلف نواحي حياتهم العامة والخاصة بوجه عام، ثم بالروح التي كانت ومازال تسيرهم منذ بدء تأزم قضية فلسطين أي منذ نحو سنتين ونصف بوجه خاص، وهي روح الإهمال والتقصير والاستهانة والتردد والانفرادية والاغترار والمراوغة والمجاملة والتهويش والبهلوانية والاعتبارات والمآرب المحلية والشخصية والسياسية وعدم الجد والتضحية وفهم الأمور والتضامن والانسجام والجرأة والتصميم والإيمان الصادق بالقضية التي يقاتل في سبيلها والاندماج فيها، وتقدير خطورة المواقف والأمور قدرها ومواجهتها بما ينبغي لها من الجد والصدق والعزيمة، مما لدينا ولدى غيرنا منه من الوقائع والأمثلة ما لو روي لتندى له جبين الرجولة والعروبة والحق.

ومما أدى الى كوارث أصابت صميم كرامة العرب حكومات وشعوباً، ومصلحتهم وكيانهم، بإصابات دامية سيكون لها أثرها الشديد المديد فيهم عند أنفسهم وعند غيرهم لا فرق في ذلك بين حكومة وحكومة، وبين بلد وبلد، ومما مكن لعدوهم القريب وأعدائهم الذين وراءهم منهم، فنالوا منهم ما يبتغون بالثمن البخس واليسر الكثير. وفي جولات قصيرات لا يصح أن تحسب جولات حرب ونضال وعزيمة صادقة فيهما. هذه الروح هي التي هزمتهم وجعلتهم يفشلون ويبوؤن بالخيبة والمهانة وعكسها من

تصميم وجرأة وإقدام، وحساب كل شيء وإعداد العدة له والبراعة في الحركة والقيادة وحسن الانتفاع من الموجود القليل والصلابة، هو الذي ضمن لعدوهم النصر الذي ناله. . .

على أن الفرصة لم تفت مع كل ذلك، ومازالت الجيوش العربية بكامل عدتها وعددها في الميدان. ومازالت القضية حيث هي. ومازال اليهود وأنصارهم حيث هم منها، فهل لطبقة الحكام في بلاد العرب وهم من حيث الأشخاص خيرة أشخاص أمة العرب أن يتفهموا الحقيقة المرة الأليمة من هذه الروح التي كانت السبب الأول بل والأخير في خيبة العرب؟ فيعدلوا بقدر ما يمكنهم عنها إلى أضدادها أو ينسحبوا من ميدان خابوا فيه ليأتي غيرهم من يحاول هذه العدول وهذا حق يجب أن يهتف به؟. وهل لقادة الشعب العربي في مختلف أنحائه أن يدركوا الموقف إدراكاً صحيحاً؟ وأن ينفذوا إلى سبب هذه الخيبة فيعملوا على توجيه الشعب توجيهاً صادقاً ليتم التضامن بين مختلف طبقاته على اصطناع روح غير هذه الروح؟؟

إن هذا لهو العلاج الوحيد لهذه المحنة القاسية، فعلى الجميع أن يتعاونوا على إحضاره واستعماله لأنه يقوم على أصدق قاعدة روحية وأخلاقية واجتماعية قررها القرآن الكريم حيث يقول: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

* * *

(3) هل تنتهي قضية فلسطين لتبدأ قضية البلاد العربية الأخرى 10 أغسطس 1948[1]:

كان رجال العرب المسؤولون وقادة شعوبهم صادقين كل الصدق حينما كانوا يصرحون منذ ثلاث سنين على الأقل أن الدفاع عن فلسطين وتحريرها هو دفاع عن ذات كيانهم. وإن كان ما بدا منهم من روح التردد والتقصير والتخاذل والسياسة المائعة وعدم الجد والحزم والاستعداد والإهمال قد دلت على أنهم لم يكونوا مؤمنين بما كانوا يقولونه إيمان عقيدة يدفعهم إلى تهيئة أسباب ربح المعركة.

ولقد بات أشد ما يخشى من نتائج خيبة الدول العربية ورجالاتها وقادتها في هذه المعركة أن تكون قصة فلسطين قد انتهت لتبدأ قصة البلاد المجاورة لها.

ويبدو من بوادر الأحوال والموقف أن هذا الذي يخشى قد دخل في حيز الواقع القريب، حيث يدور الكلام على أن الهدنة القائمة ستكون هدنة دائمة، وعلى إيجاد الوسائل الى تصفية قضية فلسطين تصفية متسقة مع واقعها الذي يقوم على وجود دولة يهودية اعترف بها عدد غير يسير من كبريات الدول وصغرياتها، وعلى جهد هذه الدولة في تثبيت وجودها وتقوية أواصرها واستعدادها لمواجهة أي طارىء، مواجهة قوية تجعل الدول العربية كل يوم أكثر تردداً وإحجاماً في استئناف القتال ومحاولة تغيير هذا الواقع، بل وأقرب إلى الإتساق معه والانسياق فيه.

---

(1) ارسل هذا المقال إلى جريدة المنار الدمشقية.

والحلول المعروضة من الوسيط الدولي لم تتبدل. والعرب إزاءها بين أمرين لا ثالث لهما، فإما الموافقة عليها وتصفية قضية فلسطين على أساسها، وإما البقاء جامدين إزاء الموقف العجيب القائم مدة طويلة. وهنالك تصريحات من مسؤولين وهمسات تنبىء أنهم قد يختارون الشق الأول بشيء من التزويق الشكلي الذي لا يؤثر على الجوهر والحقيقة. وينطوي في هذا الشق أن تكون الدولة اليهودية متحدة مع الدولة العربية التي تتألف من شرق الأردن والأقسام العربية التي تحتلها الجيوش العربية، وهذا الاتحاد يفتح لليهود مجالاً حيوياً واسعاً استعمارياً واقتصادياً في الدولة العربية، وقد كانت أحداث سنتي 1931 و1932 التي يذكرها الذاكرون[1] من شأنها أن تعتبر مقدمات، وأن تحمل على القول أن اليهود لاقون النجاح في مجالهم الحيوي المذكور، بل وإننا لا نتجاوز إذا قلنا أن هذا المجال الحيوي الاستعماري والاقتصادي لن يقتصر على اتحاد الدولة العربية، لأن هذه الدولة من دول الجامعة العربية التي تشتد صلاتها الاقتصادية وغير الاقتصادية ببعضها واتحادها مع الدولة اليهودية، يجعل هذه الصلات تشمل هذه الدولة بطبيعة الحال، ولاسيما أن المفروض أن موافقة الدولة العربية يكون من شأنها تصفية الموقف بينها وبين الدولة اليهودية وزوال حالة العداء بينهما. واليهود الذين استطاعوا بأقلياتهم الضئيلة في الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا وفرنسة وألمانيا وغيرها أن يتحكموا في سياسة هذه الدول واقتصادياتها واجتماعياتها، مع ما هي عليه من العدد والرقي والقوة والنشاط والقدرة والعظمة لن يعجزوا عن التحكم في سياسة الدول العربية واقتصادياتها واجتماعياتها. بل إن هذا عليهم أسهل بكثير.

وإذا فرضنا أن العرب سيختارون الشق الثاني أي الوقوف جامدين على حالة العداء بينهم وبين اليهود مدة طويلة، دون أن يستفيدوا شيئاً مادياً وتضامنياً من هذه المدة لمواجهة الأحداث كما فعلوا في هدنة الأسابيع الأربعة الأولى، فإن الآفاق المفتوحة أمام اليهود ستساعدهم على الاستعداد الواسع للهجرة الدافقة والتجنيد والتدريب والتسلح، ثم يقدمون على إحداث أمور واقعة خطيرة في ما تبقى في أيدي العرب في فلسطين، وبعد ذلك في ما جاورها من بلاد العرب شرقاً وشمالاً وجنوباً. وقد علمهم موقف الدول الكبرى منهم ومن العرب وتقدير هذه الدول لوزنهم ووزن العرب كيف يحدثون الأمور الواقعة، وكيف ينالون تعضيدها في ما يحدثون دون العرب الذين خانهم حتى حلفاؤهم الذين لهم عليهم إلزام دولي بموجب المعاهدات القائمة بينهم، وخذلهم لهم ذلك الخذلان الغادر اللئيم الذي كان من أقوى أسباب خيبتهم في المعركة والنكبات التي حلت بهم.

وليس ما نقوله خيالاً مبعثه الوهم والتشاؤم كما قد يخطر لبال الذين اعتادوا أن لا يحسبوا للأمور حسابها وألا يدعوها تداهمهم مداهمة،

(1) نعني بهذه الأحداث ما كان من استعداد عاهل الأردن لفتح أبواب شرق الأردن للاستيطان والاستعمار اليهودي حينما أعلنت لجنة سمبسون البريطانية سنة 1930 أنه لم يبق في يد عرب فلسطين أرض زائدة عن حاجتهم، وان ما في أيديهم أقل من حاجتهم، حيث استوهب العاهل من مجلس الأمة أرضاً في الغور مساحتها مائة الف دونم وأجّرها لليهود لمدة تسع وتسعين سنة، وشجع أصحاب الأراضي من مشايخ القبائل على طلب فتح باب البيع لليهود من أراضيهم حتى ينتفعوا من أموالهم على ما هو مشروح في كتابنا الجزء الثالث حول الحركة العربية الحديثة.

وإنما هو في نطاق الواقع الذي أيدته الأحداث والوقائع، وفي ما كان من العرب واليهود في فلسطين قبل تدخل الجيوش العربية وبعدها براهين لا ترد على صوابه ليس من المصلحة إعادة سردها[1].

فماذا العرب فاعلون إزاء هذه النذر القوية بما سينتقل إلى غير فلسطين من كوارث قريبة؟ وهل يبقون خاضعين لتلك الروح التي شرحنا أوصافها والتي كانت سبب الخيبة المريرة في المعركة؟ وهل لا يهبون الآن على الأقل وقبل فوات الوقت وقد أحدق الخطر فيتلافون ما فاتهم في فلسطين نفسها وجيوشهم ماتزال في ميادينها وموقف اليهود لم يتغير، حتى لا تبدأ قضية البلاد العربية الأخرى بعد أن تكون قضية فلسطين قد انتهت؟؟

نحن لا نجهل أن الموقف صعب، وان تلافي ما فات ليس هيناً، ولكن الخطر الذي لا يوصف والذي يدق ناقوسه في آذاننا وتتراءى صوره لأعيننا من الشدة والخطورة وبعد المدى بحيث يوجب على كل من فيه حياة من هذه الأمة أن يتحرك ويجد ويحزم ويضحي ويسارع إلى ما فيه النجاة والخلاص منه. ولا سيما أن هناك حقيقة يعترف بها الجميع، وهي أن الأمة العربية لم تبذل إمكانياتها المتنوعة حتى ولا الميسورة في المعركة، وأنها لو بذلتها لما آلت الحالة إلى ما آلت إليه من الخيبة المريرة والخطر المتعاظم.

***

(4) مشكلة فلسطين[2]

لقد غدت قضية فلسطين من مشاكل العرب السياسية الخطيرة وعقدة من عقدهم النفسية والاجتماعية والقومية معاً، ولن يقوم لهم اعتبار في نظر أنفسهم وفي نظر غيرهم إلا بعد حلها مهما قووا بتنفيذ معاهدة الدفاع المشترك أو دستور جامعة الدول العربية نصاً وروحاً أو بالاتحاد.

فقد حطمت كارثة فلسطين ثقتهم في أنفسهم وأذلتهم في نظر أنفسهم وفي نظر العالم الغربي ذلاً ليس بعده ذل، وانتهت بغرس خنجر مسموم في قلب بلادهم فصل بين شمالها وجنوبها. وغدا شرفهم وكرامتهم ومستقبلهم وكيانهم منوطاً بحلها الذي يجب أن يكون سريعاً وأن يكون اقتلاع الخنجر بالمرة. وكل ما طال الزمن وتأخر هذا الحل توطدت الدولة اليهودية وعمقت جذورها وكثر عدد سكانها وعظمت إمكانياتها واستعداداتها، وغدا اقتلاعها أو تغيير شيء من معالمها الراهنة على الأقل أشد تعذراً وصعوبة، وغدا ضررها وخطرها العسكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي على جميع العرب وبلادهم أشد وأعظم.

والمتتبع للحوادث يرى اليهود ناشطين في سبيل إيقاع هذا الضرر اشد النشاط، وهم ينتهزون كل فرصة ومناسبة لمعاكسة مصالح العرب ومساعيهم وتشويه اسمهم في الأوساط الدولية العامة والخاصة، وهم دائبون على

---

(1) وهذه مسرودة في أجزاء كتابنا الآنف الذكر الثالث والرابع والخامس (الحركة العربية الحديثة).

(2) هذا فصل من كتابنا (مشاكل العالم العربي) الذي طبع ونشر سنة 1952 وفيه حقائق واقتراحات مهمة لم تلق اهتماماً ومبالاة، فعاد من ذلك على قضية فلسطين أعظم الأضرار، وما زال العرب يعانون من ذلك ولا تزال الأضرار تتعاظم نتيجة لذلك. وقد رأينا أن نثبته في هذه المجموعة للعبرة والذكرى.

الاستعداد الحربي بكل قوتهم، وعلى بث الطموح في اليهود وإرسال التصريحات التي تنطوي على سعة مطامعهم ونياتهم، سواء لما يريدون أن تكون عليه دولتهم من قوة، أو بالنسبة لما يبيتونه من مطامع في البلاد المجاورة لهم[1].

ولليهود خريطة لمملكة إسرائيل الكبرى منقوشة على مداخل مؤسساتهم ومعلقة على صدور قاعاتهم وأنديتهم ومعاهدهم وباب مجلسهم النيابي، تشتمل على جميع فلسطين وشرق الأردن وأقسام كبيرة من سورية ولبنان ومصر والعراق.

ومن شأن ما اكتشفته حكومة العراق في سنة 1950 من مخازن السلاح والعتاد والمتفجرات في بيوت اليهود ومعابدهم وعليه دمغة إسرائيل وأميركا. وما وضعت عليه يدها من وثائق خطيرة تدل على أن في بلادها وفي بلاد العرب منظمات إرهابية جاسوسية، وعلى أنهم كانوا يبيتون نسف بغداد بدءاً من مؤسسات الجيش والبوليس ودوائر البرق ومؤسسات الكهرباء والإذاعة، ثم تتبعها عمليات التدمير في بقية الأحياء على ما جاء من البلاغات والتصريحات الرسمية العراقية، أن يكون نذيراً قوياً للعرب بما هم معرضون له من مكائد ودسائس يهودية في عقر دارهم، فضلاً عن المطامع والنزعات التوسعية التي سجلت على جدار البرلمان اليهودي: «من الفرات إلى النيل أرضك الموعودة يا إسرائيل». والتي تكرر كل يوم في الأناشيد الرسمية اليهودية، والتي سوف تشتد كلما كثر عدد اليهود وعظمت إمكانياتهم واستعداداتهم، والتي سوف ينتهز اليهود كل فرصة لتحقيقها بكل ما في طوقهم. والأخبار التي تنشر عن استعدادهم العسكري العظيم ومناوراتهم المتكررة تدل على أنهم سائرون بكل جد في هذا السبيل.

ومن الغفلة أن نؤخذ بما يذاع من تدهور إسرائيل الاقتصادي واختلال ميزانها التجاري. فمع ما في ذلك من حقيقة فإن فيه شيئاً غير يسير

---

(1) جاء في خطاب ألقاه أحد زعماء اليهود في برلمانهم 1950/5/7: «لن يكون سلام لشعب إسرائيل ولا لأرض إسرائيل حتى ولا للعرب ما دمنا لم نحرر وطننا بأجمعه بعد حتى ولو وقعنا معاهدة صلح».

وجاء في خطاب آخر ألقي بتاريخ 1952/3/30: «أن إسرائيل العظمى الممتدة من العراق حتى السويس هي الدولة القوية التي تستطيع تأمين السعة والاستقرار في الشرق الأوسط في الداخل والخارج».

وجاء في الكلمة الرسمية للحكومة اليهودية في مؤتمر «الكيرن كييمت» المنعقد في القدس التي ألقاها بالنيابة عن الحكومة الحاخام يهودا وزير الأديان بتاريخ 1951/8/7: «ما يزال أمام «الكيرن كيمت» - صندوق رأس المال القومي - أعمال عظيمة، إن دولة إسرائيل كلها أمامها وإن حدود هذه الدولة هي من النيل إلى الفرات».

وجاء في كتاب «إسرائيل واحترابها» لابن غورين رئيس الحكومة اليهودية: «إن حرب التحرير الواقع لا تشكل الفصل الأخير في تاريخ الهاجانا، وإنما هي الفصل الأول في المرحلة الجديدة لتاريخ الوطن والأمة اليهودية».

وجاء في خطاب للدكتور التمان في البرلمان في تاريخ 1951/7/29: «إن جمع الشتات معناه حشد خمسة ملايين يهودي على الأقل في دولة إسرائيل خلال السنوات العشر القادمة، وهذا شيء لا يمكن إتمامه في الحدود الحالية لدولة إسرائيل، ولذلك فإن جمع الشتات يتطلب سياسية خارجية ترمي إلى تحرير جميع أرض إسرائيل».

وجاء في خاطب ألقاه يالين قائد الجيش اليهودي في شهر تموز 1952: «إن جيشنا قادر على السير في الحرب إلى داخل بلاد الأعداء، و إن حدود إسرائيل ليست طبيعية ويجب تغييرها».

والتصاريح والأقوال في هذا الباب لا تقع تحت حصر، وهي تتجدد كل آن بأساليب متنوعة.

من المبالغة بقصد دعائي في سبيل الإستقراض ونيل معونة أميركا والجمع واللم من يهود العالم، هذا فضلاً عن أنه طبيعي لأن إسرائيل في دور الإنشاء والتكوين، وهي تبذل مجهوداً في مختلف الميادين للوقوف على قدميها اقتصادياً، والبوادر تدل على أنها سائرة في هذا السبيل قدماً، وحالتها على كل حال أحسن من حالة العرب في أحسن بلادهم دخلاً ومستوى معيشة وميزانية دولة ونشاط وحركة وحيوية، فليس هناك دولة عربية إلا ميزانها التجاري مختل كثيراً أو قليلاً، واقتصادياتها في حالة تدهور وانحطاط.

وقد نقلنا في مناسبة سابقة أرقام نصيب الفرد في إسرائيل من الدخل القومي وميزانية الدولة، ونصيب الفرد من الدخل القومي أكثر من ضعف نصيب الفرد في أحسن البلاد العربية حيث هو (266) جنيهاً إسرائيلياً قيمتها الخارجية (75) جنيهاً صحيحة، في حين أن نصيب الفرد في سوريا التي هي أحسن البلاد العربية دخلاً قومياً لا يزيد عن (38) جنيهاً، ونصيب الفرد من ميزانية الدولة هو (75) جنيهاً إسرائيلياً قيمتها الخارجية (19) جنيهاً حقيقية، في حين أن نصيب الفرد في مصر التي هي أضخم البلاد العربية ميزانية وأرقاها رقماً من حيث النسبة هو عشرة جنيهات.

والتطور في أرقام الدخل والميزانية يدل على أن الحالة تسير نحو النمو والتحسن أيضاً، فالميزانية العادية للدولة كانت سنة 1949 (18,931000) لعشرة أشهر، فقفزت سنة 1950 إلى (43,067,000) وسنة 1951 إلى (68,602,000) جنيهاً، وقد قدر الدخل القومي لسنة 1949 بمبلغ (240) مليوناً وقفز سنة 1950 إلى (337) مليوناً[1].

والخطط الاقتصادية الإسرائيلية تهدف إلى تحقيق درجة الاكتفاء الذاتي في عام 1961، حيث تستطيع حينئذ أن توازن بين الصادرات والواردات دون أي إعانات أجنبية وعلى أساس بلوغ درجة معقولة بالنسبة لمستوى المعيشة.

ولقد خطت إسرائيل خطوات واسعة في سبيل ذلك، حتى أن نتائجها سوغت لوزير زراعتها أن يقول إن الإكتفاء الذاتي سيتحقق في سنة 1958 بدلاً من سنة 1961، في بيان ذكر فيه اطراد أعمال التنقيب في منطقة النقب بصورة مرضية، قائلاً إنها أدت إلى اكتشاف خامات النحاس والمنغنيز والحديد والكاولين والفوسفات ما قد يسمح لإسرائيل ببلوغ درجة الاكتفاء الذاتي في عام 1958 بدلاً من عام 1961 كما كان مقدراً من قبل. وقد تضمن بيان وزير الزراعة تقديراً بأن قيمة الانتاج في منطقة النقب ستصل خلال السنوات الخمس التالية إلى قرابة (80) مليون دولار، وأن ثلاثة أرباع الإنتاج سيخصص لأغراض التصدير، على ما جاء في تقرير نشرته جريدة المصري في عددها 22 حزيران سنة 1952.

ويستفاد مما جاء في التقرير أن اليهود قد وضعوا خلال الثمانية عشر شهراً التي انتهت في سبتمبر (1951) أسس (608) مشاريع صناعية جديدة.

وقد تم إنشاء (199) مصنعاً منها برأس مال قدره (51) مليون دولار، ومازال تحت الإنشاء

(1) الأرقام مأخوذة عن رسالة «اسرائيل خطر عسكري وسياسي واقتصادي» المنشورة من قبل مكتب اتحاد الغرف الزراعية والصناعية والتجارية العربية ومستندة إلى وثائق رسمية يهودية.

(213) مصنعاً رأس مالها (62) مليون دولار، و(196) مصنعاً رأس مالها (55) مليون دولار. ومن هذه المصانع (199) للآلات الزراعية وأجهزة التبريد والعربات وأجزاء الماكنات، و(98) مصنعاً للأقمشة والملابس، و(89) مصنعاً للصناعات الغذائية، و(59) مصنعاً للوازم البناء، و(54) للمنتجات الكيمائية كالأسمدة والأحماض والصباغة، و(51) مصنعاً للآلات الكهربائية كالموتورات وأجهزة الراديو والثلاجات ، و(14) مصنعاً للمطاط و(124) مصنعاً لإنتاج الورق والجلود والبلاستيك والزجاج، وهذا غير عشرات المصانع التي أنشأتها الشركات الأجنبية لمختلف المصنوعات الميكانيكية.

وقد صحب هذا التطور الصناعي بدء استغلال الخامات المعدنية في منطقة النقب. والمقدر أن يصل متوسط الإنتاج من جميع المعادن المكتشفة بكميات تسمح باستغلالها تجارياً وهي الفوسفات والكاولين والحديد والرمل الزجاجي والمنغنيز والنحاس والميكا والفلسيار خلال الخمسة والعشرة أعوام القادمة بالنسبة للفرد الواحد في إسرائيل إلى نفس متوسط الإنتاج في الدول الصناعية الكبرى في العالم كما جاء في التقرير المذكور آنفاً.

ومما جاء في تقرير مكتب إتحاد الغرف الصناعية والزراعية والتجارية العربية أن الدكتور بيسوروفتش أحد كبار موظفي وزارة المالية اليهودية، قد وصل في بحثه الإحصائي إلى أنه كان في إسرائيل سنة 1950 (7274) مشروعاً صناعياً، في حين لم يكن عدد المشاريع الصناعية المذكورة موزعة على مختلف الصناعات من صناعات المؤن والأطعمة والأشربة، إلى صناعات النسيج القطني والصوفي والحريري، إلى صناعة الألبسة، إلى صناعات المعادن، إلى صناعات المواد الكهربائية والبنائية والقرطاسية وغيرها. . .

ولم يكن جهدهم في المجال الزراعي يسيراً. فقد كان عدد التركتورات مثلاً سنة 1947 (693)، فأصبح سنة 1951 (4000)، وكانت مساحات أراضي الري (10000) دونماً فغدت (220000). وكانت مساحة الأراضي التي تزرع بالعلف والخضار (104000) دونماً فغدت (340000) دونماً على ما جاء في التقرير الأنف الذكر.

وهكذا يبذلون كما قلنا الجهود الجبارة في استغلال إمكانياتهم وتحسين حالتهم الاقتصادية فضلاً عن جهودهم العظيمة، في سبيل التجهيز والاستعداد الحربي، بحيث يمكن أن يقال أن من المرجح أن يصلوا فعلاً إلى الإستكفاء والازدهار الاقتصادي الذاتي في سنوات معدودات، وأن يصلوا في مثل هذه السنوات إلى درجة كبيرة من القوة لا تكفي فقط للدفاع عن كيانهم إزاء كل حركة عربية هجومية، بل تكفي لحركات توسعية هجومية يقومون هم بها في بقية فلسطين وفي ما يستطيعونه من مجاوريها، وقد تعودوا من العالم كما قلنا الرضوخ لما يحدثونه بالقوة من أمور واقعة، وأن يلقوا الحماية والتعضيد من الدول الكبرى وخاصة إنكلترا وأميركا. ولا شك في أنهم يعرفون البيان المشترك الذي أعلنت فيه فرنسة وإنكلترا وأميركا وعرف بالبيان الثلاثي، معارضتها لكل تبديل في الحالة الراهنة بالقوة إنما هو موجه للعرب وليس لهم كما هو في حقيقته. والمقدر أن يصل عددهم خلال عشر سنين إلى أربعة ملايين، فهم الآن مليون ونصف، وسيأتيهم سنوياً مئتا ألف، وسيزيدون

نصف مليون زيادة طبيعية، لأن وفيات الأطفال عندهم قليلة جداً.

وإذا ذكرنا أن هولاندا وبريطانيا سيطرتا على أندونيسيا والهند اللتين عدد سكانها عشرة أضعافهما واللتين تبعدان عنهما آلاف الأميال بالقوة، واستغلتا خيراتهما وثرواتهما الهائلة مئتي سنة وزيادة، وليس العرب أحسن حالاً من الهنود والأندونوسيين، وليس اليهود أقل قدرة وفناً وقابلية وثقافة وطموحاً من الهولانديين والإنكليز إن لم نقل يفوقونهم، بدليل أن اليهود يسيطرون في بريطانيا وأميركا وفرنسة، وكانوا يسيطرون في ألمانيا وروسيا، على مرافق الحياة الاقتصادية والصناعية والفنية والدعائية بل والسياسية سيطرة عظيمة. وهم لا يزيدون عن ثلاثة في المئة في أميركا، ولا يكادون يبلغون واحداً في المئة في فرنسة وإنكلترا وألمانيا، ظهر لنا أن خطر سيطرة أربعة ملايين منهم على أربعين مليوناً من العرب وليس بينهم وبينهم موانع جغرافية ولا أبعاد شاسعة وغير شاسعة ليس وهماً، وإنه أكيد جداً حينما يبلغون ما يهدفون إليه من الازدهار الاقتصادي والصناعي والزراعي والتجاري ومن القوة الحربية، مما هم باذلون جهدهم العظيم في سبيل بلوغه، ولسوف يخلقون حينئذ الفرص خلقاً. وإذا طرأت ظروف جعلت عددهم المنشود يتحقق قبل السنوات العشر، فسيكون هذا الخطر قبل مضي هذه السنوات أيضاً، ويجب أن لا ننسى أن معظم المهاجرين هم من الشباب والشابات، وإن الشابات يعملن في كل مجال كالشبان، بما في ذلك مجال الحرب الفعلية. كما ثبت هذا في حرب فلسطين والحركات العدوانية التي بدرت من اليهود بعدها، وإن القوة العاملة في المجموعة اليهودية في فلسطين تعتبر من أجل ذلك ضعف قوة أي مجموعة أخرى في أوروبا وأميركا فضلاً عن البلاد العربية من حيث القيمة العددية، وحتى على فرض أن الدول العربية تقوى يوماً فيوماً وأنها قد تستطيع الدفاع عن نفسها ضد أي حركة عدوانية وخاصة سورية ومصر، فإن بلوغ عدد اليهود ذلك المبلغ واستقرارها سيجعلان خطر توسعهم حتى تشمل سيطرتهم بقية فلسطين ثم تمتد إلى شرق الأردن ولبنان قائماً بل وأكيداً، وعلى أقل تقدير سيجعلان احتمال تطهير فلسطين منهم وإعادتها إلى الحوزة العربية ضرباً من المستحيل.

ويشبه بعض العرب كارثة فلسطين بكارثة الأندلس وهو تشبيه فيه كثير من الخطأ، فمهما عظمت مصيبة العرب بفقد الأندلس التي دام سلطانهم وازدهرت حضارتهم فيها ثمانية قرون، فإنها ليست على كل حال موطناً من مواطن العرب الأصلية، وإنما هي قطر غير عربي الجنس والدار، ومثله كمثل أقطار عديدة فتحها العرب ثم قوضوا خيامهم عنها دون أن تتأثر بذلك مواطنهم الأصلية، وهذا عكس فلسطين التي هي منذ أقدم أزمنة التاريخ موطن من مواطن الجنس العربي وعقدة صلة بين الشمال والجنوب منها، أي أنها جزء من كيانهم القومي يتأثر بصياغة سائر أجزائهم كل التأثر ومن كل اعتبار. ومنذ أن غدت أقطار الشام والعراق ومصر وشمال افريقيا مواطن للجنس العربي في دور عروبته الصريحة الممتدة إلى الآن قبل الإسلام وبعده، ومنذ غدت صلتها لاحمة كل اللحمة بمنبت الجنس العربي الأصلي وهو جزيرة العرب، ظلت هذه الأقطار متصلة ببعضها دون أي قاطع جغرافي أو عنصري. فقيام الدولة اليهودية في فلسطين جاء خارقاً لهذه الحقيقة

التاريخية وقاطعاً قوي الأثر بين المواطن العربية.

ويشبه بعض العرب والمسلمين حركة إستيلاء اليهود على فلسطين كحركة الصليبيين، ويقولون أن العرب والمسلمين سوف يطهرون فلسطين من اليهود ويعيدونها عربية مسلمة مهما طال الزمن كما فعلوا بالصليبيين. ومع أننا غير يائسين من رحمة الله في تحقيق هذا الأمل، فإن من الحق أن نقول أن هناك خطأ في التشبيه أيضاً.

فالصليبيون لم يأتوا بفكرة الاستقرار. وقد حركتهم الدعايات الدينية التي كانت تخفي وراءها عوامل ومآرب عديدة لا تتصل بفكرة الإستقرار والتوطن بالنسبة لسواد الصليبيين الأعظم على الأقل. وكان لهم في أوروبا أوطان وبيوت وأراض ومزارع وعقارات وأهل، ظلت الصلات بينهم وبينها، وكان معظم القادمين إلى الشرق العربي والبلاد المقدسة يقدمون بفكرة الجهاد والثواب والإقامة الموقتة ثم يعودون من حيث أتوا.

وبين هذه الحالة وحال اليهود فرق عظيم من مختلف نواحيها كما هو ظاهر. فاليهود يأتون بفكرة الاستقرار الدائم في وطنهم القومي بقوة العقيدة بقطع النظر عن سخف هذه العقيدة، وهم حينما يأتون يقطعون كل صلة لهم بالبلد الذي يقطنون فيها فينقلع من ذهنهم كل أثر منه، وبكلمة ثانية يحرقون كل السفن التي يمكن أن تعيدهم إلى مكان آخر، فيغدون لا مقام لهم ولا مستقر إلا فلسطين، ويجعلهم هذا يدافعون عن كيانهم ووجودهم أشد الدفاع حتى الموت. والجيل الناشىء خلال الأربعين عاماً بنوع خاص متحمس فوق هذا لقضية الوطن القومي التاريخي الكبير الشامل كل الحماس ومؤمن بها كل الإيمان ومستعد للتضحية في سبيلها بأعظم التضحيات، كما أثبت ذلك بكل قوة في الثورة التي قام بها أثناء الحرب العالمية ضد الإنكليز والتي استمرت ثلاث سنين، حيث بدا منهم المثير المدهش من الجرأة والإستماتة والتضحية والزهو والإعتداد والتصميم والوطنية والعقيدة.

فإذا رسخت قدمهم مدة طويلة وكثر عددهم حتى بلغ الملايين الكثيرة، صار متعذراً جداً إن لم نقل مستحيلاً أن يقتلعهم العرب والمسلمون كما فعلوا بالصليبيين، ولا سيما أن اليهود قد أقنعوا المعسكر الغربي أن إسرائيل جزيرة غربية في البحر الشرقي العربي في كيانها وحياتها وثقافتها ونظمها وأساليبها، وأنها المركز الاستراتيجي الطبيعي المأمون للغرب في هذا البحر، وأن العرب أعداء طبيعيون له مايزالوا يناوؤونه حتى يتفلتوا من نفوذه وسيطرته، وأن ما يمكن أن يهيئوه من قوى حربية تعدل بقيمتها التنظيمية والروحية والحربية ما يمكن أن يقدمه جميع الدول العربية من قوى بسبب روحهم العدائية وفوضاهم، وقد حصلوا ومازالوا يحصلون بقوة هذا الإقناع على كل ما يقويهم من مال وسلاح وحماية وتعضيد. وآخر ما حصلوا عليه بضغط ترومان وحكومته الديمقراطية خاصة التعويضات الضخمة التي تبلغ نحو ثلثمائة مليون جنيه من ألمانيا الغربية. وقد اعترف الألمان بالضغط بكل صراحة ووقاحة معاً، وهو شيء بديهي، لأنهم لا يمكن أن يمنحوا حكومة أعدائهم الألداء مثل هذا المبلغ العظيم من تلقاء أنفسهم، ولا سيما أن بلادهم ماتزال تقاسي آثار الحرب المدمرة. وهم الآن بسبيل حركة جديدة هادفة إلى الحصول على المزيد من المساعدة والتأييد؟ فقد توترت العلاقات بينهم وبين الدول الشيوعية

لسبب طبيعة اليهودي التي تجعله غير مخلص لغيره في أي ظرف ومكان وموقف مهما فعل هذا الغير معه من خير. وهم جواسيس أميركة في روسية وجواسيس لروسية في أميركا، وقطعت الصلات السياسية بينهم وبين الاتحاد السوفياتي. فجاءت هذه الحادثة فرجاً لهم، حتى كأنهم خلقوها خلقاً بعد أن فقدوا حاميهم الأكبر ترومان وحزبه، فأخذوا يقومون بدعاية واسعة شديدة في الولايات المتحدة ليقنعوا حكامها الجدد الجمهوريين بأنهم غدوا ضحية لهم، وإن ما يواجهه اليهود في بلاد الدول الشيوعية هو في سبيلهم، وإن في ذلك تملقاً للعرب وكسباً لهم، وإن عليهم أن يضاعفوا مساعداتهم وتأييدهم لهم ليواجهوا الموقف الذي ترتب على توتر العلائق بينهم وبين أعدائهم، وإيواء الفارين من البلاد الشيوعية، كما أن عليهم أن يحذروا من العرب لأنهم سيزدادون تقرباً من الدول الشيوعية الخ . . .

ولا يكفي ما يبدر من إدراك رجالات العرب الرسميين لمطامع اليهود وأهدافهم وخطرهم العاجل والآجل وتكرارهم ذلك في مختلف المواقف والمناسبات إذا ظل سلبياً وفي نطاق الكلام الذي اتقنا فنونه كل الاتقان. ولا يكفي كذلك ما بدا إلى الآن من الدول العربية من تصميم على عدم مصالحة اليهود وعلى أحكام الحصار الإقتصادي حولهم. فهذا موقف سلبي أيضاً قصاراه أنه أضعف الإيمان. وليس من شأنه أن يمنع بل أن يحد من نمو اليهود وقوتهم كيفية وكمية بمقياس واسع. وأخشى ما يخشى إذا طال الأمر كثيراً أن يصبح وجود الدولة اليهودية عقيدة راهنة عند رؤساء العرب وسياستهم أو عند بعضهم على الأقل، وأن يتمزق الإجماع العربي البادي الآن على عدم مصالحتها وعلى إحكام الحصار حولها، ولا سيما أنها تبدي تهالكاً عظيماً على الصلح مع العرب ورفع حصارهم عنها ولن تألو جهداً في بث الدسائس والوساوس والتوسل بمختلف وسائل الإغراء لخرق ذلك الإجماع وإيجاد ثغرة واسعة بين العرب تنفذ منها إلى سائر بلادهم اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً فيتحقق الخطر العظيم الذي تبدو أماثره ويقع العرب جميعاً فريسة سهلة في أنيابه ولا يغنيهم ندمهم وحسرتهم على ما فاتهم فتيلا. وحماة اليهود الغادرون يبذلون كل جهد في سبيل هذا الغرض بمختلف أساليب الضغط والإغراء والإلحاح والتهديد والدس. ومن عجيب أمر اليهود في هذا الباب إنهم يريدون نيل الصلح مع العرب بدون ثمن على شدة حاجتهم إليه وتهالكهم في سبيله مما ينطوي فيه بالغ الاستهتار بهم حيث أعلنوا وظلوا يعلنون في كل مناسبة أنهم لن يتخلوا عن شبر من الأرض التي في أيديهم ولن يقبلوا بعودة لاجىء واحد إلى فلسطين. والعجيب من أمر حماتهم أنهم يعلقون أهمية عظمى على مصالحة العرب مع اليهود ويرون ذلك حيوياً شديد الخطورة في خططهم الاستراتيجية التي استغرقوا فيها واستهانوا بكل شيء في سبيلها على اعتبار أنها مسألة حياة وموت لهم، ومع ذلك فإنهم لم يحاولوا بجد أن يحملوا اليهود على تبديل موقفهم والتراجع عن بغيهم وتنفيذ قرارات هيئة الأمم مع أنهم لو حاولوا ذلك بجد لاستطاعوا حملهم على ذلك التبديل لأن حياتهم في أيديهم و قيامهم قائم بهم بل إنهم يثابرون بكل وسيلة على تأييدهم في كل خطوة باغية يخطونها ومدهم بكل معونة. وقد كان موقفهم الأخير في هيئة الأمم في نهاية سنة 1953 شديد الصراحة والجرأة

والاستهتار بالعرب وقصد إهمال تلك القرارات بل ونسفها واعتبار واقع اليهود الحاضر واقعاً لا معدى عنه ولا سبيل إلى تعديله، وقد تبنوا حجة اليهود في عدم اتساع فلسطين للاجئين بعد سيل المهاجرين اليهود المتدفق في حين أن في شرق الأردن وسوريا خاصة متسعاً لهم وحاجة شديدة إلى أيديهم العاملة فضلاً عن أنهم سيكون إذا عادوا مثار مشاكل كبرى لا تساعد على السلم والأمن في فلسطين والبلاد المجاورة. ويضيف أولئك الحماة المتآمرين ـ ونعني بهم خاصة إنكلترا وأميركا ـ إلى هذا حجة أخرى وهي أنه ليس من مصلحة اللاجئين قبل غيرهم أن يعودوا ليعيشوا تحت كنف اليهود وعرضة لاضطهادهم وفي ظروف إقتصادية ونفسية صعبة جداً عليهم، وإن من مصلحتهم أن يندمجوا في البلاد العربية الأخرى مع نيلهم المساعدات والتعويضات النقدية دون أن يستشعروا بما في هذه الحجج من مجانبة لكل حق وعدل وقيم لا يمكن أن ينسلخ منها المرء ويتجاهلها بسهولة ومقابل دريهمات بخسة ثم بما فيها من مغايرة لكل قانون سماوي وأرضي ودولي أيضاً حيث يراد من أهل فلسطين أن يصرفوا النظر عن مواطن آبائهم وقصورهم وبيوتهم ومدنهم وقراهم ومرابعهم ومعابدهم ومقدساتهم وقبورهم وأمجادهم وذكرياتهم ليحل فيها محلهم غزاة طارئون من آفاق الدنيا. وليتيهوا بدورهم على وجوههم ويستقروا في ارض جديدة مما ينطوي فيه بالغ الإستهتار بالعرب ومما لا يتسق إلا مع منطلق الظلم الإستعماري القاسي الذي تجعله مقاصده يعمى عن الحق ويتصامم عن صرخة العدل، ويتحجر قلبه عن الاستشعار بأي شيء من القيم بالنسبة لغيره وخاصة بالنسبة لضحاياه. ومن أوقح وقاحات اليهود دعواهم إنه ليس بينهم وبين الدول العربية خلاف يحتاج إلى حل وإعلانهم الإستعداد للصلح مع هذه الدول كل على انفراد وبذلهم الجهود في هذا المجال هادفين بذلك إلى تقرير كون بلاد فلسطين التي يحتلونها ليست بلد أي دولة من الدول العربية وإلى خرق إجماع هذه الدول على عدم الصلح معهم ومتجاهلين أن وجودهم في أصله أعظم مظاهر الخلاف بينهم وبين الدول والشعوب العربية جميعها. وإن قيام دولتهم قد قطع أو كاد يقطع صلة البلاد العربية ببعضها وإن فلسطين بلد عربي لكل عربي فيه حق وإن بينهم وبين كل عربي وبين دولتهم وبين كل دولة عربية من أجل ذلك ثأر عميق لن ينتهي إلا باقتلاعهم من الأرض التي نجسوها بأقدامهم مهما طال الزمن.

على أن ما نخشاه من خطر الصلح العظيم مع اليهود يظل قائماً وشديداً حتى ولو تراجعوا بعض الشيء بضغط من الدول الغربية المتهالكة على إقراره لمآربهم العسكرية والسياسية المتنوعة فإن هذا التراجع لن يكون مجدياً على ما علمتنا إياه التجارب[1] لأن قصارى ما يمكن أن يتساهلوا فيه هو أن يرفعوا يدهم عن شيء تافه مما هو مخصص للعرب وأن يقبلوا بعودة عدد محدود من أصحاب الأملاك ويكون تراجعهم هذا طعماً في رأس السنارة المعدة لاصطياد العرب وإيقاعهم في شبكة الخطر العظيم الإقتصادي والسياسي والاجتماعي والعسكري الذي يتهددهم في حالة الصلح الذي يمنحهم الوقت والنفس والوسائل ويخفف جو العداء الشديد

(1) في الجزء الخامس من كتابنا حول الحركة العربية الحديثة شيء كثير من مراوغات اليهود اثناء نشاط لجنة التوفيق في لوزان سنة 1949.

نحوهم ونطاق الحصار القوي حولهم، ولا سيما أن بعض السياسيين والمتعاقلين الذين يسيرون بوحي الاعتبارات الشخصية والإقليمية والايحاءات والتلقينات الأجنبية المريبة قد يرحبون بهذا الطعم المسموم وما يدخل في بابه من المقترحات التافهة التي لن يكون لها إلا الفائدة لليهود حالاً ومستقبلاً.

ومن أجل هذا كله فإن الإكتفاء بالمواقف السلبية والصبر على اليهود طويلاً وفسح أي مجال لهدوئهم وطمأنينتهم خطر كل الخطر على كيان العرب وبلادهم ومصالحهم الخاصة والعامة والداخلية والخارجية والسياسية وغير السياسية. ومن أعظم واجبات العرب والحالة هذه أن لا يضيعوا لحظة واحدة في التفكير والتدبير لدفع هذا الخطر بالعمل المجدي في أسرع وقت ممكن. ومن أعظم الجرائم العظمى التي يقترفها القابضون على أزمة أمور العرب أن يتوانوا في هذا الواجب ولا سيما أنهم كما قلنا مدركون لمدى الخطر الدائم الذي يتهدد بلاد العرب كل الإدراك بسبب وجود اليهود في هذا الجزء الحيوي من بلادهم من حيث المبدأ وبما يمكن أن يمكنه لهم الصبر عليهم من نمو ورسوخ. وليس ثمة من شأن غير القوة أن تدفع هذا الخطر فضلاً عن أنها هي المعول الوحيد لغسل العار الشديد الذي ألحقه اليهود وأنصارهم بالعرب واسترداد اعتبارهم في نظر أنفسهم ونظر الدنيا. ويجب أن يتم هذا خلال سنة أو سنتين على الأكثر أي قبل أن يستفحل أمر اليهود لأن الوقت ضد للعرب بالنسبة لهذه القضية خاصة من حيث انه كل ما مر رسخت قدم اليهود وتعذر اقتلاعهم. وكل أمل واحتمال في حل مشكلة فلسطين على نحو إيجابي ومرض لكرامة العرب وحقهم ودافع للخطر الذي يهددهم بغير القوة خائب وعبث. ونعتقد أن جميع ذوي الشأن من العرب الرسميين فضلاً عن غيرهم يعتقدون هذا في قرارة أنفسهم وكثير منهم لا يفتأ يصرح به في مختلف المناسبات وهو بديهي جداً، فغير العرب هم ضد العرب صراحة وضمناً وسكوتاً مادام العرب لا يعمدون إلى القوة. واليهود في المجال السياسي أقوى وسائل وتأثير من الغرب حتماً من حيث قدرتهم على إحباط أي مجهود عربي سياسي وتحقيق كل ما يرغبون فيه من أمور تساعدهم على تدعيم مركزهم ورسوخ قدمهم إذا ما تساجلوا مع العرب في هذا المجال. وقد ثبت هذا خلال السنين الأربع بصورة لم يبق معها أي مجال للظن والتعلل، واليهود يدركون هذا إدراكاً جيداً، وبقوة هذا الإدراك جرأوا على الاستهتار بقرارات هيئة الأمم ومجلس الأمن وتحدوهما وجعلوهما أمام الأمر الواقع مرة بعد مرة وكسبوا من جراء جرأتهم مكاسب متنوعة. وبقوة هذا الإدراك قتلوا برنادوت ونقضوا الهدنة الثانية واستطاعوا أن يطردوا الدول العربية من النقب ويقطعوا الصلة التي تربط بلاد العرب الشمالية بالجنوبية ويضطروا هذه الدول إلى توقيع معاهدات الهدنة المنفردة التي أملوا فيها إرادتهم وذهبت بما بقي للعرب من كرامة وهيبة، وبقوة هذا الإدراك سخروا بالعرب والأمم المتحدة المرة بعد المرة فوعدوا بتنفيذ قرارات هيئة الأمم واحترامها ووقعوا ميثاق لوزان في 12 مارس 1949 بسبيل ذلك قبيل قبولهم في هيئة الأمم التي جعلت هذا الوعد بمثابة شرط لقبولهم ثم نكسوا بعد يومين من قبولهم على أعقابهم وأخذوا يعلنون في مختلف المناسبات أن تلك القرارات غدت غير ذات موضوع وإنه لا مكان عندهم للاجىء واحد، ولن يرفعوا أيديهم عن

شبر من أرض ولن يتراجعوا عن جعل القدس عاصمتهم السياسية وامتلاك ما بينها وبين البحر مما هو مخصص للعرب لأنه طريقهم إليها دون أن يلقوا عنتاً أو غضباً إزاء هذا النكث الذي إرتكبوه والفجور الذي أعلنوه، وبقوة هذا الإدراك جرأوا على خرق الهدنة مرة بعد مرة ومازالوا يجرأون ويكسبون من جرأتهم مكاسب متنوعة. وبقوة هذا الإدراك جرأوا على الهزء والإستهتار بقرار مجلس الوصاية ودستوره في صدد تدويل القدس المستندين إلى قرارات هيئة الأمم، وجعلوا القدس عاصمة لهم ولم يبالوا باحتجاج هذا المجلس وإنذاره وها هم اليوم يتموا خطواتهم فينقلون وزارة خارجيتهم إليها ليجبروا الأمم التي قررت تدويلها على دوس قرارها والاعتراف بالأمر الواقع بنقل مفوضياتهم إلى القدس تبعاً لنقل وزارة الخارجية لها. وما خبرناه من مطامحهم ومطامعهم وتصريحاتهم وأهدافهم يجعلنا على يقين من أنهم سوف يقفزون بعد هذا إذا صبر العرب عليهم أكثر مما صبروا قفزة جديدة فيبسطون يدهم على المناطق المقدسة التي هي تحت الحكم العربي الأردني في القدس وما جاورها ثم يتمون قفزتهم بالإستيلاء على الحرم الشريف بعد تشريد أهل المنطقة وإقامة هيكل لهم فيه بل وعلى أنقاض مسجديه العظيمين مفخرة الإسلام والمسلمين ويضعوا العالم أمام الأمر الواقع كما اعتادوا مرة بعد مرة. وليس فيما نقول غلو أو توهم فإننا نعرف مطامعهم ومطامحهم وعقائدهم وقد جعلوا شعارهم «لا معنى لإسرائيل بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل». وقد أعلنوا نياتهم بصراحة منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى نحو الحرم حيث قدم نائب رئيس الجمعية الصهيونية ورفاقه طلباً مؤيداً من رئيس الحاخامين ومجلس الربانيين في سنة 1920 بوضع اليهود يدهم على جميع مكان الهيكل الذي هو الحرم القائم في وسط مسجد الصخرة والأقصى[1] وحيث نشر الفرد موند اللورد اليهودي الإنكليزي مقالاً قال فيه إن اليوم الذي سيعاد فيه الهيكل أضحى قريباً، وإني سأكرس بقية حياتي لبناء هيكل عظيم مكان المسجد الأقصى. وكان هذا من أثر ما بعثه وعد بلفور في اليهود من نشوة وأمل ولم يكن عددهم يزيد حينئذ عن ستين ألفاً وكانت حركتهم خيالية أكثر منها حقيقة. وهم يعرفون أن قصارى ما يكون مادام الأمر في المجال السياسي هو الاحتجاج ثم التوجع والسكوت.

وواجب العرب في هذا الباب متنوع الجهات. فمن جهة يجب على منظماتهم وصحافتهم ووعاظهم وخطبائهم وأساتذتهم وكتابهم أن يشتدوا في الدعوة وتوجيه الشعور العام وتقويته في هذا الإتجاه. ومن جهة يجب أن يشتد اهتمام الحكومات العربية للتسلح والإستعداد والتدريب بأوسع مقياس وأسرع وقت ممكن. ومن جهة يجب السير في تحقيق نصوص معاهدة الدفاع المشترك بكل جد وإخلاص وسرعة، والأمران الثاني والثالث مما يجب على من ذكرناهم أن يشتدوا في الدعوة إليها ومطالبة الحكومات بها. وأفضل ذريعة إلى حركة عربية في مجال هذا الواجب كمرحلة أولى وهو ما يبدو من اليهود من إصرار على عدم تنفيذ قرارات هيئة الأمم في قضايا الحدود وعودة اللاجئين وتعويضهم وتدويل القدس فتتقدم

---

(1) من تقرير أرسله الحاكم العسكري الإنكليزي بولز في 7 حزيران 1920 إلى القائد العام اللورد اللنبي.

الحكومات العربية إلى الحركة على اعتبار أنها صاحبة الحق والشأن في إرغامهم على تنفيذ تلك القرارات.

ومن الجدير بالذكر إن تنفيذ القرارات يحل آلياً 75٪ من مشكلة اللاجئين. لأن اليهود يحتلون تسع مدن ليست مخصصة لهم وهي القدس الجديدة والرملة واللد وبئر السبع والمجدل ويافا والناصرة وعكا وشفا عمرو وترشيحة ويحتلون أكثر من مئتي قرية عربية تابعة لها، فإذا رفعت أيديهم عنها عاد معظم اللاجئين إلى بيوتهم بل وأمكنها استيعاب عدد آخر من لاجئي الجهات الأخرى. وأمكن للعائدين بما خصص للتوطين من المبالغ أن يستأنفوا حياتهم التي دمرتها الأحداث السابقة.

وقد بحثت قضية فلسطين مرة ثانية في هيئة الأمم سنة 1951 التي انعقدت في باريس فقررت تمديد مهلة لجنة التوفيق وأوجبت على الدولة المعنية ـ العرب واليهود ـ حل هذه القضية وفقاً لقراراتها السابقة مما فيه أنفاس جديدة لتلك القرارات التي مر عليها خمس سنين وكان يحسبها الناس ميتة. وقد تكون الدول الكبرى المتآمرة ضد العرب في قضية اليهود وافقت على هذا القرار بناء على إلحاح مندوبي العرب وأنصارهم لتنال موافقتهم على مشروع قرار التوطين الذي يرمي الى إدماج اللاجئين في حياة واقتصاد الأماكن التي هم فيها كخديعة للعرب على اعتبار انهم إذا وافقوا على قرار التوطين ونفذ أصبحت تلك القرارات غير ذات موضوع.

فمن الواجب على الحكومات العربية رد هذا الكيد إلى أهله والانتفاع بقرار توكيد القرارات السابقة التي حملها مسؤولية تنفيذ هذه القرارات والإستناد إليه في الإقدام على هذه الحركة الواجبة. ولا نعتقد أن هذا عسير ومشكل فالحكومات العربية أعضاء في هيئة الأمم التي قررت تلك القرارات والتي كلما طولبت بتنفيذها قالت إنها لا تملك وسائل التنفيذ والحكومات العربية تنتظم كذلك في منظمة إقليمية من واجبها تأمين السلامة والسلام في منطقتها. واستمرار اليهود في بغيهم وعدم تنفيذهم قرارات هيئة الأمم مما يخل بذلك. ولا سيما إن هناك مليون لاجىء جردهم اليهود من كل مقومات الحياة وهم الآن يتصرفون بأملاكهم وبيوتهم وقراهم وبساتينهم ومرافقهم بغياً وعدواناً وأصحابها في أشد حالات البؤس والحرمان. وبقاؤهم على هذه الحال مما يؤدي الى الاضطراب. ونعتقد أن اليهود يهوشون بقوتهم العسكرية كثيراً وإن هناك أقلاماً عربية تساعدهم على هذا التهويش من حيث تدري ولا تدري. ونعتقد أن قوى الجيوش العربية في حالتها الحاضرة فوق الكفاية للمهمة إذا قامت بواجبها بوحي الاعتبارات العسكرية فقط فكانت لها قيادة واحدة نافذة وخطة واحدة مدروسة مما يتكفل به تنفيذ معاهدة الدفاع المشترك ولا سيما إنه يرصد منذ سنتين وينفق أموال طائلة في سبيل تحسين حالة الجيوش العربية وإتمام تجهيزها وخاصة في مصر وسوريا، ونعتقد أن الجيوش العربية ضباطاً وجنوداً شديدي التوق والتحرق إلى منازلة اليهود واقتلاع جرثومتهم وغسل العار عن الأمة العربية بدمائهم وبطولاتهم وتكذيب اليهود في تبجحهم الكاذب بأنهم قد انتصروا على الدول العربية السبع عسكرياً، مفترين بذلك على الحقيقة المعروفة من حيث إنه لم يقع حرب فعلية بينهم وبين الجيوش العربية، ومن حيث أن خسران العرب للمعركة قد كان

لأسباب داخلية وخارجية[1] ومن حيث أن الجيوش العربية ومجاهدي العرب كانوا يتحرقون على القتال والاشتباك معهم وتقديم أعظم التضحيات في سبيل تطهير البلاد منهم، كما نعتقد أن الأمة العربية في جميع الأقطار وعلى إختلاف الطبقات والفئات مستعدة للتجاوب مع أي حركة ودعوة في سبيل ثأر فلسطين وغسل عارها، ومستعدة لتقديم كل تضحية تتطلب منها. وقبول كل أمر يفرض عليها بكل حماس وتحمل إذا ما جد الجد ورأت من حكوماتها عزماً وتصميماً. وفي كل مناسبة يقوم البرهان على ذلك، وقد كانت كارثة فلسطين وعارها من أقوى حوافز الحركات الانقلابية والأحداث الدموية التي حدثت في بعض البلاد العربية، والتي كانت يتلقاها الجمهور بالارتياح والابتهاج والتأييد. واليهود في كل يوم يخرقون الهدنة باعتداءاتهم وبغيهم. وفي إحصاء رسمي أذاعته لجنة الهدنة الأردنية عن عدوان اليهود على الحدود الأردنية وحدها أنه خلال 26 شهراً أي من أول كانون الأول عام 1949 حتى 31 كانون الثاني عام 1952 إعتدوا (624) مرة من هذه الحدود، وأن عدد ضحايا هذه الاعتداءات من العرب يبلغ أكثر من مئة قتيل و 85 جريحاً و 83 مفقوداً، ومن بين هذا العدد (30) امرأة و (35) طفلاً بين قتيل وجريح، وخمسة نساء وعشرة أطفال مفقودين. وجميع هذه الأعمال وقعت في داخل الحدود الأردنية[2]، وأن اليهود قد طردوا منذ وقعت الهدنة من المناطق التي يحتلونها ما يزيد عن خمسة عشر ألف عربي بينهم عدد كبير من النساء والأطفال واستولوا على أملاكهم وأموالهم عنوة. وأنهم في إحدى المرات طردوا ألف عربي دفعة واحدة وأنه حدث مرة أن طردوا مئات من البدو فأرادوا أن يحملوا معهم خيامهم فأبوا عليهم ثم كدسوا هذه الخيام وما فيها من أمتعة وأشعلوا فيها النيران. وليست حدود الأردن وحدها المعرضة لهذا الخرق والعدوان. بل تكاد حوادثها تكون يومية في حدود الدول العربية في الشمال والجنوب، ومنذ أربع سنين والتقارير تسجل أحداثها والصحف تردد أخبارها واللجان تعقد لها بما ينطوي على بالغ إستهتار اليهود بالعرب ونواياهم القريبة والبعيدة.

فالحكومات العربية تستطيع بل ويجب أن تتسلح بهذه الإعتداءات لتقف موقفاً قوياً وتقدم على خطوة إيجابية حاسمة وعاجلة تكون غاياتها كمرحلة أولى إرغام اليهود على التراجع عما في أيديهم مما ليس مخصصاً لهم من مناطق ومدن وقرى أولاً، وتصحيح الحدود بحيث تتصل المناطق العربية ببعضها من جهة وتتصل مصر بالأردن عن طريق النقب من جهة ثانية. واحتلال ما يمكن احتلاله من الأقسام المخصصة لليهود ليكون رهينة على تعويضات أملاك العرب وأموالهم التي نهبوها ثالثاً، وحشر اليهود في البقعة الأخرى الضيقة الساحلية التي يتكاثفون فيها رابعاً. إلى أن تحين فرصة أخرى لاقتلاع جذورهم من الأرض المقدسة. بل وقد

---

(1) في الاجزاء 3 و 4 و 5 من كتابنا حول الحركة العربية تفصيل واف عن سير وتطورات القضية الفلسطينية وحربها.

(2) لقد أذيع في مدة قريبة أن عدوانهم على الحدود الأردنية في بقية سنة 1952 بلغ نحو ثلاثمائة مرة، وما يزال يتكرر في سنة 1953 حتى كان في بعض المرات صورة مصغرة لزحف حربي مجهز بالمدافع والالغام والاستعدادات المتنوعة الأخرى.

تتطور الأمور خلال هذه الحركة نفسها إلى تحقيق هذا الأمل المنشود.

ونحن إذ نرسم خطة هذه الخطوة العاجلة الحاسمة لا ننسى أن الإنكليز وفرنسا والولايات المتحدة أعلنت في بيان مشترك سنة 1950 عزمها على منع أي تعديل في الحدود بالقوة. غير أننا نعتقد ان هذا الإعلان تهويش على العرب وانها إذا تيقنت من تصميم العرب ستجد نفسها امام موقفين: إما تكرار مثل كوريا في البلاد العربية وإما الضغط على اليهود وإرغامهم على تنفيذ قرارات هيئة الأمم. وقد رأينا كيف كان أمر كوريا وما تخلله من غصص وندم وحسرة وفواجع وخسائر عظيمة، ولا يرد أن اصبع الروس كانت في كوريا فإن احتمال المضاعفات الداخلية والخارجية في الشرق العربي مخزن النفط الأعظم وأكبر أهداف الصراع بين المعسكرين العالميين لا يمكن ان يغيب عن بال الدول الثلاث إلى درجة تجعلها تقدم على عمل عنيف جماعي ضد العرب لانهم ليسوا مفترين على اليهود ولا باغين وإنما هم يجعلون انفسهم اداة لتحقيق قرارات هيئة الامم وصيانة كرامتها كما فعلت اميركا والدول التي انجرت معها في كوريا.

وكذلك ونحن إذ نرسم خطة هذه الخطوة العاجلة الحاسمة لا نرى أننا نذهب في الخيال من حيث قدرة العرب على الاضطلاع بها والنجاح فيها لأننا نعتقد أن هذا في مقدورهم الآن على ما ذكرناه قبل. بل هو في مقدور سوريا ومصر اللتين تحدقان بإسرائيل من الجنوب والشمال ولا سيما بعد انقلابهما الجريئين اللذين يسرا لهما اصلاح جيشهما وتدعيمهما إذا لم يتضامن الجيش الأردني فيها بسبب كون مقاليده في يد الإنكليز.

والمهم في الأمر هو جد القابضين على زمام أمور العرب وايمانهم بقضاياهم وحقهم. لقد آن لهم ان يجدوا ويخلصوا ويؤمنوا بهذه القضايا كما آن لهم ان يتحرروا من تهيب الدولة الباغية وملاينتها وهي التي لا تفتأ تصفعهم صفعات بعد صفعات في مختلف المواقف والمناسبات بعد صفعتها العظمى لهم في اقامة الكيان اليهودي في عقر دارهم وعلى دماء واشلاء أهل فلسطين وبذل كل جهد في توطيده. ولا نعتقد ان هذه الدول تستطيع ان تفعل بهم اكثر مما تفعله إذا ما اشتد السخط والحقد عليها. وهو ما يجب على شباب العرب ومنظماتهم وخطبائهم وكتابهم ووعاظهم واساتذتهم وصحافتهم ان يدعوا إليه إذا ما تشددت الحكومات العربية في خطتها معها. بل ان اقوى الاحتمالات ان تعدل هذه الدول عن خطة الغدر والبغي والاستهتار التي تسير عليها معهم. ولقد مشى العرب في ركابها طويلاً وسايروها اعظم مسايرة وضحوا بدمائهم وبلادهم في سبيلها فلم يكن لهم الا تلك المواقف.

ويستطيع الفلسطينيون ان يقوموا بدور عظيم في المرحلة الأولى أي في مرحلة تنفيذ قرارات هيئة الأمم، وهم على اتم استعداد للقيام به فضلاً عن استعدادهم للمساهمة في أي دور أو حركة انقاذية بكل قواهم وتقديم اعظم التضحيات التي يمكن ان تطلب منهم. فهم اصحاب الدار العارفين بمخارجها ومداخلها وطرقها واحراشها ووعرها وسهلها وجبالها. وهم الذين وقع عليهم بلاء كارثتها على اشد الحالات واوجعها، وهم الذين يقاسون ما يقاسون من ذل وهوان وحرمان وبؤس ويريقون الدماء بدل الدموع على وطنهم المسلوب وعرضهم المنهوك وثرواتهم المغصوبة

ومقدساتهم المداسة ويتحرقون اشد التحرق إلى أخذ ثأرهم وغسل عارهم بكل قلب وحرارة وايمان.

وانه لمن الممكن اعداد عشرة آلاف منهم على الأقل وتدريبهم وتجهيزهم وتنظيمهم في وحدات صغيرة ذات قيادات خاصة ثم توزيعهم على الحدود من الآن حتى إذا جاء وقت إرغام اليهود بالقوة كانوا هم الطلائع، بل ان لمن الممكن أن يباشروا نضالهم حال ما يتم تجهيزهم وتدريبهم وتنظيمهم. ونكاد نقول اننا على يقين بأنهم إذا سمح لهم ليستطيعون أن يقوموا بغارات قوية مستمرة تزعج اليهود أي ما ازعاج وتحملهم على قبول المطلوب منهم الذي ليس الآن إلا تنفيذ قرارات هيئة الأمم دون اشتراك الجيوش. ولن تزيد أكلافهم في الشهر عن ربع مليون جنيه. وهو مبلغ زهيد جداً إذا قيس بآثار العمل ونتائجه ومحمول جداً إذا ما وزع على ميزانيات الحكومات العربية التي لا تقل مجموعها عن ثلثمائة مليون جنيه، بل وان واحداً من ملوك النفط العربي ليستطيع ان يقوم به وحده فيكون له في صفحة أعماله كفارة ونوراً بين يدي الله وقصارى ما يكون على الجيوش العربية ان تحمي حدودها إذا ما حدثت اليهود أنفسهم بالعدوان على هذه الحدود بحجة مطاردة المناضلين وخرق مواد الهدنة وان تحبط غارات اليهود الجوية إذا ما أرادوا التهويش بها على البلاد العربية واثارة اعصابهم.

وللقارىء أن يتصور ما تفعله خمسمائة عصابة كل واحدة مؤلفة من عشرين مناضلاً على رأسهم ضابط أو قائد منهم منشورة على طول حدود ما يحتله اليهود من فلسطين من الشرق والشمال والجنوب انتشاراً منظماً وفق خطة مرسومة، حيث تكون كل عصابة على بعد كيلو متر من أختها وحيث تستطيع كل واحدة أن تقوم بحركة واحدة في كل يوم من تدمير وخطف وقتل ونهب وتعطيل ونسف وتخريب الخ. . . ولا يداخلنا أي شك في أن شهرين أو ثلاثة أشهر، تواصل هذه الوحدات أعمالها فيها يومياً، على هذا النمط كافية لجعل اليهود يجنوّن قلقاً واضطراباً وخوفاً، ولن يستطيعوا أن يقابلوا هذه الوحدات مقابلة حربية لأن خطتها ستكون كراً وفراً على أسلوب العصابات التي اعتادتها والتي أزعجت بريطانيا في فلسطين أشد الإزعاج. وقصارى ما يمكنهم أن يفعلوه هو عدوانهم كما قلنا على الحدود أو قيامهم بغارات جوية على المدن العربية وتكون الجيوش العربية مستعدة لهم فتفشل حركتهم. ولندعهم هذه المرة هم الذين يشتكون على العرب لمجلس الأمن بعد أن فعلوا فينا الأفاعيل وخرقوا حدود الهدنة وشروطها مراراً وتكراراً وحققوا كل ما قصدوه وضربوا بأوامر هذا المجلس عرض الحائط، وكان كل قصارنا أن نكون نحن الشاكين المستجدين للرحمة والعدل ممن هم حرب عليهما هذه المرة بعد أن خاتلوا هم مراراً وتكراراً. هذا إذا لم تر الحكومات العربية أن تبدأ هي بجيوشها أو لم تر ان تقابل حركات اليهود التي يمكن أن تحدثهم نفسهم بها ضد الحدود العربية ورأت الاكتفاء بالدفاع. أما إذا بدأت هي بجيوشها أو قابلت حركات اليهود الهجومية بمثلها وكانت مستعدة كما قلنا فإن من الممكن أن يكون فيما تفعل تحقيق القريب والبعيد معاً بيسر وفي مدة وجيزة وإننا لنرى بعين الخيال ونحن نكتب هذه الآثار العظمى التي يمكن ان تحدثها مثل هذه الحركة العظمى والنجاح فيها فتستولي علينا هزة شديدة من النشوة والعزة لأنه سيكون إيذاناً بولادة الأمة

العربية من جديد ولادة قوية رائعة، وبفكاكها من براثن المستعمرين الباغين في المشرق والمغرب العربيين وسيرها قدماً إلى الأهداف العظمى التي تستهدفها الحركة العربية الحديثة.

ومن الواجب أن تبدأ حركة تهيئة الفلسطينيين بأسرع ما يمكن، بحيث تؤلف في أمانة الجامعة لجنة خاصة فيها مستشار عسكري مهمتها اختيار الصالحين من الفلسطينيين واسكانهم في مناطق الحدود المختلفة وتجهيزهم وتدريبهم وتشكيل وحداتهم حتى يكونوا على أهبة العمل حينما يدعون إليه.

وقد لا تزيد اكلاف هذه العملية التمهيدية عن ربع مليون آخر في الشهر، فيكون مجموع ما ينفق على اعداد وتدريب وتجهيز وتحريك الكتائب الفلسطينية على نصف مليون جنيه في الشهر وهو ٤٪ من إيراد النفط الذي تجنيه الحكومات السعودية والعراقية والكويتية!

أما إذا تلكأت الحكومات العربية في السير خطوة عملية حاسمة وعاجلة مثل هذه الخطوة أو ما في مداها عى الأقل وماعت وتهيبت على عادتها وطال الأمر فقد يصبح الأمل سراباً وتكون قد سجلت مرة أخرى على نفسها وتاريخ حقبتها عار الأبد وذله وسمحت برسوخ جرثومة السرطان الرهيب وانتشارها في جسم البلاد العربية جميعها، فضلاً عما تكون قد أضاعته من فرصة تجربة سهلة لمعاهدة الدفاع المشترك ومداها والآثار العظيمة التي يمكن أن يحدثها النجاح فيها وما تكون قد جلبته عليها من اشتداد احتقار الأمم للأمة العربية ودولها العديدة وسخريتها منها.

ويجب على شباب العرب والمنظمات القومية والخطباء والوعاظ والكتاب والأساتذة والصحفيين ان يشتدوا في الدعوة الى ذلك بحيث تصبح استجابتها مما لا مناص منه، كما يجب على الذين يقبضون على ازمة الحكم في البلاد العربية ان يستوحوا ضمائرهم وان يستثيروا عزائمهم وان يتقوا الله في امتهم وبلادهم ومستقبلها وان يدركوا ان الأمر لا يعنيهم وحدهم وإنما يعني الأمة العربية إلى اجيال عديدة ويعني حياتها وكيانها وشرفها وكرامتها وتاريخها ومقدساتها وان مدى الفرص امامهم لا يعدو سنتين أو ثلاثاً على الأكثر ثم تفلت من الأمة العربية إلى مدى أجيال عديدة وانهم في اضاعتهم الفرصة يكونون قد سجلوا على انفسهم فضلاً عن امتهم عاراً لا يمحى، وان من الواجب ان يكون للعرب هتاف دائم التكرار على لسان كل فرد عربي وفي اعمدة الصحف وافواه الخطباء والوعظ والمعلمين واقلام الكتاب وهو ان فلسطين للعرب فيجب ان تعود وان قيام دولة يهودية فيها عار وخطر على العرب فيجب ان تزول وان على كل من يتهاون أو يخامر في تحقيق هذين الواجبين بقلبه ولسانه ويده وماله وقوته لعنه الله والملائكة والناس اجمعين.

ولمشكلة فلسطين ناحية أخرى جديرة بالإهتمام العاجل إلى أن يمكن تنفيذ الخطة التي رسمناها، وهي ناحية اللاجئين. فهؤلاء المنكودين الذين يبلغون نحو المليون يحيون حياة شديدة البؤس من كل ناحية، بل ان البهائم لتفضل معظمهم في حياتها؟ وهم مضطهدون صراحة وضمناً في كل مكان وجدوا فيه محرومون من العناية الصادقة، وقد حظر عليهم التنقل من مكان إلى مكان، وكادت تنحل فيهم كل مقومات الحياة الإنسانية والخلقية أو هي انحلت فيهم، وقد انعدم فيهم كل أمل في حياة عزيزة أو إنسانية، وفي كل مناسبة من اجتماعات

الجامعة ولجانها تبحث شؤونهم ويكثر القول عن ما يجب أن يعمل لتحسين حالتهم وتيسير انتقالهم وعملهم. ولكن الأمر يظل في نطاق القول، فمن الواجب أن تشتد الدعوة إلى العناية بهم عناية صادقة تتجاوز حدود الكلام إلى نطاق العمل والتنفيذ، حتى يظلوا متماسكين إلى ان يتحقق الأمل المنشود.

ومن السبل المجدية إلى ذلك توفير سبل العيش لهم ومعاملتهم معاملة كريمة إنسانية، وتيسير حرية التنقل والعمل لهم في أنحاء البلاد العربية، ورفع مستوى معيشتهم البائس المحزن في المسكن والملبس والحياة الاجتماعية ووسائل التعليم والعلاج بواسطة مؤسسة غوث عربية خاصة تمولها الدول العربية بنسبة معينة من ميزانياتها فتعتني بكل ما يتعلق بشؤونهم من حل وترحال وعمل ومعاش وعلاج وتعليم وقروض وإعانات ومشاريع وتعاونيات، وتوطين صالحهم في الحدود وتجهيزهم وتهيئتهم للعمل المجدي المأمول الذي يكونون طلائعه.

وليس هذا بالذي يزيد عن طاقة الدول العربية كما قلنا آنفاً. ولقد ذهبت فلسطين وأهلها ضحية لتقصير الدول العربية وعدم جدها في المجالين السياسي والحربي - إن لم نقل شيئاً آخر - ولقد آن لهذه الدول أن تكفر عن هذا التقصير بعمل جدي للاجئين يخفف عنهم البؤس الهائل الذي هم مرتكسون فيه ويذهب عنهم اليأس القاتل الذي استولى عليهم، ويمدهم بما ينعش الأمل فيهم ويرفع مستواهم ويهيئهم لدورهم العظيم في حركة التحرير.

كذلك هنالك مسألة أخرى تتصل بمشكلة فلسطين بصورة عاجلة، وهي مسألة أملاك وأموال اللاجئين المختلفة في فلسطين والتي وضعت الحكومة اليهودية يدها عليها، وأقامت حارساً أطلقت يده فيها. وقد وزعها بأبخس الإجارات على المهاجرين اليهود والشركات اليهودية. ولا يكاد يبقى من حاصلها شيء ذو بال بعد استيفاء ما وضع عليها من ضرائب ورسوم باهظة، وها هي هذه الحكومة المجرمة تقرر اليوم بيعها وتصفيتها لتقطع كل أمل أمام عودة اللاجئين من جهة ولتتم جريمتها بسرقة هذه الأموال والأملاك التي يقدرها المقدرون بملياري جنيه مقابل اسعار منخفضة أو إسمية بليرات يهودية تباع في الأسواق المالية بخمس قيمتها أو أقل... ونحن نعرف إن الحكومات العربية اخذت تقوم بمساع سياسية وتقدم الشكاوى بسبيل الحيلولة دون ارتكاب هذه الجريمة. غير أن هذا لن يجدي مع اليهود وحماتهم شيئاً كما ثبت ذلك من السوابق العديدة. والعلاج المجدي هو مقابلة العمل بالمثل. فلليهود في مصر والعراق وسوريا ولبنان أملاك وأموال غير يسيرة ولو أنها أقل من نصف قيمة أموال واملاك العرب. ولقد اعتبر اليهود العرب اعداء وعاملوهم معاملة الأعداء، وليس هناك أحد يستطيع ان يماري في ان كل يهودي في بلاد العرب عدو للعرب متضامن مع الحكومة اليهودية قلباً وقالباً. وفي كل يوم يقوم دليل جديد على هذه الحقيقة. فمن حق الحكومات العربية ومن واجبها معاً أن تقدم على اعتبار اليهود في بلادها اعداء وان تعتقلهم وتضع يدها على اموالهم واملاكهم وتقيم عليها حراساً. ولقد فعلت هذا اثناء الحرب الفلسطينية وكان حقاً لم يجادلها فيه احد ولقد كان من الخطأ ان تعود عنه لانها ماتزال في حالة حرب مع اليهود، فعليها ان تعود إلى ما فعلت بدون تowan. ومن الممكن ان تكون هذه العملية مفرجة للاجئين الذي يقاسون اشد حالات

البؤس والحرمان ولهم في فلسطين الأموال والأملاك حيث يمكن تسليفهم بعض المبالغ من غلات هذه الأموال والأملاك. وحينما تقدم الحكومة اليهودية على تصفية المخلفات العربية يقابل عملهم بمثله فتصفى المخلفات اليهودية كذلك. والدول العربية ذات سيادة من حقها ان تضع التشريعات المقتضية وان تنفذها في بلادها والشر بالشر والبادي اظلم. وقد يعمد اليهود إلى طرد العرب الموجودين الآن في فلسطين أو اعتقالهم ووضع اليد على اموالهم واملاكهم. ولن يكون في هذا مفاجأة للعرب لأن الحكومة اليهودية سوف تفعله عاجلاً أم آجلاً...

ونحن نعرف أن هناك متعاقلين يقولون أن هذا العمل مخالف للمبادىء والقوانين الدولية والدستورية وينسون ان اليهود قد داسوا ومازالوا يدوسون على تلك المبادىء والقوانين، فلا ينبغي أن يكون هذا حائلاً دون هذه الخطوة، ولا سيما أن الحكومات العربية كما قلنا في حالة حرب مع اليهود وقد فعلت ما قلناه في ظل الاحكام العرفية المعلنة بمناسبة تلك الحالة والتي ماتزال قائمة. ولقد اعتبرت الحكومة اليهودية نفسها ممثلة ليهود الدنيا ومرجعاً لهم، وبهذا الاعتبار تقدمت إلى ألمانيا وغيرها تطالب بالتعويض عن دماء اليهود وأموالهم. وقد أقرتهم الدول الغربية على ذلك وساعدتهم وماتزال تساعدهم على نيل التعويض.

فللحكومات العربية كل الحق في الأخذ بهذا الإعتبار والقياس بهذا المقياس. وقد تعترض الدول الغربية التي خلقت الحكومة اليهودية وعاضدتها على مثل هذا التدبير ولكننا نعتقد أن الحكومات العربية إذا عزمت وصممت وحزمت تستطيع أن تصمد أمام الاعتراض، وإن تلك الدول لن تفعل غير التهويش. ولا سيما إن الحكومات العربية لا تفعل شيئاً مبتدعاً وإنما تقابل عملاً بمثله. ولقد جرت تجربة من هذا النوع في العراق مع شيء من الفرق، وقام اليهود وقعدوا وحركوا حماتهم الذين ضجوا وصخبوا ثم وقف الأمر عند هذا الحد... وكل ما يطلب من الحكومات العربية أن تعزم وتصمم وتحزم. وعلى الواعين من أبناء الأمة وصحافييها وكتابها وخطبائها ووعاظها أن يشتدوا في الدعوة إلى وقوفها الموقف المطلوب.

***

(5) الأخ الفاضل
الأستاذ أحمد الشقيري[1]
1953/1/10:

تحية واحتراماً. وبعد فقد أحببت أن أكتب لكم بعتبي وعجبي وعتب وعجب كثير من الإخوان لما جرى ومما جرى في اجتماعات هيئة الأمم ودخول وفود العرب في مساجلة قضية توطين اللاجئين، متسائلين عن الذي اقترح وأثار ذلك الموضوع المشؤوم في هذا الظرف، وفي حين أصبح من البداهة أن المسيطرين على هذه الهيئة وهم الولايات المتحدة وبريطانيا والدول المتحالفة معهما المؤيدة للدولة اليهودية وأهدافها، يبذلون كل جهد في طي قضية فلسطين من ميدان البحث السياسي وحصرها في مسألة توطين اللاجئين. ولقد كان على ممثلي العرب في هذه الهيئة أن يعتبروا بما كان في السنة الفائتة، حيث بذلت هذه الدول كل

(1) كان الاستاذ الشقيري آنذاك يشغل منصب الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية وشهد اجتماعات هيئة الأمم كمندوب عن سوريا على ما اذكر.

جهودها في هذا الأمر ونجحت في خديعة العرب وجعلتهم يوافقون على قضية التوطين الذي فيه طي للقضية بطي أهم ورقاتها أو الورقة الوحيدة الباقية في اليد. وإذا كانت هذه الدول وافقت على توكيد القرارات السابقة لهيئة الأمم، فإنما فعلت ذلك لإتمام المكر لأنها تعرف أن تنفيذ قرار التوطين ينسف تلك القرارات نسفاً. كان أبسط واجبات ممثلي العرب أن يدرسوا الوضع وأن لا يتورطوا في إثارة القضية قبل أن يطمئنوا إلى النتيجة. ولو لم يلهم الله الكتلة الشرقية التي كان العرب ضدها في كل موقف في هيئة الأمم وخارجها للتصويت، لكان ممثلو العرب سجلوا على أمتهم عاراً لا يقل في مداه ومفهومه عن العار الذي سجله زملاء لهم في سنة 1948، وكان من أسبابه تلك الحرب المسرحية الهزيلة التي باشروها بدون أي إعداد وغاية.

لقد غدا من البداءة التي يسلم بها الواعون من العرب بما فيهم الذين أثاروا هذه القضية فيما نعتقد أن قضية فلسطين لن تحل حلًا عادلاً أو شبه عادل في هيئة الأمم، وأن العرب سيغلبون وينهزمون في كل محاولة سياسية مع اليهود لأنهم أقوى تأثيراً في هذا الميدان، ولأن حماتهم أصحاب القوة المؤثرة فيه على طول الخط، وهم يستهترون بالعرب كل الاستهتار ويرمون إلى خداعهم في كل موقف وحملهم على فض طابق القضية الفلسطينية بدون ثمن. وهم لا يفتأون يكررون لا عودة للاجئين، ولا تخل عن شبر من أرض احتلوها، ولا خروج من القدس، وكل ما هناك شيء من المال يدفعه الأمير كان تعويضاً عن الوطن السليب ومقدساته وأرض العرب وأملاكهم وثرواتهم المنقولة وغير المنقولة بشرط مصالحة اليهود والاعتراف بدولتهم وفتح آفاق البلاد العربية أمام استعمارهم الاقتصادي ودعاياتهم السياسية والنفسية والأخلاقية. وكل شيء مهما عظم وكل نكبة مهما كبرت تظل أهون على العرب من ذلك وأقل خطراً. وحل قضية فلسطين هو في فلسطين وفي يد العرب وحسب إذا كان يراد لها حل صادق وجدي. والعرب في اعتقادي قادرون عليه إذا جدوا وأرادوا، أما إذا كان فلاسفة ساستهم يأبون الجد ويفقدون الإرادة، فخير للعرب أن يظل هؤلاء الفلاسفة ساكتين على الأقل إلى أن يأتي وقت يتاح للعرب فيه أن يتحركوا بجد وإرادة. وأن لا يعرضوا العرب لصفعات ولطمات تزيد من عارهم وذلهم وهوانهم. والسلام.

* * *

وقد تلقى الكاتب الجواب الآتي المؤرخ في 1953/1/15:

سيدي الأخ الكريم:

جاءني كتابك الغاضب العاتب ومن حقك أن تغضب وتعتب. فلقد لقينا الأمرّين في هذه الدورة من الأمم المتحدة، وأرقنا ماء وجهنا لننجو من الفخ الذي أحاط بأعناقنا.. ولكن الله أراد أن يحفظ علينا بعض الكرامة فأنقذنا من هذه الورطة، ولم يكن من السهل الوصول إلى أصوات الروس أو غيرهم من الذين وقفوا إلى جانبنا في اللحظة الأخيرة.

فقد بذلت في هذا السبيل جهود كثيرة. وكل ما أرجوه أن نعتبر بهذه المحنة فلا نعود مرة أخرى إلى الأمم المتحدة في قضية فلسطين. ولو اتسع هذا الكتاب لأسهبت في بيان أسباب

هذه الخطيئة وكيف كان موقفي منها من البداءة. وقد وقع كل ما كنت أخشاه كأنما كنت أقرأ في صفحة الغيب فسامح الله وعفا. مع التحية لسائر الأصدقاء والإخوان.

* * *

(6) خطاب ألقاه الكاتب في النادي العربي في دمشق في سنة 1955

في حلفة تدشين فرع جمعية (كل مواطن خفير)[1]:

إنه لمن حق كل عربي أن يبتهج ويرحب بالفكرة التي اجتمعنا هذا المساء لاستماع نبأها، ولأنها تباشير ظهور سر فلسطين المقدس الذي عرفنا عنه العجب العجاب قبل تسعة قرون، حينما زحفت زحوف الإفرنج على بلادنا واستطاعت أن تُثبّت قدمها في فلسطين وبعض الثغور والمدن الشامية، وأن تنشىء فيها المملكة التي عُرفت بالمملكة اللاتينية، مستفيدة من تشتت شمل العرب والمسلمين وتناحرهم فيما بينهم على الحكم والسلطان. فإنه لم يكد يمر جيل على هذا الحادث الخطير حتى أخذ ذلك السرّ العجيب يظهر ويتسع ويعمل عمله في تجميع القوى الشتيتة تحت رايات عماد الدين ونور الدين وصلاح الدين والعادل والظاهر والمنصور والأشرف، دون مبالاة بعظيم التضحيات وامتداد أمد النضال، حتى تم تطهير البلاد من رجس الغزاة وعودة صبغة العروبة والإسلام إليها.

ولئن تأخر ظهور السر وعمله في تلك الحقبة من التاريخ فإنه لم يتأخر في هذه المرة التي إستطاع اليهود فيها بمساعدة دول الغرب الكبرى لمآرب إستعمارية وبتقصير من العرب وغفلتهم وتناحرهم أن يحتلوا بدورهم ما احتلوه من الأرض المقدسة. فقد أخذ هذا السرّ يظهر غداة حدوث الكارثة ويتسع حتى صارت قضية فلسطين وخطر اليهود قضية العالم العربي الأولى، ومدار حركات هذا العالم وسكناته وملء سمعه وبصره وأفكاره وعلى لسان كل خطيب وفي كل صحيفة من كتاب أو مجلة أو جريدة، وفي كل إجتماع ومشروع ونشاط عام شعبي وحكومي. وها هو هذا النادي القومي يدعو اليوم إلى تجسيم هذا السرّ بفكرة «كل مواطن خفير» التي نرجو أن يحشد جهوده في سبيل بثها، وأن يعاونه في ذلك كل واع من أمتنا حتى ينضوي إليها كل عربي قادر على أي عمل وقائياً كان أم دفاعياً أو هجومياً، ومادياً كان أم أدبياً، ويدوياً كان أم فكرياً ضد الغزاة الباغين، حتى تتطهر أرض الوطن المقدس هذه المرة كما تطهرت في المرة الأولى.

ونريد أن ننبه على أمر مهم في صدد مدى هذه الفكرة، فنحن لا نرى أن يقتصر هذا المدى على مراقبة التهريب والتجسس وسد ثغرات المقاطعة، بل يجب أن يتسع حتى يغدو كل عربي قوة زاجرة لأي دسيسة صلحية أو تهادنية أو إنهزامية في مجال تسوية قضية فلسطين، وحتى يكون كل عربي قوة مانعة دون الوقوع في شباك المستعمرين والسكوت عن الواقع الباغي والتسليم به. وحتى يصبح كل عربي قوة مناضلة دؤوبة مستعدة بكل ما يمكن من الإستعداد،

---

(1) أنشأ هذه الجمعية جماعة من الغيورين اللبنانيين مزيجة من مختلف الملل لتجمع أكبر عدد من المواطنين في الأقطار العربية للعمل في سبيل قضية فلسطين والدفاع عنها من مختلف النواحي.

وداعية قوية إلى الإتحاد واندماج الدويلات العربية في كيان واحد موحد القوات الحربية والاقتصادية فيه العلاج الأقوى لتحقيق أهداف العرب ومحو العار بإزالة الرجس من أرض الوطن المقدسة. وحتى يعرف كل عربي أن هذا واجب ديني وقومي، وأنه ليس من أجل فلسطين فقط، بل هو دفاع عن النفس بالنسبة لكل وطن عربي، لأن توطد الواقع الباغي والسكوت عنه طويلاً والوقوع في شباك المستعمرين دون إزالته، من شأنه أن يتطور ويمتد حتى يعمّ خطره الاقتصادي والاستعماري والعسكري جميع الأوطان العربية والكيان الذاتي القومي والسياسي.

ونحب أن نقول بهذ المناسبة إنه مهما بدا من مظاهر تفكك العرب وتخاذلهم، ومهما بدا من واقع ضعف العرب السياسي والحربي بسبب ذلك، فإن إمكانيات العرب والوطن العربي المادية والمعنوية العظمى التي استطاعت أن تتغلب على زحوف الإفرنج الجرارة، وأن تنتصر على ما كان يلمّ بالسلطات الحكومية من وهن وتخاذل في الأمس، لحرية بأن تتغلب وتنتصر اليوم أيضاً إذا ما تيسر لها التحريك والدأب والاستثمار والتجميع وبث الثقة والصرخات الداوية والجهود المستمرة، وهذا ما نرى آثاره في مختلف المناسبات، وما نرجو أن يشتد ويقوى، وما نأمل أن يكون للفكرة الجليلة التي تبناها هذا النادي نصيب كبير فيه إذا ما اتسع مداها على النحو الذي نبهنا عليه. ولا يأخذنا الوهم من ناحية ما يتظاهر به اليهود من حيوية وقوة ونشاط. فإن كل ما يُبدونه ليس من شأنه إخفاء عوامل الإنهيار الكثيرة التي تعمل بشدة في بنيانهم المسخ. فالمقاطعة العربية تضيق عليهم الخناق وتزعجهم أشد إزعاج، وتوسع من نطاق البطالة، وتضاعف من أكلاف المعيشة وصعوبات الحصول على المواد الغذائية والصناعية، وتضطر كثيراً من الشركات إلى الإدبار عنهم وسحب أموالها ومراكزها ومعاملها. فإذا ما أحكمت وسدّت الثغرات فيها إزداد الضيق واشتد الخناق على الهجرة إلى فلسطين، وقد وقعت وخابت الآمال التي كانت تمني اليهود بحشد الملايين في فلسطين، وغدا عدد النازحين يفوق القادمين الذين صاروا في عداد الآلاف، بعد أن كانوا في عداد المئات من الألوف! وهذا فضلاً عن أن الذين جاءوا إلى فلسطين ليسوا على شيء من المال والخبرة والفن. أما أصحاب ذلك أي اليهود الغربيين فهم منكمشون أشد الانكماش عن فلسطين منذ القديم، ولم ينبثق في نفوسهم بُعيد قيام المسخ اليهودي أي ثقة فيه تجعلهم يتخلون عن انكماشهم، مما يُعتبر في حد ذاته من أشد عوامل ضعف الواقع اليهودي وانهياره، والعرب يزدادون كل يوم قوة ووعياً وانتباهاً وحيوية رغم كل شيء، وفي أيديهم من الأوراق الرابحة ما يمكن أن يساعدهم أعظم مساعدة على تحقيق هدفهم إذا عرفوا كيف يحتفظون ويلعبون بها، ولم تنخدع حكوماتهم وتفرّط بها بدون ثمن أو بثمن بخس. وبقاء حالة الحرب قائمة وعدم الإعتراف بالواقع اليهودي على أي حال من أقوى العوامل على إستمرار الحالة المضطربة التي يعيش اليهود في كنفها، والتي يضطرون إلى إنفاق عظيم الأموال في سبيلها في غير طريق الانتاج، وهي من أقوى العوامل كذلك على تحقيق ذلك الهدف. ومهما طال الزمن فلسوف يكتشف أولياء اليهود أنهم مخدوعون ضالّون في ولايتهم، وأنهم أضروا بسياستهم ومصالحهم أكثر مما نفعاها بها. فينضب المعين

الذي يغترف منه اليهود والذي هو سند حياتهم الأوحد فينهار مسخهم فوراً.

وتستطيع الفكرة الجليلة التي اجتمعنا هذا المساء لشهود إعلانها أن تساهم مساهمة فعالة في كل ذلك سلباً وإيجاباً. ومن أجل هذه الإعتبارات جميعها أهنىء النادي بفكرته وأتمنى لها النجاح والإنتشار الواسعين، وأشكره على أن أتاح لي هذه الفرصة لإظهار اغتباطي بها.

***

(7) فخامة الرئيس الجليل[1]
تشرين الثاني 1955 :

لقد استبشر الفلسطينيون أعظم استبشار وانبثق فيهم أقوى الآمال بما أتمه الله على يدكم من الاتفاق العسكري بين مصر وسورية الذي نرجو أن يكون حجر الزاوية في حماية بلاد العرب ودفع العدوان عنها أولاً. وفي غسل العار الذي لحق بالعرب واجتثاث الجرثومة الخبيثة التي انغرست في صميم بلادهم ثانياً.

ولقد نص هذا الاتفاق على إنشاء جيش مشترك بقيادة مشتركة في السلم والحرب وبدأ بحمد الله في تنفيذ ذلك. ونعتقد أن المجال قد انفسح عن هذه الطريقة لمساهمة الفلسطينيين في العمل المجدي بإتاحة الفرصة لهم للإندماج في هذا الجيش، بل وجعلهم النواة فيه الآن والطليعة للجولات الآتية. وهم مستعدون للقيام بواجبهم هذا بكل شوق وحماس، وقادرون على لعب أقوى الأدوار فيه من حيث كونهم أهل الدار العارفين بمداخلها ومخارجها وهضابها وسهولها، ومن حيث كونهم الذين وقع عليهم شر النكبة على أوسع وأشد ما يكون، ومتشوقين إلى أخذ ثأرهم واسترداد وطنهم الشهيد.

وإنه لمن الممكن أن يجند من الذين تتراوح أعمارهم بين 20 و30 سنة منهم 2500 - 3000 من سورية و2500 - 3000 من لبنان و5000 - 7000 من غزة و10000 - 12000 من أرض فلسطين، وبعبارة ثانية من 20000 إلى 30000، فتدربهم القيادة المشتركة وتجهزهم وتنظمهم وتعدهم الإعداد اللازم المفيد للحركة بأي شكل ووقت مناسبين. وإذا كانت التشريعات الحاضرة تحول دون تجنيدهم شكلاً، فمن الممكن التغلب على ذلك بتشريع خاص نعتقد أن البرلمان السوري لا يتردد في قبوله، ولا سيما أنه أعفى الفلسطينيين من شرط الجنسية بالنسبة لأي عمل مشروطة له. وتشريع مثل هذا سهل بالنسبة لمصر كما هو المتبادر.

ومن الجدير بالذكر أنه سيكون لهذا العمل فوائد عظيمة غير ما تقدم بالنسبة لحالة الفلسطينيين. منها أنه سينعش آمالهم ويقوي حيويتهم ويشعرهم بإنسانيتهم ويساعد في الوقت نفسه على مساعدة آلاف الأسر بما سوف يتقاضاه شبابها من مخصصات.

ولي وطيد الأمل بأن يلقى هذا الاقتراح لدى فخامتكم القبول الحسن، وأن يأخذ طريقه إلى التنفيذ بما تولونه من عناية واهتمام.

أبقاكم الله ذخراً للعروبة وسدد خطواتكم إلى ما فيه سعادتكم ومجدها.

في 1955/11/28

تعقيب

هذه الرسالة سلمتها لفخامة الرئيس في مقابلتي له في التاريخ المذكور أعلاه. وقد اقترح أن اجتمع بالزعيم شوكة شقير رئيس أركان الجيش وطلب من سكرتيره ترتيب موعد لي معه، ورتب الموعد وذهبت إلى الأركان ولم

---

(1) الرئيس المرحوم شكري القوتلي.

يتيسر الاجتماع بالزعيم. فأرسلت لفخامة الرئيس هذه المذكرة:

1 ـ إن الاجتماع لم يتم ولم يعين الزعيم موعداً آخر لو كان عدم الاجتماع بعذر صحيح، ولا سيما أن المقابلة بأمر من فخامته.

2 ـ ومهما يكن من أمر فإن تجنيد الفلسطينيين أمر هام بالنسبة للاجئين ومعنوياتهم ومعيشتهم، فضلاً عن فائدة ذلك العظمى في أي حركة وعمل في المستقبل.

3 ـ إن المشير عبد الحكيم عامر موجود في دمشق، وهو القائد العام للقوات المشتركة، وهذه فرصة لبحث الموضوع معه.

وما دام فخامته يشاركني في اقتراحي فالمرجو أن يرعاه ويلاحقه.

4 ـ ولقد أنشأت الإدارة المصرية في قطاع غزة حرساً وطنياً يقوم بمهمات عظيمة. وعلى حدود الأردن ـ فلسطين حرس وطني. وإنه من المستحسن أن يكون على حدود سورية أيضاً حرس وطني. ومن الممكن أن يكون الفلسطينيون عماد ذلك، والمرجو من فخامته الاهتمام بهذا الأمر المهم.

5 ـ لا بد من أن فخامتكم سمعتم خطاب إيدن في صدد حل قضية فلسطين، وهو يطلب من العرب أن يتنازلوا عن شيء من حدود التقسيم ويطلب مثل ذلك من اليهود. والنتيجة أن العرب هم الذين يطلب منهم التضحية، لأن في يد اليهود مما هو زائد عن حدود التقسيم مغتصب.

ويبدو أن هذه التسوية التي تلوح بها بريطانية تهدف إلى مصالحة العرب مع اليهود، بل إن هذا هو الهدف الجوهري من جميع المحاولات، لأن فيه تثبيتاً لدولتهم واعترافاً بها من العرب، وبه يرتفع الحصار عنها وتنفتح أمامها آفاق بلاد العرب فتقوى وتنمو على حسابهم. وفي هذا أعظم الأخطار والأضرار على بلاد العرب.

ولا يجوز أن يكون موضوع حديث ما من جانب العرب بأي ثمن. حتى ولو بتنفيذ قرارات هيئة الأمم بحذافيرها، فكيف بشيء تافه منها وبخسارة للعرب في كل حال.

والأمر الذي لا شك فيه أن الإنكليز والأميركان قد ازداد اهتمامهم للتسوية بسبب ما بدا من تحسن في حالة العرب وتسلحهم والموقف القوي الموفق الذي وقفته مصر وسورية، حيث صاروا يخشون العواقب ويخافون على دولة اليهود غرستهم إذا استمر التحسن. وصاروا يريدون اتقاء العواقب بتثبيت اسرائيل بمصالحتها مع الدول العربية وما يؤدي إليه ذلك من التعامل السياسي والإقتصادي معها.

وفي كل الأمور إن من الواجب أن تستمر مصر وسورية في استكمال أسباب القوة والتسلح والتضامن. فهذا هو الذي يهيء الحل العادل طوعاً أو كرهاً.

* * *

(8) جواب من الكاتب للنادي الثقافي العربي في بيروت[1] تشرين الأول 1957

هناك أسس لا يمكن أن تقبل تعديلاً ولا مساومة تحت أيّ ظرف واعتبار وهي:

---

(1) وجه النادي الثقافي العربي في بيروت بتاريخ تشرين الأول 1957 سؤالاً إلى الكاتب ولعله وجه مثله إلى غيره قائلاً:

مع كون قضية العرب في فلسطين ذات طابع دولي منذ =

1ـ إن قضية فلسطين متصلة بالكيان العربي العام في الصميم، وهي بالنسبة لهذا الكيان قضية وجود وليست مسألة أرض وحدود.

2 ـ إن الحل النهائي الذي يجب أن يؤمن به كل عربي وأن يبشر به وأن يسعى إليه هو زوال دولة اليهود من فلسطين وعودة الصبغة العربية الكاملة إليها.

3 ـ إن الأساسين السابقين يستتبعان أساساً ثالثاً في نفس قوتهما وهو عدم الإعتراف بدولة اليهود وعدم مصالحتها وعدم فك الحصار عنها ولو رضي اليهود وأنصارهم بأن تكون حدودها تل أبيب وحسب، ومقاومة كل ذلك بصرامة وعنف وتصميم. لأنه يعني فتح آفاق بلاد العرب للتسلل اليهودي الإقتصادي والسياسي والدعائي والإفسادي، ومنح دولة اليهود الوقت، ومدها بأسباب الحياة والنمو. وفي هذا تعطيل للحل العربي النهائي المذكور في البند الثاني، فضلاً عن أن كيان الوطن العربي لا يمكن أن يكون سليماً أميناً مع وجود جرثومة خبيثة غريبة في صميمه.

ومن الضار كل الضرر والخطر كل الخطر أن يتساءل عربي عن حل سلمي نهائي لقضية فلسطين غير ذلك الحل أو يقبل بحثاً في ذلك النطاق.

ومطالبة الحكومات العربية بتنفيذ قرارات هيئة الأمم هو من حيث الأصل انحراف عن ذلك النطاق، لأن هذه القرارات تنص على قيام دولة يهودية وأخرى عربية في فلسطين وقيام اتحاد اقتصادي بينهما. وفي هذا تسليم بوجود دولة اليهود وموافقة على تعامل العرب معهم ولو كان من قبل عرب فلسطين. ولم تكن الحكومات العربية في مطالبها معبرة عن ضمير الشعب العربي الذي كان وظل متمسكاً برفضه كل اعتراف بدولة يهودية في فلسطين والتعامل معها، وبوجوب إصباغ فلسطين كاملة بالصبغة العربية. وقد عبر الشعب العربي عن هذا بمقاومته المسلحة سنة 1936 ـ 1939، حتى أحبط تقسيمها، ثم ظل يرفض كل حل على أساس هذا التقسيم وما يؤدي إليه من التسليم بكيان يهودي سياسي في فلسطين ثم بمقاومته المسلحة لقرارات هيئة الأمم. وقد اندمجت الحكومات العربية في ذلك أثناء الإنتداب الإنكليزي، ثم بزحفها المسلح على فلسطين في 15 أيار 1948.

ومهما حاولنا وصف مطالبة الحكومات العربية هذه بالتكتيك السياسي، فإنها تظل تتسم بسمة الانحراف ويجب التراجع عنها. ومن حسن الحظ أن الحكومات العربية اليوم أدركت خطأها فعادت لتنسجم مع الشعب في الهتاف بأن تنفيذ قرارات هيئة الأمم لن يكون حلاً نهائياً لقضية فلسطين يقبل به العرب، وبما قد يتضمنه ويؤدي إليه من الإعتراف بدولة يهودية في فلسطين ومصالحتها والتعامل معها، وأن الحل النهائي لن يكون إلا بزوال الدولة اليهودية.

وليس للإيمان العربي بالحل الذي وضعناه في البند الثاني شأن بموافقة الرأي العالمي عليه، لأنه هو وحده ولا غيره الكفيل بسلامة الكيان العربي. على أن هذا الرأي العام

= البدء، فإن تعقد العلاقات الدولية وتطاحن المعسكرات العالمية الشديد وانقسامها بشكل حاد جذري، قد جر هذه القضية إلى أروقتها وميادينها بشكل أوسع وأشمل من أي وقت مضى. مما قد يكون له تأثير كبير على الحل النهائي للقضية، وسائلاً كيف يجب أن تعالج هذه القضية. وقد أجاب الكاتب على هذا السؤال بالجواب المذكور أعلاه الذي نشر في مجلة النادي (الثقافة العربية ـ السنة الأولى العدد الثاني ـ تشرين الأول 1957).

العالمي ليس سليماً، وقد غذي ومايزال يغذى بالكذب والتضليل، وليس له أي سند من منطق وحقيقة وضرورة تاريخية وقومية وإنسانية، ومن الغباء والسخف أن تضحي أمة بنفسها من أجله.

ومع ذلك فإن الحل العربي المذكور لا يقتضي طرد اليهود كاملاً من فلسطين حسب قول البعض إذ أن الرأي العام العالمي لا يقره. فمن الممكن أن يسمح العرب ببقاء من يقبل بالرعوية العربية والحياة بسلام وانسجام مع العرب والتخلي عن كل أمل ودعوة وفكرة، مما يتصل بالقومية اليهودية الزائفة، واعتبار اليهودية كما هي بحقيقتها نحلة دينية يتسع لها الوطن العربي كما اتسع لها من قبل وكما يتسع للنحل الأخرى. أما الذين لا يقبلون ذلك فعليهم أن يرحلوا، وعلى الذين شجعوا مزاعمهم الخبيثة وهوسهم السخيف أن يجدوا لهم مكاناً آخر غير فلسطين.

*

وقد يرد على هذه الخطة سؤالات:

منها: ماذا يكون موقف العرب إذا جاء وقت كانت هيئة الأمم فيه في حالة تساعدها على إجبار اليهود على تنفيذ قرارات هيئة الأمم بشأن عودة أهل فلسطين العرب إلى ديارهم وانسحاب اليهود من الأقسام التي يحتلونها زيادة عما خصصه لهم قرار التقسيم وتخليهم عن القدس؟

والجواب على هذا أنه لا مانع من عدم ممانعة العرب لذلك، على شرط تعديل لا بد منه، وهو تطبيق مشروع برنادوت بحصر رقعة اليهود في ألوية: يافا وحيفا والجليل، وضم النقب مع بقية أقسام فلسطين بما فيها القدس إلى المملكة الأردنية، وعودة من يريد العودة من أهل فلسطين إلى هذه الألوية، والتعويض على من لا يريد. ثم على أساس غير قابل للأخذ والرد، وهو عدم اقتران هذه التسوية بصلح بين الدول العربية ودولة اليهود ينتج عنه تعامل سياسي واقتصادي معها. على أن مثل هذه التسوية التي يجب أن تكون في نطاق هيئة الأمم لا تقتضي اعتراف الدول العربية بدولة اليهود ومصالحتها لها وتعاملها معها، وليس هناك أي عرف ولا قانون يجبر على الاعتراف بدولة والتعامل معها سياسياً واقتصادياً.

ومشروع برنادوت هذا قد اقترح في هيئة الأمم في دورة 1949 ـ 1950 التي انعقدت في باريس، وقد عارضته إنكلترا وغيرها ورفضه العرب. وليس ما يمنع من إحيائه وتنفيذه كمرحلة أولى من مراحل اختناق المسخ اليهودي مع ذلك الشرط الأساسي، لأنه يحل مشكلة معظم اللاجئين ويعيد الصلة بين آسيا العربية وأفريقيا العربية، ويذهب بفكرة تدويل القدس التي ستنطوي على أخطار متنوعة ضد الكيان العربي، وتضيق من الرقعة التي في يد اليهود، ويقضي على إمكانيات التمدد اليهودي التي يتخيلها اليهود بالنسبة للنقب بصورة خاصة. ويزيد بالتالي من شدة العنت والاضطراب الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي تعيش فيه الدولة اليهودية، وليس فيه محذور تعاون عربي يهودي في فلسطين على الوجه الذي تضمنه قرار هيئة الأمم بشأن التقسيم.

ومن الأسئلة التي قد ترد: كيف ومتى يستطيع العرب والحالة هذه أن يحققوا الحل النهائي الذي لا حل سواه: وماذا يكون موقفهم إلى أن يستطيعوا ذلك؟

والجواب على هذا: هو أن على العرب أن يثابروا على تقوية أنفسهم في مختلف النواحي: في السلاح والاستعداد والتدريب وتنظيم

الفلسطينيين وتركيزهم على طول الحدود. وفي التنمية الاقتصادية، وفي التواثق العربي العام. وبكلمة أخرى في الاتحاد الفدرالي الذي يصبح للعرب في نطاقه جيش واحد وسياسة خارجية واقتصادية واحدة. وفي الدعاية الواسعة وفي تقوية جبهة باندونغ وتوسيعها.

وفي هذا ضمان للأمور الآتية:

أولاً: جعل العرب وحدهم الأحرياء بملء ما يزعم من فراغ في بلادهم.

وثانياً: ازدياد وزنهم في اعتبار الدول.

وثالثاً: تنوير الرأي العام العالمي بحقائق الأمور بالنسبة لليهود والحركة الصهيونية وفلسطين وعروبتها، واستحالة الاستقرار والأمن في الشرق العربي مع إبقاء جسم غريب غدّار متآمر شديد الشره والحقد والخبث في صميمه. وجعل هذا العالم يرى في ذلك عملية استعمارية مصطنعة ليس من ورائها أي خير وليس لها أي سند من حق ومنطق. ولقد مهد العدوان الثلاثي الغادر هذا الطريق بعض الشيء مما يتمثل في الأصوات التي أخذت ترتفع من هنا وهناك بأن قيام إسرائيل كان خطأ يجب تصحيحه، وأن وجود إسرائيل صار موضع نظر لأنها أداة مسخرة للعدوان والغدر والشر.

ورابعاً: حمل أميركا خاصة التي هي أغزر مصدر لوسائل حياة وبقاء دولة اليهود أمام الخيارين العرب أم اليهود، وجعلها لا مناص لها من اختيار العرب أصحاب البلاد وأصحاب ثروات النفط الهائلة وأصحاب المركز الاستراتيجي الممتاز والذين يعدون ثمانين مليوناً ولهم تأثير عظيم على أربعة أضعاف عددهم في آسيا وأفريقيا.

وحينئذ لا يحتاج الأمر إلا إلى قبض اليد عن دولة الشر فتنهار للحال دون حرب ولا قتال، لأن كيانها مصطنع لا يملك بذاته مقومات الحياة ويستمد كل هذه المقومات أو جلها من أميركا.

وخامساً: جعل العرب قادرين على القيام بعملية اكتساحية حينما تسنح الفرص والدهر لن يبخل بها وقد يهيئها اليهود أنفسهم بدافع من جبلة الغدر والشر والشره التي جبلوا عليها.

وإلى أن يحين ذلك الوقت، على العرب مع مثابرتهم على تقوية أنفسهم على النحو الموقت أن يبذلوا جهودهم لإحباط كل محاولة لفرض تسوية نهائية لقضية فلسطين على أساس شيء من الواقع، وأعتقد أنهم لن يعجزوا عن ذلك.

وقد يتحقق الحل الذي لا حل غيره في أمد قصير لأسباب متنوعة خارجية وداخلية. ولكن مادام أنه ليس هناك حل غيره يكفل للعرب السلامة ويستأصل معه من صميم كيانهم الجرثومة الخبيثة، فلا يضير العرب أن ينتظروا مدة من الزمن متمسكين خلالها بحقهم الكامل ومحبطين كل تسوية تعسفية ومقاومين لكل مهاودة وجنوح ويأس ومثابرين على تقوية أنفسهم في مختلف النواحي. والوقت معهم وضد عدوهم، وهم في تحسن سريع مدهش سياسياً وعسكرياً وتحرراً ووعياً واقتصادياً وثقافة، مما يجعل الأمل قوياً بأن مدة الانتظار لن تكون طويلة بل لن تزيد بإذن الله عن عشر سنوات، وهي ليست إلا لحظة في حساب الدهر.

***

(9) يجب أن ينتهي الإنحراف في القضية الفلسطينية[1]

1957/12/14

لا ريب في أن حقيقة كبرى تنطوي في القول الذي أخذ يردده الغرب بأن قضية فلسطين من أهم عوامل التوتر في الشرق الأوسط، وبأن زوال هذا التوتر رهن بحلها. غير أن هذا الغرب لا يريد أن ينفذ إلى صميم القضية ليعرف أن التوتر لن يكون إلا بزوال المسخ المسمى إسرائيل، وبعودة الصبغة والسيادة العربيتين كاملتين إلى فلسطين كما كانت. وأن التوتر لن يزول ببقاء هذا المسخ قائماً في سرة البلاد العريقة. وهو يظن أن القضية قضية حدود ولاجئين، ويعمل جاهداً على ابتكار الأساليب التي يحل بها هذه القضية من هذه الرؤية. ويستمد ظنه هذا أو تجاهله من موقف الحكومات العربية سواء منها الضالعة معه أو المتحررة من نفوذه، التي لا تفتأ تكرر في كل مناسبة تبحث فيها قضية فلسطين أن حلها رهن بتنفيذ قرارات هيئة الأمم لسنة 1947 ومصيرها، حتى صار هذا هو الشعار لهذه القضية.

والحكومات العربية تنسى أو تتناسى في ذلك أمرين خطيرين، الأول أن العرب شعوبهم وحكوماتهم قد رفضوا هذه القرارات إلى 14 مارس 1948 في هيئة الأمم حين اتخاذها، ثم قاوموا تنفيذها بالسلاح مقاومة شعبية أولاً غداة صدور قرار التقسيم في 29 تشرين الثاني 1947 إلى الرابع عشر من مارس 1948، ومقاومة رسمية جماعية بدخول الجيوش العربية لفلسطين في الخامس عشر من هذا الشهر.

والثاني وهو الأهم أن قيام دولة صهيونية عنصرية غريبة في سرة بلادهم واستقرارها يعني قطع الصلة الجغرافية بين الأقسام الآسيوية والأقسام الأفريقية منها وانفتاح آفاق البلاد العربية عاجلاً أو آجلاً أمام التغلغل اليهودي السياسي والعسكري والدعائي والثقافي والإقتصادي أولاً، وجعل اليهود يبذلون كل جهودهم وطاقاتهم الهائلة، ولهم طاقات هائلة في مختلف أنحاء الأرض سياسية واقتصادية ودعائية، لبقاء البلاد العربية وأهلها ضعفاء متخاذلين متفرقين تحت هيمنتهم وهيمنة حماتهم المستعمرين الغربيين، حتى يتمكنوا من استغلالها والتآمر مع كل عدو للعرب لضمان ذلك ثانياً، وبقاء ركيزة خبيثة يرتكز عليها الاستعمار في كل ما يبيته من مطامع ومآرب ومكائد للعرب وبلادهم ثالثاً.

وقرارات هيئة الأمم تنص فيما تنص عليه على قيام دولة يهودية وأخرى عربية في فلسطين يجمع بينهما اتحاد اقتصادي. وعلى تدويل منطقة القدس بالإضافة إلى حق العودة لمن يرغب في العودة من النازحين، وتعويض من لا يرغب فيها.

والمطالبة بتنفيذها يعني بطبيعة الحال الموافقة على جميع ما تنص عليه وبالتالي على قيام واستقرار دولة يهودية على أرض العرب وأملاك العرب ومقدسات العرب، مع ما في ذلك من الأخطار الكبرى التي ذكرناها آنفاً.

ونحن نعرف أن الحكومات العربية تتخذ المطالبة بتنفيذ تلك القرارات كخطة سياسية جدلية، حيث يرون اليهود يرفضون تلك القرارات وعودة اللاجئين والتخلي عما اغتصبوه عنوة مما خصصته تلك القرارات للعرب في قرار

[1] ارسل هذا المقال إلى جريدة النصر الدمشقية.

التقسيم، وعن القدس التي يعلنون تصميمهم على جعلها عاصمة دولتهم. فترى أنها تكتسب حجة وتأييداً دولياً وتظهر بمظهر الكيّس المعتدل الذي يطالب بما قررته هيئة الأمم ويقف عنده. ويستغل الاستعماريون خالقو الدولة اليهودية وحماتها خطة العرب هذه استغلالاً بارعاً، فيحرصون على أن يبقى العرب عليها ثم يساومونهم في نطاقها، سواء قضية الحدود أو قضية اللاجئين، ويحملون صنائعهم من ساسة العرب وحكامهم على مجاراتهم في هذا وذاك.

ولما كان العرب شعباً وحكومات قد رفضوا هذه القرارات منذ الأصل، ومايزال الشعب العربي يرفضها رفضاً باتاً، فإن مطالبة الحكومات العربية بتنفيذها حتى ولو كانت خطة سياسية وجدلية هي انحراف خطير أدى ومايزال يؤدي بالقضية الفلسطينية إلى أعظم الأخطار والأضرار. وقد آن لهذا الانحراف أن ينتهي وأن تعلن الحكومات العربية بصراحة دونما صمت بأن قضية فلسطين بالنسبة للعرب قضية وجود وليست قضية لاجئين وحدود. وأن لا حل لها إلا زوال المسخ المصطنع وعودة السيادة العربية عليها كاملة كما كانت، وأنه لن يقر للعرب قرار إلا بتحقيق ذلك، ولن يضر هذا الإعلان العرب وقضيتهم في شيء.

وإنما يكونون قد صححوا موقفاً خاطئاً تورطوا فيه دون نتيجة ولا فائدة.

وعلى الحكومتين المصرية والسورية المدركتين لأبعاد القضية إدراكاً شديداً أن تبادرا إلى ذلك من جهة، وأن تتبنيا الدعوة إليه من جهة أخرى.

***

(10) سيادة الرئيس جمال عبد الناصر المحترم[1]
18 شعبان 1377 ـ 1958/3/29

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الرئيس الجليل.

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. وبعد، فإني قد سعيت مرتين لأمتع ناظري بمحياكم السعيد، ولأعبر وجاهياً عن عظيم تقديري وإجلالي توكيداً لما فعلت من ذلك برقياً وكتابة في المناسبات المتنوعة منذ قيام حركتكم المباركة التي أملت فيها أعظم الأمال، فحققها الله بما كان من قوة إيمانكم وثاقب بصيرتكم وإقدامكم على جسيم الأمور. ولكن زحمة الأعمال الهامة وزحمة الناس الذين جاءوا يحجون إليكم من مختلف أنحاء الوطن العربي حالتا دون تحقيق تلك الأمنية التي طالما منيت النفس بها والتي أرجو أن يتاح لي تحقيقها في وقت مناسب.

وإني لدائب على حمد الله أعظم الحمد على أن أحياني إلى هذه الأيام وجعلني أعيش في غمرة الفرحة الكبرى بما تم بنعمة الله من وحدة سورية ومصر التي كنت أول الداعين إليها والمؤمنين بها، وخاصة منذ قمتم بحركتكم المباركة واندمجت مصر تحت قيادتكم بالحركة

---

(1) أرسل هذا الكتاب للرئيس جمال بواسطة الرئيس القوتلي. وقد أخبرني الرئيس القوتلي أنه علم أن التقرير أحيل إلى لجنة تخطيط قضية فلسطين المؤلفة في جهاز الجمهورية العربية المتحدة. وقد أرسلت نسخة من التقرير إلى الأستاذ صلاح الدين البيطار الذي كان يشغل منصب وزير الإرشاد في الجمهورية العربية المتحدة.

العربية، والتي عملت في سبيلها ما استطعت إليه سبيلاً بقلمي ولساني طيلة السنوات الخمسين.

وقد رأيت أن أغتنم فرصة الحدثين الهامين، انضمام اليمن إلى جمهوريتنا بالاتحاد، وحبوط المؤامرة[1] التي هدفت إلى إطفاء نور الله الذي تجلّى بما يسّره الله من أسباب الوحدة بين مصر وسورية، لأرفع لكم تهنئتي الحارة وأكرر دعائي إلى الله عز وجل بأن يجعل التوفيق حليفكم والسؤدد قرينكم، وبأن يقيكم شر الغوائل حتى تنمو الرسالة العظمى التي انتدبتكم عناية الله في دفع الحركة العربية إلى الأمام شوطاً، حتى تتحقق علي يدكم إن شاء الله الآمال الجسام التي نعلقها عليكم بالوحدة التامة وتكامل أسباب القوة والعزة والازدهار للوطن العربي الكبير، وانخساء الأعداء والكائدين والخائنين وتطهير الأرض المقدسة من رجس المستعمرين والغاصبين.

وأستأذنكم بالقول إن اليمن بانضمامها إلى الجمهورية العربية المتحدة قد وضعت فيها الآمال، وإنه لجدير براعي الجمهورية وقائدها ومساعديه المخلصين أن يحققوا لها هذه الآمال ببذل كل جهد ومال حتى تحمد سُراها وتغتبط بخطوتها وتنال ما يكافىء إيمانها بالجمهورية وقائدها من عناية تامة في مختلف المجالات، وحتى يكون في ذلك الوقت نفسه أعظم الأمثلة على ما يمكن أن يناله كل جزء من الوطن العربي من التقدم والإزدهار في ظل راية الوحدة البريئة من المآرب، والتي لا يراد بها إلا وجه الله وعزة العروبة.

وأستأذنكم كذلك بتقديم تقرير وضعته حول القضية الفلسطينية راجياً أن ينال من سيادتكم ومساعديكم حسن القبول والعناية، والله أكبر والعزة للعرب.

دمشق الشام

في 18 شعبان 1377 ـ 1958/3/29

تقرير حول القضية الفلسطينية:

أولاً: الناحية السياسية:

1 ـ هناك أسس لا يمكن أن تقبل تعديلاً ولا مساومة تحت أي ظرف واعتبار في صدد قضية فلسطين من الناحية السياسية وفي صددها وهي:

1 ـ إن قضية فلسطين متصلة بالكيان العربي العام من الصميم، وهي بالنسبة لهذا الكيان قضية وجود وليست مسألة فلسطينيين ولاجئين وحدود.

2 ـ إن الحل الذي يجب أن يستهدف لها هو زوال دولة اليهود من فلسطين وعودة الصبغة والسيادة العربية إليها كاملة.

3 ـ إن الأساسين السابقين يستتبعان أساساً ثالثاً في نفس قوتهما، وهو عدم الاعتراف بدولة اليهود وعدم مصالحتها وعدم فك الحصار الاقتصادي عنها ولو رضي اليهود وأنصارهم أن تكون حدودها تل أبيب وحسب. ومقاومة كل ذلك بصراحة وعنف وتصميم، لأن الانحراف عنه يعني فتح آفاق بلاد العرب للتسلل اليهودي الإقتصادي والسياسي والدعائي والأخلاقي، ومنح دولة اليهود الوقت ومدّها بأسباب الحياة والنمو. وفي هذا تعطيل للحل العربي المذكور في البند الثاني، فضلاً عن أن كيان الوطن

[1] المؤامرة التي مولها الملك سعود ضد الوحدة قبيل إبرامها، وضد شخص جمال عبد الناصر بعد تمامها على ما ذاع ونشرت منه الوثائق، ومن ذلك الشكوك بقيمة مليوني جنيه أعطيت لعبد الحميد السراج.

العربي الكبير لا يمكن أن يكون سليماً أميناً مع وجود جرثومة خبيثة غريبة في صميمه.

ومطالبة الحكومات العربية بتنفيذ قرارات هية الأمم هي من حيث الأصل إنحراف خطير وخطر عظيم، فإن هذه القرارات تنص على قيام دولة يهودية وأخرى عربية في فلسطين، وقيام اتحاد اقتصادي بينهما. وفي المطالبة بتنفيذ هذه القرارات تسليم وإقرار بقيام دولة اليهود. والحكومات العربية إما أن تتعامل مع الدولة العربية الفلسطينية، وهذا يعني أن تتعامل عن طريقها مع الدولة اليهودية وتمدها بأسباب النمو والتسلل والقوة والبقاء، أو أن تفرض عليها الحصار، وهذا يعني الحكم بإعدامها وتركها لتغدو تحت رحمة الدولة اليهودية وتحكمها، بل ولتبتلعها بالتالي. وهذه القرارات تنص على تدويل منطقة القدس، وهذا يعني خروج القسم الذي في يد العرب منها نهائياً من هذه اليد وغدوها مركزاً من مراكز الإستعمار ضد البلاد العربية، مع بقاء الباب مفتوحاً لليهود لاكتسابها بأسلوب ما والتسلل منها إلى هذه البلاد.

والحكومات العربية في مطالبتها بتنفيذ القرارات ليست معبرة عن ضمير الشعب العربي الذي كان وظل متمسكاً برفض كل عمليات التقسيم والاعتراف بكيان يهودي سياسي، وبوجوب سيادة الصبغة والسلطان العربي على جميع فلسطين. وقد عبر عن ذلك بمقاومته المسلحة سنة 1937 ـ 1939 للتقسيم الإنكليزي حتى أحبط، ثم ظل يرفض كل حل على أساس التقسيم وما يؤدي إليه من قيام كيان يهودي في فلسطين. ولم يكن الفلسطينيون العرب وحدهم المقاومين لذلك، فإن العرب جميعهم أيدوهم فيه. ثم عبر عن ذلك بالمقاومة المسلحة لقرارات هيئة الأمم تشرين ثاني 1947 وما بعد. وقد اندمجت الحكومات العربية في ذلك أثناء الإنتداب الإنكليزي، حينما رفضت التقسيم في مؤتمر لندن سنة 1939 ثم في مؤتمر لندن سنة 1946. وبعد الانتداب الإنكليزي حينما رفضت قرارات هيئة الأمم رسمياً وقاومتها بزحفها المسلح في 15 أيار سنة 1948. ومهما حاول ساسة العرب وصف مطالبة الحكومات العربية هذه بالتكتيك السياسي فإنها تظل تتسم بسمة الانحراف الخطير الضار الذي آن له أن يتصحح. والجمهورية العربية المتحدة هي أولى من يقدم على تصحيحه في أول مناسبة حتى ترتفع قضية فلسطين إلى مستواها القومي وتخرج من النطاق التقليدي الضيق في اعتبارها قضية حدود ولاجئين.

وقد يرد سؤال هنا، وهو: ماذا يكون موقف العرب إذا جاء وقت كانت هيئة الأمم المتحدة فيه في حالة تساعدها على إجبار اليهود على تنفيذ قراراتها، أو إذا جاء وقت رأى اليهود فيه بضغط الثورة العربية النامية وضغط أنصارهم الذين قد يرون في ذلك كسباً لهذه القوة أو تهدئة لها وتلافياً من حدة الهدف المؤدي إلى نسف الكيان اليهودي؟. ونحن نعتقد أن هذا الوقت آتٍ إن عاجلاً أو آجلاً، لأن العرب في تطور سريع عظيم نحو القوة، بل إننا نرى في قيام الجمهورية العربية المتحدة نذيراً قوياً بمجيئه بأسرع مما يؤمل.

والجواب على هذا أنه لا مانع من عدم ممانعة العرب لذلك على شرطين قابلين للتعديل والمهاودة وهما:

(1) اقتطاع النقب من الرقعة المغتصبة وانسحاب تام من منطقة القدس واعتراف بعروبتها وعدم تدويلها، وهو ما إقترحه برنادوت

في مشروعه الذي قدمه لهيئة الأمم في دورتها سنة 1949 ـ 1950 وعاضدته إنكلترا وغيرها ورفضه العرب واليهود.

(2) عدم اقتران هذه التسوية بصلح بين الدول العربية ودولة اليهود ينتج عنه تعامل سياسي واقتصادي معها. على أن مثل هذه التسوية التي تكون في نطاق هيئة الأمم لا تقتضي اعتراف الدول العربية بدولة اليهود ومصالحتها لها وتعاملها معها.

وليس هناك أي عرف ولا قانون يجبر على الاعتراف بدولة اليهود والتعامل معها سياسياً وإقتصادياً. فليس والحالة هذه ما يمنع من إحياء ذلك المشروع وتنفيذه كمرحلة أولى من مراحل إخناق المسخ اليهودي مع الشرطين، ومن شأنه أن يحل معظم مشكلة اللاجئين ويعيد الصلة بين آسيا العربية وأفريقيا العربية، ويذهب بفكرة التدويل الخطرة للقدس، ويضيق من رقعة السرطان اليهودي، ويقضي على إمكانيات تمدده ونموه، ويزيد بالتالي شدة العنت والاضطراب الاقتصادي والسياسي الذي تعيش فيه دولة اليهود. وليس فيه محذور من تعاون عربي يهودي فلسطيني على الوجه الذي تضمنه قرار التقسيم.

ونعتقد أن المرحلة الثانية أي إختناق المسخ اليهودي لن تتأخر كثيراً بعد أن تتم هذه المرحلة. ولا سيما إذا سارت الجمهورية العربية المتحدة على خطة تنظيم الفلسطينيين القادرين وتدريبهم وتجهيزهم وتسليطهم على الأرض المغتصبة من ناحية، وتنوير الرأي العام العالمي بحقائق الأمور بالنسبة لليهود والحركة الصهيونية وفلسطين وعروبتها، وإستحالة الاستقرار والأمن في الشرق العربي مع بقاء جسم غريب غدار متآمر شديد الشره والحقد والخبث في صميمه، ثم على تنمية قوتها الحربية عدداً وعُدداً للقدرة على القيام بعملية إكتساحية مأمونة قد يهيء فرصتها اليهود بدافع ما جبلوا عليه من الغدر والشر والشرَه والاعتداء.

وإلى أن يتحقق ذلك، على الجمهورية العربية المتحدة بذل كل جهد لإحباط كل محاولة لتسوية نهائية لقضية فلسطين وتصفية قضية اللاجئين على أساس شيء من الواقع. ومهما يكن من احتمالات الخيانة العربية فإن الجمهورية العربية لن تعجز عن ذلك.

ومن الأسئلة التي قد ترد: ماذا يكون من أمر اليهود في فلسطين. والجواب على هذا أن من الممكن أن يسمح ببقاء من يقبل منهم بالرعوية العربية والحياة بسلام وانسجام مع العرب، والتخلي عن كل أمل ودعوة وفكرة مما يتصل بالقومية اليهودية الزائفة، واعتبار اليهودية كما هي في حقيقتها نحلة دينية يتسع لها الوطن العربي كما اتسع لها من قبل وكما يتسع للنحل المتعددة. أما الذين لا يقبلون ذلك فعليهم أن يرحلوا، وعلى الذين شجعوا مزاعمهم وهوسهم السخيف أن يجدوا لهم مكاناً آخر في غير فلسطين.

وهذا التخطيط للناحية السياسية لقضية فلسطين وحلولها ليس حماسياً وتطرفاً بل هو متصل بصميم الكيان العربي وسلامته وأمنه. وليس هناك أي إمكانٍ لتخطيط آخر فيه ضمان لذلك.

ثانياً ـ الفلسطينيون واللاجئون:

1 ـ في الجمهورية العربية المتحدة نحو نصف مليون فلسطيني، منهم نحو (350000) لاجيء. ومن هؤلاء نحو (100000) في

الإقليم السوري ومعظم الباقين في قطاع غزة.

ومهما كانت العناية التي يلقونها في الإقليمين السوري والمصري، فإنها مازالت بالنسبة للاجئين دون المستوى الذي يضمن لهم فيه الحد الأدنى للحياة الإنسانية الكريمة، وقيمة ما يصل إلى يد اللاجىء في السنة عن طريق وكالة الغوث لا يزيد عن خمسة جنيهات أو خمسين ليرة سورية، وليس في الدنيا مستوى يبلغ هذا القدر من الإنحطاط.

وتنفق حكومتا مصر وسورية مبالغ غير يسيرة على اللاجئين من خزانتيهما. غير أن هذه المبالغ ليست في الدرجة التي يرتفع بها ذلك المستوى الارتفاع المناسب مع الحد الأدنى للحياة الإنسانية الكريمة في المسكن والملبس والخدمات الاجتماعية.

ونعتقد أن مليوناً ونصف مليون جنيه سنوياً تضاف إلى ما تنفقه وكالة الإغاثة، يمكن أن يضمن ذلك الحد الأدنى، ولا سيما أن هناك كثيرين ربما بلغت نسبتهم الربع إلى المجموع يكسبون بعض الكسب، ولن تعجز الجمهورية العربية المتحدة عن هذا المبلغ وهي التي كانت تزمع أن تدفع للأردن سبعة ملايين ونصف.

2 ـ ولقد أصدر الإقليم السوري في إبان انفراده قانوناً منح الفلسطينيين الحقوق التي يتمتع بها السوريون في العمل والتجارة والتوظيف وخدمة العلم (الجيش) وفقاً للتشريعات النافذة. وكان ذلك باعثاً لنشاط كثير من اللاجئين مثيراً لحماستهم وحيويتهم وشعورهم بإخوتهم وإنسانيتهم. غير أن هناك بعض أمور ظلت معقدة عليهم، لأن القانون كان ناقصاً وقاصراً، ومن الأمثلة على ذلك حق التقاعد للموظفين الفلسطينيين الذي لم يسلم به ديوان المحاسبات لقصور النص القانوني، وحق تملك الأرض الزراعية واستغلالها وحق تملك العقارات. وقد قدموا عرائض متعددة في سبيل استكمال التشريع وتلافي القصور. وهم يأملون أن تشملهم بركة قيام الجمهورية العربية المتحدة التي كانت فرحتهم بقيامها مزدوجة، فتوضع النصوص التي تتلافى القصور، بحيث يخولون حق المواطن في الجمهورية العربية المتحدة في جميع التشريعات النافذة مع الإحتفاظ بشخصيتهم الفلسطينية، مادام ذلك مفيداً للاحتفاظ بحيوية قضيتهم. وأن يكون من جملة ما يمنحونه حق التنقل في بلاد الجمهورية العربية المتحدة الذي كان ممنوحاً لهم بالنسبة للإقليم السوري.

ولا ندري ما هي الممنوحات للفلسطينيين واللاجئين في الإقليم المصري وقطاع غزة. فإذا لم تكن هذه الحقوق المطلوب منحها ممنوحة لهم فيجب جعلها شاملة لهم بطبيعة الحال.

ثالثاً ـ جهاز خاص للشؤون الفلسطينية:

1 ـ إن قضية فلسطين بشقيها السياسي والمعاشي تتحمل أن يكون لها في الجمهورية العربية المتحدة جهاز خاص يجمع في عهدته كل ما يتصل بها، فيرسم خطط الدعوة والدعاية، ويكون هو صاحب الاتصال بقضايا المقاطعة والهدنة والمنظم لشؤون الفلسطينيين في سورية ومصر وقطاع غزة في مختلف المجالات الخاصة والعامة والإعدادية والتنظيمية والجهادية والمعاشية والداخلية والخارجية الخ.

وليس بالكبير أن يكون هذا الجهاز في مستوى وزارة للشؤون الفلسطينية، أو إدارة

خاصة تابعة لرئاسة الجمهورية أو وزارة الشؤون العربية.

2 ـ ولقد أنشأت الحكومة السورية مؤسسة خاصة سمتها مؤسسة اللاجئين الفلسطينيين، وأناطت بها شؤون اللاجئين في سورية من النواحي المعاشية والاجتماعية والثقافية. وهذا النطاق ضيق من نطاق الجهاز الذي نقترحه كما هو المتبادر. ولا مانع من أن تبقى المؤسسة تقوم بمهمتها تحت إشراف هذا الجهاز بعد دراسة وافية للأسس التي تقوم عليها المؤسسة، والاستيثاق من أنها تسد الثغرة التي أقيمت لسدها بنجاح وكفاءة. وإذا كان هناك نقص فيها فمن الممكن استيفائه.

3 ـ ومن آن لآخر يردد اسم الفلسطينيين وإرادتهم في صدد تقرير مصيرهم. فإذا كان هذا الشعار مفيداً من الناحية السياسية، فالجهاز يدرس وينظم وينفذ أمر قيام منظمة شعبية فلسطينية تكون كهيئة استشارية له وكأداة لمساعدته في أعماله وخططه ومشاريعه الخاصة بالفلسطينيين وتنظيمهم وإعدادهم لواجبهم القومي.

(11) سبب النكبة
في ذكرى الخامس عشر من أيار[1]
في 16 أيار 1959

سألني سائل عن أهم سبب في إخفاق العرب في معركة فلسطين، فقلت أن الاعتبارات والمآرب الخاصة هي التي أقعدت حكام العرب عن الارتفاع إلى مستوى الموقف. وها أنا أفصل ذلك بمناسبة ذكرى 15 أيار، لعل فيه العبرة لحكام العرب الذين لم يكونوا يجهلون أن بريطانية والولايات المتحدة قد تحالفتا في سنة 1946 ضد قضية العرب لصالح اليهود، وتواطأتا على فتح باب الهجرة المسدود أولاً، والسير بعد ذلك إلى تحقيق المصالح اليهودية. وكانت هذه الحقيقة أمامهم وفي نطاق عملهم وإدراكهم حين اجتمع ملوك العرب في أنشاص في 29 مارس 1946، وذكروا في بيانهم أن قضية فلسطين هي قضية العرب جميعاً، وأنه يتحتم على الدول وشعوبها صيانة عروبتها، وأنه ليس في إمكان هذه الدول أن توافق بوجه من الوجوه على أي هجرة جديدة، وأنهم يأملون من الدولتين الديموقراطيين أن لا تقدما على أي قرار ماس بحقوق عرب فلسطين تفادياً لرد فعل ينشأ بسبب ذلك ويقضي إلى اضطرابات قد يكون لها أسوأ الأثر في السلم العام. ثم حينما اجتمع مجلس الجامعة العربية اجتماعه التاريخي في بلودان في 8 حزيران 1946 واتخذ فيه قرارات علنية وسرية، منها رفض أي شكل من أشكال التقسيم، وإنذار الدولتين الأميركية والإنكليزية بأن استمرارهما على مناصرة مطالب اليهود يسيء إلى العلاقات بينهما وبين العرب إلى درجة كبيرة، بحيث يصبح على العرب أن يدافعوا عن أنفسهم بكل تدبير. ومن جملة ذلك مقاطعة الدولتين وعدم تأييد مصالحهما الخاصة في أي هيئة دولية، والنظر في إلغاء ما لهما من امتيازات في بلاد العرب، وعدم السماح لهما أو لرعاياهما بأي امتياز جديد. ولم تعبأ الدولتان واستمرتا على تحالفهما وفتح باب الهجرة المسدود، وتدفق

---

(1) نشر هذا المقال في العدد 4284 وتاريخ 16 أيار 1959 في جريدة النصر الدمشقية.

اليهود بعشرات الآلاف، وهاج العرب وماجوا، ولكن حكامهم جمدوا ولم يفعلوا شيئاً إزاء ذلك بسبب اعتباراتهم المحلية. وحكام العرب لم يكونوا يجهلون ما عند اليهود من استعداد عسكري كبير ومن أسلحة وأعتدة وافرة حصلوا عليها أثناء الحرب وتمرسوا بها أثناء ثورتهم ضد بريطانية، ولم يكونوا يجهلون كذلك أن يد عرب فلسطين الذين هم في خطوط النار كانت فارغة من السلاح والعتاد، لأن بريطانيا جمعت ما في أيديهم من ذلك أثناء الحرب. ولم يكونوا يجهلون أيضاً أن المعركة توشك أن تنشب بين العرب واليهود. وكانت هذه الحقائق أمامهم وفي نطاق علمهم وإدراكهم حينما اجتمع مجلس الجامعة في بلودان، حيث قرر وجوب مناصرة أهل فلسطين بالمال والسلاح والرجال ليتمكنوا من الصمود أمام إرهاب اليهود واستعدادهم العظيم، وحيث قرر تخصيص مليون جنيه مبدئياً لذلك. ولكنهم جمدوا في التنفيذ ولم يدفعوا من المبلغ إلا مئة وأربعين ألف جنيه كان ثلثاها من سورية فقط، وصرف أكثر من نصفها على نشاط الهيئة العربية ووفودها وتنظيماتها، ولم يكف مما بقي منها لتجهيز كتيبة واحدة مؤلفة من (300) شخص تجهيزاً عادياً أمام ما يزيد عن (40000) يهودي مسلح أقوى تسليح ومدرب أقوى تدريب ومنظم أحسن تنظيم.

ودعت الحكومة البريطانية الحكومات العربية إلى مؤتمر لندن في أيلول 1946 بناء على طلب من العرب، وكانت اقتراحات الإنكليز تدور في نطاق التقسيم، ورفض العرب ذلك رفضاً تاماً. وقررت الحكومة البريطانية إحالة القضية على هيئة الأمم، وبدت بوادر المؤامرة الإنجليزية الأميركية تتجه نحو التقسيم، والاستعدادات اليهودية العسكرية الضخمة وتنذر بتنفيذه عنوة.

واجتمع مجلس الجامعة في 17 مارس 1947، فقرر وجوب تنفيذ قرارات الاجتماع السابق في الإسراع بمد عرب فلسطين بالمال والسلاح والرجال، وبإنذار الدولتين بإعادة النظر في إلغاء امتيازات النفط إذا استمرتا على موقفهما، واستمرتا على موقفهما فلم تفعل دول النفط شيئاً، وجمدت الدول جميعها فلم تكد تفعل شيئاً بالنسبة للقرار الأول.

قرارات وتوصيات: وصدر قرار لجنة تحقيق هيئة الأمم متضمناً اقتراحات تقسيمية. وهاج العرب وماجوا، واجتمعت اللجنة السياسية في صوفر في أيلول 1947، وقررت توصية مجلس الجامعة بوجوب تنفيذ قراراته السابقة في مسائل النفط، ومناصرة عرب فلسطين. وأذاعت بياناً قالت فيه إن الحكومات العربية لا تستطيع أن تقف مكتوفة الأيدي أمام خطر يهدد البلاد العربية، وأنها مضطرة إلى مباشرة كل عمل حاسم يدفع العدوان ويعيد الحق إلى نصابه. واجتمع مجلس الجامعة في عاليه (7) تشرين الأول، ودرس تواصي اللجنة السياسية وتقارير الخبراء والعسكريين عن استعداد اليهود العظيم وضعف العرب. وقرر وجوب تنفيذ قرارات اجتماع بلودان في شؤون النفط ومناصرة عرب فلسطين، وحشد قوات رسمية على حدود فلسطين للإسراع إلى نجدة الشعب العربي فيها حينما يتعرض للخطر، ووزع أنصبة محددة من السلاح والعتاد على كل دولة لأهل فلسطين، بالإضافة إلى أنصبة محددة أخرى من المتطوعين المدربين المجهزين، وقرر تشكيل لجنة عسكرية للإشراف على الاستعداد والتدابير

العسكرية ورصد مليون جنيه لها. غير أن القرارات المتصلة بالنفط بقيت حبراً على ورق. والقرارات الأخرى نفذت تدريجياً وببطء ومبتورة أيضاً. فباستثناء سورية لم ترسل الدول الأخرى مما عليها من أنصبة السلاح والمتطوعين إلا جزءاً قليلاً، وكان بعض ما أرسلته من السلاح والعتاد معطوباً ورديئاً.

وشعر أهل فلسطين بالخطر المداهم، فباعوا العزيز الغالي وأخذوا يتسلحون، ولم يكد قرار جمعية الأمم يصدر بالتقسيم حتى اندفعوا يدفعون عن وطنهم ومقدساتهم خلال الأشهر الثلاثة (كانون الأول والثاني وشباط 1948)، واستطاعوا أن ينزلوا باليهود مع ذلك الضربات القاصمة، وأن يثيروا الذعر فيهم وفي أنصارهم، وأن يجعلوا الولايات المتحدة تعلن أمام مجلس الأمن في 18 مارس سحب تأييدها للتقسيم، لأنه تبين لها عدم إمكان تنفيذه إلا بالقوة، وهي لا تؤيد ذلك، وتطلب من مجلس الأمن إعادة القضية إلى الجمعية العامة لإعادة النظر فيها. وهكذا أحبط الشعب الفلسطيني بدمه وجهاده هذه المرة التقسيم كما أحبطه في عام 1937 ـ 1939 بمثل ذلك.

ولقد استجاب مجلس الأمن وقرر فعلاً إعادة القضية إلى الجمعية العامة لإعادة النظر فيها.

وذعر اليهود ونصيرتهم المجرمة الأولى بريطانيا، فبذلوا جميعاً الجهود الجبارة في سبيل توفير السلاح والمقاتلين، وأخذ السلاح والعتاد في نفس الوقت يشح في أيدي المجاهدين في فلسطين، ويتحول الرجحان والتفوق في المعركة إلى جبهة اليهود. وارتفعت أصوات المجاهدين واللجنة العسكرية مستغيثة مستنجدة بطلب السلاح والعتاد حتى يمكن الإحتفاظ بالموقف العربي الراجح وإحباط المؤامرة اليهودية الإنكليزية. وكان الظاهر الواضح أنه لو استجيبت صرخات الاستنجاد ومد المجاهدون بالكفاية من السلاح والعتاد والمتطوعين. ـ وكان هذا ميسوراً ممكناً لاحتفظوا بتفوقهم وموقفهم، ولما كان هناك أي إمكان لإعلان دولة يهودية في الخامس عشر من مارس، ولكن حكام العرب وقفوا جامدين أو كالجامدين، ولم يرتفعوا إلى مستوى الموقف، فأتاحوا لليهود أن يستمروا على تفوقهم وأن يستولوا على مدن العرب وقراهم واحدة بعد الأخرى، وأن يرتكبوا مذبحة دير ياسين وناصر الدين لترويع العرب وحملهم على الفرار بأرواحهم وأعراضهم لا يلوون على شيء. وقد ساعدهم الإنكليز بكل طاقتهم إيجابياً بالسلاح والعتاد والطائرات والمصفحات والدبابات التي سلموها لهم بطرق بيع مخلفات حربية، ثم بتسليمهم المطارات والموانىء والقطاعات التي يتكثف فيها اليهود لتديرها أجهزة الوكالة اليهودية، وسلبياً بما كانوا يقيمونه في وجوه العرب من عراقيل ويحبطونه من حركات عربية ضد اليهود، ويغمضون العين عليه من وحشية اليهود وترويعهم، برغم أنهم أعلنوا أنهم المسؤولون عن أمن البلاد. وبإنذارهم الحكومات العربية بالوقوف على الحياد وعدم التدخل الخ... حتى إذا كانت ليلة 15 مارس كان القسم الأكبر العامر مما هو مخصص في قرار التقسيم لليهود في أيديهم، بالإضافة إلى قسم كبير مما كان مخصصاً للعرب ـ أي الجليل الأعلى منطقة عكا.. فأعلنوا دولتهم.

وفي اعتقادنا أن جمود حكام العرب تجاه صرخات استنجاد مجاهدي فلسطين وشح

السلاح والعتاد في أيديهم الذي أتاح لليهود التفوق، هو أعظم ما اقترفوه في معركة فلسطين، لأنهم أضاعوا به ما أحرز المجاهدون من نصر عظيم تمثل في قرار سحب التقسيم في مجلس الأمن وإعادة القضية إلى جمعية الأمم، بحيث يصل إلى الخيانة حتى ولو قيل أن أكثرهم لم يكن خائناً.

ولقد شعروا بعد فوات الوقت بجريمتهم، فأرادوا تغطيتها بالزحف الرسمي يوم 15 أيار الذي قرروه في أوائل نيسان بعد ما بدا تفوق اليهود كاسحاً وقلب الموقف رأساً على عقب. ومع أن هذا القرار كان في مستوى الموقف رغم تأخره. فإن حكام العرب لم ينفذوه تنفيذاً متناسباً مع هذا المستوى مع تيسر الإمكانات لذلك. وقد ظهرت قوات الدول العربية بأعداد هزيلة وخبرة هزيلة وجهاز هزيل مع فوضى القيادة والحركات الانفرادية، ولم تستطع هذه القوات أن تفعل أكثر من احتلال ما لم يكن اليهود احتلوه مما هو مخصص للعرب. . .

وقد كان كل هم الملك عبد الله مركزاً على احتلال ما عرف اليوم بالضفة الغربية من ذلك تمهيداً لضمه إلى مملكته.

وقد ذكرت مصادر عديدة أن ذلك كان باتفاق بينه وبين اليهود.

ولم يكن هذا مستبعداً على ما عرف عنه من سياسة يسميها واقعية، بعد أن نشرت المراسلات التي كان يتبادلها مع رجال اليهود الرسميين.

ولم تلبث حركات القوات العربية أن توقفت بعد زحفها باثني عشر يوماً، وأخذ حكام العرب يتعرضون لضغط بريطانيا والولايات المتحدة لقبول عقد الهدنة مع اليهود ـ وكانت بريطانيا صاحبة الأمر والاحتلال في مصر والعراق والأردن حتى رضخوا ووافقوا. وبذل اليهود وأنصارهم جهداً خارقاً في استكمال ما ينقصهم من سلاح وعتاد وآليات وقواد ومدربين أثناء شهر الهدنة، في حين أخفق العرب في كل ذلك.

وحينما أشرف الشهر على النهاية فوض حكام العرب بتمديد المدة ريثما تدرس مقترحات برنادوت الوسيط او يقدم غيرها، ومع تقديراتهم في مجالسهم أن السلاح والعتاد والمدربين لغير صالحهم، فإنهم رفضوا تمديد الهدنة وأخذوا يتبجحون بما لا يتفق مع تلك التقديرات كذباً ونفاقاً، ثم استأنفوا القتال، ولم تمض أربعة أيام حتى انسحبت قوة الأردن من جهة وقوة العراق من جهة من منطقتيهما، وأتيح بذلك لليهود أن يحتلوا اللد والرملة وما حولهما وما بينهما وبين القدس من قرى، وأن يحتلوا الناصرة وما بقي في أيدي العرب من قرى الجليل الشرقي، وأن يصدموا الجبهة المصرية صدمة قوية كادت تكسرها، وحينئذ تدخلت بريطانيا والولايات المتحدة ثانية، وجعلت مجلس الأمن يدعو إلى وقف النار، واضطر حكام العرب مرغمين ذليلين إلى ذلك، وقد أضاعوا كل شيء، وقد ظهرت حقيقة فراغ أيديهم من السلاح والعتاد بعد ذلك، وكان هذا مذهلاً. وحار الناس في إلحاح حكام العرب على رفض تمديد الهدنة واستئناف القتال، هذا التبدل المفجع الذي تمت به الكارثة.

ولقد قررت اللجنة السياسية أثناء شهر الهدنة إنشاء إدارة فلسطينية في المناطق التي تحتلها الجيوش العربية لتمارس الشؤون المدنية ولتكون بمثابة حكومة أو نواة حكومة مقابل ما فعله اليهود في مناطقهم، ووضعت مشروعاً

مفصلاً لذلك، وسمت بعض رجال فلسطين ليتولوا الإدارة، فغضب الملك عبد الله وثار لأن ذلك يخل بما كان يبيته من مطامح، وكان ذلك من أسباب الجمود الذي بدا على جيشي الأردن والعراق حينما اشتبك اليهود في قطاع بئر السبع مع جبهة مصر وكادوا يكسرونها، ثم الذي كان أثناء مصادمة اليهود والقوات المصرية في النقب التي استطاع اليهود نتيجة لها وضع أيديهم على النقب وقطاع غزة، ولعله كان من أسباب أو أسرار لعبة اللد والرملة أيضاً، مما أثار مصر وجعلها تجنح إلى مفاوضة اليهود وقبول التهادن الدائم معهم منفردة عن الدول الأخرى، ولم تلبث الحكومات الأردنية فاللبنانية فالسورية أن سارت على خطاها واحدة بعد الأخرى.

ولقد اغتنم اليهود فرصة التفكك والتخاذل العربي، فأصروا على أن تكون حدود الهدنة المصرية هي الحدود التي صارت لهم نتيجة للمحاولات الأخيرة. ورضخت مصر لإصرارهم برغم أن مجلس الأمن قرر وجوب تراجع اليهود إلى الحدود التي كانت في يدهم عند وقف النار الثاني، واغتنموا الفرصة ففرضوا على الأردن التخلي عن مساحات شاسعة وقرى عديدة في منطقتي طولكرم والخليل لم تكن دخلت في أيديهم، وقد ساعدهم على ذلك قرار العراق بسحب قواته من منطقة طولكرم وحلول الأردن محله وتفويضه الأردن بالتهادن باسمه دون أن يرفع مما كان في بابه مخزياً ومضحكاً معاً، رغم ما يتبجح به العراق من عدم التهادن مع اليهود، مع أن نصوص هدنة الأردن تذكر ذلك صراحة (انظر المادة السادسة).

ويستمر الانحطاط عن المستوى بعد ذلك أيضاً. فحكام العرب الذين رفضوا قرارات هيئة الأمم وحاربوها، ورفضوا تبعاً لذلك مشروع برنادوت الذي يحصر اليهود في قطاع تل أبيب حيفا الجليل، ويعطي ما عد ذلك للأردن بما فيه النقب والقدس بدون تدويل، ثم ما لبثوا أن وافقوا على توقيع ميثاق لوزان في 12 مارس 1949 بحل قضية فلسطين على أساس تلك القرارات. ولقد كان ذلك لعبة بارعة ماكرة من اليهود ضحكوا بها على هيئة الأمم حتى جعلوها تقرر انضمامها إلى الهيئة، وضحكوا بها على العرب ليجعلوها تتراجع عن موقفها، ثم ما لبثوا أن نكثوا ورفضوا وما يزالون يرفضون.

ويستمر انحطاط حكام العرب عن مستوى الموقف أيضاً، حيث جعلوا المطالبة بتنفيذ قرارات هيئة الأمم شعاراً لحل قضية فلسطين، واصفين ذلك بتكتيك سياسي في الظهور بمظهر المعتدل الذي لا يطلب شيئاً كثيراً، وفي إظهار اليهود متعنتين في تنفيذ قرارات كانت سبب وجود دولتهم، غير مدركين لما في هذا الشعار من خطر عظيم بالتسليم بقيام دولة اليهود في سدة بلادهم، وبإتاحة النمو والقوة والرسوخ والاستقرار لها الذي يهدد كيان الأمة العربية جميعها، ولما فيه من النزول بقضية فلسطين إلى مستوى لاجئين وحدود وواقع محلي ضيق، وفتح باب المساومة فيها في هذا النطاق ولما فيه من انحراف عن ضمير الشعب العربي الذي لا يرى حلاً غير تقويض المسخ اليهودي وعودة العروبة الشاملة للأرض السليبة وتطهيرها من الرجس، ولما فيه من خيانة لجهاد هذا الشعب ودمائه وتضحياته!.

زعامة الرئيس عبد الناصر: والانحطاط عن المستوى لم يكن من حكام العرب في قضية فلسطين وحدها، بل كان في كل قضاياهم

الخاصة والعامة أيضاً ولعل هذا كان سراً من أسرار احتلال الزعيم المؤمن والقائد الملهم جمال عبد الناصر في قلوب العرب في جميع أقطارهم من منزلة سياسية ظلت مستعصية على كل زعيم وحاكم عربي قبله برز على مسرح الحركة العربية الحديثة، لأنه يحلق دائماً إلى مستوى الأحداث بإيمان وقوة وشجاعة وعمق إدراك، فيملأ نفوس العرب ثقة واعتزازاً وكرامة.

***

(12) الاخ المجاهد
الأستاذ صديق شنشل
حفظه الله[1]

1958/7/30

سلام عليكم ورحمته وبركاته. وبعد، فهذا ثالث كتاب أكتبه بعد الثورة العراقية الجبارة، فأنظارنا وأفكارنا وقلوبنا عندكم، نشعر بالفخر والعزة وندعو لكم بالسداد ونرقب حركاتكم الميمونة، يحدونا الأمل الكبير الواسع منها لحركتنا العربية المتحررة وتكامل قوتنا ووحدتنا وارتداد كيد الكائدين لها.

والباعث على تسطير هذا الكتاب الثالث هو نبذة قرأتها في جريدة الجمهورية المصرية عدد 29 يوليو 1958 في سياق نشر أجوبة قائد الثورة ورئيس الوزارة عبد الكريم قاسم، وذلك قوله في أحد الأجوبة أن العراق يحترم قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين.

وأنا أعذر القائد العظيم على قوله، لأن هذا الشعار قد غدا مع الأسف شعاراً للحكومات العربية منذ ثمانية أعوام، حتى بدا كأنه أقصى الأماني للعرب بالنسبة لقضية فلسطين. وأعتقد أنه بولغ في ترديده حتى غدا كذلك سنداً لحماة الصهيونيين ودولتهم بأسلوب ما.

وقد يكون الزعيم قد ردده تمشياً مع سياسة التهدئة الحكيمة التي سار عليها. ولكنه على كل حال يعطي صورة لا نحب ولا يحب أن تكون بالنسبة للعراق الثائر الجبار.

ولقد كتبت للرئيس جمال عبد الناصر رسالة

---

(1) الاستاذ صديق شنشل من أركان حزب الاستقلال العراقي الذي أنشأته جماعة من القوميين المتحررين في أوائل العقد السادس والذي كان يناوىء الحكم الهاشمي في العراق لموالاته وتضامنه مع الدول الاستعمارية بخاصة مع بريطانية والولايات المتحدة. وقد انبرى لمناوأة حلف بغداد حينما أنشيء سنة 1954 بجهد وتوجه بريطانية والولايات المتحدة لمحاربة الحركة التحررية التي كان يقودها الزعيم البطل جمال عبد الناصر وتطويقها، متضامناً في ذلك مع مصر وسورية والسعودية التي كانت متضامنة معهما إذ ذاك. وقد التقى الكاتب به في سنة 1957 في مصيف لبناني وتعرف عليه ورتب له بناء على طلبه اجتماعاً مع الرئيس القوتلي ليحدثه عن نشاط حزبه السري والعلني في مناوأة الحكم الهاشمي وحلف بغداد ويطلب نصائحه ومساعدته. ولما انفجرت الثورة العراقية في الرابع عشر من تموز سنة 1958 بقيادة عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف اختير وزيراً للوزارة التي تشكلت بعد نجاح الثورة والإطاحة بالأسرة المالكة ونوري السعيد وحكومته. حيث يفيد هذا ان جماعة حزب الاستقلال كانت مع غيرها من العناصر التحررية المدنية والعسكرية مندمجة في حركة الضباط الاحرار. وقد كتبنا هذه الرسالة إليه في هذا الظرف لمسألة مشروحة فيها. ومن الحق أن نسجل ان جماعة حزب الاستقلال لم يبقوا على تعاونهم مع عبد الكريم قاسم لما انحرف عن خط الثورة القومي التحرري الوحدوي وتصدوا لمناوأته وتعرضوا لمطارداته وأذاه.

في هذا الشأن أيضاً، قلت له فيها إن هناك أسساً لا يمكن أن تقبل تعديلاً ولا مساومة ولا مداورة تحت أي ظرف واعتبار في قضية فلسطين وهي:

1 ـ إن قضية فلسطين متصلة بالكيان العربي في الصميم، وهي بالنسبة لهذا الكيان قضية وجود وليست قضية لاجئين وحدود.

2 ـ وإن الحل الوحيد الذي يجب أن يكون هدف العرب هو زوال دولة اليهود في فلسطين وعودة الصبغة والسيادة العربية إليها كاملة.

3 ـ وإن هذين الأساسين يستتبعان أساساً ثالثاً في نفس قوتهما، وهو عدم الاعتراف بالدولة اليهودية وعدم عقد صلح معها وعدم فك الحصار عنها ولو رضي اليهود وأنصارهم أن تكون حدودها تل أبيب. ومقاومة ذلك بصرامة وعنف وتصميم. لأن الانحراف عنه يعني فتح آفاق بلاد العرب للتسلل اليهودي الاقتصادي والسياسي والدعائي والأخلاقي. ومنح الجرثومة الخبيثة الوقت، ومدها بأسباب الحياة والنمو. وفي هذا تعطيل للحل المذكور في البند الثاني، فضلاً عن أن كيان الوطن العربي الكبير لا يمكن أن يكون سليماً أميناً مع وجود جرثومة خبيثة غريبة في صميمه.

ولا أريد أن أزيدكم علماً وأنتم أهل البصيرة ـ لو قلت إن المطالبة بقرارات هيئة الأمم المتحدة واحترامها انحراف خطير في أصلها عن ضمير الشعب العربي وواقعه وأمنه وكفاحه وتضحياته. فهي تقوم على أساس تقسيم فلسطين الذي رفضه عرب فلسطين في سنة 1937 وثاروا عليه وضحوا بعشرة آلاف شهيد حتى أجبروا الإنكليز على إلغائه والموافقة على إقامة دولة لعموم فلسطين بأكثرية عربية. وقد أيدهم في رفضهم للتقسيم وثورتهم عليه جميع العرب شعوبهم وحكوماتهم. بما فيهم شعب العراق وحكومته.

ولقد عاد الإنكليز بعد الحرب العالمية الثانية إلى فكرة التقسيم وعرضوها على ممثلي الحكومات العربية وفلسطين في مؤتمر لندن عام 1946 فرفضوها بالإجماع. ولما أحيلت قضية فلسطين نتيجة لذلك على الأمم ووافقت الأكثرية بمساعي ترومان وضغطهم على مشروع التقسيم مع تدويل القدس رفضه ممثلو الحكومات العربية وأنصارهم. ولم يلبث العرب في فلسطين أن أعلنوا الجهاد ضده. وأيدهم في ذلك جميع العرب بما فيهم الحكومات مادياً وسياسياً، ثم اشتركت الحكومات رسمياً بالقتال في 15 مارس 1948 ضده. ورفضوا المشاريع التي قدمها برنادوت لأنها كانت تدور في نطاقه، وتقتضي القرارات أن تقوم دولة عربية بجانب الدولة اليهودية على أن يكون بينهما اتحاد اقتصادي، فالحكومات العربية إما أن تتعامل مع الدولة العربية وحينئذ تتعامل بالنتيجة مع الدولة اليهودية وتمدها بأسباب النمو والبقاء. وإما أن تقاطعها وحينئذ تغدو تحت رحمة الدولة اليهودية ولن تلبث أن تبتلعها.

وتقتضي القرارات كذلك أن تكون منطقة القدس دولية. وبتعبير آخر وكر لعملاء المستعمرين وجواسيسهم ومكائدهم في سرة بلاد عربية بعيدين عن أعين الرقباء. وهذا بالإضافة إلى خطورة ترك الأمكنة الإسلامية المقدسة تحت سلطات غير مسلمة، ثم إلى إمكانية غمر هذه المنطقة بأكثرية يهودية تستطيع في أول فرصة عالمية أن تستولي عليها وتضمها للدولة اليهودية، وإمكانية حصول اليهود على حقوق جديدة في منطقة الحرم القدسي رغم أنوف المسلمين.

ونحن نعرف أن المطالبة بتنفيذ قرارات هيئة

الأمم كانت تكتيكاً سياسياً للحكومات العربية، لأن اليهود كانوا ومايزالون يرفضون ذلك، لأنها تقضي عليهم برفع أيديهم عما لم يخصص لهم من مدن وقرى فلسطينية وعن القدس، ثم بقبول عودة اللاجئين. فأراد ساسة العرب أن يظهروا أنفسهم بمظهر المعتدل المعقول. ولكن هذا التكتيك قد أضر بقضية فلسطين وجعلها في مستوى قضية حدود ولاجئين، بينما يجب أن تكون في مستوى قومي عام متصل بكيان جميع بلاد العرب وسلامتها، وغدا شعاراً خطيراً ضاراً دون أي فائدة. ولقد آن للعرب وخاصة الثوريين العظماء الذين حطموا الطغيان والخيانة ودكوا حصون الاستعمار واضطلعوا بتغيير الأساليب البالية التي سار عليها حكام العرب المائعون خريجي مدارس الاستعمار وربيبيه أن يتخلوا عنه. وقد تخلى عنه الرئيس العظيم جمال فغدا شعاره (حقوق الشعب العربي كاملة في فلسطين)، كما صرح بذلك في مناسبات عديدة. وإن لنا وطيد الأمل في أن تبذلوا جهودكم ليكون هذا الشعار هو شعار جمهوريتنا العراقية العظيمة، ويحل محل ذلك الشعار البغيض وهو قرارات هيئة الأمم، ويزول من قاموس العراق العربي الباسل. وهذا بالإضافة إلى وجوب أن يكون شعارنا الحقيقي القومي (أن لا أمان ولا سلام ولا هدوء ولا قرار للعرب إلا بزوال دولة اليهود وعودة الصبغة والسيادة العربية إلى فلسطين كاملة.

وإنا لنرجو الله وقد أرانا في حركات أمتنا المعجزة بعد المعجزة في أقصر مدى أن لا تتأخر المعجزة الكبرى لتحقيق ذلك فعلاً، متذاكرين قول الله: (هو الذي أخرج الذين كفروا من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فآعتبروا يا أولي الأبصار).

تحياتي وأشواقي للأخ الدكتور جابر عمر[1] الذي حاولت أن أراه قبل سفره، وذهبت خصيصاً لزيارته في مكتب لجنة الإتصال للمؤتمر فلم أحظ بلقائه.

وإني دائم الدعاء لله بأن يقويكم وإخوانكم الأحرار ويؤيدكم بنصره. ويرد عن العراق العزيز وسائر بلاد العرب كيد الكائدين. وأن يقرب اليوم الذي تتحقق فيه جميع آمالنا بمجد العرب وسؤددهم ووحدتهم الشاملة.

***

(13) مذكرة مقدمة إلى مؤتمر الشعوب العربية في 1958/8/16

لجنة الاتصال للمؤتمر العربي القومي الموقرة:

سلام واحترام. وبعد، فقد عنّ لي أن أكتب إليكم بمسألة من مسائلنا القومية، وأطلب منكم الإهتمام بها لأنها تدخل في نطاق جهدكم وجهادكم. وهي الشعار الذي اتخذته الحكومات العربية منذ سنة 1950 في صدد قضية فلسطين، وهو «المطالبة بتنفيذ قرارات هيئة الأمم المتحدة».

ولقد قرأت تصريحاً في الأيام الأخيرة لقائد الإنقلاب العراقي الباسل جاء فيه أن العراق

(1) الدكتور أيضاً من رجالات العراق القوميين المتحررين. وقد تعرفنا عليه في دمشق واشتركنا معه في نشاط مؤتمر الشعوب العربية الذي انعقد في سنة 1956 وقد طلبت منه الثورة القدوم إلى بغداد وعينته وزيراً للتربية والتعليم.

يحترم قرارات هيئة الأمم في صدد حل القضية الفلسطينية. فجعلني هذا أهتم لهذه المسألة أكثر من قبل. وقد كتبت للصديق المجاهد صدّيق شنشل بالأمر. وكنت قبل بضعة أشهر كتبت مذكرة بالأمر وقدمتها لبطلنا العظيم جمال الذي انتدبته العناية الربانية لتجديد مجد العرب. فرأيت أيضاً أن أكتب إليكم وأطلب منكم الاهتمام للأمر، ليكون الجهد شاملاً نافذاً إن شاء الله.

لا أدعي أني أزيدكم علماً إذ أقول إن قضية فلسطين متصلة بالكيان العربي في الصميم، وهي بالنسبة لهذا الكيان قضية وجود، سواء من ناحية سلامة البلاد العربية وأمنها، أم من ناحية الغاية المقدسة التي نسعى في تحقيقها، وهي الوحدة الشاملة. وقد أنزلها ذلك الشعار من هذا المستوى القومي إلى مستوى قضية حدود ولاجئين، حيث ينطوي فيه تسليم الحكومات العربية بتقسيم فلسطين وبقيام دولة يهودية فيها، وبقيام دولة عربية بجانبها متحدة معها إقتصادياً، وبتدويل منطقة القدس.

والتسليم بقيام دولة يهودية في القسم المخصص لليهود في قرارات التقسيم يعني الرضاء باستمرار انقطاع الصلة الأرضية بين آسيا العربية وأفريقية العربية، وإتاحة إحتمالات النمو والقوة لهذه الدولة، ثم التسلل إلى البلاد العربية التي تقوم في صميمها بمختلف الأساليب، فضلاً عن إتاحة إتخاذها جسراً للمستعمرين ووكراً لدسائسهم ومكائدهم ضد البلاد العربية.

ولسوف تكون الحكومات العربية إزاء الدولة العربية التي سوف تقوم إلى جانبها وتتحد معها إقتصادياً بين موقفين: إما التعامل معها وهذا يعني التعامل عن طريقها مع الدولة اليهودية، وإما مقاطعتها وهذا يعني جعلها تحت رحمة الدولة اليهودية التي لن تلبث أن تبتلعها.

وتدويل منطقة القدس ينطوي على ضربة شديدة، لأن الأماكن المقدسة فيها سوف تخرج من سلطان العرب والمسلمين الذين حاربوا ضد ذلك مئتي عام. هذا بالإضافة إلى ما سوف يتيحه هذا التدويل لليهود من غمر هذه المنطقة بأكثرية ساحقة ثم إبتلاعها في النهاية، ومن تحقيق آمالهم في تحويل منطقة البراق التي هي في نطاق الحرم المقدس إلى منطقة دينية يهودية. ثم من جعل هذه المنطقة وكراً آخر للدسائس والمكائد اليهودية والإستعمارية آمناً من أعين الرقباء.

وفي كل هذا من الأخطار والأضرار السياسية والقومية ما هو واضح.

ومن الجدير بالذكر أن المطالبة بتنفيذ قرارات هيئة الأمم إنحراف عن ضمير الشعب العربي وتجاهل لجهاده الطويل.

فالحكومة الإنكليزية في أيام الانتداب قررت تقسيم فلسطين وإنشاء دولتين عربية ويهودية فيها سنة 1937، فثار الشعب العربي في فلسطين ضد ذلك ثورته الكبرى التي ضحى فيها بالآلاف المؤلفة، وتحمل في سبيلها الخسائر المادية الجسيمة، حتى أجبر الإنكليز على إعلان إلغائه.

وقد أيدتهم شعوب العرب وحكوماتهم بالمال والرجال، ثم أيدتهم حكومات العرب في مؤتمر لندن سنة 1939، حيث رفض ممثلوها أي فكرة ونوع من التقسيم رفضاً باتاً.

وبعد الحرب العالمية الثانية عاد الإنكليز إلى الفكرة فعرضوا أساليب متنوعة من التقسيم في مؤتمر لندن سنة 1946 على ممثلي الحكومات العربية وفلسطين، فرفضت كذلك رفضاً باتاً لأنها كانت تقوم على أساس قيام كيان يهودي

سياسي في فلسطين.

ولما أحيلت قضية فلسطين إلى هيئة الأمم، وجنح إلى فكرة التقسيم بإيعاز ووحي الدوائر الإستعمارية، وقف العرب موقفاً قوياً في رفضها. ولما تقرر التقسيم بالرغم من ذلك أعلنوا رفضهم له. ولما أعلن الجهاد المقدس في فلسطين عقب إقراره لإحباطه أيده العرب شعوبهم وحكوماتهم وأمدوا المجاهدين بالمال والسلاح، ثم اشتركت الحكومات العربية رسمياً في القتال في سبيل ذلك في 15 مارس 1948، وظلت ترفض كل مساومة في صدد أي أسلوب من أساليب التقسيم إلى سنة 1950 مما هو معلوم مشهور، حيث يبدو من هذا أن مطالبة الحكومات العربية بتنفيذ قرارات هيئة الأمم انحراف وانتكاس خطران.

ولقد قيل أن هذه المطالبة كانت تكتيكاً سياسياً لأن اليهود رفضوا وظلوا يرفضون تنفيذ القرارات في صدد الحدود والتدويل واللاجئين، فرأى ساسة العرب أن يظهروا بالمظهر المعقول المعتدل. غير أن هذا التكتيك الذي نعتقد أن للمستعمرين فيه شيئاً من الإيحاء لم يفد العرب شيئاً وإنما أضر قضيتهم ضرراً جسيماً كما قلنا، لأنه أنزلها من مستواها القومي إلى مستوى حدود ولاجئين، وفتح أمام العرب واليهود إحتمالات المساومة في ذلك المستوى المحلي الذي يسلم به بقيام دولة يهودية في فلسطين.

ولقد آن للحكومات العربية في المشرق والمغرب معاً أن تنبذ هذا الشعار المتناقض كل التناقض مع الإيمان الذي ينبع من ضمير كل عربي، وتؤمن أن لا هدوء ولا سلامة ولا استقرار للعرب إلا بتطهير أرضهم المقدسة من رجس الدولة اليهودية وعودة الصبغة والسيادة العربية كاملة إلى فلسطين فيما يصدر عن رجالها من تصريحات رسمية وصحفية، وأن يستبدل بشعار آخر يتسق مع هذا الإيمان ومع القوة العربية المتحررة التي تزداد نمواً واتساعاً يوماً بعد يوم. وهو ما أرجو لجنة المؤتمر الإهتمام له وبذل جهودها في سبيله.

ولقد تردد في هذه السنة على لسان بطلنا العظيم الملهم جمال كلمة «حقوق العرب كاملة في فلسطين» في صدد هذه القضية، فهذه الكلمة تصح أن تكون الشعار الجديد الرسمي للحكومات العربية ورجال ساستها في المواقف الدولية والصحفية إلى أن يهيء الله الأسباب للهتاف بالشعار الصريح المذكور النابع من إيمان وضمير كل عربي ولتحقيقه فعلاً.

وهناك مسألة أخرى أحب أن ألفت إليها نظركم وأطلب معالجتها بصورة عاجلة، وهي مزاعم إنكلترا وأميركا في سياق تبرير إعتدائهما المسلح على لبنان والأردن[1]، أن ذلك تم بطلب حكومتيهما الشرعيتين ولحماية استقلالهما وسياستهما. فهاتان الدولتان الباغيتان تتجاهلان أن أهل هذه البلاد شعب عربي يتحسس بحس القومية العربية النامية، ويرغب في الإلتحاق بها، وأن الحكومتين القائمتين في لبنان والأردن تحاولان محاربة هذه الرغبة بالدم والحديد والمزاعم الكاذبة بوحي من الدولتين الاستعماريتين وتأييدهما.

ولقد قال لبنان كلمته في إحباط هدف

---

(1) نقصد بذلك إنزال أميركا بحارة من أسطولها إلى بيروت، وإنزال بريطانية مظليين إلى عمان على اثر انفجار ثورة العراق في 14 تموز سنة 1958 التي أطاحت بالأسرة المالكة وحلف بغداد استعداداً لمواجهة الأحداث وحماية عرش الملك الهاشمي حسين في الأردن، وحماية مركز الرئيس شمعون في لبنان اللذين كانا ضالعين في الولاء للدولتين الاستعماريتين.

شمعون الخائن وإبعاده عن رئاسة الحكومة، وفي ما أعلنه الرئيس الجديد من أن جلاء القوات الأجنبية عن لبنان هو الغاية الوطنية العاجلة، فكذب حكومة لبنان الزائفة والدولتين الإستعماريتين اللتين وراءها. وبقي الأردن الراضخ الآن لأشد أساليب الإرهاب والاضطهاد والكبت. ومن واجب العرب ـ ولجنة المؤتمر تمثلهم ـ أن يتحدوا ضد الدولتين الاستعماريتين وضد السلطة القائمة على الأردن بتأييدهم، ويطلبوا إجراء استفتاء حر خالٍ من الضغط والإرهاب تحت مراقبة دولية لمعرفة رغبة شعبه الحقيقية ورأيه في نظام حكمه القائم في بلده المفروض بالحديد والنار وتأييد الاستعمار.

* * *

(14) سيادة عبد الخالق حسونة الأمين العام لجامعة الدول العربية 1958/9/8

سلام اللّه عليكم ورحمته وبركاته. وبعد فقد قرأت في عدد الأهرام تاريخ 8 سبتمبر 1958 تصريحاً منسوباً لسيادتكم في صدد قضية فلسطين جاء فيه: (إن مشكلة إسرائيل لن تحل إلا بتطبيق قرارات الأمم المتحدة). ولقد سبق لي أن نشرت في بعض صحف ومجلات دمشق وبيروت مقالات، وأن أرسلت إلى الرئيس جمال عبد الناصر وإلى الزعيم عبد الكريم قاسم وإلى لجنة مؤتمر الشعوب العربية مذكرات حول هذا الأمر الخطير، فرأيت أن أكتب اليكم أيضاً لأنكم تشغلون مركزاً خطيراً في الكيان العربي الرسمي.

لقد دأب ساسة العرب وحكامهم منذ سنة 1950 على جعل المطالبة بتنفيذ قرارات هيئة الأمم المتحدة كحل لقضية فلسطين شعاراً يكررونه في كل مناسبة وموقف.

ولا أدعي أن أزيدكم علماً... (بعد هذا كررنا ما كتبناه إلى مؤتمر الشعوب العربية في الرسالة السابقة الرقم (13) إلى جملة (وضمير كل عربي ولتحقيقه فعلاً).

ثم ختمنا الرسالة بما يلي:

وإني لكبير الرجاء في أن توافقوني على ما جاء في هذه المذكرة، وأن تعيروها الاهتمام الجدير بموضوعها الخطير. وكم يسعدني أن تروها خليقة بأن توزع على أعضاء مجلس جامعة الدول العربية في انعقاده الوشيك أو في فرصة أخرى إذا وصل كتابي بعد انفضاضه. ولكم عظيم تقديري واحترامي.

وقد تلقى الكاتب من الأمين العام الجواب التالي

58/10/15 ورقم 1090

السيد الأستاذ محمد عزة دروزة.

تحية خالصة لسيادتكم. وبعد فقد تلقيت بأجزل الشكر كتابكم المتضمن رأيكم في قضية فلسطين وموقف العرب منها.

وأود في هذه المناسبة أن أعيد التأكيد بأن الجامعة ودولها الأعضاء متمسكون كل التمسك بحقوق عرب فلسطين كاملة، والكفاح في سبيل القضية الفلسطينية المقدسة، والإخلاص في العمل المتصل لنصرتها بجميع الوسائل وفي مختلف الميادين، وخالص الرجاء أن يؤيدنا اللّه جميعاً بتوفيقه وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

***

(15) مستقبل فلسطين[1]
مارس 1959

ستظلّ المعركة قائمة بين العرب واليهود مهما طال الزمن وتطورت الأحوال إلى أن ينحدر أحدهما انحداراً تاماً. وسوف يتم هذا في اعتقادنا وفقاً لواقع العرب واليهود وتاريخهم مهما بدا من بوادر التغاير بين الحاضر والغابر.

وواقع اليهود في فلسطين أنهم عوامة صغيرة ـ ولا أقول جزيرة في خضم عربي. ولا بد لهذا الخضم من أن يحطم هذه العوامة في وقت قريب أو بعيد... ولا يمكن أن تصمد له إلى ما شاء الله إلا إذا استعرب اليهود، وهذا الآن مستحيل، أو اكتسحت الشيوعية جميع بلاد العرب لا سمح الله.

بل إن هذا وذاك لن ينجياها من التحطيم في وقت ما لأنها غريبة عن الخضم لا تقف على أساس ثابت.

هذا رأينا في مستقبل فلسطين في كلمة مختصرة.

وتشبيه فلسطين بالأندلس غير دقيق بل فيه خطأ كبير. فمهما عظمت مصيبة العرب بالأندلس التي استوطنوها ثمانية قرون وفرضوا عليها طابعهم وروحهم ولغتهم وشعت منها حضارتهم فأضاءت أوروبا، فإنها لم تكن على كل حال وطناً من مواطنهم الأصلية. وهي كمثل أقطار عديدة فتحها العرب ثم تخلوا عنها دون أن تتأثر بذلك مواطنهم الأصلية أي جزيرة العرب والهلال الخصيب ووادي النيل وسائر شمال أفريقية التي غدت موطناً عربياً خالصاً منذ ألف وثلثمائة سنة ممتدة إلى ما قبلها بألوف السنين.

هذا في حين أن فلسطين من هذه المواطن الأصلية بل وفي سرتها، وهي إلى هذا عقدة الصلة بين الشمال وشرق هذه المواطن وجنوبها وغربها، مما فيه توكيد لذلك الواقع الذي لا بد له من تحطيم العوامة التي جاءت لتقف في هذا الجزء من مواطن العرب، قاطعة عقدة إتصالها معكرة عليها نشاطها وحركتها.

وقد يكون التشبيه بين الغزوة اليهودية والغزوة الصليبية الإفرنجية غير دقيق في سياق ما ذكر وما سجله التاريخ من انحدار الغزوة الصليبية أمام الخضم العربي بعد صيال امتد مئتي عام. لأن قسماً كبيراً من الصليبيين لم يأتوا بفكرة الاستقرار. وكان لهم في أوروبا أوطان وبيوت وأراض ومزارع وعقارات وأهل ظلت الصلات وثيقة بينهم وبينها. وكانوا يأتون للقيام بما أوهموه من واجب جهاد ديني ردحاً من الزمن ليكتسبوا الثواب ثم يعودوا من حيث أتوا. في حين أن اليهود يأتون بفكرة الإستقرار الدائم فيما زعموه وطنهم القديم. وهم حينما يأتون يقطعون تقريباً كل صلة لهم بالبلد الذي كانوا فيه، وينقلع من ذهنهم كل أثر له! وبكلمة أخرى يحرقون كل السفن التي يمكن أن يعودوا بها، فيفدون ولا مقام لهم ولا استقرار إلا فلسطين، ويجعلهم هذا يدافعون عن كيانهم ووجودهم أشد الدفاع حتى الموت. والجيل الناشىء في فلسطين خلال الأربعين سنة متحمس أشد الحماس لقضية وطنية ومؤمن بها كل الإيمان ومستعد للتضحية في سبيلها بأعظم التضحيات، كما ثبت ذلك بكل قوة في الثورة التي قام بها أثناء الحرب العالمية ضد الإنكليز، والتي

---

(1) كتب هذا المقال جواباً على سؤال وجهه محرر جريدة الشعب المصرية الاستاذ محمد عودة ونشر في العدد 1075 ـ 1959/5/24 من الجريدة المذكورة.

استمرت ثلاث سنين، حيث بدا منهم المثير المدهش من الجرأة والإستماتة والتضحية والزهو والاعتداد والتصميم والعقيدة.

غير أن هذا كله لن يغير وصف العوامة الصغيرة التي وصفناهم بها ولن يحول دون تحطيم الخضم العربي لها في وقت ما حتى ولو تضاعف عددهم. وكل ما يمكن أن يكون في هذه الحالة أن المعركة تغدو أشد ضرورة وأطول أمداً.

الحقائق والأهداف التي يجب أن يضعها العرب نصب أعينهم:

وفي صدد مرحلة الصيال الحاضرة بين العرب واليهود، من واجب العرب أن يضعوا أمامهم الحقائق والأهداف التالية التي من شأنها أن تساعدهم على الصمود ثم على إحراز النصر في صيالهم.

1 ـ هناك أسس لا يمكن أن تقبل تعديلاً ولا مساومة تحت أي ظرف واعتبار في صدد قضية فلسطين وهي:

أ ـ إن هذه القضية متصلة بالكيان العربي العام في الصميم.

وهي بالنسبة لهذا قضية وجود وليست مسألة فلسطينيين ولاجئين وحدود.

ب ـ إن الحل الذي يجب أن يستهدف لها هو زوال دولة اليهود من فلسطين وعودة الصبغة والسيادة العربية إليها كاملة.

ج ـ إن الأساسين السابقين يستتبعان أساساً ثالثاً في نفس قوتهما، وهو عدم الإعتراف بدولة اليهود وعدم مصالحتها ومعاملتها وعدم فك الحصار الاقتصادي والسياسي والاجتماعي عنها، ولو رضي اليهود وأنصارهم أن تكون حدودها تل أبيب وحسب، ومقاومة كل ذلك بصرامة وعنف وتصميم. لأن الإنحراف عن ذلك يعني فتح آفاق بلاد العرب للتسلل اليهودي الاقتصادي والدعائي والأخلاقي، ومنح دولة اليهود الوقت، ومدها بأسباب الحياة والاستقرار والنمو. وفي هذا تعطيل للحل العربي المذكور في البند الثاني. فضلاً عن أن كيان الوطن العربي الكبير لا يمكن أن يكون سليماً أميناً مع وجود جرثومة خبيثة غريبة في صميمه مهما كانت في الضآلة والهوان. ولقد كان اليهود قبل خمسين سنة لا يزيدون في فلسطين عن خمسين ألفاً، ولم يكن لهم إلا تل أبيب وبعض مستعمرات في منطقتي يافا وحيفا، فنمت هذه الجرثومة حتى غدت على ما هي عليه الآن!

2 ـ الانحراف في شعار تنفيذ قرارات هيئة الأمم:

إن مطالبة الحكومات العربية بتنفيذ قرارات هيئة الأمم وجعل ذلك شعاراً لحل قضية فلسطين هما من حيث الأصل إنحراف خطير وخطر عظيم. فهذه القرارات تتضمن فيما تتضمنه قيام دولة يهودية وأخرى عربية في فلسطين وقيام اتحاد اقتصادي بينهما. وفي المطالبة بتنفيذها تسليم وإقرار بقيام دولة اليهود. والحكومات العربية إما أن تتعامل مع الدولة العربية الفلسطينية المتحدة مع الدولة اليهودية وتمدها بأسباب الاستقرار والنمو والتسلل، وإما أن تفرض عليها الحصار وهذا يعني الحكم بإعدامها وتركها تحت رحمة الدولة اليهودية لتتحكم فيها بل ولتبتلعها، فنكون بذلك قد سلمنا للدولة اليهودية بقية أجزاء فلسطين بعد أن اعترفنا بوجودها.

وهذه القرارات تنص على تدويل منطقة القدس. وهذا يعني خروج القسم الذي في يد العرب نهائياً من هذه اليد، وغدو المنطقة

المدولة مركزاً من مراكز الإستعمار ضد البلاد العربية وتسهيل غمرها بكثرة يهودية، بل تسهيل إكتساحها بأسلوب ما من قبل اليهود والتسلل منها إلى هذه البلاد. يضاف إلى هذا الضربة الشديدة على المسلمين الذين سوف تخرج أماكنهم المقدسة فيها من يدهم وقد حاربوا ضد ذلك مئتي عام ودفنوا في أرض فلسطين مئات آلاف الشهداء! ويضاف إليه أيضاً تسهيل تحقيق آمال اليهود في تحويل منطقة البراق التي هي في نطاق الحرم القدسي والتي يسمونها حائط المبكى إلى منطقة دينية يهودية..

والحكومات العربية في مطالبتها بتنفيذ القرارات ليست معبرة عن ضمير الشعب العربي الذي كان ولايزال متمسكاً برفض كل حلول التقسيم والإعتراف بكيان سياسي لليهود، وبوجوب سيادة الصبغة العربية والسلطان العربي على جميع فلسطين. وقد عبر عن ذلك بمقاومته المسلحة سنة 1937 ـ 1939 للتقسيم الإنكليزي حتى أحبطه، ثم ظل يرفض كل حل على أساسه، وما قد يؤدي إليه من قيام كيان يهودي في فلسطين. ولم يكن الفلسطينيون العرب وحدهم المقاومين لذلك، فإن العرب جميعهم شعوبهم وحكوماتهم أيدوهم فيه في أثناء الإنتداب الإنكليزي في مؤتمري لندن سنة 1939 وسنة 1946، وقد رفضه الشعب الفلسطيني حينما إندفع في مقاومته المسلحة لقرار تقسيم هيئة الأمم في سنة 1947، وشاركتهم الحكومات العربية في الرفض المسلح له بما أمدتهم به من مال وسلاح، ثم بزحفها الرسمي في 15 أيار سنة 1948.

ولقد قيل أن هذه المطالبة كانت ومازالت تكتيكاً سياسياً لأن اليهود رفضوا وظلوا يرفضون تنفيذ القرارت في صدد الحدود والتدويل واللاجئين، فرأى ساسة العرب أن يظهروا اليهود بمظهر المتعنت الذي يرفض تنفيذ قرارات كانت سبب وجوده!

ولكن هذا القول لا يذهب عن هذا التكتيك سمة الانحراف الخطير الضار الذي نعتقد أن لأنصار اليهود وخاصة الإنكليز والأميركان شيئاً من الإيحاء فيه، والذي لم يفد العرب شيئاً وإنما أضر قضيتهم أبلغ الضرر، حيث أنزلها من مستواها القومي العام إلى مستوى حدود ولاجئين، وفتح على العرب باب المساومة في نطاق المستوى المحلي الضيق الذي يسلم به بقيام دولة يهودية في فلسطين.

ولقد آن للحكومات العربية أن تنبذ هذا الشعار المتناقض كل التناقض مع الإيمان النابع من ضمير كل عربي بأن لا هدوء ولا سلام ولا إستقرار للعرب إلا بتطهير أرضهم المقدسة من رجس الدولة اليهودية وعودة الصبغة والسيادة العربية كاملة إلى فلسطين، وأن تستبدله بشعار آخر يتسق مع هذا الإيمان ومع القوة العربية المتحررة التي تزداد نمواً واتساعاً يوماً بعد يوم.

والجمهورية العربية المتحدة وقائدها العظيم الملهم الذي عود العرب على التحليق دائماً إلى مستوى المواقف أولى من يكون صاحب المبادرة في ذلك.

وقد يرد سؤال هنا. وهو ماذا يكون موقف العرب إذا جاء وقت كانت هيئة الأمم فيه في حالة تساعدها على إجبار اليهود على تنفيذ قراراتها، أو إذا جاء وقت رأى اليهود فيه بضغط القوة العربية النامية وضغط أنصارهم الذين قد يرون في ذلك كسباً لهذه القوة أو تهدئة لها وتلافياً من حدة التصميم العربي الرامي إلى نسف الكيان اليهودي، وليس هذا فرضاً مستحيلاً، بل نعتقد أنه سوف يأتي عاجلاً أو

آجلاً لأن العرب في تطور سريع عظيم نحو القوة. وقيام الجمهورية العربية المتحدة نذير بمجيئه بأسرع ما يظن. ولو لم تنتكس ثورة العراق لكان حل.

والجواب على هذا أنه لا مانع من عدم ممانعة العرب لذلك على شرطين غير قابلين للتعديل والمهاودة وهما:

(1) إضافة النقب إلى الأقسام التي يجب أن يجلى عنها اليهود، وإضافة القدس أيضاً وعدم تدويلها، حيث تعود الصبغة والسيادة العربية كاملة. وهذا ما كان اقترحه برنادوت في سنة 1948.

(2) عدم إقتران هذه التسوية بصلح بين الدول العربية والدولة اليهودية ينتج عنه تعامل سياسي واقتصادي معها. على أن مثل هذه التسوية التي تكون في نطاق هيئة الأمم لا تقتضي اعتراف الدول العربية بدولة اليهود ومصالحتها لها وتعاملها معها.

وليس هناك عرف ولا قانون يجبر على الإعتراف بدولة والتعامل معها سياسياً واقتصادياً.

فمن شأن مثل هذه التسوية أن تكون مرحلة كبيرة من مراحل اختناق المسخ اليهودي، كما يكون من شأنها أن تحل معظم مشكلة اللاجئين وتعيد الصلة بين آسيا العربية وافريقية العربية وتذهب بفكرة التدويل الخطرة للقدس، وتضيق رقعة السرطان اليهودي وتقضي على إمكانيات تمدده ونموه، وتزيد شدة الاضطراب الإقتصادي والسياسي الذي تعيش فيه دولة اليهود. وليس فيه محذور من تعاون عربي يهودي في فلسطين على الوجه الذي تضمنه قرار التقسيم.

ونعتقد أن المرحلة الثانية أي إختناق المسخ اليهودي لن تتأخر كثيراً بعد أن تتم تلك المرحلة. ولا سيما إذا سارت الجمهورية العربية المتحدة على خطة تنظيم الفلسطينيين ورفع معنوياتهم وإتاحة التدرب والتجهز لهم من ناحية، وتنوير الرأي العام العالمي بحقائق الأمور بالنسبة لليهود والحركة الصهيونية وفلسطين وعروبتها واستحالة الاستقرار والأمن في الشرق العربي، مع بقاء جسم غريب غدار متآمر شديد الشره والحقد والخبث، ثم على تنمية الإمكانيات الحربية والصناعية والاقتصادية، وهو ما تدل البوادر على أنها سائرة قدماً وبقوة فيه يزداد اتساعاً يوماً بعد يوم بقيادة قائدها الملهم العظيم.

وإلى أن يتحقق اختناق ذلك المسخ فعلى الجمهورية العربية المتحدة بذل كل جهد لإحباط كل محاولة لتسوية قضية فلسطين وتصفية قضية اللاجئين على أساس من الواقع. ومهما يكن من احتمالات خيانة بعض العناصر العربية فإنها لن تعجز عن ذلك.

مصير اليهود في حالة اختناق دولتهم:

ومن الأسئلة التي قد ترد: ماذا يكون من أمر اليهود في فلسطين؟

والجواب هو: إن من الممكن أن يسمح ببقاء من يقبل منهم بالرعوية العربية والحياة بسلام وانسجام مع العرب والتخلي عن كل أمل ودعوة وفكرة مما يتصل بالقومية اليهودية الزائفة واعتبار اليهودية كما هي حقيقتها ناحية دينية يتسع لها الوطن العربي كما اتسع لها من قبل.

أما الذين لا يقبلون ذلك فعليهم أن يرحلوا. وعلى الذين شجعوا مزاعمهم وهوسهم أن يجدوا لهم مكاناً آخر في غير فلسطين.

وهذا التخطيط لقضية ومستقبل فلسطين ليس حماسياً ولا تطرفاً، بل هو متصل بصميم الكيان

العربي وسلامته وأمنه، وليس هناك أي إمكان لتخطيط آخر فيه ضمان لك.

الجهاز الأمثل لإبراز كيان الشعب الفلسطيني:

ويستطيع عرب فلسطين أن يقوموا بدور فعال في هذا المخطط في هذه المرحلة وفي أي مرحلة أخرى. وتثار اليوم فكرة إبراز كيان الشعب الفلسطيني العربي وتنظيمه وتأليف جيش منه. وهذا صواب كل الصواب، ومن شأنه أن يتيح للشعب الفلسطيني أن يدلي برأيه في مختلف نواحي القضية والمجالات، وأن يجعل العالم يستمع إليه لأنه صاحب الحق المباشر في ذلك. ولا سيما أن اليهود وأنصارهم يتحاملون في المناسبات فينكرون حق الدول العربية في التحدث في قضية فلسطين ومستقبلها بوصفها دولاً أجنبية لا علاقة لها دولياً بأرض فلسطين. ومن شأنه كذلك أن يتاح في نطاقه للشباب الفلسطيني أن يتدربوا ويستعدوا للمعركة القادمة ليكونوا طليعتها، باعتبارهم أصحاب الدار العارفين بمخارجها ومداخلها وطرقها وأحراشها ووعرها وسهلها وجبلها، وهم الذين وقع عليهم بلاء كارثتها على أشد الحالات وأوجعها. وهم الذين يقاسون ما يقاسون من ذل وهوان وحرمان وبؤس، ويريقون الدماء بدل الدموع على وطنهم المسلوب وعرضهم المنهوك وثرواتهم المغصوبة ومقدساتهم المهانة، ويتحرقون أشد التحرق إلى أخذ ثأرهم وغسل عارهم بكل قلب وحرارة وإيمان.

ولعل خير وسيلة إلى تحقيق ذلك قيام جمهورية عربية فلسطينية في قطاع غزة!.

ولقد عقد مؤتمر فلسطين في غزة في آخر شهر أيلول عام 1948 بتشجيع الجامعة العربية وموافقتها شهده عدد كبير من ممثلي جميع أفراد الشعب الفلسطيني المقيمين في أراضي فلسطين والنازحين عنها.

ورأس المؤتمر رئيس الهيئة العربية العليا التي كانت الهيئة المعترف بها في ذلك الوقت كممثلة للشعب الفلسطيني، وقد أعلن المؤتمر بطلان وجود الدولة اليهودية واعتبار الأقسام التي يحتلها اليهود مغتصبة يجب إستردادها، وقيام حكومة بإسم حكومة عموم فلسطين ووضع دستوراً لها وانتخب أعضاءها وشكل مجلساً أعلى لها.

وهذا الاقتراح يغنينا عن أخذ موافقة جديدة من الجامعة العربية قد لا تتيسر وقد تقف العقبات في طريقها، كما يغنينا عن عمليات جديدة أخرى في بدء المرحلة.

وحينما تقوم الجمهورية قانوناً تعترف بها الدول العربية وتنضم فوراً إلى معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي، ليكون ذلك مجسماً لكيانها وضامناً له.

وبعد ذلك تسعى الحكومات العربية لحمل الدول الصديقة على الاعتراف بالجمهورية العربية لعموم فلسطين، وإبرازها في المجالات الدولية، ويكون من أهم أعمالها إنشاء جيش فلسطيني على أساس التجنيد الإجباري.

وقد يكون هذا من أسباب تشديد الضغط وتعجيله على دولة الشر وإجبارها على التراجع عن موقفها الوقح الذي يتمثل في رفضها رفع يدها عن أي شبر من أرض دخلت فيها، ورفضها قبول عودة لاجىء واحد، وتصرفها تصرف اللصوص في أملاك وثروات العرب في الأرض المغتصبة التي تبلغ قيمتها مليارين من الجنيهات! برغم قرارات هيئة الأمم. ويكون بالتالي مزلزلاً لكيانها ومساعداً على ازدياد

الخناق عليها إلى أن ينتهي بخنقها.

والجمهورية العربية المتحدة باعتبارها صاحبة اليد في قطاع غزة الذي يضم معظم الفلسطينيين الذي لايزالون يحتفظون بصفتهم الفلسطينية هي الجديرة بالمبادرة لتحقيق هذه الخطة المثلى.

***

(16) مذكرة بالخطة المثلى لإبراز كيان الشعب الفلسطيني

1959/6/7

علم الكاتب أنه يجري في جامعة الدول العربية بحث في طريقة لإبراز كيان الشعب الفلسطيني ليتولى زمام قضيته بتوجيه وتحريك الجمهورية العربية المتحدة - وهذا من بركات قيام هذه الجمهورية، فكتب هذه المذكرة وأرسل أربع نسخ منها للسيد محمود رأفة مدير دائرة شؤون فلسطين في أمانة الجامعة العربية الذي تربطه بالكاتب صداقة ومعرفة وثيقتان، ليوزعها على من يتوسم فيه الرغبة والحماس لذلك البحث من ممثلي الحكومات العربية. وسلم الكاتب نسخة منها للرئيس شكري القوتلي لإيصالها إلى الرئيس جمال عبد الناصر. وقد أخبر الرئيس القوتلي الكاتب أنه سلم المذكرة للرئيس جمال بيده ووعد بدرسها، وأنه أحالها بعد ذلك إلى لجنة التخطيط العليا لفلسطين.

(نص المذكرة):

1 - كانت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في أيلول سنة 1948 فكرت في إيجاد جهاز يبرز فيه كيان الشعب الفلسطيني ليكون هو الناطق الحق في مختلف المواقف بشؤون فلسطين والمطالب بحقوق العرب كاملة فيها من الدرجة الأولى. ولا سيما أن اليهود وحماتهم البغاة كانوا يتحاملون فينكرون على الدول العربية التدخل في قضية فلسطين ويعتبرونها أجنبية عنها وفق القانون الدولي، فأوعزت بدعوة مؤتمر فلسطيني يمثل جميع الفلسطينيين، وتولت الهيئة العربية العليا دعوة ممثلى فلسطين من أعضاء بلديات وأعضاء أحزاب وأعضاء وفود وأعضاء هيئات لجان قومية... الخ. وانعقد مؤتمر حافل شهده نحو تسعين من شخصيات فلسطين البارزة في غزة في آخر أيلول من سنة 1948، وقرر بناء على تشجيع وتوجيه الجامعة العربية:

أ - إعلان استقلال فلسطين كبلد عربي.

ب - بطلان قيام دولة اليهود، واعتبار ما يحتلونه مغتصباً يجب إسترداده.

ت - إنشاء حكومة فلسطينية تمارس الحكم في قطاع غزة.

ث - تأسيس مجلس أعلى بمثابة مجلس سيادة.

ج - وضع دستور لهذه الحكومة.

وقد أتم المؤتمر تنفيذ هذه القرارات اللازم تنفيذها، فسمي رئيس وأعضاء مجلس السيادة، وسمي رئيس وأعضاء الحكومة ووضع دستوراً.

2 - وقد كان هذا قبل انعقاد الهدنة وقبل ضم الضفة الغربية إلى المملكة الأردنية. وكان المؤتمر يمثل جميع الفلسطينيين في قطاع غزة والضفة الغربية وسورية ولبنان.

ولقد اعترفت الحكومات العربية باستثناء الأردن بهذه الحكومة واعتبرتها ممثلة لفلسطين رسمياً، وصارت تقرر لها ميزانية عن طريق الجامعة. كما صارت تدعى إلى اجتماعات

الجامعة كممثلة لفلسطين. غير أن تفكك وتخاذل الحكومات العربية جعل هذه العملية مجمدة ورسماً بلا جسم تقريباً، حيث أنها لم تسلم قطاع غزة ولم تشجع التشجيع اللازم الذي يعدها بحيوية وقوة ونشاط. وكل ما بقي منها إلى الآن اعتراف الحكومات العربية بها، ودعوتها من حين إلى آخر إلى اجتماعات مجلس الجامعة العربية، واستلامها من الجامعة مبلغاً سنوياً لمكتبها في القاهرة، وإرسالها من حين لآخر بعض المذكرات والملاحظات.

3 ـ وأعتقد أن الفكرة هي صواب كل الصواب وماتزال أصلح الخطط لإبراز كيان الشعب الفلسطيني العربي، فإما أن تبعث الحياة في حكومة عموم فلسطين لفترة انتقالية قصيرة، فتسلم إدارة قطاع غزة ويطلب منها وضع قانون انتخاب يجري بموجبه انتخابات لمجلس تمثيلي يشترك فيه الذين لا يزالون يحتفظون بصفتهم الفلسطينية في الجمهورية العربية المتحدة والبلاد العربية الأخرى. وحينما يجتمع المجلس ينتخب حكومة جديدة ومجلس سيادة جديد وينظر في الدستور الذي وضعه مؤتمر غزة الأول، فيدخل عليه ما يراه من تعديلات، وإما أن تجري عملية جديدة تؤدي إلى مؤتمر جديد يقرر ما قرره مؤتمر غزة من إنشاء حكومة لعموم فلسطين ومجلس سيادة ودستور الخ . . .

4 ـ وأنا أفضل الشق الأول وأراه أقل إشكالاً، لأن حكومة عموم فلسطين الموجودة انبثقت عن مؤتمر يمثل جميع الفلسطينيين في فلسطين والبلاد العربية الأخرى، وكانت تحقيقاً لقرار أو تشجيع الجامعة العربية ومعظم الحكومات العربية أو كلها باستثناء الأردن تعترف بها، وقد لا يتسنى هذا وذاك في حالة الأخذ بالشق الثاني، وقد تعترض عليه الأردن.

5 ـ ومع ذلك إذا كانت المقامات العربية وخاصة في الجمهورية العربية المتحدة تميَل إلى بناء جديد وإهمال البناء القائم فلا مانع. وحينئذٍ تتولى اللجنة التحضيرية الفلسطينية التي تألفت في القاهرة ممثلة للفلسطينيين في الجمهورية العربية، السير في الخطوات الانتخابية، والدعوة إلى المؤتمر الجديد الذي يتولى تحقيق الخطوات الإجرائية المؤدية إلى قيام البناء الجديد الذي أعتقد من المفيد بل من الضروري أن يكون في شكل حكومة تستلم إدارة قطاع غزة كما كان أريد حينما أقيم البناء الأول.

6 ـ وأحب أن أنبه إلى أمرين في حالة الأخذ بالشق الثاني:

أولهما: أن لا يكون الذين يدعون أو ينتخبون للمؤتمر عدداً كبيراً، بل يكفي أن يكونوا مئة على الأكثر. وإذا كانوا 60 ـ 70 فهو الأفضل، بحيث يمثل كل عشرة آلاف فلسطيني في الجمهورية العربية وفي لبنان مندوب واحد. حيث يكون العدد المختصر أكثر قابلية للإنجاز وأقل صخباً. ومن الممكن أن يكون هناك منتخبون أولون يمثل كل واحد (1000) أو (500)، وهؤلاء ينتخبون مندوبي المؤتمر.

والأمر الثاني: هو إعادة النظر في شخصيات اللجنة التحضيرية التي يبدو لي ولغيري أن كثيراً منهم ليس له وزن كبير في مجال تمثيل فلسطين، بحيث تطعّم اللجنة بعدد من الشخصيات ذات الوزن ثقافياً واجتماعياً.

7 ـ وحينما تستلم حكومة عموم فلسطين القديمة أو الجديدة إدارة قطاع غزة، تجدد الجمهورية العربية والحكومات العربية الأخرى اعترافها بها وتعقد معها معاهدة دفاع مشترك ليكون في ذلك لها حماية عاجلة. وتسعى

الدول العربية لحمل الدول الصديقة على الاعتراف بها وإبرازها في المجالات الدولية، وتؤيدها فيما سوف تطالب به من حقوق الشعب العربي الفلسطيني الأساسية والفرعية. وتسد عجز ميزانيتها، وتشجع بنوع خاص على إنشاء جيش على أساس التجنيد الإجباري تكون مدة الخدمة فيه سنة أو سنة ونصف لغاية التدريب في الدرجة الأولى، بحيث يتسنى لها في بضع سنين تدريب أكبر عدد من الشباب الفلسطيني ليكونوا مستعدين لمهمة استرداد وطنهم الشهيد في أول فرصة ممكنة، ويكون من جملة مجالات نشاطها رعاية النازحين وتحسين شؤونهم المعاشية والثقافية والاجتماعية، وإشعارهم بإنسانيتهم وكرامتهم.

8 - إني ألمح ميلاً إلى الاكتفاء بتشكيل جديد يقوم على الأسس التي قامت عليها التشكيلات الفلسطينية الأولى، أي الدعوة إلى مؤتمر يمثل أهل فلسطين، فيقرر ما هو مفيد وواجب من مقررات، ثم تنبثق عنه لجنة تنفيذية عليا تعمل في نطاق هذه القرارات ويكون لها نظام داخلي وفروع ومكاتب. . .

وبما أن هذا لا يخلو من فائدة على كل حال لأنه يجدد نشاط الفلسطينيين وحيويتهم، إلا أنه لا يبرز الكيان الفلسطيني إبرازاً فعال النشاط في الحاضر والمستقبل كالاقتراح السابق، ولأنه سيقوم بنفس ما تقوم به الهيئة العربية اليوم ومنذ إنشائها من قبل الجامعة العربية سنة 1946.

* * *

(17) مذكرة من الكاتب لفخامة الرئيس شكري القوتلي وجواب عليها

1960/4/16 :

سيدي الرئيس الجليل.

يتساءل العرب عما إذا كان ينبغي أن يظل اليهود هم الذين يتحركون، وأن يظل العرب يكتفون بالرد على حركاتهم أو السكوت عنها أحياناً، ويتمنون أن يكون الوقت قد حان بعد قيام جمهوريتنا الكبرى لتبدل الصورة إلى العكس، وأن يأخذ العرب مبادرة الحركة والتحريك!

إن قضية فلسطين هي قضية العرب الكبرى، وستبقى جامدة ويبقى العار لاحقاً بالأمة العربية إلى أن يحدث هذا التبدل. وحينئذ تخرج من جمودها ويتزحزح العار عنها وتصبح الحالة ملحة لحلها حلاً مرضياً.

والفلسطينيون مستعدون لأن يتولوا هذا التحريك، وهم المؤهلون له نظرياً دون غيرهم، للظروف الدولية التي قد لا تسيغ استعمال القوة من جانب الدول العربية، في حين أن الشعب الفلسطيني هو صاحب الحق الذي لا يمكن أن يدفعه عنه ويجادله فيه أحد.

وإننا لنرجو أن يكون الزعيم الملهم يرى أن الوقت قد حان لتحريك قضية فلسطين من جمودها، وعدم ترك مبادرة التحريك بيد اليهود، والإكتفاء برد حركاتهم. وأن تكون الجمهورية العربية قد بلغت الحد الذي يجعلها قادرة على مقابلة أي عدوان يهودي مقابلة ساحقة. وفي هذه الحالة فهذه خطة لتحريك القضية عربياً:

1 - يتهيأ معسكر تدريب في نطاق الجيش الأول (سورية) يتدرب فيه الشبان الفلسطينيون

على أعمال المغاوير (الكوماندوس).

2 ـ حينما يبلغ عدد المدربين 500 أو 1000 ينظمون في وحدات صغيرة على رأس كل منها ضابط أو قائد منهم، ويجهزون بما يلزمهم من سلاح وعتاد وأجهزة ومواد تموينية وطبية متنوعة، ويتسللون إلى جبال الجليل (جبال صفد وعكا)، ويتخذون لهم فيها أوكاراً ينطلقون منها في غارات متتالية على المستعمرات والسابلة والدوريات والمخافر والمرافق اليهودية، ثم يعودون إلى أوكارهم.

3 ـ يظل معسكر التدريب مستمراً في عمله وتجهيز الوحدات المدربة وإرسالها تباعاً إلى هذه الجبال لتكون مدداً للسابقين، وسداً لما قد يطرأ عليهم من نقص.

4 ـ يرتب للمغاوير مرتبات شهرية مناسبة تتراوح بين 150 و200 ليرة، ويخصص لأسر الشهداء منهم مرتبات مناسبة في نطاق ذلك.

5 ـ تعين لجنة صغيرة لا يزيد عددها عن خمسة من خبراء الجهاد الفلسطيني لتكون لجنة استشارية في كل ما يتصل بهذه الحركة.

6 ـ إذا نجحت العملية على أساس استقرار الأوكار في أرض فلسطين صارت ثورة على نمط ثورة الجزائر. وتظل تمد بالمدربين والسلاح والأجهزة والمؤن لتستمر على عملها وتوسع نطاق نشاطها. وإذا لم تنجح على ذلك الأساس فتكون وسيلة لهز إسرائيل هزة عنيفة تماثل الهزة التي هزهم بها الفدائيون الذين انطلقوا من قطاع غزة عام 1956، ويتكرر كرّ المغاوير وفرهم على هذا الأساس.

7 ـ إذا نجحت على الأساس الأول صار من الممكن إنشاء حركة مماثلة في مناطق أخرى مثل اللد والرملة وبيت جبرين وبيسان وسمخ والنقب والظاهرية في منطقة الخليل.

8 ـ المنتظر من اليهود إزاء هذه الحركة أن يعتدوا على الحدود الشمالية والجنوبية التي يأتي منها المتسللون. وحينئذ يقابل عدوانها مقابلة ساحقة قد تكون وسيلة أو بداية للحل البعيد المدى. وقد يشتكون الجمهورية العربية لمجلس الأمن. وقصارى ما سوف تسفر عنه هذه الشكوى وضع قوة طوارىء على الحدود.

ولن تمنع هذه القوة التسلل والمدد. ولقد استطاع المجاهدون الفلسطينيون الاستمرار على عملياتهم وتسللاتهم وكرهم وفرهم بين فلسطين وسورية في ثورة 1936 ـ 1939 رغم ما اتخذته بريطانية من احتياطات وتدابير مانعة.

واستطاع المجاهدون الجزائريون ذلك رغم كل ما اتخذته فرنسة من مثل ذلك. ومهما حرصت قوة الطوارىء فلن تكون أشد حرصاً وقدرة من فرنسة اليوم وبريطانية بالأمس، مع التذكر بأنها ليست قوة لمباشرة حرب مع المتسللين، وإنما هي قوة مراقبة ومنع لمحاولات التسلل. والمغاوير أخبر منها ببلادهم ومخارجها ومداخلها.

ولم نذكر الحدود الشرقية الأردنية من أرض شرق الأرض وغربه. فالنظام الأردني قد لا يسمح بالتحرك منها ويمنعه. وقد يكون هذا خيراً حيث تنجو هذه الحدود من عدوان لا قبل لهذا النظام به.

* * *

ولقد تلقى الكاتب من الرئيس القوتلي هذا الجواب:

أخي الكريم حفظه الله

تحياتي إليك وأحسن تمنياتي، وأرجو أن تكون بخير وعافية وصحة تامة، وبعد، فقد

أسفت لعدم وجودي في الدار أثناء زيارتك، وقد سررت لاطمئناني عنك لخروجك من دارك وتمتعك بالصحة والعافية، وأرجو الله أن يتولاك برعايته وعنايته حتى تفيض على العالم العربي بمؤلفاتك القيمة نوراً من أمجاده وقبساً من رسالة الآباء والأجداد في سبيل عزته وكرامته.

رسالتك للرجل الملهم قيّمة جداً، وسأحدثه عنها وأقدمها له بعد الشرح الوافي من قبلي والتحبيذ والتأييد الفعلي مني، ونرجو من الله التوفيق.

أخذ الله بيدك وزادك توفيقاً وأمتعك بكامل الصحة وتمام العافية. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، دمشق 1960/2/17

شكري القوتلي

***

(18) أخي المحترم الدكتور فريد زين الدين حفظه الله[1] 1960/2/2

سلام عليكم ورحمته، ودعاء لله بأن يمدكم بقوته وعنايته لتستمروا على نشاطكم المبارك المثمر الذي أتابعه وأغتبط به كثيراً في المركز الذي تشغلونه عن جدارة في ظل وحدتنا المباركة.

وبعد فإني متابع قصة تنظيم الكيان الفلسطيني في نطاق الجامعة العربية، وتبني الموضوع بالدرجة الأولى من قبل الجمهورية العربية المتحدة وإعارتها العناية له[2]. ولا ريب في أن الموضوع ذو خطورة عظيمة في صدد قضية فلسطين وإخراجها من جمودها باليد العربية. ولقد كنت كتبت مذكرة بذلك أرسلتها إلى سيادة الرئيس جمال بواسطة صديقنا الجليل[3]، وعلمت أنها أحيلت إلى لجنة تخطيط فلسطين، ولا أدري هل اطلعتم عليها أم لا.

ولقد علمت وعلم الناس أن الأردن يقف في طريق الوصول إلى نتيجة إيجابية في الموضوع. وقد كان هذا الأردن دائماً حجر عثرة في طريق الوصول إلى أي نتيجة حسنة في موضوع قضية فلسطين إذا لم تكن متسقة مع أهوائه التي كانت من أهم أسباب الكارثة الحاطمة. وأعتقد أن

---

(1) عرفنا الدكتور فريد في أوائل العقد الرابع حيث اختير ليكون مديراً لمدرسة النجاح الوطنية في نابلس التي كنت أحد مؤسسيها ومديراً سابقاً لها قبل أن أتولى وظيفة المدير العام لأوقاف فلسطين. وكان لمع بين أقرانه في أوروبا بما بدا منه من نشاط عربي قومي أثناء التحصيل في العقد الثالث. واستمرت صلاتنا وصداقتنا بعد خروجه وخروجنا من فلسطين وفي أثناء عمله في الحكومة السورية بعد الحرب العالمية الثانية في داخل سورية وخارجها الذي كان فيه نشيطاً لامعاً.

ولما قامت الوحدة السورية المصرية اختاره الرئيس جمال ليتولى منصب وزير الدولة للشؤون الخارجية لدولة الوحدة. وهذا الكتاب أرسل إليه في هذا الظرف.

(2) بعد أن قامت الجمهورية العربية المتحدة انتعشت الآمال بانبعاث القضية الفلسطينية وتحريكها بعد الجمود الطويل الذي امتد عشر سنين، وأخذت الأصوات ترتفع بوجوب إيجاد كيان فلسطيني يمثل جميع الفلسطينيين ويكون له زمام هذه القضية، على اعتبار أن الشعب الفلسطيني هو صاحب الحق الشرعي في العمل في سبيل تحرير وطنه السليب وحقوقه المغتصبة. وقد طلبت الجمهورية المتحدة بحث هذا الأمر، وإقرار صيغة مناسبة له في نطاق الجامعة العربية، على اعتبار أن قضية فلسطين هي قضية جميع العرب من جهة، وأن الشعب الفلسطيني موزع في مختلف الأقطار العربية من جهة أخرى.

(3) هو الرئيس شكري القوتلي الذي ظل على أحسن الصلات مع الرئيس جمال، وظل موضع احترامه واحترام جميع رجال الجمهورية العربية. أنظر الرقم (10).

الأمل في موافقته على التنظيم المطلوب في غير محله من وجهتين: الأولى، أنه سيرى أن ذلك ماس بكيانه، ولعل هذه هي حجته الرسمية. وثانيتها وهي الأهم، أن التنظيم سيؤثر على إسرائيل، وإسرائيل تبذل جهودها لإقناع الولايات المتحدة في إحباطه، وهذه تبذل جهودها في جعل الأردن يقف في طريقه. ولن يسع الأردن المخالفة لأن حياة كيانه في يدها الآن بالدرجة الأولى، وهي تدفع عجز ميزانيته شهراً بشهر حتى يظل زمامه في يدها، فضلاً عن تأييدها له سياسياً ونفسياً.

ولقد قيل لي إن الجامعة تخشى أن تتخذ قراراً بالأكثرية لئلا يقال إن الدول العربية منقسمة في صدد قضية فلسطين. وهذا سيقال على كل حال حينما تنتهي دورة الجامعة الحاضرة بدون قرار ويؤجل الموضوع كما جرى في الدار البيضاء[1]. وموقف الأردن مكشوف، والأمل في تراجعه ضعيف أو مفقود. ولقد كان وقوف الأردن في طريق الموضوع في الدار البيضاء سبباً في تأجيله وتجميده، ويجب أن لا يتكرر ذلك في هذه الدورة. وإذا أمكن وضع مشروع ما يحصل على موافقته ليكون القرار إجماعياً فلا مانع. وإلا فأعتقد أن من الواجب إقرار مشروع ملائم محقق للغاية بالأكثرية، فيكون نافذاً بالنسبة للدول التي توافق عليه. والفلسطينيون الذين هم خارج الأردن يبلغون نحو (700000)، بما في ذلك الذين هم في قطاع غزة، فلتبذل الجهود في تنظيمهم في كيان خاص. وهم بعد ذلك لن يعدموا وسيلة لإشراك ممثلين عنهم من إخوانهم في شرق الأردن وغربه. حتى ولو لم يتيسر هذا فإن من حق من هم خارج الأردن وفي إمكانهم أن يعملوا في سبيل قضيتهم في مختلف المجالات عبر تنظيم خاص لهم إذا ما اعترفت أكثرية دول الجامعة الكبرى به. وإني أرجو بذلك جهودكم في عدم انفضاض الدورة قبل إقرار مشروع يناسبه.

ولقد علمت أن الجمهورية العربية المتحدة ماضية في تنظيم الفلسطينيين الموجودين في نطاقها والبالغين نحو (500000)، أي الذين هم في سورية وفي قطاع غزة وفي مصر بالذات، وهذا حسن. فإذا أمكن الحصول على قرار بتنظيم كيان فلسطين من الجامعة ولو بالأكثرية صار هذا أقوى من جهة، وصار في الإمكان إدخال كل فلسطيني في الدول الأخرى في نطاقه من جهة أخرى.

ولعل الأردن إذا رأى من مجلس الجامعة تصميماً على إقرار الموضوع بغير موافقته يتراجع عن موقفه السلبي خشية من المضاعفات.

ولقد فهمت مما ينشر أن السيدين أحمد الشقيري وحسين العويني متحمسان للتنظيم[2]، فأرجو أن يكون ما فهمته صحيحاً ـ وفي هذه الحالة إذا رأيتم فائدة في إطلاعهما على كتابي هذا فلا مانع ـ والسلام.

***

(1) أول ما بحث هذا الموضوع في دورة الجامعة العربية سنة 1960 التي عقدت في الدار البيضاء.

(2) كان الأول يشغل مركز مندوب المملكة السعودية في هيئة الأمم وله كلمة مسموعة عند أولي الأمر فيها، وكان السيد العويني يشغل منصب رئيس وزارة لبنان فيما أذكر.

(19) رسالة من السيد فاروق النابلسي 1961/4/1

تلقى الكاتب من السيد فاروق النابلسي في ألمانيا الغربية هذه الرسالة:

تحية عربية صادقة وبعد، إنني عربي من فلسطين والمسؤول الثقافي لدى فرع اتحاد الطلاب العرب في ألمانيا والنمسا بعد أن انضمت النمسا إلى الاتحاد حديثاً. ويتكون الاتحاد من شتى طلاب البلاد العربية. وفي ألمانيا الاتحادية (7000) طالب عربي، وفي النمسا 3000 كلهم اتحاد واحد.

عملنا الدعاية للوطن العربي الكبير وشرح القضايا العربية كقضية فلسطين والجزائر وإمارات الخليج وغيرها وإظهارها على حقيقتها للألمان والنمساويين.

ولا شك أنكم تعلمون مدى تأثير الصهيونية العالمية المجرمة السفاكة للدماء في أوروبا وأميركا ودعاياتها المضللة الكاذبة. وإننا لا شك نرى من واجبنا الاتصال بالمجاهدين العرب الأحرار أمثالكم لتمدونا بالمعلومات الكافية والحقائق عن قضية فلسطين. وإني أعلم من والدي[1] أنكم كنتم من الأبطال المغاوير الذين اشتركوا في مقاومة الإستعمار والصهيونية سواء في فلسطين وغيرها.

وإنني منذ مدة قرأت كتاباً لكم. والحق إنه قيم جداً لما احتواه من حقائق، وهذا الكتاب هو (مأساة فلسطين)، وعلمت من قراءتي للكتاب أن لكم كتباً أخرى منها كتاب الوحدة العربية، وحول الحركة العربية الحديثة.

فالرجاء وإن لي فيكم أكيد الثقة بأن تمدونا بما نشرتموه من كتب عن قضية فلسطين بجميع أجزائها، ومن كتب أخرى عن القضايا العربية، حيث يوجد لدينا مكتبة يجب أن تضم مثل هذه الكتب للرجوع إليها في شرح القضايا العربية والدفاع عنها.

ونرجو إن أمكن أن تشرحوا لنا رأيكم بالنسبة للموقف في البلاد العربية، ومن هي حقاً التي تعمل لمصلحة فلسطين ومن هم حقاً الذين يؤيدون إيجاد كيان لفلسطين. ونحن في انتظار ردكم الكريم ودمتم خير مخلص للأمة العربية الكريمة.

***

وقد كتبنا له الجواب التالي مؤرخاً في 1961/4/9

تحية واحتراماً وبعد، فقد استلمت رسالتكم وأكبرت فيكم وفي إخوانكم روح النضال والنشاط في سبيل قضايانا العربية وبخاصة قضيتنا فلسطين والدعاية لها وإحباط دسائس أعدائها. ودعوت الله أن يديم توفيقه عليكم وينجح مساعيكم المشكورة. ويسرني أن ألبي طلبكم، وقد أرسلت إليكم بالبريد المسجل نسخة من الجزء الأول من القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، وهي طبعة جديدة لما كان يعرف بالجزء الثالث من كتاب (حول الحركة العربية الحديثة)، ونسخة من الطبعة الجديدة للجزئين الرابع والخامس من هذا الكتاب. وفي هذه الأجزاء الثلاثة شرح وافٍ لمراحل القضية الفلسطينية إلى هذا الوقت. وأرسلت معها رسالة لي عنوانها جهاد الفلسطينيين نشرناها في

---

(1) الشاب من أسرة (النابلسي) في نابلس، ووالده السيد عبد العزيز بن الحاج محمود النابلسي.

مصر رداً على المتخرصين والعملاء في صدد هذا الجهاد، فأرجو أن تطمئنوني بوصولها. وأرى أن تتصلوا بسفارة الجمهورية العربية المتحدة وتطلبوا منها أن تزودكم بمطبوعات لجنة (اخترنا لك)، ومطبوعات لجنة (كتب قومية وثقافية). وهما لجنتان شبه رسميتين وتصدران رسائل مختصرة مفيدة في مختلف الشؤون. وقد أصدرت لجنة الكتب القومية في ما أصدرته رسالتين عن فضائح الدولة اليهودية، فيها تفصيل للحالة المظلمة التي ترتكس فيها عصابات الإجرام في وطننا المقدس. وفي إحداهما إحصاء يكشف عن خرافة قتل الستة ملايين يهودي في أثناء الحرب العالمية الثانية، وهي الخرافة التي ضللت الصهيونية المجرمة بها العالم وماتزال تضلله لإثارة شفقته من جهة وابتزاز الأموال من الألمان من جهة أخرى. ومما ورد في هذه الرسالة أن الجريدة اليهودية جويش كرونيكل نشرت في سنة 1938 إحصاء في كتابها السنوي، جاء فيه أن عدد يهود العالم كان في سنة 1937 (10,948,000). ونشرت الجريدة نفسها في كتابها السنوي لسنة 1948 أن عددهم في هذه السنة كان (12,493,000)، فلو صدقت تلك الخرافة لكان معنى هذه الأرقام أن اليهود قد زادوا بين سنة 1937 و1948 (7,545,000) وهو مستحيل كل الاستحالة. وكل ما يمكن أن تكون زيادة عددهم الطبيعية خلال عشر سنين وعلى أعظم تقدير هي مليونان. وبهذا الحساب يكون هلكى اليهود في الحرب العالمية الثانية نصف مليون أو مليون، نصفهم على الأقل ماتوا موتاً طبيعياً. ولقد كان هناك زعيم يهودي ألماني اسمه كاستنز يعرف حقيقة هذه المسألة ويقررها، فقام بينه وبين سلطات العصابات المجرمة خلاف، فهدد بنشر الفضيحة الحقيقية، فما كان من هذه السلطات إلا أن اغتالته. وأعتقد أن من المفيد أن تهتموا بهذه القضية، لأن عقول الألمان مسممة بدعاية اليهود وتضخيمها جريمة النازيين ضدهم، وقد استطاعوا أن يبتزوا طائل الأموال والتعويضات نتيجة لذلك.

وجواباً على سؤالكم عن الموقف في البلاد العربية وعن الذين يعملون لقضية فلسطين، أقول لكم أن جميع البلاد والحكومات العربية تتظاهر بالاهتمام لقضية فلسطين والقناعة بأن الحل الوحيد لها هو القضاء على دولة الإجرام فيها. غير أن من الحكومات من هو موالٍ للاستعمار وبخاصة للولايات المتحدة حماة الدولة اليهودية، بحيث يكون تظاهره من باب الاستهلاك المحلي. والعمل والأمل متركزان في الجمهورية العربية المتحدة التي برزت كالعملاق في الشرق العربي بقيادة البطل الملهم جمال عبد الناصر، وفي إمكانياتها وطاقتها واهتمامها لتنظيم كيان فلسطيني، وإعلانها الرسمي الصريح على منبر هيئة الأمم وفي كل ظرف، بوجوب اقتلاع الجرثومة الصهيونية وإعادة الأمر إلى ما كان عليه من السيادة العربية الشاملة لفلسطين، وتصميمها على ذلك بدون مواربة، في حين أننا نلمح أن معظم الدول العربية تتناقض وتتعثر بل وتعرقل ترجمة ما تتظاهر به قولاً إلى أفعال. ومن ذلك مسألة الكيان الفلسطيني الذي لا تكاد تعضد وجوب إبرازه إلا الجمهورية العربية المتحدة. مع أن هذا الأمر على غاية الخطورة بالنسبة لقضية فلسطين، ليتاح به لشعب فلسطين صاحب الحق الطبيعي الشرعي النضال في سبيل وطنه السليب وحقه المغتصب.

والاعتبارات الإقليمية والأسرية والشخصية والرغبة في الإستمتاع بالثروة والجاه والأبهة هي التي تنظم حركات رؤساء ورجال معظم هذه الدول، وتوحي إليها بما تفعله في سبيل ذلك، مهما كان فيه من ضرر لمصلحة الوطن العربي وتعاون مع الاستعمار وخدمة له.

وقضية الجزائر تستنفذ الآن طاقة كبيرة من الجمهورية العربية المتحدة، فإذا ما انتهت منتصرة خلال سنة أو سنتين وهو ما نرجوه ونأمله وتقوم البوادر المبشرة به، يكون الدور للعمل الجد لقضية فلسطين قد حل، وحينئذ نأمل أن تتحول تلك الطاقة الكبيرة إلى ذلك إن شاء الله.

والمهم هو محاربة كل محاولة لحل قضية فلسطين حلاً نصفياً على أساس الاعتراف بواقع دولة الإجرام، إلى أن يأتي ذلك الوقت الذي نرجو أن يكون قريباً. فقضية فلسطين ليست قضية لاجئين وحدود، وإنما هي قضية وجود عربي يتجاوز بقعة فلسطين إلى كيان الوطن العربي كله، ولا يمكن أن يكون لهذا الكيان أمان وطمأنينة وازدهار وكرامة، وفي قلبه جرثومة خبيثة تنخر به وتتربص به الدوائر وتكون مرتكز الاستعمار ويدها فيه. ومن حسن الحظ أن الوعي العربي يزداد قوة يوماً بعد يوم، ويتجه بقوة نحو الجمهورية العربية المتحدة وزعيمها ويؤيدهما في دعوتهما وتخطيطهما، ويرهب كل من تحدثه نفسه في مسايرة المحاولات الاستعمارية في هذا السبيل، ويجعل الجميع يصدقون الاهتمام لقضية فلسطين وعدم التهاون فيها.

وختاماً أكرر الدعاء لكم ولزملائكم بالنجاح والتوفيق والسلام.

* * *

(20) سماحة الأخ الجليل الحاج أمين الحسيني المحترم 27 جمادى الأولى 1383 1962/10/25

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد، فقد عنّ لي أن أكتب لكم هذه المذكرة، وقد لا يكون فيها جديد أو شيء غائب عنكم. وأسأل الله أن يسدد خطانا إلى ما فيه الصواب والمصلحة.

هناك حقائق في قضية فلسطين أصبحت معروفة ومتفقاً عليها عند جميع الفئات: حكومات وهيئات وفلسطينيين. ولا مانع من التذكير بها في كل فرصة:

أولاً: أن قضية فلسطين قضية وجود عربي، ولا يجوز أن نظل منزلقين مع الأعداء الذين يحرصون على إبقائها في نطاق قضية حدود ولاجئين.

ثانياً: إن حل هذه القضية حلاً جذرياً صحيحاً ومتسقاً مع الضمير العربي ومصلحة الوجود العربي إنما هو إزالة إسرائيل. ولا يمكن أن يكون هذا إلا بالحرب على أرض فلسطين.

ثالثاً: إن الدول العربية ـ حتى لو زال من بينها الخلاف وقام بينها وحدة ـ وهذا إلى أمد طويل خيالي ـ لا يمكنها بسبب الظروف الدولية الراهنة أن تقدم بنفسها على هذا الحل. ولو أقدمت وتمكنت من احتلال فلسطين فلن تلبث أن تخرج منها بقوة الرأي العام الدولي والمادي والأدبي، وتظل إسرائيل قائمة كما جرى في مسألة العدوان الثلاثي على مصر. لأن معظم دول العالم معترفة بإسرائيل وعضويتها في هيئة الأمم.

رابعاً: إن ذلك الدور لا يمكن أن يقوم به إلا الفلسطينيون أنفسهم، لأن فلسطين بلادهم التي اغتصبت منهم. وحقهم في العودة إليها طبيعي ومعترف به، وليس من سبيل عليهم للدول وهيئة الأمم.

خامساً: إن الفلسطينيين قادرون بكل قوة على القيام بهذا الدور إذا تيسر لهم التنظيم والتدعيم.

سادساً: إن الأمل في اتفاق جميع الدول العربية على هذا التنظيم والتدعيم في غير محله في ظروف هذه الدول الراهنة.

وبناء على هذه الحقائق، فالذي يمكن هو أن تتبنى حكومة أو حكومتان هذا التنظيم والتدعيم وتبدأ به في مراحل جدية بالاشتراك مع هيئة فلسطينية.

ولقد أعلن حاكم العراق[1] استعداده لذلك في مواقف عديدة، بل وخطا في سبيله خطوات. حيث أنشأ جيشاً فلسطينياً ليكون نواة التحرير.

وأعلن أنه رصد ما يكفي من المال والسلاح، ودعا الفلسطينيين إلى اغتنام الفرصة ومباشرة العمل لتحرير بلادهم.

هناك شيء كثير يمكن أن يقال في هذا الحاكم، وما بدا منه من جنون وجرائم في حق بلده والعروبة بقصد توطيد وحدانيته، وما كان من تحالفه مع الشيوعيين والشعوبيين والإنكليز في سبيل ذلك يمثل صورة لأخلاقه، والأخلاق لا تتجزأ، وهذا مما يثير الشك في حديثه في ما أعلمه. وكل ما هناك أنه يحاول عن هذا الطريق كسب ثقة فقدها في وطنيته. وقد استغلت الهيئة العربية العليا ذلك بقصد ضمان عونه على توسيع نشاطها، واستغل هو بدوره إقبال الهيئة عليه في ما أراده[2]. أما ما أعلنه من إنشاء كتيبة فلسطينية دعاها جيش تحرير فلسطين، وما يشجع عليه من انضمام شباب فلسطين إلى هذا الجيش، أو قبولهم في الكلية الحربية لتخريجهم ضباطاً، فليس هو فيه فذاً، فسورية ومصر تفعلان ذلك كما لا يخفى.

ومع ذلك كله فلا مانع من المغامرة معه. والمغامرة لا تتحمل حساباً ولا منطقاً، ولا يقوم بها إلا مغامرون، فإذا كان عند الهيئة العربية العليا مغامرون فلتنتدبهم ولترسلهم إلى العراق.

ولتوص حاكمها بالإعتماد عليهم، وتشكيل لجنة منهم ومن بعض العراقيين ليرسموا خطة ما تنفذ على أرض فلسطين تحت إشراف قيادة فلسطينية تتخذ لنفسها مركزاً أو أكثر على حدود العراق القريبة من سورية والأردن، حيث تكون هذه المراكز نقاط تحشد وانطلاق. وتكون غاية هذه الخطة العاجلة الإزعاج وتحريك القضية، وأن تكون على أسلوب التسلل والكر والفر، ثم تتطور حسب الإمكان. وحينئذ ينكشف الأمر عما إذا كان هذا الحاكم جاداً أو عابثاً. وإن كان جاداً فهو المطلوب، ولتبدأ المغامرة على الوجه المذكور آنفاً بعد إعداد أسبابها ووسائلها وضمان إستمرارها.

وقد يقال إن المغامرة تحتاج إلى نقاط ارتكاز وانطلاق على حدود الأرض المغتصبة، وهذا صحيح من ناحية الحساب والمنطق. ولتبذل الجهود والحالة هذه مع الحكومة السورية في سبيل ذلك والصلات حسنة بين الهيئة وبين هذه

---

(1) هو عبد الكريم قاسم.

(2) في هذا الظرف كان شيء من التعاطف بين الهيئة وعبد الكريم قاسم، واستطاعت الهيئة نتيجة لذلك ان تتلقى منه مبالغ مهمة.

الحكومة. وحينما تحصل موافقتها تقوم لجنة أخرى سورية فلسطينية لتتضامن مع لجنة العراق والقيادة الفلسطينية. وعلى كل حال فلا مانع من المغامرة إذا لم يكن الحصول على الموافقة السورية ووافق العراق على القيام بها وحده. فلعلها تعطي فائدتها وتجعل سورية وغير سورية أمام الأمر الواقع الذي لا يكون لها عنه مندوحة. هذا من جهة العراق.

ولقد كانت سورية ومازتال تدعي أنها أخلص البلاد العربية لقضية فلسطين وأكثرها تفهماً لها واندماجاً بريئاً فيها، وفي هذه الدعوى كثير من الصدق. وفيها الآن نحو (130) ألف فلسطيني يمكن أن يكونوا نواة صالحة لبدء التنظيم والتدعيم.

وحكومتنا القائمة والحكومات التي سبقتها في هذا الدور أعلنت في مختلف المناسبات أنها مستعدة للقيام بدورها. فيجب أن نستكشف حقيقة ذلك، فيطلب منها أن تتبنى هي ذلك التنظيم والتدعيم مع العراق إذا كان حاكمه جاداً، وبدونه إذا كان عابثاً. وإذا كان الجواب إيجابياً فتكون الخطوة الأولى:

(1) تشكيل لجنة سورية من ثلاثة أشخاص على رأسها شخصية عسكرية موثوقة ومفوضة ولها وزنها في الجيش.

(2) تأسيس جهاز مجهز بما يلزمه من مساعدين وأدوات. وهذا الجهاز هو الذي يضع الخطط والمراحل وينفذها، مع شرط هام هو التزام السرية التامة. وهذا الجهاز يتصل بالعراق ويبذل جهده في إشراكه في العمل والخطة والمراحل. وطبيعي أن يكون من أهم خطوط الخطة تشكيل قيادة عسكرية فلسطينية، وتجنيد ما يمكن من الفلسطينيين من الموجودين في سورية ولبنان والأردن وفلسطين وغزة والعراق. وتنظيمهم في كتائب صغيرة يكون على رأسها ضباط فلسطينيون وغير فلسطينيين، ورصد ما يلزم من مال وسلاح لذلك، وإعداد نقاط تحشيد وانطلاق في أماكن مناسبة من حدود الأرض المغتصبة. وبعد ذلك يبدأ الكفاح على أسلوب التسلل والكر والفر، ثم يتطور حسب الأحداث.

ومن رأيي أن من الأفضل أن يترك الآن ما يتردد الكلام فيه من إقامة كيان فلسطيني عام، وأن يبذل كل الجهد في تنفيذ الخطة المشروحة. فقيام هذا الكيان يتوقف على موافقة الحكومات واتفاق الحكومات العربية التي فيها فلسطينيون. وهذا يبدو بعيد الإحتمال وخاصة بالنسبة للأردن الذي يعيش فيه أكثر من ثلاث أرباع الفلسطينيين.

وهذا فضلاً عما سوف تثيره محاولات الانتخاب والدعوة من تيارات وخلافات وحزازات متعاكسة بين الفلسطينيين أنفسهم. وهذا الكيان ليس هو الذي ننشده للعمل الجدي والذي يجب أن يتولاه جهاز سري على الوجه الذي شرحناه. وقد يأتي دوره إذا استطاع هذا الجهاز أن يفعل شيئاً ويبدأ عملاً، حيث يصبح من الضروري إيجاد هيئة تحرير فلسطينية أو حكومة فلسطينية لتتولى إدارة الحركات التنفيذية على نمط الجزائر التي أنشأت مثل ذلك في ظروف العمل والتنفيذ. وحيث تضغط الأحداث على الحكومات العربية وتجعلها تساير الموقف والتطورات، وحيث يثور حماس الفلسطينيين ويصبحون أكثر صفاء واستعداداً لتجاوز ما بينهم، فيُصار إلى عقد مؤتمر فلسطيني من أهل الحل والعقد والتمثيل، فينتخب هيئة أو حكومة على غرار ما جرى في غزة عام 1948، أو

يكون اجتماعه امتداداً لمؤتمر غزة بسبيل تجديد الحكومة.

وما دامت الهيئة العربية العليا قائمة ونشيطة وتردد القول إنها تمثل جميع الفلسطينيين وتعبر عن رأيهم، ففيها في الوقت الحاضر غناء عن ذلك. وقد يحسن أن يضم إليها بعض العناصر الفتية النشيطة، فتقوي بذلك الثقة بها والإعتماد عليها والله الموفق.

***

سلمت هذه المذكرة لسماحة الحاج أمين أفندي في التاريخ المذكور عاليها، حيث تفضل بزيارة الكاتب في دمشق أثناء زيارة له إليها.

ولقد تفضل سماحته فزار الكاتب ثانية في اليوم التالي، وقال له إنه قرأ المذكرة، وإنه متفق معه على كل ما جاء فيها، وإنه سيبذل جهده في العمل في سورية والعراق بسبيل التنفيذ.

***

(21) يستطيع الفلسطينيون التحرك من تلقاء أنفسهم ولبعضهم موارد كافية لتمويل الانطلاقة الأولى[1]

25 أيلول 1963

قرأت تصريحات الأستاذ الشقيري المتعددة في (الحياة) وفي غيرها من الصحف مع بعض التعليقات أو الردود عليها. وأقول بكلمة عامة إنه رغم ما في تصريح الأستاذ الشقيري في جريدة الحياة، بأن الحكومات العربية عزلت الفلسطينيين عن كل شيء يتعلق بقضيتهم من حق، فإن هذا لم يكن من شأنه في حال أن يمنع الفلسطينيين من الدأب الجاد والإقدام على حركة تحريرية لوطنهم المباشر وتكوين الجهاز الضروري لذلك، ولا أن يسوغ لهم بالتبعية انتظار كل شيء من هذه الحكومات، والامتناع عن أي شيء من تلقاء أنفسهم، والاكتفاء باتهام الحكومات العربية بالتقصير وتوجيه اللوم إليها حينما يكون إيمان قوي يحفز على العمل الجاد الدؤوب المثمر.

ولقد كان للهيئة العربية العليا لفلسطين نشاط دائم لم ينقطع، وتيسر لها مبالغ جسيمة من حكومات وهيئات عربية وإسلامية أنفقتها في سبيل هذا النشاط، (الذي لم يكن عزل الحكومات العربية للفلسطينيين عن كل شيء يتصل بقضيتهم مانعاً له).

وكان من الممكن أن يوجه هذا النشاط وتنفق هذه المبالغ أو جلها أو جزء منها على الأقل على تكوين ذلك الجهاز وتحريكه لوضع الحكومات العربية أمام الواقع والمسؤوليات، سواء أرضيت هذه الحكومات عن ذلك أم لم ترض. خصوصاً وأن الهيئة ظلت حريصة على أن يعتبرها الفلسطينيون وغيرهم الممثلة الرئيسية لهم التي يجب أن يظل زمام المبادرة بيدها.

وإذا كنا نحب أن نجعل حركة الجزائر العظيمة مثالاً لنا، فلا يجهل أحد أن المؤمنين من الجزائريين أنفسهم هم الذين أقدموا وبدأوا ونشطوا، فكان لذلك أثره الإيجابي الواسع في الحكومات والهيئات العربية وغير العربية الذي ساعد على تحقيق المعجزة الكبرى.

الفلسطينيون قادرون على الحركة من تلقاء أنفسهم:

والآن لندع الماضي ولنواجه المستقبل.

---

(1) نشر هذا المقال في جريدة الحياة البيروتية 25 أيلول 1963، وأرسل بمثابة رسالة إلى الأستاذ أحمد الشقيري.

فجميع الناس، فلسطينيين وغير فلسطينيين وحكومات وغير حكومات، يقررون أن العبء الأكبر يجب أن يحمله الفلسطينيون، وأن المبادرة يجب أن تكون لهم. وأنا أضيف إلى هذا أن انتظار إجماع الحكومات العربية على ذلك وتحريكها للفلسطينيين نحوه وإتاحتها الفرصة لهم من أجله أمر عقيم كل العقم، وأن الفلسطينيين قادرون على الحركة من تلقاء أنفسهم نحو ذلك في المراحل الأولى على الأقل، إذا كان فيهم جماعة مؤمنة بقضيتها إيماناً صادقاً، ومؤمنة بهذا الذي يجمع الناس على تقديره، وتريد حقاً الخروج بقضيتها من هذا الجمود الرهيب الذي صارت إليه، والحلقة المفرغة التي تدور فيها.

فإذا كان الأستاذ الشقيري جاداً حقاً للعمل الجاد ومؤمناً به، فنكون قد أمسكنا برأس «الشموط» كما يقول المثل العامي. وننتظر منه أن يستمر في دعوته وحركته حتى تنتهي إلى تكوين الجهاز التحريري المنشود، وفي ما بذله الأستاذ من جهود ونشاط، وما يتحلى به من عقل ودراية، وما له من اتصالات ومعارف واسعة، وما صار إليه من مركز أدبي مرموق، ما يجعله من المؤهلين لذلك إن شاء الله.

عشر ثروة الشقيري كافٍ لتمويل الحركة في مراحلها الأولى:

ولقد انعم الله عليه بثروة كبيرة نتيجة لنشاطه المفيد في سبيل قضية فلسطين، وعشر هذه الثروة كافٍ لتمويل هذه الحركة في المراحل التكوينية الأولى. وليس كثيراً أن ينتظر الفلسطينيون منه بذل هذا المقدار.

ولست من رأي القائلين بضرورة انبثاق هذه الحركة في المراحل التكوينية الأولى عن مشاورات واسعة، فإن هذا يجعلها تصطدم بعقبات ويثير في وجهها مشاكل، فضلاً عن أن طبيعتها تتنافى مع ذلك كما لا يخفى.

تكبير الحجر لا ينفع ولا يصيب:

لذلك فإني لا أريد للأستاذ أن ينتظر حتى تأتي إليه الطلائع الفدائية أو يأتي إليها، لأننا لا نعرف ما هي هذه الطلائع التي كتبت له وكتب لها من قبيل تبادل المجاملة أو التحدي.

ولا أرى أن يقوم برحلات عامة إلى جميع أنحاء الوطن العربي ليبدأ حركته، لأني أرى في هذا تكبيراً للحجر الذي لا يصيب ولا يراد له أن يصيب، وإثارة للمشاكل والعقبات. وأرى أن يختار نخبة من الشباب الفلسطينيين المدنيين والعسكريين ليكون منهم الجهاز المنشود أو نواته، ويسير في ما قدر له من خطوات وفق خطة يضعها لنفسه.

وإذا كان الأستاذ الشقيري غير جاد، لا سمح الله، فإن ذلك ليس من شأنه أن يؤثر بالفكرة التي نقررها، وهي كون الفلسطينيين قادرين على الحركة من تلقاء أنفسهم في المراحل الأولى على الأقل، ويجب أن ينهضوا بها إذا كان فيهم الجماعة المؤمنة بقضيتها وبالذي يجمع الناس على تقريره. فليقدم نفر من هذه الجماعة على تكوين الجهاز المنشود أو نواته والسير وفق خطة يضعها لنفسه، وليكن شعاره الجد والكتمان.

أثرياء الفلسطينيين منبع لتمويل الحركة الأولى:

لقد كفانا كلاماً ومظاهرات، والمال الذي يحتاج إليه النفر في هذه الحالة غير عسير النوال في ما نعتقد إذا جد ودأب، فهناك ما لا يقل عن خمسين ألف فلسطيني ثري أو كاسب جيد في

الوطن العربي، ويمكن أن يحصل منهم على منبع تمويلي يكفي للمراحل الأولى ويفيد في المراحل الثانية.

أما إذا ظل كل منا يعلق على الآخر وينتظر منه ويدور في الحلقة المفرغة ويكتفي بتوجيه اللوم والتحدي، فلا يكون هذا إلا دليلًا على عدم وجود هذه الجماعة المؤمنة فينا والعياذ بالله ولا حول ولا قوة إلا به.

ولكم يحز في نفسي أنني لا أستطيع الآن إلا أن أقول:

يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأضع

انتظار إجماع الحكومات العربية انتظار عقيم:

وقد يجب أن تقال كلمة في ما يتكرر ذكره من وجوب إنشاء كيان فلسطيني شعبي ينبثق عن مؤتمر فلسطيني عام نتيجة لانتخابات فلسطينية عامة ويمثله حكومة فلسطينية، فلا شك في أن هذا عمل قوي المعنى والمدى، ولقد تبنته أكثر من حكومة ولكنه أخفق، لأنه لن يتم إلا بإجماع الحكومات، وانتظار هذا الإجماع عقيم كل العقم كما قلنا.

ويكرر القائلون بأنه الطريق الذي سارت فيه الجزائر، ولكنهم ينسون أنه إنما كان في المراحل التالية لحركة التحرير الجزائرية، وأن نجاح هذه الحركة في المراحل الأولى هو الذي مهد له وأنجحه. فالأولى والحالة هذه والأجدى والأكثر إيجاباً وإمكاناً هو البدء بتكوين جهاز حركة التحرير المقترح دونما ضجة ولا توسع في الاستشارات والاستطلاعات. وإذا ما بدت تباشير نجاح هذا الجهاز في خطته وخطواته صار في الإمكان أن تخطى الخطوات التالية اقتفاء لأثر الجزائر.

«توضيح وتعقيب»

كان المرحوم أحمد حلمي باشا يمثل فلسطين في جامعة الدول العربية بصفته رئيس حكومة عموم فلسطين، فلما مات 1963 رشحت الهيئة العربية العليا كلًا من السادة أحمد الشقيري و إسحق درويش وإميل الغوري ليكونوا ممثلين لفلسطين. وكانت الهيئة تعتبر نفسها أنها الممثلة لفلسطين والناطقة باسمها وصاحبة النشاط الأقوى بل المنفردة، في سبيل قضية فلسطين.

ولقد نصّ ميثاق الجامعة على أنه هو الذي يختار ممثلًا لفلسطين للجامعة، فقرر اختيار أحمد الشقيري وحده، ثم قرر استجابة للأصوات التي كانت ترفع لأجل قيام كيان فلسطيني منظم وشامل وقوي إناطة السعي وإقامة هذا الكيان بالسيد أحمد الشقيري. فأثار ذلك سماحة الحاج أمين الحسيني من ناحيتين، من ناحية الإقتصار على السيد أحمد وعدم إشراك السادة إسحق وإميل، ومن ناحية استبدال الهيئة بتنظيم جديد، وهي كما قلنا كانت تعتبر نفسها الممثلة الوحيدة للقضية، وتبذل مساعيها وجهودها في سبيلها منذ قيامها، أي منذ سنة 1946، فطلب سماحة الحاج أمين من السيد أحمد الشقيري أن يعتذر عن المهمتين، فأبى السيد أحمد وظل مصرّاً على أن يكون ممثلًا لفلسطين في الجامعة، ثم أن يبذل جهده في سبيل تحقيق المهمة الثانية، وهي إقامة تنظيم جديد أو كيان جديد للقضية الفلسطينية، وكان ذلك من أسباب الحملات الشديدة التي حملها سماحة الحاج أمين على أحمد الشقيري باسم الهيئة، وجعله يبذل جهده لعرقلة مساعي السيد أحمد في سبيل المهمة الثانية، فكان ذلك مما جعلنا نكتب الرسالة المنشورة آنفاً والمرسلة إلى

سماحة الحاج أمين.

وقد استمر السيد أحمد الشقيري في جهوده ومساعيه، حتى استطاع أن يتغلب على مختلف العقبات، وأن يجمع مؤتمراً وطنياً كبيراً يمثل الفلسطينيين بالاختيار وملاحظة صفات الأشخاص السياسية والاجتماعية. وقد اجتمع المؤتمر في حزيران في القدس العربية التي كانت تحت سلطة الحكومة الأردنية، وقد بلغ عدد المجتمعين نحو أربعمائة ونيف ومعظمهم من أصحاب الرأي والبروز من الفلسطينيين في الضفة والقطاع والأردن وخارجها، ومنهم عدد كبير من أعضاء مجلس الأعيان والنواب من الفلسطينيين، ومنهم عدد كبير من رؤساء بلديات الضفة والقطاع وأعضائها ومن رؤساء وأعضاء الغرف التجارية والزراعية، ومنهم كثيرون ممن يدعون إلى المؤتمرات السابقة ولهم شأن وبروز في المجتمع وفي الحركة الوطنية. وقد دعينا إلى هذا المؤتمر أيضاً، واعتذرنا بسبب حالتنا الصحية. وقد افتتح الملك حسين المؤتمر بخطاب ثم وضع للمؤتمر ميثاقاً لأهداف الجهاد الفلسطيني، وقرر إقامة منظمة باسم منظمة تحرير فلسطين، واعتبر كل فلسطيني عضواً في التنظيم وشمل تنظيمات أو دوائر عديدة سياسية وعسكرية ومالية وثقافية، وجعل لها لجنة تنفيذية تمثلها، وانتخب السيد أحمد الشقيري رئيساً لها، وصار السيد احمد نتيجة لذلك نجماً عربياً شديد اللمعان.

ولقد انبثق عن المؤتمر والميثاق مؤسسة أخرى سميت (المجلس الوطني) الذي كان يدعى إليه شخصيات بارزة ذات شأن في المجتمع والحركة الوطنية، فيجتمع في دورات سنوية تتلو عليه اللجنة التنفيذية تقاريرها السياسية والمالية، ويتناقش في جميع شؤون القضية، ويقرر القرارات ويجدد انتخاب اللجنة التنفيذية. وقد اجتمع المجلس دورات عديدة بعد ذلك، وسار في سبيل شأن المنظمة ودوائرها شوطاً غير قليل. ثم كانت حرب حزيران 1967، فظهر أن السيد أحمد لم يعد يمكن أن يمثل المرحلة التي دخلت فيها القضية بعد هذه الحرب، فضغط عليه، حتى استقال. ثم اختير السيد ياسر عرفات بعد قليل من فترة انتقال كانت المنظمة فيها برئاسة السيد يحيى حمودة. ولقد قويت المنظمة واتسعت وصارت ملء السمع والبصر في جميع أنحاء العالم.

وفي الجزء الثاني من كتابنا (العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الجديد)، تفصيلات لما وصلت إليه المنظمة من شأن عظيم خاصة بعد حرب رمضان ـ تشرين الأول 1973 في هيئة الأمم وفي العالم أجمع عربياً وإسلامياً وشرقياً وغربياً.

* * *

(22) تسجيل لقاء بين الكاتب والأستاذ أحمد الشقيري 1963/10/15

مساء الجمعة 1963/10/11 زارني الأستاذ أحمد الشقيري ومعه السيد محمد ياسين وهو فلسطيني متحمس للقضية، وكان من الذين عاونونا وعاونوا المجاهدين أثناء ثورة سني 1937 ـ 1939، وقد تحدثنا ملياً في الوسائل المجدية لتحريك القضية من جمودها.

وأعدت مآل المقال الذي نشر لي في عدد 15 أيلول 1963 في جريدة الحياة، والذي أرسلت نسخة إليه عنه وهو المنشور في الرقم (21)، ثم دار الحديث في النطاق التالي:

1 ـ ظاهر الأحوال أن قيام الكيان الفلسطيني منوط بموافقة الدول العربية وبخاصة الدول التي فيها جمهرة من الفلسطينيين. ومخالفة الأردن لتحقيق ذلك يجعل موافقة الدول الأخرى قليلة الجدوى، لأن 75٪ من الفلسطينيين يعيشون في ظل الحكومة الأردنية.

2 ـ حتى لو حصلنا على موافقة الأردن، فإنه يتبادر لي أن الانتخابات التي سوف تجري لإقامة الكيان سواء منها العامة الأولى أم انتخابات الهيئات التي سوف يوكل لها تمثيل الكيان سوف تثير كثيراً من المشاكل والتحزبات والتعصبات والأحقاد والمهاترات والمنافسات بتأثير التيارات الفلسطينية أولاً والتيارات العربية ثانياً. وفي كل هذا بلاء عظيم سيؤثر في النتائج القريبة والبعيدة أسوأ الأثر.

3 ـ ويتبادر لي فوق ذلك أن قصارى ما يمكن أن يكون خط العمل لمثل هذا الكيان هو النشاط في المجال السياسي. وأشك كل الشك في استطاعته أن يضطلع بعبء تحريري جدي. ومع ذلك فإذا كان لمثل هذا الكيان ضرورة للمجال السياسي، فيمكن أن يدبر على طريقة مؤتمر غزة لسنة 1948، حيث يدعي (150) من رجالات فلسطين البارزين من أهل الحل والعقد والرأي والتمثيل إلى مؤتمر، فيختار هيئة تنفيذية أو حكومة فلسطينية تنشط في هذا المجال.

4 ـ ونستطيع بسبيل العمل الجدي التحريري أن نكرر مثل الجزائر. فقد بدأت حركتها التحريرية بلجنة سرية صامتة غير مهذارة، ولم تحاول أن تبرز وتنظم نفسها في المراحل التي نظمت نفسها فيها من هيئة تحرير كبرى، ثم من حكومة تمثلها، إلا بعد أن فرضت تلك اللجنة وجودها بأعمالها الكفاحية. فإذا كنا نريد حقاً أن نحرك قضيتنا وأن نخرجها من الجمود الرهيب الذي هي فيه والحلقة المفرغة التي تدور فيها، فمثال الجزائر هو الذي يجب أن نحذو حذوه. بحيث نبدأ بلجنة تحرير دون ضجة في النطاق التالي:

أ ـ تؤلف نواة من خمسة إلى عشرة أشخاص يختارون من بين الفلسطينيين العسكريين والمدنيين الموجودين في سورية والعراق وغزة والأردن، ويراعى في اختيارهم أن يكونوا ناضجين ومدركين لمهمتهم. وأعتقد أن هذا ممكن ومتوفر.

ب ـ تضم هذه النواة بعد تكونها من ترى فيه الاستعداد والنضج من عسكريين ومدنيين، على أن لا يزيد عدد الجميع على عشرين أو خمسة وعشرين، وحينئذ تأخذ اسم هيئة التحرير.

ت ـ تنشيء اللجنة مكتباً دائماً لها من أعضائها مؤلفاً من سكرتير عام ومساعد له وأمين مال عام ومساعد له ومستشار عسكري ومستشار سياسي.

ث ـ تضع اللجنة نظاماً داخلياً لنفسها ولمكتبها.

ج ـ يكون للجنة مركز تحشيد عسكري ومركز نشاط سياسي، والأول يجب أن يكون خارج حدود الدول المتاخمة لإسرائيل، بل يحسن أن يكون في البادية مثل الجرف أو بادية الشام أو بادية العراق. أما المركز الثاني فلا مانع أن يكون في إحدى المدن، ولعل لبنان أو الكويت أفضل مكان له الآن بسبب الظروف العربية الحاضرة.

ح ـ يدبر للجنة مبلغ مستعجل في حدود عشرة آلاف دينار لتتمكن من التحرك والانطلاق.

خ ـ تبذل اللجنة جهدها بمساعدتكم

للحصول على مساعدات نقدية وعينية من الحكومات العربية، وتحشد المساعدات العينية في مركز التحشيد، ويحسن أن يكون مما يحصل عليه من هذه المساعدات سيارات ولوريات وخيام ووقود سائل ومحطة إذاعة ومولد كهرباء وأدوات طبية الخ.

د ـ تعمل اللجنة إحصاء للقادرين على الدفع من الفلسطينيين في أرض فلسطين وخارجها، وتبذل جهدها في الحصول على مساعدات سنوية أو شهرية منهم، وأعتقد أن هناك آلافاً عديدة بل عشرات ألوف عديدة قادرون على الدفع قليلاً أو كثيراً يمكن أن يحصل منهم على مبالغ كبيرة تساعد في التمويل.

ذ ـ تتصل اللجنة بالذين تدربوا على الحركات العسكرية في نطاق جيوش سورية والعراق ومصر والأردن من ضباط وجنود فلسطينيين، وتجذب منهم من تقدر على جذبه في الخطوة الأولى. ثم تسعى بعد ذلك في تجنيد من تقدر عليه من شباب فلسطين. ومن المستحسن بل الواجب أن يجذب إلى هذه الحركة من يمكن جذبه وتجنيده من ضباط وجنود وشباب البلاد العربية الأخرى. وكل هذا ممكن وميسور.

ر ـ تتصل اللجنة بالجزائر بواسطتكم ومساعدتكم لتستعين بها بنخبة من المجاهدين الممارسين من ضباط وجنود ليكونوا قادة ومدربين. وأعتقد أن الجزائر مستعدة لذلك.

ز ـ تضع اللجنة خطة للعمل وفق الإمكانيات والظروف وتعيد النظر فيها من آن لآخر على ضوء النتائج.

س ـ أقدر أن بدء العمل الكفاحي المسلح يكون بعد إعداد (500) فدائي في الخطوة الأولى. ويحتاج هذا العدد للمرتبات والطعام والحاجات الأخرى التي لا يمكن الحصول عليها بالمساعدات العينية إلى مبلغ شهري في حدود ثلاثين ألف دينار.

أما اللجنة فتحتاج إلى مبلغ شهري في حدود خمسة آلاف دينار. ولا يصح أن يبدأ العمل المسلح ما لم يؤمن مبلغ يكفي لستة أشهر ويزداد المبلغ بزيادة العدد بطبيعة الحال.

ولقد قال الأستاذ تعقيباً على كلامي إنه مقتنع بأنه ليس هناك إلا مثل هذه الوسيلة، وأنه متبنيها بكل إيمان وعزم، وساع في سبيل إخراجها إلى حيز العمل والتنفيذ. وأطلعني على قائمة فيها أسماء عدد من الضباط الفلسطينيين في قطاع غزة وغيرها وقال إنه يثق من استعدادهم للعمل. وإنه سيبحث عن أمثال لهم في سورية والعراق. وأنه سيختار لجنة صالحة منهم تتولى العمل والتخطيط في النطاق المقترح.

ووعد بزيارتي بعد يوم أو يومين لإخباري بما يتم معه. ولكنه سافر دون أن أراه مرة ثانية في هذه الرحلة. وكلامه ولاسيما قائمة الأسماء التي أطلعني عليها يدلان على أنه يفكر جدياً في حركة تحريرية. والله أعلم بالسرائر.

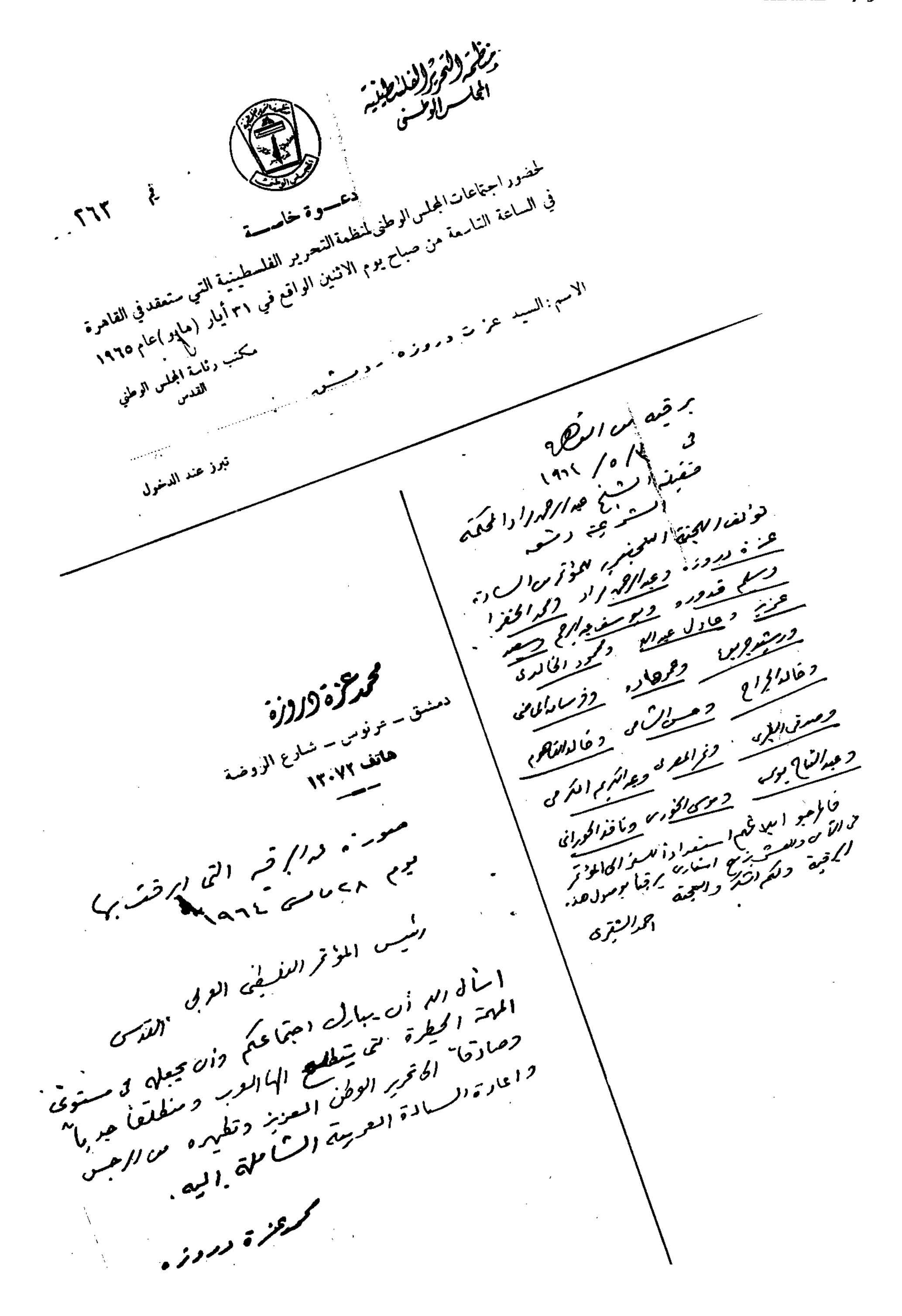
* * *

(23) حول الكيان الفلسطيني وأثره في تحرير فلسطين[1]
1963/10/16

يكثر الفلسطينيون وغيرهم الكلام حول الكيان الفلسطيني وضرورته، حتى ليخيل للمرء أنهم يعتبرونه الوسيلة المجدية إلى تحرير فلسطين. والمتبادر قبل كل شيء أن قيام هذا

---

(1) أرسل هذا المقال إلى جريدة الحياة البيروتية.



منظمة التحرير الفلسطينية
المجلس الوطني

دعـــوة خاصـــة

رقم ٢٦٢

لحضور اجتماعات المجلس الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية التي ستعقد في القاهرة
في الساعة التاسعة من صباح يوم الاثنين الواقع في ٣١ أيار (مايو) عام ١٩٦٥

الاسم: السيد عزت دروزه - دمشق

مكتب رئاسة المجلس الوطني
القدس

تبرز عند الدخول

برقية من القاهرة
في ١٢/٥/١٩٦٢
فضيلة الشيخ عبد الرحمن [illegible] المحكمة
الشرعية دمشق

تؤلف اللجنة التحضيرية لمؤتمر [illegible]
عزة دروزة وعبد الرحمن [illegible] وأحمد [illegible]
وسليم قدورة ويوسف عبد الرحيم [illegible]
عزيز وعادل عبد [illegible]
ورشيد جربوع ومحمود الخالدي
وعمر [illegible] وأسامة [illegible]
وخالد [illegible]
وحسن الشامي وخالد [illegible]
وصدقي [illegible]
ونمر المصري وعبد الكريم الكرمي
وعبد الفتاح [illegible]
وموسى الخوري ونافذ الحوراني
فالرجو ابلاغهم استعدادا للسفر الى المؤتمر
من الآن وسنبلغ [illegible] الرحلة
ولكم الشكر والتحية [illegible] بوصول هذه.

احمد الشقيري

محمد عزة دروزة
دمشق - عرنوس - شارع الروضة
هاتف ١٣٠٧٢

صورة البرقية التي ارسلت بها
يوم ٢٨ مايس ١٩٦٤

رئيس المؤتمر الفلسطيني العربي
القدس

أسأل الله أن يبارك اجتماعكم وأن يجعله في مستوى
المهمة الخطيرة التي يتطلع اليها العرب ومنطلقا جديا
وصادقا الى تحرير الوطن العزيز وتطهيره من الرجس
واعادة السيادة العربية الشاملة اليه.

محمد عزة دروزة

الكيان منوط بموافقة الحكومات العربية وبخاصة الحكومات التي يعيش في ظلها جماهير الفلسطينيين. ويبدو من ظواهر الأحوال أن الأردن لن يوافق على قيام هذا الكيان لأسباب يبرر بها موقفه، ولا تخفى حقيقتها. وفي الأردن 75٪ من الفلسطينيين، فإذا فرضنا أن الحكومات الأخرى وافقت على إنشاء هذا الكيان وحققت موافقتها فسوف يكون عديم الجدوى في مجال دعوى تمثيل فلسطين كما هو واضح.

وبين الفلسطينيين تيارات حزبية عديدة ومتعاكسة، وبين الحكومات العربية التي يعيش في كنفها الفلسطينيون تيارات متعاكسة أيضاً. فلو تحققت المعجزة ووافق الأردن فإن هذه التيارات ستعمل عملها القوي في مجرى الانتخابات العامة ثم في مجرى انتخاب الهيئات الخاصة التي سوف يوكل إليها تمثيل الكيان الفلسطيني. وسينشأ عن ذلك مناورات ومنافرات ومهاترات وأحقاد، وسيثير الطرف أو الأطراف الذين لا ينالون الأكثرية الاعتراضات الصارخة على صحة ونزاهة الانتخابات وينكرون تمثيلها للرأي العام الفلسطيني. وقد مرت فلسطين بتجربة في سياق انتخابات المجلس الإسلامي الأعلى سنة 1924 وخرج جميع الأطراف من المعركة محطمين أخلاقياً واجتماعياً ونفسياً، واستمر أثر ذلك أمداً طويلاً. وتأثرت به المؤتمرات التي عقدها الفلسطينيون من بعدها تأثراً شديداً. وكانت تياراته هي الناظمة لها والمؤثرة فيها. وأدى ذلك إلى فقدان الإنسجام بين الفئات التي كانت تتألف منها المؤتمرات وهيئاتها. وقد يقال إن هذا ينشأ في بلادنا العربية عن أي انتخابات، ولكن وجود سلطات حكومية في غير فلسطين يجعل ذلك محدوداً. وقصارى ما يمكن أن يفيده الكيان بعد ذلك هو البروز في المجال السياسي والدولي وصيرورة الكلام عن قضية فلسطين إليه دون غيره في هذا المجال. ويتبادر لي أن هذا الأمر مبالغ فيه كثيراً فالمتكلمون في قضية فلسطين من ممثلي الحكومات العربية كل ما جاء دور الكلام عنها في مختلف المجالات لا يخرجون عن الحدود التي توجب المصلحة العربية القومية عامة ومصلحة قضية فلسطين خاصة أن يكون دائراً في نطاقها. والفرصة متاحة لمندوبين فلسطينيين أن يتكلموا كل سنة في هيئة الأمم المتحدة ممثلين في كلامهم مطالب وأفكار أبناء وطنهم، والفرصة متاحة لمن يريدها من الهيئات الفلسطينية بإعلان الأفكار والمطالب الفلسطينية والدفاع عنها بمختلف الوسائل. وهناك الهيئة العربية العليا التي هي دائبة بدون انقطاع على ذلك.

ومع ذلك فإنه من الممكن أن تنبثق هيئة تمثيلية لفلسطين دفعاً لاعتراض من يعترض على تمثيل الهيئة العربية والنطق بلسانها بطريقة أقل تعقيداً وأقل سوء نتائج وتيارات متعاكسة مما يمكن أن يكون في محاولة إقامة الكيان بطريقة الإنتخابات العامة، كما يراد في حالة التغلب على العقبات الكأداء التي في طريق ذلك، وهي طريقة مؤتمرات فلسطين ومؤتمر غزة سنة 1948 الذي كان آخرها. وقد كان وظل أهل فلسطين يقابلون إنعقادها على الطريقة التي كانت تنعقد بها وما تختاره من هيئات ولجان تنفيذية بالرضى والتأييد.

وكانت هذه الطريقة دعوة الرجال الذين لهم صفات تمثيلية فيه، أو يختارون من قبل هيئات قائمة مهما كان شأنها، أو يحصلون على مضابط من أهل الحل والعقد في بلدانهم وأحيائهم. بل

إن اللجنة العربية العليا التي قامت في أوائل إضراب نيسان 1936 الطويل والتي لم تكن الهيئة العربية العليا إلا امتداداً واستمراراً لها، إنما قامت على ممثلي أحزاب فلسطين التي كانت على حال محدودة النطاق في مدى التمثيل العام، وقوبل قيامها بالرضاء والتأييد العام كذلك. واعتراض من يعترض على تمثيل الهيئة العربية العليا لفلسطين آتٍ من كون مؤتمر غزة قد اختار شكلاً آخر لتمثيل فلسطين، وأنهى حكماً الشكل القائم السابق قبله على ما جرت عليه مؤتمرات فلسطين. ولو احتفظ المجلس الوطني الأعلى الذي إنتخبه هذا المؤتمر فوق الحكومة التي انتخبها بصفته واستعمل صلاحيته لما كان هناك محل لذلك الاعتراض، ولكان للفلسطينيين هيئة تمثل آخر مؤتمراتهم التي كانوا يقابلون أمثالها بالرضاء والتأييد.

وهذا المجلس مايزال قائماً حكماً لأنه لم ينعقد مؤتمر آخر فليدع رئيسه إلى مؤتمر يشهده أعضاء مؤتمر غزة الأحياء، ويكون ما يقرره هذا المؤتمر هو النافذ الجديد في مجال التمثيل والكيان الفلسطيني.

نقول هذا ونحن نعرف أن رئيس الهيئة العليا طلب بصفته رئيس المجلس الوطني الأعلى من الحكومات العربية أن تسمح له بالدعوة إلى مؤتمر ليعين ممثلي فلسطين الذين يحق لهم البروز والكلام والنشاط في صدد قضية فلسطين ويخيّل إليّ أنه كان من الممكن أن يدعى إلى المؤتمر ويعقد بشكل ما بدون حاجة إلى هذا الطلب.. ولن يعجز رئيس المجلس الوطني ولا الفلسطيني أن يجمع منهم مئة وخمسين في مكان ما لعقد المؤتمر. والذي أعرفه أن الحكومات لم تجب سلباً ولا إيجاباً على الطلب. وقد يشجع هذا على المضي في عقده.

وإذا كنا نعجز عن مثل هذا العمل فعجزنا أشد عن إقامة الكيان الفلسطيني بطريقة الانتخابات العامة، بقطع النظر عما سوف تثيره من مشاكل وعقبات ومهاترات وأحقاد.

وقد تثير الطريقة التي نقترحها أو ما ينتج عنها اعتراضات، والاعتراضات واردة دائماً على أية عملية أخرى. فلا ينبغي أن يمنعنا ذلك من اختيار أهون الطرق وأقلها تعقيداً وسوء نتائج. وليس من كبير أمر إذا لم يتيسر للفلسطينيين هذا أو ذلك، لأن الفرصة تظل متاحة لهم على كل حال للكلام والنشاط في المجال السياسي والدولي والدعائي بواسطة الهيئة العربية العليا، وبواسطة ممثلي فلسطين الذين تختارهم الجامعة العربية. وهو قصارى ما يمكن أن يفيده أحدهما، لأنه لا يمكن أن ينبثق عن أي منهما حركة تحرير جدية. لأن الشرط الأساسي لمثل هذه الحركة أن يقوم على رأسها أناس ذوو إيمان عميق وبينهم انسجام وتواثق تامان. ولن يكون في كيان ينبثق بإحدى الطريقتين إمكان لقيام حركة تحريرية جدية. لأنه يكون جامعاً لمختلف التيارات والأهواء والفئات المتعاكسة المتشادة المتناحرة.

وتحريك قضية فلسطين وتحرير فلسطين بعد ذلك منوطان حصراً بمثل تلك الحركة التحريرية الجدية التي يقوم عليها أناس أقوياء شديدو الإنسجام والتواثق. ولسوف تظل قضية فلسطين تدور في الحلقة المفرغة التي تدور فيها إلى أن يقيض الله لها فئة من هؤلاء الناس، ولا حول ولا قوة إلا به.

وما نراه من الحوار والخلاف على من هو صاحب الصلاحية في تعيين وفد فلسطين للأمم

المتحدة لا طائل من ورائه لأنه أمر شكلي. ومن العجيب أن يكون هذا الحوار في حين أن الإتفاق حاصل على شخص من يرأس هذا الوفد بين المتحاورين. والمعترضون لم يعترضوا على اختيار مجلس الجامعة لمثل يمثل فلسطين فيه... ومن المفارقة أن يعترضوا عليه بعد ذلك لأنه اختار ممثلاً لفلسطين أمام هيئة الأمم. وليس هناك من فرق مادام المعترضون قد قبلوا اختياره كممثل لفلسطين في الجامعة...

***

(24) سماحة الأخ الكريم السيد أمين الحسيني حفظه الله

11 شوال 1384 ـ 24 شباط 1964

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعده فإني متابع لما تنشره الهيئة في هذه الحقبة من بيانات. وقد اطلعت على آخر بيان لما نشر في جريدة الكفاح العدد 18 شباط 1964، فرأيت من واجبي وإخلاصي للقضية ولسماحتكم معاً أن أكتب إليكم هذا الكتاب راجياً أن تستقبلوه بقول حسن وآملاً أن يكون فيه الفائدة والصواب.

1 ـ إني ألمح في بيانات الهيئة العربية العليا وبخاصة في آخر بياناتها حملة شديدة على السيد أحمد الشقيري. ولم أطلع في الصحف ولا فيما نشر عن لسانه على ما يبرر ذلك.

ولقد علمت أن الهيئة رشحته مع آخرين لتمثيل فلسطين في مجلس الجامعة بعد وفاة المرحوم أحمد حلمي باشا، كما قرأت في بيان نشر للهيئة أنها عينته رئيساً لوفد فلسطين إلى هيئة الأمم المتحدة. وهذا يعني أنكم منحتموه ثقتكم.

فإذا كان مجلس الجامعة قد اختاره مفرداً ليكون ممثل لفلسطين في الجامعة ومفرداً لتشكيل وفد فلسطين إلى هيئة الأمم، فهو على كل حال مؤيد بترشيحكم وثقتكم. ولقد كان تعيينه رئيساً لوفد هيئة الأمم من قبل الهيئة العربية بعد قرار مجلس الجامعة بذلك، فكان هذا داعماً للقرار بشكل ما. فهل بدا منه شذوذ وانحراف جوهري بعد ذلك أوجب استحقاقه لهذه الحملة التي بلغ فيها الغلو إلى حد اتهام جميع الحكومات العربية وملوكها ورؤسائها بأنهم قبلوا أن يكون ممثلاً لفلسطين في الجامعة، وأوكلوا إليه إقامة كيان فلسطيني بقصد تصفية القضية الفلسطينية كما جاء في البيان الأخير؟ لأني لا أريد أن أظن أو أفرض أو أصدق أنه استحق هذه الحملة منكم بسبب قبوله أن يكون ممثلاً لفلسطين في الجامعة وأمام هيئة الأمم بقرار مجلس الجامعة، ثم أن يقوم بمهمة السعي لإقامة الكيان الفلسطيني بقرار مؤتمر القمة، في حين أن الهيئة ترى أن التعيين من حقها أو من حق المجلس الأعلى لحكومة عموم فلسطين، لأن هذا يبدو أمراً شكلياً لا يبرر هذه الحملة من جهة.

وقد كان ترشيح الهيئة له ليكون ممثلاً لفلسطين ولو مع غيره، وتعيين الهيئة له رئيساً لوفد هيئة الأمم ولو بعد قرار الجامعة، مانعاً أو مسقطاً لكل ما يمكن أن يقوله أحد في حقه بالنسبة للفترة السابقة لذلك من جهة أخرى.

2 ـ في بيان الهيئة الأخير ذكر أن الهيئة علمت من أوثق المصادر أن المقصود من إقامة كيان فلسطين الذي تقرر في مؤتمر القمة هو إنشاء مكتب سياسي للنشاط في الأوساط الدولية

دون أي عمل نضالي تحريري. ويبدو أن هذا كان من الذرائع الى تلك الحملة. وكأنما هو من رأي وهدف السيد الشقيري. وقد تكون المناقشة في أمر لم تتبين معالمه وا كتفى بالقول فيه إنه مستقى من أوثق المصادر غير ممكنة. ولكن وقد قرأت تصريحات عديدة للسيد الشقيري في مجلة آخر ساعة ثم في جريدتي الحياة والكفاح، أقول إن هذه التصريحات واضحة كل الوضوح بأن الكيان المراد إقامته هو للعمل النضالي التحريري بقدر ما هو للعمل السياسي الدولي، بل إن فحواه يفيد إيجاب العناية بالأمر الأول لأنه الأشد والأساس والهدف. ولقد كنت اجتمعت به في دمشق قبل ثلاثة أشهر، وحدثته فيما خطر لي من بعض الخطط النضالية ووجوب اعتبارها الهدف الجوهري الذي لا يمكن لغيره أن يحرر فلسطين أو يحرك قضيتها من جمودها فاقسم لي أنه متفق معي على ذلك، وأن هذا هو هدفه الأساسي الذي ينشط في سبيله.

وليس من الإنصاف أن يقال إن كل هذا منه دجل وكذب ومتاجرة. ومن الإنصاف أن ينتظر حتى يظهر الدليل على الصدق والكذب والجد والدجل. وإذا كان هناك دليل صادق واقعي فيجب ذكره بوضوح حتى يكون الناس على بينة.

3 ـ إن الهيئة تشدد في أن يكون الكيان المراد إنشاؤه ممثلاً تمثيلاً صادقاً للشعب الفلسطيني. وهذا صواب وحق لا ريب فيهما. ولم أر في تصريحات السيد الشقيري شذوذاً عن ذلك. وتصريحاته المنشورة في جريدة الحياة عدد الجمعة 21 شباط تصريحات صريحة كل الصراحة وقوية كل القوة وشاملة كل الشمول في هذا الصدد، ثم في صدد الأهداف التي سوف يعمل هذا الكيان لها في المجال النضالي وفي المجال الدولي. وفي صدد استقلاله عن الحكومات العربية مع تعاونه معها. وفي صدد كونه للشعب الفلسطيني ومن الشعب الفلسطيني، بحيث لا يمكن لأحد أن يزيد عليها شيئاً.

4 ـ ولقد كنتم تتوافقون على أن يجتمع مجلس وطني مؤلف من عناصر تمثيلية ومعتمدة على النمط الذي كانت تعقد في نطاقه مؤتمرات فلسطين وآخرها مؤتمر غزة، فينتخب هيئات جديدة تمثل الشخصية الفلسطينية ويحدد معالم الميثاق القومي ويؤيده، ويكون هو بمثابة برلمان على نمط ما جرى في غزة. ثم رجعتم عن ذلك في بيانكم الأخير، وشددتم على وجوب انبثاق هذا المجلس من انتخابات عامة حرة نزيهة بريئة من الضغط والاستغلال والترغيب والترهيب الخ، معللين ذلك بما تم من تصافي الملوك والرؤساء وزوال المانع. وقد يكون هذا حقاً جميلاً ومرغوباً فيه. ولكني أتساءل هل تعرفون أن هذه الشروط تحققت في أية بقعة من بقاع الدنيا حتى العريقة في الديموقراطية، فضلاً عن البلاد العربية، وهل تعتقدون حقاً أنها يمكن تحقيقها بالنسبة للفلسطينيين الذين يعيشون في ظل حكومات عديدة مختلفة النظم والعقائد والميول؟ وهل لا يخطر ببالكم أن الناس الذين يعرفون كل ذلك حينما يقرأون هذه الشروط يتبادر لهم لأول وهلة أنها وضعت لتكون ذريعة مسبقة للاعتراض والطعن في أية نتيجة تنتج عن عملية انتخابية عامة إذا لم تأت كما تشتهون، حتى ولو جرت تحت إشراف لجنة الجامعة، لأنها على كل حال تتهم بأنها مماشية لعواطف وميول حكوماتها؟

وهل تجهلون أن الانتخابات بالنسبة

للفلسطينيين بنوع خاص الذين طوحت بهم النكبة وتقاسمتهم الأهواء وتشتتوا تحت كل كوكب وشعروا بضياع أليم سوف يرافقها أهواء وميول ومهاترات وتيارات وانقسامات أكثر بكثير مما قد يكون من مثل ذلك بالنسبة لأهل بلد مستقرين. وسوف تأتي بكل ذلك إلى المجلس الذي يجتمع فيه المندوبون. ولن يكون لمثل هذا المجلس وما ينبثق عنه من هيئات أي قدرة على عمل منتج في المجال السياسي وبخاصة في المجال النضالي، لأن العمل يحتاج إلى تواثق وانسجام. ومن المتعذر جداً أن يكونا مضمونين في انتخابات تجري في مثل هذه الظروف وما يرافقها.

هذا في حين أن فكرة المجلس الوطني الأول الذي يتألف من عناصر معبرة وتمثيلية ونقابية واعية تظل أقل احتمالاً لمثل تلك المشاهد الأليمة وأكثر احتمالاً للانسجام والتضامن والإنتاج. ومن الممكن أن تتكون لجنة تحضيرية من أشخاص معروفين بالنزاهة والحصافة والمعرفة من مختلف المناطق التي فيها فلسطينيون لتأمين ودعوة هذه العناصر. ومع ذلك فإن فكرة الانتخابات ليست مستبعدة في خطط الشقيري. وقد ذكرها في جملة ما ذكره من الوسائل. والأمر موكول إلى ما يتفق أهل الحل والعقد من الفلسطينيين على أنه الأفضل والأكثر إمكاناً وإنتاجاً. والأقل إزعاجاً ومشاهد مريرة.

5 ـ وهناك نقطة حساسة أريد أن أتعرض لها. فقد يقال ولماذا يتجاهل مجلس الجامعة ثم مؤتمر القمة الهيئة العربية العليا وسماحة رئيسها. وهم الذين شغلوا فراغ العمل لقضية فلسطين طيلة العشرين سنة ومثلوا فلسطين واعترفت بذلك الحكومات العربية والجامعة العربية وهيئة الأمم في وقت من الأوقات؟

وقد يكون هذا حقاً، غير أن الجميع يعرفون أن التواثق والانسجام مفقودان بين كثير من الحكومات العربية ولا سيما المؤثرة منها، وبين الهيئة وسماحة رئيسها، شئنا الاعتراف بذلك أم أبينا، لأنه واقع لا يمكن إنكاره. ولو سلمنا أنه ناشىء عن سوء تفاهم وأسباب باطلة ووشايات ودسائس وتضليل. وقضية فلسطين لا يمكن أن تستغني عن الحكومات العربية. والانسجام والتواثق بين هذه الحكومات والذين يضطلعون بالعمل في سبيل هذه القضية شرط لابد منه، إذا كان يراد لهذا العمل أن يكون منتجاً في مختلف المجالات ولا يمكن أن يفرضا فرضاً على كل حال. .

وخلاصة القول إننا اليوم أمام فرصة ذهبية، وهي موافقة جميع الحكومات العربية وملوكها ورؤسائها على قيام كيان فلسطيني وإبراز الشخصية الفلسطينية وتمكينها من العمل في سبيل تحرير فلسطين والدفاع عن قضيتها في مختلف المجالات، وإظهارهم الاستعداد للاعتراف به وتعضيده. وكان عدم الإجماع على ذلك هو الذي يعقد القضية، ولاسيما رفض الأردن الذي يعيش في ظل حكومته ثلاثة أرباع الفلسطينيين. وكل موقف أو مطلب أو نشاط مؤدٍ إلى تعطيل أو إضاعة هذه الفرصة وإغراقها في البلبلة ضار أعظم الضرر لقضية فلسطين التي كرستم حياتكم وجهودكم لها. وأعيذكم بالله وأناشدكم دينكم وإخلاصكم وضميركم وجهادكم أن لا يكون ذلك منكم ولا ممن يعملون معكم بأمركم أو برضائكم في أي حال.

وأحمد الشقيري بعد ليس قائداً عاماً، وليس رئيساً، وليس صاحب سلطة ونفوذ. وإنما هو مجرد وسيط ومنفذ مؤقت إلى أن تتم إقامة

الكيان الفلسطيني، فينتهي دوره الحاضر من جميع الوجوه، وتعود الأمور إلى هذا الكيان.

وهو يقول هذا، ويقول معه إن هذا الكيان يجب أن ينبثق من الشعب، وأن يكون ممثلاً للشعب، وأن تكون القيادة فيه جماعية. وإنه لن يكون تابعاً للحكومات. وسوف يكون مستقلاً يستعين بالحكومات والشعوب العربية والصديقة، ويكون الأساس فيه الشعب الفلسطيني. وهو يعلن أن لديه مخططات ومشاريع سوف يعرضها على الجميع ويتعاون فيها مع الجميع، ويسير في إتمام المهمة الموكولة إليه وفق ما يتفق عليه ويجده أهل الحل والعقد من الفلسطينيين.

فالواجب في اعتقادي والمصلحة العامة يقضيان علينا جميعاً ومن جملتهم الهيئة العربية أن تمشي معه إلى آخر الشوط، وتدرس ما عنده وتتعاون معه على إتمام المهمة المؤقتة الموكولة إليه، مادام أن الحكومات العربية ومؤتمر القمة قد انتدبوه لها بالإجماع، ومادام الإنسجام والتواثق مع هذه الحكومات لابد منه لنجاح أي عمل سياسي وتحريري. وما دمنا في أمسّ الحاجة إلى مساعدة وتعضيد هذه الحكومات، وما دام هو ملتزم بالعهود التي يقطعها على نفسه، وليس في يدنا دليل على مخامرته فيها، إلى أن تتم إقامة الكيان الممثل للشعب على أفضل الأسس الممكنة، حيث يأخذ هذا الكيان بعد ذلك الزمام ويسير قدماً إن شاء الله في سبيل الغايات المنشودة وأهمها النضال التحريري. فبهذا فقط نتجنب الانقسام والبلبلة، ولا نضيع الفرصة الذهبية السانحة أو نؤخر الانتفاع بها، ولا سيما أن هناك جماعات كثيرة في مختلف المناطق التي فيها فلسطينيون يرون هذا هو الأصلح المعقول. والله المسؤول أن يسدد خطانا جميعاً نحو أفضل السبيل، وأن يجنبنا الانقسام والمزالق والبلبلة، وأن يوفقنا الى اغتنام هذه الفرصة التي نرجوه أن يجعلها سعيدة ميمونة على قضيتنا الغالية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

***

(25) تسجيل لقاء وحديث بين الكاتب والأستاذ أحمد الشقيري 8 آذار 1964

في صباح الاثنين 2 آذار 1964 زارنا الأستاذ الشقيري في دمشق. وكان أذيع قبل خبر تكليفه من الجامعة العربية بالسعي إلى تهيئة أسباب إقامة كيان فلسطين وفقاً لما تقرر في مؤتمر القمة. وقد شجعناه على المضي في نشاطه وحبذنا ما اعتمده من الدعوة إلى مؤتمر فلسطيني ليختار لجنة تنفيذية، ويقر الميثاق والنظام اللذين أعلنهما في نشرة خاصة. وقلنا له إنه أمام تحد، وأمام أنظار الناس، وأن من واجبه لنفسه ولوطنه أن يبذل جهده في سبيل إقامة ذلك. وقد سر من التشجيع وقال إنه ماضٍ في نشاطه الى النهاية.

وقد سألناه عما إذا كان بينه وبين سماحة الحاج أمين الحسيني تشاد، فنفى وقال إنه هو الذي رشحه ليكون ممثلاً مع آخرين في مجلس الجامعة لفلسطين بعد شغور مركز فلسطين بوفاة المرحوم أحمد حلمي باشا. وإنه حينما رجع من القاهرة ثم من نيويورك التي ذهب إليها كممثل لفلسطين في بحث قضية فلسطين في هيئة الأمم اجتمع عليه وطلب أن يتعاون معه. بل وأن يكون جهده في نطاق رعايته. وإن ما احتوته بيانات الحاج أمين كرئيس الهيئة العربية

العليا ضد نشاطه هو نتيجة غيظ شخصي، لأن مجلس الجامعة انتخبه وحده ممثلاً لفلسطين دون الاثنين الآخرين اللذين رشحهما الحاج معه وهما إميل الغوري وإسحق درويش.

ولقد كنت أتابع كل ذلك، فكتبت للحاج أمين كتاباً في هذا الشأن وهو الوارد في الرقم (24)، فأخبرت الأستاذ الشقيري بمآل الكتاب فارتاح لذلك أشد الارتياح.

وقد سألته عن رحلته إلى فلسطين، فقال إنه قوبل مقابلات حماسية مشجعة من الملك والحكومة في الأردن والشعب في مختلف المدن والمخيمات في فلسطين والأردن، ولم يشعر بأي انقباض ولا معارضة لفكرة المؤتمر، وأنه عهد إلى الشيخ عبد الله غوشة والشيخ عبد الحميد السايح بدرس موضوع تشكيل لجنة تحضيرية، واتفق معهم على بعض أسماء يتعاونون معهم مثل راسم الخالدي وعارف العارف وغيرهما.

وسألته عن ما كان من أمر غزة، فقال إنه قوبل كذلك مقابلة حماسية ومشجعة دون معارضة، وأنه ألف هناك لجنة تحضيرية أيضاً.

وسألته عن مقابلاته مع أركان الحكومة السورية، فقال إنها كانت مشجعة وأنه يعتقد أنهم سوف يؤيدون ويشجعون. وقال إن الفلسطينيين في دمشق يأتون إليه زرافات ويظهرون حماساً وتشجيعاً لفكرة المؤتمر، وإنه اجتمع مع زكي التميمي مدير مكتب الهيئة العربية العليا في دمشق وأخبره أنه مستعد للتعاون مع المفتي، وطلب منه أن يكتب له بذلك، وسمينا له بعض الأسماء ليتكون منهم لجنة تحضيرية مثل محمد الخضراء وحمدي النابلسي وفائز الكنفاني وحسن الشامي والشيخ توفيق إبراهيم والشيخ عبد الرحمن مراد.

وقد قال إنه سيذهب إلى بيروت ويجتمع مع المفتي ثانية رغم ما بدر منه ضده ويكرر عليه التعاون معه ويبذل جهده لتشكيل لجنة في بيروت ثم في العراق والسعودية والكويت.

وقد اقترحت عليه أن يضيف إلى النظام ما يلي:

1 ـ أن يكون من دوائر اللجنة التنفيذية دائرة عسكرية.

2 ـ أن يتكون للجنة مكتب من رئيس اللجنة وأمينها العام ورؤساء الدوائر ليجتمعوا أسبوعياً لبحث الأمور الطارئة والجارية الهامة التي لا تحتاج إلى اجتماع اللجنة التنفيذية بكاملها. وأن يكون للمكتب دعوة هذه اللجنة إلى اجتماعات فوق العادة إذا مست الحاجة.

3 ـ أن ينص على وجوب انعقاد اللجنة التنفيذية مرة كل شهر أو كل شهرين، بالإضافة إلى الإجتماعات فوق العادة التي تمس الحاجة اليها خلال ذلك.

4 ـ أن ينص على إيجاد فروع أو مكاتب للمنظمة في العواصم العربية وفي عواصم الدول المهمة الأجنبية.

وقد نبهناه إلى أهمية لجنة التنسيق بين اللجان التحضيرية ووجوب اختيارها من مختلف البلاد ومن أشخاص موثوقين ومرموقين. وإلى وجوب وضع مبلغ من المال تحت تصرفها لتيسير انعقاد المؤتمر. والى وجوب وضع مبلغ من المال كذلك تحت تصرف اللجان التحضيرية لتيسير سفر المندوبين. وإلى وجوب تأمين سفر المندوبين مع الحكومات في سورية ولبنان وغزة والكويت والسعودية والعراق بسبب العراقيل التي توضع عادة أمام تنقلات الفلسطينيين.

ولقد أذاعت الهيئة العربية العليا أثناء وجود

الأستاذ الشقيري في دمشق بياناً ذكرت فيه أنه يتجاوز صلاحياته، وأن مهمته هي الاستطلاع ثم الرجوع إلى مؤتمر القمة، وليس عقد مؤتمر وانتخاب لجنة تنفيذية له. فزرنا الأستاذ الشقيري في فندقه في 64/3/6 وحدثناه في ذلك، ولمحنا منه أنه هو الآخر ليس متأكداً من مهمته أهي استطلاعية أم تنفيذية. فاقترحنا عليه العودة إلى مصر ولا سيما أن لجنة ممثلي الملوك والرؤساء تنعقد في هذه الآونة، وعرض ما جرى معه في جولاته في قطاع غزة والضفة الغربية والضفة الشرقية وسورية وإطلاعهم على ما وضعه من ميثاق ونظام وأخذ رأيهم في كل ذلك. وحملهم على توضيح مهمته ليمضي في نطاق ذلك حتى لا ينعقد المؤتمر ثم تذهب الجهود سدى. ويحسن أن يخبرهم أن بعض الناس يحبذون أن يجري انتخابات لمندوبي المؤتمر. وأن ذلك مستحسن إن أمكن حتى ينقطع الاعتراض على المؤتمر في المستقبل. وإذا حبذوا ذلك حبذوه لحكوماتهم لتحقيقه فتلقى اقتراحي بالموافقة مع التردد.

ثم جاء لزيارتي ليلة 64/3/7 ، فأكدت عليه كلامي، فقال إنه مرتبط بموعد سفره إلى العراق، وأنه أرسل رسالة الى القاهرة، وطلب من ممثلي الملوك والرؤساء جواباً عليها في العراق. وأنه إذا لم يتلق الجواب فسيذهب الى القاهرة. وكلامه يؤيد ما لمحناه من أنه ليس متأكداً من مهمته، ومع ذلك فقد لمحنا أنه قد يسير في خطته في أمر التنفيذ والدعوة إلى المؤتمر وعقده ليجعل الحكومات والناس أمام أمر واقع. وقد أظهرنا عجبنا من عدم تعيين لجان تحضيرية في قطاع غزة وفلسطين وسورية، فقال إنه مستحضر على الأسماء وسيتم ذلك في هذه الفترة. وقد أكدنا عليه ثانية بذل الجهد في عرض التعاون مع سماحة الحاج أمين الحسيني، وأن يطلب منه ترشيح أسماء للجان التحضيرية وللمؤتمر، ويظهر استعداده للتفاهم معه على كل أمر من أمور المؤتمر ولجنته التنفيذية، فوعد.

***

(26) سيادة رئيس المجلس الوطني الفلسطيني المحترم[1]

20 مارس 1964

أحييكم والمؤتمر بتحية الإسلام، وأسأل الله عز وجل أن يبارك اجتماعكم، وأن يجعله في مستوى المهمة الخطيرة التي يتطلع اليها العرب، ومنطلقاً جدياً وصادقاً إلى تحرير الوطن العزيز وتطهيره من الرجس، وإعادة السيادة العربية الشاملة إليه.

وإذا كانت حالتي الصحية تحول دون مشاركتي شخصياً في المؤتمر، فإن ذلك لا يمنعني من المشاركة بقلبي وآمالي ثم ببعض اقتراحات تنظيمية خطرت لبالي.

ولقد تبادر لي من الإمعان في مشروع النظام الذي وضعه السيد أحمد الشقيري أن كثيراً من مواده هي في صدد ما قبل انعقاد المجلس، كما أن في مواده العائدة إلى ما بعد الانعقاد ما يحتاج إلى تركيز وتعديل. وقد وضعت مشروعاً ليكون نظاماً مستمراً وتاماً إن شاء الله، وها أنا أضعه بين يدي المجلس.

ولقد تبادر لي أن المادة (17) من مشروع

(1) أرسل هذا الكتاب في مناسبة انعقاد المجلس لأول مرة في القدس، وكان الكاتب تلقى دعوة عضوية للمؤتمر فحالت حالته الصحية دون الاستجابة.

الميثاق تحتاج إلى توكيد وتوضيح. وقد كتبت عبارة لتضاف إلى هذه المادة ليرى المجلس الموقر رأيه فيها.

ولقد عنّ لي نص توصية أرجو عرضها على المجلس وإقرارها. والله الموفق إلى ما فيه الخير.

أولاً ـ الإضافة التي اقترحها على المادة (17) من الميثاق:

ونتيجة لذلك فإن كل إقرار أو اعتراف أو تسوية من أي كان وبأي شكل كان في صدد فلسطين هو باطل.

وأن واجب الجهاد على الشعب العربي محتوم مستمر الوجوب إلى أن تتحرر فلسطين كاملة وتعود إليها السيادة العربية.

***

ثانياً ـ نص التوصية المقترحة:

يوصي المجلس الوطني اللجنة التنفيذية ببذل جهودها الدائبة باستمرار للتفاهم والتعاون مع مختلف الهيئات والتكتلات والعناصر والشخصيات الفلسطينية وجمع كلمتها وتوحيد جهودها في نطاق الميثاق وأهدافه.

***

ثالثاً ـ مشروع نظام لمنظمة تحرير فلسطين:

1 ـ تنشأ بموجب هذا النظام منظمة باسم (منظمة التحرير الفلسطينية) لتباشر مسؤولياتها وفق مواد الميثاق المقرر في المجلس ومواد هذا النظام الآتية، وما يصدر استناداً إليها من قرارات ولوائح وأنظمة.

2 ـ الفلسطينيون جميعاً أعضاء طبيعيون في هذه المنظمة، يؤدون واجبهم في تحرير وطنهم، كل بقدر طاقته وكفاءته.

3 ـ الشعب العربي الفلسطيني هو القاعدة الكبرى لهذه المنظمة، وتعمل هذه المنظمة بعد قيامها على الاتصال الدائم بالشعب وتنظيمه وتعبئته، بحيث يكون قادراً على الاضطلاع بعبء مسؤوليته القومية في تحرير وطنه.

4 ـ تتمثل هذه المنظمة بالهيئات التالية:

آ ـ مجلس وطني عام يمثل جميع الفئات الفلسطينية من مقيمين ونازحين.

ب ـ لجنة تنفيذية.

ت ـ مجلس شورى.

5 ـ يتألف المجلس الوطني من مندوبين يختارهم الفلسطينيون. وعلى اللجنة التنفيذيةأن تبذل جهدها ليكون هؤلاء المندوبين في الدورات الآتية مختارين بطريق الانتخاب العام، وفقاً لنظام تضعه بعد استشارة مجلس الشورى.

وفي حالة تعذر إجراء انتخابات عامة لدورة من الدورات أو في بلد من البلدان، تبذل اللجنة جهدها ليكون مندوبو تلك الدولة أو البلد ممثلين للمنظمات والهيئات والاتحادات والنقابات وذوي الرأي والتمثيل من مختلف الاتجاهات والفئات، وتتخذ الوسائل الكفيلة لذلك بمشاورة مجلس الشورى.

6 ـ يعقد المجلس الوطني دورة كل سنتين، واحدة في القدس وأخرى في غزة على التعاقب. واللجنة التنفيذية تعين زمن الاجتماع، ولها أن تبدل مكانه في حالة تعذر عقده في إحدى المدينتين بمشاورة مجلس الشورى.

7 ـ المجلس يضع نظامه الداخلي الذي يسير عليه.

8 ـ اللجنة التنفيذية تتألف من خمسة عشر عضواً يختارهم المجلس الوطني في كل دورة بالطريقة التي يقررها، وليس ما يمنع تكرار اختيار أعضاء الدورة السابقة، وهي تختار

رئيسها ونائباً له وأميناً عاماً، وتضع نظامها الذي تسير عليه، وهي مسؤولة أمام المجلس الوطني.

9 ـ اللجنة تقرر في أول اجتماع لها مكان مركزها الدائم، ولها أن تبدله إذا الزمت الظروف بمكان آخر مؤقت أو دائم.

10 ـ تنشىء اللجنة الدوائر التالية: دائرة الشؤون السياسية ـ دائرة الإعلام ـ الدائرة المالية ـ دائرة الشؤون العسكرية ـ دائرة الشؤون العامة.

ويتولى كل دائرة مدير عام تعينه اللجنة مع ما تقتضيه ظروف العمل من موظفين يرشحهم المدير. وتعين اللجنة اختصاصات كل دائرة وسير نشاطها في نظامها الداخلي.

11 ـ يكون للجنة مكتب دائم يتألف من الرئيس ونائبه والأمين العام ومديري الدوائر. ويجتمع مرة في الأسبوع لبحث الأمور المشتركة والهامة.

12 ـ تعقد اللجنة اجتماعاً عادياً كل شهرين. واجتماعات غير عادية إذا قرر ذلك المكتب أو طلبه خمسة من أعضائها، والمكتب يعين مكان وزمان هذه الإجتماعات.

13 ـ للجنة أن تدعو المجلس الوطني في الزمان والمكان اللذين تقررهما بموافقة ثلثي أعضائها إلى اجتماع غير عادي إذا اقتضت الظروف ذلك. كما أن عليها أن تدعو إلى مثل هذا الاجتماع إذا طلبه ثلثا أعضاء مجلس الشورى.

ويكون هو نفس المجلس الذي تمثله دون ما حاجة إلى تجديد الانتخاب.

14 ـ للجنة أن تؤلف لجاناً لدراسة مختلف الشؤون والخطط لتسيير الأعمال.

15 ـ للجنة أن تنتدب من تراه لما تراه من أعمال ومهام.

16 ـ اللجنة تنتدب من تراه لتمثيل فلسطين لدى جامعة الدول العربية. وعليها أن تبذل جهدها ليكون الممثل قوياً فعالاً.

17 ـ مجلس الشورى يتألف من ثلاثين عضواً يختارهم المجلس الوطني في كل دورة من ذوي الرأي والعلم والمكانة والجهد من الفلسطينيين من أعضاء المجلس وخارجه.

وعلى اللجنة التنفيذية أن تدعوه من آن لآخر لمشاورته في مختلف الشؤون والمشاريع الهامة، وتسير على ضوء توصياته. وعليها أن تدعوه إلى الإجتماع والاستماع لما يقوله من توصيات وأفكار إذا طلب ذلك عشرة من أعضائه. وله أن يجتمع من تلقاء نفسه إذا لم تستجب اللجنة إلى هذا الطلب، وأن يقرر ما يراه من توصيات، ويبلغها للجنة التي يجب عليها أن تعيرها اهتمامها.

18 ـ تشكل دائرة الشؤون العسكرية فصائل فلسطينية خاصة بقيادات فلسطينية، على أن يكون التعاون وثيقاً بينها وبين القيادة العربية الموحدة.

19 ـ تنشىء الدائرة المالية صندوقاً بإسم الصندوق القومي لتمويل أعمال المنظمة. وتتألف موارده:

أولاً ـ من ضريبة ثابتة بنسب متنوعة تفرض وتجبى من الفلسطينيين بموجب نظام تضعه اللجنة التنفيذية بمشاورة مجلس الشورى.

ثانياً ـ من المساعدات التي تقدمها الحكومات العربية والشعب العربي في مختلف أنحاء الوطن العربي.

ثالثاً ـ من طابع تحرير تنشئه الدول العربية لاستعماله في المعاملات المتنوعة. ومن جملة ذلك المراسلات البريدية وتذاكر السينما

والمسارح وفواتير الكهرباء والهاتف والمياه الخ.

رابعاً - من التبرعات التي تقدمها الحكومات والشعوب الصديقة.

خامساً - من الجبايات والإيرادات والتبرعات المتنوعة في المناسبات المتنوعة.

ويكون إنفاق أموال هذا الصندوق منوطاً بميزانية وقرارات تقررها اللجنة التنفيذية. وعلى هذه اللجنة أن تقدم حساباتها لفاحص حسابات قانوني، ثم إلى المجلس الوطني مرفقة بتقرير هذا الفاحص.

20 - تنشىء اللجنة التنفيذية مكاتب لها في العواصم العربية، وفي أي مدينة أو عاصمة أجنبية، حيث يكون ذلك ضرورياً ومفيداً.

21 - تنشىء اللجنة التنفيذية في البلاد العربية والصديقة لجاناً بإسم لجان نصرة فلسطين لجمع التبرعات وتأييد المنظمة في مساعيها القومية.

22 - للمجلس الوطني تعديل هذا النظام بالطريقة التي تقرر بها لأول مرة.

***

(27) تلقى الكاتب من مدير مكتب منظمة تحرير فلسطين في دمشق كتاباً يطلب منه بيان أفضل الطرق: 3 نيسان 1965

1 - لزيادة الثقة بين الحكومات والشعب الفلسطيني.

2 - لتجنب التصارع بين الأحزاب والإتجاهات المتناقضة في داخل كيان منظمة التحرير.

3 - لتنظيم الشعب الفلسطيني رجالاً ونساءً.

4 - لأسلوب التنسيق والتنظيم الشعبي وإستراتيجية العمل.

وهذا الكتاب على ما يبدو عام أرسل إلى الكاتب وإلى آخرين.

وقد أجاب الكاتب بما يلي:

1 - أرى من المفيد لمختلف المقاصد التنظيمية والتثقيفية أن يقسم الفلسطينيون في البلاد التي يوجدون فيها إلى وحدات كل وحدة تضم 300 شخص حسب مناطق سكنهم وليس حسب البلاد التي ينتمون إليها في فلسطين. ويكون لكل وحدة لجنة مؤلفة من عريف وثلاثة أعضاء تكون همزة وصل بين الوحدة ومكتب المنظمة. تقدم إليه مشكلات أفراد الوحدة وما عندهم وعندها من مقترحات وأفكار متنوعة. وتبلغ أفراد الوحدة ما تتلقاه من تبليغات. ومن المفيد أن يكون لكل وحدة سجل خاص يحتوي المفيد من المعلومات عن أفراد الوحدة.

وفي المناطق التي يكون فيها نساء مثقفات يكون من المفيد تكوين وحدات نسائية خاصة، لها عريفات ولجان، وتكون مهمتها نفس المهمات السابق ذكرها.

2 - أما الوسائل التي تجعل الفلسطينيين يوالون المنظمة ويتعلقون بها فإنها في رأيي في جملة واحدة، وهي أن ذلك رهن بما يبدو من المنظمة من جهد وجد في تحقيق أهدافها وحل مشاكل الفلسطينيين وتحسين أحوالهم، حيث يكون التعلق والولاء متناسبين مع ذلك قوة وتراخياً. ويحسن أن تبذل المنظمة ومكاتبها جهودها في إزالة أسباب الجفاء بين الشخصيات والهيئات الفلسطينية. فإن ذلك مما يساعد على ازدياد تعلق الفلسطينيين بها والولاء لها. ويحسن كذلك أن تنشىء المنظمة أندية في

المدن التي يكثر فيها الفلسطينيون، فتعقد فيها ندوات التوعية والتثقيف وتخفيف حدة التناقض في الميول والاتجاهات، ويكون فيها لجان رياضية وثقافية. وقد يكون هذا مما يساعد على تعلق الفلسطينيين بها وموالاتهم لها.

3 ـ أما وسائل تقوية الثقة بين الفلسطينيين والحكومات العربية، فالذي يتبادر لي أن المهم في هذا المجال بذل الجهد في جعل الفلسطينيين في منأى عن المنازعات والخلافات والعصبيات الحزبية الضيقة المحلية. وفي توجيه كل جهودهم إلى ما فيه نفع وخدمة لقضيتهم.

* * *

(28) الأخ الدكتور منيف الرزاز المحترم[1]
7 حزيران 1965

سلاماً واحتراماً. وبعد، فقد قرأت خطابكم الذي ألقيتموه في حفلة أسبوع فلسطين. ولفت نظري قولكم (نذكر الخيانة العربية حين كان الصهاينة يبنون لبنة لبنة ومدماكاً وراء مدماك وبندقية فوق بندقية، وزعماء العرب في فلسطين يتلهون بالخلافات وبالهروب من أرض المعركة في نفس الوقت الذي يتساقط فيه الشهداء من الجماهير في معركة سنة 1936).

وقد رأيت للحقيقة والتاريخ أن أكتب لكم هذا الكتاب وأذكركم بالصورة التي كان عليها الأمر في سنة 1936 والتي هي مخالفة لما قلتموه.

ولقد انبعثت معركة سنة 1936 من الإضراب الطويل. ولما أعلن الإضراب تألفت في مدن فلسطين لجان قومية تمثل فيها مختلف الأحزاب والتيارات والنحل العربية، ثم تألفت اللجنة العربية العليا من مثل ذلك. ونتيجة لذلك توقف كل خلاف بين الزعماء ثم بين أشياعهم وأنصارهم، بل توقف شذوذ من كانوا يشذون، وصار الجميع جبهة وطنية واحدة. وبفضل ذلك أمكن إطالة الإضراب لمدة ستة أشهر مما لم يكن له مثيل، وشمل كل مرافق الحياة العربية ونشاطاتها الاقتصادية.

وبفضل ذلك استطاع رجال الجهاد من الزعماء أن يحركوا المجاهدين، وأن يغذوا حركة الجهاد مرحلة بعد مرحلة، وأن يكبدوا الإنكليز واليهود خسائر فادحة، وأن يضيقوا عليهم الخناق، مما جعل الإنكليز يلجأون إلى ملوك العرب ويعدون بحل عادل للقضية ويلتمسون منهم التدخل لفك الإضراب. وقد استجاب الملوك واستجاب الزعماء والشعب وهم شاعرون أنهم في موقف المنتصر. وظل المجاهدون يحتفظون بتنظيماتهم وسلاحهم متهيئين لاستئناف الجهاد إذا لم ينجز الإنكليز وعودهم.

ولقد كان الإنكليز أثناء الإضراب والثورة التي انفجرت في ظله يتصيدون كثيراً من زعماء الحركة ورجالاتها وشبابها ويعتقلونهم، حتى بلغ عددهم بضع مئات من معاقل صرفند. وكانوا من مختلف الأحزاب والنحل والتيارات تبعاً لبنية الحركة الوطنية الجديدة. ولم يغادر أحد من الزعماء ورجال الحركة أرض المعركة في سنة 1936، بل كل منهم ساهم فيها بما استطاع.

ولا بد من الاستطراد إلى ما بعد سنة

---

(1) كان الدكتور في هذا الظرف يشغل مركز الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي في سورية.

1936، لأن المعركة لم تكن فاصلة. ولقد كان زعماء الجهاد يتوقعون نكث الإنكليز. فلم يكد الإضراب يضع أوزاره حتى أخذوا يتهيأون لاحتمالات المعركة الجديدة. ورحل بعضهم إلى العراق وبعضهم إلى الرياض وبعضهم إلى مكة بسبيل ذلك.

ولقد ذر قرن الخلاف حقاً من جديد بين الزعماء بعد معركة 1936، ولكن هذا كان بشذوذ فريق واحد من اللجنة العربية العليا قبيل صدور تقرير اللجنة الملكية بإنشاء دولة لليهود في قسم من فلسطين وضم باقيها إلى مملكة الأمير عبد الله أمير شرق الأردن إذ ذاك بتحريض منه، حتى لا يلتزم هذا الفريق الذي كان موالياً للأمير برفض تقرير اللجنة الملكية من قبل اللجنة العربية العليا، حيث انسحب هذا الفريق من اللجنة. أما بقية فرقاء اللجنة فإنها صمدت، وحافظت اللجنة العليا على كيانها برغم انسحاب ذلك الفريق. وبكلمة أخرى ظلت الأكثرية العظمى من الزعماء والجماهير في جانبها، واستمرت عل نضالها ونشاطها. وكان من ذلك مؤتمر بلودان العربي العام، والرحلات المتنوعة لتهيئة الأسباب والوسائل لاستئناف المعركة الذي أصبح محتماً بعد صدور تقرير اللجنة الملكية ولم تلبث الثورة أن انفجرت في خريف عام 1937، فألغت السلطات الإنكليزية اللجنة العربية العليا واعتقلت من كان من أعضائها في فلسطين، وحاصرت رئيسها الذي لم تستطع اعتقاله في الحرم ونفت المعتقلين إلى سيشيل. وأعلنت قوانين منعت بها من كان من أعضاء اللجنة خارج فلسطين، الذين كانوا يهيئون أسباب النضال والمعركة في سورية ولبنان والعراق من العودة إلى فلسطين. واعتقلت المئات من رجال اللجان القومية الذين ظلوا يتعاونون مع فرقاء اللجنة العربية العليا وغيرهم من الشباب الوطني.

وأخذ زعماء الحركة الذين ظلوا خارج فلسطين أو استطاعوا الإفلات منها، ـ وكان الإفلات بطولة، ولا يصح أن يوصف هروباً لمثلهم ـ، يبذلون جهودهم بالتعاون مع رجال الجهاد، ويهيئون وسائل الكفاح ويتجشمون في ذلك المشاق والمخاطر ببطولة وتفانٍ، ويتغلبون على العراقيل المتنوعة الكثيرة في الداخل والخارج. حتى كان ما كان من نمو الثورة ووصولها إلى ذروتها وشمولها لفلسطين وتحكمها فيها، وإيقاعها الخسائر الفادحة في الإنكليز واليهود، وانتصارها في النهاية ذلك الإنتصار الرائع الذي تمثل باضطرار الإنكليز إلى إعلان إلغاء إنشاء الدولة اليهودية وتقسيم فلسطين، واستعدادهم لتحقيق المطالب العربية التي كانت تتمثل في هذه المرحلة في منع الهجرة اليهودية ومنع بيع الأراضي لليهود وإنشاء حكم وطني بأكثرية عربية ينتهي إلى الاستقلال حسب ما جرى في سورية والعراق.

ولم يهرب من فلسطين بقصد الهروب إلا زعماء الفريق الشاذ من اللجنة العليا الموالي للعاهل الأردني، الذي تواطأ على تقسيم فلسطين مع اللجنة الملكية. ولقد حاول هذا الفريق عرقلة نمو الثورة فأخفق، وتجهم لهم رجالها، فلم يسعهم إلا الهروب من فلسطين حتى لا ينالهم بطشها.

ولم يكن هذا الانتصار الرائع على أكبر وأقوى وأخبث قوتين عالميتين الإنكليز والصهيونية ليتم لولا جهود الزعماء الوطنيين الذين قادوا وغذوا حركة الجهاد، وتغلبوا على ما كان يقوم أمامهم من صعاب داخلية وخارجية، وما كان من شح الأسباب والوسائل. وإنه لمن

الظلم الصارخ أن لا يذكر جهادهم بالإكبار والإجلال، بله أن ينسى، بله أن يشتملهم اتهام المتهمين بالخيانة والهروب.

وإذا كان الانتصار لم تتحقق نتائجه، فليسوا مسؤولين عنه لأن نشوب الحرب العالمية الثانية قلب الموازين.

ولقد دعت الحكومة الإنكليزية ممثلي الحكومات العربية مصر والسعودية واليمن والعراق والأردن وممثلي فلسطين إلى مؤتمر عقد في لندن في أواسط عام 1939 للنظر في حل جديد غير التقسيم المرفوض والملغى، فأخفق بسبب مراوغتها وتجهم الجو الدولي منذراً بالحرب العالمية، فجعل ذلك إنكلترا وفرنسة تتعاونان على إخماد الثورة التي ظلت متقدة بعد إخفاق المؤتمر. وكان من نتائج ذلك أن طاردت فرنسة زعماء الحركة ومديريها في سورية ولبنان وضيقت عليهم وجمدت نشاطهم بالاعتقال والمحاكمات والتشريد، ووصل هذا ذروته عقب إعلان الحرب.

ولقد أخذت الحكومة الإنكليزية بعد السنة الثانية من نشوب الحرب تسمح لبعض زعماء الحركة واللجنة العليا بالعودة، فلم يتأخر أحد ممن سمح لهم بالعودة. واستأنفوا النشاط السياسي والوطني بالصور المتنوعة التي استطاعوها. وظلوا على ذلك إلى حين صدور قرار التقسيم في آخر تشرين الثاني 1947 ونشوب الحرب الشعبية أولاً والرسمية أخيراً. وما نجم من خلاف بين بعضهم لم يعطل ولم يجمد ذلك النشاط الذي تمثل قوياً في نطاق الهيئة العربية العليا في تشكيلها الجديد الذي تم بإشراف الجامعة العربية في حزيران 1946، وقد كان من أعضاء هذه الهيئة حين نشبت الحرب العربية اليهودية الشعبية والرسمية المذكورة أحمد حلمي عبد الباقي والدكتور حسين الخالدي وجمال الحسيني ورفيق التميمي يغذون الحركة ويتعاونون مع رجالاتها على مختلف المستويات. أما بقية أعضاء الهيئة الذين ظلوا ممنوعين من العودة وبقوا في سورية ولبنان ومصر مثل سماحة الرئيس الحاج أمين الحسيني وعزة دروزة ومعين الماضي وإسحق درويش والشيخ حسن أبو السعود، فقد كانوا بدورهم مع رجال الحركة الوطنية الكثيرين يبذلون جهودهم الجبارة في تنظيم العمل وتغذية الحركة والمشاركة في النشاط السياسي على مختلف المستويات.

فمن الظلم الصارخ أن يقال إنهم كانوا يتلهون على ضفاف النيل وبردى ونهر الكلب. ومن الظلم الصارخ أن يعمم وصف الخيانة ليشملهم مع الفريق المنحرف. ومن الظلم الصارخ أن يحملوا مسؤولية الإخفاق والنكبة. وإذا كان هناك من مآخذ عليهم فهي على كل حال ليست عمداً وعن سوء نية، وإنما هي نتيجة النشأة والطاقة، وذلك خارج عن إمكان التحكم فيه. وبتدخل الحكومات العربية السبع ورجالاتها وأجهزتها يصبح نصيبهم من تلك المسؤولية ضئيلاً جداً إذا كان لابد من أن يرسم نصيب لهم منها.

ولقد صار عدد الدول العربية المستقلة ثلاث عشرة[1]، بعد أن لم يكن مستقلاً إلا ثلاث، وكان أربع منها تحت الاحتلال. وصار لها من النمو والقوة ما لا يقاس عليه الحال السابق. ومع ذلك ما يزالون يراوحون مكانهم ويقصرون

---

(1) كتبت هذه الرسالة قبل أن تطرح البركة في العدد ويصبح ثماني عشرة بانضمام جنوب اليمن ومسقط وأبو ظبي وقطر والبحرين كدول مستقلة إلى الجامعة العربية.

عن إحراز ما أحرزه الجهاد الفلسطيني تحت قيادة الزعماء المخلصين، مما يجعل النصيب من المسؤولية هباءً.

على أن من الحق أن يذكر جهاد الزعماء الفلسطينيين المخلصين على مختلف المستويات قبل سنة 1936 الذي كان من مظاهره المظاهرات والثورات والمؤتمرات العديدة العامة والخاصة والعربية والإسلامية والوفود العديدة إلى بلاد العرب والإسلام والبلاد الأجنبية الأخرى، بهدف المناوأة للحركة الصهيونية والإنتداب الإنكليزي، وقرع ناقوس خطرهما على البلد المقدس الإسلامي المسيحي. ولما ظهرت حركة هتلر واشتد الضغط حتى أدى الى تدفق الهجرة اليهودية أكثر من ذي قبل بعد أن كان ضعيفاً، وكان النشاط الاقتصادي والسياسي اليهودي ضيقاً، قاد الزعماء الشعب في المظاهرات التحررية الكبرى سنة 1933، وكانت هذه المظاهرات بداية الجد والجهاد الذي بلغ ذروته في سني 1936 ـ 1939.

ولقد كان بين العرب خائنون وباعة أرض وسماسرة وضالعون مع اليهود والإنكليز، وكان من هؤلاء زعماء ووجهاء، غير أنهم كانوا قلة منبوذة مدموغة بالخيانة منظوراً اليها شذراً ومعرضة للنكال والتأديب. ولم يكن من شأنها أن تعطل حركة الكفاح والنضال التي قادها الرجال المخلصون، واندمج فيها جمهور شعبنا الأعظم.

وهذه الصورة التي أرسمها بإيجاز معروفة مدونة، ولا تزال ماثلة في أذهان من رافق مراحل القضية، بحيث أني أستغرب أن لا تكون ماثلة في ذاكرتكم.

وإني أحب أن أعتقد أنكم تولون الحق والحقيقة الاعتبار اللائق بهما. ولا تحبون أن تشوه صورة المخلصين وجهادهم بدون حق. وهذا ما يجعلني وأنا من الذين يمكن أن يعنيهم بعض أقوالكم أن أرجو باسمي وباسم سائر الزعماء ورجالات الوطنية المخلصين الأحياء منهم والأموات، أن ترجعوا إلى ضميركم وأن تصححوا الصورة التي صدرتم في أقوالكم عنها. وآمل أن تسمحوا بنشر هذا الكتاب في إحدى صحفكم، ولا يمكن نشره إلا إذا سمحتم بذلك، حتى تصحح الصورة التي قد تكون انطبعت في أذهان من سمعوا وقرأوا خطابكم. ولكم احترامي وتقديري.

***

وقد تلقينا من الدكتور الرزاز الجواب التالي:

حزب البعث العربي الاشتراكي
القيادة القومية
مكتب الأمانة العامة
رقم 51
تاريخ 1965/6/24

حضرة الأستاذ الكبير السيد محمد عزة دروزة.

تحية عربية صادقة وبعد، فلقد امتننت كثيراً لاستلام رسالتكم التي ترمون من ورائها إلى تصحيح بعض ما قلته في خطابي عما حدث عام 1936 وقبله وبعده. وبهذه المناسبة أحب أن أعرض بعض النقاط التي لا أظن إلا أنكم توافقونني عليها.

أولاً ـ حين أشرت إلى بيع الأراضي فقد أشرت بالدرجة الأولى إلى ما باعه اللبنانيون من الأرض، والذين ما يزالون يقودون زعامة لبنان

حتى الآن ويبيعوننا وطنية. وأنا أعلم أن البائعين من أهل فلسطين كانوا قلة، ولكن حتى هذه القلة لم تكن من الفلاحين البسطاء بقدر ما كانوا من أبناء العائلات العريقة.

ثانياً ـ أنتم تعلمون أن ثورة سنة 1936 لم يخطط لها إطلاقاً. وأنها فرضت نفسها على الزعماء بعفوية شعبية، وأن الهيئة العربية العليا لم تتشكل من أجل قيادة الثورة، بل تشكلت بعد قيامها نتيجة ضغط الثورة.

ثالثاً ـ إن زعماء تلك الثورة الحقيقيين الذين قادوا معاركها باستثناء بعض الذين انضموا إلى قيادة فوزي القاوقجي ـ كانوا من أوساط الشعب. ولم يعرف عن أحد من زعماء فلسطين المعروفين أنهم حملوا السلاح في تلك الثورة باستثناء الشهيد عبد القادر الحسيني.

رابعاً ـ لقد مضت الثورة في طريقها ثلاث سنوات متتاليات. وفي العامين الأخيرين لم يكن قد بقي من زعماء فلسطين المعروفين في ذلك الوقت أحد فيها. وكان هؤلاء الزعماء موزعين فعلاً بين دمشق وبيروت وبغداد والقاهرة.

خامساً ـ وأهم من هذا كله أن النضال الفلسطيني كله لم يكن مخططاً له من زعمائه البتة لا عام 1936 ولا قبل ذلك ولا بعد ذلك. وإنما كان النضال دائماً مرتجلاً. فبعد قيام الثورة ـ أي ثورة ـ يبدأ البحث عن المال وعن السلاح وعن التنظيم. ولم يحدث مرة أن خطط لأي ثورة من الثورات الكثيرة التي حفل بها النضال الفلسطيني. ولعل ما حدث عام 1948 أكبر دليل على ذلك. هذه بعض النقاط العابرة التي يتيح لي الوقت القصير الإشارة إليها. وإنني أحب أن أذكركم أن إيماني ببطولة الشعب العربي الفلسطيني وتضحياته إيمان عميق، بل إنني لأقول أن هذا الشعب كان دائماً ـ في مستوى نضاله وتضحياته ـ أقوى بكثير من مستوى زعمائه، وأن ما أشرتم إليه من فوز بكتاب أبيض ومن مؤتمر المائدة المستديرة عام 1939 كان في الواقع نتيجة تضحيات هذا الشعب لا نتيجة مناورات زعمائه.

وفي الختام أرجو أن تقبلوا فائق احترامي وتقديري لشخصكم الكريم.

* * *

جواب من الكاتب:

ولقد كتبنا جواباً فيه تعليق على ما جاء في هذا الجواب، وقلنا في بدئه إن في الجواب بعض الحقائق مع شيء غير قليل من التهرب والمفارقة:

1 ـ إن ما جاء في الفقرة أولاً صحيح، ولكن كتابي الأول لم يلمسه لأنني أردت أن أصحح ما كان من أخطاء في صدود ثورة سنة 1936.

2 ـ إن الإضراب فقط كان حركة شعبية عفوية. وصحيح أن اللجنة العربية العليا تألفت نتيجة لضغط هذه الحركة، ولكنها قامت قبل أن ينبثق من الإضراب الحركات المسلحة النارية.

ومن الحقائق اليقينية أنه كان للحاج أمين الحسيني ورفاقه من الزعماء المخلصين ومنهم جماعة من حزب الاستقلال أثر كبير في حدوث تلك الحركات المسلحة النارية منذ مراحلها الأولى إلى نهايتها في سنة 1936 ثم في سني 1937 و1938 و1939، وهم الذين حركوا الحركات النارية الأولى ومولوها، وهم الذين استقدموا المجاهدين السوريين بقيادة الشيخ محمد الأشمر والمجاهدين العراقيين بقيادة فوزي القاوقجي ومولوهم.

3 ـ وحينما وقف الإضراب والثورة الأولى سنة 1936 كانوا يتوقعون عدم وفاء الإنكليز، فلم يتوانوا لحظة عن القيام بالرحلات وتهيئة أسباب استئناف الحركات المسلحة حال ما يتحقق ما توقعوه. وكان لذلك أثر كبير بل الأثر الأكبر في استئناف هذه الحركات وتناميها في المراحل التالية.

4 ـ وليس عدم تقدم أحد من الزعماء لقيادة الحركة المسلحة موضع نقد جدي، فهذا أمر يتولاه الممارسون والمؤهلون. وهوما اهتم له الزعماء المذكورون، وعوضوا بذلك عن تزعمهم لعمل لم يتهيأوا له، واحتفظوا بالفرصة التي تجعلهم قادرين على الاستمرار في تمويلها وتغذيتها. وكان من نتيجة ذلك التهاب الثورة ونموها، ومجيء المجاهدين المتمرنين من سورية والعراق والإنضمام إليها في سنة 1936، ثم تسلم المؤهلين والممارسين زمام الحركات بعد ذلك باختيار واختبار وتشجيع الزعماء المذكورين مما يعرفه الأحياء من الذين اشتركوا في الحركات المسلحة من قواد ومحاربين. ومع ذلك فإن غير واحد ـ غير الشهيد عبد القادر الحسيني ـ من أبناء الأسر العريقة والمثقفين من أهل المدن والقرى على السواء كانوا مندمجين في الحركات الميدانية مستقلين أو إلى جانب قواد الثورة المعروفين على ما هو ثابت معروف.

5 ـ إن أسباب عدم وجود الزعماء في فلسطين في سني 1937 ـ 1939 مشروحة في كتابي الأول، وكان خروجهم من فلسطين بطولة وليس هروباً، وكان له الأثر الأكبر في إشعال الثورة ثانية، وتمويلها ونموها وبلوغها ذروتها.

6 ـ وصحيح أن النضال والحركات الثورية في فلسطين لم تكن نتيجة تخطيط مدروس من الزعماء وغيرهم، ولكن من الحقائق اليقينية أن الزعماء المخلصين كانوا يحملون فكرته، وأنهم نشطوا في سبيل تشكيل خلايا له قبل بضع سنين من نشوب ثورة سنة 1936. وكانوا بكلمة أخرى متهيئين لاستغلال كل أزمة وانفجار شعبي. وحينما كان هذا يقع كانوا يبذلون جهدهم لتقويته. وهم في هذا ليس بدعاً، فجميع الحركات الثورية في بلادنا وبخاصة قبل الحرب العالمية الثانية جرت على هذا المنوال. وهذا يرجع إلى النشأة والاعتبارات والظروف المتنوعة، ولا يصح أن يدان بنظرة اليوم بعدم الجد أو التقصير أو قلة الإخلاص.

ومع ذلك فمن الحقائق أن الزعماء المخلصين قد توقعوا استئناف الثورة بعد سنة 1936، وقاموا بجهود كبيرة في سبيل تهيئة أسباب ذلك مسبقاً كما شرحت ذلك آنفاً.

وأن هذا ما كان قبل قرار تقسيم سنة 1947، حيث كانت البوادر تدل على أن هذا القرار محتمل الحدوث، وحيث كانت العزيمة قائمة على رفض ذلك ومناوأته كما جرى ضد قرار التقسيم لسنة 1937، حيث أن الزعماء المخلصين كانوا يبذلون جهودهم لتهيئة أسباب الحركة المسلحة. وبفضل ذلك بدأت هذه الحركة غداة قرار التقسيم، أو بعبارة أدق في أول كانون الأول 1947.

وقد تمنيت ثانية على الدكتور أن يسمح بنشر كتابي الأول وهذا الجواب، وأن ينشر جوابه أيضاً، ولكن الأمنية لم تستجب.

***

(29) السادة رئيس وأعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة تحرير فلسطين المحترمين 23 تشرين الثاني 1965

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فإنه أخذ يسقط على أرض الوطن منذ أول هذه السنة شهداء للكفاح المسلح التحريري الذي باشرته منظمة (فتح) بواسطة تنظيمها العسكري (العاصفة)، فصار من الواجب القومي والإنساني ترتيب مرتبات لأسرهم. وهذا الواجب يقع أول ما يقع على لجنتكم الموقرة، بقطع النظر عما إذا كان لها علاقة بالعمل أم لا. ولذلك أكتب إليكم مناشداً ضميركم وشعوركم القومي والإنساني أن تبادروا إلى تخصيص مبلغ شهري توزع منه مرتبات شهرية على أسر الشهداء بمعرفة أناس أمناء خبراء تنتدبونهم لهذه المهمة، أم بواسطة منظمة (فتح). وإن لي لوطيد الأمل في أن تستجيبوا لمناشدتي هذه بدون توانٍ. والله يوفقكم إلى ما فيه الخير والسلام.

***

(30) الأخ الفاضل السيد أحمد الشقيري[1] 24 تشرين الثاني 1965

سلام الله عليكم ورحمته. وبعد، فقد سمعت خطبكم الثلاثة التي أذيعت من صوت فلسطين، والتي تضمنت انطباعاتكم اليائسة من مؤتمر القمة، والرد على تصريحات السلطات الأردنية في صدد موقفها من نشاط منظمة التحرير وتنظيم الشعب الفلسطيني وحريته وإنشاء كتائب جيشه التي تنطوي على معنى شطب الشعب العربي الفلسطيني المراد إبراز وجوده كشعب صاحب الحق الطبيعي في النضال في سبيل تحرير وطنه السليب. وتنطوي بالتالي على نسف الأساس الذي أقره مؤتمر القمة الأول لإنشاء كيان فلسطين وجيش فلسطين.

ولقد أثارت الخطب في نفسي ونفس جماهير الفلسطينيين حماساً، وزادتهم إيماناً بأن تحرير فلسطين لا يمكن أن يبدأ إلا من جماعة فلسطينية متحررة من الرسميات والحكوميات، مؤمنة بعملها صادقة فيه. وهذ النظرة والنظرية التي تنبثق منها، وهي أن تحرير فلسطين لا يمكن أن يتم إلا بالدم على أرض فلسطين ليست جديدة، فقد أصبحت من المسلمات والبديهيات التي يعتنقها العرب على اختلاف أقطارهم ومستوياتهم، وليس أهل فلسطين فقط. لأن الحكومات العربية أبعد من أن تقوم بهذا الدور في حالتها الحاضرة التي قد تمتد أمداً طويلاً في الظروف الدولية القائمة.

ولا بد من أنكم تذكرون أني كتبت لكم في تاريخ 63/9/17 كتاباً ذكرت فيه ذلك، وقلت إنه ليس هناك قوة تمنع الفلسطينيين من الإقدام على بدء الحركة التحريرية إذا وجد فيهم جماعة مؤمنة صادقة، واستطاعت أن تنشيء جهازاً يتولى التمويل والتدريب والتسليح والتنظيم والتوجيه والتحريك، وأن الفلسطينيين قادرون على تمويل هذه الحركة إذا وجد الجهاز المطلوب الموثوق.

ودعوتكم إلى بذل جهودكم ونشاطكم في

---

(1) أرسلنا هذا الكتاب للأستاذ الشقيري مع السيد سعيد عزيز عضو المجلس الوطني وأخبرنا أنه سلمه إليه يداً بيدٍ.

هذا الأمر الذي هو وحده المجدي الذي يضع الحكومات العربية أمام الواقع ومسؤولياته وينبهها من سباتها ويحركها نحو واجباتها القومية. لأنها إذا لم تجد نفسها إزاء حركة من هذا النوع سوف تبقى سادرة في غيها مستمرة في جمودها وتجميد قضية فلسطين، ولن يكون الزمن في جانبنا إذا ما طال الأمد.

ولا بد من أنكم تذكرون أيضاً الحديث الطويل الذي جرى بيني وبينكم في بيتي في 63/10/11 في هذا الصدد، والخطة التي اقترحت أن يسار عليها في الإقدام على العمل وإنشاء ذلك الجهاز والبدء في حركة التحرير. ولقد أقسمتم لي أنكم مقتنعون بأنه ليس هناك إلا هذه الوسيلة والخطة، وأنكم متبنوها بكل إيمان وعزم وساعون في سبيل إخراجها إلى حيز العمل والتنفيذ.

وقد مضى على ذلك سنتان كاملتان كان لكم فيها نشاط عظيم، ولكن لم يبد منكم جهد فعلي في سبيل تلك الوسيلة، والخطة على ما هو ظاهر لي وللناس.

وما كان من جهدكم في إنشاء منظمة التحرير وكتائب جيش فلسطين ليس من هذا الباب على ما أعتقد أنكم تعترفون به. لأن نشاط المنظمة وجيشها قد ارتبطا بطبيعة تكونهما بالحكومات العربية. وها أنتم تعلنون يأسكم من هذه الحكومات.

ولقد أيدتكم بكل قوتي في نشاطكم الذي انتدبتم إليه لإنشاء كيان فلسطين الذي تقرر في مؤتمر القمة الأول، تفاؤلاً من التوضيح الذي رافق قرار المؤتمر، وهو تنظيم الفلسطينيين، لتسلم مبادرة تحرير وطنهم. حيث كان هذا يعني أن الحكومات العربية التي تعرف أنها لا تستطيع حسب الظروف الدولية أن تشن حرباً على إسرائيل لإزالتها حتى ولو كانت قادرة على ذلك، رأت أن الشعب الفلسطيني الذي هو صاحب الحق الشرعي، والذي هو متحرر من وضع دولي مائع، هو القادر على ذلك إذا ما أتيح له التنظيم، وأن أوان ذلك قد آن. غير أن التفاؤل خبا نتيجة لما بين الحكومات من تناقض وتناظر، وما يبديه بعضها من تخاذل وتعسير وعرقلة لنشاط الفلسطينيين وتنظيمهم.

وفي وسط هذه الظلمات شعت شعلة نشاط (فتح) و (عاصفتها) ، وأخذ أبطالها يقومون بأعمالهم الفدائية التي اعترفت بها إسرائيل والتي أقضت مضاجعها برغم ما قد يكون في بياناتها من مبالغة. لأن إسرائيل تعرف أن خصمها العنيد هو الفلسطينيون المتحررون من كل اعتبار دولي، والذين لهم الحق الطبيعي والشرعي في تحرير وطنهم المغتصب والثأر لكرامتهم الجريحة والعودة إليه من شتاتهم المرير. فصار من واجب كل مخلص تقوية هذه الشعلة وتأجيجها وجعلها في المستوى المطلوب تنظيماً وتمويلاً وتسليحاً ورفداً. وصار من العار والخيانة والجريمة أن تترك حتى تنطفيء. وهذا العار والخيانة والجريمة أكثر دمغاً ولصوقاً بكل من يقدر على مساعدتها وتقويتها ورفدها، وبكل من يقف في طريقها ويثبط عزيمتها. وما لكم من مركز واتصالات واسعة عربية وخارجية، وما صار تحت يدكم من تشكيلات وكتائب وأموال يجعلكم أقدر الناس على هذه المساعدة والتقوية. وأعيذكم من أن ترضوا بما يترتب على عدم بذل هذه المساعدة من صفات، ولا سيما وأنتم تصرحون في كل وقت في أحاديثكم ومجالسكم الخاصة ومواقفكم وخطبكم وتصريحاتكم العامة أن هذا هو الوسيلة المثلى، بل الوحيدة لتحريك قضية فلسطين وتحريرها.

وقد صرتم بذلك كله أمام مسؤولية خطيرة كما صار لكم بذلك فرصة ذهبية. ومن حسن الحظ أنكم في خطابكم الأخير أعلنتم ذلك وأظهرتم استعدادكم لمد من يريد الفداء بالمال والسلاح.

ولعد علمت أن هذا الأمر كان من الأحاديث الجانبية الهامة التي جرت بينكم وبين أعضاء المؤتمر الوطني الفلسطيني الثاني الذي انعقد قبل قليل في القاهرة. وإنكم أيدتموه ووعدتم ببذل الجهد في الاتصال بالحركة الفدائية ورفدها بكل قوة.

والناس في كل مكان ينظرون إليكم، وقد رأيت أن أكتب إليكم هذه الرسالة لأضمنها أفكاري وتطلعاتي، وأناشد وطنيتكم وشرفكم ودينكم وضميركم بأن لا تدعوا الناس يصدقوا ما يقوله خصومكم عنكم من أن كل جهودكم هي في نطاق الخطب والمناورات والمظاهر وحب البروز الشخصي، وأنكم تفقدون الروح الثورية التي لا يمكن أن يتم تحرير فلسطين بدءاً ونهاية إلا بها، وبأن ترتفعوا إلى المستوى المطلوب، فتتصلوا بمنظمة فتح وعاصفتها، وأي منظمة أخرى قادرة على العمل الفدائي بصدق وقلب ومستعدة له، وأن تبذلوا كل جهد ممكن لتنظيمها، ليكون منها جهاز متحد متماسك قوي، ثم تمدوها بالمال والسلاح والأسباب الأخرى لتستمر الشعلة التي اتقدت بالعاصفة، وتتأجج حتى تصبح حركة تحرير شاملة.

وإذا لم يمكن التوفيق بين ما هناك من تنظيمات سرية تعتنق مبدء العمل الفدائي، وتتطلع إليه، فقفوا في جانب المتحرك منها وهو الآن حسب الظاهر (فتح) و(عاصفتها)، وقووه ونظموه ومدوه بما يحتاج إليه من مال وسلاح وأسباب.

ويحسن أن تؤلفوا حالاً لجنة صغيرة أمينة ومؤمنة وصادقة لتبدأ بهذا العمل بدون تأخير. ولا مانع بل من المفيد أن يكون نشاطها سرياً. وحبذا لو يستعان بالجزائر لترسل بعض خبرائها المؤمنين..

وأعيد عليكم ما كنت اقترحته قبل، وهو أن يكون للحركة مركز تدريب وتجميع وانطلاق في مكان ما في بادية العراق أو السعودية القريبة من فلسطين.

وها أنا وفلسطين وأهلها ننظر إليكم وننتظر الاستجابة الفعلية الفورية الصادقة لهذه المناشدة، ونرجو أن لا تخيب فيكم الآمال؟

***

(31) زارني الأستاذ أحمد الشقيري في 1965/12/21

ومعه مدير مكتب المنظمة في دمشق والأستاذان أحمد السروري وسعيد الغزي من أعضاء اللجنة التنفيذية، والسيدان محمد الخضراء وحسن الشامي من أعضاء المجلس الوطني.

وكان قبل قليل خطب خطبة نارية أظهر فيها يأسه من مؤتمر القمة وأعلن عزمه على الاستقالة من العمل. ولكنه استمر فيه بناء على إلحاح الكثيرين من الرؤساء والزعماء والوطنيين.

وقد خلوت به وقلت له: كنت أتمنى أن يظل مصراً على استقالته ثم يتزعم حركة العمل الفدائي القائمة ويقويها، وهذا ما سوف يخلده ويكذب كل ما يقال من عدم ثوريته.

ولقد سألته عما إذا كان استلم كتابي الذي أرسلته إليه مع السيد سعيد عزيز، فقال لي إنه لم يصل إليه. وكنت أتوقع منه ذلك، وهيأت له

نسخة ثانية عنه وسلمتها له. ثم حدثته في مآل الكتاب، فأكد لي أن مسألة حركة تحرير فعلية هي الآن شغله الشاغل وهو مؤمن بها كل الإيمان. وأن كل همه أن يجد المكان المناسب والجو المناسب. وأنها لا تلقى تشجيعاً ولا ترحيباً في الأردن ولبنان والعراق، وأن الرئيس جمال متردد فيها، وأنه يريد أن يبحث الأمر مع رجال سورية التي يظهر له أن جوها أكثر ملاءمة. وقد قلت له إن عدم الترحيب والتشجيع أو التردد لا يصح أن يكون مانعاً للحركة ما دام هو مؤمناً بها، ولا سيما أنه ليس من طريقة غيرها لتحريك قضية فلسطين في الظروف الحاضرة، فأظهر قناعته بذلك.

فاقترحت عليه تأليف لجنة مؤمنة مفوضة للاتصال بجماعة (فتح) و(عاصفتها) وغيرهما من التنظيمات المستعدة للعمل وتنظيمه. وليكن هذا هو الصورة السرية للمنظمة مع بقاء صورتها العلنية في نطاقها القائم فوعد بذلك. وقال لي فيما قال إن الرئيس عبد الناصر مرتاب في أن يكون جماعة فتح من الإخوان المسلمين، فقلت له إن هذا غلو لا مبرر له. فالجماعة مندفعون بكل حرارة وإيمان للعمل الفدائي. وقد تردد عليّ زعيمان كبيران منهم ياسر عرفات وخليل الوزير، ولم أسمع ما يفيد ذلك. كما لم أسمع شيئاً مسيئاً منهم عن الرئيس. وقد قال لي إنه اتصل بهم وما يزال متصلاً بهم، فقلت له إنه لا مناص من أن نعتبر حركتهم، وقد بدأت نواة بدلاً من إضاعة جهد جديد في بداية جديدة غيرها، فأظهر قناعته بذلك. وقد تكلمت معه في صدد مساعدة أسر شهداء العاصفة وترتيب عون مادي لهم فوعد بذلك.

واتصلت به ثانية لأعرف نتائج اتصالاته برجال سورية فوعد بزيارتي. ثم سافر إلى القاهرة، ولكنه أرسل إليّ خبراً مع السيد حسن الشامي يطمئنني بأن كل شيء يسير حسناً، وأن النتائج ستظهر بعد رمضان.

ويبدو الأستاذ الآن في أقوى مظاهره وأبهته. وحصل عندي انطباع بأن ذلك قد راقه، وأن عزيمة الاستقالة هي مظاهرة، وأنه لن يخاطر بما صار له، ولن يورط نفسه بمخالفة الحكومات العربية سراً أو علناً، ولن يتبدل من نمط سيره شيء.

21 كانون الأولى 1965

***

(32) ماذا يراد للحركة الفدائية الفلسطينية

1966/2/20[1]

في البيان الاحتجاجي الذي أذاعه مدير منظمة التحرير في بيروت على الأسلحة الأميركية لإسرائيل، دعوة باسم (اللجنة التحضيرية للعمل الفلسطيني الموحد) إلى جميع القوى الفلسطينية لأجل الالتقاء على أرض منظمة التحرير الفلسطينية توطئة لحشد القوى الثائرة على طريق العودة، طريق معركة التحرير المسلحة.

وكل من يستقرىء ما هناك من حقائق يستطيع أن يكتشف مدى هذه الدعوة وجدواها.

---

(1) نشرت جريدة الأنوار البيروتية البيان الاحتجاجي والدعوة. ونشرت بضع مقالات بتوقيع صالح شبل فيها نقد لموقف منظمة فتح من الدعوة إلى الإندماج في اللجنة التحضيرية واتهام لها بالمبالغة في بلاغاتها الفدائية، فأرسلنا إليها هذا المقال، ورجوناها أن تنشره بعد أن اتسع صدرها لمقالات السيد شبل.

فأولاً ـ إن منظمة التحرير مرتبطة في حقيقتها وواقعها بالحكومات العربية. وجيش التحرير الفلسطيني مرتبط بالقيادة العربية الموحدة التابعة للحكومات العربية. ومعنى هذا وذاك أن معركة التحرير التي ترشح منظمة التحرير نفسها لقيادتها ستكون على كل حال رهناً بموافقة وسياسة الحكومات العربية.

ثانياً ـ إن رئيس منظمة التحرير في الخطب التي ألقاها في غزة وإسكندرية وبور سعيد أعلن بصراحة تامة أن مؤتمر القمة الأخير قد جمَّد منظمة التحرير ووقف من مذكراتها ومطالبها موقفاً سلبياً.

ثالثاً ـ إن هذا الموقف يقفه الأردن ولبنان الآن في شكل لا لبس فيه. ولكن موقف الأردن هو ذو الخطورة الهامة، لأن أكثرية الشعب الفلسطيني فيه.

رابعاً ـ إن الذين اجتمعوا برئيس المنظمة وسمعوا أقواله وتابعوا مواقفه ونشاطه قد عرفوا إن كانوا نبهاء معرفة اليقين أنه رغم ما يكرره من كلمات التحرير ومعركة التحرير والفداء أبعد ما يكون عن أي احتمال لترجمة أقواله إلى أفعال بأية صورة. وأنه يشعر شعوراً لا يمكن إخفاؤه بأنه لا يستطيع ولا يمكنه أن يخرج عن سياسة وخط الحكومات العربية.

خامساً ـ إن المعروف والمسموع أن جل أعضاء اللجنة التنفيذية على نمطه.

ولقد كان من الممكن لو كان الأمر غير ذلك، وبصراحة لو كان رئيس اللجنة وأعضاء اللجنة ثوريين روحاً ورغبة، أن يجدوا الأسلوب الذي ينتج عنه العمل الفدائي الحر وينظمه ويقويه. وكان يكون لهم أسوة بالوكالة اليهودية التي كانت تؤيد وتدعم الثورة اليهودية عام 1944 وتتظاهر بأنها لا علاقة لها بها وغير راضية عن أعمالها العنيفة. ولقد اقترحت شخصياً على رئيس اللجنة في اجتماع من اجتماعاتي معه شيئاً من ذلك. ولكن الاقتراح ذهب سدى.

ولو كان رئيس المنظمة يقول بصراحة وجرأة إنه ضد العمل التحريري الفدائي الحر، لكان أظهر عذره عن موقفه بقطع النظر عن صواب العذر وخطئه.

ولكنه يكرر أمام الناس وفي خطبه للجماهير أن العمل الفدائي التحريري الحر هو المجدي والواجب. وهذا مما يزيد موقفه إثارة وحيرة وبعداً عن الجدية.

سادساً ـ إنه ليس هناك ما يمكن أن يدل على احتمال موافقة الحكومات العربية على قيام حركة تحرير فلسطينية في وقت قريب على الأقل. ومنها من يرفض ذلك رفضاً باتاً بحجة عدم الاستعداد لمواجهة المقابلة اليهودية وخشية التورط في حرب مع اليهود، ناسين أن ذلك جريمتهم من حيث أنهم أهملوا أي استعداد وسكتوا سكوتاً مجرماً ذليلاً على النكبة وآثارها ثمانية عشر عاماً كانت كافية للاستعداد للمواجهة.

والمحصل من كل ذلك هو استحالة انبثاق حركة تحرير ومعركة تحرير فلسطينية شعبية من المنظمة في تركيبها وظروفها الحاضرة. والسؤال المهم والحالة هذه هو: ما هو المدى والمقصد من دعوة (جميع القوى الفلسطينية إلى الالتقاء على أرض منظمة التحرير)؟ وهل لا تجعل هذه الدعوة الناس يتساءلون عن جدواها ويرون فيها قصد تجميد أي حركة تحريرية حرة؟ وبعبارة أخرى قصد تطويق وإجهاض حركة (عاصفة فتح)، التي مهما يمكن أن يقال إنها تبالغ في بلاغاتها فإنها على كل حال بداية يمكن أن تنمو مع الزمن إذا ما تيسر لها الرفد والعون مثل سائر

حـركات التحـرير والثـورات التي بـدأت مثـل بـدايتها، والتي يكـون من الجـريمـة محـاولـة إطفائها والتسبب في إطفائها. لأنه قد يمر أمد طويل قبل أن تشتعل شعلة أخرى مثلها. وهي بمثابة ناقوس منبه موقظ محرك، وتمثل على كل حـال آمـال الشعب العـربي عـامـة والشعب الفلسطيني خاصة الذي تمنى وأجمع على أن العمل التحريري الفدائي على أرض فلسـطين هو السبيل الواجب سلوكه بدون تردد ولا إبطاء.

أنا لست ضد منظمة التحرير، وقـد أيدتهـا بدءاً وبعد قيامها بكل قوة، لأنها على كل حال مـلأت فراغـاً في دنيا وأذهـان الشعب العربي والفلسـطيني، ومنحته شيئاً يراه لـه ويتعلق به ويجب الإحتفاظ بها على كل حال. ولكن إذا كان تركيبها وظروفها لا تسمح بالعمل الفدائي الحر الذي يهتف به العرب بكـل قوة وإصـرار ومن كل ناحية من أنحاء البلاد العربية، فلماذا يحاول بعد الـذين يدورون في فلكهـا وبعض المتحذلقين إجهاض البداية التي تمثلها (عاصفة فتح)، والتي من شأنها أن تلفت الأنظار وتبقي فكرة العمل الفدائي حية ماثلة إلى أن يتيسر ما يجعل هذا العمل قوياً كاملاً.

وأنا من المرحبين بتكتل القوى والمنظمات الفلسطينية في سبيل العمل الموحد. ولكن هذا العمل الموحد لن يكون مع الأسف على أرض منظمة التحرير في تركيبها وظروفها الراهنة.

وإذا كانت المنظمات التي اندمجت في ما سمي (اللجنة التحضيرية للعمل الموحد) جادة حقاً في العمل الفدائي التحريري الحر، وليست بسبيل إشباع الرغبة في المشـاركة في الـوجود والنشاط السياسي ومراكز الوجاهات، فعليها أن تدرك أن التقاءها على أرض منظمة التحرير لن يكون له جدوى عملية تحريرية، وأن تبحث عن الأسلوب المجدي والطريق المجدي.

وأعتقد أن منظمة (فتح) التي انبثقت عنهـا (العاصفة) والتي ينتقدها بعضهم لعـدم تلبيتها دعوة الاندماج سوف تكون حينئذ مستعدة لتلبية مثل هذه الدعوة مع أي منظمة تريد أن تدخل إلى ميدان ذلك العمل.

* * *

(33) من تاريخ القضية[1]
نشأتها وأبعادهـا
ومستقبلها وواجب العرب إزاءها
آذار 1966

مهما كثر الكلام عن قضية فلسطين فالحاجة تظل ملحة للاستمرار فيه. وكلما لاحظنا مركز فلسطين ازددنا يقيناً بذلـك، لأن هذا المـركز يجعل هذه القضية قضية الأمة العربيـة والبلاد العربية قاطبة. فهي نقـطة الاتصال بين البـلاد العربية الآسيوية والافريقية، وباب البلاد العربية المفتوح على البحر الأبيض المتوسط، والمؤدي مباشرة إلى البـلاد العربيـة الشرقيـة والجنوبيـة والشمالية، إلى أن تصل إلى بقية أنحاء الشام ثم العـراق الشمـالي من نـاحيـة، والجنـوبي والخليـج العربي من نـاحية، وشمـال جـزيـرة العرب وجنوبها من ناحية.

ونكبة فلسطين بـاليهود أفـظع وأغرب نكبـة وقعت في التاريخ الحديث على أية أمة وبلد. لأنها غزو مسلح لاقتلاع شعب من أرضه التي

---

(1) كتب هذا المقال بناء على طلب رئيس تحرير مجلة المعرفة الدمشقية ونشر في العدد الخاص الذي أصدرته المجلة في شهـر آذار 1966 برقم 49 بعنـوان (القضية العربيـة في صراعها مع الصهيونية العالمية).

عاش فيها ما لا يحصى من الأحقاب، وإحلال جماعات تحشد من أنحاء الأرض مختلفة متناقضة في لغاتها ودمائها وعاداتها وثقافاتها محله، بزعم أن جيلاً يدين بدينهم كان فيها قبل ثلاثة آلاف عام وبزعم أنه شرد عنها منذ ألفي عام.

ولقد تمت هذه النكبة بالتقاء قوى اليهود مع قوى الاستعمار الطامعة باستبقاء بلاد العرب تحت هيمنتها واستغلالها. فقد ترسم طاغوت الإستعمار الأكبر في القرن الفائت، أي الإنكليز الذين كانت امبراطوريتهم فيه من أعظم الامبراطوريات الحديثة، أن يبسطوا سيطرتهم على ما كان في طريق الهند درة هذه الأمبراطورية التي كانت تستمد منها إسمها وثروتها.

وتمكنوا بدسائسهم ونشاطهم من احتلال مصر والسودان وسواحل جزيرة العرب الشرقية والجنوبية بما فيها سواحل الخليج العربي. ثم رأوا في الحرب العالمية الأولى الفرصة السانحة لإتمام خطتهم. وكانت بلاد العراق وفلسطين وشرقي الأردن هدفهم في هذه الفرصة، حيث يضمن لهم ذلك وصل البحر الأبيض من ناحية فلسطين بالخليج العربي من ناحية العراق.

ولقد كانت فكرة تقسيم الأمبراطورية العثمانية تراود دول أوروبا الكبرى منذ أوائل القرن التاسع عشر وكانت تسميها بالرجل المريض، غير أن تناحرها وتنافسها كانا مما يعرقل تحقيق الفكرة والاتفاق عليها، وكان التنافس بين إنكلترا وفرنسا وروسية، ثم دخلت ألمانيا المضمار، حتى غدت في أوائل القرن العشرين الأشد إزعاجاً لسائر المنافسين، مع تظاهرها بأنها الأكثر إخلاصاً للدولة العثمانية. فلما نشبت تلك الحرب انضمت الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا حيث كانت إنكلترا وفرنسا وروسيا في الجانب الآخر. فكان مما فعلته الدول الثلاث حينما بدت لها تباشير النصر أن تفاوضت واتفقت على التقسيم. وكانت بلاد العراق من حصة بريطانيا، وبلاد الشام من حصة فرنسة، والولايات الشرقية من الأناضول ـ آسيا الصغرى ـ من حصة روسية، بالإضافة إلى حصص أخرى لإيطاليا واليونان التي كانت مع هذه الدول.

ولم يكن لبريطانيا مصالح مزعومة في فلسطين وشرق الأردن تقنع بها حلفاءها إلا إنشاء سكة حديدية تربط بين الخليج العربي والبحر المتوسط، فمنحت لأجل ذلك سواحل فلسطين الشمالية مع طريق بري إلى العراق ماراً بشرق الأردن.

أما سائر فلسطين فقد كانت كل من روسية وفرنسة تزعم لنفسها مصالح دينية وثقافية وأفضلية فيها، فلم يمكن التوفيق بينهما، فأدى ذلك إلى الاتفاق على أن تكون إدارتها دولية تشترك فيها الدول الحليفة جميعها. وفي سنة 1917 انفجرت الثورة الاشتراكية في روسية فأدت إلى خروجها من الحرب. وتفاوضت فرنسة وبريطانية فأكدتا الاتفاق الذي تم بالنسبة لحصصهما، ثم بالنسبة لفلسطين فيما عرف بمعاهدة سايكس بيكو نسبةً لمندوبي بريطانية وفرنسة في المفاوضات.

ولقد كانوا يفعلون ذلك في السر، في حين كانوا يعلنون بأنهم إنما يحاربون لإنقاذ البلاد من الظلم ومنح أهلها حق تقرير مصيرها، حيث يتمثل في ذلك الخيانة والغدر عن قصد وتصميم.

*

وبينما كانت الدول الثلاث تتفاوض وتتآمر على الأمبراطورية العثمانية ومنها بلاد العرب وتتفق على تقسيمها، كانت بريطانيا تتصل بشريف مكة الحسين بن علي وتتفاوض معه على القيام بثورة عربية كبرى ضد الدولة العثمانية مقابل الموافقة على قيام مملكة عربية مستقلة كبرى برئاسته تشمل بلاد الشام والعراق والحجاز وأنحاء أخرى من الجزيرة العربية، مما كان فيه تناقض صارخ آخر ملؤه سوء النية والغدر والخيانة للعرب.

وقد ظلت مصممة على هذا التناقض الغادر الخائن ومثلت في مجاله أدواراً عجيبة بعد انتهاء الحرب، منافية لكل خلق ومنطق وشرف وحق وبكل صفاقة واستهتار.

ولقد نشأت حركة اليهود الصهيونية في أواسط القرن الفائت نتيجة لما كان يقع على اليهود في أوروبا من اضطهاد. فقد كان اليهود في أوروبا وغيرها ـ سواء منهم الذي تشردوا من فلسطين أم الذين اعتنقوا اليهودية في ظروف قديمة من الخزر والآريين والسلافيين، وهم الذين عرفوا بالطائفة الإشكنازية وتطبعوا بطبائعها، يؤلفون الأكثرية الكبرى في تعداد اليهود ـ يعيشون على بعضهم كتلاً في أحياء خاصة عرفت بالغيتو، منكمشين عن غيرهم من الملل الأخرى، ولا يألون جهداً في الوقت نفسه في امتصاص دماء الملل الأخرى بالربا وغير الربا والكيد لها والمكر بها، ولا يندمجون فيها ولا يخلصون للأوطان التي كانوا يأوون فيها. فكان هذا الأسلوب من الحياة والسلوك مع ما كانوا يكنزونه من أموال نامية من دماء الناس الذي يعيشون بين ظهرانيهم، وعرقهم، وكرههم للنصارى والنصرانية التي يدين بها أهل البلاد الأوروبية، وقذفهم السيد المسيح وأمه بأشنع القذف، يعرضهم لاضطهاد هؤلاء من حين لآخر. فرمت تلك الحركة إلى تهجير اليهود المضطهدين إلى بلد ما يقيمون لهم فيه وطناً آمناً. ثم تطورت حتى غدا هدفها إقامة دولة يهودية في فلسطين، بحجة أنه كان لبني إسرائيل أصحاب الدين اليهودي فيها وطن ودولة قبل ألفي سنة. وسموا حركتهم المتطورة باسم الحركة الصهيونية نسبةً إلى جبل صهيون إحدى هضاب القدس التي أ قام داوود عليها قصره ومركز حكومته قبل ثلاث آلاف عام. ومنهم من غلا في خياله وهدفه ومطمحه، فاعتبر فلسطين قاعدة لدولة يهودية كبرى تمتد من النيل إلى الفرات ويحتشد فيها ملايين اليهود وتصبح صاحبة اليد الاستعمارية والاستغلالية الاقتصادية والسياسية في الشرق الأوسط كله، بزعم أن سلطان اليهود القديم شمل هذه الساحة الواسعة، وأن ربهم أعطاهم إياها على لسان إبراهيم وإسحق ويعقوب أجداد بني إسرائيل الأولين برغم ما في ذلك كله من زيف وسقم.

فبنو إسرائيل قد طرأوا على فلسطين وهي مأهولة بسكانها الكنعانيين والعموريين والفلسطينيين مزدهرة بمدنهم وحضارتهم. وخرجوا منها قبل ألفي سنة وظل أهلها فيها. ولم ينعموا بدولة واستقرار إلا فترة قصيرة. وعاشوا على حضارة وعمران أهلها القدماء.

ومعظم مدة وجودهم فيها كانت مضطربة مليئة بالمنازعات مصبوغة بالدماء مرتكسة في الإنحرافات الدينية والخلقية. معرضة لغزوات الدول المجاورة لفلسطين وسيادتهم من مصر حيناً والعراق حيناً والشام حيناً وشرقي الأردن حيناً والفلسطينيين في جنوب فلسطين حيناً. ولم تخلص لهم فلسطين سكناً ولا حكماً فضلاً عن غيرها حتى في أيام داوود وسليمان أعز أيامهم،

حيث ظل جنوبها في يد الفلسطينيين وشمالها في يد الفينيقيين الكنعانيين، ولم يكن لهم امتداد إلى خارجها إلا لماماً ولفترة عابرة ثم يرتدون مذعورين مهزومين. وبقي كثير من أهلها القدماء فيها يتأثرون بهم دينياً أو اجتماعياً مما تشهد عليه نصوص الأسفار التي يتداولونها بينهم ويقدسونها، والمدونات التاريخية القديمة الوثيقة.

ولقد بعث الله عليهم نتيجة لانحرافاتهم الخلقية والدينية الآشوريين ثم البابليين ثم اليونانيين، فضربوهم الضربات المتوالية حتى قضوا على دولهم الواهنة المتنافرة خلال القرون السبعة التي سبقت الميلاد المسيحي، ثم الرومانيين الذين قضوا على وجودهم قضاءً مبرماً في القرن الميلادي الأول، فلم تعد لهم قائمة في فلسطين.

ودعواهم أن الرب أعطى هذه البلاد لهم إلى الأبد لا تستند إلى سند رباني صحيح. فسفر التوراة الأصلي الذي احتوى تبليغات الله إلى موسى وكَتَبَهُ بيده مفقود. والأسفار التي فيها شيء من ذلك والمتداولة اليوم كتبت بعد موسى بمدة طويلة بأقلام مختلفة، وهي مليئة بالتناقض والتضارب والغرائب والتحريف والتأثر بالوقائع التي جرت بعد موسى. والقرآن وإن كان ورد فيه أن الله قد كتب لهم الأرض المقدسة وأورثهم إياها، فإن ذلك كان بالنسبة للظرف الأول من خروجهم من مصر الذي كانوا فيه صابرين مستقيمين كما هو صريح في الآيات التي تذكر ذلك، وقد فقدوا حق الاستمرار عليه بعد أن انحرفوا انحرافات خلقية ودينية خطيرة. ولقد آلى الله على نفسه بسبب ذلك أن يبعث عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ويغرس بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها. وضرب عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله. كما جاء في آيات قرآنية كثيرة[1].

ولقد عمرت فلسطين بالعرب الصرحاء بعد تشردهم عنها، ثم ملكوها من الروم فأقاموا سلطانهم عليها منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً وملأوها بآثارهم وجهودهم ومقدساتهم وطبعوها بطابعهم المقدس. وبرغم ما في دعاوى اليهود من زيف فليس في بنائهم عليها حق العودة إليها أي حق ولا منطق يسيغه عقل عاقل، لأن ذلك يعني إساغة قلب وتغيير كل شيء على الأرض من يوم إلى آخر.

ويهود اليوم بعد ليسوا من بني إسرائيل القدماء إلا قليلاً بل من أجناس ودماء مختلفة متنوعة، مختلفين في لغاتهم وتقاليدهم وعاداتهم وميولهم وأفكارهم. وقد اختلط ذلك القليل بذلك الكثير حتى باد أو كاد. وكل ما في الأمر أنهم يدينون بالدين اليهودي شأن أبناء الأديان الأخرى.

وليس من الممكن والسائغ اليوم أن تقوم دولة ووطن على أساس ديني بحت يجتمع فيها أجناس شتى.

ورغم ذلك فقد أخذ اليهود يعقدون مؤتمرات

---

(1) رأينا أن ننبه إلى ذلك لأنهم يحاولون خدع النصارى لأنهم يقدسون أسفار العهد القديم التي فيها ذلك، والتي وصفناها بالأوصاف المذكورة في المتن. ثم يحاولون خدع المسلمين ببعض نصوص القرآن وبكونهم مأمورين باحترام التوراة، ويزعمون أن الأسفار التي في يدهم هي التوراة كذباً. (اقرأ آيات سورة البقرة 40 ـ 120 وآل عمران 69 ـ 120 والنساء 43 ـ 65 والمائدة 13 ـ 12 و 59 ـ 64 و78 ـ 82 والأعراف 136 ـ 137 و160 ـ 169 فيها دحض قوي لكل مدعياتهم وتثبيت لكل ما قلناه من عهد الله في حقهم.

دورية منذ أواخر القرن الفائت، ويبذلون جهودهم في سبيل تحقيق هدفهم.

ولقد خطوا بعض خطوات غير صريحة في سبيل ذلك، حيث استطاعوا برشاويهم ودسائسهم أن يجعلوا رجال الدولة العثمانية يسمحون لهم في أوائل القرن العشرين أو قبيله بشراء بعض الأراضي الخالية في فلسطين وإنشاء بعض القرى عليها وإسكان بعض المهاجرين من الأشكناز بها، حتى بلغ عددهم مع ما كان في فلسطين من جماعات يهودية شرقية ـ مما يعرف بالسفارديم كانت جاءت إليها في بعض الظروف السابقة لأغراض تعبدية في الدرجة الأولى ـ نحو ستين ألفاً في أوائل الحرب العالمية الأولى.

ولقد حاولوا حمل السلطان عبد الحميد الثاني على السماح لهم بهجرة واسعة فلمح الهدف السياسي فرفض ذلك رفضاً باتاً وأمر بتشديد الرقابة على هجرة اليهود إلى فلسطين وإقامتهم فيها وتملك الأجانب أرضاً فيها. فلما نشبت الحرب العالمية الأولى ظنوا أنها قد تكون فرصتهم فأخذ فريق منهم يسعى مع الألمان، وفريق آخر يسعى مع الإنكليز وحلفائهم في سبيل تحقيق هدفهم. ولقد قلنا من قبل أنه لم يكن للإنكليز مصالح مزعومة في فلسطين وشرقي الأردن تسوغ لهم المطالبة بأن تكون منطقة نفوذ واستعمار لهم، في حين كانوا يرون ذلك أمراً ضرورياً، ولم يكن الصهيونيون يحلمون أن يقوم لهم في فلسطين قائمة بدون دعم دولة عظمى وحمايتها.

فكان ذلك نقطة التقاء هامة بينهم وبين بريطانية اهتموا لاستغلالها من ناحيتهم، ورحبت بريطانية من ناحيتها، حيث تصورت أنها إذا تبنت قضيتهم وبذلت لهم وعداً بتشجيعهم على هدفهم بذلوا جهودهم في حمل الدول الأخرى ـ بناء على ما كان لهم من تمكن ونفوذ ـ على الموافقة على تبني بريطانية لهدفهم وجعل فلسطين وشرقي الأردن منطقة نفوذ واستعمار لهم. ولقد رأت بريطانية بالإضافة إلى ذلك في الحركة الصهيونية مزية نافعة لهم وهي احتياجها في فلسطين إلى حامٍ دائمي مهما نما عدد اليهود فيها، لأنهم يبقون على كل حال وسط خضم عربي عظيم لا يمكن أن ينجوا من خطره ويحظون بالاستقرار إلا بتدعيم قوي دائم من دولة كبرى. ثم غدو دولة اليهود في فلسطين رأس جسر وحربة وإسفيناً في البلاد العربية، مما لا تضمنه لها القوة العسكرية وحدها.

ولقد كانت الحركة القومية العربية الحديثة الهادفة إلى تجديد أمجاد العرب ووحدة بلادهم قد أخذت تقوى، حتى بلغ أمر أركانها إلى الاندماج في مفاوضات الشريف حسين مع بريطانية. وكان مطلب المملكة العربية الكبرى المستقلة الشاملة لجميع بلاد الشام والعراق والحجاز وأنحاء الجزيرة الأخرى هو مطلب أولئك الأركان المقدم إلى الشريف والمرسل منه إلى الإنكليز بنصه الوارد في رسالة الشريف المعروفة.

وكانت قوة ونمو الحركة العربية مما يعرقل تحقيق أهداف ومآرب بريطانية، فرأت أن حشد اليهود في فلسطين وتبني الفكرة الصهيونية يكونان عقبات كأداء في طريق نمو الحركة العربية. فكان ذلك هو من عوامل اللقاء ومظاهر التآمر الاستعماري الصهيوني أيضاً. فلما احتلت بريطانية جنوب فلسطين في خريف 1917 وتيقنت من ربح النصر واحتلال بقية فلسطين، سارعت فأصدرت في 2 تشرين ثاني 1917 وعدها المشؤوم الذي عرف بوعد بلفور نسبة

إلى وزير الخارجية البريطانية الذي أصدره، والرامي إلى إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين. وقد كان ما نص عليه هذا الوعد عدم تأثير ذلك في مركز وحقوق غير اليهود، وكان هذا ما نقضته بريطانية أشد نقض حينما صارت صاحبة السلطان في فلسطين. ولقد احتوت مذكرات وايزمن وهربرت صموئيل الزعيمين الصهيونيين تفصيلات تدل على أن أركان الحكومة الإنكليزية كانوا يعرفون مدى ما يريده اليهود من عبارة (وطن قومي) وهو دولة يهودية حينما يصبح عددهم كافياً. حيث يبدو من هذا صورة من صور الغدر والخداع التي دأب الإنكليز على اجتراحها مع العرب. ولقد سارعت فرنسة إلى تأييد هذا الوعد بلسان وزير خارجيتها بيشو، لأن ما في نمو الحركة الصهيونية من مزايا هو بالنسبة إليها عامل عرقلة هام للحركة العربية من شأنه أن يساعدها على نجاح أهدافها الإستعمارية في بلاد الشام. ولم يكن تأييد فرنسة لوعد بلفور يعني قبولها أن تكون فلسطين وشرقي الأردن تحت هيمنة بريطانية، حيث كان الاتفاق على وضع فلسطين تحت إدارة دولية. وكان شرقي الأردن داخلاً في نفوذ فرنسة، لأنه كان جزءاً من ولاية الشام التي هي وسائر أنحاء الشام ولبنان من حصتها في ذلك الاتفاق المجرم. في حين كان هذا أمراً حيوياً في نظر بريطانية. وقد عمدت بسبيل تأمين ذلك إلى تحريض فيصل (الذي تولى رئاسة الحكم في سورية الداخلية حينما انسحبت الجيوش التركية من البلاد الشامية ودخلها على رأس جيش الثورة الذي كان يقوده في خريف عام 1918، ورجال حركته الذين كان كثير منهم من رجال الحركة العربية)، على فرنسة وعرقلة تحقيق مآربها وامتداد نفوذها على سورية طيلة سنتين طويلتين، حتى أعجزتها وجعلتها توافق على العدول عن الإدارة الدولية لفلسطين، وعلى سلخ شرقي الأردن عن سورية، ووضع الإقليمين تحت نفوذها. وحينئذ تخلت بريطانية عن فيصل والعرب بكل لؤم وغدر ونذالة، وأخلت بين سورية وفرنسة، فسارع قائدها غورو في تموز 1920 إلى الزحف عليها واحتلالها ونسف الحكم العربي القومي فيها.

*

ويزعم اليهود أنهم حصلوا على موافقة فيصل على هجرة اليهود إلى فلسطين وإقامة وطن قومي لهم فيها، وأن في أيديهم وثائق بذلك. وقد أثير هذا أمام لجنة شو البرلمانية الإنكليزية التي جاءت للتحقيق في حالة فلسطين بعد ثورة العراق عام 1929، فنفى فيصل ذلك في برقية أرسلها إلى مندوبي العرب أمام اللجنة. وقد تحداهم هؤلاء المندوبون أن يبرزوا وثائقهم فتهربوا، حيث يدل هذا على صدق ذلك أو على الأقل على أن ما في أيديهم لم يكن في صالحهم. وحتى على فرض صحة شيء من ذلك، فإن فيصل لم يكن يملك الحق فيه ليكون حجة على أهل فلسطين الذين تقرر لهم حق تقرير المصير والاستقلال أسوة ببلاد العرب الأخرى في مجلس السلم العالمي الذي انبثق عقب انتصار الحلفاء.

ولقد قبل فيصل تاج سورية على أساس سورية الطبيعية التي كانت فلسطين جزءاً منها وأساس رفض وعد بلفور والهجرة اليهودية كما جاء صريحاً في قراري المؤتمر السوري العام في حزيران 1919 وآذار 1920، فذهب كل ذلك هباء.

ومنذ توطد قدم الإنكليز والصهيونيين في

فلسطين، ساروا متضامنين في سبيل تحقيق هدف إقامة الدولة اليهودية المحمية دائماً من الإنكليز. فلم يتركوا أسلوباً من أساليب التشريع والغدر والقمع والكذب والإرهاب والدس والإغراء والإيغار إلا لجأوا إليه ونفذوه، إلى أن غدا اليهود في فلسطين كتلة كبيرة ارتفعت نسبتهم بها 7٪ في بدء الاحتلال إلى 30٪ في سنة 1935، وصار في حيازتهم مساحات شاسعة من الأراضي جلها مما كان مملوكاً لغير الفلسطينيين، وأقاموا كياناً قومياً فعلاً له مدارسه ودوائره وجيشه ونقاباته وتشكيلاته.

ولقد كافح عرب فلسطين كفاحاً شديداً في نطاق ظروفهم المختلفة، فلم يستطيعوا أن يمنعوا ذلك. ولقد ثاروا أكثر من مرة فقمعت ثورتهم بوحشية. فعمدوا إلى الإضراب الطويل الذي ذهب مثلاً، والذي انبثق منه ثورة كبرى 1936. وحينئذ رأى الإنكليز والصهيونيون أن يجعلوا مسيرتهم إلى الهدف على مرحلتين: الأولى تقسيم فلسطين بين العرب واليهود، والثانية ابتلاعها وما يستطيعون من ورائها حين تسنح لهم الفرص.

فسعوا إلى تهدئة العرب، واستعانوا على ذلك بملوك العرب واعدين أن يحققوا العدل والحق، فلما هدأت الثورة أعلنوا المرحلة الأولى.

فاستأنف العرب ثورتهم بأشد مما سبق، حتى أجبروا الإنكليز على إلغاء قرارهم عام 1938، وإعلان التوقف عن فتح فلسطين لهجرة يهودية والعزم على إنشاء حكم وطني يكون للعرب فيه الثلثان، وكان ذلك تخديراً وخداعاً.

ولما نشبت الحرب العالمية الثانية تذرعوا بها وبالثورة التي أعلنها اليهود ضدهم لعدم الوفاء، وعادوا إلى فكرة التقسيم مرة ثانية في مؤتمر لندن الذي دعت إليه الحكومات العربية مع مندوبي فلسطين عام 1946 ـ 1947، فرفضه جميع العرب. فنقلت بريطانية القضية إلى جمعية الأمم التي كان للولايات المتحدة وبريطانية فيها نفوذ عظيم. وأخذت الولايات المتحدة وبخاصة رئيسها ترومان المبادرة، فبذلت جهودها المجرمة إلى أن تقرر تقسيم فلسطين في 29 تشرين الثاني سنة 1947 المشؤوم، ومنح لليهود ثلثيها برغم عدم حيازتهم إلا نحو 7٪ من أراضيها، وكون العرب الذين فيها يفوقون كثيراً عدد اليهود، مما يزيد في شدة الظلم والعسف. وهكذا قامت الدولة الإسرائيلية على أنقاض العرب بجهود طواغيت الاستعمار ورغم رفض العرب حكومات وشعباً، وصارت هذه القضية الهم المقيم المقعد للعرب أجمعين، لما انطوى فيها عليهم من أخطار عظيمة.

ولقد كان من الممكن أن يحبط هذا القرار كما أحبطوه نتيجة لثورة 1937 ـ 1939 لو لم تقصر حكوماتهم تقصيراً مجرماً[1]، بل ولو لم يخن بعض حكامهم وبخاصة قبل إعلان الدولة اليهودية. فقد هب عرب فلسطين يساعدهم إخوانهم من الأقطار العربية لمقاومة القرار بالسلاح، وأبدوا من البطولة والفداء ما جعل لهم التفوق على اليهود في مختلف أنحاء فلسطين، وحصر اليهود وجعلهم يقاسون الخوف والجوع والخطر والعطش في المرحلة الأولى من الكفاح الشعبي التي امتدت مئة يوم (كانون أول 1947 ـ 15 آذار 1948). ثم شح

(1) من الحق والواجب أن نستثني سورية التي فعلت الكثير في نطاق إمكانياتها المحدودة.

السلاح في أيديهم ولم تنفع الاستغاثة بالحكومات لمدهم بما يسد الثغرة والحاجة، مع القدرة على ذلك، باستثناء سورية في نطاق إمكانياتها المحدودة كما قلنا، التي لم يكن فيها الغناء الكثير. واستطاع اليهود بمساعدة الإنكليز والولايات المتحدة والصهيونية في الخارج وبعض الدول الأخرى أن يضعوا يدهم الفعلية على أماكن الكثافة اليهودية في فلسطين وعلى الموانىء والمطارات، وأن يحصلوا على كميات كبيرة من مختلف أنواع السلاح، وأعداد كبيرة من الضباط والمحاربين المدربين. فأدى ذلك إلى فك الحصار والخطر عنهم، ثم إلى تفوقهم ودحر العرب واكتساح معظم المدن والقرى التي أعطيت لهم في قرار التقسيم مع بعض ما ليس فيه، باستثناء النقب.

واقترفوا خلال ذلك تحت سمع الإنكليز وبصرهم من الجرائم البربرية والمذابح الوحشية ضد العزل والأطفال والنساء، ما أوقع الرعب في قلوب عرب فلسطين وأذهلهم وجعلهم يفرون من بلادهم في حالة تفطر الكبد ناجين بأرواحهم وأعراضهم تاركين كل شيء. وكان الإنكليز في الوقت نفسه يكررون الإعلان بأنهم المسؤولون عن أمن فلسطين إلى 15 مارس 1948 ويعرقلون كل تسليح ونشاط عربي. فلما كانت ليلة 15 مارس كان اليهود كما قلنا قد استولوا على معظم ما كان لهم في قرار التقسيم عدا النقب، فأعلنوا قيام دولتهم. . .

وجريمة الحكومات العربية هذه هي سبب تحقق النكبة فعلاً. وهي عندي أشد الجرائم فظاعة ونتيجة، لأنها لو سدت حاجة المجاهدين وكانت قادرة على ذلك لاستطاعوا الاحتفاظ بتفوقهم في مختلف أنحاء فلسطين، ولما استطاع اليهود أن يخرجوا من نطاق الحصر والخطر والجوع والعطش، ولما كانوا استطاعوا أن يعلنوا قيام دولتهم، لأنهم لم يكن في يدهم شيء منها قبلاً، ولكانت جمعية الأمم استمرت في ما بدأت به من التراجع والبحث عن حل غير التقسيم نتيجة لمقاومة العرب الشديدة في المئة يوم الأولى، حيث كان مجلس الأمن أعاد القضية إلى الجمعية العامة لإعادة النظر فيها حينما رأى الصراع شديداً والعرب متفوقين واليهود يستغيثون فزعين. وقد قررت الجمعية إعادة النظر وعينت مندوباً عنها لإعطاء تقرير بما يراه من حلول أخرى.

وكانت نتيجة الكارثة أو الجريمة حينما دخلت الجيوش العربية إلى فلسطين مختلفة الأهداف والغايات، غير جادة في عزيمتها ضعيفة في عددها وعُددها، فكانت النتيجة المحتمة لمثل ذلك هي الانحدار والعار الذي لحق بالعرب وما يزال يسربلهم ويذهبون به مثلاً بين الأمم. ومن الصور المفجعة من ذلك أن مصر والعراق اشتركتا بآلاف قليلة نصفها بقي في الأنحاء العربية لتأمين خطوط التموين والمواصلات. بينما استطاعتا بعد قليل وبعد فوات الأوان أن تحشدا أربعة أمثال ذلك العدد! ومن ذلك أن أقوى الجيوش العربية تدريباً وتسليحاً لم يكن تحت قيادة ضباط عرب. ومن ذلك أن الهدنة الأولى لما انتهت، وكان مركز العرب لا بأس به بالنسبة للظروف، وطلب مجلس الأمن من العرب واليهود تمديد الهدنة لإتاحة فرصة لمندوب الجمعية العامة للبحث في مهمته، أبت الحكومات العربية بينما قبل اليهود، وأصرت على استئناف الحرب. وكان من المعلوم اليقيني أن اليهود أثناء الهدنة جلبوا مقادير كبيرة من السلاح والعتاد والمحاربين والضباط خلافاً لشروط الهدنة، دون أن تستطيع

الحكومات العربية أن تفعل شيئاً من ذلك. وكان رجالها يصرحون في محافلهم الخاصة بأنهم على غير استعداد لمواجهة اليهود، ويظهرون في محافلهم العامة العنتريات. وهكذا استأنفوا الحرب فانكسروا كسرة شديدة بعد خمسة أيام فقط، وأتيح لليهود بذلك أن يستولوا على المزيد من المدن والقرى العربية، واضطرت الحكومات العربية بين مظاهر الذلة والمسكنة إلى قبول الهدنة ثانية، الأمر الذي كان وظل لغزاً إلا أن بعض رجالها كانوا متواطئين مع اليهود والمستعمرين على ذلك لإتمام الكارثة . . .

ومنها أن الحكومات العربية اختلفت على القسم العربي الباقي في أيدي العرب بعد الهدنة الثانية، حيث أراد الأردن أن يضمه إليه، وعاكست مصر ذلك، فقامت حكومة عموم فلسطين بموافقة الأكثرية. وحرد عاهلا العراق والأردن، وقام الجفاء الشديد بينهما وبين مصر، واغتنم اليهود الفرصة فأنشبوا الحرب مع مصر لرفع يدها عن النقب العظيم ناقضين بذلك الهدنة. واشتبك المصريون معهم اشتباكات يائسة، إلى أن حقق اليهود هدفهم وبسطوا سيطرتهم على جميع النقب بما في ذلك الأقسام المخصصة منه للعرب في قرار التقسيم، فكان ذلك ثالثة الأثافي.

وهكذا قامت الدولة أو السرطان الخبيث في صميم أرض العرب وعلى أنقاضهم، لينمو ويقوى ويمتد حتى يصبح الهم المقيم المقعد لهم كما قلنا.

ويستغل اليهود ما وقع على اليهود من تقتيل هتلر لهم ويبالغون في ذلك ويكررون أكذوبة الملايين الستة حتى صدقوها وصدقها غيرهم، وتمكنوا من استدرار عطف العالم ومساعدته لليهود على التوطن في فلسطين. ويتبارى أنصارهم المجرمون بالإشفاق عليهم وتبرير ما كان منهم بذلك.

وما تقدم يدحض كل هذا، ويثبت أن أولئك المجرمين هدفوا من الأصل إلى غرس السرطان الخبيث في جسم العرب، وأن الصهيونيين هدفوا إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين قبل أن يولد هتلر. ومع ذلك فليس أوغل في الظلم والمفارقة للمنطق من التعاون على قلع الشعب العربي من أرضه بقوة الحديد والنار وصب ألوان البلاء عليه وغرس اليهود مكانه بتلك الحجة الباطلة في أصلها وفي مداها. ومضطهدو اليهود بعد أوروبيون، وليس للعرب يد في ذلك حتى يتحملوا المسؤولية وتحل القضية على أنقاضهم بالأسلوب الذي أثار إشفاقهم، وأتاح لهم إستغلاله كذباً ونفاقاً.

ويسوق اليهود وأنصارهم المجرمون فيما يسوقونه ما في حوزة العرب من مساحات شاسعة خالية غنية في كنوزها وقابليتها، وعدم تضررهم من اقتطاع جزء منها لشعب بائس مضطهد. ودحض هذا لا يحتاج إلى إسهاب، فليس من شعب يرضى أن يؤخذ منه وطنه الذي فيه حياته ومقدساته وتاريخه وعزته، ليعطى لغيره بحجة أن عند أقاربه أرضاً يستطيع الإنتقال إليها. ولو سئل أي من قائلي هذا الهراء عما يفعلونه لو جاء غزاة إليهم وحاولوا غصب قطعة من وطنهم بعد قتل أهلها وطردهم وسلبهم وإقامة دولة لهم فيها لما أجابوا بغير الغضب والأنفة، ولو كان عندهم من المساحات والكنوز ما تتضاءل إزاءه تلك القطعة. ولقد كان الأحرى بأنصارهم المجرمين وعندهم فعلاً المساحات الشاسعة الغنية لو كانوا صادقين أن يهبوا منها وطناً لليهود ويحلوا مشكلتهم على حسابهم وهم الذين أجرموا معهم، لا أن يهبوا وطن غيرهم الذي لم

يكن له أي ذنب ودخل في ما وقع عليهم.

ومنذ أن قامت الدولة الخبيثة وطواغيت الاستعمار وعلى رأسهم الولايات المتحدة يبذلون كل عون وتعضيد سياسي واقتصادي بسبيل تنميتها وتقويتها وضمان بقائها واستقرارها ومدها بأسباب الدفاع، وحمل الدول على الإعتراف بها ومساعدتها والوقوف بالمرصاد للدول العربية ينذرونها ويهددونها ويعرقلون تسلحها ونموها وحيويتها ونشاطها وطموحها نحو الأفضل حكماً وأسلوباً ووحدة، ويدسون بينها ويثيرون أسباب الفرقة والجفاء، لأن ذلك يؤدي إلى ما يريدون من بلبلة العرب وتخلفهم وعجزهم واشتداد حاجتهم إليهم، وتمكنهم من الهيمنة على بلادهم واستغلال ثرواتهم، ولقد بدا هذا في أثناء الحرب اليهودية العربية، حيث مدوا اليهود بمختلف الأسلحة ومنعوها عن العرب وعرقلوا شراءهم لها، وضغطوا عليهم فقبلوا الهدنة. ثم غدر بهم الضباط الإنكليز تلك الغدرة الفاجرة التي كسرت جبهة اللد والرملة، واتسع بها نطاق النكبة المفجعة بما دخل في أيدي اليهود من مدن وقرى كانت من حصة العرب في قرار التقسيم، ومن ازدياد عدد النازحين الذين فروا من هول البغي الوحشي على الإعراض والأرواح.

ومن ذلك أنه لما نشبت المعارك بين اليهود والجبهة المصرية في النقب أعلن أولئك المجرمون أنهم لن يعترفوا بأي كسب يتجاوز حدود الهدنة لأي من الفريقين، وأن من الواجب عليهما العودة إلى هذه الحدود. ولكنهم تراجعوا عن ذلك حينما صار النصر لليهود، وتم لهم به الاستيلاء على جميع النقب بما فيه الأقسام التي كانت للعرب في قرار التقسيم.

وكذلك كان شأن المنظمة الصهيونية التي ينضوي إليها معظم اليهود في أنحاء الأرض، والتي كان لها بفضل انتشارهم وكونهم جزءاً من البلاد التي لهم فيها فروع وتنظيمات ذات تفوق قوي في مختلف المجالات والأوساط، وبخاصة في الولايات المتحدة التي يبلغ عدد اليهود فيها نحو خمسة ملايين، ويؤثرون تأثيراً عظيماً في شؤون الانتخابات والحكومة والصحافة والإذاعة والتجارة والمصارف، ولهم وجود ونفوذ قويان في حزبيها. ثم بريطانية التي لليهود فيها وجود قوي نافذ في مختلف المجالات والأوساط وفي حزبيها كذلك. وقد تسنى لدولة المسخ نتيجة تضامن هذه المنظمة مع أنصارهم المجرمين أن تحصل على ما لا يقل عن خمسة مليارات من الدولارات، لولاها لما كان لها قوام، وأن تحشد مئات آلاف اليهود، وأن تقيم مئات المصانع والمستعمرات، وأن يكون لها جيش قوي التسليح كثير العدد عظيم التدريب والكفاءة تحرص هي وأنصارها والمجرمون على أن يكون كفؤاً لجميع الجيوش العربية بل ومتفوقاً عليها.

ومنذ أن استقروا بالقوة والخداع أخذوا يكررون تصريحاتهم بأنهم لن يتقيدوا بقرارات جمعية الأمم، فلن يتخلوا عن شبر مما دخل في حوزتهم مما ليس لهم في تلك القرارات، ولن يقبلوا بعودة نازح إلى وطنه مما نصت عليه وأكدته قرارات الجمعية، ثم أخذوا يكررون القول بأن ما في أيديهم ليس إلا جزءاً من وطنهم التاريخي، وجعلوا شعارهم دولة إسرائيلية كبرى من النيل إلى الفرات، وحفروه على باب برلمانهم وفي خرائطهم. وأخذوا يتحينون كل فرصة وغفلة فيغيرون على حدود الدول العربية المجاورة ويفتكون ويخربون ليلقوا الرعب في النفوس ويستفزوا العرب، لعل

الفرصة تسنح لهم بالقفز إلى ما وراء حدودهم. وقد ثبت ذلك حينما تآمروا مع الإنكليز والإفرنسيين عام 1956، حيث زحفوا على قطاع غزة وسواه وسيناء واستولوا عليها، وسارعوا فأعلنوا في البرلمان أنها أصبحت جزءاً من وطنهم ولم يتركوها إلا بشق الأنفس وبشروط قاسية رضي بها العرب مقابل ذلك. ولقد استحلوا الإستيلاء على كل ما خلفه العرب النازحون من أموال وعقارات وحقول وبساتين وكروم تقدر قيمتها بملياري جنيه. وقد نسفوا مئات القرى والمساجد والكنائس الإسلامية والمسيحية. وشددوا ضغطهم على من بقي من العرب غيرهم بمختلف الأساليب التشريعية والإرهابية وجعلوهم في نطاق حكم عسكري وضيع. وصادروا كثيراً من القليل الذي بقي في أيديهم من الأراضي وضيقوا عليهم سبل العمل والعيش والتعليم ليكرهوهم على النزوح والانسلاخ عن عروبتهم ودينهم والاندماج في اليهودية جنساً وديناً فأصبحت دولتهم فعلاً الهم المقيم المقعد للعرب بكل ذلك.

*

ومن الخطأ تشبيه فلسطين بالأندلس كما يحلو لبعض الكتاب. فمهما عظمت مصيبة العرب بفقد الأندلس التي دام سلطانهم وازدهرت حضارتهم فيها ثمانية قرون فإنها لم تكن على كل حال موطناً من مواطن العرب الأصلية وفي صميمها. وإنما هي قطر غير عربي الجنس والدار. ومثله كمثل أقطار عديدة فتحها العرب وحكموها ثم خرجت من يدهم دون أن يتأثر سلطانهم وكيانهم ومواطنهم الأصلية تأثراً كبيراً. وهذا عكس فلسطين التي هي منذ أقدم الأزمنة التاريخية موطن من مواطن الجنس العربي، وعقدة الصلة بين الشمال والجنوب والشرق والغرب منها أي انها جزء من كيانهم القومي يتأثر بضياعه سائر أجزائهم كل التأثر.

ومنذ أن غدت أقطار الشام والعراق ومصر وشمال افريقية إلى الأطلس مواطن للجنس العربي في دور عروبته الصريحة الممتدة الى قرون قبل الإسلام. ومنذ أن غدت صلتها لاحمة كل اللحمة بمهد الجنس العربي الأول وهو جزيرة العرب، ظلت هذه الأقطار متصلة ببعضها دون قاطع جغرافي وعنصري. وكل هذا مهدد بالخطر بل وقع فيه منذ قيام الدولة اليهودية.

ومن الخطأ كذلك تشبيه الغزوة اليهودية بالغزوة الصليبية، على ما يقوم في الأذهان أيضاً. لأن الصليبيين لم يأتوا بفكرة الإستقرار. وإنما حركتهم الدعايات المضللة التي كانت تخفي وراءها عوامل ومآرب عديدة لا تتصل على كل حال بفكرة الاستقرار بالنسبة لسوادهم الأعظم على الأقل. وكان لهؤلاء أوطان وبيوت وأراضي ومزارع وعقارات وأهل وأولاد، وظلت الصلة بينهم وبينها قائمة. وكان كثير منهم يأتون بفكرة الجهاد والثواب والإقامة مؤقتاً ثم العودة من حيث أتوا. ولم يستقر منهم في النهاية إلا قليلون لم يلبثوا أن اندمجوا في حياة بلاد الشام بعد انتهاء الحروب الصليبية. هذا في حين أن اليهود يأتون بكفرة الإستقرار الدائم في وطنهم القومي المزعوم بقوة العقيدة بقطع النظر عن صحتها. وهم حيثما يأتون يقطعون كل صلة لهم بالبلد الذي كانوا فيه، وينقلع من ذهنهم كل أثر عنه فعلاً إن لم يكن حقيقة. وبكلمة أخرى يحرقون أو يضطرون إلى إحراق السفن التي يمكن أن تعيدهم إلى مكان آخر، فيغدون لا مقام لهم ولا استقرار إلا فلسطين. ويجعلهم هذا يدافعون عن كيانهم ووجودهم أشد دفاع

حتى الموت. لأن المشكلة تكون مشكلة حياة أو موت بالنسبة لهم. والجيل الجديد الناشىء من فلسطين خلال الخمسين سنة بنوع خاص متحمس لقضية الوطن القومي الصغير ثم الكبير الممتد من النيل إلى الفرات أشد الحماس، ومؤمن بها أقوى الإيمان، ومستعد للتضحية بها بأعظم التضحيات نتيجة للتربية التي يتلقونها، كما ثبت ذلك بكل قوة في مناسبات عديدة، وبخاصة في الثورة التي أثاروها ضد الإنكليز بعد الحرب، ثم في حرب فلسطين بعد التقسيم، فإذا ما رسخت جذورهم فيها صار من الصعب جداً اقتلاعهم.

والوصف الذي وصفنا به مركز فلسطين من مطلع المقال يخرج قضية فلسطين بطبيعة الحال من نطاق قضية لاجئين وحدود، وهو ما يجتهد اليهود وأنصارهم المجرمون في إبقائها فيه. ويجعلها في نطاق الوجود العربي العام الذي لا يمكن أن يكون له أمان وسلامة إلا باستئصال الجرثومة الخبيثة وعودة السلطان العربي الشامل إلى فلسطين، بحيث يمكن القول بجزم أن اليهود لو قبلوا ترك ما في أيديهم مما ليس في قرار التقسيم والسماح للاجئين بالعودة، لما كان في ذلك حل جذري لهذه القضية بناء على ذلك الوصف، فضلاً عما في قبول ذلك والإكتفاء به من إقرار الغاصب المجرم على ما اغتصبه وسرقه بالغدر والنار. بل لو قبلوا أن يكتفوا بدولة في تل أبيب وما يجاورها من أماكن كثافتهم، لما كان في ذلك الحل المذكور، لأنهم بدأوا من تل أبيب، واستطاعوا أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه بمكرهم وكيدهم ونشاطهم ومساعدة أنصارهم المجرمين.

ومن هنا نتبين الخطأ الماثل في شعار المطالبة بتنفيذ قرارات هيئة الأمم حلاً للقضية الذي اتخذته الحكومات العربية منذ سنة 1950 وماتزال تردده، والذي أوقعها اليهود في فخ الموافقة عليه بتوقيع ميثاق لوزان في مايس سنة 1950، ثم تراجعوا عنه بعد دخولهم في هيئة الأمم الذي كانت موافقتهم عليه لأجله. فقرارات هيئة الأمم متعددة، وحينما يطالب بها يكون المطالب قد التزم بها جميعاً صراحة أو ضمناً. وهذه القرارات تقضي بقيام دولة إسرائيل، وتدويل القدس، وقيام دولة عربية متحدة معها اقتصادياً. وقبول قيام دولة إسرائيل في صميم بلاد العرب مهدد للوجود العربي العام. ولسوف تكون الدولة العربية تحت رحمتها وابتلاعها أو جسراً للتسلل اليهودي إلى البلاد العربية، ولسوف تكون منطقة القدس بالتدويل تحت رحمتهم لأنهم الأكثرية فيها، ووكراً لدسائسهم وتكثفهم، بحيث يسهل عليهم ابتلاعها في أية فرصة.

*

وهذا الشعار على ما يتمثل فيه من أخطاء وأخطار مناقض مناقضة صارخة لضمير الشعب العربي الذي تمثل في مواقف الرفض البات والثورات الدامية ضد أي مشروع من مشاريع التقسيم. ولقد كانت الحكومات العربية وشعوبها تشترك إلى جانب فلسطين في كل ذلك في أيام الانتداب ثم بعد قرار هيئة الأمم في تشرين الثاني 1957.

ولقد كانت الحكومات العربية تزعم أن هذا الشعار خطة سياسية لإظهار العرب في مظهر المعتدل، الذي يطالب الأمم المتحدة بقراراتها التي كان قيام إسرائيل نفسها بها. أما الموقف اليهودي المتعنت الذي يرفض التخلي عن شبر من الأرض التي دخلت في حوزتهم، وعن القدس كعاصمة لهم، والموافقة على عودة

اللاجئين، ورد ما نهبوه من أموال العرب وممتلكاتهم التي تقدر بملياري جنيه، ويقدر ريعها بخمسين مليوناً سنوياً إلى أربعة أضعاف ما تنفقه وكالة الغوث على النازحين. غير أن هذه الخطة لم تسفر عن أية نتيجة أولاً. ونزلت بقضية فلسطين إلى مستوى الحدود واللاجئين رغم أنف الضمير العربي والجهاد العربي والوجود العربي.

ولقد بدأت الحكومات العربية تدرك ذلك وتتراجع عنه وتقول بأن لا حل إلا بإزالة دولة المسخ. وتجلى ذلك أخيراً بقرارات مؤتمرات القمة وبالغضبة العارمة التي غضبها الشعب وبعض الحكومات على الدعوة الوقحة إلى مصالحة إسرائيل والتعايش معها وقبول واقعها. غير أن هذا لم يصبح تياراً جارفاً وعقيدة عميقة في جميع الحكومات العربية وحكامها، مما يوجب تشديد وتكرار القول فيه حتى يصبح كذلك، وتتخلى الحكومات العربية وحكام العرب فعلاً عن هذا الشعار، ويغدو شعارها العام الصادق أن الحل الوحيد هو زوال دولة اليهود، وأنه لا سلام ولا أمان ولا شرف ولا كرامة لجميع بلادهم إلا بذلك. وهو الحل الشرعي الوحيد الذي يصحح كل ما كان قبل قيام الدولة وبعده إلى الآن من جرائم ومنكرات وظلم وسلب وشذوذ عن كل منطق وحق وشرع وقانون وعرف. وإذا سأل سائل: (وماذا نصنع باليهود في فلسطين)؟ فالجواب هو أن على الذين غرروا بهم وحشدوهم أن يدبروا الأمكنة في بلادهم لمن لا يريد أن يعيش منهم رعية في السلطان العربي الذي كان اليهود يعيشون في كنفه بكل أمن وطمأنينة.

*

والارتفاع بقضية فلسطين إلى هذا المستوى يجعل هذه القضية غير منوطة بعرب فلسطين وحسب وتطور حالتهم ولو طال الزمن على حلها. فهناك ألسنة تهمس أن الجيل الذي عاش في فلسطين وارتبط بأعمق الروابط وأقدسها فيها، وعاش النكبة وذلها وعارها وحقدها يتوارى قافلة بعد قافلة، ويخلف وراءه أجيالاً لم يعيشوا فيها ولم يرتبطوا روحياً بذكراها ومقدساتها، وهم متفرقون تحت كل كوكب، وقد يندمجون في أوطان أخرى. وبقطع النظر عن ما في هذا الهمس من بعد عن الحقيقة، وعما نراه من شدة تعلق الأجيال الجديدة بوطنهم السليب الذي يتلقون ذكرياته على اختلافها من آبائهم، وعن ما نسمعه ونؤمن به من شدة تصميمهم على بذل الدم في سبيل استعادة وطنهم وأخذ ثارهم ومسح عارهم مهما كلف الثمن، فإن الإرتفاع بالقضية إلى ذلك المستوى يجعلها قضية العرب عامة، لا من ناحية العاطفة والتأييد الأخوي، بل من ناحية أمن البلاد وسلامتها وعزتها عامة، ويبقيها حية قائمة على مدى الأجيال وعلى أوسع نطاق إلى أن يتم تحريرها وعودتها إلى السلطان العربي. وهذا الارتفاع واجب قومي مقدس، بقطع النظر عما يفيده من قوته في مجال الحل الجذري للقضية.

فالقضايا القومية العويصة لا يمكن أن تسير في طريقها الصحيح الكريم إلا إذا وضع لها إطار محدود لا يجوز أن تخرج منه، ثم تجاهد الأمة على مدى الأجيال جهادها الدائب المستمر في سبيل الوصول إليه دون هوادة ولا ملل. فإذا ما أدرك العرب في كل بلد عربي حكومات وشعوباً هذا الواجب بهذا المستوى صار الجهاد في سبيل تحقيقه أمراً لا مناص منه وغير مرتبط بجيل وأهل وطن خاص. ويجب أن نوطن

النفس على أن تحقيق هذا الواجب متعدد النواحي والمراحل، وعلى أن لا نسأم ولا نمل ولا نضعف مهما طال الزمن وتطورت الأحوال، لأنه متصل بالوجود العربي العام، وهو مسألة حياة وموت للجيل الحاضر من العرب والأجيال القادمة. ونحن مؤمنون كل الإيمان بأن النصر سيكون حليفنا إذا أدركنا هذا الواجب بهذا المستوى إدراكاً عميقاً، واجتهدنا في القيام به اجتهاداً قوياً مؤمناً. إذ أنه يرتفع بنا فوق كل الاعتبارات الظرفية والشخصية والمحلية.

ومن الجدير بالتنبيه إليه أن اليهود يقفون ذلك الموقف المتعنت العجيب حينما يصرون على رفض أي شيء من التنازل، ويعلنون طموحهم إلى الوطن الكبير من النيل إلى الفرات، رغم علمهم علم اليقين أن أضعف العرب إيماناً وأشدهم ميوعة وانهزامية واستجابة لأنصار اليهود وإغراءاتهم لا يمكن أن يقبلوا بأي حل وصلح معهم بدون تنازل ما من جانبهم، ورغم أنهم يشعرون أن الصلح مع العرب وعدمه بالنسبة إلى ظروفهم الحاضرة مسألة حياة وموت، لأنهم يصدرون في موقفهم عن عقيدة الوجود الذي لا يتحمل تنازلاً ولا تهاوناً على ما في هذا الوجود المزعوم من زيف وتفاهة ووهن. فالعرب أجدر بأن يصدروا عن مثل هذه العقيدة القائمة على الحق القوي الصريح العادل المؤيد لحقائق التاريخ والاجتماع، والتي بها وحدها سلاحهم وأمنهم. وأن يبذلوا جهودهم لتهيئة الفرصة لتحقيقها ونسف المسخ اليهودي وتطهير أرضهم من الرجس.

وإذا قال قائل إن التناقضات بين الحكومات العربية تذكرنا بما كانت عليه حين المعركة سنة 1947 ـ 1948، وتبعد هذه الفرصة بعداً كبيراً، وأن الوقت قد يطول وقد لا يكون هذا من صالح القضية، لأن ذلك قد يرسخ أقدام هذا المسخ ويحقق الخطر الرهيب ولو لأمد غير قصير. فنجيبه بلسان القرآن في معرض مماثل عن اليهود: (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار)[1].

والمسخ على كل حال لن يعدو أن يكون عوامة، ولا نقول جزيرة في خضم عربي عظيم، ولن تصمد لتياراته القوية إلى ما شاء الله. ولا سيما أنه ليس له مقومات ذاتية للبقاء، فضلاً عن الاستمرار في النمو. وهو مرشح للإنهيار في أي ظرف دولي وعالمي ينقطع عنه المدد الضخم الذي لا يعيش بدونه لحظة واحدة.

ومهما تكن حالة العرب اليوم، فانتباههم المحسوس ونمو قوتهم وعددهم سيجعل نمو اليهود في حالة التوقف، والمسخ اليهودي في حالة خوف دائم، بل صار هذا وذاك واقعاً ملموساً.

ومهما أمدهم الطاغوت الاستعماري بأسباب البقاء والدفاع، ومهما بدا عليهم من آثار ذلك، ومهما اشتدوا بسبيل توطيد يدهم الباغية، فلن يغير ذلك النتيجة المحتومة التي نؤمن بها، وهي قدرة العرب على إزالة هذا المسخ إذا صدروا عن تلك العقيدة وارتفعوا بها عن كل اعتبار، وجاهدوا في سبيلها بكل إيمان.

ولقد هزت نكبة فلسطين كيان العرب في جميع أقطارهم هزة شديدة، وجرحت قلب كل عربي أعمق جرح من الخليج إلى المحيط

---

(1) الآية الثانية من سورة الحشر.

وأشعرته بالعار والمهانة والخطر العظيم الذي يتهدد أمته وبلاده. وكل ما جرى في بلاد العرب من ثورات وهزات واضطرابات و إطاحة عروش ورؤوس منذ سنة 1949، وتطلع نحو الأفضل ونحو القوة، إنما كان من سر هذه النكبة الذي ظهر في وقت مبكر أكثر من ظروف الغزوة الصليبية على ما كان من تماثل في حالة العرب من ظروفها وظروف الغزوة الصهيونية الاستعمارية. ولقد كان هذا السر هو المحرك الأقوى للعرب لتهيئة أسباب الثأر وغسل العار وإزالة الخطر واشتداد الهتاف للوحدة والتضامن وإننا مؤمنون بأن هذا السر سيظل يعمل عمله ويظهر آثاره مرة بعد مرة إلى أن ينفذ إلى أعماق ضمير الشعب العربي وحكامه وحكوماته وهيئاته ومنظماته وأحزابه في كل قطر، ويحملهم على ترك خلافاتهم واعتباراتهم بصدق وإيمان، ويسوقهم إلى الوحدة والقوة والتضامن، ويحقق هدفه بإزالة السرطان الخبيث الذي احتل أشد بقعة من بقاعهم حساسية وخطورة وسربلهم بذلك بالخزي والعار.

وحينما يقوى العرب بالوحدة والتضامن الصادق ويشتد تصميمهم ويصبح أنصارهم الذين لهم المصالح العظمى في بلاد العرب بين اختيارهم ـ وهم أصحاب الثروات الطبيعية الهائلة والمراكز الاستراتيجية العظيمة والعدد الكبير المتكاثر ـ وبين اختيار اليهود والضعفاء والأذلين المحتاجين إلى العون من كل جهة، والذين لا تعيش دولتهم إلا به، والذين يكون دورهم تعطل ـ لا يمكن أن يختاروا إلا العرب، وحينئذ ينهار هذا البناء الواهي المصطنع في حقيقته، رغم ما يبدو من مظاهر في مرحلة أو مرحلتين، وتعود فلسطين جميعها عربية خالدة. ولو لم ينهار هذا البناء سلمياً فسوف ينهار حينئذ كما بدا بالحرب والنضال الذي يكون العرب أقدر عليه، ويكون الفلسطينيون فيه أصحاب الدور الطليعي الذين هم مستعدون له أشد الاستعداد، والمتحرقون له أقوى التحرق، والمتحفزون له أعظم التحفز، بل والذين يستطيعون أن يقوموا به منذ الآن، وأن يبدو من التضحيات والبطولات ما يمكن أن يمهد لتحقيق الهدف أو تحقيقه فعلاً. وكل ما يطلب من الحكومات العربية ـ التي قد لا تسمح لها الظروف الدولية والعالمية على ما مر مثاله في حملة السويس، أن تهاجم الدولة اليهودية وتزيلها حتى لو صار ذلك في قدرتها ـ أن تشجعهم وتساعدهم بمختلف الوسائل، وأن تحمي حدودها وأجواءها من ردود الفعل اليهودية وأن تكون مهيأة في هذه الحالة إلى اغتنام الفرصة والقضاء نهائياً على السرطان.

ولقد اقترحنا هذا منذ خمس عشرة سنة في كتابنا مشاكل العالم العربي، وكررناه في كتب أخرى صدرت لنا بعده. ولا نزال نراه الطريقة المثلى إلى التحرك نحو الهدف والتمهيد له وتحقيقه. ولقد أدركت الحكومات العربية ذلك حين قررت إنشاء الكيان الفلسطيني والجيش الفلسطيني ليكون في يدهما المبادرة، غير أن ذلك قد تعثر تبعاً لما هو قائم من تناقض بين هذه الحكومات، وهو ما نأمل أن يتبدل بقوة سير فلسطين وثأرها وعارها بالدعوة القوية المخلصة التي يجب أن تشتد إليه.

ومن حسن الحظ أن طليعة من المناضلين الفلسطينيين قد أقدمت على افتتاح هذا الدور، وبدأت حرب عصابات ناجحة ضد الجرثومة الخبيثة وفي عقر دارها السليبة. فصار من واجب الحكومات والشعوب العربية ومنظمة تحرير

فلسطين أن تمدها بكل ما يقويها ويوسع حركتها، والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

* * *

(34) تسجيل لقاء بين الكاتب والأستاذ الشقيري رئيس منظمة تحرير فلسطين 10 حزيران 1966

في الخامس من حزيران 1966 جاء الأستاذ الشقيري إلى دمشق وزارني مع بعض الإخوان من أعضاء المنظمة ومع بعض ضباط جيش التحرير. وقد علمت منه أن عدد أفراد كتائب غزة يتراوح بين 7 و 8 آلاف وكتائب الشام بين 1500 و 2000. وهناك كتائب في بغداد والجزائر أقل عدداً. وقد قلت له إن هذه الكتائب مهما تمت وتدربت فلن يكون لها مجال للعمل إلا في حالتين. إما أن يعتدي اليهود فتضطر الحكومات العربية إلى الرد فتكون هذه الكتائب طليعة مهمة. وإما أن تصل الحكومات إلى اليقين بأنها استكملت أسباب دفاعها فتقول للكتائب اندفعي وأنا أحميك وأحمي حدودي. والأول مستبعد، لأن اليهود يعرفون أن العرب ساروا شوطاً مهماً في التسلح والاستعداد. والثاني مستحيل بخاصة بالنسبة للبنان والأردن للإعتبارات الكثيرة المعلومة. والمنطقتان من أهم المناطق التي يجري العمل الفدائي عن طريقها. وكل الأمل في أن يكون ذلك من الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية السورية العربية. وهذا أيضاً الآن بعيد أيضاً. واعترف الأستاذ الشقيري بصحة ما قلته. فقلت له إذن إن العمل الفدائي الحر قد يحرك الحكومات ويجعلها تعجل في استكمال أسباب دفاعها ويضعها أمام الأمر الواقع. فوافق على ذلك أيضاً. وقال أنه سيتحدث مع رجال سورية في ذلك، وأنه سيقترح عليهم إفراز بعض فصائل من الكتائب الموجودة فيها وتحريكها من الآن تحريكاً حراً. فتمنيت أن يكون الكلام هذه المرة جداً وأن يلقى تجاوباً من رجال سورية.

وبعد يومين سافر الأستاذ الشقيري، وقرأت كتاباً موجهاً منه إلى رئيس الدولة السورية يعلنه فيه أنه فوض الجيش الفلسطيني في سورية بأن يكون تحت تصرف الجيش السوري في أي موقف يقفه للدفاع وإحباط العدوان على سورية. وهذا شيء والذي قاله لي شيء آخر. وقد قوى هذا ما صار لدي ولدى كثير غيري من انطباع وقناعة من عدم إمكان انبثاق حركة تحريرية ثورية حرة من منظمة تحرير فلسطين في تركيبها وظروفها الحاضرة، ومن ضعف احتمال بل استعداد الأستاذ الشقيري للسير حراً في هذا السبيل.

* * *

(35) استدراكات تحذيرية هامة للمسلمين في صدد بعض ما جاء في القرآن في شأن اليهود[1] حزيران 1966

في القرآن بعض آيات فيها تنويه ببني إسرائيل وإيذان برعاية الله لهم وتفضيلهم على

(1) مقال نشر في مجلة حضارة الإسلام الدمشقية عدد حزيران 1966.

العالمين، وكتابته لهم الأرض المقدسة، وتوريثه إياهم مشارق الأرض ومغاربها التي بارك فيها، وإيجاب للجنوح إلى السلم معهم إذا جنحوا إليه.

ومع أن في القرآن آيات كثيرة تنسخ كل ذلك، فإن اليهود يستغلون تلك الآيات لخداع بسطاء المسلمين وإقامة الحجة عليهم من قرآنهم ليجعلوهم يسيغون ما كان منهم من عدوان وبغي وظلم واغتصاب وما يدعون إليه من الصلح على أساس الأمر الواقع الذي يؤيده القرآن بزعمهم.

ولذلك صار من واجب علماء المسلمين ونبهائهم توضيح المسائل ووضعها في نصابها الحق، لتنوير عامة المسلمين وتحذيرهم من خداع اليهود وتضليلهم. وفيما يلي شيء من ذلك بسبيل القيام بهذا الواجب.

أولاً: في القرآن هذه الآيات:

1 ـ ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين﴾ البقرة: 47.

2 ـ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل* وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾. السجدة: 23 ـ 24.

3 ـ ﴿ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب، هدى وذكرى لأولي الألباب﴾ غافر: 53 ـ 54.

4 ـ ﴿ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين، من فرعون إنه كان عالياً من المسرفين* ولقد اخترناهم على علم على العالمين* وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين﴾ الدخان: 30 ـ 33.

5 ـ ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين﴾ الجاثية: 16.

وقبل كل شيء نقول إن المفسرين متفقون على أن ما ورد في هذه الآيات من تنويه وتفضيل هو منحصر بالظرف الذي منحوها فيه وليس على التأييد. ولقد احتوت آية سورة السجدة تعليلاً لما كان من جعل الله بني اسرائيل أئمة يهدون بأمره وهو ﴿لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ وهذا التعليل ينسحب على جميع ما في الآيات أيضاً. ولقد حكت آيات كثيرة جداً بغيهم وعدوانهم وعصيانهم وتكذيبهم للأنبياء وقتلهم إياهم وتحريف كتبهم وارتكاسهم في الكفر والشرك وعبادة العجل، وأكلهم السحت وعدم تناهيهم عن المنكر ومخالفتهم لشرائعهم ومكابرتهم في الحق وصدهم عن سبيل الله وسعيهم بالفساد في الأرض ونقضهم لميثاق الله وخياناتهم لعهودهم وأمانتهم واستحلالهم أموال الغير، وإعراضهم وتآمرهم على الإسلام والمسلمين مع الأعداء. وإن الله عاقبهم على ذلك فضرب عليهم الشتات والذلة والمسكنة وحرم عليهم ما أحله لهم من الطيبات ومنحه إياهم من المزايا وأدخلهم في وصف (شر البرية) الذي وصف به الكافرون برسالة النبي محمد ﷺ، وصب عليهم الغضب ولعنهم وجعل منهم القردة والخنازير، وآلى على نفسه أن يبعث عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، وأذن لرسوله أن ينكل بهم ويطهر الأرض المقدسة من رجسهم ونقضهم ميثاق الله على ما جاء في البقرة:

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾(59)، ﴿وإِذْ قُلْتُمْ يٰمُوسىٰ لَنْ

نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاؤُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾(61)، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾(65)، ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(74)، ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾(79)، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(85)، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ﴾(86)، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾(87)، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(93)، ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾(100).

وآل عمران : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(71)، ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(72)، ﴿وَلاَ تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(73)، ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(78)، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكتابِ لِمَ تَكفُرُون بآياتِ اللَّهِ واللَّهُ شَهِيدٌ عَلى مَا تَعْمَلُونَ﴾(98)، ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(99)، ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ﴾(111)، ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاؤُا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾(112)، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾(118)، ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ

قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾(181).

والنساء : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾(44)، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً﴾(45)، ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(46)، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾(47)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾(48)، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾(49)، ﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُبِيناً﴾(50)، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾(51)، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾(52)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾(150)، ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُبِيناً﴾(153)، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾(154)، ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(155)، ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً﴾(156)، ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾(159)، ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾(161).

سورة المائدة: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلواةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّآتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾(12)، ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(13)، ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(41)،

﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(42)، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾(59)، ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾(60)، ﴿وَإِذَا جَاؤُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾(61)، ﴿وَتَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(62)، ﴿لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾(63)، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(64)، ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ﴾(70)، ﴿وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾(71)، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾(72)، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾(77)، ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾(78)، ﴿كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾(79)، ﴿تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾(80)، ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾(81)، ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾(82).

الأعراف: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(61)، ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾(164)، ﴿وَسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾(163)، ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(164)، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾(165)، ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾(166)، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ

رَحِيمٌ﴾(167)، ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(168)، ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لاَ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾(169).

الحشر: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُم شاقُّوا اللَّهَ وَرسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقاب﴾(4).

الصف: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(5).

الجمعة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(5)، ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(6)، ﴿وَلاَ يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾(7)، ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاَقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(8).

البينة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾(6).

بحيث يكون في هذه الآيات الكثيرة إيذان رباني حاسم بنسخ تلك الآيات وإلغاء تلك الميزات.

ولقد وصف القرآن المؤمنين برسالة النبي محمد ﷺ: «الذين يعملون الصالحات» بأنهم خير البرية في آية 7 من سورة البينة، فيكونون هم المفضلون على غيرهم من جميع أهل الملل والنحل والأديان الأخرى قاطبة، منذ الرسالة المحمدية إلى الأبد.

والآيات القرآنية التي أوردنا أرقامها وسورها تربط بين أخلاق ومواقف وانحرافات وتحريفات الإسرائيليين المعاصرين للنبي محمد ﷺ، ومن أخلاق ومواقف وانحرافات وتحريفات آبائهم قبلهم.

وفي الأسفار التي يتداولها الاسرائيليون ويقدسونها، والتي كتبها كتّاب الإسرائيليين القدماء، صور لا تحصى عن سوء أخلاق ومواقف وانحرافات وتحريفات الإسرائيليين القدماء في أوسع نطاق وأشمله تتطابق مع ما وصف القرآن به الإسرائيليين المعاصرين للنبي ﷺ على ما فصلناه في كتابنا (تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم)، فصاروا بذلك أسوأ قوم واستحقوا من أجل ذلك ما قررته الأسفار ثم القرآن من غضب الله ولعنته وعذابه وبلائه والتشتيت في أنحاء الأرض وسومهم العذاب إلى يوم القيامة من غيرهم، ونسخه ما أغدقه عليهم من صفات ونعمة وميزات حينما صبروا واستقاموا لفترة ما على ما فصلناه كذلك في ذلك الكتاب، فلم يعد لليهود أي حق بدعوى من ذلك، ولم يبق لهم أي دليل لتضليل الناس.

وثانياً: في سورة المائدة هذه الآيات:

﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحد من العالمين* يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين﴾ (25 - 26).

وفي سورة الأعراف الآية التالية:

﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾ (137).

ولقد جاء بعد آيتي المائدة المذكورتين آيات تحكي موقف اللجاج والتمرد الذي وقفه بنو إسرائيل من أمر الله ورسوله، وإيجاب التيهان عليهم في التيه وعدم دخول تلك الأرض بسبب فسقهم وهي:

﴿قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون* قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله توكلوا إن كنتم مؤمنين* قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون* قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ (27 ـ 29).

وهكذا يكون الأمر من وجهة النظر القرآنية قد وقف عند هذا الحد وانتهى مدى حكاية قول موسى إن الله كتب لهم الأرض المقدسة.

ويلحظ أن آية سورة الأعراف قد تضمنت تعليلاً لما كان من حكمة الله بإعلامهم أنه أورثهم مشارق الأرض ومغاربها التي بارك فيها وهو صبرهم واستقامتهم، وقد انحرفوا انحرافات أخلاقية ودينية خطيرة على ما قررته آيات عديدة مما مر أرقامه أو نصوصه ونقضوا بذلك التعليل الرباني، فلم يعد لهم حق بالتمسك بالآية القرآنية والاحتجاج بها. فضلاً عن الآيات الكثيرة التي أوردنا أرقامها وسورها والتي تضمنت لعنة الله عليهم وغضبه وتحريم ما أحله عليهم من نعم وإيذانه بتشتيتهم في الأرض وتسليط من يسومهم سوء العذاب عليهم إلى يوم القيامة وكتابته الذلة والمسكنة عليهم.

ومن الجدير بالذكر أن الإصحاح (26) من سفر الأحبار أحد أسفارهم التي يتداولونها أنذرهم إنذاراً رهيباً بالنكبات والضربات والشتات وتسلط الأقوياء عليهم وإذلالهم وتدميرهم إذا هم انحرفوا عن وصايا الله وشرائعه. وقد سجلت أسفارهم العديدة مثل أسفار القضاة وصموئيل والملوك وأخبار الأيام وحزقيل ودانيال، ففقدوا من وجهة نظر أسفارهم ما آذنهم الله به من تفضيل وإرث.

وثالثاً: في سورة الأنفال آيات في حق اليهود على ما يذهب اليه جمهور المفسرين وهي:

﴿إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون* الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون* فإما تثقفهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون* وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين* ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون* واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون، وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم﴾ (55 ـ 61).

حيث ينطوي في الآية صورة قوية لما كان عليه اليهود في عهد النبي ﷺ من كفر وفسق ونقض عهد وخيانة وتآمر على المسلمين وما

كـان من تسليط الله ونبيـه عليهم لتشـريـدهـم والتنكيل بهم.

والنقطة المهمة في بحثنا من هذه الآيات في جملة ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾. واليهود في فلسطين اليوم يعلنون من آن لآخر رغبتهم في الصلح مع العرب مع اعتراف العـرب بدولتهم في فلسطين والصلح معهم على هـذا الأساس. والجملة القرآنيـة إنما تنـطبق عليهم حين نـزولهم وتنـطبق على كـل عـدو آخـر للمسلمين إذا كـان له دار ودولـة خاصـة منـذ الأصل. ثم أراد مسالمة المسلمين والانتهاء من عدائه وعدوانه.

أما اليهود في فلسطين فهم أعداء معتـدون على دار المسلمين والعـرب. مغتصبـون لمـا احتلوه من فلسطين اغتصاباً بمساعدة طواغيت الإستعمـار أعـداء المسلمين والعـرب بعـد أن حـاربوا المسلمين والعـرب فيهـا أشـد حـرب وآذوهم أشد أذى وطردوهم من مدنهم وقراهم، واستـولـوا على بيـوتهم ومـزارعهم وبسـاتينهم وكـرومهم وثرواتهم المنقـولـة وغيـر المنقـولـة وحوانيتهم ومصانعهم، وهتكوا حرماتهم ودنسوا مقـدساتهم وهـدموا مسـاجدهم وأزالـوا معالم الإسـلام والعـروبـة، ولم يكن بينهم وبـين المسلمين والعرب سابق عداء قبل تفكيرهم في غزو فلسطين وإنشاء دولة لهم فيها على أنقاض العرب والمسلمين، بل كان المسلمون والعرب في ظل السلطان الإسلامي يمنحون من كان في ظله منهم الحرية والأمن والطمأنينة. في حين كـانوا وظلوا معرضين للاضـطهـاد والمـطاردة والمصادرة في جميع البلاد الأخرى التي كانوا يحيطون فيها. فلا ينطبق عليهم معنى الجنوح إلى السلم إذا أعلنوا أنهم يريـدون الصلح مع المسلمين والعرب مع احتفاظهم بما اغتصبـوه من دارهم، وبالدولة التي أقاموها بغياً وعدواناً على أنقاضهم.

ولا يجـوز للمسلمين والعرب إجـابتهم إلى ذلك حتى لو تركوا بعض مـا اغتصبوه واكتفـوا بالقسم الذي قـررته لهم هيئـة الأمم، لأنه دار المسلمين والعـرب، ولـيس لهيئـة الأمم أن تمنحهم جزءاً مهما كان صغيراً من هذه الدار.

وليس لأحد من المسلمين والعرب حق في قبول ذلك. وأي تساهل في ذلك هو خيانة لله ولرسولـه وللمسلمين. وعلى المسلمين واجب إعداد كل قوة يستطيعونها والإستعداد بكل وسيلة لمقاتلتهم وتضييق الخناق عليهم بدون كلل ولا فتـور كما أمـر الله إلى أن يخرجـوا من دارهم ويطهروا كل بقعة منهـا من رجسهم وتعود إلى السلطان الإسـلامي العربي كمـا كانت، وكـل تهاون في أي شيء من ذلك إثم ديني عظيم.

ويحسن أن ننبه في هذه المناسبة إلى نقطة هامة وهي أن الجنـوح للسلم يجب أن يكـون من العدو، وقد نهى الله المسلمين عن ذلـك كما جاء في سورة محمـد ﴿ولا تهنوا وتـدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتـركـم أعمـالكم﴾ لأن الجـانـح للسلم يكـون هـو الأضعف ولا مناص له من قبول شروط الطرف الأقـوى، وقد كـرم الله المسلمين عن ذلـك، ولا سيمـا أن الله إنما شـرع الجهـاد للدفـاع، ويكون المسلمون دائماً فيه في موقف المدافع المقابل بالمثل ويكون الكفار في موقف العدوان عليهم. وقد قال الله عز وجل ﴿ولمن انتصر من بعد ظلمه فأولئك مـا عليهم من سبيل * إنمـا السبيل على الذين يظلمون النـاس ويبغون في الأرض بغيـر الحق أولئـك لهم عـذاب أليم﴾ (الشـورى 41) وقال: ﴿وقـاتلوا في سبيل الله الـذين يقـاتلونكم ولا تعتـدوا إن الله لا يحب

المعتــدين﴾. وقـد أمــر الله المسلمين بعـدم التهـاون في قتال أعـدائهم إلى أن ينتهـوا عن عدوانهم حتى ولو كان في ذلك مشقة عليهم، لأنهم على الحق وعدوّهم هو الباغي عليهم وقد وعـدهم بـالنصـر كما جاء في سـورة البقـرة آية 193 ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الـدين لله فـإن انتهــوا فـلا عــدوان الاّ على الـظالمين﴾ وفي سورة النسـاء آيـة 103 ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمـون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً﴾. وفي سورة الروم 41 ﴿وكـان حقـاً علينـا نصـر المؤمنين﴾ وســورة الحج 38 ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الاّ أن يقولـوا ربنا الله ولـولا دفع الله النـاس بعضهم ببعض لهدمت صـوامـع وبيـع وصلوات ومسـاجد يـذكر فيهـا اسم الله كثيـراً ولينصرنّ الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾. وسورة الحج 59 ﴿ذلـك ومن عاقب بمثـل ما عوقب به ثم بُغِيَ عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور﴾.

ومن المؤلم المؤسف أن يقدم أنور السادات رئيس جمهـورية مصـر المسلمة كبيـرة الـدول العربية وأقـواها على مخـالفة ذلـك كله حيث ذهـب إلى الإســرائـيليـين فـي الأرض الـتـي اغتصبوها من المسلمين وقبل شروطهم وعقـد معهم صلحـاً فيه إقـرار باغتصـابهم واحتلالهم لجميـع فلسـطين وبقـاء أهلهـا تحت ظلمهم وبغيهم، وإتـاحة الفـرصة لهم لمـلء الأراض بالمستوطنات والمستوطنين اليهود تمهيداً لطرد أهلهـا من بـلادهم وإتـاحـة الفـرصـة لهم، لاستغـلال مصر ذاتهـا تجارة وزارعـة واقتصاد وسياسة وثقافة ونهب نفطها ومياهها وسلخها عن شقيقاتها فكان في ذلك أعظم الضربـات التي نزلت على الأمة الإسلامية وبلادها.

* * *

(36) تسجيـل لقـاء وحـديث بين الكـاتب والاستاذ أحمد الشقيري 1966/12/15

في 1966/7/10 اعتدى اليهود على قرية السموع في منطقة الخليل ودمروا وقتلوا. وأثار العدوان الهياج والتوتر، وقامت مظاهـرات في الأردن والضفـة الغـربيـة، وتعـالت الأصـوات بوجوب تسليح القرى الأمامية. وقد اندمج في ذلك منظمـة تحريـر فلسطين، وانبـرى رئيسها الأستاذ الشقيري إلى عقد الإجتماعـات وإلقاء الخـطب وإذاعة البيـانـات في القـاهـرة معلنـاً استعداده لتقديم مختلف أنواع السلاح الخفيف والمتوسط الكافي لتسليح جميع القرى الأمامية في الضفــة الغــربيــة، متهمــاً الملك حسين وحكومته بإهمال ذلك، بل بسحب ما كان في أيدي الحرس الوطني في هذه القرى من سلاح وعتاد قبل هـذا العدوان. وكـان هذا قـد شاع وعلل بأنه تم لئلا يشترك الحرس المسلحون في الأعمال الفدائية.

ولقد وجهت بعض الصحف الأميركيـة نقداً إلى إسرائيل لمهاجمتها الأردن الحليف الموالي للولايات المتحدة، فرد اليهود على ذلك بالقول إنهم لم يقصدوا العدوان على الحكومة الأردنية وإحراجها، وإنما قصدوا بعمليتهم مسـاعدتهـا حتى تبرر منعها للأعمال الفدائية. فـأثار هـذا ضجة عظيمة وصار الناس يوجهـون التهم إلى

الملك حسين ووصفي التل رئيس وزارته بأن ما كان من عدوان يهودي قد تم بالتواطؤ بين اليهود والحكومة الأردنية.

في غمرة هذا الهياج والتوتر، وبتحديد أكثر في أول كانون الأول 1966 جاء الأستاذ أحمد الشقيري إلى دمشق. وظهر يوم الأحد في 1966/12/4 زارني في البيت وكان معه اللواء وجيه المدني قائد جيش التحرير والعقيد صبحي الجابي رئيس أركان حربه. وقد هنأته على مواقفه القوية في هذه المحنة، وقلت له إنه حلق في ما ألقاه من خطب وأذاعه من بيانات وأظهره من استعداد إلى الذروة. وأن الناس صاروا ينتظرون العمل لأنه لم يعد محل لمزيد من القول وهم يتطلعون اليه، وقد أعلن أن لديه ما يكفي من سلاح ومال ومدربين. وإنه أمام مسؤولية تاريخية عظمى، فإما أن ينتقل من القول إلى العمل الجاد وتوسيع نطاق الحركة التحريرية التي كان لها ما هو ظاهر من آثار تحريكية لقضية فلسطين ورعب في قلوب اليهود وأنصارهم، وحماس عظيم في فلسطين والفلسطينيين بخاصة وبلاد العرب بعامة على محدوديتها. وإما أن ينحدر من الذروة التي حلق إليها فيسقط وتتكسر آمال الناس الذي انتظروا طويلاً وظنوا في النهاية أنهم وصلوا إلى ما كانوا ينتظرون من حركة تحريرية واسعة مستمرة. والتفت إلى قائد الجيش ورئيس أركان حربه وقلت لهما إن الجيش الفلسطيني إنما أنشيء للحركة والعمل التحريري وليس ليكون زهرة في صدر الوطن. وإني أعيذكم وأعيذ سائر ضباطكم وجنودكم أن تخيبوا ظن الناس وآمالهم وأن تضيعوا الفرصة السانحة.

وقد لبث القائد وصاحبه ساكتين. أما الأستاذ الشقيري فقال إن كل ما قلته هو في ضميره ونفسه، وأنه جاء إلى الشام من أجل ذلك. فقلت له أن عليه والحالة هذه أن يؤلف مجلس ثورة متفرغ ويضع تحت يده ما هو في حاجة إليه ومتوفر في مخازن الأستاذ وخزائنه كما قال وأعلن من سلاح متنوع ومال ومدربين ويفوضه بالعمل. وهو يرسم الخطط وينفذها، لأنه هو مشغول بالمسائل العامة ولا يمكن أن يتفرغ لذلك وليس ذلك من اختصاصه. وأن الجيش هو من الوجهة الرسمية تابع للقيادة الموحدة ولا يمكن أن يخرج ظاهراً على الانضباط. فوعد بالنظر في هذا الاقتراح بجد واهتمام. ولقد سألته عن سبب جمود قطاع غزة وسيناء وعدم قيام أي حركة فدائية تحريرية فيهما، وقلت له إن الناس يتساءلون كثيراً عن ذلك، والمغرضون يغمزون مصر وزعيمها بسبب هذا الجمود. فقال إن هذا في التصور وقيد التخطيط والتنفيذ، وأنه يأتي بعد التفاهم مع سورية.

ولقد زرته ثاني اليوم في الفندق، فأخبرني أن اجتماعاته مع السلطات السورية مبشرة، وأن المأمول أن تؤدي إلى اتفاق على العمل. فأكدت عليه مرة أخرى وجوب تنفيذ اقتراح المبادرة إلى تشكيل مجلس ثورة متفرغ، ووجوب العمل على تحريك ناحية غزة وسيناء. ولا سيما أن المفروض أن أسباب العمل من هذه الناحية متوفرة، سواء من حيث وجود آلاف المدربين أم توفر وسائل الجهاد ومعداته، أم القدرة على الحماية والردع، أم سعة مجال العمل ضد مستعمرات النقب المتباعدة إلخ الخ. فوافق ووعد ونرجو أن يصدق في هذه المرة.

ولقد استدعيت في اليوم التالي السيد أسامة النقيب وهو عضو في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، وكان جرى لي حديث معه في

الموضوع. وهو متحمس للعمل، وأخبرته بما كان بيني وبين الأستاذ الشقيري من حديث وطلبت ردفه. فقال لي إنه وبعض زملائه منذ يومين في مثل ذلك. وأن وجيه المدني وصبحي الجابي من رأيهم في ذلك. فطلبت منه مواصلة الكلام والإلحاح على قرب القول بالعمل وتشكيل مجلس ثورة متفرغ، وبذل الجهد بتحريك ناحية سيناء وغزة فوعد. وقد قلت له أنه لا يصح له أن يتحمل مسؤولية العمل إذا لم يتم السير على نهج التحرر الفعلي فوافق على ذلك.

* * *

(37) ثلاث نبذ من تعليقات للكاتب كتبها في تاريخ 1/2/1967

علق الكاتب على كتاب ألفه الدكتور أنيس الصايغ مدير مركز أبحاث منظمة التحرير ونشره المركز بعنوان (القضية الفلسطينية والقومية العربية)، ولقد اتفق الكاتب مع المركز على نشر هذه التعليقات ملحق لمجلة شؤون فلسطينية التي يصدرها، ورأى أن يورد منها هذه النبذ ضمن هذه المجموعة لعلاقتها بالكفاح المسلح الفلسطيني.

1 ـ النبذة الأولى:

قال الأستاذ الصايغ في الصفحة 47 من كتابه إن المرحلة الثانية للثورة في فلسطين افتقدت عنصر الأصالة والتضامن والصفاء، وهي الصفات الثلاث التي تحلت بها في المرحلة الأولى. والمقصود بالمرحلة الأولى كما هو المتبادر الإضراب الطويل الذي أعلنه أهل فلسطين، والذي امتد من نيسان 1936 إلى أيلول، وانبثقت فيه الثورة. والمقصود بالمرحلة الثانية هو مرحلة الثورة المستأنفة في خريف عام 1937. ولم تكن الفئات التي عرفت باسم المعارضة مندمجة في المرحلة الثانية دون الأولى.

وإني أقول إن في قول الأستاذ الصائغ تجوزاً كبيراً ما كنت أحب أن يكون من باحث واسع الأفق والاطلاع مثل الأستاذ الصائغ، وليس هناك ما يبرره قط إذا ما استعرضنا الأحداث والوقائع التي مازالت ماثلة بل عالقة بالأذهان.

ويتبادر لي أن الأستاذ الصائغ قصد بكلمة (الأصالة) أن الثورة في مرحلتها الأولى نبعت من الجماهير. ومن الحق أن يقال أن الذي نبع من الجماهير عفوياً هو الإضراب العام، وأن الحركات الثورية لم تحدث ولم تتسع وتتقد إلا بجهد بعض زعماء فلسطين الذين رأوا أن يغتنموا فرصة التوتر الذي أحدثه الإضراب العام، فأخذوا يهيئون الأسباب التي يتفجر بها العنف، من تحريك للمظاهرات ومن أعمال تفجيرية وتخريبية، ثم من تجهيز وتمويل جماعات تحمل السلاح وتتعرض للدوريات والمخافر والأشخاص من الإنكليز واليهود. ثم بذلوا جهودهم في تجهيز وإحضار حملة فوزي القاوقجي من العراق، وحملة الشيخ محمد الأشمر من سورية، فبلغ الأمر بذلك ذروته. أما المرحلة الثانية للثورة فقد كانت الحركة العنيفة فيها هي التي نبعت من الجماهير، بحيث تستحق هي وصفها بالأصالة أكثر من المرحلة الأولى، وإن كان من الحق أن يقال أنها كانت متأثرة من أحداث المرحلة الأولى.

وشرحاً للحالة وتطورها نذكر أن الإضراب والحركات الثورية أوقفتا بتدخل الملوك وندائهم بوعد حل عادل للقضية بعد قدوم اللجنة

الملكية. وكان المجاهدون وسائر العرب في فلسطين الذين اندمجوا في الثورة بكل صورة قد اعتبروا أنفسهم منتصرين وسلاحهم في أيديهم ومصممين على استئناف ثورتهم إذا أخلف الوعد وخاب الأمل. وأنهم سيكونون في حالة هدنة مسلحة، لأن التوقف عن الثورة كان بموافقتهم وبالتماس من الإنكليز عن طريق الملوك بعد أن عجزوا عن إيقافها رغم ما سنوه من قوانين وأقدموا عليه من اعتقالات واسعة وحشدوا من قوى كثيرة مزودة بالأسلحة المتنوعة ومنها الطيارات والمدرعات والمدافع، وبقيادة قواد كبار برزوا بالحرب العالمية الثانية. وقد سكت الإنكليز على مظاهر الاعتزاز التي أظهرها العرب والثوار، حتى أنهم لم يجرؤوا على ملاحقة أحد أو طلب سلاح من أحد. ولقد أرادوا أن يتحرشوا بفوزي القاوقجي وحملته إبان إنسحابه الذي أعلن أنه موقت، فتجمع خمسة عشر ألف فلسطيني كثير منهم كان يحمل سلاحه في جهات قباطية وبيسان للتضامن معه، حتى كادت تقع الإصطدامات وتستأنف الثورة، فلم يسع الإنكليز إلا فسح الطريق للمنسحبين وهم يحملون سلاحهم بين الأهازيج والزغاريد المنتصرة. وتكرر هذا في طريق انسحابهم من الأردن أيضاً، حيث حاول ضباط الجيش الأردني الإنكليز عرقلة الانسحاب أو تطويق المنسحبين، ولكن الموقف كان أشد من أن يثبتوا في هذه المحاولة.

ولما تواطأت اللجنة الملكية مع حكومتها ومع اليهود ومع العاهل الأردني على تقسيم فلسطين، وأعلنت تقريرها، سارعت اللجنة العربية العليا إلى رفضه، وسارعت اللجان القومية في المدن إلى رفضه كذلك. وأيد الشعب هذا الرفض، كما أيدته الحكومات العربية عدا الأردن. وكان تأييد سليمان حكمة رئيس وزراء العراق الذي جاء نتيجة الإنقلاب الذي قام به بكر صدقي في عهد الملك سنة 1937 قوياً عنيفاً، حيث هدد أمير الأردن ضمناً في سياق تهديد كل من يؤيد التقسيم بسحقه، وباستعداد العراق للاشتراك المسلح ضده. وتحفز المجاهدون وجمهور الشعب والقادة الوطنيون الذين كان لهم يد في تأجيج ثورة سنة 1936، والذين كانوا يقدرون احتمال إخلاف الإنكليز لوعدهم واحتمال استئناف الثورة. وتوتر الموقف أشد التوتر، ثم بدأت الأعمال الفردية الإرهابية ضد الإنكليز واليهود التي كانت ذروتها قتل اندروز حاكم الناصرة الإنكليزي. وأدى ذلك إلى الانفجار. وساعد عليه حل الإنكليز للمجلس الإسلامي واللجنة العربية العليا واللجان القومية، واعتقال ونفي من كان في فلسطين من أعضاء اللجنة العليا إلى سيشل، واعتقال اللجان القومية، وفرض الحصار على رئيس المجلس الذي هو رئيس اللجنة العربية العليا الذي استطاع أن يفلت من أيديهم ويعتصم في الحرم القدسي فلم يجرأوا على مهاجمته واعتقاله فيه. وشملت هذه الحركة كل المدن. ولم يمض إلا وقت قصير حتى عمت الثورة في مرحلتها الثانية جميع فلسطين مدناً وقرى، واندمج فيها معظم فئات العرب وصار لها السيطرة المطلقة، حيث يبدو من هذا أن الثورة كانت في هذه المرحلة أصيلة كل الأصالة عفوياً وجماهيرياً أكثر منها في المرحلة الأولى.

والمتبادر أن الأستاذ الصائغ قصد بقوله: (إن المرحلة الثانية من الثورة افتقدت عناصر الصفاء والتضامن، ما كان بين الثورة وبعض فئات من الفلسطينيين وقفوا ضدها، وما كان من بعض تصرفات ضدهم من طرف الثوريين). وشرح

الإعدام بالشيخ فرحان. أضرب طلاب المدارس الثانوية والجامعة السورية ومشوا في مظاهرة وطافوا على دور القناصل الإنكليزية والطليانية والسعودية محتجين. وقابل وفد منهم رئيس الوزراء بالنيابة وأصدروا بياناً قوياً. وقد كرست صحف الشام اليوم افتتاحياتها على التنديد بالظلم وبالسياسة البريطانية الفاشية، وبتمجيد البطولة والجهاد، وكان من أروعها مقالة نجيب الريس صاحب القبس بارك الله فيه، وفي سورية الأم. والقبس تصدر مسائية بعد الظهر وقد ذكرت أنها اتصلت بجريدة فلسطين تلفونياً، وعلمت منها أن حكم الإعدام نفذ بالشيخ في حيفا في الساعة العاشرة صباحاً رحمة الله عليه.

ومما سمعته أن القنصل الإنكليزي قال لوفد المتظاهرين الطلاب، إن الشيخ فرحان مجرم عادي لأنه قاتل رضا العبوشي وإن مسدس رضا وجد معه، وقد تساءلت إن كان ما قاله صحيح فلماذا لم تقدمه السلطات بهذه التهمة؟

ومما ورد لي جواباً على هذا، إن المحاكم العسكرية تحاكم على الجرائم التي وقعت بعد 1937/11/18، وكان اعتقاله ومصادرة ما معه من سلاح بعد هذا التاريخ، أما اغتيال رضا فقد كان قبل ذلك، وقضيته مما تراها المحاكم الجزائية المدنية التي يطول أمرها وقد يفلت الشيخ من يد السلطات إذا لم تثبت عليه جرم الاغتيال بنية واضحة.

وفي جريدة النهار رسالة من مكاتبها في القدس، يذكر فيها إن الشيخ فرحان راح ضحية وشاية سافلة من عائلة (استقلالية) في جنين، والإشارة إلى أسرة العبوشي وهذا ما كان محسوباً، لأن الشيخ فرحان استطاع أن يفلت دائماً من مطاردة السلطة له، وجاء اغتيال رضا العبوشي وسيلة لمساعدتها عليه. غير أن عبارة الكاتب، وهو يوسف فرنسيس، (الذي يشتغل في جريدة فلسطين والمتعاون مع المعارضين دائماً ضد الوطنيين) «عائلة استقلالية» عبارة لئيمة، قصد بها الغمز من جماعة حزب الاستقلال الذي كان فهمي أحد أركانه وكان شوقي عضو فرعه في جنين ولقد أقسم الإثنان وهما صادقان إنهما لا علم لهما، فضلاً عن أن لا يد لهما في التطويق والاعتقال. وإذا كان حقاً إن لبعض آل العبوشي يداً فلا يتحملان مسؤولية ذلك، فضلاً عن أن حزب الاستقلال لا يتحمل ذلك. وتجاهل اللئيم العميل أن جماعة الاستقلاليين كانوا وظلوا معرضين لمطاردة وقسوة السلطات قبل غيرهم وأكثر من غيرهم ومعظمهم في السجن وفي المنفى أو في التشرد.

- في فلسطين اليوم خبر إطلاق الرصاص على بيت حافظ الحمدالله في عنبتا.

استئجاري بيت في السبكي وشعوري بالطمأنينة:

منذ يومين استأجرت بيتاً في السبكي من جادّات الشعلان قرب نادي عصبة العمل القومي، واشتريت بعض الأثاث الضروري، واليوم انتقلت إليه وشعرت بالطمأنينة التي كنت افتقدها في حياة الفنادق بسبب كثرة المراقبين والجواسيس من عملاء الإنكليز والإفرنسيين معاً، وهو علوي فيه ثلاث غرف وأجرته 200 ليرة سورية في السنة، وهذا مبلغ ذو قيمة شرائية حسنة في ذلك الوقت.

شيء من تفصيل إعدام الشيخ فرحان:

نشرت صحف دمشق اليوم تفصيل لإعدام الشيخ فرحان حيث أخرج من سجن عكا إلى

حيفا، وأحيطت الساحة بقوة جند وبوليس كبيرة، وقد أخبر بالأمر قبيل التنفيذ، فتوضأ وصلى وقال يا مرحباً بلقاء الله، اللهم اجعل من موتي فرحاً لأمتي ثم تقدم إلى المشنقة رابط الجأش، وقد أضرب طلاب الجامعة الأميركية العرب على ما ذكرت الصحف، ووقفوا صامتين في الساعة المعينة للتنفيذ، وطيروا برقيات احتجاجية وأضرب طلاب الجامعة السورية أيضاً، وذكرت جريدة (الجزيرة) أن مظاهرة في حمص قامت احتجاجاً على حكم الإعدام.

(44) يوم الثلاثاء 1937/11/30:

مقابلات واتصالات بين أبي غنيمة والمعارضين وبين الأمير عبد الله:

علمت أن الأمير عبد الله أرسل إلى دمشق رسولاً يفاوض الدكتور أبو غنيمة ومحمد علي العجلوني الذي هو أيضا في دمشق، على تشكيل حكومة جديدة يكونا فيها هما وزميل معارض لهما هو عبد الله النمر من السلط، على أن تكون برئاسة توفيق أبي الهدى أو رشيد المدفعي والأول فلسطيني يقيم في الأردن قديماً نوعاً ما، والثاني عراقي يقيم في الأردن بعد عهد فيصل ويمارسان بعض الوظائف، ويظهر أن الأمير أخذ يحسب حساب المعارضة ونقمة العجلوني وأبي غنيمة واحتمالات ازعاجهما له، فأراد استرضائهما أو تطمينهما حتى يعودا إلى عمان والمرجح أن ذلك وسيلة لإخراجهما من سورية إلى عمان والغدر بهما بعد ذلك، ولقد كانت مطالبهما باسم المعارضة.

1 ـ وجوب السعي لتعديل المعاهدة وجعلها كمعاهدة سورية والعراق.

2 ـ تشكيل مجلس نيابي دستوري بانتخابات نزيهة.

3 ـ وجوب تأليف الحكومة من صفوفهم (المعارضة) فقط، وقد لمحت من أبي غنيمة ميل إلى التوافق والتفاهم مع الأمير حتى يتسنى للمعارضة أن ترفع رأسها وتقوى وحينئذٍ تمشي خطوة جديدة في سبيل تحقيق المطالب الوطنية، ويظهر أن أبا غنيمة يظن أنه يستطيع أن يلعب على الإنكليز والأمير ويستطيع كذلك أن يقنع رفاقه بالتراجع وترك الحكم والعودة إلى المعارضة الحرة إذا اصطدموا مع الإنكليز والأمير في سياق سعيهم في تحقيق المطالب الوطنية، واعتقد أنه على خطأ في الظنين، وإن أي تساهل هو مصيدة للمعارضة ليس إلاّ..

حول إعدام الشيخ فرحان:

كانت صحف فلسطين أول أمس خاصة بأخبار وتفصيل تنفيذ إعدام الشيخ فرحان الأمر الذي يدل على شدة اهتمام الرأي العام، ومما ذكرته أن الشيخ قضى ساعته الأخيرة بالصلاة والأوراد ووصّى بأن يدفن إلى جانب قبر النبي يوشع في قرية المزار، وأن لا يبكى عليه وكتب وصية لأخيه ولصديق له يوصيهما فيها بالاهتمام بأمر زوجته وولده ويقول فيها إن أسباب موته معلومة ولم يزد عن ذلك لأن الوصية كتبت تحت رقابة مدير السجن. وتقول الصحف إنه تقبل الموت بالاستسلام وبرباطة جأش، وكان نحو ستين من أقاربه شاهدين ثم أخذوا الجثة ودفنوها في قرية المزار باحتفال.

ـ في صحف أول أمس كذلك أخبار نارية عديدة منها إطلاق الرصاص على مستعمرة في مرج ابن عامر، وعلى دورية بوليس وعلى باص يهودي في جهة القدس وجرح ثلاثة يهود من

الركاب، وقذف اليهود قنابل على باصين عربيين في القدس ولم يصب أحد من ركابهما بأذى.

عاد المندوب السامي واكهوب من إجازته منذ أربعة أيام بعد غياب شهرين ونيف، وخلال ذلك جرت الأحداث الكثيرة، ومع أنه معروف بكثرة الكلام في المناسبات المختلفة فإنه لازم الصمت وهذا عجيب.

إعلان النظام الجديد في لواء الإسكندرونة وموقف فرنسة اللئيم ضد سورية:

أمس كان موعد إعلان النظام الجديد في لواء اسكندرونة ومن المؤسف أن السلطات الإفرنسية أنزلت العلم السوري ورفعت بدلاً منه العلم الإفرنسي، مع أن قرار عصبة الأمم يقول إن مسألة العلم يجب أن تترك لمجلس اللواء، ومجلس اللواء لم يجتمع بعد، والواجب والحالة هذه بقاء القديم على قدمه أي بقاء العلم السوري مرتفعاً، ويظهر أن الأتراك الذين يجتهدون في إخراج اللواء من سيادة وحدود سورية، ضغطوا على الإفرنسيين، والراجح أنهم طلبوا رفع العلم التركي، غير أن الإفرنسيين أنزلوا العلم السوري ورفعوا علمهم بدلاً عنه. والتسويات السياسية دائماً تكون على حساب الضعفاء.

وقد أضرب طلاب المدارس أمس ومشوا في مظاهرة احتجاجية، وكان قد قيل إن المندوب السامي الإفرنسي، سيذهب ويحضر حفلة إعلان النظام، ويقيم حفلة ساهرة ولكنه لم يذهب وأوكل حضور إعلان النظام لمندوبه في الإسكندرونة، وقد علمت أن الحكومة السورية احتجت على إنزال العلم السوري وعاتبت على فكرة إظهار الابتهاج بالحفلة الساهرة، وإن ذلك كان سبب عدول المندوب عن الاشتراك وإقامة الحفلة.

وفد عصبة الأمم في الإسكندرونة وشيء من التفصيل عن حالتها:

ويوجد اليوم في الإسكندرونة لجنة موفدة من عصبة الأمم حيادية للإشراف على انتخابات مجلس اللواء والتحقق نهائياً من عدد أصحاب حق الانتخاب حسب الطوائف، وستظهر بهذه الطريقة حقيقة عدد الطوائف ونسبتها إلى بعضها في اللواء أي مسلمين عرب، مسلمين عرب، علويين - أتراك - نصارى. فإذا كان العرب أكثر كانت أكثرية المجلس معهم، وحينئذٍ ربما تطور الموقف بعض التطور، والظاهر أن الأتراك (متفرعنون) وهم الأنشط والأكثر تعلماً وثروة ونفوذاً، ومعتمدون إلى دولة قوية (تركية)، تمدهم بالمال والسلاح والدعاية، أما العرب فليسوا منظمين والعلم فيهم قليل وحالتهم الاقتصادية ضعيفة والخلاف الطائفي بينهم، علويون وسنيون، يعمل أثره وكثير منهم استترك حتى أن صديقنا صبحي بركات أحد زعماء المسلمين العربي أصلاً، كان يتكلم العربية بلهجة تركية وهذا هو سر الموقف في اللواء.

الحالة حرجة في لبنان بسبب مرسوم حل التشكيلات:

كانت الحالة حرجة في بيروت بسبب مرسوم إلغاء التشكيلات شبه العسكرية، والمظاهرات التي قامت والاصطدامات التي حدثت يوم الإضراب العام الذي شهدناه، وعلمت أنه قامت بعده مظاهرات عديدة وأن المطالب تطورت من احتجاج على المرسوم وطلب إلغائه إلى اسقاط الحكومة، وحل المجلس النيابي. وأول أمس أذاع المندوب السامي بياناً طلب من

الناس فيه الهدوء وعدم الاستماع للتضليل والتشويش وعدم إلجاء الجيش للمداخلة في تأمين الأمن.

قوة نفوذ المندوب الإفرنسي:

ومما نقرأ في الصحف يظهر أن المندوب السامي سيد الموقف في لبنان دائماً فكل صغيرة وكبيرة له فيها رأي ودخل، والحكومة ومعارضوها مسلّمون بهذا ومستسلمون له ويرونه طبيعياً حتى لو وقع خلاف بين نائب ونائب أو بين حزب وحزب أو بين وزير ووزير يرجع في حله إلى كلمة المندوب، ورئيس الجمهورية كثيراً ما يأتي إلى دار المندوب لمقابلته ومعالجة الشؤون معه كأنه وزير أمام رئيس الوزراء.

والإفرنسيون واللبنانيون يرون ذلك طبيعياً وسائغاً، وهذا حق لأن ما كان من إعلان استقلال لبنان ومعاهدته وقيام جمهوريته ومجلس نوابه ومجلس وزرائه كل هذا كان منحة من فرنسة ومجاراة لما كان في سورية، الذي نالته نتيجة كفاح وجهاد وتضحيات.

(45) يوم الأربعاء 1937/12/1:

ذكرت صحف فلسطين أن مدرستي نابلس والخليل الثانويتين الأميريتين أضربتا يوم إعدام الشيخ فرحان، فأغلقتهما السلطات إلى أجل غير مسمى.

وإن المحكمة العسكرية برأت أحد رفاق الشيخ فرحان من تهمة حيازة أسلحة، ويظهر أنها أرادت أن تهدىء الأفكار لا سيما والشيخ هو المنظم المتزعم لرفاقه، ولم تذكر الصحف ما كان منها إزاء الرفاق الآخرين.

وإن السلطات شكلت محكمة عسكرية في القدس أيضا.

وإن شخصاً اسمه محمود الشيخ علي في يافا أحيل إلى المحكمة العسكرية في يافا لحل خلاف بينه وبين أخيه لا علاقة له بالسياسة والثورة، وهذا قد يفيد أن السلطات عازمة على جعل المحاكم العسكرية تنظر في جميع الجرائم سواء أكانت جرائم سلاح وثورة أم لا وهو شيء جديد.

أحداث الاضطرابات في أوائل كانون الأول:

أذاعت صحف فلسطين نشرة أول أمس وأمس واليوم فيها أحداث نارية هذا موجزاً لها:

أ ـ إطلاق نار على سيارة يهودية قرب إحدى مستعمرات حيفا وجرح يهودي.

ب ـ إطلاق نار على باص يهودي في حيفا.

ت ـ إطلاق نار على مركز بوليس كركور.

ث ـ قذف اليهود بقنبلة باصاً عربياً أصابت إحدى شظاياها يهودية بجرح.

ج ـ انفجار قنبلة في شارع الملك جورج في القدس وإصابة ثلاثة من اليهود بجراح.

ح ـ أرسلت السلطات قوة من البوليس لنقل اليهودي الجريح قرب إحدى المستعمرات الذي ذكر خبره آنفاً، وحينما عادت أطلقت عليهاالنار قرب العفولة فأصيب بوليس بريطاني في رأسه إصابة قاتلة.

خ ـ إطلاق النار على مستعمرة الشجرة.

د ـ إطلاق النار على مستعمرة يهود أميركا في مرج ابن عامر.

ذ ـ مهاجمة مركز بوليس كركور بنار كثيفة.

ر ـ إطلاق النار على باص يهودي قرب قرية قراوة وجرح ثلاثة من ركابه وأحدهم جراحه خطيرة والإطلاق كان من جماعة مسلحة واقفة أطلق أحدهم النار فتابعه الآخرون، وجاءت قوة

من البوليس الإنكليزي فاشتبك المسلحون معها واستعمل البوليس مدافع رشاشة فانسحب المسلحون، ولم تذكر النشرة خبر إصابات فيهم.

ز - انفجار قنبلة في حي المصرارة.

س - إطلاق النار من جبل جرزيم نابلس القبلي على دورية من البوليس وكانت نابلس إلى الآن أهدأ من غيرها على غير عادتها وقد يكون ذلك بتأثير جهد الدفاعيين.

اعتقال عبد الله سمارة في الأردن وتفتيشه ومصادرة الأوراق وإعادته إلى دمشق:

في جريدة الدفاع برقية من عمان جاء فيها أنه بناء على إخبارية وردت من دمشق ألقي القبض على عبد الله سمارة ورفيق له في المفرق وكانوا قادمين من دمشق بطريق درعا، وصودر منهما بعض الأوراق وبعد توقيف يوم كامل أطلق سراحهما على أن يغادرا الأردن فوراً ويعودا إلى دمشق، وقد جاء إلي وأخبرني باحتمال أن يكون أحد عيون المخابرات الأردنية الإنكليزية كان يراقبهما، فلما سافرا أخبر بسفرهما ومما أخبرني أنه كان موضع تفتيش دقيق جداً وتحت حراسة شديدة، ومنع أن يلتقي بأحد وقيل له إن إخبارية وردت بأنه يحمل أوراقاً خطيرة ولكنهم لم يعثروا معه على شيء.

(46) يوم الخميس
2 كانون الأول 1937
29 رمضان 1356:

إحصاء عن مصادرات السلاح في فلسطين وما خطر لنا من تعليل هذه الظاهرة:

نشرت صحف فلسطين إحصاء رسمياً جاء فيه أن السلطات صادرت في تشرين الأول (45) بندقية و(66) مسدساً و(10) بنادق صيد و(1000) طلقة بندقية، ونقول في هذه المناسبة إن هذا لم يقع في ثورة الإضراب ونرجح أن لموقف الدفاعيين الحاقد وللضغائن المتخلفة من أيام ثورة الإضراب دخل في ذلك حيث تقدم للسلطات إخباريات بوجود سلاح، فتسارع إلى كبس[1] البيوت المخبر عنها فتجد فعلاً سلاحاً وتصادره، ولقد كان جميع الناس والأحزاب مشتركين في إضراب وثورة سنة 1936 في حين أن الثورة الجديدة من جانب الوطنيين، وما قال لهم مجلسيين والدفاعيون يقفون مناوئين لها، محاولين عرقلة نموها وشمولها حقداً وغيظاً على ما أشرنا إليه في مناسبة سابقة، وهذه المصادرات من نتائج ذلك.

جواب في قضية فلسطين في مجلس النواب الإنكليزي:

جرى حوار في مجلس النواب الإنكليزي لافت للنظر على ما نقلته صحف فلسطين، فإن النائب غالاتشر سأل عما إذا كانت الحكومة البريطانية تستشير الدول العربية في صدد قضية فلسطين فأجابه الوزير أن هذه الدول تسلمت معلومات كافية من بريطانية عن مشروع التقسيم، وسأل كذلك ما إذا كان صحيحاً أن معارضة الحكومات العربية للتقسيم توجد في حالة يستحيل معها القيام بإصلاحات هامة لأنهم مضطرون للعيش في قطعة صغيرة يحيط بها الأعداء من كل جانب فأجيب (أن مجال البحث في هذا الموضوع لا يكون بين بريطانية والحكومات العربية، بل بين بريطانية وعصبة

---
(1) مداهمة مفاجئة وتفتيش.

الأمم) وسأل النائب أيضاً أليس من المستحسن البحث عن حل غير التقسيم، وسأل نائب آخر هل حقيقة أن الأمل قد ضاع في تطبيق الانتداب أم أنه نحي جانباً من أجل مشروع التقسيم، فتهرب الوزير من السؤالين بجواب عجيب حيث قال إن هذا سؤال صعب.

أخبار الإضطرابات في أوائل كانون الأول:

في عدد فلسطين أخبار مهمة عن الإضطرابات هذا موجزها:

أ - إن دورية بوليس عربية مؤلفة من ثلاثة أشخاص فقدت منذ ثلاثة أيام وأنه يشاع أنهم وقعوا في أيدي الثوار (وقد جاء اليوم قادم من فلسطين فقال إن اثنين منهم قتلا وجيء بجثتيهما إلى حيفا).

ب - إطلاق النار على بيت عبد الرحمن الحاج إبراهيم رئيس بلدية طولكرم وعلى الشيخ خالد العمر الذي كان نائماً في البيت فأصيب بجراح وهرعت دورية فاشتبكت مع المسلحين وكانت معركة وانتهت بالانسحاب.

ت - شبوب النار بصورة مزعجة في مكاتب ومخازن دائرة الأشغال العمومية في طولكرم والتهام جميع ما فيها من أخشاب وسيارات وزفت.

ث - قطع الأسلاك في منطقة قرية الطيرة.

ج - إطلاق النار على سيارة يهودية بين عكا وحيفا وجرح سائقها.

ويستفاد من الصحف أن هذه الأحداث التي وقعت في هذين اليومين أحدثت توتراً شديداً في السلطات، فاهتمت لتسيير دوريات مزودة بالدبابات ومرفقة بالطائرات والاهتمام بخاصة لمنطقة وطرق منطقتي عكا وصفد.

- ذكرت الصحف خبر عصابة في قضاء الرملة تهاجم البيوت والسيارات وتطلب من أصحابها مالاً تحت التهديد.

- حكمت محكمة القدس العسكرية على سليم الهريدي من الرملة بالحبس خمس سنوات لوجود مسدس في بيته، وقالت الصحف التي أوردت الخبر أن تفتيش بيت سليم كان نتيجة وشاية.

رد فعل إعدام الشيخ فرحان في سورية ولبنان والعراق:

كان لإعدام الشيخ فرحان صدى قوي في جميع مدن سورية ولبنان والعراق حيث ذكرت الصحف أن جميع هذه المدن احتجت واستنكرت وصلّت صلاة الغائب، عدا إضراب الطلاب ومظاهراتهم في دمشق وبيروت وحمص وحلب وبغداد.

انتهت الكراسة [15]
ويليها الكراسة [16]

---

* * *

الكراسة [16]

(1) يوم الجمعة
4 كانون الأول 1937 :
30 رمضان 1356 . .

كتبت هذه اليومية في بيروت .

أخبار الاضطرابات في 4 كانون الأول:

في صحف فلسطين أمس تفصيلات عن كيفية أسر دورية بوليس الناصرة الذي ذكر في يومية سابقة، ومما ذكرته إن الأسر كان من قبل عصابة الأصبح في جهات شفا عمرو في وادي عبلين، وأن الدورية كانت مؤلفة من الشاويش سليم أبي حاطوم وعطا الله جريس ويحيى العلمي وإن يحيى استطاع أن يفلت، وإنه قال إن الدورية رأت نفسها محاطة بالثوار وإن الشاويش أمر بإطلاق النار ثم أطلق هو وعطا الله النار على الثوار فأطلقت النار عليهما وقتلوهما وإنه هو سلم سلاحه لهم فتركوه ونجا.

وفي هذه الصحف أخبار أخرى ثورية منها إطلاق النار على باص يهودي في طريق عكا ـ حيفا، وجرح سائقه، ومنها إطلاق النار على مستعمرة شريد قرب العفولة.

ومما جاء في الصحف أن السلطات مهتمة اهتماماً شديداً بحوادث الشمال وأنها سيّرت عدداً عظيماً من السيارات والدبابات للقيام بعملية التطويق والتفتيش، وأنها تفتش القرى وتعتقل من تشتبه فيه وتصادر بعض الأسلحة والذخائر.

(2) يوم السبت
5 كانون الأول 1937
1 شوال 1356 :

اليوم عيد الفطر وأنا متألم لما يشعر به أهل بيتنا من ألم في هذا العيد بسبب غيابي عنهم هذا الغياب القهري، لقد كنت أغيب كثيراً عنهم في الأعياد ولكن ذلك كان اختيارياً ولم يكن فيه هذا المعنى المؤلم الذي يشعرون به في هذه المرة.

أول أمس ورد لي ولكل من إسحاق درويش ومحمد العفيفي وسعد الدين عبد اللطيف كتب من وكيل مدير الأوقاف العام فياض الخضراء ومعها صورة عن قرار اللجنة الثلاثية للأوقاف وعن كتاب المجلس وقد ذكرت اللجنة فيما كتبت بشأني (إني غائب وإن رجوعي الآن متعذر لأني ممنوع قانوناً منه وإن بقاء منصب هام مثل منصبي يشغله من لا يستطيع أن يقوم بواجباته غير موافق للمصلحة الإسلامية، ولذلك فإنها قررت إنهاء عملي اعتبار من تاريخ 30 تشرين الثاني وعدم الموافقة على صرف مرتب لي بعد ذلك. . وحول المجلس هذه المذكرة إلى وكيل مدير الأوقاف لإجراء الإيجاب، وكتب الوكيل فياض الخضراء كتابة جيدة دافع فيها دفاعاً حسناً فذكر أن فصل الموظفين ونصبهم من صلاحية المجلس، وإن الأسباب التي تحول دون قيام المدير بواجب وظيفته هي أسباب قاهرة ومشروعة وإن المدير قد خدم

المؤسسة خدمة بارة يجب أن لا تضيع حقوقه فيها، وطلب من المجلس البحث وإعطاء القرار، وقرر المجلس قراراً عجيباً جاء فيه، إنه كتب للسكرتير العام ببيان وجهة نظره في قرار اللجنة، وإنه لا يرى إمكاناً بموجب القانون لتأجيل إعطاء المعلومات للمدير بقرار اللجنة، والظاهر إن المجلس اعترض على قرار اللجنة وصلاحيتها في فصلي وإنهاء عملي ولكن جبن عن القول بوجوب الانتظار إلى أن تظهر نتيجة اعتراضه، وأراد أن يساير الموقف. وفي هذا شبه تسليم بصلاحيات اللجنة في التدخل والفصل والتبليغ. وهو تفريط جديد من المجلس وموقف مسكين يضافان إلى التفريط والموقف المسكينين السابقين، وطبعاً إن المجلس سيحتج بأن موقفه هو لحفظ كيان المجلس. والحجة مردودة ولكن أعضاء المجلس لا يريدون الاصطدام مع الحكومة وخسران مناصبهم ومرتباتهم.

في عدد فلسطين أمس مقال لمراسلها في القدس ذكر فيه خبر كتاب ورد من شخصية كبيرة في لندن إلى شخصية كبيرة في القدس، يذكر أن المندوب السامي سيحاول محاولة أخيرة في حل القضية وإنه لم يكن راضياً عن ما وقع من إجراءات، وإن مفاوضات تجري بين بعض الدوائر الرسمية وبين بعض شخصيات عربية غير فلسطينية، وإنها تسير في طريق النجاح، وإن هناك اقتراحات معينة اطلعت عليها شخصيتان عربيتان واحدة بيروتية وأخرى عراقية، وارتاحت إليها مع بعض التحفظات والتعديلات، وإن أساسها هو ما جاء في اقتراحات هربرت صموئيل بقبول بقاء اليهود أقلية بنسبة 40٪ وإن من أهم الشروط في هذه المفاوضات التي سوف تتم حول مائدة مستديرة بين العرب واليهود على اختلاف آرائهم ومذاهبهم عدم التقسيم وإطلاق سراح الزعماء المنفيين والمعتقلين والمبعدين، وإن بعض شخصيات يهودية فوتحت في هذه الأمور، وإن المندوب السامي موافق مبدئياً على الأسس المقترحة، وقد أشار مراسل الجريدة إلى تصريحات نوري السعيد التي أدلىٰ بها في البصرة منذ أيام، والتي جاء فيها بأنه ليس من الصعب حل قضية فلسطين بما يرضي العرب، وإنه قد لا يمر أمد طويل على ذلك ولا علم لدى الحاج أمين وغيره من الأخوان عن هذه المفاوضات والمقترحات، وقد تكون تكهنات مبنية على مقترحات نوري السعيد الأولىٰ والأيام الآتية ستكشف الحقيقة.

اشتداد السلطات في التطويق والتفتيش والاعتقالات:

في صحف فلسطين أمس أن السلطات ما زالت جادة مشتدة في التطويق والتفتيش في المنطقة الشمالية ومهتمة لها جداً. وإنها اعتقلت عدداً كبيراً من أهالي القرى الشمالية وهذا قد يدل على أن قيادة المشايخ تتمركز ويزداد نشاطها.

وفيها أن الجنرال ويفيل قائد فلسطين العام سينقل من فلسطين ويعين قائداً عاماً في القيادة الجنوبية في الجيش البريطاني.

خبر عن نوري السعيد ونشاطه من جديد:

وفيها أن نوري السعيد يعتزم السفر إلى أوروبا في مهمة سياسية لها علاقة بقضيتي فلسطين وسورية، وقد ذكر لنا ذلك الدكتور أحمد قدري، وقال لنا إن حكومة المدفعي انتدبته لهاتين القضيتين بصورة شبه رسمية ومقابل مخصصات وزير فوق العادة.

إعلان قنصل العراق في بيروت عدم المعايدة حداداً، وموقف الحكومة السورية المائع من ذلك:

أذاع أمس قنصل العراق في بيروت طالب مشتاق بياناً أعلن فيه إنه حداداً على ضحايا فلسطين وسيول سورية، لا يزور في العيد أحداً ولا يقبل زيارة أحد، وكان هذا الإعلان بصفته الرسمية جميلاً قوبل بالإعجاب، وقد كنا مجتمعين في فندق سان جورج في بيروت مع فارس الخوري رئيس المجلس النيابي السوري، فقال إنه في عمله هذا فضحنا لأن الحكومة السورية أعلنت برنامج حفلة العيد وزينت بناياتها وقد أعلن كثير من الهيئات والشخصيات في لبنان وسورية والعراق وفلسطين عدم التزاور والمعايدة حداداً على الضحايا.

بيان من ديوان الأمير عبد الله ينفي خبر مذكرة نشرت بتاريخ مايس 1934 وتفصيل عن ذلك:

أذيع في صحف اليوم بيان من رئيس ديوان الأمير عبد الله ينفي صحة المذكرة التي كانت نشرت في جريدة الاستقلال العربي الدمشقية منذ أيام المؤرخة في 24 مايس 1934، والتي قيل إن الأمير قدمها إلى المندوب السامي في فلسطين، وحمل فيها على مساعي الاستقلاليين وصلتهم مع الملك عبد العزيز، وموضوع الحياد في نزاع المملكتين السعودية واليمنية وقد ذكرنا ذلك في يومية سابقة، والنفي وتوكيد النفي في البيان جاءا بأسلوب غير طبيعي وبتعليلات كثيرة وهو يوقع في الذهن كذب هذا النفي وصحة المذكرة، وربما كان الغلط في التاريخ والرقم، لأن صيغة المذكرة متشابهة مشابهة كبيرة لأسلوب الأمير متفقة مع روحه وورقها على ورق الديوان الأميري.

اعتقال رياض الخطيب في بيروت وإطلاقه بالكفالة:

وافقت السلطات الإفرنسية على إطلاق سراح رياض بن الشيخ حسن الخطيب الذي اعتقلته في بيروت منذ نحو أسبوعين بناء على طلب الانكليز بالكفالة لبينما تتم دراسة أوراقه، ومعرفة ما إذا كانت قضية سياسية أم عادية، فإذا كانت سياسية لا يسلم وإذا كانت عادية يسلم، وكان اعتقل بدلالة بعض جواسيس فلسطين الذين جندتهم السلطات الانكليزية وأرسلتهم إلى سورية ولبنان للاندساس بين الفلسطينيين ورصد حركاتهم. والسلطات الإنكليزية طلبت اعتقاله بحجة اشتراكه في أعمال الثورة في فلسطين وقد كان لاعتقاله أثر سيء في نفوس مسلمي بيروت وفي الصحف، وكثرت المراجعات والكتابات في شأنه.

حتى لقد أراد بعض متحمسي مسلمي بيروت إقامة مظاهرة وكان المفهوم أن كفالته (500) ليرة ولكن السلطات أصرت على أن تكون (2500) ليرة، ولقد كنا أنا وإسحاق درويش وأحمد الإمام نبحث في أمر تدبير الكفالة وإذ جاءنا خبر أن أحد تجار بيروت قدم كفالة تطوعاً وتحمساً ولم نعرف اسم هذا الشهم بارك الله فيه.

(3) يوم الأحد 2 شوال 1356 : 1937/12/5

لم تصدر صحف اليوم بمناسبة العيد.

وذهبنا إلى بيت الحاج أمين بمناسة العيد وكان بيته كالمحج من اللبنانيين والسوريين والفلسطينيين، وجاء وفد كبير من أهل منطقة جونيه على رأسه الشيخ فريد الخازن، وجاء

كذلك بعض الرهبان وظل الناس يتقاطرون على بيته طيلة يومي العيد، وزاره ضمن من زاره شكري القوتلي وعادل العظمة ونبيه العظمة وفارس الخوري، والحقيقة أن المفتي لم يتغير من جوّه إلا المكان فهو موضوع الرعاية والعطف والاهتمام، وبيته كان بناية المجلس الإسلامي في قصّاده ورواده وأصدقائه وزملائه، ومعنوياته قوية بل إني أراها أقوى مما كانت في فلسطين، لأن منصب رئيس المجلس وعلاقته بالحكومة كانتا تعكران عليه وتضطره إلى المصادقة والمواربة والتستر، وكان ذلك من المآخذ التي كانت تؤخذ عليه، ولا تبعث ارتياحاً على ما شرحته في الكلمة التي كتبتها عنه.

أذيع اليوم تعيين السر هارولد الفريد ماكمايكل حاكماً لفلسطين ومندوباً سامياً بديلاً من واكهوب وقد ترجمته الصحف فهو في الخامسة والخمسين ومن خريجي كمبردج وقضى شطراً كبيراً من حياته في وظائف في السودان مديراً وسكرتيراً ومفتشاً، ثم حاكماً عاماً لتنجنيقا ومن هذه الوظيفة جاء إلى فلسطين، وهو يتقن العربية وله مؤلفات نفيسة عن قبائل كردوفان وتاريخ عرب السودان والسودان المصري الإنكليزي، وإنه اشتهر بنزعته الاستعمارية وعرف بالحزم والشدة وعلى كل حال فهو موظف استعماري على ما يظهر وليس رجل دولة سياسياً، وهذا يدل على بعد احتمال أن يكون قد عين لحل قضية فلسطين، فهذه القضية إذا أريد إيكال حلها لمندوب سام فلا بد من أن يكون رجلاً سياسياً بارعاً له اسم وكلمة ورأي محترم.

(4) الاثنين 3 شوال 1937/12/6:

في عدد الأهرام اليوم أخبار كثيرة عن الاضطرابات في فلسطين من أهمها اطلاق النار على فريق من شباب اليهود في القدس وإصابة أحدهم إصابة قاتلة، وجرح فتاة أخرى، وكان هذا قرب معسكر الجيش، فكان له أثر شديد جداً. ومن الحوادث أن القوات العسكرية مستمرة بجد واهتمام في تطويق وتفتيش قرى المنطقة الشمالية، ويقول مراسل الأهرام أنه اعتقل من كل قرية عدد، وأنه في أثناء القيام بالأعمال العسكرية قتل عدة أشخاص وجرح كثيرون ومن الحوادث أيضاً إطلاق العيارات على مستعمرة العفولة، ويقول مراسل الجريدة في حيفا، أنه لا يعرف عدد المصابين.

(5) يوم الثلاثاء 4 شوال 1356 1937/12/7:

أخبار الاضطرابات في أيام العيد السابقة:

صدرت اليوم صحف فلسطين وفيها أخبار البلاد والثورة في أيام العيد الثلاثة وهذا موجز لها:

أ ـ تبادل النيران بعد ظهر الأحد بين الثوار وقوة من البوليس قرب الظاهرية وذهاب نجدات إلى المكان واختفاء الثوار بعد أن احتدّ الصدام مدة غير قصيرة.

ب ـ انفجار قنبلة في مدينة الخليل وإطلاق عيارات نارية من جهة المدينة الجنوبية.

ت ـ هجرة معظم سكان قرية اكسال لقريتهم بسبب القسوة والشدة التي يلقونها من السلطات.

ث ـ إطلاق النار على أونباشي بوليس السيلة في طريق جنين.

ج ـ انفجار ثلاث قنابل في بئر السبع واطلاق النار بكثرة على منزل بوليس الهجانة فيها.

ح ـ إطلاق النار على سيارة في طريق الخليل بئر السبع.

خ ـ قذف باص يهودي بقنبلة في هدار الكرمل لم تتفجر وقبض اليهود على عربي بتهمة أنه ملقي القنبلة وسلموه للبوليس اليهودي وتقول الصحيفة أنه حاول الفرار فأطلق البوليس عليه النار فقتل.

د ـ اكتشاف قنبلة طولها (162) سنتمتر على الخط الحديدي في شمال اللد، قبل انفجارها.

ذ ـ إطلاق النار على فريق من شباب اليهود قرب محطة اللد، وقتل شخص وجرح فتاة وهذا هو الذي ذكرته الأهرام على الأرجح.

ر ـ حكم المحكمة العسكرية في الناصرة على كل من فرج محمد القاسم وابنه خالد من قرية فرارية بتهمة حيازة بندقية وذخيرة ولا تذكر الصحف الحكم، وإنما قالت أنه لم يتقدم عنه محام وهذا لم يكن في أيام الاضراب وثورته ونتيجة لموقف المناوأة التي يقفها المعارضون، وكثير من المحامين الوطنيين الآن معتقلون.

ز ـ نشرت فلسطين في العدد الأخير نشرة للأمن العام مؤرخة في 1937/12/6 فيها تأييد للحوادث المذكورة وفيها زيادة، وهي خبر إطلاق النار على مستعمرة كفر باروخ، واكتشاف قنبلة في سوق الشماعة في القدس القديمة.

(6) يوم الأربعاء 5 شوال 1356 1937/12/8:

أخبار الثورة في يومية 1937/12/8:

في عدد فلسطين اليوم الأحداث الثورية التالية:

أ ـ حكم محكمة القدس العسكرية على إسماعيل حسين مزهر من المغار بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة.

ب ـ تأييد خبر قنبلة هدار الكرمل وقبض اليهود على عربي اشتبهوا أنه هو الذي ألقاها واسمه محمد عبد عايدة من مغار جزور قاطن كفركنا وتسليمه للبوليس وفراره وقتله.

ت ـ صدام بين صفد وعكا بين المسلحين ودورية من الجند.

ث ـ إطلاق النار على مستعمرة أرزا.

والخبران الأخيران منقولان عن الصحف اليهودية.

ذكرت جريدة فلسطين خبر قيام أهل البصرة بمظاهرة عظيمة استنكاراً للسياسة البريطانية وتأييداً لقضية عرب فلسطين.

وفيها أخبار عن اعتقالات كثيرة في قرى الشمال وبئر السبع والسيلة بسبب استمرار الأحداث الثورية واتساعها.

مقال عن الحكم الدستوري في لبنان وتعليق يوضح حقيقة هذا الحكم الهزيل:

في النهار مقال عن فوائد الحكم الوطني الدستوري، وأقول في هذه المناسبة إني لمحت في لبنان تياراً يذكر فشل هذا الحكم فيه وعدم تحقيقه لآمال الأمة وتفريج أزماتها، وإنه كان عاملاً من عوامل انبعاث الأحقاد وتقوية الطائفية

وتبذير الأموال واشتداد المحسوبية، حتى وصل الأمر إلى كتابة عرائض تطالب تغيير هذا الحكم، وإقامة حاكم إفرنسي والغريب إن الصحف تتحدث في هذا، والمجالس تتداول فيه كأنه حل من الحلول الوطنية دون حياء أو شعور بكرامة وطنية وعزة قومية، في حين إن المظاهرات قامت ووقع فيها مصادمات وجرحىٰ وقتلىٰ، دفاعاً عن كرامة الشعب والحرية بزعمهم، حينما صدر مرسوم إلغاء التشكيلات شبه العسكرية، وهذا من المناقضات التي يلمحها المراقب في لبنان، ولقد اجتمعنا بمفتي لبنان عند الحاج أمين فكانت أحاديثه شرحاً لما يبذله من جهد ومراجعات بسبيل حقوق المسلمين في الوظائف والمناصب، وما يدلي به من حجج للإفرنسيين في ذلك. فسياسة لبنان في الدرجة الأولىٰ سياسة وظائف وطوائف ومناظرات وأحقاد ناشئة عن ذلك.

ولا نلوم مفتي لبنان فالإفرنسيون يحابون بكل قوة النصارى، وبخاصة الموارنة، ويمنحونهم الرعاية والمناصب والمراكز الحساسة، وهم في لبنان مستعمرون مائة بالمائة، وما أقاموه من حكم دستوري وطني هو تمثيل هزيل غير مهضوم من الجميع والمسلمون شاعرون بالغبن وبالمواطنية الثانية ومدفوعون بدافع الدفاع عن الوجود، لبذل الجهد لنيل حقوقهم بطبيعة الحال.

المقام العجيب لمطران لبنان الماروني وتعليق عليه :

ومما لمحناه في لبنان المقام العجيب في الاحترام والزعامة للبطرك الماروني. ولقد نزل في هذه الأيام من مقره الصيفي في الديمان إلى مقره الشتوي في بكركي فزاره رئيس الجمهورية ثم رئيس الوزراء والوزراء وتوافدت عليه وفود من أعيان الموارنة ووجهائهم في مناسبة هذا الانتقال. وفي كل ملمّة وموقف يرجع إليه ويؤخذ رأيه ويستعان به، والموارنة بخاصة، يعظمونه إلى درجة التقديس، وقد خطب في بعض الوفود فأشار إلى ما هناك من تساؤل واعتراض عليه وعلى مطارنة المسيحيين موارنة وغير موارنة، بسبب مداخلتهم في الأمور الزمنية (أي السياسية وغير السياسية) وقال إن هذه الأمور قاهرة لابد منها للأمور الروحية، وإن الشعب على اختلاف نزعاته يكلفهم بالمداخلة فيها، وينتظر منهم أن يحاموا عنه ويهتموا بأموره الزمنية فضلاً عن الروحية، ومن أجل هذا المعنى فإن للبطريرك ورجال الدين أثراً غير قليل في سياسة البلاد وانتخاباتها وحكوماتها، وهذا يجسّد ما للطائفية من قوة وأثر يكاد يكون هو السائد الضابط للأمور.

ولقد قرأنا اليوم في جريدة صوت الأحرار مقالاً رئيسياً تعليقاً على ما يظهر على خطاب البطرك، فيه انتقاد لتدخل رجال الدين في السياسة وضرره، وهو مقال جريء وحق.

تعثر المسعى المبذول لإنشاء مكتب للجنة العليا في مصر :

بذلت جهود لإنشاء مكتب باسم فلسطين واللجنة العربية العليا في مصر، فأخفقت، فتقرر نشر بيانات من حين لآخر باسم اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني. بتوقيع أسعد داغر سكرتيرها، وهذه اللجنة تأسست في سنة 1922 في جينيف، نتيجة اجتماع هيئات وشخصيات سورية ولبنانية في الوطن والمهجر ومصر، وباشتراك وفد من الوفد العربي الفلسطيني الأول على ما شرحته في الجزء

الثالث من المذكرات، وقد نشر باسمها اليوم بيان استنكاري للمظالم الواقعة على عرب فلسطين.

(7) يوم الجمعة 1937/12/10:

خبر خيالي عن مشروع نقله الدكتور أحمد قدري عن نوري السعيد:

في عدد فلسطين أمس رسالة هاتفية لمراسلها الخاص في بيروت بتاريخ 1937/12/8، يقول إن الدكتور أحمد قدري زار المفتي وقدم مشروعاً هو ثمرة مفاوضات نوري السعيد مع زعماء اليهود، ورجال الحكومة الإنكليزية، ويقوم على أساس جعل نسبة اليهود 35٪ وتحديد بيوع الأراضي وإنشاء مجلس تشريعي وبقاء المجلس الإسلامي وعودة المفتي لرئاسته، على أن لا يتدخل في السياسة والسعي لدى حكومات لبنان والعراق وسورية بقبول عدد من المهاجرين، وزيارة الدكتور للمفتي زيارة صداقة، ونحن من أخص أخصائه ولم نسمع منه أي شيء عن ذلك، والظاهر أن الخيال أملى على المراسل هذا بمناسبة زيارة الدكتور.

أخبار ثورة فلسطين في يومية 1937/12/10:

في فلسطين حوادث ثورية كثيرة هذا موجزها:

أ ـ إلقاء قنبلة على بيت الشيخ محمود جودة الأنصاري وأخرى على بيت مصطفى خليل الأنصاري ولم تحدثا ضرراً، وكلاهما من المشبوهين بعلاقاتهما بالمخابرات، وكان قد أطلق النار على الشيخ وجرح ثم شفي من جراحه.

ب ـ إطلاق النار على مستعمرة بيت كارم.

ت ـ إطلاق النار بكثرة في الخليل وانفجار قنبلة بدوي عظيم.

ث ـ تخريب أنابيب البترول قرب مستعمرة جنجر ـ العفولة.

ج ـ إطلاق النار على قطار بضائع في طريق اللد ـ القدس.

ح ـ إطلاق النار على سيارة بوليس قرب دير شرف.

خ ـ قطع الأسلاك بين الناصرة والقدس في أماكن عديدة.

د ـ إطلاق النار بكثرة على مستعمرة جبعات عيد.

وفي فلسطين اليوم نشرة من الأمن العام فيها تأييد لجميع هذه الأحداث.

(8) يوم السبت 1937/12/11:

حوار في مجلس النواب الإنكليزي حول ولاء الموظفين العرب:

في فلسطين أمس خلاصة حوار جرى في مجلس النواب الإنكليزي بين بعض نواب اليهود وودجود النائب الإنكليزي من جهة، ووزير المستعمرات من جهة ثانية في صدد الموظفين العرب الذين وقعوا المذكرة الاحتجاجية في السنة الفائتة وإخلاصهم، ويظهر أن النواب استعملوا ألفاظاً نابية ضدهم حتى أن الوزير قال إنه لا يجيب على سؤال غير مؤدب كهذا السؤال، وقد سأل نائب آخر الوزير عن مدى قيام الموظفين العرب بمسؤوليات وظائفهم، فقال إنه مسرور ومقتنع بقيامهم

بواجباتهم في الأحوال الطبيعية والقاسية بأحسن صور الإخلاص، ومن المحتمل أن يكون السائل من أنصار العرب أو من أنصار الحكومة، والغريب في الإنكليز أن يتحملوا استغلال اليهود وأنصارهم المجلس النيابي هذا الاستغلال البشع الذي يكون المجلس به كأنه دولة يهودية، فلا يسمع لهم صوت إلاّ عمّا يدور حول فلسطين واليهود وأمورهم.

أخبار الثورة في يومية 1937/12/11 :

وفي فلسطين الأخبار الثورية التالية:

أ ـ إلقاء قنبلة في حي الجورة في صفد.

ب ـ إلقاء قنبلة في شارع سركن في حيفا.

ت ـ إطلاق الرصاص من قاذف القنبلة في الوقت نفسه على جماعة من اليهود وإصابة واحد منهم.

ث ـ إطلاق النار على بعض اليهود في حي القطمون في القدس.

ج ـ انفجار قنبلة في محلة أرزا في القدس.

ح ـ استمرار التطويق والتفتيش والاعتقالات في القرى الشمالية دون ظفر بالمسلحين أو عثور على سلاح.

خ ـ الحكم بالحبس سبع سنين على شهاب حسين درويش من الساخنة لحيازته خمس رصاصات ألمانية وهذا الرجل في الثمانين من عمره.

د ـ تطويق وتفتيش قرب بيتونيا.

نقلت فلسطين عن دافار أن كتباً تهديدية أرسلت إلى رئيس بلدية نابلس والحاج طاهر المصري وأحمد الشكعة وعبد الرحيم النابلس بالكف عن التعاون مع الحكومة.

أجبر قلم المطبوعات جريدة فلسطين على نشر بيان تكذيبي لخبر كانت نشرته لمراسلها في بيروت عن مجيء كركبرايد رئيس لجنة مراقبة مجلس الأوقاف إلى بيروت واجتماعه بشخصيات فلسطينية، وإرساله تحية إلى المفتي وعرضه على هذه الشخصيات مشروعات لحل القضية الفلسطينية.

تكذيب الدكتور أحمد قدري لما نشر عن مشروعه:

وكتبنا اليوم من مكتب الدعاية كتاباً للصحف فيه تكذيب للخبر المعزو للدكتور أحمد قدري، وأرسل هو بناء على إيعازنا تكذيباً برقياً إلى جريدة فلسطين، وقد عتبنا في بيان مكتب الدعاية على الصحف لتسرعها في نشر الأخبار قبل الرجوع إلى أصحابها. والحقيقة إن أصحاب الصحف العربية أمرهم عجيب فهم لا يبالون أن ينشروا الأخبار دون تمحيص ودون تفكير بفوائد ذلك وأضراره، وينقلون في بيروت خبراً عن الدكتور أحمد قدري مثلاً عن جريدة فلسطين، في حين أن الرجل موجود فيها ويستطيعون الرجوع إليه ومعرفة الحقيقة منه.

أثر الثورة الإيجابية في الأوساط الإنكليزية واليهودية:

يستفاد مما تنقله الصحف العربية عن الصحف اليهودية والإنكليزية أن الاضطرابات في فلسطين أخذت تعمل عملها الإيجابي في أوساط الانكليز واليهود معاً، فخصوم التقسيم من اليهود أخذوا يقوون ويشتدون في الدعوة ضده، والحكومة الإنكليزية تتكلم عن قضية فلسطين ومستقبلها بمرارة، والصحف الإنكليزية تعيد وتبدي في الموقف منذرة مرة وداعية للتفكير ومواجهة الواقع مرة، ويبدأ تفكير في تحويل اليهود عن فلسطين وتوجههم إلى الاستيطان في مدغشقر وغيرها. وتزداد القناعة

في هذه الأوساط بأن فلسطين لا يمكن أن تكون حلاً لمشكلة اليهود. وقد أرسل يهود فرنسة بعثة إلى جزيرة مدغشقر وعادت تحمل أخباراً وآمالاً حسنة.

نشرت فلسطين إحصاء رسمياً جاء فيه أن الزيادة الطبيعية عند العرب هي نسبة 30 لكل ألف، وعند اليهود هي 24 لكل ألف، وأن نسبة المواليد عند المسلمين هي 54 لكل ألف، وعند المسيحيين هي 37 لكل ألف، وعند اليهود هي 29 لكل ألف، وإن نسبة الوفيات عند المسلمين هي 20 لكل ألف، وعند المسيحيين هي 13 لكل ألف، وعند اليهود 9 لكل ألف.

لندن تعلل تعيين مندوب سام غير عسكري:

نشرت جريدة فلسطين برقية عن لندن بتاريخ 1937/12/9 جاء فيها إن المقصد من تعيين مندوب سام غير عسكري، هو ليكون قائد القوات الإنكليزية العام من الدرجة العليا دائماً، تفادياً من وقوع خلاف بين مندوب سام عسكري وقائد عسكري. والمندوب السامي رسمياً قائد القوات الإنكليزية العام على ما يبدو من هذا الكلام.. وإن الأوساط الرسمية في فلسطين تشعر بخيبة أمل شديدة بسبب حالة الاضطرابات في فلسطين، وأن هناك حقيقة لا شك فيها في نظر هذه الأوساط، وهي أن السبب الرئيسي من هياج العرب هو استمرار الهجرة اليهودية.

ـ نشرت جريدة الاستقلال العربي خبر عزم المندوب السامي الإفرنسي على السفر إلى جدة بزيارة مجاملة وهذا خبر غريب المغزى إذا صح.

ـ نقلت فلسطين وغيرها عن الصحف اليهودية أن فخري النشاشيبي سيعين مديراً عاماً للأوقاف الإسلامية.

(9) يوم الأحد 1937/12/12:

في عدد أمس من فلسطين مقال افتتاحي حاولت فيه التنويه بابتهاج الناس مما نشرته من الحلول الجديدة للقضية. رغماً عما ظهر من الرعونة والتسرع في نشرها وعدم نضوجها؛ وقد تريد بذلك الإرهاص الدسّ بأن الناس أصبحوا يتمنون أن ينتهي الحال بمفاوضات تؤمن شيئاً من الأهداف والاستقرار؛ وهذا هو سر الابتهاج حسب زعمها.

أخبار الثورة في يومية 1937/12/12:

وفي هذا العدد أخبار ثورية عديدة هذا موجزها:

أ ـ إطلاق النار على يهودي اسمه نوح من موظفي دائرة الهندسة في سكك الحديد وأصيب بثلاثة أماكن من جسمه.

ب ـ وفاة اليهودي الذي أصيب بعيار ناري أمس.

ت ـ ظهور عصابة مسلحة في طريق عكا الناقورة وسلبها سيارة عربية فيها ركاب من العرب.

ث ـ حكمت المحكمة العسكرية في الناصرة على عبد القادر الفذ من كوكب أبي الهيجا بعشر سنين حبس بتهمة حيازة (60) رصاصة وعمر هذا الرجل 76 سنة.

ج ـ نسف بيتين في قرية عين دور واحداً لحسن الإبراهيم وثانيهما لخليل حسين، وتفتيش القرية واعتقال بعض رجالها.

ح ـ تطويق وتفتيش قرية صفورية واعتقال بعض رجالها.

خ ـ إتلاف 600 شجرة حمضية في مستعمرة مشمار هاعمك.

د ـ تعيين عشرين نفراً بوليساً إضافياً في سيلة الظهر بسبب إطلاق النار من القرية على دورية بوليس.

ذ ـ مجيء حاكم جنين إلى السيلة الحارثية وعقده اجتماعاً مع مخاتير قرى جنين وتشديده بإنذارهم لعدم تعاونهم مع السلطة، وإيواء الثوار في قراهم وتهديده بالنسف والغرامات إذا استمروا على ذلك، وكشف على بعض البيوت بقصد اتخاذها مراكز لإقامة قوة من الجند في القرية.

ر ـ إلقاء قنبلة على ثلاثة عمال يهود بينما كانوا يجتازون في الصباح طريق المصرارة في القدس ولكنها لم تنفجر.

ز ـ إطلاق عيارات نارية على مستعمرة كفار باروخ.

تشدد الأتراك في قضية الاسكندرونة وتخاذل فرنسة على حساب سورية والوضع في سورية:

تقف الآن تركية موقفاً متشدداً في مشكلة الإسكندرونة، وكان ذلك رد فعل على ما يظن لموقف الاستنكار والاحتجاج الذي وقفته سورية وبرلمانها وحكومتها، وسعيها ضد تطبيق النظام الجديد وإنزال العلم السوري، وقد أعلنت تركية نقض الاتفاق المنعقد بين سورية وتركيا، وأخذت صحفها تهدد وتتوعد، والحقيقة أن مستقبل هذا اللواء صار خطراً على حساب سورية، وإنه صار لتركية يد بارزة قوية فيه قد تؤدي إلى سلخه عن سورية عاجلاً أوآجلاً بالمرة، والعلاقة التي أبقيت بين اللواء والحكومة السورية ضعيفة بل تافهة وصورية، وكل ذلك بسبب عدم رغبة فرنسة في التورط في خلاف مع تركية وبسبب ضعف سورية. فويل للضعيف.

والمعاهدة السورية الإفرنسية ما زالت في يد قدر مجهول، فالبرلمان الإفرنسي إلى الآن لم يصادق عليها وكان من المتفق أن يتم ذلك في تشرين الثاني، فأجل إلى كانون الأول ثم إلى كانون الثاني وربما إلى ما بعد ذلك، وجنيف لا توافق عليها وتعتبر نصوصها نافذة بالنسبة لفرنسة إلاّ بذلك. وخصوم سورية الاستعماريون يحملون عليها وعلى الحكومة السورية ويتهمون هذه الحكومة بعدم الإخلاص في الولاء، بحجة عدم التفاهم على النقاط التي هي موضع أخذ ورد، وعلى عدم تسهيلها المصالح الاقتصادية الإفرنسية كامتياز البنك السوري ونفط الجزيرة وغير ذلك. وجميل مردم منذ شهر في باريس يحاول التوفيق والتيسير والتطمين.

(10) يوم الثلاثاء 1937/12/14:

موقف لئيم من جريدة فلسطين في صدد تكذيب الدكتور أحمد قدري:

نشرت الصحف أمس تكذيب الدكتور أحمد قدري، ولكن جريدة فلسطين التي أرسل التكذيب إليها برقياً كانت قبيحة، حيث أشارت إلى برقية التكذيب دون نشرها، ثم قالت إن مراسلها لم يقل بأن الاقتراحات هي للدكتور أحمد قدري، وإنما قال إنه حملها وأبلغها للمفتي كأنما تصر على وجود الاقتراحات، ولا تريد أن تتراجع عن كذبها واختلاقها، حيث يدل هذا على أنها نشرتها عمداً للدس والبلبلة، قبحها الله وقبح أصحابها.

أخبار الثورة في يومين 1937/12/14:

وهذا موجز لأحداث الاضطرابات في صحف فلسطين يوم الأحد:

أ ـ إطلاق الرصاص على الشيخ محمود الخطيب وقتله.

ب ـ جرح بوليس عربي بعيارين ناريين أطلقهما عليه مطلق الرصاص على الشيخ محمود الذي رآه يطلق النار فحاول اللحاق به، فالتفت إليه وأطلق عليه النار.

ت ـ ظهور عصابة في طريق القدس ـ الخليل، وقد أوقفت سيارة شحن ثم قالت للسائق إنها تبحث عن السائق الأصلي للسيارة لمعاقبته على ذنب ارتكبه وتركته بعد أن أتلفت دواليب السيارة.

ث ـ مداهمة بيت الحاج عبد القادر عبد الرحمن في حوارة، من خمسة مسلحين وسلبه ما يقدر بثلاثمائة جنيه نقداً ومصاغاً.

ج ـ مداهمة بيت مختار قرية الناقورة، وسلب جابي المال عوني عبد الهادي ثلاثين جنيهاً ومن المختار عشرة جنيهات.

ح ـ عودة سيارة عسكرية كانت خرجت مع القوات للتطويق، والتفتيش في قرى عكا وعليها أربعة من الجرحى قيل إن جراحهم نشأت عن تدهور السيارة في طريق ترشيحا.

خ ـ إطلاق النار في الجهة الشمالية من الخليل، حيث يقع مركز البوليس العربي وثكنة البوليس الإنكليزي.

د ـ إطلاق النار على خفير يهودي، كان يحرس ورشة سكة الحديد عند مفرق خط عكا وإصابته بجراح بليغة.

ـ من غرائب أخلاق الناس، أنه بمجرد ما كتب عن فصل صبحي الخضراء من وظيفة مأمور أوقاف عكا، بادر الشيخ عبد الله الجزار وبعض العلماء، بكتابة برقية إلى هيئة المجلس يطلب تعيين محمود الصفدي مكانه، وهذا يبدو وجه قبيح جامد ضعيف الحس.

ـ نفى فخري النشاشيبي خبر اختياره ليكون مديراً عاماً للأوقاف.

ـ ذكرت جريدة فلسطين، أن السلطات أصدرت أوامرها إلى جميع الدوائر والمخافر، بإحصاء أسماء الفلسطينيين الذين غادروا فلسطين إلى سورية ولبنان من أول أكتوبر تشرين الأول، والتحقيق عن الأماكن التي يقيمون فيها والمدد التي سمح لهم بها.

يهود يحاولون الاجتياز إلى لبنان وسورية:

قبضت الدوريات على ما ذكرته الصحف، على ثلاثة عشر يهودياً وهم يجتازون حدود فلسطين إلى لبنان بدون جواز، وقد قالوا إن حالة فلسطين أصبحت مؤلمة، ولا يطيقون العيش فيها وحياتهم مهددة بالموت في كل ساعة، وقد قبض في الوقت نفسه على عشرة أشخاص آخرين بسبب محاولتهم اجتياز حدود فلسطين سورية خلسة، وهذا يدل على ما أخذ يصيب اليهود من خوف وقلق.

في الصحف أخبار عن حركة سطو على بيارات الرملة العربية، وتهديد أصحابها بدفع المال. ومما ذكرته مداهمة بيارات إبراهيم الدبور، وديب مقبل وعبد الرؤوف شرور، وإتلاف موتوراتها لأن أصحابها لم يلبوا طلب أرسل اليهم بمبالغ معينة، وقد يعني هذا أن هناك أصحاب بيارات يدفعون.

كما أوقفت عصابة في طريق رام الله ـ الرملة سيارة لحكمة التاجي بقصد سلبه، ولم تجد معه شيئاً يذكر ومع ذلك أخذت ما معه من قليل.

(11) الأربعاء 1937/12/15:

إطلاق الرصاص على بيت سليمان طوقان وبيت وصفي الشكعة في نابلس:

كانت الصحف العربية نقلت عن جريدة يهودية أن سليمان طوقان ورفاقه الدفاعيين تلقوا كتباً تهديدية، وسجلنا هذا الخبر في يومية سابقة، وذكرت صحف فلسطين أمس أن أربعة مسلحين أطلقوا ليلة الثلاثاء الفائتة من سفح الجبل المقابل لبيت سليمان طوقان عدة عيارات نارية على البيت اخترقت النوافذ وحطمت بعض الأواني. وإن بعض عيارات صوبت إلى بيت من بيوت أحمد الشكعة في نفس الموقع يسكنه أخوه وصفي. وكان لهذا تأثير عظيم، واهتمت له السلطات اهتماماً شديداً بكلابها وقواتها وفتشت بيوت كل من جمال القاسم وفريز الحبش وفوزي قادري تفتيشاً دقيقاً. وتقول جريدة فلسطين التي ننقل عنها هذا إن وفوداً عديدة واستعلامات كثيرة وردت على بيت سليمان، مهنئة مستنكرة لما له من مواقف وطنية مشرفة، ويثير أسفنا أنه بينما كان لسليمان فعلاً مواقف مشرفة في الإضراب وثورة الإضراب لأنه اندمج في الجو العام الوطني، ويحاول الثائرون الآن اغتياله بسبب تبدله عن هذا الجو هذه المرة.

أخبار الثورة في يومية 1937/12/15:

أما أخبار الاضطرابات في صحف فلسطين أمس فهذا موجزها:

أ - إطلاق النار بكثرة على باص يهودي في طريق نهلال حيفا من جماعة مسلحة مؤلفة من نحو عشرة أشخاص، وجرح من الركاب نحو ثلاثة عشر شخصاً جروح أربعة منهم خطيرة وبينهم بوليس عربي.

ب - إنفجار لغم في دير الفاس وجرح أحمد حسين بكري.

ت - إطلاق الرصاص على باص يهودي في طريق القدس يافا، وقد تعطل الباص ولكن لم يصب أحد.

ث - مداهمة مسلحين لبيت في قرية أم الفحم، وسلبهم ما قيمته ستون جنيهاً نقداً أو مصاغاً.

ج - انقلاب باص يهودي في طريق حيفا - يافا، وإصابة أحد عشر من ركابه بجراح، وقد قيل إن الانقلاب كان لمحاولة الباص تفادي مصادمة مع مشاة.

ح - انقلاب سيارة عسكرية في طريق القدس رام الله، وجرح جنديان جراحاً بالغة.

خ - العثور على جثة عربي في وادي عارة مصابة بعدة طلقات ومحطمة الرأس ومقطوعة اللسان، ويقال إن مسلحين جاؤوا إلى بيت القتيل وأخذوا منه بندقيته ومسدسه، ثم أخذوه إلى الوادي فقتلوه ومثلوا في جثته. ومما ذكر أن اثنين من المسلحين كانا أطلقا النار على الرجل ففر وأصابهما بالنار، وأصاب أحدهما بجراح خطيرة ثم كان مصيره ما ذكر. وقطع اللسان ذو مغزى ولعله رفيق لهم خانهم.

د - إطلاق الرصاص في القدس على يهودي راكب دراجة، فأصيب بعيارين وحالته خطرة.

ذ - وقد تبع هذه الحوادث حركة تطويق وتفتيش واعتقالات كالعادة، ولكن بلا جدوى فلم تعثر السلطات على ثوار ولا على مكامنهم.

ر - وفي نشرة الأمن العام التي نشرتها الصحف، خبر سلب مبلغ من المال من صاحب

ماكنة حجارة في أراضي حسان وسلب 13 رأساً من الغنم في وادي العروب. وسلب 32 رأساً أخرى في أراضي بيت لقية من قبل عصابات مسلحة.

سؤال لصالح العرب في مجلس اللوردات:

ذكرت صحف فلسطين، أن اللورد درلنغتون وهو من أنصار العرب طرح على الوزير سؤالاً، عما إذا كانت الحكومة مستعدة بسبب الحالة الحاضرة في فلسطين لأن تقترح مشروعاً جديداً بدلاً من التقسيم، على أساس المحافظة على النسبة الحاضرة بين العرب واليهود، وأن الوزير أعلن تأجيله للجواب على هذا السؤال لفرصة أخرى.

وذكرت كذلك أن الدكتور عبد الرحمن شهبندر، تفاوض مع الدكتور كوهين سكرتير وايزمان واتفقا على وضع مشروع جديد، على أساس اكتفاء اليهود باعتبار فلسطين وطناً روحياً وثقافياً لهم، وإنشاء دولة بأكثرية عربية دائمة يحافظ فيها على حقوق اليهود ونسبة محددة لهم في فلسطين.

وليس من شك في أن ظروف فلسطين الحاضرة، تضغط على الأوساط الإنكليزية واليهود بسبيل إيجاد مخرج منها فيه حل مرض للعرب، مهما كان الأمر، ولا سيما إذا اشتدت كما تدل البوادر عليه.

(12) الخميس 1937/12/16:

نوري السعيد في دمشق وما جرى بيننا من أحاديث حول نشاطه وآماله:

أمس حضر لدمشق نوري السعيد واجتمعت به أنا ومعين، وكان الدكتور أحمد قدري أخبرني أنه آت في منتصف كانون الأول للذهاب إلى أوروبا ومتابعة جهوده بتكليف من حكومة العراق، وذكرت ذلك سابقاً، وقد صرح أنه ليس لديه مشروع جديد، وإنما هو يتابع جهوده في سبيلها ويأمل لها حلاً مرضياً. واجتمعت به وتحدثنا وقال فيما قاله إنه لم يتلق شيئاً جديداً حول مقترحاته ومذكراته، ولكنه يشعر أنها تحت البحث بجد واهتمام، واتفقنا على الاجتماع به ثانية عند المفتي في هذه الفترة.

زيارتي لحسن الحكيم واطلاعي على كتاب من الشهبندر حول نشاطه، وشيء مما عرفناه من ذلك:

أمس زرت حسن الحكيم **وأطلعني** على كتاب ورد عليه من الشهبندر، وفيه وصف مسهب لما لقيه من حفاوة في لندن وكيف أن اللورد لويد أجلسه على يمينه وكان موضع رعاية وعناية، وكيف خطب وكيف قوبل خطابه بالاهتمام. وذكر ما كان من اجتماعه مع كوهين سكرتير وايزمان في باريس واتفاقه معه على تمهيد لحل على أساس أن يكون الوطن القومي وطناً روحياً وثقافياً. وقال في كتابه إن لديه مشروعاً يريد بحثه مع الإخوان. وقد كتبت له كتاباً طلبت منه تفصيل النتائج التي أسفرت عن جهوده.

أخبار الثورة في يومية الجمعة 1937/12/17:

وهذا موجز أخبار الاضطرابات التي ذكرتها صحف فلسطين أمس، وتدل إجمالاً على اشتداد الحالة وخطورتها:

أ - إطلاق النار على خفيرين يهوديين في طبريا، فأصيب أحدهما إصابة مميتة وأغمي

علـى الآخـر وسقط عـلى الأرض، وانـتـزع المسلحون ما مع الخفيرين من سلاح.

ب ـ إطلاق الرصاص على يهودي قرب تل بيوت في القدس، فأصيب بإصابة بليغة.

ت ـ إطلاق الرصاص على باص يهودي في طريق يافا القدس، ولم يصب أحد.

ث ـ حاول مسلحون الدخول لبيت توفيق الخليل، واشتبكوا مع الحارس وتبادلوا النار معه، ثم انسحبوا، وقد أصابت العيارات نوافذ البيت وجدرانه.

ج ـ هاجم مسلحون سجن نور شمس، وأطلقوا النار وأصيبت بناية السجن بعدة عيارات حطمت بعض النوافذ.

ح ـ داهم مسلحون بيت أسعد عبد الرحمن من قرية الزاوية، وأطلقوا عليه بعض العيارات ثم اختفوا.

خ ـ وداهم مسلحون بيت أحمد العودة من عوريف، وأطلقوا عليه النار ثم اختفوا ولعل الشخصين من مناوئي الثورة.

د ـ أشعلت النار في الكوخ المخصص للحارس، في معسكر صرفند.

ذ ـ اقتلاع أعمدة الأسلاك في طريق القدس الخليل، وتقطيع الأسلاك أيضاً.

ر ـ تبادل النار بين خفراء مستعمرة كفر حاييم في جوار صفد وبين المسلحين، ولم تعرف النتائج.

ز ـ فتش بيت محمد العامودي في نابلس، وصودر منه بندقية ومسدساً، وبعض الذخيرة واعتقل الرجل.

س ـ فتش بيت إبراهيم المشرقي في الناصرة، وصودر منه مسدس واعتقل.

والراجح أن الحادثين نتيجة وشاية لئيمة، وهذا كان مفقوداً في ثورة الإضراب وكثر الآن بسبب انحراف الدفاعيين، وأمثالهم عن الخط الوطني.

ش ـ وقع صدام بين دورية بوليس ومسلحين في الرملة، وتبودلت النار بينهما نصف ساعة، ثم انسحب المسلحون.

ص ـ وحكمت المحكمة العسكرية في القدس على سعيد إبراهيم اخميسة بالحبس خمس سنوات، وحكمت المحكمة العسكرية في الناصرة على سليم عز الدين قدورة بالحبس ثلاث سنوات.

ـ ذكرت فلسطين أن الوفود من المدن والقرى ما زالت تتوافد على نابلس، لتهنئة سليمان طوقان من نجاته في حادث إطلاق النار علي بيته، ولاستنكار الحادث. وإن كيث روش جاء وزاره وهنأه بالسلامة، وهو حاكم لواء القدس أو حيفا على ما يرد لذهني، وإن المندوب السامي مر بعد ذلك بنابلس أثناء جولة له في الغور، وزاره في بيته وهنأه.. والراجح أن سليمان سوف يرى في كل هذا دليلاً على أن قيمته ما تزال عالية عند الناس، وعند السلطات على السواء.

ـ وكما فعل حاكم نابلس على ما ذكرناه قبل، فعل حاكم عكا، على ما ذكرته الصحف، حيث جمع في قرية مخاتير قرى عكا، وطلب منهم عدم إيواء ومساعدة الثوار، وطلب منهم إخبار السلطات بتحركاتهم وهدد باتخاذ الإجراءات الشديدة ضد القرى التي تخالف هذه الإنذارات.

ـ في صحف فلسطين أمس، خبر بعزم السلطات في فلسطين على جلب (1500) درع من البولاد الرقيق لرجال البوليس البريطاني.

ـ أصدرت السلطات في القدس أمراً باعتقال كل شخص يقيم في القدس بصورة غير قانونية، (أي غريب بدون جواز وبدون رخصة عمل). على ما نقلته الصحف العربية عن الصحف اليهودية، ونقلت عنها كذلك أن السلطات اعتقلت نحو (150) شخصاً، أكثرهم سوريون.

رسالة من الأمير عمر طوسون للمندوب السامي لصالح قضية العرب:

في رسالة في فلسطين لمراسلها في القاهرة إن الأمير عمر طوسون أرسل لواكهوب، المندوب السامي، كتاباً يأسف فيه على ما يقع في فلسطين من إجراءات وكوارث، ويطلب منه استعمال حكمته لحسم النزاع بطريقة منصفة لا تضيع على عرب فلسطين شيئاً من حقوقهم العادلة في بلادهم التي يعيشون فيها منذ القدم.

(13) يوم الجمعة 1937/12/17:

مقال عجيب في فلسطين، في مناسبة إطلاق الرصاص على بيت عبد الرحمن الحاج إبراهيم رئيس بلدية طولكرم وتعليق عليه:

في فلسطين مقال رئيسي بعنوان مضحك (حادثان وكفى الله المؤمنين القتال)، أشير فيه إلى حادث إطلاق النار على بيت سليمان طوقان. وقبله على بيت عبد الرحمن الحاج إبراهيم، وقالت إن الأول معارض والثاني مجلسي، وإن مثل هذه الأمور تجعل الأجانب يتهموننا بالعاطفة الفاترة والغريزة الجامحة. بسبب كون الاثنين قد جنحا إلى الاتزان والتعقل والتفكير في الحلول المعقولة؛ ومما ذكرته من مزايا عبد الرحمن بل الشيء الوحيد الذي ذكرته إنه والد سليم عبد الرحمن المجاهد المصحي المشرد. وتجاهلت الجرائم التي ارتكبها ابنه سلامة تحت بصره وفي بيته وبهلوانات سليم المشبوهة، وليست صفة المجلسية التي تصفه بها أكثر من أنه كان يتملق الحاج أمين دون موقف وطني إيجابي.

في أهرام أول أمس، إشارة إلى النتائج التي وصل إليها الدكتور الشهبندر، حيث ذكرت أنه أقنع الطرف اليهودي بأن تكون نسبة اليهود 36٪ من مجموع السكان.

وقد كتبنا له من مكتب الدعاية القومي رسالة لفتنا نظره، إلى ما كتبته الأهرام وطلبنا ضرورة جلاء ما تم والنسبة تقضي باستمرار فتح باب الهجرة، لأن نسبة اليهود الآن أقل من 36٪ بل ربما أقل من 32٪، ويهم اليهود الآن أن يوافق العرب على استمرار الهجرة في الوقت الحاضر والمستقبل للمستقبل. بما له في ذلك من خطر لأهل فلسطين لأن استمرار الهجرة هو الخطر الأكبر الذي يؤدي إلى الاضطرابات، وإنه مناقض للميثاق أو المطلب القومي بمنع الهجرة منعاً باتاً.

أخبار الثورة في يومية الجمعة 1937/12/17:

وأخبار الاضطرابات في صحف أمس تلخص بما يلي:

أ ـ داهم مسلحون بيت أحمد السيد في طولكرم، وفتشوه وأطلقوا الرصاص ولم يصب أحد بأذى.

ب ـ وداهموا بيت الحاج سعود العورتاني من عنبتا، وأطلقوا الرصاص، ولم يصب أحد بأذى كذلك.

ت ـ سد الثوار طريق الظاهرية ـ الخليل

بالحجارة والصخور، وعطلوا السير فيها. وكانت عياراتهم تنطلق من وراء الحجارة على السيارات الآتية من هذه الناحية أو تلك، والتي كانت تضطر إلى العودة.

ث ـ بناء على إخباريات وردت لدائرة بوليس الخليل، أجرى البوليس تفتيشات بيوت كثيرة في المدينة، وصادر من أحدهما خمس خراطيش.

ج ـ اقتلعت أعمدة كثيرة في طريق الظاهرية ـ الخليل ـ السبع وتعطلت المخابرات السلكية.

ح ـ أطلق مسلحون عيارات كثيرة في ضواحي مدينة الخليل.

خ ـ ذكرت الصحف بدون تفصيل، أن حركة السطو على بيارات قضاء الرملة ما زالت مستمرة ومقلقة للأفكار.

د ـ ألقيت قنبلة على بيت شعر بدوي في طبريا، ولم يصب أحد بأذى. ويمكن أن يكون من يهودي طبراني.

ذ ـ قطعت أسلاك الهاتف بين مستعمرتي حطين وميشا.

ر ـ قدم محمد عطية بصل وزوجته زهرة للمحكمة العسكرية بتهمة حيازة مسدس و17 خرطوشة وأصبع ديناميت وملح بارود، وقد أسندت التهمة رئيسياً إلى الزوجة لأن زوجها كان غائباً حينما جرى التفتيش فحملت المسدس والذخيرة بقصد إخفائها وقد برأت المحكمة الزوج وحكمت على الزوجة بالحبس عشر سنوات. (ومع الأسف غفلت عن تسجيل قرية هذه الزوجة).

ز ـ فتشت منازل كثيرة في قرية صورباهر، وكذلك فتشت منازل توفيق الحسيني وآل الهدمي وصالح عبده وعبد السلام عبده، في القدس ولم يعثر على شيء.

ـ مما ذكرته الصحف أن إدارة الأمن العام طلبت شحنة جديدة من كلاب الأثر، وهذه الكلاب لعبت وتلعب دور كبيراً في البحث والتفتيش، وكثير من التهم والقسوة يقع نتيجة تعقب هذه الكلاب للآثار، ويقال إن دائرة البوليس لابد من أن تجعل الكلاب تجد أثراً ما. وقد ثبت غلطها في ظروف كثيرة، ولكن ذلك لم يردع الدائرة عن الاستمرار في استخدامها.

ـ قالت جريدة فلسطين أن نزوح أغنياء فلسطين ووجهائهم إلى لبنان وسورية، قد كثر بسبب حوادث فلسطين. وإن ما يقال إن نحو ثلاثة الآف طلب إقامة دائمة في بيروت وأنحاء لبنان قد قدمها الفلسطينيون النازحون.

ـ أصيب خط الاتصال في محطة إذاعة فلسطين برصاصة سببت قطعه وسقوطه على الأرض، وتعطيل الإذاعة مدة ما.

ـ حركة الاعتقالات والتطويقات في قرى بيت لحم والقدس، بسبب الحوادث الأخيرة مشتدة، وقد تم اعتقال كثيرين ولم تذكر مصادرات لسلاح.

هجرة اليهود مستمرة:

ومع ما يقع في فلسطين ويشتد من اضطرابات، فإن الهجرة اليهودية لم تنقطع، وفي كل اسبوع يأتي 200 و300 مهاجر جديد، وقد نشر إحصاء بعدد المهاجرين في تشرين الأول وهو (861)، والهجرة جوهرية رئيسية عند اليهود، يحاولون بكل شدة وعناد وتحت أي ظرف أن تستمر، ومع ذلك فالعدد متضائل جداً بالنسبة للسابق. ويدل على ما كان للاضطرابات من أثر في السلطات واليهود.

ـ صحف فلسطين أمس ذكرت خبر استمرار

قدوم وفود إلى نابلس من القرى لتهنئة سليمان طوقان، واستنكار حادثته. واجتمعوا في منشية البلدية وخطب فيهم خطيب من قرية بديا وأجابهم سليمان بخطاب شكر.

(14) يوم السبت 1937/12/18:

خبر عن مشروع ونشاط المطران الإنكليزي وعزة طنوس:

قال لنا إسحاق درويش اليوم إن الدكتورة عزة طنوس خابر جمال هاتفياً من القدس، وقال له إنه مكلف من طرف المطران الإنكليزي لعرض مشروع أعده نيو كمب (أحد رجال الساسة الإنكليز القدامى، الذين كان لهم نشاط أثناء الثورة الهاشمية على ما يرد في ذهني)، على اللجنة العربية العليا، وإن وزير المستعمرات فوض المطران بعرض ذلك، وقد طلب من الدكتور أن يأتي هو والمطران إلى بيروت وأنهما سيحضران اليوم أو غداً. والمشروع قريب من مطالبنا، إلا بما يتعلق بنسبة اليهود التي يقترح أن تكون 30٪، بصورة دائمة حيث يزداد عدد اليهود بازدياد نسبة العرب. وسأذهب غداً إلى بيروت للاجتماع مع المفتي والبحث في الأمر وكذلك للاجتماع مع نوري السعيد والمفتي، حيث وعد نوري بالذهاب والاجتماع وطلب منا الحضور.

محاولة محام اسمه نجيب الأصفر إقناع المفتي بمقابلة وايزمان:

وأخبرنا إسحاق أيضاً إن محامياً لبنانياً اسمه نجيب الأصفر، جاء إلى المفتي وأخبره أنه موفد من قبل وايزمان يطلب مقابلة بينه وبينه للتحدث في صدد قضية فلسطين، وأن المفتي قال له إن مطالبنا مذكورة في مذكراتنا المعروفة والمشهورة، وما على وايزمان إلا أن يعلن الموافقة عليها مبدئياً، وهي مناسبة لحقوق ووجود اليهود الفلسطينية في الدولة العربية ديمقراطياً ودستورياً، وحينئذ يصبح في الإمكان التفاوض بطريق الحكومة. وإن المحامي حاول إقناع المفتي بضرورة الانتهاء من هذه الحالة السيئة التي تعيش فيها فلسطين، ويتضرر منها العرب واليهود معاً، وقال له إنك إذا قلت شيء قبل به العرب، وإن اليهود مستعدون للعدول عن التقسيم في حالة موافقة العرب على نظام الكنتونات وجعل اليهود أحراراً في أمر الهجرة إلى كانتوناتهم. وإن المفتي أفهمه أن القضية ليست قضيته الشخصية، وإنما هي قضية الشعب العربي وكيانه ووجوده وحقوقه، وإن من الخطأ الظن أن قبوله أو عدم قبوله شيئاً، هو كل شيء في الأمر. ويظهر أن المحامي أحب أن يذكر المفتي بمكر اليهود وكيدهم كأنما هو يهدد باسمهم من طرف خفي، فقال له المفتي إن اليهود فعلوا ويفعلون كل ما يستطيعون عليه، وإن ذلك لا يؤثر على كفاح وجهاد وصمود الشعب العربي. وانصرف المحامي خائباً بطبيعة الحال.

كلمة عن الدكتور عزة طنوس:

وبمناسبة ذكر الدكتور عزة طنوس، وبما أنه نشط ويبرز في مجال القضية الوطنية نكتب كلمة موجزة فنقول: إنه من أسرة مسيحية كانت تقطن في نابلس ثم انتقلت إلى القدس، وكانت ميسورة وتحولت إلى المذهب البروتستانتي، وتعلم الدكتور في المدارس الإنكليزية في القدس ثم تخرج من الجامعة الأميركية في

بيروت طبيباً ومارس مهنته قليلاً في القدس، وهو أصغر مني بنحو سبع سنين ومع أنه ذكي ومثقف فإنه يبدو أحياناً غير واسع الأفق والثقافة والبديهة، وقد اندمج منذ شبابه بالحركة الوطنية وكان خطه، وظل سليماً محموداً رغم ميوله الإنكليزية. وسافر أكثر من مرة إلى بريطانية والولايات المتحدة أثناء ثورة الإضراب وبعدها، ونشط في الدعاية للقضية فيهما، وكان ينشر مقالات وكراريس لتوضيح القضية والدفاع عن الحق العربي. وساهم في إنشاء ما سمي (صندوق الأمة أو بيت المال العربي)، في أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها، وساهم في تعضيد الثورة الفلسطينية أثناء حرب التقسيم في سنة 1947 ـ 1948، واستمر في نشاطه بعد النكبة، واشترك في مؤتمر فلسطين ـ القدس 1964، الذي انبثق عنه (منظمة التحرير)، وساهم في نشاطها وأسس وأدار مكتبها في نيويورك. وقد نشر مذكراته.

مساجلات ومغازلات بين الأمير عبد الله والمعارضة والدكتور أبي غنيمة ومددها:

كان الدكتور صبحي أبو غنيمة يعلن معارضته الشديدة للأمير عبد الله، ويحمل عليه حملات شعواء. وكانت في شرق الأردن حركة معارضة قوية ومندمج فيها زعماء ومشايخ مهمون، ويمثلهم في دمشق أبو غنيمة الذي ينشط نشاطاً حراً في سورية أكثر منهم، ولا يغضب منه الإفرنسيون وممن يندمج في المعارضة من المثقفين وغير المشايخ محمد علي العجلوني وعبد الله النمر وشباب آخرون. وقد تكررت المساجلات والهجمات بين صبحي والأمير وحكومته بالشتائم والتهم والتكذيبات؛ ثم قدم محمد علي العجلوني (وهو ضابط في الدرك أو الجيش برتبة مقدم فيما أظن)، وجاء إلى دمشق وصار يشارك أبا غنيمة في نشاطه ويقويه. وقد وقعت أحداث عدوانية في جهة جبل عجلون، فشاع أن ذلك بوادر عملية ثورية كبيرة من ورائها العجلوني وجماعته وأشارت إلى ذلك بعض الصحف اليهودية. وكانت جرت مفاوضات بين المعارضين والأمير لإزالة الجفاء وأسباب النقمة، وقدم المعارضون مطالب منها تغيير الحكومة وقيام حكومة معروفة بنزعتها الوطنية، وحل المجلس النيابي وإجراء انتخابات حرة نزيهة وتعديل المعاهدة لتكون على غرار معاهدتي سورية والعراق، وإعادة الموظفين الإنكليز المستعارين ورفض الأمير بصراحة لتقسيم فلسطين. والظاهر أن الإنكليز والأمير معاً حسبوا حساب تفاقم المعارضة في هذه الظروف التي تشتد فيها الثورة في فلسطين، وأرادوا مداراتها. وقد أرسلوا توفيق أبا الهدى المرشح لرئاسة الحكومة الجديدة في حال تبديلها إلى دمشق، فاتصل بأبي غنيمة وحدثه برغبة الأمير في تأليف حكومة جديدة يؤلفها هو ويدخل فيها أبو غنيمة، وبعض أركان المعارضة، ووعد أبو غنيمة بالبحث مع المعارضة في هذا العرض.

تعليق على ذلك:

ويظهر الدكتور تهافتاً عجيباً مخيباً لما كان يظن فيه من متانة وصلابة. وممن يقومون بدور الوساطة طاهر الجقة أملاً بالعودة إلى منصبه السابق، رئاسة بلدية عمان التي أخرج منها بسبب ميوله نحو المعارضة، وصلاته باللجنة التنفيذية للمؤتمر الأردني، التي هي التنظيم الرسمي للمعارضة والتي يرأسها حسين باشا الطراونة، ويتظاهر صبحي بأن موقفه الإيجابي

هو موقف قومي يخدم قضيتي الأردن وفلسطين معاً ويؤدي إلى كبح جماح الأمير وتصرفاته وخنوعه، وهو يؤكد لنا وللحاج أمين أنه سيبقى مناصراً للقضية، مؤيداً لها، ونحن نرجح أن الأمير يحاول اللعب والخداع. وأن أبا غنيمة مخدوع في موقفه مندفع فيه بدون تروّ، والأيام ستكشف الحقيقة.

أخبار الثورة في يومية 1937/12/18:

في عدد جريدة فلسطين أمس، أخبار عديدة عن الاضطرابات هذا موجزها:

أ ـ ذهاب مساعد حاكم اللواء الشمالي وقائد القوات الإنكليزية في ناتانيا ومعهما قوة كبيرة إلى قرى زيتا وعتيل وباقة الغربية وصيدا وعلار، وإنذار أهلها بعدم إيواء المسلحين وبوجوب إخبار الحكومة باتجاهاتهم وحركاتهم. وفي طريق عودتهم ظهرت لهم عصابة مسلحة مؤلفة من نحو ثلاثين مسلحاً ومن مسافة لا تزيد عن ثلاثين متراً، بدأت بإطلاق النار عليهم وكانت معركة شديدة استمرت حتى الخامسة بعد الظهر ثم إنتهت بانسحاب المسلحين. وقد ذكرت الجريدة أنه قتل من المسلحين ثلاثة وجرح واحد وأخذت القوة الإنكليزية بنادقهم، وإن أونباشي إنكليزي جرح وأن أربعة من خيل القوة جمحت، وقتل أحدها وجرح واحد، وقد أذيع بلاغ بالمعركة ونتائجها على الوجه المذكور، وليس من المعقول أن تقع معركة شديدة بين قوتين، ويكون البادىء بإطلاق النار الثوار، ولا بد من أن يكونوا محصنين وراء متاريس أو صخور، ولا يصاب من القوة إلا جريح، بينما يقتل منهم ثلاثة ويجرح واحد. والمتبادر أن السلطات تكتمت على ما أصاب قواتها كالعادة، وذرت الرماد بالجريح والفرسين، والغالب أن المسلحين عرفوا تحرك الحاكم والقائد والقوة فسارعوا إلى التعرض لها. ولا بد من أنهم أوقعوا فيها خسائر كثيرة؛ وهكذا تكون الثورة قد شقت طريقها وصار الثوار يتحدون السلطات، ويبدأون بالتعرض لقواتهم.

ب ـ مداهمة مسلحين لبيت مختار قرية سحماتا وبيت مختار قرية كفر سميع، وهما قريتان درزيتان، وقتل المختاران واسم الأول محمود صالح حسن والثاني علي صالح. والمرجح أنهما كانا يقفان من الثورة والثوار موقفاً مؤذياً. وقد أيدت الخبر نشرة الأمن العام.

ت ـ إلقاء قنبلة على دار جاسر عطية من قرية ساكية، وانفجارها دون ذكر النتائج.

ث ـ إطلاق النار على جماعة من اليهود في جهة القطمون في القدس.

ج ـ إطلاق النار على مستعمرة عتروت في مطار قلندية.

ح ـ نسف السلطات لبيتين في قرية عارا وفرضها على القرية غرامة (200) جنيه. واعتقالها ستة من وجهائها بسبب قتل عربي، يظهر أنه كان من عيون السلطات، حيث رجحت السلطات أن قتله كان بتواطؤ من أهل القرية.

خ ـ تفتيش القوات في جبال وهضاب الخليل، بحثاً عن الثوار دون جدوى.

د ـ بلغ عدد الأعمدة التلفونية والتلغرافية المقطوعة والمحطمة في طريق الخليل ـ السبع أربعين، وما زالت المواصلات السلكية معطلة.

ذ ـ تفتيش القوات جبال وطرق صفد وعكا، بحثاً عن الثوار ومكامنهم ولقد أخبرنا قادم من عكا أن معركة شديدة نشبت قرب ترشيحا قتل فيها عدد كبير من الإنكليز. وقد شوهدت سيارة

إسعاف كبيرة ملأى بالجرحى. كما شوهدت سيارة تقل نحو عشرين جندياً مكبلة أيديهم، مما يدل على أنهم تمردوا أثناء المعركة. وإن قوات كبيرة ترابط في جهات جبال وطرق صفد وعكا نتيجة لهذه المعركة باحثة عن الثوار ومكامنهم.

ر ـ وصلت إلى فلسطين كتيبة جند انكليزية جديدة عدد أفرادها 250.

ز ـ تفتيش قرية عين كارم واعتقال تسعة من أهلها.

ذكرت جريدة فلسطين أن راغب النشاشيبي وفخري النشاشيبي وعيسى العيسي وآخرون من حزب الدفاع جاؤوا إلى نابلس ليهنؤا سليمان طوقان بالسلامة، وأقام سليمان مأدبة كبيرة لهم وخطب فيها فخري وعيسى وسليمان ونوه الأولان بمواقف سليمان المشرفة، وقال سليمان إن الحادث لن يؤثر على موقفه وعقيدته، وقد أخبرنا قادم من نابلس إن جريدة فلسطين تبالغ كثيراً في عدد وفود القرى.

مقال في مجلة إنكليزية عن غليان العالم العربي ووجوب مسايرته:

نشرت مجلة (بريطانية العظمى والشرق) على ما ذكرته صحف فلسطين مقالاً رئيسياً نوهت فيه بحركة العالم العربي وغليانه وقيمة صداقة العرب للامبراطورية، ووجوب الاهتمام لحل قضية فلسطين في ضوء واعتبار هذه الصداقة، وكانت هذه المجلة تحمل في المدة الأخيرة حملات شعواء على العرب ومواقفهم ووجوب الحزم معهم، وتؤيد التقسيم كأحسن حل للقضية. والمعروف أن المجلة تستوحي وزارة المستعمرات حيث يبدو هذا التبدل في اللهجة ذا مغزى، ولا شك في أن للثورة أثراً في ذلك.

(15) يوم الأحد 1937/12/19 بيروت:

مجيئي لبيروت مع معين ولقاؤنا مع طنوس في الفندق وما فهمناه منه:

جئت اليوم إلى بيروت مع معين للاجتماع بالدكتور طنوس ونوري السعيد عند المفتي.

ولقد التقيت في الفندق بالدكتور طنوس ففهمت، منه، أولاً أنه كان اجتمع مع مطران الإنكليز في القدس فأخبره أنه قدم تقريراً لرئيس أساقفة الإنكليز ذكر فيه ما في التقسيم من عدوان على قداسة فلسطين، وأن رئيس الأساقفة اجتمع بوزير المستعمرات وتحدث معه في الأمر، فقال له إنه لابد من انتظار مدة والقيام بدعاية كي تتمكن الحكومة من إعادة النظر في قرارها.. وثانياً إن المطران كلفه أن يقابل المندوب السامي بوسيلة ما فأرسل إليه كتاباً يستأذنه بالوداع بمناسبة سفره إلى لندن، فدعاه المندوب للغداء وجرت أحاديث حول الحالة الحاضرة وأظهر حزناً وألماً على حالة فلسطين، وما يكنّه للعرب من عطف وأخبره أن الشدة التي سلكتها السلطات كانت على غير رأيه وكانت بأمر لندن، ولذا فإنه قرر التخلي عن منصبه، وثالثاً إن المطران الإنكليزي كلف الدكتور بالاجتماع مع الدكتور ماغنس عميد الجامعة العبرية وصاحب الآراء المعتدلة فوافق واجتمع عنده على شاي، وجرت أحاديث حول الحالة في فلسطين وطرق حل قضيتها وأخبره أنه يحمل تفويضاً من الوكالة اليهودية بالمفاوضة، على أساس بقاء اليهود أقلية بنسبة معينة، وإنه أعد مشروعاً فيه موافقة على إنشاء حكم وطني ومجلس نيابي بأكثرية عربية بشرط اعتراف

العرب بالوطن القومي اليهودي وتكون نسبة اليهود في فلسطين أقل بقليل من 50٪ من مجموع السكان، وقال الدكتور أنه يحمل الآن هذا المشروع لعرضه على المفتي وأعضاء اللجنة، وتقرر الاجتماع غدا من أجل ذلك، وقد سجلت بعد هذا الكلام تعليقاً قلت فيه إن هذا من ناحية اليهود قد يعدّ تبدلاً، ويظهر أنهم قانعون بأن الإنكليز لابد أن يبدلوا موقفهم ويتحولوا عن التقسيم، فأرادوا أن يبذلوا جهدهم ليكون مدى التحول تافهاً وأن يكون لهم دور ما في مساومة العرب عليه.

استمرار واشتداد عمليات التطويق والتفتيش واهتمام السلطات الشديد بمنطقة طولكرم ومظاهر قوة الثورة فيها:

في عدد جريدة فلسطين أخبار كثيرة عن عمليات التطويق والتفتيش التي قامت بها القوات العسكرية في مناسبة العصابة المسلحة التي تصدت لمساعد الحاكم العام وقائد قوات الجيش في ناتانيا والقوة التي معهم، والمعركة التي جرت نتيجة لذلك والتي ذكرناها في يومية أمس، والسلطات تظن أن قائد الثورة في هذه المنطقة عبد الرحيم الحاج محمد (أبو كمال) كان على رأسها، وقد جاءت قوات كثيفة فطوقت جبال زيتا وعلّار وأحراشها وأخذت تبحث وتفتش وقد ذكر مراسل فلسطين أنها ستبقى هذه الليلة في الجبال والأحراش لمتابعة التطويق والتفتيش على غير العادة، إذ اعتادت القوات أن تنسحب إلى معسكراتها في المدة حينما يخيم الظلام وأن لا تبقى خارجها.

وفي فلسطين وصف لجنازة أحد الشهداء الذي أتي به إلى طولكرم فبالرغم من أنه لم يتعرف أحد على شخصيته، فقد كانت جنازته حافلة سار فيها نحو أربعة آلاف ولف النعش بالعلم العربي، ووضعت عليه باقات الزهور حيث يدل هذا على قوة معنوية الشعب وحماسته للثورة والثوار، وأخبرنا قادم أن القوات الإنكليزية تكبدت في المعركة خسائر كبيرة. هذا ما قدرناه قبل، ومما ذكره القادم أن القوة وجدت في جيب أحد الشهداء دفتراً فيه أسماء، فذهبت قوة إلى قرى رمانة وكفر راعي وأم الفحم واليامون وزيبوبا وطوقتها، وأخذت تستعرض شبابها وتستنطقهم أسماءهم، وأنها اعتقلت عدداً من أهل هذه القرى نتيجة لما وجد من أسماء في الدفتر. وفي أخبار فلسطين إن التفتيش والاعتقال كان أيضاً في قرى رمانة وكفر راعي حيث يؤيد هذا خبر القادم بشكل ما.

أخبار الثورة في يومية 1937/12/19:

وهذا موجز ما في فلسطين من أخبار الاضطرابات الأخرى:

أ ـ فرض غرامة (500) جنيه على المنطقة التي قتل فيها الشيخ محمود الخطيب في حيفا.

ب ـ مصادرة مسدس من أحمد حسن من علار واعتقاله.

ت ـ صدور حكم بالإعدام على أسعد شمخ من غزة بتهمة حيازة سلاح، وبالمؤبد على ثلاثة من أقاربه وأولاد عمه، وبسنة حبس على صبي اسمه حسن صالح شمخ، وكانت قوة من البوليس داهمت بيتهم فوجدت سلاحاً فحاول أفراد العائلة تخليص السلاح من البوليس فاعتقلوا وحوكموا.

ث ـ اعتقال عبد الفتاح البدوي ومنير البكري ورشاد الخطيب وداود القواسمة من الخليل، وإرسالهم إلى القدس بعد تفتيش بيوتهم.

ج - إطلاق النار على عامل في الخليل وجرحه جرحاً بليغاً.

مؤتمر اتحاد المزارعين اليهود في فلسطين وعن اشتداد سوء الحالة الاقتصادية لليهود:

في جريدة فلسطين اليوم خبر انعقاد مؤتمر اتحاد المزارعين اليهود في فلسطين في تل أبيب، وقد أرسل المندوب السامي وحاكم اللواء ووايزمان برقيات للمؤتمر بالتحية وتمني النجاح، حيث يبدو أنه مؤتمر مهم، ومما نشرته الصحف عنه، إن سيملانسكي رئيسه خطب خطاباً طويلاً شرح فيه سوء الحالة الاقتصادية اليهودية في فلسطين مما جاء فيه: 1 - أن حركة البناء هبطت أكثر من سبعين في المائة - 2 - أن الإيجارات هبطت إلى الثلث - 3 - أن الصناعة في جو خانق وليس من سبيل لتصريف منتوجاتها - 4 - أن الأزمة في سوق العمل بلغت إلى حد أنه يوجد الآن آلاف العمال عاطلين وأن العامل يشتغل في الاسبوع يوما أو يومين - 5 - أن أصحاب البيارات لا يجدون ما يكفيهم لسد جوعهم - 6 - وأن 25٪ منهم هم في أزمة لا مخرج لهم منها - 7 - أن أصحاب المتاجر في تل أبيب يشترون بضائع من يافا بسبب كون معظمهم مديونين حيث يضطرون إلى شراء البضائع من الأجانب (العرب) لحفظ كيانهم.

وعلقنا على ذلك فقلنا إن ما جاء في الخطاب بليغ بما وصلت إليه الحالة الاقتصادية اليهودية من سوء، وأن العرب إذا صبروا وصمدوا وثابروا سوف يتضاعف كل هذا ويصبح اليهود على حافة الإفلاس.

معرض أشغال فلسطيني في لندن:

في الصحف الفلسطينية خبر عن لندن أنه أنشىء في إحدى المدن الإنكليزية معرض للأشغال الفلسطينية، وافتتحه وكيل وزير الخارجية وقال فيما قال: إني إذا أردت أن أصور الحقيقة فلا أزعم أن حالة فلسطين حسنة وفي صدد الخلاف بين العرب واليهود قال، إني اعتقد أن الحكومة غير مخطئة في استمرارها في مشروع التقسيم ما دام لم يقترح أحد مشروعاً يوافق عليه الطرفان.

اجتماع كبير في لندن عن شدة الحالة في فلسطين:

وفي الصحف أيضاً خبر اجتماع كبير عقد في لندن خطب فيه رئيس شركة بوتاس البحر الميت عن وضعية فلسطين وقال فيما قال إنه يجب على عقلاء الفريقين أن يتساهلوا في شيء ما للوصول إلى شيء عظيم جداً، وهو السلام والمتبادر أن المعرض والاجتماع يهوديان وأن ما جرى فيهما من كلام هو موجه لليهود ومستوحى من جوّهم، وقد يدل على ما يشعر به اليهود من مأزق بسبب الثورة العربية أيضاً.

نشاط بولونيا لتهجير يهودها إلى غير فلسطين يأساً من فلسطين:

ذكرت جريدة فلسطين أن وزير خارجية بولونيا، وهو رجل جعل كل همه الخلاص من يهود بلاده، وكان ممن طالب بتوسيع قسم اليهود في التقسيم في عصبة الأمم لتتسع ليهود بلاده ويحل مشكلتها بهم، بهجرتهم إلى فلسطين، وقد راجع حكومة فرنسة واتفق معها على تهجير ثلاثين ألف من يهود بلاده إلى مدغشقر، وقد ذكرنا قبل أن بعثة يهودية إفرنسية ذهبت إلى هذه الجزيرة لدرس قابلية الاستيطان اليهودي فيها، وقدمت تقريراً إيجابياً، وهذا أيضاً أثر من آثار ثورة فلسطين وتأثيرها على اليهود وغير اليهود.

(16) الاثنين 1937/12/20:

1 ـ اجتماعنا بالدكتور طنوس عند المفتي وما جرى في هذا الاجتماع ومدى المشروع الذي قدم:

اجتمعنا مساء الأمس عند المفتي مع الدكتور طنوس وأطلعنا على ما يحلمه من مشروع، وقال إن ماغنس هو واضعه، وهو مكتوب على الآلة الكاتبة بالإنكليزي وهذه بنوده:

أ ـ تؤسس في فلسطين دولة مستقلة ذات سيادة اعتباراً من أول يناير سنة. . على شرط أن تشهد عصبة الأمم أن أهل فلسطين أصبحوا يستأهلون الحكم الذاتي.

ب ـ كل فلسطيني بقطع النظر عن عنصره ودينه وجنسيته له المساواة التامة في الحقوق السياسية والمدنية.

ت ـ تبقى بريطانية متحملة مسؤولية الحكم في فلسطين في فترة انتقالية، وعلى حكومة فلسطين الحالية تسليم الحكم للفلسطينيين من عرب ويهود تدريجياً.

ث ـ تعطى الطوائف الاستقلال التام في الشؤون الطائفية بأسرع ما يمكن على أن لا يكون لطائفة ما سيطرة على شؤون طائفة اخرى، ويعترف بوطن قومي يهودي وليس بدولة يهودية.

ج ـ تعطى سلطات البلدية القائمة بأسرع ما يمكن للمدن والقرى والأقضية إلى جميع سكانها عرب ويهود.

ح ـ العدد الأعلى للسكان اليهود في فلسطين ثم فيما بعد في شرق الأردن لا يزيد عن عدد يتفق عليه يكون أقل من 50٪ من مجموع السكان.

خ ـ إن المصالح المختلفة لطوائف فلسطين بعد تأسيس الدولة المستقلة يجب أن تكون تحت مراقبة بريطانية.

د ـ يكون لبريطانية العظمى حقوق خاصة في حيفا.

ذ ـ هذه الاتفاقية نافذة من تاريخ . . . . إلى تارخ . . . . ثم تجدد.

اتفاقنا على وجوب أخذ تصديق أولاً من الوكالة اليهودية:

وقد تحدثنا في صواب فتح المفاوضة مع اليهود، ومن جهة ثانية رأينا في المشروع شيئاً من التبدل في اليهود فاتفقنا أولاً على أن يكون المشروع موقعاً من الوكالة اليهودية، أو يصدر منها كتاب مؤيد له في أول الأمر، وكلفنا الدكتور على أن يقول للمطران ولماغنس أن الجماعة لا يرون البحث في المشروع إلا أن يستوثقوا من جدية العرض ورسميته، وقد بدا لنا بعد هذا مآخذ كثيرة على المشروع، بحيث لا يمكن أن ينظر فيه نظرة جدية أو يعتبر أساساً للبحث، غير أننا رأينا أن لا نستعجل في إبداء ذلك وأن نكتفي بذلك الطلب من الدكتور، ولا سيما أن فيه الموافقة على مطلبين أساسيين من مطالبنا وهما تأسيس دولة مستقلة في فلسطين وإنهاء حكم الانتداب، وبقاء اليهود أقلية دائمة. ومما لا ريب فيه أن ضغط الظروف هي التي جعلت اليهود يتحولون هذا التحول ويظهرون شيئاً من التهافت أولاً بطلب وايزمان الاجتماع مع المفتي على ما شرحناه قبل ومشروع ماغنس هذا، وسنرى ما يعود به الدكتور طنوس.

2 ـ اجتماعنا عند المفتي مع نوري السعيد وما جرى في الاجتماع من أبحاث:

واجتمعنا كذلك عند المفتي مع نوري السعيد وجرت أحاديث متنوعة عن موقف العرب

ومستقبلهم والأخطار المهددة لمصالحهم، وعدم إمكان مواجهتها إلا بالوحدة وإمكان العمل لها ومما قاله لنا إن حكومة العراق كلفته ليكون مندوباً فوق العادة للعمل لقضية فلسطين، فرفض ولكنه جاء متطوعاً يرى ما إذا كان بالإمكان عمل شيء، وقال إن أمامنا في الوقت الحاضر طريقين: إما الاستمرار في موقفنا الثائر السلبي وترك الظروف تعمل عملها. وإذا عجزت بريطانيا واليهود عن وقف نشاط العرب وتجميد موقفهم فإنهم سوف يتراجعون ويستجيبون للمطالب العربية، أما إذا لم يعجزوا عن ذلك فإنهم سينفذون ما يريدون رغماً عن العرب؛ وأما السعي لإيجاد حل على أساس شيء من التضحية أو التراجع مقابل شيء إيجابي، وذلك بقبول هجرة محددة إلى فلسطين مقابل ارتباط فلسطين بوحدة عربية بنوع ما يقيها من شر الهجرة الموضعي، وقال إنه يرى الرأي الثاني: وقد أشار إلى ما وقع في السنة الفائتة وكيف كان مخجولاً من الإنكليز حينما جاء إلى فلسطين للتوسط بينما كان فوزي القاووقجي في طريقه إليها دون أن يعلم من ذلك شيئاً، وكيف أن الإنكليز ظلوا يظنون إلى أمد ما إنه كان يعلم وإنه كان يخدعهم، ولو كان يعلم لكان تصرف تصرفاً آخر ثم قال إن الذي يريد أن يتوسط يجب أن يتأكد إلى أي حد يمكن أن تمشي وساطته، وطلب التحدث بصراحة في الأمر حتى لا يكون سوء تفاهم.

وقد ذكر ما كان بينه وبين وايزمان في لندن في السنة الفائتة، وهذا كنا أشرنا إليه سابقاً وشككنا فيه، ويظهر أن فيه شيئاً من الحقيقة باعتراف نوري - وإن وايزمان قبل معه أن يكون اليهود أقلية في قسم من فلسطين وأن تنشأ في فلسطين دولة ترتبط بوحدة عربية ما وأن يعدل اليهود عن المطامع العنصرية والسياسية، ولكنه لم يرد أن يرتبط بذلك إلا بعد أخذ قرار من اللجنة اليهودية، وقد أخفق في إقناع اللجنة فتجمد الحديث بينهما وساق نوري هذا للتدليل على إمكان العمل وتحويل اليهود عن مواقفهم الأساسية، وقال إن الإنكليز سوف يوافقون على أي شيء يتفق عليه العرب واليهود للخلاص من المأزق، ثم قال إنه لا يرى المفاوضة مع اليهود مجدية بعد تجربة وايزمان، ولهذا لا يريد أن يشتغل معهم وإن ما يمكن أن يبذله من مسعى إنما يكون مع الإنكليز، وقد جرت الأحاديث حول ما أصبح اليهود يمثلونه في فلسطين من خطر على الكيان العربي، وعدم جواز السماح لهم بالنمو أكثر مما هم الآن، وإن الأسس المعقولة الدارئة للخطر هي ما قدمه العرب للجنة الانتدابات.

وأخبره المفتي بما كان من رسول وايزمان إليه وتهافته على الاجتماع به، وأخبره جمال الذي كان حاضراً، ما لدى يهود الإنكليز من أفكار، وما اقترحه نيوكمب من مشروع على أساس نسبة 30٪ كحد أعلى لليهود في فلسطين وموافقة كثير من معتدلي يهود انكلترا على ذلك، وانتهى الاجتماع على موعد في الغد في بيت المفتي حيث دعانا جميعاً إلى الغذاء، وقد أخبرناه كذلك بمشروع ماغنس لإقناعه بإمكان تحول اليهود إذا ثبتنا وثابرنا على موقفنا ونشاطنا، وقد سجلت بعد هذا فقلت إن مما يرد إلى الخاطر أن نوري مكلف تكليفاً من جهة ذات علاقة بإثارة البحث معنا، ولا نستبعد أن يكون الإنكليز بل ووايزمان معاً ولا سيما إنه منذ السنة السابقة وهو ينشط وصار رمز النشاط في سبيل حل قضية فلسطين، وكان متصلاً بالإنكليز ووايزمان معاً.

3 ـ أخبار الثورة في يومية 1937/12/20 :

وفي عدد جريدة فلسطين الأحد أخبار ثورية كثيرة هذا موجزها :

أ ـ مداهمة عصابة مسلحة قرية حطين وسلب خفراء القرية الإضافيين ما معهم من نقود وهم ستة وأطلقوا الرصاص على بوليس آخر اسمه جميل عرنكي وقتلوه.

ب ـ استمرار قوات الجند في جهات علار وصيدا والنزلة وعتيل على عمليات التطويق والتفتيش دون أن تستطيع العثور أو القبض على أحد.

ت ـ مداهمة عصابة قرية عنبتا وإطلاقها النار حولها.

ث ـ اعتقال السلطات مختار قرية زبوبا واثنين معه.

ج ـ تفتيش منازل كثيرة في قرية عرابة.

ح ـ تخريب أنابيب البترول في جهة بيسان وإشعال النار بالنفط المتدفق، وذكرت فلسطين إن عطل ثمان ساعات في أنبوب، يضيع على الشركة عشرين ألف طن.

خ ـ فرض السلطات غرامة 420 جنيهاً على قرية شفا عمرو، بسبب حادث الباص اليهودي لأن كلاب الأثر، وصلت في تعقبها إلى هذه البلدة.

د ـ تقطيع الأسلاك بين الخليل والقدس والسبع، من جديد واقتلاع عدد كبير من الأعمدة وهرعت قوة كبيرة للبحث عن الفاعلين، في الجبال واعتقلت 23 شخصاً.

ذ ـ إشاعة عن معركة ناشبة بين الجنود وعصابة مسلحة في جهة ترشيحة.

ر ـ إطلاق عيارات كثيرة في يافا، وفي محلتي المنشية وسكنة أبي كبير وكانت يافا جامدة عن الحركة منذ أيام كثيرة.

ز ـ انفجار قنبلة في الخليل بدوي عظيم.

س ـ اعتقال الشيخ ياسين البكري واعظ القدس.

ش ـ ومما ذكرته فلسطين أن القائد العام، وافق على الحكم على امرأة بالحبس عشر سنين ولكنه أوقف التنفيذ ثم ما لبث أن أطلق سراحها.

4 ـ وفي جريدة الدفاع عدد اليوم أخبار كثيرة عن الاضطرابات تكاد تشغل أكثر صفحات العدد وهذا موجز ما جاء فيه من ذلك :

أ ـ خطف عصابة مسلحة خفيراً يهودياً من جوار طبريا، وكان يركب حصاناً ولم يعرف مصيره.

ب ـ مداهمة جماعة من الثوار مخيم الجيش في قرية شعب، وإصلائه ناراً حامية ثم انسحابها ولم يذكر شيء عن النتائج.

ت ـ اكتشاف جثة عربي قتل في الصباح قرب قرية شعب، وربما كان من أفراد العصابة المسلحة أو كان قرب المخيم.

ث ـ خروج قوة كبيرة لتعقب الثوار في منطقة شعيب، وتقول الجريدة إن تحركات القوة مستمرة.

ج ـ مداهمة المسلحين كوخ البوليس الإضافي في شفا عمرو، وقد هرب أفراد البوليس واستولى المسلحون على بنادقهم، وذخيرتهم، وهي ستة بنادق و200 طلقة.

ح ـ إطلاق النار على باص يهودي في طريق طبريا، وإصابة أحد ركابه بجراح.

خ ـ استمرت القوات في تفتيشها وتعقبها يوم الأحد، بالرغم من أنه يوم عطلة في جهات طولكرم ونابلس.

د ـ اعتقال ميكانيكي عربي شاب اسمه سامي الأصفر في يافا بتهمة أعمال غير

مشروعة.

ذ ـ مصادمة بين دورية ومسلحين في جهة سكنة أبي كبير في يافا.

ر ـ تفتيش منازل عديدة في قرية جلبا واعتقال واحد منها لوجود 45 خرطوشة في مخزن يخصه.

ز ـ تفتيش منازل في قرية ديريان واعتقال واحد من أهلها، للعثور على قنبلة و20 خرطوشة في منزله.

س ـ صدام بين دورية بوليس ومسلحين في الرملة، وتبادل النيران بين الطرفين مدة ما.

ش ـ تقطيع الأسلاك قرب قرية الطيرة.

ص ـ شبوب النار في مقهى يهودي في هدار كرمل في حيفا واحتراقه.

ض ـ تقطيع الأسلاك في طرق القدس رام الله، والقدس الخليل.

ط ـ تفتيش بيت عزيز سعيد درويش في المالحة، بناء على تعقب الكلاب ولم يعثر على شيء.

5 ـ نشرت صحف فلسطين اليوم خبر وفاة محمد علي التميمي في حيفا، وكان أصيب منذ سنة بنوبة ونزيف، فظلت صحته منذئذ متأخرة يصح يوماً ويسقم يوماً رحمة الله عليه، وفي الجزء الأول من هذه المذكرات كلمة عنه.

(17) يوم الأربعاء 1937/12/22
19 شوال 1356 :

ما جرى من الحديث مع نوري السعيد في بيت المفتي للمرة الثانية وأفكاره وموقفنا منها:

أمس تغدينا في بيت المفتي مع نوري السعيد، وكان معين معنا وقد استأنفنا الحديث ومما قاله إنه يرى فلسطين أمام مشروع التقسيم وأمام تضحية ما لتفاديه، وأن التضحية مرجحة على التقسيم، لأن هذا إذا تم يتعذر تغييره بعكس التضحية المطلوبة تدريجياً حيث يمكن تغييرها، ويمكن أن تكون ظروف اقتصادية وغير اقتصادية تساعد على ذلك؛ وإنه يعني بالتضحية قبول استمرار هجرة محدودة على شرط ضمان بقاء الأكثرية عربية مطلقة، وأن لا تكون على أساس الاستيعاب الاقتصادي، وإنه يعتقد أن الإنكليز يتعذر عليهم بالمرة إهمال اليهود ومشروعهم، كما أنهم واليهود معاً يصعب عليهم أن يهضموا فكرة حل غير التقسيم تمنع معها الهجرة بالمرة، وأنه وإن لم يكن قد فوتح من جديد، فإنه سوف يجرب ويذهب إلى مصر وإذا وجد المجال مفتوحاً فسيذهب إلى أوروبا، وأن غايته أن تقوم وحدة عربية بنوع ما، وتكون على شكل ولايات متحدة وأنه يريد أن يفهم وجهة نظرنا النهائية بصراحة ليعرف كيف يتصرف. وشرحنا له الأخطار الناجمة عن استمرار الهجرة وعدم تحمل البلاد لشيء جديد منها وأن حوصلتنا إذا وسعت للاعتراف باليهود الموجودين ونسبتهم الآن نحو 28٪ فإن ذلك يعد تضحية كبيرة، وإن التساهل في قبول مبدأ استمرار الهجرة مهما كانت محدودة من شأنه أن يغري الإنكليز واليهود معاً بمساومات قد نكون فيها مغبونين، وإن اليهود الموجودين يكفون ليكوّنوا خطراً عنصرياً واقتصادياً على فلسطين وبلاد العرب وقد سلم بذلك مع ملاحظته إن القصد هو تفادي التقسيم الأكثر خطراً. وجرى بحث حول نسبة اليهود الحاضرة وهي 28٪، وجعلها كأساس لكيانهم بحيث يسمح لهم بسد الفرق النسبي بين نمونا ونموهم سنوياً وهذا الأساس يمكن أن يسمح لليهود بإدخال

لتساعدها بدورها على القيام بالواجب الذي أخذته على عاتقها، وحينئذ يمكن أن يتم التنسيق بين الجمعية وجهاز المنظمة ليأتي العمل وافياً غير متكرر.

والله الموفق إلى ما فيه الخير، وهو المسؤول أن يسدد الخطى وأن يؤيدنا بنصره، ويحقق لنا أملنا في استرداد وطننا وتطهيره من رجس الغاصبين. والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

20 ـ 1 ـ 1968

***

(44) سجلنا في هذا التاريخ 3 شباط 1968 ما يأتي تلخيصاً من جذاذات عديدة كتبناها خلال سنة 1967 وكانون الثاني 1968 في صدد جهودنا في توحيد العمل الفدائي :

بعد نزول عاصفة الفتح إلى ميدان العمل الفدائي بعدة شهور، أخذ يتألف تنظيمات تصف نفسها بتنظيمات فدائية. وفي أوائل سنة 1967 أخذ بعضها ينزل فعلاً إلى الميدان ويقوم ببعض العمليات. وبعد نكسة حزيران 1967 قوي العمل الفدائي، حتى لقد بدا صحة القول (رب ضارة نافعة). من حيث أن الضربة التي نزلت بالأمة كانت منبهة لها تنبيهاً شديداً على مختلف المسؤوليات، حتى لكأنها في حاجة إليها، وكانت من أسباب اتساع العمل الفدائي والإقدام عليه. وتعددت المنظمات التي صارت تعمل في الميدان، وصار يقع شيء من التناظر والتنافس بل والتكايد والتفاخر بينها، حتى لقد كادت الصورة التي عانينا منها كثيراً في ثورة سني 1937 ـ 1939 من مثل ذلك تتكرر. ولم يكن لي اتصال بغير جماعة الفتح، فصرت كل ما التقيت بهم أكرر عليهم وجوب توحيد العمل الفدائي وضرورة التغلب على كل اعتبار بسبيل ذلك. ونضرب لهم الأمثال على ما كان من ضرر الانفراد، وأنبههم إلى ما سوف يحيق بالعمل من جراء ذلك، وهو عمل طويل الأمد غير مرتبط بشخص ولا بجيل ولا قاصر عليهما. وكانت هناك أصوات أخرى تتردد على صفحات الجرائد وفي المجالس في صدد ذلك.

وكان من نتائج ذلك أن دعت منظمة (فتح) المنظمات الفدائية إلى مؤتمر ينعقد في القاهرة في كانون الثاني 1968، وجاء لزيارتي أبو عمار (ياسر عرفات) وأبو جهاد (خليل الوزير)، وأخبراني بذلك، فسررت وسلمتهما منهجاً للتوحيد الصحيح المجدي الذي يتمثل في الاتفاق على قيادة واحدة تتولى التخطيط والتمويل والإعلام وينضوي فيها جميع المنظمات.

وانعقد المؤتمر في 17 كانون الثاني، وأذيع عن نتائجه خلاصة جاء فيها أنه اشترك في المؤتمر (جبهة تحرير فلسطين) و (حركة الشباب الثوري) و (الهيئة العاملة لدعم الثورة) و (حركة تحرير فلسطين ـ فتح ـ) و (جبهة ثوار فلسطين) و (طلائع حرب التحرير الشعبية) و (جبهة التحرير الشعبية) و (طلائع الفداء) وتخلفت عن المؤتمر (منظمة التحرير وجيشها) و (الجبهة الشعبية) و (تنظيم المناضلين الفلسطينيين)، وكانت الجبهة الشعبية تضم (التنظيم العسكري لحركة القوميين العرب) و (طلائع أبطال العودة) و (تنظيم تحت قيادة أحمد جبريل) و (تنظيم آخر تحت قيادة أحمد زعرور). وجميع المتخلفين كانوا يتعاملون ويتضامنون مع منظمة التحرير التي تخلفت هي وجيش التحرير وقوات

التحرير الوطنية التي تتبعها مباشرة.

ولقد جاء في البيان أن المؤتمر قرر تشكيل مجلس عسكري للتخطيط والتنسيق، وأمانة تنفيذية ينبثق عنها مكتب دائم، وأنه تقرر أن تصدر المنظمات الأربع الأولى المشتركة في المؤتمر بلاغاتها باسم (العاصفة) والثلاثة الثانية باسم (الصاعقة) والثامنة باسم (فرقة خالد بن الوليد). وقال البيان أن هذه الخطوات مرحلية إلى أن يتم دمج جميع المنظمات في منظمة واحدة وتحت اسم واحد. وقد وضع المؤتمر ميثاقاً جاء فيه ما خلاصته: أن غاية الكفاح المسلح هي تحرير فلسطين وإزالة الكيان اليهودي، وأنه ليس لذلك بديل، وأن كل حل آخر لا يؤدي إلى هذه الغاية مرفوض.

وقرر المؤتمر بالنسبة للمجلس الوطني أن يدعو إليه لجنة تحضيرية بأعداد متساوية من المنظمات المشتركة في المؤتمر، ثم في اللجنة التنفيذية التي تنبثق عنه. وأن ما يجب عمله في المجلس ثم في اللجنة وضع خطة عمل تنسجم مع الثورة الشعبية الملحة وتصعيدها وشمولها، والتخلي عن الإسراف، ودعوة جيش التحرير للتعاون مع المجلس العسكري المنبثق عن المؤتمر[1].

ولقد زارني خليل الوزير عقب انفضاض المؤتمر 21 كانون الثاني 1968، وأعطاني نسخة من البيان الذي صدر عن المؤتمر، وهو متطابق مع الخلاصة المذكورة آنفاً. وقد قلت له أن احتفاظ المنظمات بشخصيتها لم يحل المشكلة، وأن من الواجب أولاً: الالتزام بالموعد في دمج جميع المنظمات في بعضها. وثانياً: السعي مع التنظيمات المتخلفة وتهيئة أسباب انضمامها كمرحلة أولى. ونبهته إلى أن إيجاد أمانة تنفيذية ومكتب سوف يكون ازدواجاً، لأن هناك منظمة ولجنة تنفيذية. وهذا الازدواج سيؤدي إلى التناقض والتصادم، فوعد بنقل ملاحظاتي إلى رفاقه.

وقد زارني بعد أيام أي في 26 كانون الثاني سنة 1968 جورج حبش[2] وفائز قدورة. وهما من أركان حركة القوميين العرب ورعاة الجبهة الشعبية الفدائية، وتحدثنا في أمر وحدة العمل الفدائي. وعتبت عليهم عدم اشتراكهم في المؤتمر والمجلس العسكري، وأكدت عليهم أنه يجب على كل مخلص أن يضحي بكل اعتبار في سبيل الوحدة التي لا بد منها لنجاح العمل الفدائي وتصعيده، وعدم هدر القوى والجهود في التنافس والتناظر بدافع من الحزبية

(1) هذه الخلاصة نشرت في جريدة البعث 68/1/21.

(2) عرفنا الدكتور حبش ورفاقاً له من زعماء حركة القوميين العرب منذ أواسط العقد الخامس، فلمسنا فيهم طموحاً وروحاً قومية متحمسة متفتحة، وتطلعاً إلى نهضة ووحدة عربية شاملة ونشاطاً وحيوية وتواضعاً، فانفتحنا عليهم وصاروا يترددون علينا وبخاصة الدكتور حبش ونحدثهم بالتجارب والآمال والواجبات، وكانوا يصدرون في دمشق مجلة (الرأي) الأسبوعية، فطلبوا منا كتابة مقالات في مواضيع الساعة والحركة العربية، واستجبنا لهم وكتبنا لهم بضع عشرة مقالة نشرت بين سني 1954 و1958 وقد استمرت صلاتنا بهم، وقد وقع بينهم شقاق بعد سنة 1964، ولمحنا أن عقدة الحزبية والأفضلية الحزبية أخذت تدركهم. فكنا كلما التقينا بهم وقد ندرت لقاءاتنا بهم ننبههم إلى آثار تلك العقدة الضارة في سير الحركة وأهدافها، وكانوا يتقبلون نصائحنا، ولكنا كنا نلمح أن تأثرهم بها قليل، وكانوا يبررون مواقفهم بالظروف الراهنة على المسرح العربي، ولما اندمجوا في العمل الفدائي كانوا متناقضين مع جماعة فتح، وكان كل من الفريقين يشكوان لي من سوء موقف وتصرف الفريق الآخر، فكنت أحاول جهدي في التقريب والتوحيد، ولكن ذلك كله ظل ملموحاً في مواقفهم، مما حفزني على الكتابة إليهم مما سوف يقرأه القارىء في أرقام (61) و(67) و(69) و(70).

والذاتية. ولا سيما أن النضال قد يمتد سنين كثيرة. وضربت لهم ما كان يقع في ثورة 1937 ـ 1939 من مواقف كانت تعرقل أو تضعف قوة الثورة وتسيء إليها داخلاً وخارجاً، لأن قيادتها المحلية كانت تتمسك بشخصياتها ومناطقها ويقع بينها خلاف وتشاد حتى يصل الأمر إلى صدام.

ولقد كان جماعة (فتح) يحكون لي بعض أعمال وأقوال كيدية تصدر من جماعة الجبهة الشعبية ضد أعمالهم وأشخاصهم. فعاتبتهم على ذلك فأنكروا ثم أخذوا بدورهم يذكرون بعض أعمال وأقوال كيدية تصدر من جماعة (فتح) ضدهم، حيث ظهر لي من هذا أن الوساوس والدسائس والعصبيات الحزبية والنفسية تلعب بين الجماعتين، فأبديت لهم استعدادي لتقريب وجهات النظر بينهم وبين جماعة فتح وإزالة الغبار والعقبات من طريق التوحد والتضامن، فأظهروا استعداداً ووعدوا بزيارة ثانية. ثم جاء بعد أيام الدكتور وديع حداد وهو من أركان حركة القوميين ومعه فائز قدورة وممثلون عن التنظيمات المتضامنة معهم والذين يشكلون جميعاً ما كانوا يسمونه (الجبهة الشعبية)، وبعضهم من جماعة تنظيم أحمد جبريل التي صارت تسمى (الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة) بعد انفصالها عن القوميين العرب، وبعضهم من جماعة (أبطال العودة) قيادة أحمد زعرور على ما أظن، وبعضهم من جماعة التنظيم الذي صار يسمى (الجبهة الشعبية الديموقراطية).

وأعدنا الحديث ثانية في صدد وجوب وحدة العمل الفدائي تحت قيادة واحدة تخطيطاً وتدريباً وتجنيداً وتوزيعاً وتنفيذاً وإعلاماً وتمويلاً، لأن ذلك هو الذي يضمن تصعيد العمل وتحويله إلى حرب تحرير، ويضمن استمرار واستقطاب الجهود والأفكار والأنظار نحوه، ووجوب التضحية بكل اعتبار في سبيل ذلك. فأظهروا استعدادهم للمرة الثانية، وطلبوا أن يجتمعوا بحضوري مع ممثلي (فتح) لدراسة الموقف والتغلب على الانفراد وتوطيد التفاهم والتضامن. وكنت أعرف أنهم متضامنون مع اللجنة التنفيذية للمنظمة التي لم تستجب مثلهم إلى مؤتمر القاهرة، فسألتهم عما إذا كان ذلك يعرقل استعدادهم إذا أصرت اللجنة على عدم التجاوب، فأجابوا نفياً، وأعادوا استعدادهم للتضامن مستقلين. واتصلت بخليل الوزير فجاء إلى زيارتي وحدثته بما كان، وقلت له إن هذه فرصة يجب أن لا تضيع، وربما أدت إلى توطيد التضامن والوحدة مع الجميع، وطلبت منه أن يقنع إخوانه جماعة (فتح) ليظهروا نفس الاستعداد ويعود إلي بالجواب لنعين الوقت لاجتماع شامل. فوعد بالرجوع إلى رفاقه ثم الرجوع إلي ولكنه لم يفعل.

وقد اجتمعت بعد أيام في بيروت مع الدكتور جورج حبش، وأعدنا الحديث والتوكيد ووعد بدوره حسن التجاوب، ووقف الأمر في هذه المرحلة عند هذا الحد.

هذا ما سجلته في شهر شباط 1968 من الجذاذات التي كتبتها.

ولقد جرى بعد ذلك أمور لابأس من الإلمام بها إتماماً للسياق.

فقد كان ما توقعته، حيث ظل المجلس العسكري وتنسيقه وتخطيطه ومكتبه حبراً على ورق، وعاد كل تنظيم يعمل منفرداً ويصدر بياناته بعملياته باسمه.

وظلت الأصوات ترتفع، وشاركنا في ذلك

كتابة[1]، فأدى ذلك إلى إنشاء قيادة باسم (قيادة الكفاح المسلح) مرتبطة باللجنة التنفيذية انضوى فيها جماعة عاصفة الفتح ومعظم التنظيمات الفدائية الأخرى. ثم اجتمع مجلس وطني جديد في أوائل سنة 1969، وتمثل فيه التنظيمات التي انضوت تحت قيادة الكفاح المسلح، وانتخب لجنة تنفيذية جديدة تمثلت فيها لذلك هذه التنظيمات، واختير لرئاستها أبو عمار. فكان كل هذا خطوة إلى الأمام غير أنها لم تسد الثغرة، لأن التنظيمات بقيت محتفظة بشخصياتها وتخطيطها وجبايتها وارتباطاتها وولاءاتها، وكل ما كان من أمر أنها ترسل بلاغات عملياتها إلى قيادة الكفاح المسلح فتذيعها هذه معزوة إلى التنظيمات، ويتم أحياناً تشارك في العمليات بين منظمتين أو أكثر. وظل القسم الأكبر من كتائب جيش التحرير غير مندمج في العمل الميداني، واللجنة الجديدة تعد ببذل الجهد في تقوية البنيان الفدائي وتوحيده حتى ينقلب إلى حركة تحرير شعبية شاملة قولاً وفعلاً.

والتنظيم البارز الذي لم يتمثل في المجلس الوطني الأخير واللجنة التنفيذية وقيادة الكفاح المسلح هو تنظيم حركة القوميين العرب العسكري المسمى بالجبهة الشعبية.

ولقد أثار ذلك عجبنا، وكنا قد تحدثنا مع زعمائهم على ما مر ذكره، وأظهروا استعدادهم للإتحاد.

ولقد بلغنا أنهم يسوقون بعض التبريرات لإحجامهم عن الإنضواء أسوة بمعظم التنظيمات ومن جملتها التنظيمات التي كانت مندمجة وإياهم في تنظيم واحد، وقرأنا بعضها في بعض الصحف، ولم نقنع بوجاهة ما سمعنا وقرأنا، ورأيناه من قبيل التدارك، ونخشى أن تكون مسألة المراكز والأنصبة هي السبب الأهم. وهو ما لم أكن أحبه لهذه الجماعة، لأنه أتفه من أن يسوغ عرقلة الوحدة الفدائية مظهراً أو فعلاً. وقد وقعت بعض الأحداث التي كانت تهدف إلى ضرب العمل الفدائي جميعه في لبنان، فكان فرصة لهم لإعلانهم الانضواء والتضامن فجمدوا. ولقد جرت محاولات للتقريب بينهم وبين القيادة ولكنها لم تنجح، وقد حملت بعض أصدقائهم نقدي وعتبي، ثم كتبت لهم رسالة[2] وألمحت عليهم بضرورة العدول عن هذا الموقف والدخول فيما دخل فيه معظم التنظيمات، وليسوا أكثر إخلاصاً للقضية الفلسطينية والقومية والعمل الفدائي التحريري منهم، ومايزال الأمل يراودني بأنهم سيفعلون.

ولقد كتبت لأبي عمار بعد انتخابه لرئاسة اللجنة كتاباً أطالبه فيه، وقد أصبح على رأس الكيان الفلسطيني، أن يبذل جهده لتطوير قيادة الكفاح المسلح وقلبها إلى قيادة موحدة قولاً وعملاً لتمثل هذا الكيان[3]. ولقد تفضل بزيارتي ومعه بعض رفاقه من أعضاء اللجنة التنفيذية بعد ذلك بقليل، ففاتحتهم في الأمر وضرورة إزالة التناقض، وشرحت لهم كيف أن قيادة الكفاح المسلح لم تسد الثغرة فوعدوا. ثم اجتمعت مع أبي عمار بعد شهر، فعاودت الكلام والتوكيد فوعد للمرة الأخيرة ببذل جهده، وأظهر رغبته الشديدة في تحقيق المطلب، ومضت الأيام والحالة على ما هي عليه، فكتبت له كتاباً جديداً مطولاً[4].

وكثير من الناس يلمحون ونحن منهم أثر

(1) انظر رقم 49 و50 و52 و53 و54 و55.

(2) هي الرقم (61). (3) الرقم 56. (4) الرقم 63.

العصبيات الحزبية والأنانية وحب البروز في ما يستمر من تعدد التنظيمات بل وجنوحها إلى التزايد، بدلاً من الوحدة والاندماج، ويستغل بعضهم رغبة الناس في مساعدة العمل الفدائي في ذلك. ويتعلل بعضهم بأفكار وعقائد مصيرية سابقة لـلأوان، وتستغل بعض الحكومات والهيئات كل ذلك للإبقاء على التعدد مع الأسف الشديد.

والله نسأل أن يلهم الجميع الصواب والسداد والتجرد، وأن يكون في عون المخلصين ويقدرهم على التغلب على كل هذه العراقيل والعقبات لتحقيق الأمل المنشود الذي أصبح شعاراً قومياً ومطلباً ملحاً.

* * *

(45) حضرة مجلس إدارة جمعية رعاية أسر شهداء ومجاهدي فلسطين 1968/2/25

السلام عليكم ورحمة الله وبعد، فإني أحمد الله عز وجل على أن حقق مسعانا ويسر وجود هذه الجمعية التي أرجو أن يوفقها للقيام بمهمتها الإنسانية والدينية والوطنية التي قامت من أجلها، وأملي كبير في عناية الله بها ما دامت مخلصة النية لا تبغي إلا مرضاة الله تعالى وخدمة وطنها ومواساة أسر المجاهدين والشهداء في سبيله.

ولقد بلغني أنكم باشرتم مهمتكم بعد أن وفق الله وفدكم إلى السعودية وقطر في مهمته، فأهنئكم وأبارك لكم.

ولقد علمت أن بعض المنظمات الفدائية تجمع إعانات باسم شهدائها[1]. وإني أرى في هذا ازدواجية وتشويشاً، ويحسن أن تبذلوا جهودكم في إقناعهم بالكف عن جمع الإعانات بإسم الشهداء، والإكتفاء بما ترتبونه لشهدائهم، لأجل أن يبقى الجمع من مهمة الجمعية. وإذا أصروا على الجمع، فأرى أن تلحظ الجمعية ذلك ولا تعطيهم مرتبات كاملة بل مساعدات شهرية، وتخيرهم بين هذا وبين الكف عن الجمع بإسم الشهداء. وإذا قالوا أن لهم مصادر يمكنهم أن يجمعوا منها، فمن الممكن أن تتفقوا معهم على أن يأخذوا قسائم من الجمعية ويجري الحساب معهم على أساس ذلك، فما نقص عليهم من المرتبات الكاملة لأسر شهدائهم تدفعه لهم الجمعية، أما إذا كان جمعهم بغير اسم الشهداء فهم وشأنهم.

وفي قانون الجمعية بند لأجل تأسيس الفروع، فأرى أن تبدأوا بذلك في سورية، ويحسن أن تنشئوا فرعاً في مخيم اليرموك، وأن يذهب شخصان إلى حمص وحماه ثم حلب ثم اللاذقية ثم دير الزور الخ لينشئا فيها إن أمكن فروعاً، والأفضل أن يكون كل فرع مؤلفاً من ثلاث أشخاص أو خمسة على الأكثر، وإذا كان منهم سوري أو أكثر فيكون أفضل، والذين سيذهبون لإنشاء الفروع يأخذون معهم كمية من البيان الذي هو تحت الطبع فيسلمونها للفروع وهي تتولى توزيعها، ويسلمونها قسائم بالتبرعات أيضاً ليجمعوا بموجبها التبرعات ويرسلونها إليكم.

وإذا تم إنشاء فروع سورية، فيحسن أن

---

(1) بعد نحو سبعة أشهر من نزول العاصفة إلى ميدان العمل الفدائي قامت منظمات أخرى وأخذت تنزل إلى هذا الميدان أيضاً.

تفكروا في إنشاء فروع في بيروت وصيدا وطرابلس الشام ثم في الكويت وبغداد والموصل والبصرة ثم في عمان واربد. وعلى الله التوفيق.

وأرى أن يأخذ كل واحد من الأعضاء في دمشق كمية من البيان فيتولى توزيعه على من يتوسموه في الخير والرغبة، بالإضافة إلى فرع مخيم اليرموك الذي يتولى التوزيع في المخيم، لأن إرسال البيان في البريد لا يكون مؤثراً مثل الإتصال الشخصي، وأرجو أن ترسلوا لي كمية من البيان حتى أبذل جهدي في توزيعها.

هذا، وأريد أن أرجوكم في شأن أسرة المجاهد الكبير القديم المرحوم أبي إبراهيم الصغير، فإنه لم يترك لأسرته شيئاً، وأولاده لا يكسبون شيئاً، وحالة أسرته عسيرة، فإذا كانت أعمال الجمعية تتحمل أن يكون لها مراسل أو جاب، فيمكن أن يقوم بهذا العمل الكبير من أولاده، فيكون مرتبه مساعدة للأسرة في الوقت نفسه، وإلا فيصح أن ترتب الجمعية لهذه الأسرة مرتباً، واسم الجمعية يساعد على ذلك لأنها لرعاية أسر المجاهدين.

وقد يخطر بالبال أن هذا باب إذا فتح بالنسبة للمجاهدين القدماء يتسع، غير أني أعتقد أن حالة أسرة أبي ابراهيم نادرة، ومعظم المجاهدين القدماء قد كبر أولادهم وسدت حاجاتهم، ومع ذلك فإذا كان هناك أفراد من أسرهم في حاجة فلا مانع من مساعدتها، فقد جاهدوا وضحوا في سبيل الله والوطن، وصار لهم حق بالرعاية.

وأكرر دعائي لكم بالتوفيق والنجاح، وأسأل الله أن يؤيد المجاهدين بنصره وأن يحقق بجهادهم هدفنا المقدس في تطهير أرضنا من رجس الغاصبين وإعادتها إلى حظيرة العروبة والإسلام والله أكبر؟

* * *

1968/3/21

السيد عزة دروزة المحترم

تحية النضال وبعد، وصلتنا رسالتكم الكريمة التي تتفضلون فيها بتقديم بعض المقترحات القيمة لدفع جمعيتنا إلى الأمام.

وإننا إذ نشكركم على هذه النصائح الغالية، نعدكم بأن نضع كافة مقترحاتكم موضع التنفيذ تدريجياً، وإننا بدأنا فعلاً بتنفيذ بعض ما جاء في رسالتكم من مقترحات.

ولكم جزيل شكرنا

رئيس جمعية رعاية أسر

مجاهدي وشهداء فلسطين

محمد الخضراء

* * *

(46) حضرة رئيس وأعضاء مجلس نقابة المعلمين المحترمين دمشق الشام[1]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فإن بعض إخوان لكم من الفلسطينيين أنشأوا جمعية لرعاية أسر مجاهدي وشهداء فلسطين وحصلوا على ترخيص بها وباشروا مهمتهم، وفي طيه بيان فيه شرح لمدى هذه المهمة، واستحثاث لأهل الخير بمد يد المعونة للجمعية حتى تستطيع أن تضطلع بمهمتها الإنسانية والوطنية التي تزداد خطورة يوماً بعد يوم بتصاعد حركة المقاومة والفداء في أرض الوطن السليب.

---

(1) من الكاتب بتاريخ 68/3/25.

ومعلمو المدارس ونقابتهم على رأسهم خير من يعي هذه المهمة من مختلف نواحيها، وخير من يؤمل إقبالهم على الإسهام فيها، وهذا ما جعلني أرسل إليكم هذه الرسالة، وأنا وطيد الثقة في أن تلقى استجابة قوية، سواء في ترتيب مرتب شهري يدفعه صندوق النقابة للجمعية أسوة بنقابة الأطباء التي قررت مثل ذلك، أم في ترتيب جعل شهري زهيد يجبى من المعلمين والمدارس حسب ما يكون ممكناً، والزهيد من الكثير كثير. ولو دفع معلم الإبتدائية فرنكين أو ثلاثة أو خمسة في الشهر ومعلم الثانوية ضعف ذلك، ولو جبت كل مدرسة ابتدائية من تلامذتها ليرتين أو ثلاثة إلى قرش أو قرشين في الشهر، وكل هذا في حيز الإمكان واليسر، لأمكن جمع مبلغ كبير في الشهر يسهم في مواساة عشرات الأسر المنكوبة. ومما يخطر للبال وضع صناديق حصالات في المدارس عليها عبارة (أسر الشهداء)، يمكن أن يكون ذلك بديلاً من جباية المدارس ووسيلة تربوية في نفس الوقت.

وفي انتظار تحقيق حسن الظن والثقة فيكم أرجو أن تقبلوا فائق احتراماتي وأطيب تمنياتي.

25 ـ 3 ـ 1968

* * *

(47) حتمية استمرار الصراع بين العرب واليهود إلى أن تزول الدولة الصهيونية من فلسطين[1]

آذار 1968

كان الحل الطبيعي والأسهل للقضية اليهودية في أوروبا أن يندمج اليهود في المجتمع الذي يعيشون فيه كأصحاب نحلة، أسوة بأصحاب النحل الأخرى المندمجين المتعايشين بعضهم مع بعض في مجال الحياة العادية. ولا سيما أن يهود أوروبا الذين تذكر المعضلة اليهودية في صددهم هم من جنس آري خزري، أي من نفس الجنس الأوروبي. ولكن الجبلة التي جبلتهم عليها الأسفار التي أوحت إليهم بفكرة التفوق والتمايز، واستحلال ما في أيدي الآخرين، وعدم الشعور بأي مسؤولية مادية وأدبية وأخلاقية وإنسانية تجاههم[2] حالت دون ذلك الحل الطبيعي الأسهل. وأوجدت في نفوس غيرهم الإزورار تجاههم وعدم الطمأنينة إليهم. وكان تاريخهم نحو المسيح والمسيحية قد زاد حياتهم في الأوساط الأوروبية التي كانت مسيحية بصورة عامة حرجاً وسوءاً واستثقالاً، فتعرضوا فيها للاضطهاد والازورار. وانبثق عن ذلك فكرة الدولة اليهودية التي نادى بها هرتزل أبو الصهيونية كحل للمعضلة اليهودية المستعصية، وقد تقررت رسمياً في مؤتمر بال سنة 1897 الذي دعا إليه ذلك الداعية وانعقد برئاسته.

ولقد كان تفكير هذا الداعية من أصله أن تكون الدولة مهجراً للبروليتارية اليهودية، فتكون هجرة هذه الفئة مخففة للضغط الذي كان يلقاه اليهود في المجتمع الأوروبي، ويلقاه المجتمع الأوروبي بدوره من اليهود. ومؤدية إلى سلام للمهاجرين في دولتهم وسلام لمن يريد البقاء في أوروبا منهم.

---

(1) نشر هذا المقال في مجلة المعلم العربي الدمشقية التي تصدرها وزارة التربية السورية في العدد الثالث آذار 1968 ـ (السنة الحادية والعشرين).

(2) فصلنا ذلك في كتابنا تاريخ وأخلاق بني إسرائيل من الأسفار والقرآن، وفي رسالتنا الجذور القديمة لسلوك بني اسرائيل واليهود وأحداثهم.

ولو اقتصر الأمر على هذا الأصل من جهة واختار اليهود أرضاً غير فلسطين وهاجروا إليها من جهة أخرى، لكان من المحتمل أن ينالوا السلام المفروض لمضطهديهم ولبروليتارييهم، وأن يتحقق تخفيف الضغط والتنافس بين من يبقى منهم في المجتمع الأوروبي المسيحي وبين هذا المجتمع، ولتفادوا الصراع الحتمي مع العرب ومعالنتهم لهم بعداء ليس له أي سبب، حيث لم يكن بينهم وبين العرب أي خلاف ولا تنافس ولا عداء، وكانت العرب هي البلاد الوحيدة التي لقوا فيها الأمن والسلام والطمأنينة.

ولكن سوء حظهم وسوء حظ العرب معاً جعل فلسطين هي المرجحة عندهم لتقوم فيها الدولة المنشودة بسبب ما أقامته الأسفار من صلات وثيقة بينهم وبينها تجعلها أكثر جذباً للمهاجرين.

وقد أعماهم ذلك عن حقائق لم تكن لتخفى عليهم، ففلسطين لم تكن خالية، وأهلها فيها منذ عشرات القرون. ولقد غزاها الافرنج الذي سمى التاريخ غزوتهم بالصليبية، فلم يستسلم العرب لهم وحاربوهم مائتي سنة حتى ردوهم وطهروا بلادهم منهم، واستعادوا سيادتهم عليها، وضحوا في سبيل ذلك بمئات آلاف الشهداء، ولم يكن الذين حاربوهم أهل فلسطين فقط بل جميع العرب والمسلمين في الأقطار المحيطة بفلسطين، لأنهم كانوا يعتبرون فلسطين وطنهم وفيها مقدساتهم، وهي الصلة بين شمال بلادهم وجنوبها وشرقها.

ولقد كان هذا كافياً لتنبيه اليهود إلى أن العرب والمسلمين لا يمكن أن يتخلوا لهم عن فلسطين، ولم تكن رقعتها لتتسع للشعبين.

ثم نشأت في اليهود ناشئة حورت ذلك الأصل، فجعلت الدولة المراد إقامتها مهجراً لكل اليهود، وأدركت أن فلسطين جميعها وليس جزء منها أضيق من أن تتسع لملايينهم، وأنه لا بد من توسيع حدود دولتهم إلى الشرق والشمال والجنوب ليكون لهم فيها دولة كبرى تمتد من النيل إلى الفرات، فزاد هذا الطين بلة والعمى عماية.

والظاهر أنهم حسبوا أن الظروف الحاضرة غير الظروف السابقة من حيث أن فلسطين والبلاد العربية المحيطة بها لم تكن مالكة لأمرها، وكانت تحت سلطان العثمانيين الذين يمكنهم رشوتهم وإقناعهم، ثم رأوا أن قلة عدد سكان فلسطين وخراب كثير من أرضها مما سوف يضمن لهم النجاح، حتى لقد رفعوا شعار (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض)، وكان شعاراً كاذباً، فاصطدموا بالحقيقة العربية منذ أخذوا يتطلعون إلى استعمار فلسطين وإقامة دولتهم أو نواتها فيها، حيث أثار ذلك توجس عرب فلسطين وبلاد الشام الأخرى، فاندفعوا يناوئون تطلعهم ومن معهم بمختلف الوسائل وقبل وعد بلفور بعشرات السنين. وكان من ذلك تنبيههم لسلطان الدولة العثمانية إلى الخطر، ومطالبتهم بمنع بيع الأراضي لليهود الأجانب ومنع إقامتهم فيها، بالبرقيات والمظاهرات في سنة 1906 ثم في سنة 1911 فكان لهم ما أرادوا[1].

---

(1) قامت مظاهرات عربية في نابلس والناصرة وغيرها حينما أخذ اليهود يشترون الأراضي من الملاك غير الفلسطينيين وينشئون عليها بعض المستعمرات في سنة 1906. ثم حينما دفعوا سمساراً لبنانياً اسمه الأصفر لأخذ امتياز استثمار الغور الفلسطيني، متشجعين على ذلك بوجود أشخاص من الدونمه أي اليهود المرتدين في عداد أركان =

ولقد وصلت الوقاحة بهرتزل أن قابل السلطان بواسطة يهودي من رجال الدولة وحاول أن يغريه بالمال والخدمات الأخرى، فأخفق[1]، فكان على اليهود أن يتنبهوا لما رأوه من مواقف عربية وإسلامية جديدة، إذا لم يكن من شأن المواقف العربية القديمة أن تنبههم[2]، ولكنهم لم يفعلوا وأصروا على عماهم. ثم تحالفوا مع الاستعمار الغربي لتحقيق هدفهم الذي رأى هذا الاستعمار فيه توطيداً لنفوذه وهيمنته على البلاد العربية، فنالوا وعد بلفور، وانعقدت الصفقة بينهم وبين الإنكليز على تنفيذه بالحديد والنار والغدر والخيانة ونقض العهد، حيث يدل هذا على أنهم قد بنوا خطتهم وهدفهم على أساس عدواني عن بينة وتصميم. فكان ذلك إيذاناً بذلك الصراع الحتمي الذي بدا عملياً. فقد احتل الإنكليز فلسطين، وأخذ اليهود ينشطون بحماية الحراب الإنكليزية في سبيل تحقيق أهدافهم ومطامعهم. وأخذ العرب يقاومونهم بمختلف الأساليب الممكنة وفي مختلف المواقف والمناسبات. وشهدت الحقبة التي سبقت إعلان دولتهم في مارس 1948 صوراً ومراحل عديدة للصراع بين العرب وبينهم، بذل العرب فيها ما استطاعوا من جهد وتضحيات.

ولقد كان بلاء العرب مزدوجاً وصراعهم مع هذا البلاء صعباً، حيث كانوا منفردين في الميدان أمام أعتى وأشرس وألأم قوتين عالميتين: الأمبراطورية البريطانية (العظمى سابقاً) والصهيونية العالمية. ومع ذلك فقد كانوا يسجلون نجاحاً باهراً في نضالهم المزدوج الصعب، ومن أهم مظاهر هذا النجاح عدم تمكن اليهود من حيازة أكثر من 7٪ من أرض فلسطين[3]. ثم إرغام الإنكليز بالكفاح المسلح على إلغاء التقسيم الذي قرروه في سنة 1937، وكان سيقوم بموجبه الدولة اليهودية في جزء من فلسطين[4]. غير أن ضغط الصهيونية الشديد

= الحكومة التركية بعد الدستور. ونتج عن المظاهرات الأولى إصدار السلطان أمراً بمنع بيع الأراضي لليهود الأجانب وعدم السماح لسياحهم بالإقامة أكثر من ثلاثة أشهر، ونتج عن المظاهرات الثانية أن رفض طلب السمسار.

(1) ذكرنا في ذيل سابق هذا الخبر وأثره على السلطان.

(2) نقصد الصراع الدموي المرير الذي نشب بين بني إسرائيل عند طروئهم على شرق الأردن وغربه بعد خروجهم من مصر، وقد اندمج في هذا الصراع ضد الطارئين أهل فلسطين وشرق الأردن ومصر وسورية والعراق حكومات وشعوباً، واستمر في المرحلة الأولى خمسمائة سنة، إلى أن قوض الأشوريون في القرن السابع دولة (إسرائيل) التي كان مركزها السامرة والتي كان يشمل حكمها معظم وسط وشمال فلسطين والأكثرية الساحقة من أسباط بني اسرائيل، وقتلوا كثيراً وسبوا كثيراً إلى العراق. ثم قوض البابليون في القرن السادس دولة (يهوذا) التي كان مركزها القدس، ودمروا القدس والمعبد وقتلوا كثيراً وسبوا كثيراً إلى العراق أيضاً؛ فاستؤنف في مرحلة ثانية حينما عاد فريق من المسبيين من بابل واستمر خمسمائة سنة أخرى واندمج فيه أهل فلسطين وشرق الأردن وشاركهم اليونانيون ثم الرومانيون في موالاة الضربات على بني إسرائيل إلى أن قوض الرومانيون كيانهم في فلسطين في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد.

(3) من الجدير بالذكر أن هذه النسبة التي يمثلها مليونان من الدونمات لم يشترها اليهود جميعها من عرب فلسطين في إبان الانتداب، فخمسها كانوا اشتروها في زمن الدولة العثمانية وخمساها اشتروهما من ملاك غير فلسطينيين، وخمسها وهبته لهم حكومة الانتداب من أراضي الدولة التي اعتبرت نفسها وريثة لها حق التصرف فيها، وخمسها الخامس فقط اشتروه من ملاك فلسطينيين كبار ومتوسطين، ولم يكادوا يستطيعون شراء شيء من الفلاحين الصغار.

(4) ذكرنا أهم مظاهر ما نجح فيه الكفاح والمقاومة، وهناك مظاهر عديدة أخرى، من ذلك إرغام الانكليز على إعلان أنهم لا يقصدون إنشاء دولة اليهود ولا فرضهم على فلسطين، وإن حقوق العرب ستظل محترمة مراعاة. ومن =

ومطامع الاستعمار المتحالف معها استطاعا أن يحرما العرب من ثمار نجاحهم الباهر. وبعد الحرب الثانية انضمت الولايات المتحدة الأميركية بكل عنفوانها وشراستها إلى تأييد الهدف اليهودي، فأدى ذلك إلى قرار التقسيم الثاني سنة 1947. وحاول العرب إحباطه، وكادوا ينجحون بفضل كفاحهم المسلح وبطولاتهم وتضحياتهم لولا تقصير الحكومات العربية المجرم، وكان معظمها تحت هيمنة الإنكليز والأمير كان، ولولا مد الدول الاستعمارية اليهود بالمدد العظيم المتوالي الذي مكنهم من التغلب على المقاومة العربية وإعلان دولتهم في مارس 1948 على أنقاض العرب، بعد أن شردوهم من وطنهم، وجردوهم من أموالهم وأملاكهم وثرواتهم العظيمة، واستولوا عليها وحولوهم إلى شراذم بائسة تعيش على الصدقات. ومنذ أن تم لهم توطيد قدمهم كدولة في فلسطين أخذوا يخططون للقفز إلى ما لم تصل إليه يدهم في فلسطين وخارج فلسطين، لتكون دولتهم الكبرى من النيل إلى الفرات القادرة على استيعاب ملايينهم الكثيرة.

وشهدت حقبة ما بعد قيام هذه الدولة صوراً عديدة من آثار هذا التخطيط، سواء بما عرف من خرائطهم وسمع من تصريحاتهم، ووقع من أعمالهم وخطواتهم، كما شهدت عشرات الأعمال العدوانية الكبيرة التي كانت تجري وفق ذلك التخطيط وتعود عليهم بالمكاسب. وكانوا في كل ذلك يلقون العون والتأييد من الاستعمار، لأنه كان يضمن أهدافه من الهيمنة على العرب أو كان يرمي إلى ذلك. ومع أنهم لم يكن لهم في فلسطين إلا 7٪ من الأرض. فقد منحوا بتأييد الاستعمار بالتقسيم نحو 60٪ منها معظمها مملوك للعرب ونصف سكانها من العرب مما هو في أصله ظلم وعدوان صارخان، ولم يكتفوا بذلك، فما واتتهم الفرصة حتى اعتدوا بالحديد والنار والمذابح على ثلث ما هو مخصص للعرب والمتمثل في عشر مدن هي القدس ويافا واللد والرمله وبئر السبع والمجدل وأسدود والناصرة وعكا وشفا عمرو، وفي نحو أربعمائة قرية لها وشردوا عنها أهلها.

ولقد استولوا بالقوة والعدوان على كل ما خلفه العرب النازحون من أموال وأملاك منقولة وغير منقولة تقدر قيمتها بملياري جنيه، واستولوا بالعنف والعدوان والقوانين الجائرة المخالفة للمواثيق الدولية على أكثر أموال وأملاك العرب الذين ظلوا تحت سيطرتهم، ومنحوا كل ذلك لمهاجريهم، واستولوا بالعنف والعدوان على بعض المناطق المجردة من السلاح وطردوا أهلها منها وتصرفوا بها. ومنذ قيام دولتهم وهم يعلنون أنهم لن يسمحوا بعودة لاجيء ولن يتخلوا عن شبر من أرض دخل في حوزتهم مما هو ليس لهم في قرار التقسيم، مخالفين بذلك المواثيق والمعاهدات، وضاربين بكل قرارات هيئة الأمم التي كانت سند وجودهم بعرض الحائط بكل صفاقة واستهتار بتأييد من المستعمرين الامبرياليين الطغاة البغاة.

وما كادوا يحتلون سنة 1956 نتيجة للتآمر مع الإنكليز والإفرنسيين قطاع غزة وشبه جزيرة

= ذلك إحباط انتخابات المجلس التشريعي الذي كانت أكثريته إنكليزية يهودية، وكان يقوم على أساس وعد بلفور وصك الانتداب المرفوضين، ومن ذلك إرغامهم على الاعتراف بأن ثورات العرب هي ناشئة عن شعورهم بالغدر وعدم حصولهم على الاستقلال والحكم الوطني وبخطر الصهيونية ووعد بلفور وهجرة اليهود على بلادهم، وحقوقهم بتصحيح كل ذلك والحد من الهجرة اليهودية وبيوع الأراضي وإقامة حكم وطني.

سيناء، حتى أعلنوا أنها أصبحت جزءاً من دولتهم، وحينما اضطروا بسبب الظروف القاهرة إلى التخلي عنهما أعملوا فيهما التدمير والتخريب والتذبيح لفش غيظهم وغلهم، ولم يتركوهما إلا بعد أن ضمن لهم الاستعماريون بعض المكاسب التي تمثلت في حرية الملاحة لهم في خليج العقبة، والتي كانت بمثابة رئة كانوا محرومين منها، وأتاحت لهم كسر طوق الحصار العربي بمقياس غير ضيق، والتغلغل إلى إفريقية وآسيا عبر البحر الأحمر.

وبعد عدوان حزيران 1967 أعلنوا ضم القدس العربية أولاً، وأخذوا يغيرون معالمها، ويهيئونها لإسكان طوائف من اليهود، ولم يعبأوا بقرار هيئة الأمم الذي أوجب عليهم وقف إجراءاتهم، وها هم يعلنون الآن عزمهم على ضم المناطق التي احتلوها من أراضي سورية والأردن ومصر ويتصرفون فيها تصرف المصمم على الإقامة.

فالعدوان هو حافزهم الأول، وهو وسيلتهم المستمرة لتحقيق أهدافهم الرهيبة في بلاد العرب وعلى حساب الوجود العربي، يعضدهم فيه طواغيت الاستعمار الذين كانوا وظلوا يرون ذلك الوسيلة إلى بقاء هيمنتهم على بلاد العرب وعرقلة أي وحدة وتقدم وازدهار وتكامل عربي، لأنهم بهذا فقط يضمنون لربيبتهم ولأنفسهم الأهداف التي يستهدفونها على حساب ذلك الوجود. وما دام اليهود يرمون إلى تحقيق تلك الأهداف، وما دام المستعمرون من ورائهم يعضدونهم ويؤيدونهم في ذلك فإن عدوانهم سيستمر، ولن يقف عند حد حتى تتحقق تلك الأهداف كاملة، وتقوم نتيجة لذلك دولتهم الكبرى من النيل إلى الفرات، وتغدو بلاد العرب مجالاً حيوياً لهم يستغلونها ويسخرون أبناءها. وليس في هذا غلو ولا تهويل، والأحداث والخطوات والتصرفات اليهودية تؤيده وتدل عليه بكل قوة، بحيث يمكن القول بكل جزم أن العرب لو تساهلوا وتركوهم وشأنهم في البقعة التي أقاموا فيها دولتهم على أشلاء فريق منهم كما يدعو إليه الإنهزاميون الجبناء والخائنون العملاء الذين نضبت فيهم كل مادة من شرف وكرامة وحياء، ورضوا حياة الذل والهوان، فلن يتركوا العرب وبلادهم حتى يحققوا تلك الأهداف، وكل ما يكون من مدى التساهل المهين الذليل الخائن فرصة لهم يجمعون ويحشدون أكبر عدد ممكن منهم، ويعدون أقوى الوسائل المادية والسياسية والعلمية والعسكرية والاقتصادية والدعائية للتحرك من جديد نحو تلك الأهداف والتحكم بمصير العرب بسهولة أكثر.

وواضح مما تقدم بإيجاز أن العرب أمام بلاء شديد، وكابوس رهيب، وعدو ماكر، له من وسائله المادية والسياسية وانتشاره في جميع أنحاء الأرض، وانسجامه في أهدافه مع الاستعمار العاتي الباغي ما يزيد في شدة بلائه ورهبة كابوسه، ويجعل العرب أمام ابتلاء مصيري. وليس الأمر أمر فلسطين ولا عرب فلسطين وحدهم. فإما أن يرضخ جميع العرب لما يراد بهم وببلادهم، ومعنى ذلك التخلي عن كسرامتهم وحريتهم واستقلالهم ووجودهم السياسي والاجتماعي والقومي وصيرورتهم أذلة تحت نير اليهود واستعمارهم وهيمنتهم واستغلالهم ونير المستعمرين الامبرياليين الآخرين وهيمنتهم، وإما أن يصمموا على المقاومة والمصاولة والنضال إلى النهاية مهما طال الأمد وعظمت التضحيات حتى يجتثوا الجرثومة الخبيثة من صميم بلادهم.

ولا يرضى الموقف الأول أمة فيها شيء من الشعور القومي والوطني، بل والإنساني والحيواني والطبيعي. فأضعف حشرة لا تستسلم للموت والعدوان برضائها، وتحاول أن تدافع عن نفسها بكل ما تملك من وسائل حتى الموت، وكثيراً ما تنجو منه نتيجة لذلك. بحيث يمكن القول أن الصراع والاستمرار فيه إلى النهاية حتمي على العرب لا خيار لهم فيه ولا بديل لهم منه، وكل ما يجب عليهم والحالة هذه أن يبذلوا جهودهم لاستيفاء أسباب الصمود والقوة حتى النصر. وليس هذا مستحيلاً على من جد واجتهد وصمم وأبى أن يعيش ذليلاً مهاناً فاقد الشرف والنخوة والكرامة مستعبداً مستغلاً من اليهود، وللعرب من كثرة العدد وسعة الرقعة وعظمة الإمكانيات المتنوعة ما يضمن لهم الصمود والقوة حتى النصر.

ولقد بلوا بالغزوة الصليبية الإفرنجية فلم يستسلموا وقاوموا وصارعوا وحاربوا مئتي سنة حتى انتصروا. ولقد بلوا بالغزوة التترية فكان لهم النصر والغلبة النهائية. ولقد بلوا بالاستعمار الإنكليزي والإفرنسي والطلياني فقاوموا وصارعوا حتى انتصروا وانتزعوا حريتهم واستقلالهم، رغم ما كانوا عليه من تخلف وضعف وسائل، وهم الآن أحسن بكثير مما كانوا عليه حينما بلوا بتلك المصائب تنظيماً وقوة اقتصادية وسياسية وعلمية وصناعية. وليس فيما وقع عليهم ما يفقد الأمل في المراحل والجولات التالية التي ليس لهم منها بدليل ولا عنها مناص ولا فيها خيار.

ومهما بدا أن أعداءهم متفوقون عليهم، فإن رسوخ جذورهم في الأرض وتملكهم لإمكانياتهم العظيمة وتضحياتهم التي ضحوا بها في سبيل استقلالهم وحريتهم وخطر فقدانهم ذلك، وغدوهم أذلة صاغرين تحت تأثير نير اليهود وهيمنتهم. كل ذلك من شأنه أن يمدهم بالقوة التي تساعدهم على الصمود في الجولات والمعارك المقبلة المحتمة حتى النصر.

والظروف الدولية قد لا تسمح للحكومات العربية بالإسهام الفعلي في حرب هجومية على دولة اليهود، ويصبح الأمر أمر صراع ونضال في صورة حرب تحريرية شعبية يكون دور الحكومات فيها دور الممول المجهز المدرب الحامي. وهذه الضورة كفيلة بتحقيق الهدف المنشود، إذا ما اندمج في الحرب الشعبية عشرات الألوف بقيادة موحدة قوية، وهذا في حيز الإمكان. ومما يجب تشديد الدعوة إليه والعمل لأجله، حيث ينثال المجاهدون بالمئات على كل ناحية من أنحاء الأرض المحتلة ومن كل صوب ليحرروا فلسطين من اليهود.

ولقد أدرك الشعب بفطرته السليمة هذه الحقيقة، فسار على ضوئها وتوقف ثم استأنف سيره منذ سنة 1965، وصعد حركته بعد حزيران 1967، وصرنا نسمع كل يوم أخبار بطولة المجاهدين الفدائيين وصولاتهم التي أقضت جنب العدو. وصار من الواجب المحتم تقوية هذه الحركة حتى تصبح كاسحة إن شاء الله.

* * *

(48) تعقيب وتوضيح[1]
نيسان 1968

ليس هناك بديل من حركة تحرير شعبية لتحرير فلسطين:

قرأت مقال السيد نهاد فارس الذي نشرتموه في عدد الأحد الفائت. وقد رأيت أن أعقب عليه بهذا المقال مؤيداً وموضحاً.

من الحقائق التي لايزال كثير من العرب لا ينفذون إليها هي أنه ليس للحكومات العربية سبيل ما في الظروف الدولية الراهنة التي قد تمتد عشرات السنين إلى الهجوم على (دولة إسرائيل) في أرض فلسطين لإزالتها. فليس في الأرض التي اغتصبها اليهود وأقاموا عليها دولتهم بمساعدة طواغيت الإستعمار أي شيء يعود من الوجهة الفنية الدولية إلى أي حكومة عربية. فهذه الأرض بالنسبة للحكومات العربية أرض أجنبية، وقسم كبير منها أرض دولة معترف بها من معظم دول الأرض ومن جملتهم أصدقاء العرب، بل ومن جملتهم بعض الدول الإسلامية شقيقات العرب.

وعلى فرض قدرة الحكومات العربية على الهجوم على إسرائيل وإزالتها عسكرياً فإن أي عدوان منها على هذه الدولة سيقابل بالمنع الصاعق من هيئة الأمم ومنظماتها ودول الأرض الأخرى. لأن في ذلك عدواناً على أرض دولة أخرى. وهذه هي الحجة الكبرى التي يصطنعها الغرب في صدد إزالة آثار عدوان إسرائيل على الأراضي التي احتلتها من سورية ومصر والأردن. وكل ما تستطيع الحكومات العربية إذا ما صارت قادرة عسكرياً، وهو ما هي في صدد تحقيقه إن شاء الله في القريب العاجل، هو أن تطرد القوات الإسرائيلية من أراضيها، وأقصى تساهل يمكن أن يقابل به ذلك من هيئة الأمم والدول هو السكوت، لأن الحكومات العربية تكون قد فعلت ما فعلته بحق الدفاع عن النفس ودفع العدوان المسموح به في ميثاق هيئة الأمم. وسوف يقف الجهد الرسمي الحكومي عند هذا الحد إذا ما جلت القوات الإسرائيلية بالمساعي السياسية أو أجليت بالقوة العسكرية. ويعود موقف الحكومات العربية بالنسبة لقضية فلسطين إلى مركزه قبل الخامس من حزيران 1967، وهو طلب تنفيذ قرارات هيئة الأمم في صدد حدود التقسيم، ورفع يد اليهود عن ما اغتصبوه مما ليس مخصصاً لهم في قراره وعودة اللاجئين أو التعويض عليهم[2].

والطرف الوحيد الذي له السبيل إلى ذلك الهدف أي هدف تحرير فلسطين جميعها وسواء منها المخصص للعرب في قرار التقسيم أو المخصص لليهود ظلماً بغير حق، هو الشعب الفلسطيني صاحب فلسطين الشرعي، فهو غير مقيد بأي اعتبارات دولية، وقيام دولة إسرائيل

---

(1) أرسل هذا المقال إلى مجلة روز اليوسف المصرية في عددها نيسان 1968، تعقيباً وتوضيحاً على مقال لكاتب اسمه نهاد فارس، يرد فيه على كتّاب يرون أن حركة تحرير فلسطين لا تماثل حركة تحرير الجزائر وظروفها، وأنها لن تصل إلى ما وصلت إليه الأخيرة ولن تحقق الهدف الذي تستهدفه.

(2) وهذا يعني رفع يد اليهود عن مدن القدس واللد والرملة ويافا والمجدل وأسدود وبئر السبع وعكا والناصرة وشفا عمرو وما يتبعها من مئات القرى وملايين دونمات الأرض وجلاء اليهود الذين وطنوا فيها محل أهلها وعودة أهلها إليها آلياً ورجوعها إلى السيادة العربية ثم عودة النازحين عن الأقسام المخصصة لليهود في قرار التقسيم إلى مواطنهم وإعادة أملاكهم وأموالهم إليهم.

في أرضه جرى رغماً عنه دون احترام لحقه في تقرير مصيره، وحقه في أرضه مقرر شرعياً ودولياً، بحيث يصح القول بجزم إنه لا بديل عن ذلك ولا مناص للعرب بل ولا خيار لهم فيه. فحياة العرب ووجودهم واستقلالهم ووحدتهم وازدهارهم منوط به وحده. وسيظل كل ذلك عرضة للتهديد والتوقف والخطر إلى أن يتم تحقيق ذلك الهدف وتزول إسرائيل من أرض فلسطين مهما طال الزمن وتقلبت الأمور.

ولقد كان شعار الحكومات العربية (المطالبة بتنفيذ قرارات هيئة الأمم) قاصراً عن ذلك، لأنه يكرس على كل حال وجود إسرائيل، وهو ما فيه استرداد ما ليس لها في قرار التقسيم واغتصبته بالقوة من الحصة المخصصة للعرب، وعودة اللاجئين إلى مواطنهم فيها وفي الأرض التي صارت دولة إسرائيل بموجب تلك القرارات. لأنه لم يكن لها سبيل آخر في هذا المجال الدولي.

ولقد أدركت هذه الحكومات ذلك حينما قررت في مؤتمر القمة الأول سنة 1963 إنشاء كيان فلسطيني وجيش تحرير فلسطيني، ليستلم شعب فلسطين زمام مبادرة تحرير وطنه، لأنه هو الظرف الوحيد المؤهل له، مع قرار مده بالمساعدات اللازمة سواء في مجال التمويل والتجهيز والتدريب والتنظيم أم في مجال الرفد والحماية، أم في إتاحة أسباب وحرية الإنطلاق له كراً وفراً، وهذا قصارى ما يمكن عمله، وهو مهم وذو جدوى عظيمة وضرورة حتمية إذا ما كان قوياً وكافياً ومستمراً. ويبقى للشعب العربي في الأقطار الأخرى الفرصة الواسعة الواجبة الاغتنام في الاشتراك في حمل هذا العبء مع شعب فلسطين، لأنه ليس عبئاً قاصراً على تحرير فلسطين وعودة أهلها إليها، وإنما هو تحرير للأمة والبلاد العربية جميعها من الكابوس الرهيب الذي سوف يظل مهدداً ومعطلاً ومعوقاً لكل انطلاق وازدهار ووحدة وتكامل لهما.

وكل دعوى وقول يناقض ذلك إنما يصدران عن غفلة لطبيعة القضية وظروفها الدولية على أحسن تقدير للنيات الحسنة، وقد يصلان إلى الخيانة، حيث يمكن أن يكونا من وحي الإستعمار والصهيونية اللذين كانا ومايزالان يبذلان كل جهد في ترسيخ ذلك في أذهان البعض، لتقليل أو تهوين أو إلغاء دور الطرف الوحيد المؤهل لحمل العبء والذي لا مناص عنه ولا بديل له ولا خيار فيه.

ولقد وقف في طريق تحقيق قرار مؤتمر القمة الذي كان يمثل إدراك الحكومات العربية ولو متأخراً لأبعاد القضية عثرات عديدة، منها المفتعل، ومنها الناتج عن تلك الغفلة، ومنها الناتج عن ذلك الوحي عن علم أو غير علم، ومنها عدم ثورية الذين استلموا زمام منظمة التحرير وسترهم نقصهم هذا بتلك العثرات.

وكان هذا مما جعل طلائع الفداء الفلسطيني (العاصفة جناح منظمة فتح العسكري ـ حركة تحرير فلسطين ـ) أن تقدم على بدء المعركة في أول عام 1965 تعبيراً عن تمردها على تلك العثرات وتنبيهاً للأذهان.

ومعظم الناس الآن يدركون واجب توسيع العمل الفدائي وفسح الطريق أمامه بعد أن أصبحت كل فلسطين تحت قبضة الغاصبين. وصار الواجب مضاعفاً وأشد إلزاماً من مختلف النواحي، وبخاصة لإثبات كون ما ظنته إسرائيل نصراً لم يكن من شأنه إدخال الرعب واليأس في قلوب العرب، بل صار من شأنه اشتداد العزم والتصميم.

وكل ما صار واجباً أشد الوجوب هو وحدة

النضال وقيادته والتوسع فيه إلى أوسع ما يمكن، ثم الاستمرار فيه على كل ذلك إلى النهاية، وبعد جلاء أو إجلاء القوات الإسرائيلية بالسياسة أو بالقوة عن الأراضي التي احتلتها، لأن قضية فلسطين تعود كما قلنا إلى مركزها الأول الذي يجب تحريرها منه بالحرب التحريرية الشعبية.

ويقال الآن فيما يقال عن غفلة وحسن نية أو عن وحي وسوء نية، إن فلسطين ليست كالجزائر، وإن حرب التحرير الشعبية لا جدوى ولا سبيل لها إلى حرب تحرير شعبية كما كان الأمر بالنسبة للجزائر. وينسى القائلون أولاً أن طول حدود فلسطين مع الدول العربية المجاورة ألف كيلو متر. وأن وراءها من قريب خمسين مليوناً ومن بعيد خمسين مليوناً أخرى. وأنه سوف يكون للجهاد الشعبي محطات ومنطلقات ومجالات الكر والفر لا تقل إمكانية عما كان للجزائر بل تزيد، وهذا فضلاً عن ما سوف يكون في الأرض المغتصبة وعربها الذين صاروا الآن أكثر من مليون وربع من إمكانية انفساح المجال وإمكانية العون والرفد.

ولقد كانت الجزائر دستورياً جزءاً من فرنسة، وظلت فرنسة تتمسك بذلك، وتتمسك به الدول الأخرى لرفض ورد كل آثار حركة التحرير الشعبية الجزائرية، فلم يغن كل هذا شيئاً أمام التصميم العربي الذي لقي من العون والرفد ما ساعده على الاستمرار والصمود إلى النهاية. فإذا ما صار للجهاد الشعبي ذلك في فلسطين بأوسع مقياس حقق من دون ريب ما حققه الجهاد الجزائري. وكل ما يطلب من الحكومات العربية أن تحمي حدودها وأجواءها إذا ما حدثت إسرائيل نفسها بالعدوان عليها للإنتقام من مساعدتها لحركة الجهاد الشعبي، وأن تمد هذا الجهاد بالعون الدائم مالاً وسلاحاً وحرية وانطلاق وحماية.

والقائمون يقدمون بديلاً لذلك حرب الحكومات العربية، غافلين أو متغافلين عن أنه ليس من سبيل إلى ذلك، وهكذا يقعون أو يوقعون الأمة في فراغ، فالحرب التحريرية غير ذات جدوى بزعمهم، وحرب الحكومات العربية ليس من سبيل مجدية إليها في واقع الأمر!

ولقد كان هذا فعلاً في العملية الهزيلة التي قامت بها الحكومات العربية في 15 مارس 1948، حيث أجبرت على الانصياع لأمر مجلس الأمن طوعاً أو كرهاً.

ولقد أثر عن وايزمان قوله أنه ظل في قلق شديد إلى أن علم أن الحكومات العربية لم تمد الجهاد الشعبي في فلسطين بعد التقسيم بما فيه الغناء، لأنها قررت هي أن تحمل العبء عنه، لأنه يعرف أن الجهاد الشعبي إذا ظل ممدوداً بالمال والسلاح والتأييد سيقضي على حلم الدولة اليهودية. وهكذا انقطع عن النضال الشعبي المدد بالمال والسلاح.

وانقلب الميزان لصالح اليهود، فما جاء يوم 15 مارس حتى كانت دولتهم قائمة. ولم يكن لتلك العملية الهزيلة تأثير ما في أمرها الواقع بل كانت عاملاً على توطيده. ولو مد النضال الشعبي بما كان في أشد الحاجة إليه لبقي قوياً صامداً، ولمنع اليهود من أن يجعلوا أمر دولتهم واقعاً، حيث استطاع العرب بهذ النضال أن يمنعوا اليهود في المئة يوم الأولى عقب التقسيم من أن ينتشروا ويضعوا أيديهم على ما كان مخصصاً لهم، وظل معظم هذا تحت سيطرة العرب. وهرع اليهود إلى مجلس الأمن يشكون الحكومات العربية لمساعدتها الشعب بما يجعله يعرقل تنفيذ قرار التقسيم، ولم يصغ المجلس

إلى شكواهم، وقرر عدم إمكان تنفيذ القرار بالقوة وإعادة القضية إلى الجمعية العامة لإعادة النظر فيها.

وخلاصة القول إنه ليس من بديل لحرب التحرير الشعبية لتحرير فلسطين، وأن واجب الأمة والحكومات العربية أن تبذل جهودها لجعل هذه الحرب حقيقة شاملة كاسحة، ومهما تكن المصاعب فإن الأمة العربية وفي طليعتها شعب فلسطين قادرة على التغلب عليها وسد الثغرات وإيصال النضال الشعبي إلى ذروته الكاسحة التي يستطيع بها تحقيق الهدف المنشود.

***

(49) مذكرة مسجلة في 1968/7/5

أطلعني السيد محمد الخضراء على كتاب جاءه من السيد يحيى حموده رئيس اللجنة التنفيذية بالوكالة بانتخابه عضواً للمؤتمر الوطني الفلسطيني الجديد، وطلب مني أن أزوده ببعض الإقتراحات فكتبت له ما يلي:

1 ـ يجب تعديل المادة (21) من النظام الذي ينص على أن المؤتمر ينتخب رئيساً للمنظمة واللجنة التنفيذية، والرئيس يختار اللجنة، حيث يكون التعديل هكذا: (المؤتمر يختار لجنة تنفيذية واللجنة تختار من بينها رئيساً لها. ويكون انتخاب أعضاء اللجنة بعد تعيين عددهم بالترشيح العلني، فيرشح أشخاص اللجنة من قبل آخرين أو يترشح من يرى في نفسه الأهلية والرغبة في العمل، فإذا زكى الترشيح ثلاثة من الأعضاء ثبت. فإذا كان عدد المرشحين أكثر من المطلوب يجري الانتخاب السري للعدد المطلوب من بينهم).

2 ـ إن أهم مشكلة سيواجهها المؤتمر هي مشكلة التنظيم العسكري، وبخاصة جيش التحرير.

إن جيش التحرير هو ابن المنظمة، والمنظمة هي بنت المؤتمر الأول. وهذا الجيش حقيقة قائمة رغم أن المؤتمر الأول صار في خبر كان، لأنه قام مقامه مؤتمر جديد في شكله وتركيبه، ويشترك فيه المنظمات العسكرية الأخرى. أي أن المؤتمر لم يعد يتصف بصفة كون المنظمة بنته وكون جيش التحرير ابنه فقط. وفي حين أن للمنظمات العسكرية الأخرى سنداً آخر وراءها. ولا يمكن للمؤتمر الجديد بتركيبه أن يقرر أن يكون جيش التحرير القائم هو وحده التنظيم العسكري الوحيد للكيان الفلسطيني والمؤتمر والمنظمة، ولا يمكن التخلي عن هذا الجيش لأنه قائم وينضوي فيه آلاف عديدة منضمة في كتائب قديرة مجهزة منظمة، وله قياداته وضباطه، غير أن وضع هذا الجيش الراهن مشكلة عجيبة.

فمع أن هذا الجيش هو كما قلنا ابن المنظمة وينفق عليه من المال المخصص لها، فهو مرتبط بجيش الحكومة التي هو في أرضها قيادة وضبطاً وربطاً بشكل ما، ولا يشترك في العمل الفدائي منه إلا عناصر محدودة بشكل ما. وباقيه في حالة تجمد وتعلق بحركة الجيش الذي هو في أرض دولته. وهذا أمر لا يجوز أن يستمر إلى ما شاء الله، ومن الضروري حل هذا الأمر على وجه ما. فإما أن تطلق له الحرية فينطلق إلى العمل الفدائي ما دام يحمل اسم جيش التحرير الفلسطيني، وحينئذ يمكن أن يثور العمل الفدائي بالإضافة إلى ما سوف يكون من ذلك لهذا العمل من دفعة قوية إلى ما تهدف إليه من

قيام حركة تحرير شعبية قوية، وإما أن ترتفع نفقاته عن صندوق المنظمة ويصبح جزءاً من الجيش الذي هو في دولته، وتنشىء المنظمة بالمال المتوفر من نفقاته كتائب جديدة ترفد العمل الفدائي وتقويه بل وتقوده إذا أحسن اختبارها وتجهيزها. وقد يفضل كثير من عناصر الجيش الفلسطيني أن تلتحق بهذه الكتائب بدلاً من أن تبقى جامدة.

4 ـ وقد يحتاج حل مسألة الجيش إلى وقت، فيجب معالجة موقف العمل الفدائي وتنظيماته القائمة بأسلوب ناجع.

إن في ميدان العمل تنظيمات عديدة تحتفظ كل منها بشخصياتها وبلاغاتها، برغم ما يتردد من هتافات حارة من كل ناحية، منبهة على ما في ذلك من ضرر للعمل، ويؤدي مباشرة وغير مباشرة إلى التناظر والتنافس والتصادم، فضلاً عن هدر جهود كبيرة بدون جدوى. وكل هذا عثرات في سبيل تصعيد حركة النضال وصيرورتها حركة تحرير شعبية عارمة شاملة قادرة على المهمة والاستمرار فيها مهما طال الزمن. فإن المنظمات تصر على احتفاظها بشخصياتها، ويلمح أنها تحاول امتصاص هذه الهتافات بالتشارك أحياناً في العمليات، وتطنب بلاغاتها في هذا التشارك، كأنما هو نعمة تنعمها على الشعب وتمن بها عليه، ولكنها تظل مصرة على الإحتفاظ بشخصياتها.

ويلمح من الإصرار على التعدد أن هناك تجاهلاً لخطورة القضية التي هي إزالة آثار عدوان حزيران 1967، والتي هدفها الرئيسي الأصيل هو إزالة دولة اليهود التي لها من العون المادي والسياسي الهائل الذي لا يخفى، مما يجعل الهدف المذكور أصعب هدف في التاريخ، ويحتاج تحقيقه إلى جهاد جبار قد يمتد عشرات السنين، ويحتاج إلى عشرات آلاف المجاهدين يرفدها عشرات آلاف وعشرات آلاف أخرى.

وليس من حل لكل هذه الإشكالات إلا في إقامة قيادة نضالية موحدة. ولا يحل المشكلة ما قد يقترحه بعض التنظيمات من إقامة جهاز للتنسيق بينها في الخطط، لأن ذلك يؤدي مع بقاء التعدد الذي بينها إلى ما يؤدي إليه من إضرار وهدر قوى.

هذا بالإضافة إلى أمر هام سوف ينتج عنه عاجلاً أو آجلاً، وهو مطالبة هذه التنظيمات من منظمة التحرير نصيباً مما تجبيه، لأنه لأجل تحرير فلسطين الذي يشاركون فيه، ولأن المنظمة ليس لفئة خاصة إنما هي تمثل جميع الفلسطينيين وتنظيماتهم بالتبعية. فإن استجابت المنظمة كرست التعدد وأخطاره من ناحية، ووقعت في مشكلة كيفية تقدير نسب توزيع الحصص.

وفيما يلي منهج لتحقيق قيام قيادة موحدة نرجو أن ينظر إليه المؤتمرون بما يستحقه الموضوع من عناية ويقروه بنصه أو بما يرون إدخاله عليه من تعديلات تضمن المصلحة وتحقق الهدف، والله هو الموفق.

المنهج المقترح:

ينشأ في نطاق المجلس الوطني الفلسطيني ومنظمة التحرير قيادة موحدة للنضال الفلسطيني للأهداف والمهمات والأعمال التالية:

1 ـ الإستمرار في النضال إلى أن تزول إسرائيل من أرض فلسطين وتتحرر من رجسها وتعود إليها الصبغة والسيادة العربيتان، ومن ثم يكون لسكانها أن يقرروا مصيرهم في أمر نظام الحكم ونطاقه.

وتكون القيادة مرتبطة بهذا العهد أمام الله وأمام الشعب العربي قاطبة.

2 - يناط بالقيادة جميع شؤون النضال تخطيطاً وتنظيماً ويصدر عنها البلاغات الحربية وسائر ما تقرره من بلاغات وبيانات أخرى متصلة بمهمتها.

3 - تتألف القيادة من ثلاثة ضباط من حركة العاصفة، وضابطين من الجبهة الشعبية، وضابط من قوات التحرير الشعبية، وضابطين من طلائع حرب التحرير[1]، ويطلق على هؤلاء اسم مجلس القيادة، على أن لا يكون ذلك تكريساً لبقاء ودوام التنظيمات المنسوب إليها الأعضاء في حالة فعالية ميدانية، وعلى أن لا يكون الأعضاء مرتبطين بقرارات خارجية، بل يصبح أعضاء القيادة هيئة مستقلة عن التنظيمات في نطاق قيادة جماعية، دون اعتبار للارتباطات الخارجية، وتخضع الأقلية للأكثرية، وتنفذ القرارات التي تقترن بموافقة الأكثرية، والإنحراف عن ذلك يعد انحرافاً عن الإنضباط العسكري ومستحقاً للمحاكمة.

4 - يختار أعضاء هذا المجلس من بينهم رئيساً بأكثرية ستة، يكون هو القائد العام، ويختارون بنفس الأكثرية شخصاً آخر منهم يكون نائباً للقائد العام.

5 - جميع الشؤون التخطيطية والتنظيمية تبحث وتقرر في المجلس، وتكون اجتماعات المجلس قانونية إذا حضرها ستة أعضاء، وتكون القرارات نافذة إذا حازت موافقة أربعة منهم. أما إذا حضرها جميع الأعضاء أو ثمانية منهم، فتكون القرارات بموافقة خمسة أعضاء، ويكون صوت القائد العام الذي يرأس المجلس مرجحاً إذا تساوت الأصوات، وتبلغ القرارات لمن يعنيه الأمر من قبل القائد العام.

6 - القائد العام هو الصلة بين القيادة والمجلس من ناحية وبين الغير من ناحية، وهو الممثل للمجلس والقيادة، والملاحق لتنفيذ قرارات المجلس، والمتلقي الإقتراحات والرسائل والمخاطبات المتنوعة الموجهة إلى القيادة أو المجلس من كل جهة، وهو الذي يعرضها على المجلس.

7 - نائب القائد العام يمارس مهام القائد العام ورئيس المجلس في حالة غيابه.

8 - يجتمع المجلس بدعوة القائد العام أو بطلب أربعة من أعضائه يقدم للقائد العام الذي يجب عليه حينئذ دعوة المجلس.

9 - للمجلس أن يوكل للنائب العام والأعضاء الآخرين مهام تنظيمية وإجرائية أخرى بالإضافة إلى عضويتهم في المجلس.

10 - للمجلس أن يمنح القائد العام الرئيس سلطات استثنائية بدون الرجوع إليه إذا اقتضت الظروف ذلك.

11 - إذا شغر مركز في مجلس القيادة يختار الباقون بديلاً عنه بأكثرية خمسة أعضاء على الأقل، يكون منهم القائد العام، وإذا كان المركز الشاغر هو مركز القائد العام يختار البديل بأكثرية ستة أصوات، على أن يكون نائب القائد منهم.

12 - ينشىء المجلس أجهزة للمحاسبة

---

(1) قد يكون الأفضل قلة العدد، فيكون ضابطان من العاصفة وضابط من كل من المنظمات الأخرى. ولم نذكر تمثيلاً لجيش التحرير لأن معظم كتائبه لا تشترك ميدانياً. والمشترك منه هو (قوات التحرير) وقد جعل لها تمثيل. وحينما تنظم هذه الكتائب يمكن أن يتطور بنيان القيادة. والمهم على كل حال أن تتمثل التنظيمات الفدائية المهمة في القيادة، ويجب بذل الجهد لدمج التنظيمات الثانوية في المهمة.

ماذا بعد ؟

- نحن الاسرائيليين نحترم كل من يضحي بحياته في سبيل كرامته .
- نحن الاسرائيليين نحترم اكثر من ذلك كل من يفضل ان يحافظ على كرامته وان يحافظ على حياته في نفس الوقت .
- فالموت امر يسير ، والميت ينتهي امره بموته بينما الحياة مشقة ونشاط ونضال ومسؤولية .
- ان الحياة تتطلب من الشجاعة قسطا يفوق كثيرا ما يتطلبه الاقدام على التضحية بالنفس .
- ان الشعب الاسرائيلي قائم منذ اربعة آلاف سنة ، وقد حاول طغاة كثيرون القضاء عليه . فاين هم الان جميعا ؟
- والشعب العربي قائم كذلك منذ الاف السنين وليس من شك في انه بات هو الاخر وخالد مدى الدهر بعزة وكرامة .
- ولكن لماذا تسقط الضحايا من العرب كل يوم تقريبا عند خط وقف النار بيننا وبينكم ؟

١ - اذا كانوا يموتون من اجل فتح الحدود فكل واحد يعرف بان الحدود مفتوحة للمرور المنتظم من الجانبين وليست هناك اى صعوبة لعبورها ذهابا وايابا .

٢ - واذا كانوا يموتون من اجل حقوق اخوتهم في الضفة الغربية فكل من ياتي من الضفة الغربية الى الاردن يعرف ان امور الفلسطينيين في الضفة الغربية يديرها الفلسطينيون انفسهم وان عدد الاسرائيليين في ادارة شؤون الضفة هبط من ٤٠٠ موظف في السنة الماضية الى اقل من ٢٠٠ موظف حاليا ، اى انه اليوم اقل بكثير من عدد الموظفين الاردنيين الذين حكموا الضفة الغربية في العهد السابق .

٣ - واذا كانوا يموتون من اجل مصير المناطق التي اصبحت بايدى اسرائيل ، فأن اسرائيل قد اعلنت انها تنظر نظرة ايجابية الى قرار مجلس الامن الدولي الذى صدر في نوفمبر تشرين الثاني ١٩٦٧ وانها على استعداد للتفاوض مع الدول العربية ولحل جميع المشاكل المختلف عليها .

٤ - واذا كانوا يموتون من اجل اللاجئين ، فقد اعلنت اسرائيل مرارا وتكرارا انها على استعداد لحل قضية اللاجئين بالتعاون مع الدول العربية .

٥ - واذا كانوا يموتون من اجل القضاء على اسرائيل ، فهل يعتقد الفدائيون الذين يضحون بارواحهم ان في استطاعتهم كأفراد ان ينجزوا ما عجزت عن انجازه جيوش الدول العربية في حرب حزيران ١٩٦٧ ؟

من المؤسف اذن ان تسقط الضحايا من غير داع وان يموت الناس على مذبح اغراض ليس هناك اى لزوم للموت في سبيلها . ومن المؤسف جدا ان تمضي منظمات معينة فتبث الاكاذيب والاراجيف لكي تبرر سقوط القتلى من دون ان يؤدى مصرعهم الى حل اى قضية .

ان اسرائيل تنادى ذوى الجراة والبصيرة من العرب وتقول لهم : -

ان الكرامة العربية انما تتجلى في الرغبة في العيش الكريم وليس في الرغبة في الموت .

ان الكرامة العربية انما تتحقق عندما يرغب العرب في العيش معنا بسلام بما يضمن العزة والشرف وفي العمل معنا على حل المشاكل الكثيرة التي تنغص عيشنا جميعا ، عربا ويهودا ، منذ عشرات السنين

ان الكرامة العربية انما تتحقق عن طريق التعاون المثمر بين الشعب العربي والشعب الاسرائيلي ، تعاونا يفضي الى السلام والرفاهية والعزة لابناء هذه المنطقة العريقة في القدم .

تعالوا اذن نبحث معا عن طريق للعيش معا . فما كان الموتى ليحلوا المشاكل المشتركة بينكم وبيننا ، وانما علينا نحن الاحياء يترتب حلها .

جمعية احلال السلام في الارض المقدسة

صندوق بريد ٩٧٩ القدس

ROMA - C. P. 6204
ITALIA

والتمـوين والتجنيـد والتـدريب والـرعـايـة والمخابرات والتمويل ومحكمة ثورة لمحاكمة المنحـرفين من المنتسبين للنضال وغيـرهم، وعليه أن يعين مشرفين على هذه الأجهزة تكون مسؤولـة أمامهم ويكـونـون مسؤولين أمـام المجلس، مع وجوب اقتران أحكام محكمة الثورة بقرار تصديقي على المجلس.

13 ـ على مجلس القيادة أن يعيد تشكيل وتنظيم ودمج العناصر الفدائية المنضوية في مختلف التنظيمات، بحيث يصبح الجميع جيشاً واحداً، وحركة تحرير واحدة تابعة للقيادة العامة تنظيماً وتمويلاً وتدريباً وتخطيطاً، ويكـون هذا شأن العناصر المنضوية مجدداً إلى حركة التحرير.

14 ـ القيادة العامة هي الجهة الوحيدة التي تتلقى المال والعتاد ومختلف المواد المادية التي يقتضيها النضال، وتوزعها بـواسطة أجهـزتها، ويمتنع أي تنظيم عن جمع تبرعات خاصة باسمه أو اسم شهدائه.

15 ـ تخضع جميع حسابات القيادة لمراقبة وتفتيش اللجنة التنفيذية، وعليها أن تقـدم كشوفها ووثائقها المالية إليها كل ستة أشهر.

16 ـ اللجنة التنفيذية مرجع كل خلاف يقع بين أعضـاء القيـادة إذا لم يمكن حسمـه في المجلس.

17 ـ من حق القيادة أن تـطلعهـا اللجنة التنفيذية على مجرى السياسة وأحداثها، وأن تشاورها في العزائم والخطوات الهامة.

18 ـ لا يكـون اختيـار أعضـاء القيـادة من المنظمات التي ينتسبون اليها لأول مرة تكريساً لبقاء ودوام هذه المنظمات في حالة فعالية، فمهمة القيادة بعد تكوينها هي إعادة تشكيل جميع عناصر المنظمات ودمجها في حركة واحدة. والأعضاء بعد اختيارهم يصبحون هيئة مستقلة عن التنظيمات التي ينتسبـون إليها في نطاق قيادة جماعية المجلس والقيادة دون اعتبار للارتباطات السابقة الخارجية. وتنفذ القرارات بالأكثرية، وتخضع الأقلية للأكثرية، ويكـون الانحراف والتمرد والتردد في ذلك انحرافاً عن الانضباط العسكري مستحقاً للمحاكمة.

19 ـ القيادة العامة هي التنظيم العسكري لمنظمة التحرير الفلسطينية، واللجنة التنفيذية هي التنظيم السياسي لها، وكلتاهما مرتبطتان بالمجلس الوطني، ومسؤولتان أمامه، وتتعاونان في نطاق ذلك، وتقـدمان إليـه تقاريـرهما عن أعمالهما عند كل اجتماع له.

***

(50) مذكرة من الكاتب لمؤتمر المحامين العرب ايلول 1968

في أيلول 1968 انعقـد في دمشق مؤتمر المحامين العرب، وكان أعلن أن موضوع المقاومة وتصعيدها وتوحيدها سيكون من أهم مواضيعه، فسلمت لأمينه العام الأستاذ شفيق أرشيدات صورة عن هذا المقال الذي لم يكن نشر بعد في مجلة المعرفة مع مواد المنهج المقترح نقلاً عن مسودته التي اختزلت المجلة بعض فقراتها مع مواد المنهج وهذه المذكرة:

الأخ الفـاضـل الأستـاذ شفيق أرشيـدات المحترم.

السلام عليكم ورحمة الله مع الدعاء لله بالقوة والنجاح في الجهود المشكورة التي تبذلونها.

وبعد فإني أظن أنكم قرأتم مقال محمد حسنين هيكل (عن الموت والأمل) ، المنشور في أهرام 16 آب ، الذي حاول أن يقرر فيه عدم جدوى المقاومة في تصفية العدوان الذي يعني تصفية إسرائيل ولن يكون دورها حاسماً. وفي مفارقات كثيرة، ويحتاج إلى توضيح وتصحيح. وقد كتبت تعليقاً وأرسلته إليه وطلبت نشره فلم يفعل، فكتبت مقالاً جديداً في صدده وفي صدد المقاومة ذاتها وجدواها، وسأرسله إلى مجلة المعرفة أو غيرها لنشره. وقد رأيت أن أرسل نسخة منه إليكم، لأني قرأت أن موضوع المقاومة وتصعيدها وتوحيدها من أهم مواضع مؤتمر المحامين. والمقال هو دراسة موضوعية للموضوع من جهة، وفيه أفكار واقتراحات يجب الاهتمام لها من جهة أخرى، على أمل أن يكون فيه للمؤتمر واللجنة التي سوف تبحث الموضوع فائدة ومنهج. وإني أرى أن يقرر المؤتمر أو مكتبه تفريغ ثلاثة أو أربعة أشخاص لملاحقة تحقيق هذه الأفكار والاقتراحات أو أي اقتراحات أخرى يقررها، لأن ذلك هو الأكثر جدوى في الوصول إلى الغاية المنشودة.

***

(51) جواب من الكاتب على منشور يهودي أيلول 1967

وقع في يدنا هذا المنشور اليهودي، ولم نر بأساً في إرسال جواب عليه.

ولقد اعتاد فريق من اليهود على إرسال وتوزيع مثل هذه المناشير على العرب كجزء من الحرب النفسية، لعلهم يجدون في بعض العرب تجاوباً ويبثون فيهم يأساً، أو يكسبون منهم أحداً بمنطق التسليم بالواقع والجنوح إلى قبول حل في نطاقه لقضية فلسطين، وفي ذلك قصد إلى التخلخل في الروح العربية وزعزعة الصمود العربي الذي يشتد يوماً بعد يوم، وما دروا أن العرب لا ينسون مثل شاعرهم:

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها
عند التقلب في أنيابها العطب

وإن اليهود يقترفون كل يوم من الأعمال ويقفون من المواقف ويرسلون من الأقوال ما فيه الباعث للعرب على شدة التصميم على الصمود.

ولقد رأينا أن ننشر المنشور والجواب الذي أرسلناه عليه في هذه المجموعة للتوعية والتنبيه، ولا سيما أن اليهود يثابرون بدون كلل على إرسال مثله للناس.

نص المنشور

ـ ماذا بعد ـ

نحن الإسرائيليين نحترم كل من يضحي بحياته في سبيل كرامته، ونحترم أكثر من ذلك كل من يفضل أن يحافظ على كرامته وأن يحافظ على حياته في نفس الوقت.

فالموت أمر يسير. والميت ينتهي أمره بموته، بينما الحياة مشقة ونشاط ونضال ومسؤولية.

إن الحياة تتطلب من الشجاعة قسطاً يفوق كثيراً ما يتطلبه الإقدام على التضحية بالنفس.

إن الشعب الإسرائيلي قائم منذ أربعة آلاف سنة، وقد حاول طغاة كثيرون القضاء عليه، فأين هم الآن جميعاً؟

والشعب العربي قائم كذلك منذ آلاف السنين، وليس من شك في أنه باقٍ هو الآخر وخالد مدى الدهر بعزة وكرامة.

ولكن لماذا تسقط الضحايا من العرب كل يوم تقريباً عند خط وقف النار بيننا وبينكم.

1 ـ إذا كانوا يموتون من أجل فتح الحدود، فكل واحد يعرف بأن الحدود مفتوحة للمرور المنتظم من الجانبين، وليست هناك أي صعوبة لمرورها ذهاباً وإياباً.

2 ـ وإذا كانوا يموتون من أجل حقوق إخوتهم في الضفة الغربية، فكل من يأتي من الضفة الغربية إلى الأردن يعرف أن أمور الفلسطينيين في الضفة الغربية يديرها الفلسطينيون أنفسهم، وأن عدد الإسرائيليين في إدارة شؤون الضفة هبط من 400 موظف في السنة الماضية إلى أقل من 200 موظف حالياً، أي إنه اليوم أقل بكثير من عدد الموظفين الأردنيين الذين حكموا الضفة الغربية في العهد السابق.

3 ـ إذا كانوا يموتون من أجل مصير المناطق التي أصبحت بأيدي الإسرائيليين، فإن إسرائيل أعلنت أنها تنظر نظرة إيجابية الى قرار مجلس الأمن الدولي الذي صدر في نوفمبر تشرين الثاني 1967، وأنها على استعداد للتفاوض مع الدول العربية ولحل جميع المشاكل المختلف عليها.

4 ـ وإذا كانوا يموتون من أجل اللاجئين، فقد أعلنت إسرائيل مراراً وتكراراً أنها على استعداد لحل قضية اللاجئين بالتعاون مع الدول العربية.

5 ـ وإذا كانوا يموتون من أجل القضاء على إسرائيل، فهل يعتقد الفدائيون الذين يضحون بأرواحهم أن في استطاعتهم كأفراد أن ينجزوا ما عجزت عن إنجازه جيوش الدول العربية في حرب حزيران 1967؟

من المؤسف أن تسقط الضحايا من غير داع، وأن يموت الناس على مذبح أغراض ليس هناك أي لزوم للموت في سبيلها، ومن المؤسف جداً أن تمضي منظمات معينة فتبث الأكاذيب والأراجيف لكي تبرر سقوط القتلى من دون أن يؤدي مصرعهم إلى حل أي قضية.

إن إسرائيل تنادي ذوي الجرأة والبصيرة من العرب وتقول لهم:

إن الكرامة العربية إنما تتجلى في الرغبة في العيش الكريم، وليس في الرغبة في الموت.

إن الكرامة العربية إنما تتحقق عندما يرغب العرب في العيش معنا بسلام بما يضمن العزة والشرف، وفي العمل معنا على حل المشاكل المثيرة التي تنغص عيشنا عرباً ويهوداً، منذ عشرات السنين، تعاوننا يفضي إلى السلام والرفاهية والعزة لأبناء هذه المنطقة العريقة في القدم.

تعالوا إذن نبحث معاً عن طريق للعيش معاً، فما كان الموتى ليحلوا المشاكل المشتركة بينكم وبيننا، وإنما علينا نحن الأحياء يترتب حلها.

جمعية إحلال السلام

في الأرض المقدسة

صندوق بريد القدس 979

وروما ـ إيطاليا 6204

الجواب:

إن في عرض القضية بين العرب واليهود بالصورة التي جاءت في المنشور حماقة وغباوة ومغالطة صارخة، لأن اليهود لم يتعلموا من دروس التاريخ المسجلة في أسفارهم.

وأسفاركم تذكر بصراحة أن إبراهيم وأسرته لم يكونوا من أرض كنعان، وأنها كانت حينما جاء إليها هو وزوجته ولوط مكتظة بأهلها فعاش في كنفهم في حيز ضئيل جداً. ثم رحل حفيده وأولاده إلى مصر، ولم يكونوا قد بلغوا المائة. . فلما خرجوا من مصر بعد مئات السنين كان عليهم أن ينتبهوا إلى أن هذه الأرض المكتظة

بأهلها لا يمكن أن تتسع لعددهم الذي صار كبيراً جداً ولسكانها معاً، وكان عليهم أن يبقوا في سيناء الخالية، ويعيشوا فيها بسلام مع جيرانهم. ولكنهم بحجة أن آباءهم عاشوا فيها رأوا أن يقتحموها بالقوة ويبيدوا أهلها ويستولوا على أراضيهم وأملاكهم ومدنهم وقراهم ويحلوا محلهم فيها، ثم يتوسعوا في الإبادة والحلول شرقاً وشمالاً وجنوباً، فأدى ذلك إلى صراع مرير بينهم وبين أهل البلاد وما وراءها إلى شرق الأردن ومصر والعراق وسورية. ولم يهدأ حتى شرد بنو إسرائيل عنها وبقيت لأهلها.

وفي هذا العصر كرر اليهود نفس العمل، وأرادوا أن يستولوا على فلسطين بحجة أن اليهود القدماء عاشوا فيها، وعموا عن حقيقة كونهم ليسوا من نسل أولئك القدماء، وإنما هم جماعات مختلفة في الجنس واللغة والدم. وكل ما في الأمر أن الديانة اليهودية جمعتهم. وعموا كذلك عن حقيقة كون فلسطين مكتظة بأهلها العرب الذين هم فيها منذ عشرات القرون، وأنها غدت جزءاً من صميم البلاد العربية وأهلها من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي، وعموا عن كون دعواهم السخيفة التي يتذرعون بها مخالفة لكل منطق وعقل، وأن من شأنها أن تجعل العالم عرضة لتغير دائم وصراع دائم. وكان عليهم لو لم تعمهم حماقتهم عن هذه الحقائق أن يبحثوا عن أرض خالية ويعيشوا فيها بحالهم ما دامت حماقتهم وجبلتهم الفاسدة تمنعهم من أن يعيشوا بسلام في الأرض التي نشأوا وعاشوا فيها كما يعيش أبناء النحل المختلفة.

ولقد استعانوا بالمستعمرين على تنفيذ ما أرادوا أن يقترفوه من حماقة وجريمة ضد فلسطين وأهلها، واستخدمهم المستعمرون كمخلب القط لمآربهم، فتمكنوا بالحديد والنار من الاستيلاء على أرض العرب وأموالهم وثرواتهم وقتل الآلاف المؤلفة من رجالهم وشيوخهم وأطفالهم ونسائهم، وتشريد من بقي منهم ليعيشوا خارج وطنهم في أشد حالات الحرمان والعوز والبؤس، وإقامة دولتهم المجرمة على أشلائهم.

ولقد كان هذا مكافأة اللئيم منهم للعرب الذين كانوا يعيشون في بلادهم آمنين مطمئنين، في حين كانوا يقاسون أشد الاضطهاد والأذى والكراهية والمطاردة والمصادرة في البلاد الأخرى. فأدى ذلك كالقديم إلى هذا الصراع المرير بينهم وبين العرب منذ خمسين سنة وما يزال.

فطلب اليهود العيش مع العرب بسلام الآن، إنما يعني طلب نسيان كل ما فعلوه فيهم من تقتيل وتشريد وتدمير وجرائم، ونهبوه من ثروات وأملاك، وغيروه من معالم وهتكوه من أعراض وهدموه من مساجد ومعابد، وأقاموه على أشلائهم ووطنهم من دولة الفجور والبغي والإجرام، وقبوله واعتباره أمراً شرعياً، وبقاء أهل البلاد الأصليين مشردين عن بلادهم محرومين من ثرواتهم وأراضيهم والعيش خارج فلسطين في أشد حالات الحرمان والذل والتشتت والضياع، محرومين من ثرواتهم وأراضيهم التي يتنعمون بها والقبول به، بل وقبول التعامل معهم، وفتح البلاد الأخرى لهم ليرتعوا ويفسدوا فيها إلى أن يقووا وينموا ويقفزوا إلى أرض العرب شمالاً وشرقاً وجنوباً ليتموا بناء دولتهم من النيل إلى الفرات. . .

فهل يمكن أن يكون عرض أشد حمقاً وغباء من هذا العرض، والظن باحتمال قبول جزء منه من أي عربي فيه عقل ومنطق وشرف وكرامة.

فهذه الجرائم الرهيبة التي اقترفها اليهود ولا يزالون يقترفونها منذ سنة 1947 إلى الآن في العرب وبلادهم ومقدساتهم وأراضيهم وأموالهم ونسائهم وأطفالهم وشيوخهم، بدون عداء واستفزاز سابقين وبلؤم الذي يقابل الإحسان بالإساءة الشديدة التي لا يمكن أن تنسى.

وليس العرب أقل إحساساً منهم. وهم لم ينسوا ولن ينسوا ما فعله هتلر ورجاله فيهم، وحقدوا على الشعب الألماني كله، وما زالوا يحقدون أشد الحقد من ذلك. ويقيمون في كل سنة احتفالات بذكرى ذلك في كل بقاع الدنيا، مع أن ما فعله هتلر في اليهود لا يفوق من حيث الشمول ما فعلوه هم في العرب، ومع أنهم تقاضوا مليارات الدولارات تعويضاً، ويجب أن يعرف الذين يتظاهرون كذباً ونفاقاً وخداعاً بطلب العيش بسلام مع العرب أن ذلك لن يكون إلا إذا صحح كل شيء على الأقل، فعاد أهل البلاد إلى بلادهم واستردوا أموالهم وأملاكهم، ونالوا التعويض عما تبدد منها، وعن الجرائم التي اقترفت فيهم، وزالت دولة الظلم والجريمة التي قامت على أشلائهم، وحوكم مقترفو الجرائم كمجرمي حرب، ونالوا جزاءهم ولو كانوا ألوفاً. وحينئذ من أراد أن يبقى في فلسطين من اليهود الذين لم يجرموا في كنف العرب آمنين مطمئنين بسلام، ويكون ما في أيديهم غير مغتصب من ثروات العرب بقي، ومن لم يرد رحل.

وسيظل الصراع بينهم وبين جميع العرب عنيفاً ضارياً إلى أن يتحقق كل ذلك مهما طال الزمن، كما جرى سابقاً معهم وكما جرى في الحروب الصليبية مع الإفرنج الذين غزوا بلادهم بهذه الصفة. وإذا كان العرب يقدمون اليوم على الموت فإنما يموتون في هذا السبيل الذي هو وحده سبيل الكرامة والعزة والشرف والحق.

ولقد نجح آباؤهم في القديم وسينجحون مجدداً مهما طال الزمن وعظمت التضحيات، لأنهم يدافعون عن حقهم وشرفهم ومقدساتهم، ويناوئون الظلم والبغي والعدوان.

ولقد كشف عدوانهم في سنة 1956 ثم عدوانهم في حزيران 1967 عن سوء نيات اليهود المبيتة نحو العرب وبلادهم، بالإضافة إلى ما كشفه عدوانهم في سنة 1947 و 1948، حيث ارتكبوا مجدداً من الجرائم وما يزالوا ما تقشعر له الأبدان، وحيث أظهروا ما كانوا يخفونه من مطامعهم في الإحتفاظ بكل ما اغتصبوه، وفي التطلع إلى اغتصاب المزيد من بلاد العرب المجاورة، فضلاً عما أظهروه من عنجهية وصلافة وقسوة، وساروا فيه بكل قوة من تهويد الأقسام الجديدة وتفريغها من أهلها وتغيير معالمها، مع الإصرار الشديد على كل ذلك، والقسوة والوحشية البالغتين ضد كل الناس دون أن يرعوا شرفاً وإنسانية وأخلاقاً ولا ميثاقاً مع الاستهتار البالغ بالهيئة الدولية واستنكار العالم أجمع، مما جعل العرب يزدادون تصميماً على مناضلتهم إلى النهاية.

* * *

(52) رسالة من الكاتب إلى وزير خارجية الكويت
5 تشرين الأول 1968

سيادة وزير خارجية الكويت المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فقد علمت أنكم تبذلون جهدكم في سبيل توحيد المنظمات الفدائية الفلسطينية تحت قيادة

واحدة. وقد ابتهجت لذلك، لأن هذه المسألة من أهم المسائل إلحاحاً وضرورة في سياق العمل التحريري، وكنت بذلت جهودي في سبيلها واتصلت بعدد من زعماء المنظمات لأجل ذلك. ومع أني تلقيت منهم وعوداً، فإن هذه الوعود لم تتحقق، وظل العمل الفدائي يجري متعدداً ومتناظراً بل ومتشاداً أحياناً، نتيجة للتعدد والجهد الذي يهدر به، ويعلل بعضهم موقفه السلبي بتعليلات لا يمكن أن تخفي ما وراءها من مقاصد ذاتية وحزبية. والواجب القومي يقضي على رجالات العرب أن يواصلوا جهودهم من أجل تحقيق تلك الغاية المهمة.

وإني آمل أن يكون لتدخلكم أثر حاسم، لأن ما تبذله الكويت من مساعدات للعمل الفدائي يجعل إصغاء المنظمات لها أكثر يسراً وإمكاناً. وأرجو أن تواصلوا جهدكم بدون كلل ويأس، وقد يكون من المفيد المحقق للغاية أن تتعاونوا في ذلك مع واحد أو أكثر من رجالات الحكومات العربية التي تبذل مثلكم مساعداتها للعمل الفدائي، حتى يدرك القائمون على هذا العمل مغبة إصرارهم على الإنفراد في العمل والاحتفاظ بشخصية منظماتهم.

ولقد جنحت المنظمات إلى إظهار الرغبة في التنسيق والتشارك. ومع أن لهذا فوائده، فإنه لا يضمن المصلحة ويبقى الثغرات الناتجة عن التعدد مستمرة.

ولقد كنت اقترحت على اللجنة التنفيذية لمنظمة تحرير فلسطين وعلى بعض المنظمات الفدائية منهجاً[1] تقوم القيادة الموحدة للعمل الفدائي على أساسه، فأظهروا ترحيبهم به، ولكن الأمر وقف عند ذلك. وقد رأيت أن أرسل إليكم طيه صورة عن ذلك، على أمل أن تجدوا ويجد من سوف يشارككم في الجهد التوحيدي والمنظمات معاً فيه أساساً صالحاً للتوحيد.

والله أسأل أن يسدد خطانا، ويقي حركتنا العثرات، وييسر لها التوسع والسعة، وتحقيق الهدف المقدس، والسلام عليكم ورحمة الله.

* * *

(53) رسالة من الكاتب إلى اللجنة التنفيذية لمنظمة تحرير فلسطين تشرين الأول 1968

السادة رئيس وأعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة تحرير فلسطين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فإني قرأت ثم سمعت أن اللجنة التنفيذية تبذل جهدها لتوحيد المنظمات الفدائية تحت قيادة واحدة، وأنها سوف تجتمع في الخامس من الشهر الآتي لهذه المسألة، فرأيت أن أكتب إليكم هذا الكتاب في هذه المسألة وغيرها، قياماً بواجبي الوطني والقومي.

ولقد كان أمر توحيد العمل الفدائي من أهم أهداف المجلس الوطني الجديد الذي انعقد في القاهرة في شهر تموز 1968. ولقد أسفت كل الأسف على أنه لم يحقق هذا الأمر، ولم يحقق بالإضافة إلى ذلك هدفين آخرين كانا من أهداف هذا المجلس أيضاً وهما:

(1) قيام وحدة وطنية تتمثل في لجنة تنفيذية يشترك فيها جميع العناصر الوطنية الفلسطينية والمنظمات الفدائية.

(2) تحرير كتائب جيش التحرير من تبعيتها

---

(1) هذا المنهج هو نفس ما أوردناه في كتابنا لمنظمة التحرير، فلم يكن ضرورة لتكرار إيراده هنا.

للجيوش الرسمية وانضمامها إلى الحركة التحريرية.

وكل من هذه الأهداف مصيري بالنسبة لحركة التحرير، ولتثبيت الكيان الفلسطيني، ومن واجبنا جميعاً بذل كل الجهود لتحقيقها.

وبالنسبة للوحدة الوطنية أعتقد أن بنيان المجلس الوطني يجب أن يعدل، لأنه في الحقيقة لم يمثل جميع العناصر الوطنية الصالحة. وأرى من الضروري أن تحاول اللجنة التنفيذية إقناع الهيئة العربية العليا بالاندماج فيه، وتأليف لجنة تحضيرية للدعوة إلى مجلس جديد تشترك فيه جميع العناصر. على أن يكون في اللجنة التنفيذية القائمة عزيمة وتصميم على تجديد بنيان المجلس واللجنة التنفيذية معاً، على أساس وحدة وطنية مهما كلف، وبقطع النظر عن كل اعتبار، لأني لمحت وقد أكون مخطئاً أن بقاء اللجنة التنفيذية في بنيانها القديم الذي لا تتمثل فيه جميع العناصر كان نتيجة مناورات واعتبارات لا تتفق مع المصلحة العامة التي يجب أن تكون فوق كل شيء.

ومسألة تحرير كتائب جيش التحرير من التبعية وانضمامها إلى العمل التحريري الواقع مسألة جوهرية. وقد كتبت لكم سابقاً وتحدثت مع بعضكم في شأنها. ويجب أن تعار عناية كبيرة متواصلة حتى تتحقق، فانضمام هذه الكتائب المجمدة التي ينضوي فيها آلاف الجنود ومئات الضباط المدربين المنظمين المجهزين سوف يغير صورة المقاومة القائمة تغييراً جذرياً كبيراً.

ومسألة توحيد المنظمات الفدائية هي كذلك مسألة جوهرية جداً. وقد كتبت لكم سابقاً وتحدثت مع بعضكم في شأنها، وبذلت جهدي مع المنظمات نفسها في سبيلها. وقد غدت شعار العرب الرسميين وغير الرسميين، ومطلبهم المتكرر في كل اجتماع ومقال وخطبة وتصريح، لأن ذلك يوفر الجهد المهدور بالتعدد، ويقضي على ما بين المنظمات من تشاد وتناظر.

ولقد ارتحت لتدخل وزير خارجية الكويت في هذا الأمر، وأعتقد أنه يحتمل أن يتدخل غير هذا الوزير من الحكومات العربية الأخرى، وأرجح أنه إذا ما اشتد الضغط الشفيق العطوف على المنظمات من هذا الطريق، فإن الأمر يسهل لأنه الطريق التي يأتيها منه العون المادي والمعنوي، وصفة الضغط المذكورة يجعل المنظمات غير متبرمة منه، ويجعل المطلوب منها غير مفروض عليها فرضاً. ولا سيما أن التعليلات التي يتعلل بها بعض المنظمات لا تقنع عاقلاً خبيراً، ولا تخفي ما وراءها من مآرب سياسية وحزبية متنوعة. ولعل من أسباب هذا التعدد استطاعة كل منظمة من المنظمات الرئيسية أن تحصل على ما يديم نشاطها من معونات مالية وعينية، فإذا ما تدخلت الحكومات العربية في الأمر وجدت وعرفت المنظمات أنها لا تستطيع أن تستمر في الحصول على ما يديم نشاطها وهي متفرقة انصاعت للضغط الشفيق العطوف. وتنادي المنظمات أحياناً بالتنسيق، وتتشارك في بعض العمليات، وأعتقد أن هذا لا يضمن المصلحة ولا يحقق الهدف، ويجعل الثغرات مستمرة بالتشاد والتناظر والتنافس وهدر الجهود.

ولقد كنت أرسلت اليكم بعض مواد تقوم القيادة الموحدة على أساسها، وقد أرسلتها مع بعض الإخوان الذين دعوا إلى المجلس الوطني. ولكنهم لم يجدوا الفرصة والمجال لعرضها، وقد أدخلت عليها بعض التعديلات

حتى صارت متكاملة ومقبولة فيما أظن، وها أنا أرسلها إليكم آملاً أن تجدوا وتجد المنظمات فيها أساساً صالحاً للتوحيد. ويجب أن يلحظ الجميع خطورة التوحيد، لأن حركة التحرير سوف تستمر، ويجب أن تستمر حتى ولو تم انسحاب اليهود من الأراضي التي احتلوها بعد الخامس من حزيران 1967، وهو الشعار الرسمي العربي الذي قد يلوح في الأفق الدولي ما يجعل احتمال تحقيقه وارداً سلمياً.

ففي هذه الحالة فإن قضية فلسطين ترجع إلى ما كانت عليه قبل حزيران وتظل بدون حل، وليس من حل لها إلا حركة التحرير الشعبية الشاملة التي يجب أن تستمر مهما طال الزمن وعظمت التضحيات حتى تحقق غايتها، وهي تقويض الدولة اليهودية. ويخشى أن يضعف حماس بعض الدول لذلك إذا ما تحقق هذا الشعار. فمن واجبنا القومي المحتم أن نهيء أسباب استمرار حركة التحرير بعد تحققه المرتقب، وأهم وسيلة إلى ذلك هو توحيد الحركة تحت قيادة واحدة، ولو لم يتحقق هذا الشعار وأقدمت الحكومات العربية على العمل العسكري لطرد المعتدين من أرضها فالتوحيد يكون حينئذ بدون شك أعظم فائدة وأكثر جدوى.

والله المسؤول أن ينجح الجهود ويحقق الآمال، ويكتب لقضيتنا النصر ولأمتنا العزة والكرامة والسلام[1].

تشرين الأول 1968

* * *

(54) المقاومة الفلسطينية وتحرير فلسطين[2]

أدار الأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام الشطر الأول من مقاله الأسبوعي المنشور في أهرام 16 آب 1968 بعنوان (عن الأمل والموت) على المقاومة العربية في الأرض المحتلة. وقال فيما قاله إن دور هذه المقاومة لن يكون حاسماً في تصفية العدوان، وإنما هو دور مساعد. وحذر من الانسياق وراء العاطفة، وأبدى تخوفه من خيبة الأمل التي سوف يشعر بها العرب حينما يرون أنها لم تستطع تصفية العدوان، ووصف الذين يظنون خلاف ذلك بالكسالى الذين لا يعرفون، وأنهم من الذين يملأون العالم العربي، والذين لا يرون من الألوان غير الأبيض والأسود بغير ظلال متداخلة بينهما، فإما أن تقودهم الخطوة الأولى إلى تحقيق الهدف الأخير، وإلا فهم أسرى اليأس والقعود، وهم كسالى لأنهم يريدون تحميل المسؤولية على غيرهم لكي يريحوا أنفسهم ويسكنوا، وهم لا يعرفون حقائق الأمور في المواجهة العربية مع العدو في ظل الأوضاع الراهنة في المنطقة وما يحيط بها، وإن الصحفي لا يستطيع أن يجيب إلا على ما هو قائم، لأن مهمته هي الرصد والتحليل. ثم أخذ يقايس بين جغرافية فلسطين وعدد العرب في الأرض المحتلة، وبين جغرافية الجزائر والفيتنام وعدد سكانهما، ليثبت نظريته في محدودية إمكانيات المقاومة وعدم قدرتها على تصفية العدوان. ومفهوم كلامه أنه يقصد من تصفية

---

(1) المواد التي اقترحناها لتقوم القيادة الموحدة وفقها سبق إيرادها في الوثيقة رقم (49) فلم نر ضرورة لإعادتها.

(2) مقال نشر في العدد 80 وشهر تشرين الأول 1968 من مجلة المعرفة الدمشقية.

العدوان تصفية إسرائيل وليس تصفية آثار عدوان حزيران التي هي عودة المعتدين إلى الحدود السابقة للعدوان. ثم قال إن تصفية العدوان الإسرائيلي هي مسؤولية الأمة العربية كلها، وعلى الجبهة الأعرض والأوسع حشداً وكلاماً وتعبئة شاملة.

وأقوال الأستاذ هيكل التي فيها كثير من التعاليم والتعالي والرغبة في احتكار المعرفة وإدراك الحقائق والمواعظ الفوقية، مع جور في وصف الذين لا يرون ما يراه تحتمل كثيراً من المناقشة. وفيها نقاط تحتاج إلى توضيح بل تصحيح، وتشتد الضرورة إلى ذلك لأنها متصلة بقضية أصبحت قضية العرب الكبرى، وأخذت تملأ الأسماع والأذهان وتشدها إليها في العالم العربي وغير العربي على السواء، ولأن للأستاذ شهرة وتأثيراً في قرائه العرب بل وفي غير العرب كرئيس تحرير كبرى الصحف العربية وأوسعها انتشاراً، وكمحلل عرف بعمق النظر وسعة الاطلاع والاتصالات وذي مركز مرموق.

ولقد كتبت ما عنّ لي من تعليق على المقال وأرسلته إليه وطلبت نشره حتى يقرأه الذين قرأوا مقاله فلم يفعل، وأعتقد أن أقواله لا يجوز تبقى بدون تعليق موضوعي منشور. وما أكتبه الآن ليس رداً وحسب، بل هو توضيح وتصحيح لسير ومدى قضيتنا الكبرى وما توحيه من أفكار واقتراحات ملحة.

إني أسلم بصحة قوله: (إن تصفية العدوان التي تعني تصفية إسرائيل هي مسؤولية الأمة العربية كلها، وعلى الجبهة الأعرض والأوسع حشداً كاملاً وتعبئة شاملة). لأن هذا هو الذي لا بد منه ولا بديل عنه في تحقيق ذلك الهدف الذي هو من أشد الأهداف صعوبة وتعقيداً، ولأن هذا الهدف تحقيقاً وخيبة متصل بالوجود العربي قاطبة وأمنه وسلامته.

غير أن صحفينا اللامع لا يذكر كيف يتم ذلك الحشد الكامل والتعبئة الشاملة، وما إذا كان يتم دفعة واحدة أم أن لا بد له من بداية. وما هي هذه البداية؟ وكل ما يقصده كلامه أن ذلك شيء والمقاومة القائمة في الأرض المحتلة شيء آخر. هذا بالإضافة إلى أن جملته المذكورة في أسلوبها ومقامها في المقال تشي - سواء أراد أو لم يرد - باعتقاده أن ما جاء فيها معجزة وأمنية أكثر منه أملًا يمكن تحقيقه، بل وتشي بأنه إنما أوردها لرفع العتب أو لمنع قائل أن يقول له: (إنك وقد قررت أن المقاومة مهما كان أمرها ومداها لن يكون دورها حاسماً في تصفية العدوان على المدى القريب والبعيد، جعلت الناس في يأس رهيب، ولا سيما أنك لا تذكر كيف تكون تلك المعجزة، وكيف يتحقق ذلك الهدف الذي لا أمان للوجود العربي إلا بتحقيقه. وتقايس بين جغرافية الجزائر والفيتنام لتوقع في الذهن استحالة ذلك). مع أن الواقع الذي لا يصح إغفاله ولا يفوت كاتبنا الكبير فهمه أن ذلك لا بد له من بداية، وأن المقاومة لم تبدأ بعد عدوان حزيران 1967، وإنما بدأت في أول سنة 1965، حينما أخذت العاصفة (جناح فتح العسكري) تقوم بعملياتها في الأرض المحتلة، وأنها كانت منذ البدء بداية لحرب التحرير وكان اسمها (حركة تحرير فلسطين) الذي اختزل منه اسم (فتح)، وأن هذا هو الأساس الذي قامت عليه والهدف الذي استهدفته، بحيث يجب القول أن ما نسميه اليوم (المقاومة) هو في حقيقته استهدف تصفية إسرائيل وتحرير فلسطين، ولم يكن هدفه الإزعاج العابر ولا يصح الفصل بينهما.

وأغلب الظن أن الأستاذ هيكل ينطلق من

حجم وراهن المقاومة. ولكن هذا غير سليم، وكل مقاومة وعملية تحرير في أي بلد بما في ذلك الجزائر قد بدأ بمثل بداية حركة مقاومتنا ثم نما وتطور حتى حقق غايته، وليس هناك أي مانع لذلك بالنسبة لمقاومتنا، بل الدلائل تدل على أنها تسير في طريق النمو والتطور حتى تبلغ غايتها إن شاء الله.

بل لقد كانت هذه البداية بمداها وأساسها وهدفها المذكور قبل عمليات العاصفة، وذلك حين أدركت الحكومات العربية حقيقة كانت تتجاهلها، وهي أن تحرير فلسطين لن يتحقق إلا بحرب شعبية يكون الفلسطينيون طليعتها وأصحاب المبادرة فيها، فقرر مؤتمر القمة الأول إنشاء كيان فلسطيني يتسلم زمام المبادرة، وانبثق عن ذلك منظمة تحرير فلسطين التي كان أساس ميثاقها تصفية إسرائيل، وجيش التحرير ليكون الوسيلة العسكرية إلى ذلك، وإقامة قيادة عربية موحدة لحماية هذا العمل وتنظيمه ومده ورعايته حتى ينمو ويقوى ويتسع ويسير في طريق هدفه الخطوات الواسعة من ناحية، ولحماية حدود وأجواء الدول العربية من عدوان إسرائيلي قد يترتب عليه من ناحية أخرى، وقد رصدت الأموال اللازمة له في ميزانية الحكومات وبترتيبات شعبية متنوعة.

وكل هذا أقوى بما لا يقاس من بداية حركة تحرير الجزائر، لأنه كان مؤيداً سياسياً ومادياً ومنذ بدئه من جميع الدول العربية صراحة وعلناً ورسمياً، في حين أن العون الواسع والتأييد الشامل لحركة الجزائر لم يتيسرا إلا بعد بضع سنين من بدايتها.

ولقد تمت خطوات واسعة في سبيل التنفيذ، فقامت (الدولة الفلسطينية) التي كان اسمها الكيان الفلسطيني ومنظمة تحرير فلسطين بتشكيلاتها وجيشها الذي تجاوز عدد أفراده العشرة آلاف وضباطه المائة من مختلف الرتب، والذي أخذ يتلقى التدريب على أعمال المغاوير وسائر الأسلحة، وغدا فعلاً جاهزاً للسير في مهمته، وتعلقت آمال العرب قاطبة بهذا الحادث السعيد، الذي طال انتظارهم له، وهم يجترون آلام نكبتهم وكارثتهم الحاطمة وذلها، ويتحرقون أشد التحرق إلى أخذ ثأرهم وغسل عارهم واسترداد الجزء الغالي المقدس من وطنهم. واستعدوا بالإضافة إلى الحكومات لدعمه على مختلف المستويات والصور، وكان هذا يعني أنه صار من المتوقع أن يكون وراء ذلك مع الأيام حشد كامل وتعبئة شاملة على الجبهة الأوسع والأعرض حسب تعبير الأستاذ هيكل. وكل هذا لم يكن متيسراً بل ولا عُشره لبداية حرب الجزائر.

ولما تعثر السير بالمهمة للأسباب المعلومة، أقدمت (فتح) على حمل الراية والنزول إلى الميدان بجناحها (العاصفة) للبدء بالمهمة، وأخذت تلفت الأنظار وتستقطب الأفكار والآمال.

ولقد كانت حرب حزيران سنة 1967 وسيلة عظمى لنمو هذه البداية وتطورها ودعمها بما كان من اتساع نطاق عمليات العاصفة ونتائجها الكبيرة المتنوعة في العدد. ثم بما كان من انضمام ونزول عناصر عديدة من جيش التحرير وغيره من المنظمات الأخرى التي كانت تتسمى بنفس التسمية مع اختلاف الألفاظ (قوات التحرير الشعبية) (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) (طلائع حرب تحرير فلسطين) الخ إلى الميدان معها، واتساع نطاق العمليات العسكرية في مختلف أنحاء الأرض المحتلة حتى غطتها، ونتائجها الواسعة الكبيرة في

العدد، وما كان من تدفق الأسلحة المتنوعة، والآلاف المؤلف من الفدائيين، والدعم المادي والأدبي من الحكومات والهيئات، حتى لم تكد تبقى حكومة عربية وإسلامية وصديقة مع هيئاتها الشعبية إلا وأعلنت تأييدها واستعدادها لدعمها مادياً وسياسياً، واعتبارها إياها بداية صحيحة لعمل مشروع وحق طبيعي في سيره وهدفه النهائي، وأنشدت إليها الأفكار والأذهان وأجهزة الإعلام في كل أنحاء العالم، وبدأ يظهر تأثيرها القوي في العدو.

ونحن لا نوغل في التفاؤل، وندعي أن التعبئة الشاملة والحشد الكامل قد تم أو هو قريب من التمام. ولكن الذي نقصده والذي هو حقيقة لا يجوز إنكارها أن ما يجري هو حركة تحرير شعبية قابلة للنمو والتكامل، وأن الواجب يقضي على كتابنا أن ينظروا إليها بهذه النظرة الواقعية المتصلة أشد اتصال بفكرة وهدف تصفية إسرائيل، لأنها بدأت تسير في طريقها قبل عدوان حزيران 67، ويجب اعتبارها مستقلة عنه مهمة ومدى، ومن حقها وإمكانها البقاء والإستمرار، مع إطراد النمو والتطور والإتساع بعد إزالة آثار هذا العدوان الطارىء بالحل السياسي أو العسكري، الذي هو مهمة ومسؤولية الحكومات العربية وجيوشها الرسمية. من حيث أن هذا العدوان وقع على أرضها الدولية القانونية، وعليها ولها وجدها طرد العدو المعتدي. وإذا كانت الحركات الفدائية سوف تساعد على ذلك، فإنها لم تكن أصلاً من أجله، وإنما كانت من أجل الهدف الأساسي الذي يبقى وارداً واجب التحقيق. ويجب أن يدعو الدعاة إلى المزيد في دعمها وردفها مادياً بالحشد الكامل والتعبئة الشاملة على الصعيد العربي العام، على اعتبارها البداية الصحيحة لذلك، وسد ثغراتها التنظيمية والمادية والسياسية، حتى تصبح فعلاً حركة تحرير شعبية عربية شاملة، وتستطيع أن تستمر في جهادها منضوياً فيها عشرات الألوف، ومغطية في عملياتها جميع الأرض المحتلة، ومنزلة الضربات الساحقة المدمرة في قوات العدو ومنشآته، وزراعة الرعب والشلل في الأرض التي يحتلها وسكانها، ومانعة من نموه واستقراره داخلاً وخارجاً إلى أن تتم مهمتها، وتحقق غايتها مهما طال الزمن وعظمت التضحيات، لا إلى فصلها عن هذا الهدف وإدخال اليأس في قلوب الناس منها، وتعليق تحقيق الهدف على معجزة تتم دفعة واحدة. ولا سيما أنه ليس هناك بديل ولا يمكن أن يكون هناك بديل، من حيث أن الحكومات العربية لن تستطيع بسبب الظروف والمواثيق الدولية القائمة أن تقوم بعملية تصفية إسرائيل القائمة على أرض ليست أرضها، حتى لو قدرت على ذلك، في حين أن الشعب العربي الفلسطيني المدعوم بالشعب العربي في جميع الأقطار هو المؤهل الوحيد لذلك، الذي لا تقيده الاعتبارات الدولية، والمعترف بحقه الشرعي والقانوني والدولي والطبيعي في وطنه، والتصفية التي يقول عنها الأستاذ هيكل هي مسؤولية الأمة العربية لا بد لها من بداية، وهذه هي البداية.

ومهما كانت جملة الأستاذ تشي بأفكار سلبية ويائسة، فإنها تفيد على كل حال أنه يسلم بإمكان تصفية إسرائيل حينما تحشد الأمة العربية حشدها الكامل. وهذا يعني أن جغرافية فلسطين وعدد عرب فلسطين في الأرض المحتلة ليس من شأنهما منع التصفية في النهاية، وهو حق كل الحق، ويجعل تلك المقايسة التي حلا للأستاذ هيكل أن يسوقها

لإثبات عدم إمكان المقاومة القيام بالدور الذي قامت به الجزائر غير ذات موضوع، بحيث لا يصح أن نذكر جغرافية فلسطين وبشرها العرب واليهود في معرض التدليل على عدم إمكان تحقيق ذلك الهدف. ولا سيما أنه لا خيار لحركة تحرير محددة الهدف في مكان معين لم تخلقه، وعليها أن تقتحم العمل فيه مهما كان في طريقه من عقبات وموانع. والمهم أن تبدأ بداية صحيحة، وتكون قابلة للنمو والاتساع، وهو الواقع الذي لا يجوز إنكاره بالنسبة لحركة تحرير فلسطين القائمة، بل والذي يسلم به معظم العرب من رسميين وشعبيين ويتعلقون به على هذا الاعتبار.

ويجب أن يلحظ أن حرب حركة التحرير مع إسرائيل ليست حرباً نظامية بين جيشين بل حرب عصابات كراً وفراً، فلا ينبغي أن يورد تفوق القوات الإسرائيلية بالعدد والمعدات، وهذا كان على كل حال شأن الجزائر وغيرها. ولم يبلغ عدد المجاهدين الجزائريين في أحسن الأوقات خمس عدد القوات الإفرنسية، فضلاً عن التفوق العظيم عند هذه بالمعدات الثقيلة البرية والجوية التي لم يكن يملكها المجاهدون.

ومع ذلك ففي الجغرافية الفلسطينية متشابه للجزائر إذا كانت تحلو المقايسة للأستاذ وغيره ممن يرون رأيه، فالبلاد العربية المجاورة لفلسطين لا تقل سعة وإمكانيات عن ما يجاور الجزائر، فيكون لحركة تحرير فلسطين فيها ما كان لحركة الجزائر في جوارها من منطلق كر وفر وملجأ ومستمد.

وفي فلسطين جبال وغابات وكروم ووعور وملاجىء وصحار تتيح للحركة ما كانت تتيحه جغرافية الجزائر لحركتها، وكون الفلسطينيين ليسوا وحدهم في الميدان، وكون العرب في كل أقطارهم ردفاً بشرياً لهم يعوض بما لا يقاس عليه فرق النسبة بين عدد عرب فلسطين إلى عدد اليهود في الأرض المحتلة.

وهناك اعتبار آخر يزيد في التعويض، بل لم يكن قائماً بالنسبة للجزائر، وهو أن قضية تحرير فلسطين وتصفية إسرائيل فيها ليستا قضيتين خاصتين بعرف فلسطين، بل هما عامتان قوميتان عربيتان، لأن وجود إسرائيل في فلسطين مهدد بصورة مستمرة وخطيرة لسلامة بلاد العرب جميعها وأمنها، بل لحريتها واستقلالها، ومعرقل لوحدتها وازدهارها وتكاملها. فاليهود يعرفون أن وجودهم رهن ببقاء العرب ضعفاء متفرقين متخلفين قلقين مضطربين، وفي خوف دائم من العدوان. والاستعمار الذي غرس دولتهم في صميم البلاد العربية بقصد فرض استمرار هيمنته عليها واحتكار ثرواتها، يعرف أن مقاصده لا تتحقق إلا باستمرار وجودها. هذا فضلاً عما يترسمه اليهود من امتلاك مزيد من الأرض العربية حتى تقوم دولتهم الكبرى من النيل إلى الفرات، ولو تركهم العرب وشأنهم وصالحوهم كما يقول الجبناء الانهزاميون والعملاء الخائنون واعترفوا بواقع اغتصابهم جزءاً مهماً وعزيزاً من بلادهم، وتنازلوا عما نهبوه من أموالهم وأملاكهم، واقترفوه من دمائهم، وانتهكوه من حرماتهم ومقدساتهم، وأوقعوه فيهم من الإهانات والجرائم التي تقشعر لها الأبدان ظلماً وبغياً لما تركوهم. وكل ما يكون أنهم يتيحون لهم فرصة يستجمون فيها، ويستقرون للعدوان عليهم مرة بعد مرة. فجميع العرب شعوباً وحكومات ملتزمون التزاماً مصيرياً بحشد قواهم والإسهام الفعال في النضال ضد وجود إسرائيل وإزالتها.

ولا يفوتنا أن نذكر ما لم يذكره الأستاذ هيكل في مقايساته، وهو أن هدف النضال في فلسطين أشد صعوبة وتعقيداً من هدف المجاهدين الجزائريين، بل ولعله أشد الأهداف التحريرية العالمية صعوبة. فالجزائر كان معظمها لأهلها، وكل دعوى فرنسة أنها نصت في دستورها أنها جزء منها، وحاولت أن تجعل ذلك حقيقة، وظلت تتصف على كل حال بصفة المحتل عسكرياً الذي ليس له في الأرض جذور.

وظلت الجزائر عربية إسلامية الوجه واللسان والروح والهدف والتطلع، وانتصار حركة تحرير الجزائر لم يكن تحطيماً لفرنسة كدولة عظمى، وظلت فرنسة كما هي، بل زادت عظمتها لأنها تخلصت من عقدة حمقاء أنهكتها واستنزفت أموالها وقواها على غير طائل كبير إلا الغرور السياسي، في حين أن هدف النضال الفلسطيني هو إزالة دولة تعترف بها معظم دول الأرض التي لا تسيغ زوالها وتعترف لها بحق البقاء وتصر عليه، بما فيها أصدقاء العرب، ومؤيدة أشد تأييد مادي ومعنوي وأوسعه من الصهيونية واليهودية العالمية المتغلغلة في كل قرنة من قرن الأرض، وذات النفوذ القوي المؤثر بما تملكه من مختلف الأسباب والوسائل في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية في معظم دول الأرض، ومتحالفة في نفس الوقت مع أعتى القوى الاستعمارية الإمبريالية التي تترسم معها إبقاء البلاد العربية مجزأة واهنة متخلفة خاضعة لهيمنتها واستغلالها، ومؤيدة منها أشد تأييد سياسي ومادي وبمختلف الوسائل والمظاهر.

وهذ ما سوف يجعل المعركة بين إسرائيل وبين العرب طويلة جداً، وسوف تكلف العرب الجسيم الهائل من التضحيات البشرية وغير البشرية، وقد تقتضيهم حشد عشرات الألوف دوراً بعد دور يمدهم عشرات الألوف الأخرى.

والمهم المهم هو:

أولاً: تشديد الدعوة للحكومات العربية وبخاصة التي تحيط بإسرائيل ونعني مصر وسورية والأردن ولبنان والعراق بإحياء معاهدة الدفاع المشترك، وإعادة جهاز القيادة العربية الموحدة على أساس فعال وبأسرع وقت ممكن؛ والارتفاع بسبيل ذلك فوق كل اعتبار وهاجس، لأن المعركة مصيرية، يجب أن يهون في سبيلها كل شيء، ووضع جميع الطاقات الحربية لهذه الحكومات ولمن يشاء من الحكومات العربية المساهمة الفعلية في المعركة الحربية تحت إمرة هذه القيادة، ومدها بكل مقومات الفعالية لتقوم بمهمتها التي وجدت لها، وهي تنظيم وتدريب ومد حركة التحرير الشعبية ورعايتها من جهة، وحماية أجواء وحدود الدول المجاورة من عدوان تقوم به إسرائيل انتقاماً يائساً وانتحارياً من ضربات الفدائيين المدمرة. وهذه مسألة بالغة الأهمية والخطورة، والحاجة ملحة أشد الإلحاح لها، ويجب بذل كل جهد في سبيل تحقيقها بأسرع وقت ممكن.

وثانياً: تشديد الدعوة إلى تحرير الكتائب المجمدة من جيش التحرير الفلسطيني التابع بالاسم لمنظمة التحرير، والذي ينفق عليه مما يجبى باسمها. والتي لا تشترك في العمل الفدائي، مما لا يعقل ولا يجوز أن يستمر، ولا سيما أنها مجهزة أحسن تجهيز، ومدربة

---

(1) اختزلت مجلة المعرفة فقرات عديدة من المقال منذ هذه النبذة، وما زلنا نرى إثباتها مفيداً، ولذلك أثبتنا النص بكامله حسب ما جاء في مسودة المقال، ومما اختزلته المجلة مواد المنهج المقترح لتوحيد العمل الفدائي.

أقوى تدريب، ومنظمة أحسن تنظيم. ولا يعوزها إلا التحرير والإنطلاق، وما هو منطلق منها في العمل الفدائي هو القليل.

وثالثاً: تشديد الدعوة إلى توحيد المنظمات المتعددة التي تقوم بحركات التحرير متفرقة، وإقامة قيادة واحدة لها تتولى كل مسائل التنظيم والتخطيط والتمويل والتدريب والتجهيز.

فبهذا وذاك يمكن تصعيد العمل التحريري وتقويته ليغطي جميع الأرض المحتلة. ويصبح قادراً على توجيه ضرباته المدمرة، وإحداث الشلل في العدو، وإيقاف نموه حتى ينهار في النهاية.

ومطلب توحيد العمل التحريري وجعله تابعاً لقيادة واحدة تخطيطاً وتنظيماً وتدريباً وتجهيزاً وتمويلاً وربطاً وضبطاً مطلب ملح أشد الإلحاح وأعجله، ومجمع عليه من كل كاتب وباحث وخطيب وهيئة رسمية وشعبية، وقد أصبح شعاراً لكل اجتماع تعقده أية هيئة عربية رسمية وشعبية، وكل بحث أو خطاب يكتبه أو يلقيه أي شخص عربي. وقد كان من أهم المواضيع بل الأهداف الذي عقد المجلس الوطني لأجله مؤخراً وقرر وجوبه.

وإذا كان من المؤسف أن المنظمات الفدائية التحريرية لم تستجب إلى الآن لهذا المطلب، معتذرة بأسباب وتعليلات يعتقد كثير من الناس أنها تخفي وراءها كثيراً من النوازع والحوافز الحزبية والسياسية والذاتية، فإنه لا يجوز السكوت على ذلك، ويجب الإلحاح عليه، لأن بقاءها متفرقة يثير بينها التناظر وتهدر في سبيل ذلك كثير من الجهود والطاقات، ويجعل بعض المفكرين يقولون أن دورها لن يكون حاسماً. ومن الواجب أن يهتف كل كاتب وخطيب وباحث وشخص ذي تأثير رسمي وغير رسمي عالياً بأن ذلك قد يعني أنها غير مقدرة لمدى المهمة التي تقوم بها وخطورتها وصعوبتها رغماً عما تعلنه من عكس ذلك، وأنها لا يمكن أن تثبت إدراكها هذا وإخلاصها للمهمة الخطيرة التي أخذتها على عاتقها، وتصبح أهلاً للآمال الجسيمة المعلقة عليها، ثم أهلاً لحمل الأمانة والسير فيها إلى نهايتها المنشودة، إلا بالتغلب على تلك النوازع والحوافز والتطابق على الانتظام في قيادة موحدة.

نقول هذا ونحن نعرف أنه أنشىء مجلس للتنسيق بين المنظمات. ولكننا لا نرى هذا ساداً للثغرات العديدة من احتفاظ التنظيمات الفدائية بشخصياتها...

ولقد كنت اقترحت على بعضها ثم على منظمة التحرير منهجاً راعيت فيه مختلف الأفكار والتطلعات، ورأيت فيه تحقيق الأمل المنشود لتقوم على أساسه قيادة موحدة، وأرى من المفيد إثباته في نهاية هذا المقال، راجياً أن يلقى من الاهتمام والانتباه ما أتوقعه، ومن التعضيد والدعوة ما يؤدي إلى تحقيقه فعلاً وبالله المستعان[1].

---

(1) انشىء بعد قليل من نشر المقال جهاز باسم (قيادة الكفاح المسلح) تابع للجنة التنفيذية، وانضوى فيه معظم المنظمات الفدائية مع احتفاظها بشخصياتها، وصارت بيانات العمليات التي تقوم بها المنظمات تصدر عن هذه القيادة منسوبة مع ذلك إلى المنظمات التي تقوم بها، وصارت بعض المنظمات تتشارك في العمليات، وهذه خطوة مهمة وحسنة بدون ريب، ولكنها دون المطلوب الذي هو قيادة واحدة تنظيماً وتجهيزاً وتدريباً وتخطيطاً وتمويلاً. ولقد أوردنا مواد المنهج الذي أشرنا اليها في المقال في الرقم (49) فلم نر ضرورة إلى إعادتها هنا. وننبه على أننا كتبنا هذا الذيل في أواسط عام 1969، وأن تغييرات مهمة نحو الأفضل وقعت بوحي الأحداث على ما يرد شرحه في أرقام آتية.

(55) رسالة من الكاتب إلى اللجنة التنفيذية لمنظمة تحرير فلسطين 11 شعبان 1388 2 تشرين الثاني 1968

الإخوان المحترمين رئيس وأعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة تحرير فلسطين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فقد كنت أرسلت إليكم بواسطة السيد محمود الخالدي مدير مكتب دمشق رسالة مطولة وطويت فيها مشروعاً للقيادة الموحدة للعمل الفدائي التي تقضي الضرورة القومية إنشاءها، ولا أعرف هل وصل إليكم ذلك أم لا، فإن لم يصل فأرجو أن تطلبوه من السيد الخالدي، وإن كان وصل فكان يحسن أن ترسلوا إلي كلمة تطمين بوصوله.

ولقد سمعت وقرأت خبر إنشاء المنظمات الفدائية ما سمته مجلس التنسيق العسكري، وأعتقد أنه لا يتجاوب مع الهتاف العربي العام بوحدة القيادة، وأكاد أعتقد أنها عمدت إلى ذلك لامتصاص هذا الهتاف إصراراً منها على الاحتفاظ بشخصياتها.

ولقد كان معظم المنظمات الفدائية عقدت مؤتمراً في القاهرة في كانون الثاني 1968 قررت فيه إنشاء مثل هذا المجلس، وظل دون أي جدوى في مجال العمل والتخطيط، ولم تكد أية منظمة تلتزم به، وعاد كل منها يخطط وينفذ ويعلن عن عملياته منفرداً، وسيكون مصير هذا كمصير سابقه، وليس هناك بديل جدي إلا التغلب على النزعات الفردية والحزبية والسياسية وإقامة وحدة قيادية فعلية. وأعتقد أن المشروع الذي أرسلته اليكم يضمن المقصود. ولذلك أرى أن تبذلوا جهودكم في تحقيقه، وسيبقى العمل الفدائي الذي أصبح الآن أملنا في الحال والمآل، والذي أعاد للأمة كرامتها وأحيا قضيتها وجعلها ملء السمع والبصر، متعثراً تهدر فيه الجهود بدون ضرورة إلى أن يتحقق.

والآن أرسل اليكم طي هذا اقتراحاً في صدد إسهام البلاد العربية والإسلامية في الكفاح المسلح الذي يضطلع به الفلسطينيون، فأرجو أن ينال اهتمامكم واهتمام المجلس الأعلى الذي تزمعون على إنشائه، واهتمام مجلس التنسيق العسكري الذي أرجو أن تسلموه نسخة منه.

والله المسؤول أن يوفقنا جميعاً إلى ما فيه السداد، وأن يؤيد كفاحنا العادل حتى يحقق هدفه المقدس، والسلام.

***

مذكرة للسادة رئيس وأعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة تحرير فلسطين[1]:

في كل مناسبة تكرر الحقيقة الكبرى وهي أن قضية فلسطين قضية عربية إسلامية عامة، يتوقف على تقويض الدولة المجرمة اليهودية المغتصبة فيها وإعادتها إلى حظيرة الإسلام والعروبة، أمن الإسلام والعروبة والمسلمين والعرب قاطبة وسلامتهم وكرامتهم وقوتهم وازدهارهم ووحدتهم وصون مقدساتهم، وإن ذلك لن يتحقق إلا بالكفاح المسلح الشامل، وأن واجب العرب والمسلمين جميعهم أن

(1) أرسلنا نسخة من هذه المذكرة إلى اللجنة التنفيذية الجديدة في شباط 1969.

يؤيدوا هذا الكفاح بكل أسباب التأييد المادي والأدبي.

ويلمح أن الفلسطينيين وحدهم تقريباً الذين يضطلعون الآن بهذا الكفاح. وقد قرأت أكثر من مرة في أكثر من مجلة وجريدة أن منظمات هذا الكفاح تعتذر عن إشراك غيرهم معهم، وتقول أن في الراغبين من الفلسطينيين في الكفاح والقادرين عليه في هذه المرحلة الغناء، وأن ما يطلب من غيرهم هو المساعدات المادية الأخرى.

وقد يكون هذا صواب من حيث الواقع والمرحلة الراهنة، غير أني أعتقد أنه آن الأوان لتوسيع النطاق وفتح الباب لاشتراك أبناء البلاد العربية والإسلامية في الكفاح الفعلي إلى جانب المناضلين الفلسطينيين، وبذل الجهد في تحقيق ذلك، لا للتكثر وحسب، وإنما لتحقيق المعنى العظيم الذي ينطوي في تلك الحقيقة الكبرى أيضاً، حتى يشعر العرب والمسلمون قاطبة أن القضية قضيتهم فعلاً، وأن واجبهم في إنقاذ فلسطين وتحريرها لا يقل عن واجبهم، وأن دماءهم تروي أرض فلسطين مثل الفلسطينيين، فتكرر بذلك الصورة الرائعة التي كانت في القرون الوسطى تجاه الغزوات الإفرنجية المسماة بالغزوات الصليبية، ويعرف العالم أجمع أن الأمر جد، وأن العرب والمسلمين جميعهم مندمجون في هذا الكفاح، وأن نطاقه سوف يتسع حتى يصبح تعبئة عربية إسلامية شاملة عامة، وكل هذا جوهري وضروري، ومتناسب مع خطورة وقوة القوى العظيمة التي تحاول أن تجعل أرض فلسطين وما يجاورها مركز انطلاق وقاعدة قوة للتسلط على بلاد العرب قاطبة، وجعلها مع أهلها خاضعين لها مستغلين من قبلها.

ولا مانع في الخطوات الأولى أن يكتفي بالأعداد القليلة من كل بلد عربي وإسلامي، ثم تتسع الدائرة حسب الظروف..

ونقرأ مع الناس في مختلف المناسبات، ونسمع هتافات العرب والمسلمين في كل بلد وقطر بالاستعداد للتطوع والاندماج في الكفاح. وأعتقد أن هذه الهتافات صادقة كل الصدق، غير أنها تحتاج إلى جهود منا لتصبح حقيقة فعلية.

وأقترح بسبيل ذلك أن تؤلف أربعة وفود أو لجان، واحدة للبلاد العربية الآسيوية وأخرى للبلاد الإسلامية الآسيوية، وثالثة للبلاد العربية الإفريقية، وأخرى للبلاد الإسلامية الإفريقية لتذهب إلى هذه المناطق وتتصل بجمعياتها الوطنية وسلطاتها الحكومية، وتنشيء في كل بلد لجنة تجهيز وتدريب للمتطوعين وترسلهم إلى عمان فوجاً بعد فوج، وإذا لم يكن في إمكان اللجان المحلية أو بعضها تدبير جميع نفقات التجهيز والسفر، فيجب أن يؤمن ذلك من مالية المنظمة، وهذا أيضاً ينسحب على أمر مرتبات المتطوعين وأسر شهدائهم كما هو شأن المناضلين الفلسطينيين وأسر شهدائهم.

***

(56) رسالة من الكاتب إلى السيد ياسر عرفات شباط 1969

الأخ المناضل أبا عمار[1] حفظه الله.

(1) هذه كنية السيد ياسر عرفات ممثل منظمة الفتح والعاصفة، والذي اختير أخيراً رئيساً للجنة التنفيذية لمنظمة تحرير فلسطين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فقد أسفت لأن الحظ لم يسعف بلقائكم حينما جئتم منذ أيام إلى دمشق، فقد حرصت أن أراكم. وقيل لي أنكم أنتم أيضاً حريصون أن تروني، ولكن مفاجأة الغارة المجرمة حالت دون تحقيق هذا الأمل الذي كنت أكون سعيداً به لو تم لأظهر لكم اعتزازي وسروري بغدو منظمة التحرير تحت قيادة الثوار، وهي القيادة التي افتقدتها هذه المنظمة منذ قامت. وكنا نتلمسها لها لأنها هي وحدها التي تليق باسمها وهدفها المقدس الذي طالما دعونا إلى الجهد في السير في سبيله، والذي أخذت عاصفة الفتح المباركة تسير فيه منذ سنة 1965 قدماً، وحملت مشعله مرموقاً بدعواتنا الحارة وقلوبنا الخافقة ودموعنا الفرحة، وحماها الله من الكيد والزعازع، ثم غذاها الإيمان والإخلاص حتى نمت وتعاظمت وصار لها ما صار من دوي وأثر كفاحي بطولي عظيم أشعر الأمة بكرامتها وأحيا آمالها، فرأيت أن أكتب لكم هذا لأعبر به عن هذا الشعور والاعتزاز.

ولقد كان افتقادنا لقيادة الثوار للمنظمة سبب ما طرأ عليها من تعثر. وإننا لنحمد الله على أن يسر تصحيح الموقف فتحقق لها هذه القيادة بكم وبزملائكم الثوار المغاوير.

ولقد انفتح الباب واسعاً، وترتب عليكم العظيم من الواجبات، وانشدت نحوكم الأنظار والأفكار. وإني لوطيد الأمل في أن تكونوا إن شاء الله في مستوى المسؤولية الكبرى بما تشبعتم به من إيمان، وتمرستم به من تجربة ناجحة، وتحليتم به من صفات الرجولة والنضج التي أهلتكم لقيادة منظمتكم الخاصة، تلك القيادة التي دوت بها الآفاق أولاً ثم لقيادة منظمة عموم فلسطين. ولقد لمست كل ذلك عن كثب فيكم، فانبثق في نفسي ذلك الأمل الوطيد.

ولقد سمعت ما أذيع من قرارات اللجنة بإنشاء القيادة العسكرية الواحدة، وتوحيد الجباية، ودمج جيش التحرير في العمليات وتصعيدها، حتى تغدو حركة تحرير شعبية شاملة تتناسب مع الهدف العظيم وهو تحرير فلسطين من رجس الصهيونية. بالإضافة إلى قرار عدم التقيد والاعتراف بأية قرارات وحلول لا تحقق هذا الهدف، والاستمرار في الجهاد إلى أن يتم تحقيقه مهما طال الزمن وعظمت التضحيات، فأثلج صدري ذلك، وصار المأمول إن شاء الله أن تغدو هذه القرارات الهامة الضرورية وبخاصة وحدة القيادة ووحدة الجباية ودمج جيش التحرير وتصعيد العمل العسكري حقائق قائمة في أقرب وقت، ولا تظل حبراً على ورق أو محلا للتأويل والتحريف، كما كان الأمر قبل عهدكم، حيث لم يكن عهد ثوار، وصار الآن عهد ثوار يملكون القدرة على التنفيذ ويدركون مداه ويتحملون مسؤوليته، وأصبح هذا بالنسبة لكم خاصة واجب الإلتزام، لأنه من التناقض أن تكون منظمة تحرير فلسطين الشعبية العامة تحت قيادة قواد لمنظمات خاصة وحزبية أخرى تعمل مستقلة عنها لنفس هدفها.

وأسأل الله عز وجل أن يسدد خطاكم ويوفقكم ويقي جهادنا المقدس من الكيد والمكر من الداخل والخارج، حتى يستمر في تصاعده وتعاظمه إلى أن يحقق هدفه المقدس بالنصر المبين.

والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

ذو الحجة 1388

شباط 1969

***

(57) رسالة من الكاتب إلى اللجنة التنفيذية لمنظمة تحرير فلسطين 1969/2/17

حضرة رئيس وأعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة تحرير فلسطين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فإني أكرر تهنئتي ومباركتي للجنة الجديدة وأرجو لها السداد والنجاح في المهمة الخطيرة التي تضطلع بها[1] وبعد فإني أكتب إليكم بأمر مهم أرجو أن ينال اهتمامكم.

من المسلم به أن رعاية أسر شهداء الجهاد الفلسطيني لا تقل في مداها وخطورتها عن مدى وخطورة الجهاد نفسه الذي هو شعار العرب جميعهم من أجل تحرير فلسطين، من حيث أن معظم المجاهدين من غير الميسورين، وأن اطمئنانهم برعاية أسرهم وأراملهم وأيتامهم يجعلهم يقدمون على الانضواء إلى راية الجهاد ويستميتون فيه ويضحون بأنفسهم في سبيله. وهذا فضلاً عن كونها واجباً دينياً وقومياً وإنسانياً واجتماعياً تجاه الشهداء الذين أراقوا دماءهم في سبيل تحرير الأرض المقدسة.

وهذا مما حدا بفريق من إخوانكم في دمشق إلى إنشاء جميعة خاصة للقيام بهذه المهمة الخطيرة. وقد حصلت على ترخيص رسمي من الحكومة السورية. وهي منذ أكثر من سنة تقوم بواجبها تجاه أسر الشهداء، وتوزع اليوم مرتبات شهرية على نحو خمسمائة أسرة، وتبذل جهودها في تهيئة أسباب استمرار قيامها بهذا الواجب وشموله.

ولقد كنت اقترحت على اللجنة التنفيذية السابقة أن تكون هذه الجميعة هي الجهاز المعتمد من قبلها أيضاً للقيام بهذا الواجب، ولكن اللجنة المذكورة لم تأخذ بالاقتراح، فرأيت أن أعاود الكرة فأقترحه مجدداً على لجنتكم في عهدها الجديد.

إن قيام جهاز خاص مستقل لرعاية أسر الشهداء غير متأثر بما قد يطرأ على المنظمة من طوارىء سياسية وغير سياسية أمر حيوي جداً في أمر استمرار القيام بواجب رعاية أسر الشهداء، والصندوق القومي المنبثق من تشكيلات المنظمة لا يمكن أن يكون هذا الجهاز. كما أن جهازاً ينشئه هذا الصندوق ويظل تابعاً له لا يمكن أن يكون فيه ضمان لذلك الاستمرار المنشود في حالة طروء طوارىء على المنظمة، لأن الصندوق القومي جزء منها على كل حال ويتأثر بما يطرأ عليها، وكذلك ما ينشئه من أجهزة تابعة له.

وأعتقد أن جمعية رعاية الشهداء في دمشق هي التي يمكن أن تسد هذه الضرورة، وتكون في منأى عن ما يطرأ على المنظمة من طوارىء. وتستطيع هذه الجمعية إذا اعتمدت كجهاز خاص أن تنشىء مكتباً فى عمان وآخر في القاهرة وثالثاً في بيروت ورابعاً في الأرض المحتلة، فتؤمن بذلك توزيع المخصصات لجميع أسر الشهداء في كل منطقة.

واني أرجو أن تبحثوا في هذا الأمر، وتقروا اقتراحي باعتماد هذه الجمعية جهازاً خاصاً لرعاية أسر الشهداء. وإذا ما تقرر ذلك مبدئياً أرجو أن تردفوا قراركم:

(1) هي اللجنة التي صار السيد ياسر عرفات رئيساً لها وصار أعضاؤها من ممثلي التنظيمات الفدائية الأخرى المنضوية إلى المجلس الوطني.

أولاً: بقرار يذاع على الملأ بذلك، وبالإهابة بتحويل كل جباية لرعاية أسر الشهداء في أي مكان لصندوقها.

وثانياً: بقرار يخصص به نسبة معينة من جباية الصندوق القومي، أو مبلغاً شهرياً يدفعه هذا الصندوق لصندوق الجمعية. ومن حق المنظمة حينئذ أن يكون لها شيء من الإشراف على أعمال الجمعية وحساباتها، وأعتقد أن الجمعية لا ترفض ذلك. وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

* * *

(58) حركة الشهيد القسام واخوانه

ظروفها وأثرها في حركة الثورة الفلسطينية[1]
شباط 1969

كانت حركة الشهيد القسام وعصبته الأبرار ظاهرة هامة من ظواهر تطور الكفاح الوطني في فلسطين. ولقد كان بلاء فلسطين مزدوجاً بالاستعمار الإنكليزي والصهيونية. ونتج عن هذا الازدواج تيارات متعددة بل ومتناقضة أيضاً في صدد كفاح البلاءين.

من ذلك تيار كان يرى في الصهيونية الخطر الأشد من حيث أنها تهدف إلى مزاحمة الشعب العربي في وطنه، وتهديده في وجوده، وإقامة دولة على أنقاضه، وأن من الواجب أن يكون الجهاد الأعظم موجهاً اليها.

وتيار كان يرى أن الجهاد لا يمكن أن يؤتي أكله إلا بمسايرة العرب للإنكليز وجذبهم نحوهم وإقناعهم بأن يكونوا هم لا اليهود حلفاءهم.

وتيار يرى واجب الكفاح ضد البلاءين معاً مهما كلف الثمن، وتيار يسلم بهذا ولكنه يقول إن العرب يعجزون عن ذلك، ولا بد لهم من التزام كفاح قوي وعلني ضد أحدهما وكفاح خفي ضد ثانيهما. وكان هناك تيار يهون من شأن الصهيونية ويرى فيها وهماً. ويرى أن التعاون مع الإنكليز كفيل بإبقاء الصهيونية في نطاق الوهم من جهة، وتحقيق بعض المكاسب على صعيد الحكم والتشريع يساعد على تعثر الحركة الصهيونية من جهة، ويحفظ للعرب مركزهم المتفوق من جهة.

ولقد كانت الدسائس الإنكليزية واليهودية والمطامح الشخصية، والانفعالات العاطفية من عوامل وجود هذه التيارات المتضاربة. فقد قام تعاطف متبادل بين الإنكليز وكثير من أبناء الطوائف المسيحية وبنوع خاص البروتستانتية منها. وكان هناك موظفون وطالبو وظائف ومناصب من العرب المسلمين والمسيحيين، ولا يمكن أن يستمر وجود الموجودين في الوظائف ويتحقق مطمح طالبي الوظائف منهم إلا بالتعاون والتعاطف مع الإنكليز. وكان هناك ملاكون عندهم أراض زائدة وغير عامرة، واليهود يتقدمون لشرائها بأسعار مغرية.

وأنشأ اليهود جمعية باسم جمعية السلام بين العرب واليهود لتهوين أهداف اليهود وتجريعها للعرب على أنها أهداف سلام وتعايش ووفاق مع العرب. وفسر الإنكليز وعد بلفور بأنه ليس من أهدافه فرض دولة أو رعوية يهودية، ولا غمط حقوق العرب ولا إخلال بمركزهم. وكان في الوعد ثم في صك الانتداب تحفظات مطمئنة لمن يريد أن يقنع بذلك التفسير، ولم

(1) كتب هذا المقال بطلب من مجلة حضارة الاسلام ونشر في عددها العاشر لسنتها التاسعة ذي الحجة 1388 ـ شباط 1969.

تكن الوقائع قد تسارعت لتكذب ذلك.

ولقد ظلت الهجرة اليهودية والإقتصاديات اليهودية متعثرتين طيلة العقد الثالث، فكان هذا مما ساعد على تثبيت وهمية الصهيونية. وأغرى الإنكليز أولياءهم من المسلمين والمسيحيين الذين كان منهم رؤساء بلديات وأعضاء لجان فخرية، وأصحاب أراض يريدون لها البيع، ومخاتير قرى، وأصحاب مصالح متنوعة أخرى، وموظفون كبار يهمهم الاحتفاظ بمناصبهم ووجاهتهم، وأبناء أسر إقطاعية يطمحون إلى احتلال مناصب رئيسية في الحكومات الخ الخ بشعار (خذ وطالب)، ليقودوا تيار التعاون معهم. وعقدوا الآمال الإيجابية على هذا التعاون. وأغرى الإنكليز بالإضافة إلى ذلك بعض الأسر الوجيهة البارزة على التنافس والبروز. وكان هذا يتلازم أو يقتضي التزلف إليهم، وإغراء بعض الفئات بمسايرة المتزلفين حتى يحفظوا التوازن من جهة، ويجعلوا هذه الفئات لا تقف موقف العداء الصريح الشديد من جهة أخرى.

وننبه على أن هذه التيارات إنما كانت تجري بين فئات معينة من عادتها وطبيعة تكونها أن تكون على السطح والوجه، وأن الجمهور العربي الأعظم وبخاصة المسلم مع فريق كبير من فئاته القيادية الواعية كانوا مع الخط السليم من وجوب العداء للإنكليز والصهيونية معاً ومن وجوب كفاحهما.

على أن هذا لم يكن ليمنع تلك الفئات من التناحر مستغلة ضعف الحركة الصهيونية، بحيث أدى ذلك إلى أن يدور الكفاح الفلسطيني طيلة العقد الثالث في نطاق العمل والنضال في الدرجة الأولى ضد النمو والتوسع والتسلط اليهودي، وفي سبيل إقامة حكم نيابي يستطيع أن يمنع ذلك أولاً، ويتطور إلى معاهدة استقلالية مع الإنكليز في ظل وجودهم ومركزهم الممتاز على غرار ما كان يسعى إليه المصريون والعراقيون والسوريون، بحيث أنهم حينما يحصلون على ذلك تكون أكثريتهم العظمى في هذا الحكم التي لم تكن لتنزل في آخر العقد الثالث عن 85٪ ضامنة لهم الاستمرار في ذلك وضمانة لبقاء الصبغة العربية لفلسطين. وظل هذا ما يطلبونه من الإنكليز ويقومون في سبيله بالمظاهرات ويعقدون الاجتماعات ويقدمون الاحتجاجات ويرسلون الوفود، وكان يرافق ذلك في هذه المرحلة انفجارات ضد اليهود في المناسبات، لتعبر عن سخط العرب على ما يبدو من السلطات الإنكليزية من مسايرة لمطامع اليهود في الهجرة أو التشريع أو الحماية أو المساعدة على حيازة الأرض العربية وأراضي الدولة وإخراج المزارعين العرب، وتشجيع المصنوعات والمشاريع اليهودية، والإغضاء عن تسلح اليهود وتشكيلاتهم العسكرية.

ولقد أدى هذا الكفاح في هذه المرحلة إلى نتيجة إيجابية في صدد المطلب الذي كان يدور عليه فيها بعد ثورة البراق في صيف عام 1929، حيث قررت لجان التحقيق التي أرسلها الإنكليز في سنة 1930 أن غبناً صارخاً قد وقع على العرب، أخل بالتحفظات التي تضمنها وعد بلفور وصك الانتداب في صدد عدم الإضرار بمركزهم وحقوقهم، وأن الواجب يقضي بالتحول عن ذلك وتلبية مطالب العرب بمنع بيع الأراضي لليهود، لأنه لم يعد في أيدي العرب من الأراضي ما يكفيهم، وتحديد الهجرة لأن البطالة كثيرة في البلاد ولا تستوعب مزيداً من العمال المهاجرين، ثم بمنح البلاد حكماً نيابياً. وأصدرت الحكومة الإنكليزية كتاباً أبيض

تعهدت فيه بالعمل بهذه التوصيات. فوقفت الصهيونية من هذا التعهد موقفاً صارخاً، حتى أجبرت الحكومة الإنكليزية على التراجع عنه، وصادف هذا وقت بروز هتلر وحركته ضد اليهود، فاتسع تراجعها إلى أن انقلب إلى فتح باب البلاد لسيل عارم من اليهود، وضرب كل آمال العرب ومطالبهم بعرض الحائط.

وحينئذ رفعت الفئات الواعية من العرب الذين كانوا يرون مكافحة الإنكليز واليهود معاً شعار (الإنكليز رأس البلاء)، وصاروا يدعون إلى توجيه النضال ضدهم مباشرة. ويندددون بالذين يسايرون الإنكليز بأية حجة وعذر.

وقام حزب الاستقلال على أساس هذا الشعار، وصار يدعو إلى ترسيخه والاندماج فيه وتوسيع نطاقه، وأدى هذا إلى مواقف إيجابية، حيث ارتفعت الأصوات بعدم التعاون مع الإنكليز، وطلب استقالة رؤساء وأعضاء البلديات واللجان المشتركة، ومقاطعة الحفلات الحكومية كخوطة أولى يعقبها خطوات الامتناع عند دفع الضرائب واستقالة الموظفين الخ.

وقد عقد اجتماع عام في يافا لهذا الأمر شهده ممثلون لجميع الفئات والتيارات، وتقرر فيه الاستجابة لهذه الأصوات والسير في طريقها، مما فيه دلالة على تأثير الدعوة الجديدة نتيجة لموقف السلطات الإنكليزية المتحيزة الخطرة المتراجعة التي لم يجرأ أولياؤها على تبريرها. ثم قررت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني السابع العام التي كانت تضم ممثلين عن جميع التيارات أيضاً القيام بمظاهرات احتجاجية ضد السلطات بدون ترخيص، بسبب عدم ارعوائها عن موقفها الذي تجسم به الخطر الصهيوني بقوة.

ونفذ القرار في القدس في أيلول عام 1933، وسار في المظاهرة أعضاء اللجنة التنفيذية وعدد كبير من الزعماء والعلماء فضلاً عن جماهير الشعب العظيمة. ووقع اصطدام بين المتظاهرين والسلطات. ومع ذلك فإن اللجنة التنفيذية بسائق من الحماس المتقد والشعور بالخطر والخطورة، قررت إقامة مظاهرة مماثلة في يافا في الأسبوع التالي. وقامت المظاهرة فعلاً، وكانت أعظم جمهوراً وحماساً من الأولى. وتكرر الاصطدام بمقياس أوسع، حيث استشهد وجرح العشرات، واعتقل عدد كبير من قادة المظاهرة من أعضاء اللجنة التنفيذية وغيرهم. وأدى كل هذا إلى تنبه شديد ظل يشتد حتى انفجر بحركة عصبة الشهيد القسام رضي الله عنه وعنهم، التي كانت قد بدأت قبل هذا الظرف بأمد ما.

فقد كان خطر الصهيونية والانسجام الإنكليزي القوي معه قد أصبحا ملموسين من جميع الطبقات وبخاصة طبقة العمال الذين يجيء المهاجرون الجدد ليخطفوا اللقمة من أفواههم.

وكانت حيفا مركزاً هاماً من مراكز العمال العرب الذين كان كثير منهم من مشردي مزارعي القرى التي بيعت لليهود، وأجلوا عنها بمختلف الوسائل دون أن يلقوا من السلطات حماية مجدية، وكان لهؤلاء العمال حي خاص مساكنه من التنك والخشب. فأخذ يظهر من هذه الطبقة رجال جهاد منذ سنة 1930، حيث أخذوا يقومون بغزوات جهادية على اليهود ومستعمراتهم في قضاء حيفا.

ثم كانت فيما بعد حلقات أو خلايا جهادية متدينة وسرية ضيقة النطاق محكمة التشكيل، كل فرد منها يجهز نفسه بنفسه، ويقومون بأعمالهم باسم الجهاد. لم تستطع السلطات أن

تكشف أسرار هذه الحلقات أو الخلايا أو تحول دون غزواتها بالرغم مما بذلته من جهد وبالرغم من اعتقال بعض أفرادها. وكانت أعمالها توجه ضد اليهود تارة وضد الإنكليز تارة وضد السماسرة والجواسيس تارة، فلما أخذ الخطر يتفاقم باتساع الهجرة وبيوع الأراضي دون أن يبدو من السلطات أي اهتمام لتوقيفه، وأخذ القلق يزداد في أوساط العرب ويثير سخطهم وخوفهم. وكان ما كان من دعوات إلى تشديد المكافحة ضد السلطات التي كان من نتائجها تلك المظاهرات الدامية، أخذت رغبة تلك الحلقات الجهادية تشتد في توسيع نطاق حركاتها وفي إعلان الجهاد على الإنكليز واليهود معاً، فكانت عصبة القسام أول من خطا الخطوة الجديدة.

ولقد كان رحمه الله وطيب ثراه لاذقاني البلاد، ومن رجال العلم والدين، وكان على صلة وثيقة ببعض أركان حزب الاستقلال، وكان متصلاً بأوساط العمال في حيفا، وكانت روحه وعظاته منسجمة مع فكرة الجهاد ووجوبه، وكان بارعاً في الوعظ نافذاً به إلى أعماق النفوس، فتحلق حوله أفراد من الحلقات الجهادية ربما بلغ عددهم الخمسين، وقد اتفق هو ورهط منهم على فتح الباب، فتجهزوا وخرجوا إلى أحراش يعبد في قضاء جنين وعلى طريق حيفا في تشرين الأول لعام 1935 وكان عددهم عشرة، وهم يوسف الزيباوي من قرية الزيب، وحنيفة المصري البلد، ونمر السعدي من غابة شفا عمرو، وأسعد المفلح من أم الفحم، وحسن الباير من برقين، وأحمد عبد الرحمن جابر من عنبتا، وعربي البدوي من قبلان، ومحمد اليوسف من سبسطية، ومحمد الحلحولي من حلحول، ومعروف الحاج جابر من يعبد. وأخذوا يركزون أنفسهم ويدعون إخوانهم للانضمام إليهم، وشعرت السلطات بهذه الحركة الخطيرة، فسارعت إلى قمعها قبل تفاقمها، وأرسلت قوة مختلطة من إنكليز وعرب إلى الأحراش فطوقت العصبة. ولم يكن لهذه بد من الدخول في المعركة قبل الأوان، ولو لم يكن أي تكافؤ في القوة والاستعداد للمعركة المفاجئة. وتبادلت القوتان النار واستشهد الشيخ عز الدين واثنان من رفاقه هما يوسف الزيباوي وحنيفة المصري. وجرح اثنان هما نمر السعدي وأسعد المفلح، واعتقل الأحياء بما فيهم الجريحان. وكان ذلك يوم الأربعاء المصادف لتاريخ 1935/10/11[1].

ولقد كان للحادث أثر بليغ في نفوس العرب. فأثار عواطفهم وأهاج أعصابهم بحدته وما انطوى فيه من خطورة وإقدام وجدة، فقابلوه بمظاهرة جياشة من الإكبار، حتى لقد خشيت السلطات من هذه المظاهرة وانزعجت أيما انزعاج. وبعد أن وصفت العصبة بالأشقياء عادت إلى التهدئة ولم تذكرها بسوء. وسلمت جثث الشهداء لذويها، وأغمضت العين عن الاحتفال بدفنهم، فكان مشهد مهيب اشتركت فيه الجماهير مع وفود كبيرة من خارج حيفا[2].

---

(1) كتب لنا الأستاذ أكرم زعيتر أن هذا الحادث كان في 1935/11/20 وما ذكرناه هو ما استقر في ذاكرتنا. وقد رأينا أن نسجل أيضاً ما ذكره الأستاذ.

(2) قرأنا حين تبييض هذا المقال مقالاً لأحد الكتاب زعم فيه أنه لم يكن مشهد كبير، وأنه لم يشهده أحد من رجال الأحزاب والحركة الوطنية. وهذا غير صحيح قطعاً. فقد جاء من خارج حيفا عدد كبير من رجال الأحزاب والحركة الوطنية. وقد ذهبت أنا من القدس وذهب غيري من القدس ويافا ونابلس وعكا وصفد وجنين، وشهدنا هذا الموكب الذي لم تكد حيفا تشهد أعظم منه جمعاً وحماساً.

ولقد ضربت هذه العصبة الجهادية مثلاً عالياً على التضحية والإقدام مجردين من كل غرض أو مأرب دنيوي أو شخصي. وغدا اسم القسام وعصبته لا يذكر إلا مع ألفاظ التكريم والإجلال. وكان الحادث من الحوافز النفسية القوية للأحداث التي تلته بعد أشهر قليلة، حيث أعلن الإضراب العام في 20 نيسان 1936 نتيجة مباشرة لاشتباكات وقعت في يافا وضواحيها بين عرب ويهود الذي امتد ستة أشهر، وانفجرت في أثنائه الثورة الكبرى على مرحلتين: الأولى انتهت بتدخل ملوك العرب بناء على وعد الإنكليز، وكانت نهايتها بمثابة هدنة لم يلق بها العرب سلاحهم واعتبروا أنفسهم ظافرين، منتظرين نتائج ذلك التدخل. والثانية بعد صدور قرار تقسيم فلسطين في خريف 1937 وإنشاء دولة يهودية في قسم منها وضم باقيها إلى الأردن. حيث استأنف العرب جهادهم الذي قوى واتسع وشمل كل فلسطين، حتى غدت تحت سيطرة الثوار ريفها ومدنها. وتكبد الإنكليز واليهود فيها خسائر فادحة، وأجبر الإنكليز على التراجع عن التقسيم وإلغائه، وتسجيل استجابتهم لمطالب العرب في الكتاب الأبيض الذي أصدروه في ربيع عام 1939، والذي وعدوا فيه بوقف الهجرة وبيع الأراضي والوقوف في إنشاء الوطن القومي عند الحد الذي وصل إليه. واعتبار أنفسهم أنهم أتموا واجبهم الذي ارتبطوا فيه نحوه، وإنشاء حكم نيابي دستوري بأكثرية عربية يتطور حتى يصل إلى الاستقلال كما كان ذلك شأن مصر وسورية ولبنان والعراق.

* * *

(59) الجذور القديمة لأحداث بني إسرائيل واليهود وسلوكهم واخلاقهم مارس 1969

الفصل الأخير من رسالتنا

وفي هذا الفصل استطراد إلى الموقف الحاضر وشرح له وتقرير للواجب المحتم على العرب إزاءه. وهذا ما جعلنا نرى من المفيد إيراده في هذه المجموعة.

ومن العجيب المذهل في أمر هذه الجرثومة الخبيثة أنها بينما تلح على طلب الصلح من العرب، وتعلن رغبتها في السلام وحسن التعايش معهم، وتبدي شديد التهالك على ذلك، تمعن في إيذاء العرب أشد الأذى مادياً ومعنوياً، وبكل وسيلة، وفي كل موقف، وعلى مختلف الصور والمستويات. وتوالي تصريحاتها في التوسع والعدوان، حيث تقترف ضد العرب في الأرض المحتلة جرائم القتل والتدمير والتشريد والنسف والاعتقال والتعذيب والحجر والمصادرة والسلب والعدوان على الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية وتغيير معالمها ومعالم البلاد المغتصبة، وتوطين المهاجرين فيها، وتطرد مئات الآلاف من أهلها بأقسى صور العذاب والأذى والإرهاب والتجريد من كل شيء. تفعل هذا في الأرض المحتلة وتوالي قصف البلاد العربية المجاورة لها بالطائرات والمدافع والقنابل المحرمة، فتقتل الآمنين وتدمر مساكنهم ومزارعهم ومنشآتهم بكل قسوة ولؤم وغدر. ولا تفتأ تظهر الاستعلاء والصلافة والزهو والغرور والاستهتار بعواطفهم ومقدساتهم، وتظل تعلن تصميمها على الاحتفاظ بما اغتصبته من أرض العرب، ونهبته

من أموالهم وأملاكهم، وعلى منع عودة من شردته وطردته منهم، وعلى توسيع نطاق عدوانها وشرها والاستيلاء على مزيد من أرض العرب وإحضار المزيد من المهاجرين وتوطينهم فيها حتى تقوم دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، ضاربة بالرأي العام العالمي ومقررات هيئة الأمم عرض الحائط، ومتنكرة لكل ما وقعت عليه من عهود ومواثيق عامة وخاصة، وغير عابئة بما يزيده ذلك من حقد العرب عليهم، وسوء ظنهم في نياتها وشدة شعورهم بخطرها القريب والبعيد على بلادهم ووجودهم.

فعلت كل ذلك بكل ما فيه من قسوة وبربرية ولا إنسانية في سنتي 1947 ـ 1948، وفعلته في سنة 1956 حينما اعتدت على قطاع غزة وسيناء مع إعلانها ضمهما إليها، بالإضافة إلى ما كان منها تجاه أهلها وممتلكاتهم من قتل وتدمير. وحينما أجبرت إلى الانسحاب منهما أعملت مرة أخرى يد القتل والتدمير فيهما. وفعلته وما زالت تفعله في الذين بقوا في الأرض المحتلة سنة 1948. بالإضافة إلى ما صادرته من أملاكهم، وسنته من قوانين تمييزية صارمة، وفرضته عليهم من حياة ذليلة، وفعلته وما تزال تفعله منذ الخامس من حزيران 1967 في الأراضي التي احتلتها من جديد فضلاً عن سلسلة الإعتداءات والتحرشات اللئيمة الغادرة طيلة هذه السنين وإلى الآن على حدود البلاد العربية والمناطق المجردة، مما بلغ عدده الآلاف المؤلفة، حيث يبدو من كل ذلك أن السلام الذي تنشده وتتهالك عليه هو استسلام العرب وتسليمهم بكل ما فعلته ونسيانه، والتعامل معهم على أساس واقعهم القوي المفروض. وهذا هو المنسجم مع الجبلة الشريرة الغادرة التي توحيها لهم جذورها من كونها غير مسؤولة تجاه الغير عن كل جريمة ترتكبها ضده، ومن كون ما في يد الغير هو حلال لها من حقها أن تستولي عليه بكل وسيلة، ومن كون ما يصبح في يدها من ذلك يغدو ملكاً دائماً لها ولو كان حراماً سحقاً واغتصاباً، ولا يمكن أن تفرط بشيء منه أو تتنازل عن شيء منه مهما تفه.

وقد لخص القرآن الكريم ذلك في آية سورة آل عمران هذه:

(ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل[1]..).

وفي آية سورة النساء هذه:

(أم لهم نصيب من الملك فإذن لا يؤتون الناس نقيراً).

وكل هذا يجب أن يجعل العرب متيقنين بأن لا أمان ولا استقرار إلا باجتثاث هذه الجرثومة الخبيثة من أرضهم بالقوة الحربية التي لا بديل لها معهم، لأنهم لن يتخلوا عن أرض العرب وحقهم إلا بها، وهم يقولون هذا بصراحة في كل مناسبة. وكل تساهل في ذلك أو فتور من عربي رسمي أو غير رسمي خيانة عظمى نربأ بأي عربي فيه دين وشرف ونخوة أن تبدر منه. بل لو تركهم العرب وشأنهم في البقعة التي اغتصبوها أو في جزء منها وصالحوهم كما يقول العملاء الخائنون والجبناء الانهزاميون وتنازلوا لهم عن كل ما اقترفوه فيهم من جرائم ونهبوه من أموالهم وأملاكهم لما تركوهم. وكل ما في الأمر

(1) الأميين بمعنى الأمم الأخرى غير اليهود، والآية تعني أنهم يخونون أي أمانة تدخل في أيديهم من الأمم، لأنهم يقولون أنهم غير مسؤولين عن شيء تجاهها.

أن ذلك يكون لهم فرصة يستجمون فيها ليعودوا إلى العدوان والبغي والتوسع. لأن ذلك من صميم ما توحيه لهم جذورهم القديمة، ويترسمونه بالتضامن مع الاستعمار الباغي.

ومن فضل الله أن العرب قاطبة رسميين وغير رسميين مدركون لأبعاد هذه القضية وخطر العدوان اليهودي على جميع بلادهم ومطامحهم القومية والاجتماعية، ومصممون على مقاومته وإحباطه، وأن عرب فلسطين يعتبرون أنفسهم الطليعة التي لها الدور الأول والأسبق في ذلك، لأن بلاء العدوان قد انصب عليهم مباشرة بكل قسوة وشراسة ولؤم. ونتيجة لذلك حاولوا المرة بعد المرة بعد قيام دولة اليهود أن يقوموا بحركة تحريرية، ثم استأنفوا ذلك منذ بدء سنة 1965، واستمر بحمد الله دون انقطاع. وقد حملت رايته هذه المرة منظمة الفتح بجناحها العسكري (العاصفة)، ثم اشتد ذلك. وانضوى في الكفاح تنظيمات عديدة، بحيث توشك الحركة أن تغدو إن شاء الله حركة تحرير شعبية يعضدهم فيها جميع إخوانهم على مختلف المستويات ومادياً ومعنوياً، حتى تحقق هدفها مهما طال الزمن وعظمت التضحيات. وإنه لمن المأمول وفي حيز الإمكان أن يتكون خلال وقت غير طويل جيش تحرير شعبي عظيم تحت قيادة قوية تنثال كتائبه العديدة يومياً على الأرض المغتصبة من كل ناحية فتزرع فيها الرعب والتدمير، وتجعل حياة المعتدين جحيماً، وتشل نشاطهم، وتخرب منشآتهم، وتوقف نموهم إلى أن تنهار دولتهم المجرمة.

ويجدر بنا أن ننبه على أمر حتى لا يلتبس مع الشعار الرسمي الذي يدور الآن وهو إزالة آثار العدوان. فهذا الشعار يراد به إجلاء اليهود عن الأراضي التي احتلوها نتيجة لعدوان حزيران 1967. والظروف الدولية الحاضرة قد لا تسمح للحكومات العربية بأكثر من ذلك سواء بالسياسة أم بالقوة. وهو واجب الحكومات العربية في الدرجة الأولى والمباشرة، وحقها سواء بالسياسة أم بالقوة العسكرية الرسمية، التي يجب على هذه الحكومات أن تعدها على كل حال على أوسع قياس وأشده وأقواه، حتى ولو كان احتمال الحل السياسي وارداً، لأن القدرة العسكرية هي التي تجعل هذا ممكناً بصورة مرضية.

وقد قلنا أن الظروف الدولية قد لا تسمح للحكومات بأكثر من ذلك، أي لا تسمح للجيوش العربية بالتوغل في أرض فلسطين المحتلة ونسف الدولة اليهودية فيها. لأن فلسطين ليست من الوجهة القانونية أرضاً لدولة عربية أخرى، فليس من سبيل للدول العربية التي هي أعضاء في هيئة الأمم وموقعة على ميثاقها الذي يمنع أية دولة من العدوان على أرض دولة أخرى. وإسرائيل من الوجهة الدولية دولة معترف بها وعضو في هيئة الأمم، في حين أن الهدف الأساسي والجوهري للعرب يجب أن يكون اجتثاث دولة اليهود من أرض فلسطين، والذي لن يكون للعرب جميعهم أمان ولا سلام ولا ازدهار ولا وحدة بل ولا طمأنينة على حريتهم واستقلالهم إلا بتحقيقه.

وهذا ما يمكن أن تضطلع به حركة تحرير شعبية يكون الفلسطينيون طليعتها، لأنهم أصحاب الحق الشرعي والقانوني والطبيعي في بلادهم. وكانت إقامة دولة اليهود رغماً عنهم وبدون مراعاة لحقهم المقرر في المواثيق الدولية بتقرير مصيرهم. وقد رفضوا الوجود اليهودي القومي منذ أول يوم عرفوا بوعد بلفور، وظلوا يرفضونه بكل شدة وإصرار، لأنهم كانوا وما يزالون قانونياً وشرعياً أصحاب أرض

فلسطين ومرافقها منذ عشرات القرون، وهم الذين لهم من حقهم وطبيعتهم ما يجعلهم مؤهلين لتحقيق ذلك الهدف، وتكون الحكومات العربية مع عامة الشعب العربية في الأقطار الأخرى من ورائهم ممولة مجهزة مهيئة لأسباب الحركة والانطلاق والكر والفر والتدريب والحماية والرفد البشري، مع واجب استعداد الدول العربية لحماية حدودها وأجوائها في الوقت نفسه إذا ما حدثت الجرثومة الخبيثة نفسها بعدوان انتقامي بسبب مساعدة حركة التحرير وتقويتها وحمايتها.

ويتردد من حين لآخر أن تكون تسوية قضية فلسطين وحلها بتنفيذ قرارات هيئة الأمم في سني 1947 ـ 1949، التي تنص على تخصيص قسم معين من فلسطين لليهود وآخر للعرب، ليقيم كل منهما دولة فيه، وعلى تدويل القدس، وعلى عودة اللاجئين إلى مواطنهم واسترداد أملاكهم وأموالهم، والتعويض على من لا يريد العودة، فيتخلى اليهود بذلك عما اغتصبوه من قسم العرب من مدن وقرى بما في ذلك مدينة القدس الجديدة والقديمة، ويرضون بعودة اللاجئين من أهل القسم المخصص لهم إلى مواطنهم فيه. وتسلم لهم أملاكهم وأموالهم ويعوض عليهم ما تبدد منها، وغلة السنين التي دخلت في ذمة الدولة اليهودية، ويعوض عن كل ذلك لمن لا يود العودة. وقد كان هذا مما ظلت تطالب به بعض الحكومات العربية منذ سنة 1949، لأنها ليس لها سبيل للمطالبة بغير ذلك ما دامت مرتبطة بالمواثيق الدولية وعضواً في هيئة الأمم.

ومن المتعذر جداً إن لم نقل من المستحيل أن يقبل اليهود بهذا الحل، بعد أن جعلوا العالم يسلم بواقعهم الذي كان قبل الخامس من حزيران، المتجاوز لقرارات هيئة الأمم، وجعلوا التخلي عنه قضية غير مطروحة، ونقلوا القضية إلى التشكيك في تساهلهم وتخليهم عن جميع ما احتلوه من جديد وفعلوه بعد الخامس من حزيران، إلا أن يضطروا إليه نتيجة لما سوف يقع عليهم من ضغط النضال العربي وضراوته واشتداده ونصيحة من أنصارهم كتسوية مهدئة. أو نتيجة لمعركة رسمية بينهم وبين الدول العربية تستطيع بها الجيوش العربية أن تدخل الأرض المحتلة القديمة، فتتدخل هيئة الأمم لإخراجها وتكون الظروف مواتية لعدم إرغامها على الخروج بالقوة، فلا تخرج إلا بتحقق ذلك على الأقل، لأنه تنفيذ لقرارت هيئة الأمم. وقد يضمن هذه الحل استرداد قسم من حق العرب من الأيدي المغتصبة، وتضييق الخناق على الدولة اليهودية وتعجيل انفجارها وانهيارها، حيث يتخلى اليهود عن مدن القدس ويافا واللد والرملة وبير السبع واسدود وعسقلان والناصرة وعكا وشفا عمرو، وما يتبعها من مئات القرى وملايين دونمات الأرض، ويعود إليها أصحابها. وحيث تضطر الدولة المجرمة إلى سحب مئات آلاف اليهود الذين وطنوا في هذه المدن والقرى والأراضي، بالإضافة إلى اضطرارها إلى إدخال نصف مليون فلسطيني عربي من أهل الأقسام المخصصة لها في قرار التقسيم.

غير أن هذا الحل لا يمكن ولا يصح أن يكون حلاً نهائياً يرضى به العرب ويسكتون عليه، وكل ما في الأمر أنه قد يكون مرحلة من مراحل النضال التي تعجل انفجار وانهيار الدولة المجرمة إذا ما جاء من هيئة الأمم تنفيذاً لقراراتها. ودون أن يكون له ثمن كاعتراف الحكومات العربية بهذه الدولة والتعامل معها. وليس لهذه الحكومات ولا يجوز لها وليس من

صالح أمنها وسلامتها ذلك. وليس من حل نهائي إلا تقويض دولة اليهود وعودة جميع فلسطين إلى حظيرة العرب وسيادتهم، والاستمرار في النضال دون ما هوادة إلى أن يتحقق ذلك.

وهذا أمر مصيري لجميع العرب لا يمكن التهاون فيه. لأن دولة اليهود تظل على أساس ذلك الحل قائمة على أرض عربية مغتصبة، وجذورها التي تستوحيها ستدفعها دائماً إلى تهيئة أسباب العدوان على الأرض العربية، والعدوان عليها فعلاً، وإلى التآمر مع الاستعمار على الأمة العربية والبلاد العربية، وتبقى بكلمة أخرى مصدرهم وخطر مستمر لهم ومبعث قلق واضطراب للمنطقة جميعها. ولن يكون للعرب أمان ولا استقرار ولا وحدة ولا طمأنينة إلا بزوالها بالمرة.

ولقد عادت شرذمة من سبي بابل إلى القدس في القرن السادس قبل الميلاد بإذن من ملك فارس، فلم تلبث أن أثارت الاضطراب في المنطقة على ما كان عليه عددها من ضآلة وضعف. وعاد الصراع بينهم وبين جيرانهم في أرض فلسطين والبلاد المجاورة لها، كما كان الأمر حين طروئهم لأول مرة في القرن الثاني عشر قبل الميلاد. ولم يعد للمنطقة وأهلها طمأنينة واستقرار إلا بعد انقلاع جرثومتهم منها في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، وهو الاستقرار الذي نعمت به نحو ألفي سنة، إلى أن جاؤوا يعكرونه في هذه الحقبة بعدوانهم وجرائمهم وتآمرهم مع الاستعمار الباغي.

ولقد كان قدومهم الجديد في أواخر القرن الماضي يتسم بالمسكنة والتهيب والبراءة والتفاهة. وكل ما صار لهم عند انتهاء الحرب العالمية الأولى بضع مستعمرات وعدد لا تكاد نسبته تزيد عن خمسة في المئة من أهل البلاد. ولكن ذلك كان نواة كبرت وفرخت بما كان من حوافز العدوان فيها ومؤازرة الاستعمار لها، حتى تمكنت من إقامة دولة على أشلاء أهلها، وغدت الهم المقيم المقعد المهدد بالأخطار العظيمة لجميع أهل المنطقة. ولهذا كله فإن الهدف الأساسي وهو إزالة دولتهم من أرض فلسطين يجب أن يبقى هدف نضال عربي شامل مستمر إلى أن يتحقق.

ولقد كشف عدوان هذه الدولة المجرمة في الخامس من حزيران 1967 على أراضي البلاد العربية المجاورة سوء نيتها ضد العرب وبلادهم قاطبة أشد كشف بما سفكته جديداً من دمائهم ونهبته من ثرواتهم، ودمرته من قراهم وأملاكهم، وغيرته من معالم مقدساتهم وبلادهم، وشردته من أهلها مجردين من كل شيء، واستعملته من بالغ القسوة في القمع والتعذيب والمطاردة مع كل الفئات ومختلف الوسائل، وبما أظهرته من عنجهية وصلافة، وأعلنته من مقاصد توسعية في بلاد العرب، دون أن ترعى في ذلك شرفاً ولا خلقاً ولا عهداً ولا ميثاقاً، مستهترة بإنكار العالم وقرارات هيئة الأمم، ومؤيدة من الدولة الطاغية الكبرى الولايات المتحدة ومن يدور في فلكها. مما يجعل العرب أشد شعوراً بالخطر وأشد تصميماً على النضال حتى النهاية لإزالة هذه الجرثومة الخبيثة من بلادهم دون تراجع ولا تساهل ولا مهاودة.

ويتردد سؤال عن مصير اليهود الذين احتشدوا في الأرض المغتصبة بعد زوال دولتهم منها، وجواباً على ذلك نقول إن العرب لم يكونوا مسؤولين عن حشدهم وقد حشدتهم الصهيونية العالمية والاستعمار بغياً وعدواناً، كما نقول في

نفس الوقت إن العرب ما كانوا ولن يكونوا أعداء للذين يدينون بالدين اليهودي إذا ما قبلوا أن يعيشوا معهم كجماعة دينية، كما كان شأن كثير منهم في مختلف أنحاء بلادهم خلال ثلاثة عشر قرناً كانوا فيها آمنين مطمئنين على أرواحهم وأموالهم، متمتعين بحرياتهم الدينية وغير الدينية، ومتساوين في حقوق المواطنة، خلافاً لكل البلاد الأخرى التي وجدوا فيها، وكان حظهم منها الاضطهاد والمذابح والنهب.

ولقد كان من أظلم الظلم وأشد دواعي النقمة أن يكافئهم الصهيونيون المجرمون على ذلك باعتدائهم على بلادهم وعزمهم على قلعهم منها وتشريدهم عنها والحلول محلهم بقوة الحديد والنار. وبما أوقعوه فيهم واقترفوه معهم من قسوة وجرائم رهيبة. ومن عجيب المفارقات وفاحشها أن يمارسوا ذلك فيهم كمكافأة لما كان منهم نحوهم من حسن المعاملة والحماية، وما تمتعوا به في كنفهم من حرية وطمأنينة. وأن تشجعهم عليه الدول الاستعمارية الباغية بحجة إنقاذهم من الأذى والاضطهاد الذي كانوا يلقونه منهم ومن إخوانهم في أوروبا، وأن يسوغ سائر اليهود ذلك ويندمجوا فيه.

ومع كل ذلك فالشيمة الإسلامية العربية تسيغ قبول بقاء من يرضى البقاء في فلسطين كجماعة دينية غير متآمرة مع الاستعمار، متخلية عن كل دعوى قومية وعنصرية وصهيونية، كافة أيديها وألسنتها عن أذى العرب والمكر بهم والكيد لهم، مع تمتعها بحقوق المواطنة مثلهم. على أن يكون ما في أيدي الباقين من ثروة منقولة وغير منقولة من جهدهم وكسبهم وليست نهباً وحراماً من ثروة العرب، وأن يردوا ما في أيديهم من ذلك إلى إصحابه. أما من لا يرضى بذلك فيكون عليه أن يرحل بعد رد ما في يده من ثروة عربية ومغتصبة إلى بلاد أخرى طوعاً أو كرهاً.

ونحن لا نجهل صعوبة تحقيق الهدف المذكور، بل وكونه أصعب هدف عالمي اليوم. فدولة اليهود كما قلنا معترف بها من معظم دول الأرض التي لا تسيغ إزالتها وتعترف لها بحق البقاء وتصر عليه بما في ذلك أصدقاء العرب المخلصون، ومؤيدة أشد تأييد مادي ومعنوي وأوسعه من الصهيونية بل واليهودية العالمية المتغلغلة في كل قرنة من قرن الأرض. وهي متحالفة في الوقت نفسه مع أعتى قوة استعمارية امبريالية تترسم إبقاء البلاد العربية تحت هيمنتها واستغلالها، وفي حالة تفتت ووهن، ومؤيدة منها أشد تأييد مادي وسياسي بمختلف الوسائل والمظاهر والمواقف. وهي إلى هذا كله دولة متقدمة في مختلف المجالات والميادين العلمية والفنية والتنظيمية والصناعية والزراعية والتجارية والسياسية والدعائية بدرجة عالية تجعلها في عداد الدول المتقدمة. وفيها حشد عظيم من الكفاءات العلمية والفنية، وقد حصلت على أكثر من عشرين مليار دولار كمساعدات وقروض وهبات وتعويضات، واستوردت أموالاً ضخمة للاستثمار، واستطاعت بكل ذلك أن تقيم آلاف المصانع والمعامل والمستعمرات، وأن توطن مئات آلاف المهاجرين، وأن تستثمر ما في الأرض من معادن، وأن تنتفع بكل ما يجري فيها وإليها من ماء، وأن تنشيء علاقات سياسية واقتصادية وثقافية وفنية قوية مع معظم دول الأرض وتكسب أنصاراً أقوياء. وامتدت إلى آسيا وإفريقية في غفلة من العرب، تعرض صداقاتها ومساعداتها وخبراتها، وتتظاهر بالبراءة وحسن النية، محاولة بذلك كسر الطوق الاقتصادي الذي ضربه عليها العرب ونجحت في ذلك نجاحاً غير يسير. وقد استطاعت

بأجهزتها الهائلة، وبالتعاون مع الصهيونية العالمية والاستعماريين البغاة أن ترسخ باطلها العدواني المجرم في أذهان أكثر الدول والشعوب، حتى كاد يصبح وجودها الواقعي قضية مسلمة، واستطاعت أو كادت عبر ذلك أن تطمس حق العرب الساطع كالشمس، وقد نشأ فيها جيل قومي شديد الاعتداد بنفسه، شديد التصميم على الدفاع عن وجوده، شديد اليقين بأنه في أرض آبائه وأجداده، شديد التطلع والعزم على التوسع شمالاً وشرقاً وجنوباً حتى تقوم دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات. وبسبيل ذلك فإنها دولة عسكرية بكل معنى الكلمة، وتترسم أن تكون متفوقة عسكرياً في كل شيء على الدول العربية مجتمعة، ونسبة التجنيد فيها بسبيل ذلك لا يدانيها فيها أحد ولا تكاد تصدق. فهي عشرة في المئة من سكانها رجالاً ونساء. ويؤيدها في كل ذلك الصهيونية العالمية التي تضم معظم اليهود إيديولوجياً ومادياً ومعنوياً، الذين يعتبرون ولاءهم لها مقدماً على ولائهم للدولة التي يعيشون فيها، ويؤيدها الاستعمار الامبريالي لمصالحه ومآربه، وتنفق على جيشها بناء على ذلك أكثر من 40٪ من ميزانيتها، وهو أعلى مما تنفقه دولة على جيشها، وميزانيتها تزيد عشر مرات بنسبة ميزانية الدول العربية، فهي في سنتي 1967 - 1968 ألف وسبعمائة مليون دولار لسكان لا يزيدون عن مليونين ونصف. وتقدم نفسها لليهود في أي مكان كممثلة وحامية ومنقذة وملجأ أمين، وتجعلهم بذلك يزدادون انكماشاً عن المجتمع الذي يعيشون فيه محتفظين بيهوديتهم وطابعهم المميز، مسارعين دائماً إلى مساعدتها مادياً ومعنوياً، وتعتبرهم رأس مالها البشري الذي تعتمد عليه في الحياة وفي الأمن وفي الدعاية وفي الحرب وفي المساعدات المالية، وفي التوسع العدواني. وتبذل جهودها إلى درجة الاستماتة في جلب المزيد منهم إلى فلسطين، وتعدهم بالوعود المغرية حتى تستطيع أن تقيم إسرائيل الكبرى، ثم تجعل سائر البلاد العربية مجالاً حيوياً لها اقتصادياً وسياسياً.

ومقابل ذلك فإن العرب الذين لم يمض إلا أمد قصير على خلاصهم من الاستعمار المباشر، في حالة تثير المضض من الفقر والوهن والتخلف وعدم التواثق فيما بينهم، مما هو أثر من آثار ذلك الاستعمار، والسبات الطويل الذي كانوا مستغرقين فيه قبله، ولم يمر عليهم الوقت الذي يتيح لهم تلافي ذلك، وقد ترك الاستعمار بعد جلائه عن بلادهم ركائز وأجهزة وتوجسات ومصالح ومآرب من شأنها أن تمد من عمر تلك الحالة، فضلاً عن أنه دائم التحريك لها.

غير أن كل ذلك لا ينبغي أن يكون مانعاً للعرب من النضال في سبيل تحقيق ذلك الهدف مهما كلفهم من عظيم التضحيات واستغرق من أمد طويل.

بل يجب أن يكون من حوافز أمر اشتدادهم في ذلك، لما يمثله من خطر عظيم عليهم. وليس لهم خيار فيه ولا مناص عنه ولا بديل له، فالأمر بالنسبة إليهم أمر موت وحياة ومصير ووجود واستقرار وأمان، فضلاً عن كونه أمر كرامة وشرف ووطنية.

وليس في الكون حيوان فضلاً عن إنسان يسلم نفسه للقضاء برضائه ودون حركة دفاعية ما ولو ضحى فيها نفسه.

على أن هناك علامات على الطريق تنير

الظلمات وتبعث الأمل في التغلب على المصاعب.

لقد ناضل العرب نضالاً شعبياً تحريرياً رغم ما كانوا عليه من تخلف ووهن أشد مما هو الآن ضد الاستعمار والاحتلال الأجنبي في كل بقعة من بلادهم، في آسيا وافريقية، وانتصروا عليه وأجلوه عن بلادهم في النهاية.

ولقد ناضل الشعب العربي في فلسطين طيلة ثلاثين عاماً نضالاً مريراً ضد أعتى قوتين عالميتين، أي الأمبراطورية البريطانية والصهيونية العالمية، وسجل انتصارات رائعة عليهما. وكان في مثل تلك الحالة المريرة من الوهن والتخلف. ولقد كان في إمكانه أن يحرز النصر النهائي عليهما ويمنع قيام دولة البغي والشر عام 1948 ويحبط قرار تقسيم سنة 1947 كما أحبط قرار تقسيم سنة 1937، بعد أن حصر اليهود في جحورهم وضيق عليهم الخناق، لو لم تقصر الحكومات العربية التي كانت تحت هيمنة الإنكليز في مده بما يتيح له الصمود.

وفي كل ذلك مظاهر حيوية كامنة في العرب تجعلهم يقدمون على النضال والتضحيات الجسيمة في سبيل الدفاع عن الوجود والشرف والحياة الحرة الكريمة.

وللعرب إمكانيات عظيمة وطاقات ضخمة، وجذور راسخة في وطنهم الكبير الممتد من الخليج إلى المحيط، يتفوقون بها على خصومهم إذا ما صمموا على الصمود وجدوا وصدقوا واستطاعوا أن يحسنوا استعمال طاقاتهم وإمكانياتهم، وقوادهم المخلصون يعلنون عزمهم على ذلك، وجماهيرهم متجاوبة متحمسة تعلن معهم تصميمها على الصمود وغسل العار وأخذ الثأر وتطهير الأرض العربية من رجس الغاصبين. وقد كانت ضربة الخامس من حزيران شديدة التنبيه والهز للعرب جميعهم، حتى لكأنهم كانوا في حاجة إليها ليبصروا نواقصهم وأخطاءهم وشدة الأخطار المحدقة بهم، ولتشتد عزائمهم على التلاقي والنضال.

ومن الحق أن نذكر أن التخلف العربي الراهن ليس جبلة في العرب الذين أثبتوا قابليتهم العظمى للتقدم عبر الحضارة الباذخة التي أنشأوها، والتي هي من أسس نهضة العالم الغربي وحضارته وتقدمه، وإنما هو نتيجة السبات الطويل ودسائس وأساليب الاستعمار الذي بلي به العرب في المائة سنة الأخيرة. وأن زواله وعودة العرب إلى نشاطهم الحضاري التقدمي أمران ميسوران مع الوقت. والعرب الآن سائرون قدماً في سبيل ذلك، وقد استطاعوا أن يحققوا إنجازات كبيرة في جميع بلادهم في مجالات التعليم والتصنيع والزراعة والتجارة والعمران والتنظيم والفنون واستغلال الثروات الكامنة.. الخ، مما غير كثيراً من صور التخلف والجهود مستمرة في سبيل التوسع في كل ذلك، مما يفتح باب الأمل في استمرار التغيير يوماً بعد يوم.

ودولة اليهود بعد كل هذا كيان مصطنع في كل شيء، فلا قومية صحيحة ولا تجانس، ولا لغة واحدة، ولا اكتفاء ذاتي، ولا سوق مستوعبة، والرقعة التي تحتلها ضيقة قليلة المعادن والماء، وفيها مساحة كبيرة تعادل نصفها قاحلة جدباء، والتناظر شديد بين ما يسمى باليهود الشرقيين واليهود الغربيين، ويتحكم الأخيرون في الدولة ومناصبها ومرافقها، ويعاملون الأولين معاملة الأدنى، مما يعرض الدولة للاضطراب والاهتزاز.

ولا سيما أن الشرقيين يكادون يبلغون النصف أو يزيدون، وبرغم الدعايات الجبارة المستمرة التي يرافقها كثير من الإغراء والإغواء والإرهاب لجلب المزيد من المهاجرين، فإن سيلهم الذي تدفق في بدء قيامها قد خف بل كاد يتوقف. وأخذت هتافات زعمائها لليهود تذهب سدى.

بل ولقد كان تأثير الأيديولوجية الصهيونية في الهجرة وظل ضعيفاً، فلم يأت إلى فلسطين منذ سنة 1918 إلى الآن بتأثيرها إلا الأقل. أما الأكثرية العظمى فهي ممن كانوا يتعرضون للاضطهاد أو يعانون الفقر والبطالة. وكل من يجد رزقاً وأماناً فهو ممتنع عن المجيء رغم الجهود الجبارة كما هو الحال في أميركا وأوروبا الغربية. ولقد نضب معين الفئة الأولى، واشتد نضوبه في السنين العشر الأخيرة. ولقد أخذ الرعب يدب في المغرر بهم، وصاروا يسارعون إلى الفرار كل ما وجدوا السبيل إليه، حتى غدت هاتان المسألتان من أهم ما يقلق الدولة وزعماء الصهيونية أشد القلق، ويرون فيهما الخطر الرهيب على الكيان المصطنع الذي أقاموه.

وحياة الدولة اليهودية من ناحية أخرى ونتيجة لما تقدم مرتبطة من كل ناحية كل الارتباط بالمساعدات العسكرية والاقتصادية والعلاقات الخارجية على اختلاف مصادرها الرسمية وغير الرسمية واليهودية وغير اليهودية. وعلى استمرار ذلك كله، وأي طارىء فوق العادة تتوقف به هذه المساعدات والعلاقات وتنقطع به الصلة التي تربط هذه الدولة بالخارج يجعلها تنهار آلياً. وهي من ناحية أخرى في وسط خضم عربي عظيم محدق بها أشد الإحداق. ومعادٍ لها أشد العداء، ومقاطع لها أشد مقاطعة، ومتربص بها أشد تربص، وشاعر بخطرها عليه أشد الشعور.

وهو يعد قوته للإنقضاض عليها بكل عزم وتصميم، وهو في حالة نمو عددي وعلمي وصناعي وعسكري واقتصادي مستمرة، ولا بد من أن يصل في فترة غير طويلة إلى آماد بعيدة، كما سوف يصبح عدده أضعاف ما هو عليه، وقد التزموا بشعار عام ارتبطت به حكوماتهم، فضلاً عن هيآتهم وعامتهم في كل قطر، وهو أن لا صلح ولا اعتراف بالدولة اليهودية ولا مساومة ولا تفريط بحقوق شعب فلسطين كاملة في وطنهم.

ولقد كان الصهيونيون ومساعدوهم من المستعمرين يظنون أن مرور الزمن قد يضعف اهتمام أهل فلسطين بوطنهم ويسلموا هم وسائر العرب بالأمر الواقع. وأن تواري جيل النكبة من شأنه أن يسهم في ذلك إسهاماً كبيراً، فخاب ظنهم أشد خيبة، بما كان من اشتداد تعلق العرب قاطبة بفلسطين، وغدو قصتها قضيتهم الكبرى، التي يجب توجيه كل جهادهم وجهودهم إلى حلها حلاً جذرياً باستئصال الجرثومة الخبيثة. ثم بما كان من نشوء الجيل الجديد على ذلك كله، وعلى عمق الشعور بارتباطه بهذه القضية، وصلتها بمصيره وحياته وكرامته وعزته ومصير حياة الأجيال الآتية، وكل هذا سوف يبقي القضية حية نامية تشتد حياة ونمواً مع الزمن.

وللعرب إلى هذا أصدقاء مخلصون، ومنهم الأقوياء الذين يؤيدونهم ويتضامنون معهم ويمدونهم بمختلف المساعدات، وقد أخذت القضية تكسب قطاعات هامة رسمية وشعبية من الرأي العام العالمي كانت ضحية تضليل الصهيونية والاستعمار وخداعهما، فانكشف لها ذلك بما كان من عدوان الدولة اليهودية بمختلف الأساليب البربرية، ومن استهتارها بالمواثيق

الدولية وقرارات هيئة الأمم والهيئات الدولية الأخرى، ومن صلافتها وزهوها.

وهناك خطوات عربية جادة في سبيل استكمال أسباب القدرة العسكرية على مواجهة دولة الشر وتقويضها من هذه الأرض نتيجة لذلك العزم والتصميم. فكل ذلك علامات وبشائر بإمكان التغلب على صعوبة ذلك الهدف من دون ريب.

يضاف إلى هذا أن حركة التحرير الشعبية المسلحة التي استؤنفت بعد ركود طويل في بدء سنة 1965 في سبيل تحقيق ذلك الهدف قد أخذت تشتد وتتسع بعد عدوان حزيران 1967، وينضوي إليها الآلاف المؤلفة من المجاهدين، وتكبد المعتدين من الخسائر الجسيمة في الأرواح والمنشآت، وتزرع في الأرض المغتصبة والغاصبين الرعب والذعر والاضطراب، وتجبر الكثيرين من اليهود على الفرار، وتمنع من تحدثه نفسه بالهجرة، وتشعر السلطات المجرمة بشدة وطأتها، وتصبح لها هماً شديد الإقلاق والإزعاج والتعطيل، وتبعث الأمل بالنمو والشمول حتى تصبح كاسحة شاملة، فيتحقق فعلاً الهدف الذي لا أمان للعرب ولا استقرار ولا وحدة ولا ازدهار ولا تكامل بل ولا حرية ولا استقلال صحيح إلا بتحقيقه واستئصال الجرثومة الخبيثة من الأرض العربية، فتضيف بذلك مثلاً جديداً على نجاح الشعب في مختلف الأدوار والأقطار ضد هذه الجرثومة الخبيثة في جبلتها وجذورها.

وفي ما جاء في القرآن الكريم في مواقف مماثلة بالنسبة ليهود المدينة في زمن النبي ﷺ الأمل والقوة، حيث جاء في سورة الحشر هذه الآيات: (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار).

(ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب).

وفي سورة الأحزاب هذه الآيات:

(وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديراً).

***

(60) رسالة من الكاتب إلى اللجنة التنفيذية لمنظمة تحرير فلسطين 1 صفر 1389 ـ 1969/7/18

السادة رئيس وأعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة تحرير فلسطين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فقد كنت كتبت للجنة قبل عهدكم، ثم كتبت إليكم ملحاً على ضرورة إيجاد جهاز خاص ليتولى رعاية أسر الشهداء والمصابين من المجاهدين. ولما استطاع نفر من إخوانكم الفلسطينيين في دمشق أن ينشئوا (جمعية رعاية أسر وشهداء ومجاهدي فلسطين)، ويبذلوا جهوداً عظيمة للحصول على موارد لها وباشروا مهمتهم فعلاً منذ سنة ونصف، وتصبح جمعيتهم في حالة تمكنها من ترتيب مخصصات شهرية لنحو خمسمائة أسرة وتوزعها عليهم بانتظام، كتبت

لكم باعتمادها من قبلكم أيضاً وتخصيصها بنصيب من جبايتكم لتقوم بمهمتها قياماً شاملاً، وتنشىء فروعاً لها في المناطق الأخرى بسبيل ذلك.

ولقد علمت مؤخراً أن اللجنة قررت إنشاء جهاز خاص باسم (مؤسسة رعاية أسر الشهداء والمصابين). وأنا لا يهمني إلا إيجاد الجهاز الخاص ليقوم بهذه المهمة التي أعتبرها ضرورية جداً ومقدسة جداً ولا تقل ضرورتها وقدسيتها عن ضرورة الجهاد وقدسيته، لأنها وسيلة مهمة إليه، فأنا أبارك قراركم وأتمنى للمؤسسة التوفيق في مهمتها.

وحينما اقترحت أن يكون لهذه المهمة جهاز خاص منفصل عن المنظمة، ورشحت جمعية دمشق لتكون هذا الجهاز، هدفت إلى ضمان استمرار القيام بالواجب المقدس تحت أي ظروف وإلى ما شاء الله، من حيث أن أسر الشهداء يصبحون وديعة في أعناق الأحياء، ويجب عليهم الوفاء للشهداء الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل الوطن والقيام نحو أسرهم بواجب الرعاية والعناية.

ولقد قرأت النظام المقرر لهذه المؤسسة فرأيته غير ضامن لذلك الهدف. وفيه تناقض في نفس الوقت، فبينما ينص على أن المؤسسة مستقلة ذات شخصية اعتبارية تستطيع أن تتملك وأن تقاضي وأن تتقاضى وأن تفتح حسابات الخ الخ وهذا ضروري جداً لدوام عملها، فإنه ينص على أنها تابعة لمنظمة التحرير، وأن فروع المنظمة هي فروع لها، وهذا يعرضها لما يمكن أن تتعرض له المنظمة من طوراىء قد تصل إلى التعطيل والمصادرة لأنها منظمة سياسية، وفضلاً عن ذلك فإن النص الوارد في نظامها لا يضمن لها ما أريد لها من شخصية حقوقية، لأنها ستعمل في نطاق سيادة الدول التي هي فيها، والمنظمة ليست ذات سيادة تستطيع أن تمنح المؤسسة تلك الشخصية الحقوقية.

فلضمان ذلك يجب أن تتقدم المؤسسة أولاً إلى السلطات الحكومية في عمان، وتحصل منها على ترخيص باعتبارها جمعية خيرية لها اعتبار وشخصية حقوقية مستقلة. وأن يتقدم ثانياً كل فرع تنشئه المؤسسة في غير الأردن إلى السلطات الحكومية في بلد الفرع للحصول على ترخيص مماثل. فهذه نقطة مهمة تتصل بحياة وعمل ومستقبل المؤسسة.

وما دام في دمشق جمعية مرخصة بنفس الاسم، فأرى أن تكون هي فرع المؤسسة المعتمد في القطر السوري، فتكون تابعة لها مالياً وإشرافاً، ويغنيها ذلك عن الجهد للحصول على ترخيص جديد.

ولقد خيل لي وأنا أقرأ نظام المؤسسة أنه سوف يكون لها عدد كبير من الموظفين الرئيسيين والثانويين في المركز والفروع قد تبتلع مرتباتهم قسماً كبيراً مما يجبى ويخصص باسم أسر الشهداء والمصابين. فرأيت كمواطن حريص على سمعة العمل الوطني وله فيه تجارب من هذا الباب أن أناشدكم وأناشد المؤسسة بدون قصد المساس بعواطف أحد والتدخل بشؤون أحد أن يقتصد في التوظيف والمرتبات إلى أقل حد ممكن، حتى لا تغدو المؤسسة مؤسسة موظفين وروتين.

والله المسؤول أن يوفق الجميع إلى ما فيه السداد والصواب وحسن التدبير والله يحفظكم.

ولقد تلقى الكاتب من اللجنة التنفيذية جواباً جاء فيه: (ان اقتراحنا أحيل لمؤسسة أسر الشهداء لدراسته وإبداء الرأي فيه). والله يلهمنا الصواب.

(61) رسالة من الكاتب إلى أركان حركة القوميين العرب[1] 20 تشرين الثاني 1969

الاخوان المحترمين

تحية واحتراماً. وبعد فقد هممت أكثر من مرة أن أكتب إليكم في صدد انقباض تنظيمكم الفدائي (الجبهة الشعبية) عن الدخول فيما دخل فيه معظم التنظيمات الفدائية، والانسجام التام معها، في المجلس الوطني واللجنة التنفيذية.

ولقد أظهرت استعدادي للحضور إلى عمان والمشاركة في تقريب وجهات النظر في أثناء جريان الحوار للأخ عبد المجيد شومان، وطلبت منه أن يهتف لي بفائدة بذلك، ولم آخذ منه خبراً، حيث تبادر لي أن الحوار قد انقطع.

ولا أكتمكم أني استغربت وما أزال استغرب استمرار انقباضكم، وقد سمعت منكم حينما تحدثنا في أمر وحدة العمل الفدائي وضرورتها حينما شرفني الدكتوران حبش وحداد بزيارتهما في دمشق في كانون الثاني 1968، ثم حينما اجتمعت بالدكتور حبش في بيروت في شباط 1969، أنكم مستعدون لذلك، وأنكم مدركون كل الإدراك مدى ضرورته ووجوبه.

ولقد سنحت لكم فرص ذهبية كنت آمل أن تجعلكم حصافتكم أن لا تفوتكم، وذلك حينما وجهت المكائد والضربات ضد العمل الفدائي كافة في لبنان وفي وقت ما في الأردن، فتعلنوا تضامنكم مع سائر التنظيمات وانضمامكم إلى قيادة الكفاح المسلح، فيكون في هذا كرامة وشرف لكم وخلاص من الموقف الانقباضي الانفرادي الذي لا يوافقكم عليه فيما أعتقد أحد من أصدقائكم فضلاً عن غيرهم.

ولقد سمعت من بعض الأصدقاء وقرأت في بعض الصحف أسباباً مبررة لهذا الموقف، وأقول بصراحة أني لم أقنع بما سمعت وقرأت، ومن العجيب أني حينما اجتمعت بكم وتحدثنا في الأمر لم أسمع منكم التبريرات التي سمعت وقرأت أنكم تسوقونها بحيث يتبادر لي أنها تداركية لتعليل موقف سابق لأسباب غيرها لا أدري كنهها الصحيح، ولكن مناظروكم يصفونها بأنها شكلية وفي صدد المراكز والمناصب. ولا سيما أن العمل الفدائي مقدر له أن يطول، وقد يستغرق جيلكم فضلاً عن جيل ما قبلكم وعن جيلنا قبله. وليس فيه مجال لغير العمل الفدائي الميداني والتضحية، بحيث يكون من التزمت والسبق الكثير إثارة أي جدل حول ما ينبغي السير فيه من تنظيمات وقواعد اجتماعية وسياسية حينما يتحقق الهدف بالنصر النهائي...

والشواهد قائمة على أن التنظيمات القوية البارزة في العمل مؤمنة بوجوب رفض كل حل نصفي، ورفض كل تراجع عن هدف تقويض الدولة اليهودية وعودة جميع فلسطين إلى حظيرة السيادة العربية، ووجوب النضال ضد كل التفاف حول العمل الفدائي ووقف مسيرته أو عرقلتها والاستمرار عليه بكل قوة وتصميم، إلى أن يتحقق هذا الهدف مهما طال الزمن وعظمت التضحيات.

وإني أناشدكم بوطنيتكم وقوميتكم وشرفكم بأن تنتهوا عن هذا الإصرار على موقفكم الذي يظل يثير عليكم النقد والتجريح، ويمنح الفرصة

---

(1) ارسل هذا الكتاب للدكتور جورج حبش والدكتور وديع حداد والسيد هاني الهندي أركان حركة القوميين العرب التي تتبعها منظمة الجبهة الشعبية الفدائية. وقد ذكرنا في ذيل سابق ظروف تعرفنا بهم.

لمن يريد أن يغمزكم دون جدوى، وأن تؤكدوا أنه يسعكم ما وسع معظم التنظيمات، وأنكم لستم الأفضل ولا الأعقل ولا الأحرص من غيركم على العمل الفدائي حاضره ومستقبله. وليس من محل ولا مجال للتفكير في غيره الآن وإلى أمد غير قصير. وقد أثبتت الأحداث أن غيركم في مستوى المسؤولية والواجب في كل ذلك.

وإني لوطيد الأمل في أن تلقى مناشدتي لكم الأذن الصاغية والقلب الواعي والاستجابة السريعة، وأن لا يكون لأي أمر شكلي وتشريفي تأثير على ذلك. وكل ذلك ميسور حله مع الروح الطيبة والاستجابة الحسنة المبدئية.

وأحب أن أستطرد إلى القول أني غير قانع وغير راضٍ بأن تبقى وحدة العمل الفدائي في نطاقها الحاضر المسمى باسم (قيادة الكفاح المسلح) الذي هو اسم أكثر منه فعلاً. وأن الذي كنت ومازلت أترسمه وأطلب تحقيقه هو قيادة موحدة ينضوي فيها كل المجاهدون والفدائيون وكتائب جيش التحرير، ويناط بها كل شأن من شؤون العمل التحريري الميداني تخطيطاً وتدريباً وتجهيزاً وتمويلاً وإعلاماً في نطاق القيادة الجماعية التي تخضع فيها الأقلية للأكثرية، وتلتزم فيها الأقلية بقرار الأكثرية في كل شيء ودون أن تحتفظ التنظيمات داخلها بشخصياتها مما يعني تعدد الولاءات والإنتماءات. ومما يؤدي الى استمرار التناظر والتنافس والتناقض، ثم إهدار الجهود وبعثرة القوى وعرقلة الأعمال. وقد كنت وضعت منهاجاً لذلك وأرسلته إلى اللجنة التنفيذية منذ أكثر من سنة.

ولقد قيل حينما أنشئت قيادة الكفاح المسلح أن هذه خطوة مرحلية سيعقبها خطوة نحو الاتحاد والاندماج الأقوى والأوثق، وهذا مانزال ننتظر تحقيقه.

والله المسؤول أن يوفقنا جميعاً ويسدد خطانا إلى ما فيه الخير والحق والصواب والنصر النهائي.

* * *

(62) رسالة من الكاتب إلى الدكتور أنيس الصائغ 7 كانون الأول 1969

الأستاذ الفاضل الدكتور أنيس الصائغ مدير مركز الأبحاث الفلسطينية

تحية واحتراماً. وبعد، فإني متابع لأخبار فضائح مذابح ماي لاي الفيتنامية وغيرها التي ارتكبها الضباط والجنود الأميركيون والتي تهز ضمير العالم وتثير اشمئزازه في كل صقع بما في ذلك الولايات المتحدة ورجالاتها، حتى اضطروا إلى إجراء تحقيقات ومحاكمات وإيقاع عقوبات على مقترفيها. وماتزال أخبارها تتصدر وسائل الإعلام، وآخر فصل مركز قرأته في أهرام الخميس 4 كانون الأول 1969 وقد نشرت الأهرام قبل تفصيلات وبحوثاً ومقتطفات مما نشرته صحف العالم من ذلك، ولا بد من أنكم متابعون ذلك مثلي.

ولقد اقترف الضباط والجنود الإسرائيليون مذابح وفضائح لا تقل عنها هولاً وبشاعة في الكيفية والكمية والظروف بل تزيد، مثل مذبحة دير ياسين سنة 1948 وكفر قاسم 1956، ومذابح مدن قطاع غزة عند احتلاله سنة 1956، بالإضافة إلى أحداث كثيرة مماثلة فردية وجماعية بعد هذه السنين وقبلها، وبعد الخامس من حزيران، اقترفوها ومايزالون

يقترفونها بالإضافة إلى ما يقترفونه من تعذيب تقشعر منه الجلود.

وأنا أعرف أن مركزكم نشر بعض هذه الجرائم في سياق بحوث أخرى، وأن الصحف والكتب نشرت تفصيلاً لبعضها في سياق حوادث أخرى. وفي مناسبة قدوم لجنة حقوق الإنسان الدولية التي حققت بقرار من اللجنة في فظائع الإسرائيليين اللاإنسانية واللاأخلاقية في الأرض المحتلة، وحصلت على تفصيلات ووثائق كثيرة مثيرة. وفي أمانة الجامعة العربية مكتب خاص يتعقب ويسجل مثل هذه الأحداث على ما فهمت مما قرأت في الصحف.

وقد خطر لي أنه يكون من المفيد جداً في هذه الظروف أن يضع المركز بحثاً خاصاً في تفصيل المهم المثير من هذه الجرائم القديمة والحديثة باللغات الأجنبية المهمة بعنوان مناسب مثل: (فضائح الإسرائيليين اللاإنسانية واللاأخلاقية في فلسطين) أو (فضائح ماي لاي الفلسطينية التي يقترفها النازيون الجدد في فلسطين)، وتوزيعه بمقياس واسع على الصحف والمجلات والهيئات والمكاتب والحكومات الأوروبية والأميركية والآسيوية والافريقية.

وأملي وطيد بأنكم سوف ترون رأيي وتهتمون لتنفيذه وتشرفوا عليه بما عرف منكم من اهتمام ودأب وتركيز.

وتفضلوا بقبول فائق احتراماتي.

* * *

(63) رسالة من الكاتب إلى السيد ياسر عرفات 1969/12/31

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ المناضل أبا عمار حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ودعاء لله عز وجل بأن يحفظكم ويؤيدكم في جهادكم المبرور الصادق مع رفاقكم الأبرار. وأن يقي جهادكم وأشخاصكم من الغدر والكيد والمكر والخيانة. وأن يثبتكم ويمدكم بكل أسباب القوة والصمود إلى أن يتحقق هدف الجهاد المقدس بتقويض بنيان الدولة الصهيونية المجرمة وعودة وطننا العزيز إلى حظيرة العروبة والإسلام، وهو الدعاء الذي أكرره في صلاتي كل يوم.

وبعد فإني بعد أن رأيت مؤتمر الرباط ينتهي إلى ما انتهى إليه، ويظهر أن المعركة الرسمية المتحركة الحاسمة قد تتأخر أكثر مما كان يظن. وصار الناس يرون في الثورة الفلسطينية الشعبية أملهم الأقوى ومعولهم الأعظم، في حين أن العمل الفدائي إذا ظل يسير في نطاقه الراهن من التعدد وبعثرة الجهود لا يتجاوب مع ذلك الأمل الكبير، رأيت أن أكتب إليكم كتابي هذا راجياً إمعان النظر فيما جاء فيه وإعارته الاهتمام الذي يستحقه.

إنكم تذكرون ولا شك شدة إلحاحي وتوكيدي عليكم وعلى رفاقكم في صدد وحدة العمل الفدائي قيادة وتخطيطاً وجباية وإعلاماً وتدريباً وتموينا وتجهيزاً. وكون ذلك هو الوسيلة الوحيدة إلى منع هدر الجهود والطاقات وبعثرتها، وإزالة الحساسيات والمنافسات، وتجميع وحشد طاقات أمتنا العظمى، وتحويل هذا العمل إلى الحرب التحريرية الشاملة التي

يتوقف عليها تحقيق ذلك الهدف المقدس.

ولقد كنت كما تذكرون أغتنم كل فرصة نجتمع بها لتوكيد ذلك، وكتبت لكم شخصياً عقب اختياركم لرئاسة اللجنة، وتحدثت معكم حينما اجتمعنا لآخر مرة في بيت أخي المرحوم، وكتبت أكثر من مرة في ذلك إلى رجال اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير في مختلف أدوارها قبلكم، وتكلمت معهم وجاهاً أكثر من مرة كذلك في هذا الأمر. وكان إلحاحي وتوكيدي يتناولان أيضاً مسألة كتائب جيش التحرير التي مازالت مجمدة ولم تندمج في العمل الميداني باستثناء بعض العناصر، مما كان وظل يعطل على العمل قوة دفع عظيمة مدربة مجهزة منظمة، وجدت في أصلها وتهيأت له. وقد قدمت للجنة منهجاً رجوت أن يكون أساساً صالحاً لإقامة الوحدة. وكتبت في الصحف أكثر من مقال أبين ضرورة هذه الوحدة، وكونها مقياساً لإدراك رجال الجهاد والمنظمات الفدائية لمدى وأهداف العمل الفدائي الذي يتقدم الناس إليه زرافات راضين بتضحية أنفسهم في سبيل غاياته المقدسة.

ولقد كنتم وإخوانكم تظهرون لي أنكم مدركون لضرورة ذلك كل الإدراك وتعدون ببذل كل جهد لتحقيقه. وكان هذا أيضاً ما كنت أسمعه من رجال اللجنة التنفيذية قبلكم، ومن رجال العمل الفدائي حينما كنت أجتمع بهم وأتحدث معهم.

وأنا أعرف أن جهوداً بذلت من جانبكم ومن جانب منظمات أخرى ومن جانب عناصر كثيرة رسمية وغير رسمية في هذا السبيل، لأن توحيد العمل صار شعاراً عاماً ومطلباً قومياً ملحاً. ولقد كان من آثار ذلك أولاً المكتب العسكري عقب مؤتمر القاهرة ـ كانون أول 1967 الذي دعوتم إليه. وحينما جاءني أبو جهاد وأعطاني نسخة من البيان الذي صدر عقب المؤتمر قلت له إن هذا لا يسد الثغرة ولا يحقق الهدف وسيبقى حبراً على ورق. وهكذا كان.

ثم قامت في نطاق المنظمة قيادة الكفاح المسلح التي بدت أكثر تماسكاً وأدوم إسماً، ولكنها هي الأخرى لم تسد الثغرة وتضمن الغاية المنشودة، حيث بقيت كل التنظيمات المنضوية فيها محتفظة بشخصياتها وجباياتها وتمويلها وتخطيطها وقياداتها وارتباطاتها وإعلامها. كما كان ذلك عقب المؤتمر القاهري ونشوء المكتب العسكري. ومن التناقض أنه مع أن قائد الكفاح المسلح صار هو قائد كتائب جيش التحرير عامة، وكان ذلك خطوة مهمة موفقة، فإن ذلك لم يؤد إلى تغيير جذري في حالة الجمود التي تكتنف معظم هذه الكتائب. ولقد قيل إن قيادة الكفاح المسلح خطوة أو مرحلة سيعقبها خطوات أو مراحل في سبيل التوحيد المنشود، ولقدمضى على نشوئها أكثر من سنة، ولم يلمح تبدل ما في حالتها، وظلت كما يشعر كل الناس شكلية ومراسمية.

ومن الحق أن يعترف المرء بأن عمليات المقاومة متصاعدة، وأن آثارها تشتد يوماً بعد يوم، وصارت تشتد إليها الأسماع والأنظار وتبشر بأعظم مشاعر الكرامة والعزة والاستبشار، غير أن من الحق والواجب أن يقال أيضاً أنها لم تتحول إلى حرب تحرير ولا بداية صحيحة لها، لأن ذلك كان وسيظل رهناً بقيام القيادة الموحدة الشاملة النافذة ميدانياً وتخطيطاً وجباية وإعلاماً وتمويلاً وتجنيداً وتدريباً وربطاً وضبطاً، المندمجة فيها كتائب جيش التحرير.

ولقد مضى سنتان ونصف على اتساع العمل الفدائي الذي كان لفتح وعاصفتها الفضل في

بدايته قبل خمس سنين، وآن له أن يتحول إلى حرب تحرير شاملة، مما يجعلني أناشدكم وأناشد رفاقكم والواعين من رجال اللجنة والمنظمات مضاعفة الجهود في سبيل تحقيق ذلك. وأناشد بنوع خاص جماعة (فتح) التي هي الأكثر بروزاً وملئاً للأسماع والأبصار، والتي تتحمل مسؤولية عن الموقف متناسبة مع ذلك، حيث يجعلها هذا مطالبة أكثر من غيرها ببذل كل تضحية ولو كانت على حساب بروزها ومركزها القوي، لتحقيق تلك الغاية التي يهبون في سبيلها في اعتقادي كل شيء، لأنها هي وحدها التي سوف تبدل صفة العمل الفدائي الراهن إلى صفة الحرب التحريرية الشاملة، والتي سوف يظل هذا العمل في نطاقه الراهن المحدود مهما بدا أنه متصاعد، إلى أن يتبدل إلى هذه الصفة. ولا سيما أن هناك من يهمس قائلاً أنه صار عند جماعة فتح والعاصفة عقدة كونهم الأفضل والأبرز والأصلح والأكثر تأهلاً، وأن هذه العقدة تمنعهم من السير نحو التوحيد الفعال بجد ضناً بما صار لهم من اسم داوٍ يملأ الأسماع والأبصار، وأنهم يترسمون أن يفرضوا اسمهم على الحركة الجهادية وينفردوا بقيادتها، وأن هذا قد أثار حساسية التنظيمات الأخرى وجعلها تتعصب لكياناتها وشخصياتها وقياداتها وتفعل كل شيء في سبيل ذلك.

وأنتم تعرفون مقدار تعاطفي مع فتح وعاصفتها منذ بروزها، ووثوقي بإخلاص رجالهم وإيمانهم الذي دفعهم إلى ميدان الجهاد في الظلمات الحالكة ليغيروا الموقف الجامد الرهيب الذي ظلت قضيتنا تقف فيه عشرين عاماً، واستطاعوا أن يبروا بوعودهم فيديموا الشعلة التي أشعلوها مضيئة رغم ما كان يهب عليها من رياح معاكسة من كل ناحية، حتى ثبتت ثم نمت وتعاظمت وصارت ملء السمع والبصر، وهذا يجعلني لا أصدق بما يهمس به الهامسون. وأفسر الموقف بواقع الظروف، وأقول للهامسين أن رجال فتح والعاصفة هم في المستوى القومي المطلوب الذي تتضاءل إزاءه كل الإعتبارات. وأنهم حتى لو ترسموا أن يفرضوا إسم حركتهم وقيادتهم على العمل فإنه إنما يكون اجتهاداً منهم بأنه الأولى والأفضل والأجدى من التعدد والتنافس وهدر الجهود، ثم الأضمن لدوام الجهاد.

على أن هذا لو صح فإنه يبدو من ظروف الموقف والعمل متعذراً جداً، وأن المصلحة العامة لتملي واجب الإقدام على عملية انسجام تجعل جميع المنظمات والمجاهدين ينضوون بها إلى قيادة واحدة بدون عقد وحساسيات. حيث يكون الرئيسي المهم من المنظمات ممثلاً فيها، وحيث يبذل الجهد في دمج الأخرى فيها. وحيث تكون القيادة جماعية تخضع الأقلية فيها للأكثرية في كل ما يتقرر في مجلسها، ويكون الشاذ عن ذلك معرضاً لعقوبات الإنضباط العسكري، ويناط بها كل ما يتصل بالعمل من تخطيط وتجنيد وتدريب وتجهيز وتوزيع وإعلام وربط وضبط، مع توحيد للجباية والتمويل على ما نصصت عليه في المنهج .

واني أخص جماعة فتح والعاصفة بالمناشدة لمضاعفة جهودهم والإقدام على ما يوحيه الموقف والمصلحة من تضحية ولو على حساب بروزهم ودوي إسمهم، في سبيل تحقيق تلك الغاية الملحة، وأعتقد أن ذلك مما سوف ييسر قيام القيادة الموحدة المنشودة. وإني أقول لهم ولغيرهم من قادة التنظيمات والمجاهدين إن بطولات أبطالنا وتضحياتهم العظيمة التي تشتد إليها الأنظار والأسماع في عالمنا والعالم

الخارجي، وتثير أعظم مشاعر الاغتباط والعزة والكرامة والآمال في أمتنا، وما هو مشاهد من عظيم إقبال شبابنا على الانضواء إلى الجهاد والتضحية، سيبقى كل ذلك في نطاق محدود وبعيد عن الاتصاف بصفة حرب التحرير الشاملة التي لن يتحقق هدفنا المقدس إلا بها. وإني أخشى إذا طال الأمر على هذا المنوال وظل العمل في نطاقه الراهن أن تتحطم الآمال العظيمة التي علقتها الأمة والعالم على ثورتنا العظيمة.

إن من المسلمات التي لا تتحمل إطناباً ولا توكيداً أن معركتنا ليست مرتبطة بمعركة حرب حزيران وآثارها التي لم تكن إلا أمراً عابراً، وهي من حيث استهدافها تقويض بنيان الدولة الصهيونية المدعومة أعظم الدعم من الصهيونية العالمية والاستعمار، وبخاصة الولايات المتحدة، سوف تكون قاسية وطويلة ومريرة. وإنه لا بد من حشد كل طاقة وعدم هدر أي جهد، وقد تستغرق مع ذلك أكثر من جيل، ولا ترتبط بأشخاص الجيل الذي أثارها وصعدها، وإنها هي التي يجب أن تبقى قوية مستمرة بقطع النظر عن الأشخاص والأجيال إلى أن تحقق هدفها المقدس مهما طال الزمن وعظمت التضحيات. وهذا ما يجب على كل مخلص مؤمن من الأشخاص القياديين الآن أن يعيه، ويوجب عليهم أن يرتفعوا عن كل حساسية ذاتية خاصة، وأن يضمنوا للمعركة دوامها وتصاعدها وصفتها المطلوبة. وكل هذا رهن كما أعتقد ويعتقد غيري بوحدة العمل قيادة وتخطيطاً وجباية وتمويلاً وإعلاماً وتدريباً وضبطاً وربطاً يندمج فيها جميع المجاهدين الآن وبعد الآن، ويصبح الجميع جيش التحرير الموحد.

والله أسأل أن يلهمكم ويلهم القياديين من رفاقكم ورجال المنظمات ورجال اللجنة ما فيه الخير والصواب، وأن يحقق أملنا الكبير بالنصر المبين إنه سميع مجيب، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز والسلام.

* * *

تعقيب:

من الواجب أن نسجل لأبي عمار ومنظمة فتح التي ينطق بلسانها موقفاً متجاوباً مع ما ناشدناه في دورة المجلس الوطني الفلسطيني المنعقدة في آخر مارس 1970، حيث قدم للمجلس مشروعاً توحيدياً أطلعنا عليه من محاضر المؤتمر هذا نصه:

إن المصلحة العليا للثورة الفلسطينية والتي أصبحت أيضاً مطلباً جماهيرياً تنطلق أساساً من تحقيق وحدة عسكرية حقيقية يتطلع إليها شعبنا، وتأمل (فتح) من خلال التزامها الإستراتيجي بهذه الوحدة، أن تتقدم بمشروعها المبين أدناه ليكون أساساً في الوصول إلى القرارات اللازمة التي تمكن من تحقيق هذه الوحدة العسكرية على أساس إقرارها مبدءاً وإقرار إنشاء المؤسسات اللازمة لها لتتمكن من السير بها عملاً وتنفيذاً. حيث أن (فتح) تتطلع من أجل تعزيز قدرة الثورة وتطوير العمل العسكري الثوري وتصعيده إلى وحدة الأداة التي تلتزم بإرادة القتال من أجل تحرير الأرض المحتلة ومجابهة كل القوى المتآمرة على مسيرة ثورتنا والإنتصار عليها. ومن أجل خلق هذه الأداة الواحدة القادرة على قيادة وممارسة وتصعيد الثورة ترى (فتح) ما يلي:

أولاً: تشكيل قيادة عسكرية واحدة للثورة الفلسطينية.

ثانياً: توضع القوات العسكرية العاملة في الثورة الفلسطينية تحت تصرف هذه القيادة التي يكون لها حق قيادة هذه القوات وتحريكها وتطويرها وتوجيه عملياتها.

ثالثاً: تشكل هذه القيادة من إطارين: الإطار الأول: مجلس عسكري يضم أعلى القيادات العسكرية في التنظيمات والمؤسسات الموجودة في الساحة الفلسطينية. والإطار الثاني: هيئة أركان وقيادة تنبثق عن المجلس العسكري.

رابعاً: أ ـ توزع أرض العمليات إلى قطاعات جغرافية. ب ـ يؤلف لكل قطاع مجلس قيادة لكافة قوات القطاع تمثل فيه القوات التي يزيد حجمها المستمر في القطاع عن سرية. ج ـ تكون قيادة القطاع لأكبر القوات حجماً وتواجداً في هذا القطاع.

خامساً: تلتزم جميع القوات بنظام موحد للتدريب والتسلح والتموين والخدمات. ويباشر فوراً في إعادة تنظيم هذه القوات.

سادساً: تباشر قيادة الثورة بإنشاء قوات مشتركة من هذه القوات يتولى الصندوق القومي مهمة الصرف عليها.

سابعاً: قرارات القيادة العسكرية ملزمة لكل القوى العسكرية المشتركة فيها. وعلى هذه القيادة تطبيق قراراتها بالشكل الذي تراه.

ثامناً: لا يحق لأي تنظيم أن يسحب أي قوة من قواته التي وضعها تحت تصرف هذه القيادة.

تاسعاً: تلتزم هذه القيادة بتعليمات وأوامر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية كقيادة عليا لها كامل السيطرة على قوات الثورة الفلسطينية جميعها.

ولقد تبنت اللجنة العسكرية التي شكلها المجلس الوطني في نطاق دورته هذا المشروع. ووصى المجلس بإقراره، وتوكيل اللجنة التنفيذية بإنشاء القيادة العسكرية الموحدة على أساسه على ما اطلعنا عليه من المحاضر أيضاً. وقد أقر المجلس التوصية، وقرر تشكيل لجنة مركزية تضم أعضاء اللجنة التنفيذية وممثلين عن المنظمات الفدائية ورئيس المجلس الوطني وقائد جيش التحرير وثلاثة أعضاء مستقلين، وقرر أن تكون لهذه اللجنة القيادة العسكرية والسياسية العليا، وأن تشكل هي القيادة العسكرية الموحدة على ما جاء في أهرام 5 حزيران 1970. وكنا نتمنى أن يتولى المجلس تشكيلها لئلا تتبعثر. ونرجو مع ذلك أن تصدق العزائم والنيات فيتم تشكيلها ووضع نظامها وفعاليتها بما يكفل الوحدة العسكرية الشاملة التي غدت مطلباً قومياً ملحاً يتوقف عليها تصعيد العمل الثوري وغدوه حركة تحرير شعبية شاملة.

وقد كتبنا في تاريخ 12 حزيران 1970 لأبي عمار رسالة عبرنا فيها عن اغتباطنا وتقديرنا لموقفه وموقف فتح في المجلس، وأكدنا المناشدة بوجوب السير قدماً في تحقيق وتنفيذ القرارات وهي المرقمة برقم (66).

* * *

(64) رسالة من الكاتب إلى منظمة تحرير فلسطين 4 محرم 1390 ـ 1970/3/12

السادة رئيس وأعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة تحرير فلسطين المحترمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فإنه يسعدني أن أبادر إلى إبداء اغتباطي للخطوات النافعة التي أدت إلى قيام القيادة الموحدة والجهود المبذولة في سبيل توطيد الوحدة

الوطنية عبرها. وأسأل الله أن يؤيد القائمين بهذه الخطوات والجهود حتى تبلغ الغايات المنشودة، سواء بقيام القيادة الموحدة الكفاحية لحرب تحرير شاملة تخطيطاً وتدريباً وتجهيزاً وتجنيداً وإعلاماً واندماج جميع التنظيمات الفدائية فيها اندماجاً تاماً، أو على الأقل تصبح هذه التنظيمات أجنحة لها مرتبطة بها في كل ذلك. أو سواء في اندماج من لم يندمج من التنظيمات الفدائية لهذه القيادة، أو من لم يندمج من الهيئات الوطنية والتشكيلات الوطنية إلى منظمة تحرير فلسطين، لتكون هي المعبر الوحيد الفعال للوجود والكيان الفلسطيني.

وإني أقرأ وأسمع من آن لآخر خبر قيام ندوات فكرية ومنشورات فكرية عن مستقبل فلسطين بعد التحرير. وأن ذلك يؤدي إلى أخذ ورد وتشاد وتضارب، بل اتهامات ومهاترات بين التنظيمات الفدائية والسياسية.

وأقل تفكير في الأمر يظهر أن هذا النقاش سابق لأوانه كثيراً جداً، وأنه معطل للقوى التي يجب أن تستقطب حول هدف واحد لا غير، هو تقويض كيان الدولة الصهيونية العنصرية، الذي يبدو من الظواهر أنه مازال بعيد، أو أنه قد يستغرق أمداً غير قصير بل وأكثر من جيل.

وإني أخشى ويخشى كثيرون غيري من أن يكون ذلك النقاش أو الخلاف حول مستقبل فلسطين وسيلة تتخذها بعض التنظيمات لتبرير احتفاظها بشخصياتها وعدم اندماجها التام في القيادة الموحدة، المطلوب أن تكون موحدة فعلاً كما قلنا تخطيطاً وتجنيداً وتدريباً وجباية وإعلاماً وضبطاً وربطاً الخ. ولتبرر احتفاظ التشكيلات السياسية والوطنية بشخصياتها كذلك، وعدم اندماجها التام في كيان منظمة التحرير. وفي هذا ما فيه من ثغرة خطيرة في قوة حركتنا الكفاحية والسياسية وشمولها.

وكذلك رأيت أن أكتب إليكم هذا لأناشدكم وأناشد أركان القيادة الموحدة والمجلس الوطني الذي علمت أنه يوشك أن ينعقد لمعالجة هذا الأمر بصورة حاسمة، حتى لا يبقى سبب لبلبلة فكرية واستمرار للإنقسام والتشاد والتباين بدون طائل في أمر سابق كثيراً لأوانه. وبحيث يكون الهدف الوحيد الأول لجهودنا الكفاحية والسياسية هو إزالة الكيان الصهيوني. حتى إذا تم ذلك إن شاء الله جرى استفتاء شعبي يتقرر المصير المطلوب نتيجة له.

وأسأل الله أن يلهم الجميع السداد والصواب والإخلاص. وأن يقي حركتنا الكفاحية والسياسية شر البلبلة والإنقسام والكيد والمكر والغدر والخيانة والدسائس والوساوس. والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

* * *

(65) رسالة من الكاتب للسيد حسن صبري الخولي 22 محرم 1390 ـ 30/3/1970

السيد الكريم حسن صبري الخولي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فإني أعرف اهتمامكم الشديد بالعمل الفدائي الفلسطيني. ولذلك رأيت أن أرسل إليكم هذه الرسالة في صدده. لأني ـ وقد قضيت ستين عاماً في خدمة القضايا العربية بعامة وقضية فلسطين بخاصة ببدني ولساني وقلمي، وأعتقد أني لست غريباً عن ذاكرتكم وذاكرة السيد الرئيس ـ شديد الإهتمام أيضاً بهذا العمل، وشديد الرغبة في سيره في الطريق المؤدية إلى

تحقيق هدفه المقدس، وهو تقويض الكيان الصهيوني وإعادة فلسطين إلى حظيرة السيادة العربية.

الأمر الذي وددت أن أكتب لكم به هو توحيد منظمات العمل الفدائي في قيادة واحدة قيادة وتخطيطاً وتجنيداً وتنفيذاً وأجهزة وربطاً وضبطاً وجباية، حتى ينقلب إلى حرب تحرير شاملة هي وحدها الوسيلة إلى تحقيق ذلك الهدف.

وأنا أعرف أنه بذلت ومازال تبذل مساعٍ وجهود ومحاولات كثيرة في صدد تأمين هذه الوحدة، وقد ساهمت أنا في ذلك بما قمت به من اتصالات مع المنظمات الفدائية والمجاهدين ومنظمة التحرير، وكانت ومازال تتعثر ولا تتحقق الغاية المنشودة.

وإذا كانت هذه الجهود والمحاولات قد أدت حقاً إلى نتائج نافعة تمثلت في (قيادة الكفاح المسلح) سنة 1968 وفي (القيادة الموحدة) سنة 1970، فإنها لم تحقق الأمل المنشود. حيث ظلت الأولى قاصرة على نشر عمليات المنظمات والتنسيق الجزئي الذي هو دون المطلوب كثيراً، مع استمرار احتفاظ المنظمات بكامل شخصياتها وتشكيلاتها وتخطيطاتها وجباياتها وولاءاتها. وحيث اقتصرت الثانية على هدف التصدي للمحاولات الرامية إلى ضرب العمل الفدائي من الجهات العربية العميلة والمتآمرة الرسمية وغير الرسمية.

وهناك ثغرة مهمة أخرى متمثلة في استمرار جمود قسم كبير من كتائب جيش التحرير الفلسطيني وعدم اندماجها في هذا العمل اندماجاً كلياً، مما يعني تجميد قوة كبيرة معدة أحسن إعداد ومنظمة ومجهزة أحسن تنظيم وتجهيز، ومما لو تسنى دمجها لكسب العمل اندفاعاً وقوة ربما تتبدل بهما صورته الراهنة إلى الصورة المثالية المنشودة أو ما يقرب منها.

ولقد نما عدد المنظمات الفدائية حتى أصبح نحو عشرين وأكثر. منها ما يضم الآلاف، ومنها ما يضم المئات، ومنها ما يضم العشرات. وكل منها يخطط لعملياته ويباشرها ويجبي ما يلزمه لتمويلها مستقلاً عن غيره.

ومن هذه المنظمات ما ينتمي إلى تشكيلات خاصة قومية وحزبية سابقة للعمل الفدائي، ومنها ما انفصل عن هذه التشكيلات واستقل وقام على رأسه أشخاص صاروا أصحاب القيادة في تنظيمهم المنفصل، ومنها ما يلمح أنه يستند في وجوده إلى دعم مادي ومعنوي من بعض الحكومات العربية، حتى ليوهم أنه تشكيل خاص لها!

ولقد كان الناس ومازالوا يسمعون ويتناقلون أخبار تنافس وتكايد وتناظر، بل ومهاترات واتهامات بين بعض المنظمات، ثم تبجحات بشعار الأفضل والأخلص والأقدر والأضمن والأحرص الخ، ثم أخذوا يسمعون نغمة جديدة هي اختلاف وجهة نظر المنظمات في مصير فلسطين بعد تحريرها، وبتعبير آخر اختلاف على جلد الأسد قبل صيده، رغم ما يحتاج إليه هذا الصيد من جهد شاق عظيم وكفاح مرير طويل الأمد، بحيث يكون مثل هذا الخلاف سابقاً كثيراً لأوانه.

وكثير من المراقبين يلمحون أن هذه المكايدات والمهاترات والإتهامات والتبجحات والاختلافات هي وسائل لتبرير احتفاظ المنظمات بشخصياتها، فضلاً عما يلمحونه من أن البروز في مراكز القيادة والإستمتاع المادي والمعنوي عبر ذلك مما يطمئن مطامح بعض الأشخاص ويجعلهم يحرصون على بقاء شخصيات تنظيمهم، ومما يحرك مطامح بعض

الأشخاص ويجعلهم يعمدون إلى الإنفصال عن تنظيم يكونون فيه في مركز ثانوي والاستقلال في تنظيم يكونون فيه القادة البارزين، أو يحرك مطامح بعض الأشخاص ويجعلهم يعمدون إلى إنشاء تنظيم جديد يزداد به عدد التنظيمات.

وغني عن البيان أن كل ذلك مما يهدر قوى الثورة المتفجرة في دماء الشعب العربي وطليعته الفلسطينيين التي جعلتهم يتسابقون إلى الموت كأنهم يتسابقون إلى عرس في سبيل أخذ الثأر وغسل العار وتقويض الكيان العدواني العنصري واسترداد الوطن العزيز السليب، ويعوقها عن السير في الطريق الصحيح إلى ذلك بكل انطلاق وقوة وصمود.

ولقد كان شعار وحدة العمل الفدائي من أول ما نادت به جماهير الشعب والحكومات والهيئات العربية، ومازالت تكرر الهتاف به في كل مناسبة وموقف واجتماع، حتى أصبح مطلباً قومياً عاماً وملحاً.

ولقد آن الأوان لحركة جادة في سبيل تحقيق هذا الشعار، وإقامة قيادة موحدة ينضوي فيها كل التنظيمات، مع ما لايزال مجمداً من كتائب جيش التحرير، على أساس وحدة القيادة والتخطيط والتنفيذ والإعلام والضبط والربط والتمويل والتجهيز، ليصبح العمل الفدائي عبرها حركة شعبية شاملة هدفها الرئيسي في مرحلتها الكفاحية الراهنة هو تقويض الكيان الصهيوني وإعادة فلسطين إلى حظيرة السيادة العربية.

وهذه الحركة الجادة المطلوبة يجب أن يشترك فيها بالإضافة إلى منظمة التحرير وقادة التنظيمات الفدائية الحكومات العربية التي تدعم هذه التنظيمات، ويكون دعمها من أسباب استمرار هذه التنظيمات محتفظة بشخصياتها.

وليس من حكومة من هذه الحكومات إلا هي مندمجة في شعار وحدة العمل الفدائي وحدة جدية لامراسمية، وتكرره في مختلف المناسبات، بحيث يمكن أن يكون لحركة جادة مثل التي نقترحها أثر فعال في جعل هذا الشعار متحققاً يزول به التناقض القائم بينه وبين الواقع الذي يهدر القوى ويعوق الجهد ويثير أشد المرارة والمضض والحيرة.

والقاهرة ذات الثقل الأقوى والأبرز في معركة النضال، والتي نعتقد أنها شديدة الحرص على تصاعد العمل الفدائي ووصوله إلى ذروة القدرة الكفاحية الشاملة التي تزول من طريقها المعوقات والعثرات حتى تحقق غايتها المقدسة، أولى من يأخذ المبادرة إلى هذه الحركة الجادة، وأولى من يتحقق بمبادرتها النجاح.

وهذا ما جعلني أبعث إليكم برسالتي هذه لأناشدكم أن تبذل القاهرة ذات التأثير الأعظم كل جهد ممكن لتحقيق المطلب والوصول إلى اتفاق مع مختلف الأطراف على صيغة وافية للغرض التوحيدي الجاد، الذي لا يكون شكلياً ومراسمياً، فتسجل بادرة من البوادر القومية التي طالما سجلتها بنجاح واستجابت بذلك لآمال الشعب العربي وتطلعاته.

وإني لعظيم الأمل والثقة في ذلك وفي آثاره الإيجابية المطمئنة. والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وهو المسؤول أن يسدد الخطى ويلهم الصواب ويقرب يوم النصر الأكبر. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وقد أرسل الكاتب مثل هذه الكتاب إلى السيد صالح أبي يصير وزير الخارجية والوحدة الليبية، لأنه لاحظ شدة اهتمام حكومة الثورة الباسلة الليبية وقائدها ووزير خارجيتها بالعمل

الفدائي وقضية فلسطين.

وقد قام هذا الوزير في هذا الظرف بدور إيجابي في تخفيف حدة التوتر الذي اشتد بين العمل الفدائي والسلطات اللبنانية في هذا الظرف. حيث اعتقد أن قادة ورجال الثورة الليبية أيضاً يستطيعون المشاركة في المبادرة في سبيل الهدف التوحيدي المنشود.

* * *

(66) رسالة من الكاتب للسيد ياسر عرفات 6 ربيع الثاني 1390 12 حزيران 1970

الأخ المناضل أبا عمار حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد، فإني تابعت أعمال دورة المجلس الوطني الأخيرة، فرأيت من واجبي أن أكتب لكم لأعبر عن اغتباطي وتقديري وتهنئتي لموقف (فتح) من موضوع التوحيد العسكري الذي بحثته معكم وكتبت لكم بشأنه أكثر من مرة، لأني رأيت في هذا الموقف ما أملته في إخلاص (فتح) وقادتها من التجاوب القوي مع هذا المطلب القومي الملح، وحسن إدراك لمداه، ومما زاد في اغتباطي وتقديري أنه كان لهذا الموقف أثره في القرارات الإيجابية التي اتخذها المجلس، والتي أرجو أن يتم تنفيذها بصدق وجد من جميع الأطراف، فتدخل حركتنا الباسلة التي كان (لفتح) شرف البدء بها في مرحلة حرب التحرير الشاملة الشعبية التي بها وحدها ضمان تحقيق هدفنا المقدس.

ولقد أفزعني انفجار تآمر العملاء والخائنين الشديد الشرس الأخير في الأسبوع الأول من هذا الشهر، والذي جاء هذه المرة أوسع وأخبث من أي وقت. وهدف إلى القضاء على المقاومة وكسر ظهر فلسطين وقضيتها معاً كسراً شديداً، والتي راح ضحيتها المئات من الأبرياء والمناضلين، وابتهلت إلى الله أن يرد الكيد إلى نحور أصحابه، وأن يؤيد أبطال المقاومة للتغلب على هذه المحنة والخروج منها أقوى من ذي قبل، كما كان يقع ذلك في أعقاب كل مؤامرة سابقة في الأردن ولبنان.

وبقدر ما فزعت اغتبطت مما كان من مسارعة المخلصين الشرفاء من رؤساء وقادة وهيئات بالإضافة إلى جماهير الشعب في الأردن وفي كل قطر، ووقوفهم في جانب المقاومة واستنكارهم أي عدوان عليها، ومكر بها، وإعلانهم الإستعداد لكل تعضيد فعلي في سبيل ذلك.

والمتبادر أنه كان لهذا الموقف الصريح القوي الشامل أثره في ارتداد المؤامرة المجرمة الخبيثة الشرسة التي هزت أعصاب أمتنا في كل مكان ووقفها، وخروج المقاومة منها قوية مصممة على المضي في مهمتها المقدسة، ونرجو أن يكون ذلك مستمراً إن شاء الله.

ونستمطر شآبيب الرحمة على الأرواح الزاهقة، وندعو الله أن ينتقم من مزهقيها ومسببيها المجرمين.

ويتبادر لي أن ما أحرزه المجلس الوطني في دورته الأخيرة من نجاح، وخاصة قراراته بتوحيد الساحة الفلسطينية الأردنية أولاً، وإنشاء اللجنة المركزية لتتولى القيادة السياسية والعسكرية، وتمثيل جميع المنظمات والفئات فيها ثانياً. وتشكيل القيادة العسكرية التي روعي بأن تكون هذه المرة فعالة في كل أمر ثالثاً. وتمثيل جميع المنظمات فيها، كان من الدوافع التي جعلت

العملاء والخائنين يتحركون بمؤامرتهم الشرسة الفاجرة لضرب المقاومة والفلسطينيين ضربة قاصمة قبل أن تترجم هذه القرارات إلى فعل عملي تنفيذي على الصعيد العسكري والسياسي والوطني.

إن انبثاق الحركة الفلسطينية ثم المقاومة الفلسطينية مجدداً في سنتي 1964 و 1965 وتصاعدهما وتعاظمهما بعد ذلك، قد جعل الصهيونية والامبريالية يرون فيهما العدو الصحيح الشرعي، ويتوجسون فيهما أعظم الأخطار والعقبات، ويقفون منهما موقف المتربص المقاوم الهادف إلى ضربهما وسحقهما مباشرة أو بواسطة عملائهم، مما شهدنا صوراً كثيرة منه بخاصة في لبنان والأردن، ومنهم المفجع الخطير في لبنان في نيسان 1969 وفي الأردن في حزيران 1970، ولسوف يستمرون في خطتهم بدون كلل، لأنهم يعرفون أنهما لن ترضيا ولن تهدأ إلا بزوال الكيان الصهيوني، وأنهما قد فرضتا نفسيهما على الصعيد العربي والدولي معاً. وصار من واجب كل مخلص غيور وفي مقدمتهم أبو عمار ورفاقه الأخيار من رجال فتح بذل كل جهد وتضحية من أجل تنفيذ وتحقيق تلك القرارات، حتى يكون للمقاومة والحركة التحريرية بها الصيانة والضمان. ولا سيما أن حركة المقاومة قد غدت مناط أمل الأمة العربية ومجسد تمردها الفعلي على مطامع الاستعمار والسوجود الصهيوني من جهة. وهي من جهة ثانية الوسيلة التي لا بديل لها في تحقيق هدف الأمة المقدس وهو تقويض الكيان الصهيوني وإعادة فلسطين كاملة إلى السيادة العربية بدون شائبة مهما طال الزمن وعظمت التضحيات، من حيث أن الدول العربية في الظروف الدولية القائمة لا تستطيع أن تسهم حربياً ميدانياً في إزالة الوجود الصهيوني المعترف به من جمهور المجتمع الدولي الأعظم، وقصاراها أن تحرر الأرض التي احتلتها القوات اليهودية من بلادها في حزيران 1967، ومساعدة أهل فلسطين سياسياً ومادياً على حركتهم التحريرية.

أقول هذا وأنا على تمام الثقة بأن رجال فتح بخاصة وكل غيور مخلص من رجال المقاومة بعامة، مدركون لذلك، وأنهم سوف يتضامنون في إتمام التنفيذ والتحقيق على أحسن وجه وأسرعه.

والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين. ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

* * *

(67) تعقيبات

لقد حدثت بعذ هذه الرسالة أحداث خطيرة متصلة بموضوعها، فرأينا أن نسجلها كما يلي:

التعقيب الأول:

1 - لقد صح ما توقعناه من استمرار المؤامرات ضد المقاومة، فهي لم تنقطع بعد مجزرة حزيران، وكلما اتفقت السلطات واللجنة المركزية لمنظمة التحرير على وقف الناس وأسلوب العمل، بادرت عناصر إلى خرق ذلك بتشجيع من السلطات الأردنية بأسلوب ما لتنفيذ المخطط الصهيوني الأميركاني لسحق المقاومة، وكان آخرها تلك المحاولة الرهيبة التي فاقت كل ما سبقها بهولها وشمولها وفظاعتها، والتي أرادوا أن تكون النهائية في السحق والمحق للفلسطينيين وللمقاومة معاً في الأردن في ظل الحكم العسكري الذي أعلن صباح 18 أيلول 1970 بحجة توطيد سيادة الدولة وقواتها.

ولقد سحبت السلطات الأردنية جميع جيشها من جميع حدود المواجهة، كأنها كانت مطمئنة كل الاطمئنان بعدم قيام العدو بأي حركة، البالغ عدده سبعين ألفاً ببطارياته ومدافعه ودباباته ومصفحاته وقنابله. وصبوا النيران بكل قوة وقسوة على تجمعات الفلسطينيين بدون تفريق بين فدائي وغير فدائي في عمان وإربد والزرقاء وجرش وعجلون والسلط والرمثا، وحولوا هذه التجمعات إلى أنقاض وضحايا. وشملت النار غير الفلسطينيين أيضاً. وقطعت المياه والكهرباء ومواد الغذاء، فصار الناس يموتون جوعاً وعطشاً ويعيشون بالظلام، بالإضافة إلى من يموت بالرصاص والقنابل. وقدر عددهم بأكثر من عشرين ألفاً بين قتيل وجريح. بالإضافة إلى أكثر من عشرين ألفاً اعتقلوا لأنهم قادرون على حمل السلاح، ولم يكن معهم سلاح، وامتلأت الشوارع والطرق بالموتى والجرحى الذين كانوا يموتون في العراء لعدم الإسعاف. ولم يكد ينجو بيت أو عمارة أو مخزن في المدن الخمس المذكورة وبخاصة في عمان والزرقاء وإربد من رصاصة أو قذيفة أو شظية أو حريق أو قتيل أو جريح أو نهب، فضلاً عن تدمير شامل لكثير منها، وفضلاً عن ما وقع من هتك أعراض وتمثيل وتشويه في القتلي والجرحى مما لا يمكن أن يصدق وقوعه من اليهود فضلاً عن حكم عربي ضد شعبه، ومما يمثل شدة الحقد واللؤم والتجرد من كل شعور وقيمة وتصميماً حاسماً على سحق المقاومة والفلسطينيين معاً، على ما وصفه مشاهدون عيان من وكلاء الأنباء العرب وغير العرب، وثبت لدى اللجنة التي أرسلها الملوك والرؤساء برئاسة الرئيس السوداني جعفر النميري لاستكشاف الحالة وتسكينها. وإذا كانت السلطات أذاعت أن عدد الضحايا ألفان بين قتيل وجريح، فإن جميع المراقبين يؤكدون أن العدد أضعاف ذلك مضاعة[1].

والحجة التي يتحجج بها المجرمون السفاحون لا يمكن ولا يصح أن تبرر المجازر التي ارتكبوها لا في مداها المذهل ولا في غيره، والحجة مع ذلك مضخمة موسعة جداً، وكثير منها كاذب أو مفتعل من جواسيس للسلطة، يلبسون لباس الفدائيين كما ثبت ذلك في حوادث كثيرة، وكل ذلك لإثارة الحقد والكراهية للفدائيين والفلسطينيين وتبرير تلك المجازر والجرائم، وما قد يصح منها لا يؤثر تأثيراً جوهرياً على الدولة، ويمكن تجاوزه تجاه الهدف المقدس الذي يريق الفدائيون دماؤهم سخية في سبيله. وهدفهم هو القضاء على المقاومة وسحقها خدمة للمخطط الأمبريالي الصهيوني، لأنها صارت كما قلنا العدو الشرعي لهما. وقد بدرت بوادرها كما قلنا في الرسالة منذ سنة 1964، ولم يكن شيء مما تتحجج به السلطات الآن. ومما تقوله في سياق التحجج من وجود أحزاب مسلحة ذات ايديولوجيات

(1) أوردت جريدة البعث 16 تشرين الأول عزواً إلى بيان الهلال الأحمر الفلسطيني أن عدد القتلى في عمان 2100 والجرحى 8080، والقتلى في الزرقاء 720 والجرحى 1200، والقتلى في إربد والرمثا 250 والجرحى 800، والقتلى في جرش ومخيم العقبة والسلط 120 والجرحى 200، وقتلى مادبا والطيبة والمنطقة الجنوبية 220 والجرحى 460 فيكون المجموع (3410) قتيل و(10740) جريحاً. ومع ذلك فإن ياسر عرفات صرح بعد هذا التاريخ أكثر من مرة وآخرها في الرابع عشر من تشرين الثاني 1970 بأن عدد القتلى والجرحى عدا القوات الأردنية الرسمية يزيد كثيراً عن العشرين ألفاً، وأن عدد جرحى وقتلى هذه القوات نحو سبعة آلاف. . .

شاذة وهدامة وأهداف غير أهداف التحرير، وهي تنسى وهي تثني الآن على (فتح) أنها وقفت ضدها وحاولت تطويقها وسحقها حينما أقدمت على إشعال نار الثورة في أول سنة 1965، وظلت تناوئها طيلة ما كانت في الميدان وحدها، لأن مقاومة وسحق الحركة الوطنية الفلسطينية والمقاومة الفلسطينية مخطط أساسي لليهود والولايات المتحدة ينفذه عملاؤهم بكل دأب منذ بدايتهما، مما لاتزال صورة ماثلة في الأذهان. وبعضهم يظن أن لهذه المؤامرة صلة بمقترحات السلام الجديدة المنطوية فيما يسمى بمبادرة روجرز، ومما شرحناه يتضح أنها أبعد مدى، ومتصلة بأصل المخطط المذكور، وكانت تقع ولو لم تكن مبادرة روجرز بعدما أخذت حركة المقاومة تتصاعد وتتعاظم وتتجه نحو الوحدة والحرب التحريرية الشاملة. ولقد كانت مجزرة حزيران 1970 الرهيبة ولم تكن مبادرة روجرز.

ونسأل الله مرة أخرى أن ينتقم من العملاء الخائنين السفاحين مدبري هذه الجرائم الرهيبة ومنفذيها المتجردين عن كل وازع وشعور وضمير ديني وأخلاقي وقومي وإنساني، وأن يطهر بلادنا منهم وأن يلقوا عدالته في الدنيا قبل الآخرة.

2 ـ ولقد تداعى الملوك والرؤساء إلى القاهرة بدعوة من الرئيس جمال لوقف المجزرة التي تجل عن الوصف والمثال، وأوجبوا وقف النار فوراً، ووضعوا بعض القواعد لتنظيم الأمور بين السلطات والمقاومة وإعادة الأمور إلى حالتها الطبيعية، مع إيجابهم بإصرار استمرار المقاومة ودعمها وتمكينها من الكفاح حتى تحقق هدفها التحريري وتدحر المغتصب.

ولقد قامت المنظمات الفدائية بدور بطولي مستميت لرد هذه الضربة، واستطاعت برغم عدم التكافؤ الكبير في العدد والمعدات أن تصمد وتثبت وتكبد السلطات خسائر فادحة، ولكنها وافقت على القواعد، وقالت كما جاء في بيان اللجنة المركزية المنشور في جريدة فتح 1970/9/29 أنها كانت بين خيارين، إما الإستمرار في القتال على حساب وموت وهلاك أكثر من 700 ألف مواطن نتيجة للقصف الوحشي والجوع والعطش وانتشار الأمراض بسبب تراكم جثث الشهداء في الشوارع والبيوت وتطور حالة الجرحى إلى السوء والموت بسبب فقدان العلاج، وإما وقف إطلاق النار وقبول ما أمكن الرؤساء والملوك أن يضعوه من قواعد لإنقاذ المواطنين من مذبحة بربرية لم تتمكن القوى العربية الخارجية لسبب ما من إيقافها، فلم تر بداً من اختيار الأمر الثاني لإنقاذ الشعب من الذبح والجوع والعطش والمرض، وإنقاذ آلاف الجرحى قبل أن تقتلهم جروحهم، ولإعطاء فرصة للجماهير لمعرفة هول المذبحة ومؤامرات الإبادة التي تعرض لها شعبنا في الأردن.

ولقد ألف الملوك والرؤساء لجنة متابعة عليا لتحقيق القواعد والمقررات التي اتفقوا عليها وهي:

أ ـ إنهاء كل العمليات والتحركات العسكرية.

ب ـ بذل الجهد في إعادة الحالة إلى مجراها الطبيعي.

ت ـ إنهاء الحكم العسكري وإسعاف المنكوبين وتسريح المعتقلين.

ث ـ تركيز الجيش والفدائيين في مراكزهم الطبيعية في مواجهة العدو وتنظيم الصلات بين المقاومة والسلطات.

ج ـ توطيد احترام القوانين باستثناء ما تقتضيه طبيعة العمل الفدائي.

وقد أخذت هذه اللجنة التي قرر مؤتمر الملوك والرؤساء أن يرأسها السيد الباهي الأدغم رئيس وزراء تونس، ويكون فيها عضوان واحد يمثل السلطات وآخر يمثل المقاومة مع اللجان المنبثقة عنها تنشط في مهمتها، واستطاعت أن تنجزها، حيث أنهي القتال وأفرج عن معظم المعتقلين، وانسحب الجيش والفدائيون من عمان والمدن إلى مراكزهم الطبيعية. وأخذت الأمور تعود إلى مجراها وتنشط لجان الإسعاف والمؤاساة والتعمير في الإسعاف وتضميد الجراح وإصلاح الدمار. ثم توج ذلك باتفاقية شاملة لتركيز الصلات بين السلطات والمقاومة تركيزاً محدداً واضحاً، وضمن فيها دعم العمل الفدائي وحريته وتصعيده، وألفت لجنة المتابعة ترتيباً على هذه الإتفاقية لجنة مشتركة ومكاتب دائمة تابعة لها للشؤون العسكرية والشؤون المدنية وشؤون الإغاثة والإسعاف.

وقد وقع الاتفاقية الملك حسين وياسر عرفات والباهي الأدغم رئيس لجنة المتابعة في السفارة التونسية في 13 تشرين الأول 1970 بحضور سفراء الدول العربية وبعض رجال الحكومة والمقاومة والصحافة العربية وغير العربية.

والمتبادر أن توقيع الملك كان مما ألزمه واقع الحكم في الأردن، من حيث أن الملك هو كل شيء فيه. وأن ما كان يوقعه غيره من اتفاقات كان ينقض بأسلوب ما. وقد تكرر ذلك مراراً، وكان آخر ذلك اتفاقاً تم بين المقاومة وعبد المنعم الرفاعي رئيس الوزارة يوم 15 أيلول 1970 بإشراف اللجنة التي تمثل حكومات الوساطة العربية التي تألفت نتيجة لاجتماع الملوك والرؤساء في طرابلس الغرب. وفي صباح اليوم التالي كان رئيس الوزارة قد استقال وأعلن تشكيل حكومة عسكرية، ونصب حابس المجالي قائداً عاماً للجيش وحاكماً عسكرياً عاماً وبدأت المجزرة.

وقد قال الملك حسين في خطاب أذيع في الراديو في اليوم التالي أنه يرجو أن تكون الاتفاقية نقطة تحول جديدة، وأنه هو وحكوماته سيلتزمون بها، ومما لا شك فيه أنها جاءت شاملة وافية تضمن تنظيم جميع الأمور مما يضمن للعمل الفدائي انطلاقه وتصاعده بحرية، إلى أن يحقق أهدافه التحريرية التي اعترفت السلطات بها بأنها تحرير جميع فلسطين. وبالتالي إنها حقاً يمكن أن تكون نقطة تحول جديدة.

ولقد اتبعت الاتفاقية بعد خمسة أيام بميثاق سمي بالبروتوكول العسكري، تضمن تفصيلات محددة لتنظم التحركات والمواقف بالنسبة للقوات الأردنية الحكومية ولفصائل المقاومة، على وجه يضمن عدم التصادم من جهة وحرية العمل الفدائي من جهة أخرى. وتم إعلانه بحضور عدد كبير من رجال الجيش الأردني والمقاومة، وعينت فترة انتقال مدتها أسبوعان ليكون كل ذلك تاماً في حدوده المعينة.

والذي نرجوه أن تكون السلطات قد ثابت إلى رشدها وضميرها، وتيقنت من جهة أخرى من أنها لا تستطيع سحق المقاومة، وأن محاولاتها سوف تعود بالخطر والضرر عليها وعلى البلاد معاً. فتلتزم فعلاً بما يتم الاتفاق عليه، وتسير الأمور بما هو الأصلح الأفضل للبلاد وحركة التحرير.

ورجاؤنا هذا لن يمنعنا أن نبدي تخوفنا من محاولات العملاء التخريب وخلق الأزمات

وحبك المؤامرات ضد الثورة، دأباً وراء المخطط الذي أوكل إليهم تنفيذه، وبدأوا بتنفيذه منذ سنة 1964 على ما ذكرناه قبل. ولكن الثورة أقوى بإذن الله منهم، وقد خرجت من هذه المحنة وهي أشد محنة يمكن أن تتعرض لها وأشرسها، سليمة قوية. ونصوص الاتفاقية نفسها تنطوي على دلالات قوية عديدة على ذلك، حيث يبدو واضحاً أنها فرضت نفسها وأهدافها ومؤسساتها فرضاً قوياً، وأن السلطات لم يسعها إلا أن تسلم بهذا الفرض القوي.

ولقد كان من نتيجة هذه المحنة أن قررت جميع فصائل المقاومة توحيد قواها واختيار ياسر عرفات قائداً عاماً للثورة، وغدو اللجنة العسكرية العليا هيئة أركان عامة، وغدو العميد عبد الرزاق اليحيى قائد عام جيش التحرير رئيس أركان الحرب العامة. ولقد مارس ياسر عرفات مهمته أثناء المحنة بكل بسالة وحنكة مؤيداً من الجميع، فتوطدت بذلك الوحدة التي طالما نشدناها والتي نرجو أن تزداد توطداً وقوة ورسوخاً وشمولاً وقولاً وفعلاً.

ومن البوادر المطمئنة أن القيادة العامة قررت عدم إذاعة العمليات الفدائية في أرض العدو بأسماء المنظمات التي تباشرها بل باسم القيادة العامة وحسب.

ولقد انضمت الى الثورة كتائب جيش التحرير التي كانت بعيدة عن العمل الميداني وملحقة بجيوش مصر والعراق وسورية، وهي كتائب حطين في سورية وكتائب جالوت في مصر وكتائب القادسية في العراق، وهو ما كنا ندعو إليه بإلحاح أيضاً منذ ثلاث سنين.

ولقد أدلى ياسر عرفات بتصريحات مطمئنة أيضاً، حيث قال أن الأحداث وما نتج عنها أثبتت أصالة المقاتلين الذين التقوا بالفكر والتنظيم حول القيادة وانقادوا لها، وأن صيغة جديدة قد وجدت لتحقيق الوحدة العسكرية التي هي أعلى من التنسيق والتوحيد، وسيكون لها في المستقبل نتائج قوية على مستقبل الثورة، وأن التفاعلات بين المقاتلين خلال الأحداث أعطت نتاجاً قوياً ودفعاً جديداً لدم جديد من الفكر والمفهوم السياسي، وكان من آثارها مزيد من التلاحم وزوال كثير من التناقضات.

وسيمد الله والمخلصون من الرؤساء والقادة والهيئات وجماهير الشعب وأصدقاء الثورة من غير العرب، الثورة بالعون والتأييد، حتى يرتد مكر العملاء وأسيادهم إلى نحورهم وتحقق الثورة هدفها المقدس. ومن بوادر ذلك ما ذكرناه قبل من قرار مؤتمر الملوك والرؤساء بإصرارهم على استمرار المقاومة وتدعيمها وتمكينها من تحقيق غايتها المقدسة في دحر العدو المغتصب.

ولقد ذكرنا أن الرئيس جمال تحرك بالتضامن مع الرئيس القذافي والرئيس النميري لأول مرة غداة تشكيل الحكومة العسكرية الأردنية في 16 أيلول 1970، ونشوب الاشتباكات الدامية بين القوات المسلحة الأردنية وفصائل المقاومة. وقد ذهب الفريق محمد صادق رئيس أركان حرب الجيش المصري إلى عمان موفداً من الرؤساء الثلاثة بسبيل ذلك. وسعى مع الملك حسين ورئيس منظمة التحرير لوقف النار، وأعلن الطرفان ذلك، ولكن هذا الإعلان لم يلبث أن نقض وعادت الاشتباكات ثانية، واندفعت قوات الأردن المسلحة بجميع معداتها وعددها تصب نيرانها على مخيمات اللاجئين ومواقع الفدائيين بكل قسوة وشدة. وأخبر الفريق محمد صادق

الرئيس جمال بالنقض، وأرسل ياسر عرفات رسالة بذلك إلى الرئيس أيضاً، فبادر الرئيس إلى توجيه رسالة قوية للملك حسين يناشده فيها بإيقاف المجزرة ويحذره من عواقبها ويؤكد وجوب حماية المقاومة من التصفية وينذر بحرب عربية أهلية، لأن الجمهورية العربية المتحدة لن تسمح بتصفية المقاومة التي يظهر أن السلطات الأردنية تستهدفها.

3 ـ وقد نشرت جريدة الأهرام في عددها 30695 وتاريخ 27 شوال 1390 ـ 25 كانون الأول 1970 رسالتي ياسر عرفات للرئيس ورسالة الرئيس للملك حسين. وقد رأينا إثبات هاتين الرسالتين لأنهما تاريخيتان ومتصلتان اتصالاً وثيقاً بموضوع هذه النبذة.

وهناك رسالة هامة أرسلها الرئيس إلى الملك حسين حينما اجتمع ملوك ورؤساء العرب في القاهرة في 26 أيلول 1970 بناء على دعوته، ورأينا من المفيد إثباتها أيضاً.

***

(1) رسالة من ياسر عرفات من عمان
بتاريخ 1970/9/20
إلى الرئيس عبد الناصر:

تحية الثورة وبعد

تلقيت رسالتكم التي وصلتني في هذه الظروف الدقيقة الحاسمة التي تتعرض فيها ثورتنا الفلسطينية لأخطر تصفية تهدد كيان ووجود شعبنا اللاجىء الفلسطيني. ومما يحز في النفس أن الرصاص العربي هو الآن يحاول أن يتمم ما عجزت عنه قوى الصهيونية والاستعمار طوال خمس سنوات. إن الثورة الفلسطينية التي اعتبرت من أنبل الظواهر التي أنتجها شعبنا تقف الآن في مناقع الدم تواجه المؤامرة بكل شراستها وعنفها وخطورتها، وإن الأيام القادمة لهي أخطر الأوقات وأدقها على مسيرة النضال لأمتنا العربية جمعاء. وإن الثورة الفلسطينية التي أعلنت مراراً وتكراراً أنها لا تتدخل في أي شأن من الشؤون الداخلية للدول العربية، فوجئت بهذه الهجمة الشرسة عليها يقوم بها وينفذها الجيش الأردني الذي كنا وإياه نقف في خندق واحد في مواجهة العدو الصهيوني لمدة ثلاث سنوات. وخضنا وإياه معارك كثيرة أهمها الكرامة، وتعرضنا سوياً لطائرات الإسرائيليين ومدافعهم في ظل أقسى الظروف وأقل الإمكانات.

ولقد كان لندائكم وثقة إخوانكم بكم أثرها الكبير في الاستجابة لهذا النداء، فأعطيت الأوامر فوراً بإيقاف إطلاق النيران منا إذا ما وافق الطرف الآخر على ذلك. ولكنا فوجئنا بأن إطلاق النار لم يتوقف منهم حتى ساعة إعلان الحكومة الأردنية ذلك، مما يدمغ بما لا يدع مجالاً للشك بأن نية السلطة في الأردن هي السير في خطتها حتى النهاية مستهدفة تصفية الثورة الفلسطينية.

وليس هذا فحسب بل السير في عمليتها ضد شعبنا الذي يتعرض الآن لقصف المدفعية الأردنية التي تدك المدينة بلا هوادة ولا رحمة، وبدون حساب لأطفالنا ونسائنا. هذه المدفعية والدبابات التي الأجدر بها أن تكون الآن قائمة بواجبها في تغطية عمليات إخوانهم الفدائيين ضد العدو الصهيوني.

إن ما يحدث الآن لهو عمل خطير للغاية، وما لم تقف منه أمتنا العربية وشخصكم بالذات لما لكم من رصيد ومحبة، فإن العواقب الخطيرة تهدد ليس شعبنا فحسب بل كل أمتنا العربية، ويقتضي العمل السريع والتدخل

الفوري بكل الوسائل لإيقاف هذا النزيف الدموي الرهيب بين أبناء الشعب الواحد. وانطلاقاً من حرص الثورة الفلسطينية لإيقاف هذا الدمار الذي يفرض على شعبنا دون دين أو رحمة ولا اكتراث، وكأنه كماً مهملاً يراد إفناؤه بهذه الأيدي العربية للأسف، فإننا سنعمل بكل طاقتنا بالتعاون مع الفريق محمد صادق موفد الرؤساء الثلاث، وسنبذل قصارى جهدنا لمحاولة إيقاف هذه المآسي التي ابتلي بها شعبنا ولن نألو جهداً بذلك.

وإنني أكرر طلبي من الأخ الرئيس عبد الناصر أن يعمل مع إخوانه عملاً سريعاً لإيقاف هذه المحنة وهذا الدمار الذي فاق كل تصور.

وأخيراً إليكم تحيتي وتحيات إخوانكم الثوار من مواقع النضال ومناقع الدم . وإنها لثورة حتى النصر.

***

(2) رسالة من الرئيس عبد الناصر إلى الملك حسين :

لقد طلبت إلى الفريق محمد صادق أن يبلغ جلالتكم بقراري إليه أن يغادر عمان بعد التطورات المؤسفة والمحزنة التي لازالت مستمرة والتي لا نجد سبيلاً لوقفها على نحو نرضاه.

وإذا كان لي أن أقول لجلالتكم شيئاً في هذه اللحظات الخطيرة من حياة أمتنا، فإنني أضع تحت نظركم ما يلي :

1 ـ إن استمرار العمليات العسكرية بالطريقة التي جرت وما تزال تجري في عمان ينبغي له أن يتوقف. وكان يجب أن يتوقف منذ وقت طويل، وكان يتحتم على السلطة الأردنية أن تكون أقدر على ضبط النفس خصوصاً بعد أن توصلنا إلى إيقاف لوقف اطلاق النار.

إن المسألة ليست مسألة السلطة، ولكن هناك عوامل وطنية وقومية وإنسانية لها حرمتها ولها احترامها. ولست أتصور كيف يمكن أن تقوم سلطة في الأردن أو تستقر على الأنقاض والأشلاء وعلى دم يراق بغير حساب.

2 ـ إن جلالتكم تذكرون منذ لقائنا في الإسكندرية في 21 أغسطس الماضي أنني أوضحت لكم وجهة نظري كاملة في أنه ليس من المصلحة العربية العليا الآن، ولا في صالح نضالنا في المستقبل، أن تتعرض المقاومة الفلسطينية لأية عمليات تؤدي إلى تصفيتها أو تحمل شبهة مثل ذلك القصد. ولقد أحسست أني أوضحت رأيي أمامكم وأن اقتناعكم به كان بادياً. ومن سوء الحظ أن شكل الحوادث منذ بدأ تشكيل حكومة عسكرية في الأردن خلق انطباعاً معاكساً لهذه الروح، ثم توالت التصرفات بعد ذلك بما لم يكن هناك مبرر له.

إني أدرك أنه وقعت من الجانب الآخر أخطاء، ولكن الجمهورية العربية المتحدة لا تستطيع أن تقبل بأن يُكون الرد على ذلك بما يظهر للكل وكأنه ضربة للمقاومة كلها.

3 ـ إنني لا أملك إلا مصارحة جلالتكم بأن الظروف الأخيرة دفعت إلى مواقع المسؤولية في الأردن بعناصر لا أظن أنني قادر على الاطمئنان الى حسن نواياها. ولست أعتبر أن النصيحة التي يمكن أن يقدمها مثل هؤلاء نصيحة صائبة أو خالصة، ومع أنه ليس من حقي أن أتدخل في الشؤون الداخلية للأردن، فإنني لا أستطيع بمسؤولية الظروف غير أن أصارحكم بذلك.

وتقديري أن خطر هذه العناصر لا يتربص بالمقاومة الفلسطينية فقط، ولكن يمكن أن

يؤدي إلى مخاطر على الأردن نفسه وعلى مؤسساته الوطنية.

4 ـ إن الجمهورية العربية المتحدة تؤمن بأهمية دور المقاومة الفلسطينية، وتؤمن بشرعيتها، وتعتقد بفاعليتها في النضال المستمر ضد العدو، وفي هذا كله فإن الجمهورية العربية المتحدة كانت ترى دائماً وما زالت ترى حماية المقاومة الفلسطينية من كل أعدائها ومن بعض الذين يتظاهرون لمآربهم بصداقتها، بل ومن بعض العناصر المنتمية إليها ذاتها. وكنا نقول وما زلنا نقول إن المقاومة الفلسطينية ظاهرة من أنبل الظواهر التي أسفرت عنها نكسة يونيو سنة 1967 . وكنا نريد ولا زلنا نريد أن تتصرف كل القوى العربية على هذا الأساس حرصاً على أمل وحفاظاً على حق وتجسيداً لوجود الشعب الفلسطيني في ساحة الصراع.

5 ـ إن الفريق محمد صادق سوف يقدم إلى جلالتكم نداء أخيراً بوقف إطلاق النار لكي نستطيع جميعاً أن نعيد تقدير مواقفنا. إن استمرار تداعي الحوادث على هذا النحو يعرض مئات الألوف من أبناء الشعب العربي لأهوال مروعة، ثم إنه يفتح الباب أمام مضاعفات قومية ودولية لا بد من أن نحذر منها .

وكرجاء نهائي فإني أرجوكم الاستجابة إلى هذا النداء بأسرع وقت وحفاظاً على مستقبل هذه الأمة وأمنها وكرامتها.

إننا لا نملك أن نتابع ما يجري الآن في الأردن ساكتين، ولا نستطيع تقبل ترديه ساعة بعد ساعة، وأريدك بأمانة أن تعرف أننا لن نسمح بتصفية المقاومة الفلسطينية، ولن يكون في مقدور أحد أن يصفيها، وسنجد أنفسنا في حرب أهلية عربية بدلاً من حرب مع العدو، وهذه محنة رهيبة لا أريدك أن تتحمل مسؤوليتها، وأعتقد مخلصاً أنه ما زال في يدك أن تتجنبها.

إنني أعرف لك مواقف مشرفة، ولقد سمعتك أكثر من مرة تتحدث عن شعبك وأمتك. وهذه فرصة أخيرة متاحة لنا جميعاً لتكون تصرفاتنا على مستوى مسؤوليتنا التاريخية. وليكن توفيق الله معك فيما تقرر.

* * *

(3) رسالة الرئيس عبد الناصر إلى الملك حسين بتاريخ 1970/9/27 :

باسم رؤساء الدول يؤسفني أن أبلغكم قلقنا الشديد بعد التقرير الذي استمعنا اليه من الأخ الرئيس جعفر النميري وبقية أعضاء الوفد الممثل لنا الذين عادوا من عمان الليلة.

إن التقرير الذي استمعنا إليه منهم يؤكد لنا بما لا يدع مجالاً للشك عدة حقائق:

1 ـ إن هناك إصراراً من جانب السلطة الأردنية على مواصلة إطلاق النار رغم كل المحاولات التي بذلت.

2 ـ إن كل الوعود التي قطعت أهدرت إهداراً كاملاً وأفرغت من كل قيمة حقيقية لها.

3 ـ إن هناك مخططاً لتصفية المقاومة الفلسطينية برغم كل ادعاء بغير ذلك.

4 ـ إن هناك مذبحة مروعة تجري في الأردن منافية لكل القيم العربية والإنسانية.

5 ـ إن وفد الرؤساء الذي عاد من عمان يشعر أنه قد تعرض لمراوغات لم يكن يجب أن يتعرض لها.

6 ـ إننا نشعر بحزن شديد أن تصل الأمور بيننا إلى هذا الحد.

***

وتعقيباً على رسالتي الرئيس نذكر أن الملك حسين لم ير مناصاً من الإذعان، فأصدر أمره القطعي بوقف النار، وأظهر استعداده للقدوم إلى القاهرة والالتقاء مع الملوك والرؤساء، ثم قدم بناء على الموافقة. وتم نتيجة لذلك الاتفاق الذي عرف باتفاق القاهرة 27 أيلول 1970، والذي وقعه الملوك والرؤساء والملك حسين وياسر عرفات معاً.

التعقيب الثاني:

المناسبة سانحة لنسجل ونحن نشعر بكل حزن وألم أن هذه المأساة كانت سبباً مباشراً لفاجعة عظمى حلت بمصر والعرب والإسلام والإنسانية، حيث قضى الرئيس جمال عبد الناصر نحبه في آخر أيامها أي في 27 رجب 1390 ـ 28 أيلول 1970 وهو يودع آخر ملوك ورؤساء العرب ـ وأمير الكويت بالذات ـ، الذين توافدوا على مصر لمعالجتها، نتيجة لما عاناه طيلة أيام المأساة من جهد وإرهاق ليلاً ونهاراً، جسماً وفكراً وقلباً، وحمله من هم وقلق عظيمين، وكان إذ ذاك مريضاً. وكان قبل قد أصيب بنوبة قلب شديدة، فعاودته فسقط شهيد فلسطين التي حارب من أجلها في شبابه في سنة 1948 وحمل حملها، وكانت من أسباب الحركة الثورية التي قادها في 23 تموز 1952 للإطاحة بعهد الفساد والظلم والطغيان والخيانة الذي أدى إلى نكبة عام 1948 التي ظل يحمل همها طيلة عهده، ففقد العرب والمسلمون والإنسانية جميعهم قائداً بطلاً فذاً نادراً في شجاعته وإخلاصه وتجرده وحكمته وواسع أفقه واتزانه ومبادراته الحاسمة، مع البساطة والتواضع وقوة الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، وممارسته لأركان الإسلام وتعضيده له.

وكان من مظاهر ذلك المسجد العظيم الذي أنشأه وصارت حديقته مثوى له، دون أي انحراف عن هذه الصفات في أي موقف. ولقد قلم أظفار الاستغلال والاحتكار والإقطاع، وقضى على الاستغلال الاقتصادي الأجنبي في مصر، ووطد اشتراكية إسلامية معتدلة صارت مثلاً فريداً في التاريخ، موطدة أهداف الإسلام في عدم احتكار الثروة واستقطابها وحرمان غالبية الشعب واستغلالها، مع سماحها بالحيازة المعتدلة منقولة وغير منقولة، والنشاط الاقتصادي الفردي المعتدل، واحترام شريعة التوارث الإسلامية. ومع عدم فسح المجال لصراع الطبقات، وقضاء بعضها على بعض كما تستهدفه الشيوعية، وقاد نهضة زراعية وصناعية وعمرانية وعلمية كبرى غيرت وجه مصر وشعبها، ووطد تنظيماً جماهيرياً واسع النطاق ضم إليه جميع قوى الشعب العاملة من فلاحين وعمال ومثقفين وطلبة وكتبة وذوي دخل محدود ورؤوس مال وطنية معتدلة، ووضع ميثاقاً مثالياً حدد فيه موقف مصر وموقف الحكم في كل أمر داخلي وثقافي واجتماعي وعربي وإسلامي وإفريقي وإنساني على أحسن وأفضل الوجوه وأقواها، واهتم أشد الاهتمام لرفع مستوى العمال والفلاحين الذين هم أكثرية الشعب العظمى وحمى كرامتهم. وجعل لهم نصف مقاعد كل قيادة في ذلك التنظيم الذي أقامه على أساس الانتخاب العام من القاعدة الدنيا إلى القمة، بالإضافة إلى نصف مقاعد مجلس الأمة الذي حرص دائماً أن يكون موجوداً في كل أدوار عهده على أساس انتخابي عام لإقرار التشريعات الدستورية وإعطاء الرأي في كل أمر هام داخلي وخارجي، واتخذ الحرية والاشتراكية والوحدة شعاراً لثورته. وقوى

اندماج مصر في حقيقتها العربية، فصارت مصر وصار هو نفسه رائداً للعروبة، وصارت قضايا العرب على اختلافها قضايا مصر وقضاياه معاً، واستطاع أن يجعل لمصر والعرب مركزاً مرموقاً في العالم يتفوق على من يتفوقون على مصر عدداً وثروة، وحرر مصر والسودان من الاحتلال، وشجع وأيد وساعد الحركات التحريرية في بلاد العرب وإفريقية بكل قوة، فتحررت نتيجة لذلك المغرب الأقصى وتونس والجزائر وليبية وشمال اليمن وجنوبها والعراق وكثير من بلاد إفريقية.

وحاولت الولايات المتحدة وبريطانية احتواءه في بدء بروزه فأبى، فرأتا فيه المناوىء القوي المرشح لقيادة الشرق وطرده منه، فاستهدفتا تطويقه وإسقاط زعامته. وقد عمدتا أولاً إلى إقامة ما عرف بحلف بغداد، وجعلتا عموده الفقري الأسرة الهاشمية المالكة في العراق، محرضتين إياها عليه ومثيرتين نقمتهما من منافسته لهما في زعامة العرب، فتصدى له وألب عليه العرب حكومات وجماهير، وأظهر ما ينطوي فيه من أخطار متعددة على قضايا العرب عامة وقضية فلسطين خاصة، حتى تمكن من تطويقه ثم سقط نهائياً بسقوط الأسرة الذي كان لمواقفه وتشجيعه وزعامته أثر فيه.

ولقد كانت الولايات المتحدة وبريطانية وعدته بالمساعدة على إنشاء السد العالي ومده بالسلاح، فراوغتا ثم أخلفتا بوعدهما بلؤم وبقصد إنزال ضربة قوية عليه، فقابل ذلك بتأميم القناة وكسر طوق السلاح باستيراده من الدول الاشتراكية، وتوطيد علاقة صداقة وتعاون مع هذه الدول وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي. وقابلت بريطانية وفرنسة ذلك بعدوان مسلح على مصر، وجعلتا إسرائيل مخلب القط في هذا العدوان، فصمدت مصر بقيادته، وكان لها دور عظيم في حرب شعبية استطاعت أن تقابل العدوان بقوة وأن تفشله، وأيدت الحكومات والجماهير العربية والاتحاد السوفياتي معاً موقف مصر حتى حبط العدوان وتحررت مصر نهائياً.

واستمر في مقارعة الاستعمار ومشاريعه وكسب المعارك عليه في إفريقية وبلاد العرب. وتصدى له بعض الفئات في مصر، منهم من أراد فرض وصاية ومنهم من حركه الحسد والمآرب الشخصية أو الاستعمار والحاقدون في خارج مصر لإسقاط زعامته وزعامة مصر للعروبة والشرق الأوسط، حتى بلغ الأمر إلى التآمر على قتله وقتل زملائه وتدمير المنشآت وإثارة فتنة دامية كبيرة، فقابلهم وانتصر عليهم في كل محاولة حاولوها، وتصدى له بعض الحكومات الضالعة مع الاستعمار لمثل ذلك فقابلها وانتصر عليها في كل محاولة حاولتها.

ولقد كان رائعاً في موقفه غداة هزيمة حزيران 1967 المشؤومة، حيث أعلن أنه يتحمل مسؤولية ذلك، وأنه يتخلى عن الحكم. ولكن جماهير مصر وبلاد العرب في يومي 8 و 9 حزيران رفضت ذلك بكل قوة اقتناعاً منها بقدرته وحده على تجسيد رفضها للهزيمة وصمودها أمام المحنة، فاستجاب للنداء واستمر يقود الأمة بعد الهزيمة، وينشىء الجيش حتى يثأر للكرامة الجريحة ويحرر الأرض المستباحة.

ولقد كان خصومه يقولون إن سلطته في مصر مستندة إلى الجيش والإرهاب، فكذبت مواقف الجماهير في مصر هذا الزعم فضلاً عن ما ظهر من كونه واقعاً من حيث أن الجيش الذي كانوا يزعمون أنه سنده في سيطرته كان قد انهار، وأن فريقاً من قواده ومنهم من كان من أقوى أعضائه كانوا يتآمرون على إسقاطه. وكان أي

من هـذا كافيـاً لسقوطـه لو كـان ذلـك الـزعم صادقاً .

ولقـد تجـاوز بثـوريتـه وإرادتـه وصـلابتـه وإخلاصه وإبائه النكسة وأعاد إلى الأمـة ثقتها بنفسها ، وحالما صار في إمكان جيشه الناشىء أن يتحرك بحركة ما بادر إلى حرب الاستنزاف كمقدمة للحرب الثأرية ، مما أزعج اليهود أشد ازعاج ، وأزعج الولايات المتحدة ، وجعل هذه تطلب منه وقف هذه الحرب بوعد الانسحـاب الكامل وحل المشاكل الأخرى حلاً عادلاً كريماً على النحو المعروف . فكان كل ذلك مما وطد زعـامته وشعبيتـه وشخصيتـه ، وأثبت صـدقـه وإخلاصه وواسع أفقه وبعد نظره ، حتى وصل كل ذلك إلى الذروة .

ولقـد تحركت بمـواقفه ومبـادراته وحيـويتـه وتطلعاته وألمعيته وقوة حدسه وشجاعته منطقـة الشـرق الأوسط جميعهـا العـربي منهـا وغيـر العـربي، والإسـلامي منهـا وغيـر الإسـلامي، والإفريقي منها وغيـر الإفريقي، بعـد سكون، وجاشت بعد هدوء، واهتدت بعد ضياع .

ولم تكن قضية في هذا الشرق إلا وكان له موقف مؤثر فيها إيجابي أو سلبي حسب مقتضى الحال. ولم يكن أحد يتحرك من دول المنطقة بل وخارجها إلا وكان لرد فعله فيه حساب عنده. ولم يكن يعقد مؤتمر عربي أو دولي أو آسيوي أو إفريقي إلا كان نجماً متألقاً فيه، وكان لموقفـه ورأيـه الأثر الأقـوى. وكان من أعـظم وأقـوى وأروع نجوم اجتماع الرؤساء والملوك في جمعية الأمم العـامة في تشـرين الأول لعـام 1960 . وكان لجهده ومبادراته أثر قوي في قيام ما يسمى منظمة الدول الإفريقية، ثم في قيام مـا يسمى منظمة دول عدم الانحياز. فصدق عليه القول حقاً وصدقاً وعلى أوسع مـا يكون (إنـه مالىء الدنيا وشاغل الناس) .

ولقـد أولى قضيـة فلسـطين وحقـوق شعب فلسطين ومقاومة فلسطين عنايته الكبرى، فكان لذلك الأثـر الأعظم فيمـا صارت إليـه من قوة وتصاعد .

ولقد كان موقفه حينما قرر قبول قرار مجلس الأمن الصادر في 1967/11/22 ، ثم المبادرة الأميركية في تمـوز 1970 ، الهادفـة إلى تنفيذ ذلك القرار، إيجابياً وعـظيماً ودالاً على نفـوذ بصيـرته وبعـد إدراكه وقـوة التـزامـه بـالهـدف التحـريري الكـامل الـذي تستهدفـه المقاومـة الفلسطينية، حيث أقـر المنظمـات الفلسطينيـة الفدائية والسياسية على رفضها لذلك القرار، ثم لتلك المبادرة، ولوقف النار التي اقترحتها هذه المبادرة علناً وصراحة. وشجعهـا على موقفهـا هـذا لأن القرار والمبـادرة وإن كـانـا يضمنـان انسحـاب القوات اليهـوديـة من الأراضي التي احتلتها في عدوان حزيران إذا تم تنفيـذهما، فإنهما لا يضمنان تحقيق حقوق الفلسطينيين في وطنهم كاملة وهو ما تستهدفه المقاومة. ووسع صدره لما بدر من بعض المنظمات من تهجم وانفعال وتجاوز. واستمر يعلن وجوب استمرار العمـل الفدائي وحمـايتـه وتقـويتـه وتـدعيمـه وتصعيده، والتزام مصر بذلك إلى تحقيق غايته . وكان موقفه من مؤامرات النظام الأردني ضد هذا العمل قوياً شديداً، وكان فيه شهادته على ما مر شرحه .

ولقـــد أولى العلم والفن والـدعــوة إليهمـا والانتفـاع بهما على أوسـع نطاق في النهضـة العربية الحديثة اهتماماً عظيماً. وكان إيمانه قوياً بطاقة العرب وقدرتهم على مباراة الغرب وملء الفراغ وتبوء المركز اللائق بهم إذا ما ساروا في ذلك الطريق واستعدوا واستنفدوا طاقاتهم فيه .

ولقد كانت له وقفات خطابية وتصريحات صحفية وغير صحفية ورسائل عامة في المناسبات، بحيث لا يكاد يخلو شهر بل أسبوع أحياناً من شيء من ذلك. وكثير من خطبه ذو نفس طويل يستغرق الساعات، ويستعمل فيها على الغالب اللهجة العامية، ويأخذ نفسه فيها على سجيتها، ويضمنها ردوده ومواقفه وأفكاره على أحداث الساعة الداخلية والخارجية والسياسية وغير السياسية. وكثيراً ما كان فيها مفاجآت مثيرة وجريئة، فكانت أبصار العالم وأسماعه العربي وغير العربي تشتد إلى خطبه حيثما يعرف أنه سيخطب في مناسبتها، ويكون كل ما يصدر عنه موضع دراسات وتحليلات واسعة، وفي معظم خطبه وتصريحاته مبادىء وتقريرات وحكم وطنية وسياسية وعلمية واجتماعية صارت تورد وتؤثر في المناسبات ويستشهد بها وصار بها معلماً فضلاً عن الزعامة.

ولقد كان قوي البديهة قوي الحدس ثابت الجنان إزاء المشاكل والمآزق والأحداث الجسيمة، ولا يلبث أن يجد لكل مشكلة حلاً ولكل مأزق مخرجاً ولكل حدث علاجاً، وكان سريع المبادرة جريئاً عليها مفاجئاً فيها، ويقف في كل أمر الموقف المقتضى الحق بكل صلابة ويتحمل مسؤوليته بقوة وثبات. ومما يسجل له موقف قوي مثير تجاه رئيس الوزارة السوفياتية خروشوف سنة 1958. فقد تكتل الشيوعيون العرب في مصر وسورية ضد الوحدة السورية المصرية، فوقف منهم موقفاً حاسماً، فانتصر لهم خروشوف ووجه إليه غمزاً، فبادر إلى الرد القوي عليه دون أن يبالي بما كان من مساعدات الاتحاد السوفياتي له، وفي ظرف كانت الدول الغربية الكبرى الثلاث معادية له، ولم يلبث خروشوف أن تراجع عن موقفه لأنه رأى أن ما كسبه الاتحاد السوفياتي من نفوذ أدبي في الشرق الأوسط قد يذهب هباء من موقف مناوىء للزعيم الذي كان صاحب التأثير القوي في هذا الشرق، ولا سيما أنه كان للإستعمار فيه ركائز مضادة للاتحاد السوفياتي والشيوعية، وتتمنى أن تقع الوقيعة بينهما وبين الزعيم.

ولقد كان له قدرة عجيبة على كسب القلوب والحفز على العمل، كما كان شديد التحمل للمناقضات والمزعجات صبوراً واسع الصدر شديد التحمل للعمل مهما كان شاقاً مضنياً، وكان إلى هذا إنساناً عطوفاً باراً، يستمع ويستجيب لكل قائل وطالب، ويهتم بمشاكل الناس وهمومهم ورغباتهم الصغيرة، ويبادر إلى حلها والاستجابة إليها، وكان يقرأ كل شيء ويشارك في كل شيء، وكان في كل ذلك يدهش المراقبين على اختلاف أجناسهم وميولهم، واستقطب بصفاته وأخلاقه ومبادراته المدهشة المثيرة، التي لم تجتمع لزعيم عربي وإسلامي في موقع السلطة مثل ما اجتمعت فيه من قرون عديدة، الشعب العربي من محيطه إلى خليجه، فتعلق به وغدا ملاذ الأمة العربية بل وملاذ الشعوب الإفريقية والآسيوية ومنارها.

ولقد بكاه العرب والمسلمون والإنسانية أشد بكاء، ورأوا في استشهاده فاجعة عظمى لهم مما تمثل خاصة فيما كان من حزن عظيم وتفجع شديد في مصر وسائر بلاد العرب من خليجها إلى محيطها يجلان عن الوصف، ومن شعور شديد بفقدان أعز الأعزاء وأقوى المناضلين وراعي العروبة ومجسد صمودها ومقارع الاستعمار والمنافقين وهازمهم، والملاذ الذي اعتادوا أن ينتظروا منه الحسم ويستمدوا منه الروح والقوة كلما قامت الأزمات وحزبت

الخطوب في الداخل والخارج، والذي كان يشفي غليلهم في كل ذلك فيزداد في نظرهم عظمة وعلواً.

ولقد تجلى ذلك كله بموكب تشييعه الهائل الذي أجمع الناس على أنه لم يسبق له مثيل في التاريخ، وفي المسيرات العظيمة التي سارت في كل بلد عربي وإسلامي يوم تشييعه، وبعشرات الملوك والرؤساء والوزراء والوفود الذين توافدوا على مصر للاشتراك في التشييع والعزاء من جميع أقطار الدنيا، لم يكن حافز مجيئهم مجاملة مصر وتزلفاً لها، وإنما الإعجاب العميق بشخصيته وزعامته وإنجازاته ومواقفه.

ولقد اعترف الأعداء فضلاً عن الأصدقاء بما تحلى به من صفات نادرة ووقفه من مواقف حاسمة، وشجاعة أهلته لتبؤ المركز العظيم الذي تبوأه في قلوب العرب والمسلمين والعالم أجمع.

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن أمته وبلاده ودينه أحسن الجزاء، وأنزله منازل الرضوان مع النبيين والصديقين والشهداء.

وإنه لمن فضل الله وتوفيقه أن نشأ ونضج في عهده جيل يعد بارزاً وبالألوف تشيعوا بمبادئه وأهدافه وكانوا أقوى عضد له في منجزاته ومبادراته ومواقفه. وقد بادروا بدون توان إلى الإعلان بكل عزم وقوة بأنهم سوف يستمرون على طريقه ويلتزمون بمبادئه وخططه ومبادراته وأهدافه، وسيحافظون على كل منجزاته، ويبذلون الجهد في تحقيق كل ما كان يهدف إليه في كل شيء سياسياً كان أم حربياً أم تحريرياً أم اجتماعياً أم عربياً أم إسلامياً أم أفريقياً أم إنسانياً، وبخاصة شعار ثورته (الحرية والاشتراكية والوحدة)، وشعار (أولوية المعركة على كل شيء لتحرير الأرض المحتلة وضمان حقوق شعب فلسطين كاملة)، مما تمثل في هتافات الشعب على اختلاف أفراده وهيئاته، ثم في القرارات المتتابعة لقياداته بدءاً من اللجنة التنفيذية العليا للإتحاد الإشتراكي إلى اللجنة المركزية العامة إلى مجلس الأمة إلى السيد أنور السادات الذي كان مرشحه لخلافته، والذي أجمعت هذه القيادات ثم الشعب في الاستفتاء العام على إمضاء هذا الترشيح وتثبيته، وفي ترديد كل ذلك من جماهير الشعب العربي ومنظماته في كل الأقطار العربية، والعزم على التضامن فيه مع شعب مصر وقادتها. وتوج ذلك فيما ألقي في المؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي الذي عقد اجتماعاً طارئاً في الأسبوع التالي من تشرين الثاني 1970 من خطبٍ وجرى من مناقشات، وتقرر من قرارات وتوصيات. حيث كان إجماع رائع على متابعة خطوات وخطط وتطلعات ومبادرات وأهداف وسياسة الراحل العظيم الداخلية والخارجية والعربية والآسيوية والإفريقية والإسلامية والدولية بكل تصميم، وبخاصة في التصميم على متابعة الاستعداد لإرغام اليهود بكل وسيلة على الجلاء عن كل شبر احتلوه من أراضي مصر وسورية والأردن، وعلى التسليم بحقوق الشعب العربي الفلسطيني كاملة، وضمان ممارسته لها ودعم كفاحه حتى يتحقق له ذلك.

ومن حسن الحظ أن حيوية رفاق الزعيم الشهيد وخلفائه الكبار وفي مقدمتهم أنور السادات، وإدراكهم لمهمتهم العظيمة قد أخذ يوجد في نفوس جماهير العرب الثقة بأنهم سوف يبذلون كل جهودهم وطاقاتهم لسد الفراغ الهائل الذي كان يشغله والسير قدماً على طريقه وخطواته.

والله المسؤول أن يمنحهم القوة والتسديد والثبات والتأييد، إنه سميع مجيب.

* * *

التعقيب الثالث : وقد كتبناه في أيلول 1971

لقد صح تخوفنا الذي أبديناه في التعقيب الأول. فقد عاد الملك إلى المراوغة اغتناماً لفرصة ارتحال الرئيس القائد العظيم، متنكراً لتوقيعه الذي وضعه على اتفاقية القاهرة مع الملوك، وعلى اتفاقية عمان، معضوداً بالولايات المتحدة وربيبتها من ورائها، فأتى بوصفي التل رئيساً لوزارته. وترسم المجرمان خطة استطاعوا بها زحزحة فصائل المقاومة عن مراكز حصانتها في عمان وغيرها من مدن الضفة الشرقية وتجريدها من قوتها ووسائلها مرحلة بعد مرحلة، رغم استنكار لجان المتابعة والمراقبة المعينة من مؤتمر الملوك والرؤساء، بسبب ما كان منهما في سياق ذلك من نقض للاتفاقات المعقودة ومن مراوغات ظاهرة الريبة، ثم حشروها في أحراش عجلون وجرش في أوائل عام 1971، وسلطوا عليها كل ما لديهم من قوات ودبابات ومصفحات ومدافع وقنابل وطائرات، وأعملوا فيها فتكاً وتدميراً وأسراً. واستطاعوا نتيجة ذلك إنهاء وجودها العلني في الساحة الأردنية، رغم ما أبدته من بسالة واستماتة، ودون مبالاة بالاستنكار العربي العام الشديد الحكومي والشعبي وما رافقه من قطع علاقات وموارد وسد أجواء وطرق، وأعلنوا خلال ذلك أنه لم تعد للاتفاقيات ولم يعد للمقاومة والفدائيين وجود في الأردن، وأن السلطة قد استتبت لحكومة الأردن وقوانينها مطلقاً، فكان ذلك ذروة ما بيته هذا النظام ضد انبعاث الحركة الفلسطينية الجديدة، حيث توقفت حركة الكفاح المسلح الشديدة المنطلقة من الضفة الشرقية التي استمرت أكثر من ثلاث سنين، وكانت كابوساً مزعجاً للعدو كبدته الخسائر في الأرواح والمنشآت، وبعثت الحياة في قضية فلسطين وقدمتها كحركة تحرير وطنية. كما بعثت الحياة في الموقف العربي عامة أقوى بعث كان له آثار عربية وعالمية ودولية كبيرة. وكان من آثارها أن قررت الجمعية العامة لهيئة الأمم في دورة سنة 1971 أن من الواجب في أي تسوية لأزمة الشرق الأوسط أن يؤخذ بعين الاعتبار الاعتراف بحق الشعب العربي الفلسطيني في وطنه وتقرير مصيره، حيث يبدو من ذلك عظم الجريمة التي ارتكبها النظام الأردني بتعضيد سافر من الولايات المتحدة وإسرائيل.

ولقد جرت محاولات مشتركة مصرية سعودية في سبيل تنقية الجو بين السلطات الأردنية وحركة المقاومة وعودة هذه الحركة إلى نشاطها في الأردن في نطاق الاتفاقيات المعقودة في القاهرة وعمان بعد مرور فترة على المجزرة الحاسمة التي أنهت الوجود الفدائي العلني في الساحة الأردنية. وتظاهر النظام الأردني بالإستجابة، أملاً بأن ينتهي ما كان ضده من عزلة وعداء عربي عام وما قطع عنه من معونات مادية وما كان من قطع علاقات وسد أجواء وطرق.

وتمت رحلات واجتماعات عديدة بين ممثلي السعودية ومصر والملك ورجاله ورجال المقاومة، ولكن المحاولات انتهت بالفشل والتوقف، لأن ممثلي الأردن ظلوا يضعون العراقيل ويراوغون بأمر من عمان، ويشترطون قبل كل شيء عودة المعونات المادية والعلاقات المقطوعة والأجواء والطرق المسدودة وتجاوز اتفاقيات القاهرة وعمان بحجة استنفاذها

لأغراضها. وكان ممثلو المقاومة يصرون على أن يكون أي اتفاق قائماً عليها، وممثلو السعودية ومصر يؤيدونها في ذلك...

ولقد كان الملك ورئيس وزارته حينما بيتوا الضربة الساحقة الأخيرة، وقبل أن ينجحوا في إتمام جريمتهم الرهيبة، يكررون القول أنهم مؤيدون للعمل الفدائي في نطاق الاتفاقيات المعقودة، وأن كل ما يتوخون تنظيم هذا العمل وتنقيته من المريبين في زعمهم. وظهر يقيناً أن ذلك كان منهم مراوغة ومداورة حتى يتمكنوا من إتمام جريمتهم، وحينئذ أعلنوا انتهاء هذه الإتفاقيات والوجود الفدائي معاً، وأن ذلك لن يعود مرة أخرى، وظلوا ملتزمين بقولهم الفاجر الباغي ومايزالون.

* * *

(68) رسالة من الكاتب إلى الدكتور جورج حبش ورفاقه قادة حركة القوميين العرب والجبهة الشعبية الفدائية في تاريخ 12 حزيران 1970

عزيزي الدكتور جورج حبش وإخوانه المحترمين.

سلاماً واحتراماً. وبعد، فقد كتبت إليكم منذ شهور رسالة بناء على المودة المتبادلة بيننا عاتباً منبهاً في صدد موقف العزلة والتزمت الذي يقفه تنظيمكم الفدائي وأنتم من ورائه من أمر رغبات وجهود التوحيد وعدم انضوائكم إلى التشكيلات القيادية التي قامت سابقاً، وقلت لكم إنه كان يجدر بكم أن يغتنموا فرصة محاولات ضرب حركة المقاومة التي جرت في لبنان لتعلنوا انضمامكم وتضامنكم مع هذ التشكيلات وانهاء الموقف[1].

ولقد تابعت ما جرى في دورة المجلس الوطني الأخيرة، واشتراككم فيها اشتراكاً رمزياً، وقرأت مذكرتكم وما أبداه ممثلكم أثناء المداولات في صدد التوحيد العسكري والوطني، وفي صدد ما ترونه من المواقف تجاه كل الحكومات تقريباً مما فيه إنهاك وإشغال لقوى الثورة عن مهمتها وتفسير له في الوقت نفسه.

وآسف أن أقول إني لمحت أنكم مازلتم منفردين في ذلك الموقف عن سائر المنظمات. ولقد حاول ممثلكم أن يحول فكرة التوحيد عن مدى الاندماج الصحيح المطلوب والمثمر، إلى اندماج جبهوي يجعل كل تنظيم محتفظاً بنشاطه وكيانه ورؤيته السياسية إذا كانت مخالفة لرؤية الأكثرية. ولما لم ينجح وقررت أغلبية المجلس تشكيل القيادة العسكرية وتمثيل جميع المنظمات فيها، ورأى ممثلكم أن لا مناص من الإذعان الظاهري لذلك، بادر إلى الإعلان في مؤتمر صحفي بأن تنظيمكم سيلتزم بالقرارات المتصلة بشؤون الفصائل والأعمال العسكرية إذا كانت بالإجماع. وأنه في حالة أي قرار لا يكون بالإجماع يحتفظ التنظيم بحقه في السير وفق رؤيته السياسية. وهكذا ظل موقفكم شاذاً منفرداً دون سائر المنظمات، ولم يكن الإذعان للقرار إلا صورياً، لأنه يكفي أن لا توافقوا على أي قرار أو لا يوافق تنظيم واحد على أي قرار حتى تبرروا التزامكم به. وقد أثبتت التجارب أن مثل هذا الإجماع نادر جداً، وأن القيادة الجماعية التي تخضع فيها الأقلية للأكثرية وتلتزم بما

(1) نص هذه الرسالة برقم (61).

تقرره الأكثرية هو المنطقي المألوف الذي لا يجوز المماراة فيه والتهرب منه، ولا أدري هل تعتقدون أن أحداً يمكن أن يأخذ هذا الموقف على مأخذ شدة الإخلاص والفهم، وتفوقكم فيهما على جميع من عداكم . . ؟

ولم يمض يومان على إنهاء دورة المجلس حتى بوغتت حركة المقاومة بالمؤامرة الخبيثة الشرسة الأخيرة في الأردن التي جاءت هذه المرة على أوسع وأخبث الصور، وهدفت إلى القضاء على المقاومة والقضية الفلسطينية معاً.

ويتبادر لي أن ما أحرزه المجلس الوطني من نجاح، وقراراته بتوحيد الساحة الوطنية الأردنية الفلسطينية أولاً، وإنشاء اللجنة المركزية لتتولى القيادة العسكرية والسياسية ممثلة لجميع المنظمات الفدائية والفئات الأخرى ثانياً، وتشكيل القيادة العسكرية التي روعي أن تكون هذه المرة فعالة في كل أمر مع تمثيل جميع المنظمات فيها ثالثاً. كان من الدوافع التي جعلت العملاء الخائنين يتعجلون في إبراز وتنفيذ مؤامرتهم الشرسة الخبيثة الواسعة قبل أن تترجم كل ذلك إلى فعل عملي على الصعيد العسكري والسياسي والوطني.

إن حركة المقاومة بتصاعدها وتعاظمها واحتمالات تزايد هذا التصاعد والتعاظم صارت بالنسبة للصهيونية والامبريالية أعظم الأخطار والعقبات في سبيل أي تسوية مهما جنحوا فيها إلى التساهل، لأنهم يعرفون أنها لن ترضى ولن تهدأ إلا بزوال الكيان الصهيوني، وأنها قد فرضت نفسها على الصعيد العربي وعلى الصعيد الدولي معاً. ولذلك فلسوف يكررون مؤامراتهم دون كلل ولا ملل. وصار من واجب كل مخلص غيور بذل كل جهد وتضحية والتنازل عن أي اعتبارات وجدليات من أجل إتمام وتنفيذ تلك القرارات، حتى يكون للمقاومة والحركة التحريرية بها الصياغة والقوة والتعاظم والضمان، ولا سيما أن حركة المقاومة غدت مناط أمل الأمة العربية ومجسد تمردها الفعلي على المطامع الاستعمارية والوجود الصهيوني من جهة، وهي من جهة ثانية الوسيلة الوحيدة التي لا بديل لها في تحقيق هدف الأمة المقدس، وهو تقويض الكيان الصهيوني وإعادة فلسطين إلى الحظيرة العربية كاملة بدون ما شائبة مهما طال الزمن وعظمت التضحيات.

ولذلك رأيت أن أعود فأكتب اليكم بدافع من الإخلاص والمودة، مناشداً فيكم القومية والإخلاص بأن تغتنموا الفرصة لتسهموا إسهاماً عملياً وتحملوا من تقدرون على إقناعه ممن يحذو حذوكم في التحفظ إن كان هناك أحد غيركم فيه بمثل ذلك، حتى يتم الانسجام والجد في تحقيق وتنفيذ كل القرارات بدون تحفظ وتزمت، ضماناً لقوة الثورة ووحدتها وقدرتها على مقابلة كل مؤامرة خبيثة بعد الآن من أية جهة جاءت، ثم استمرارها بتعاظم وتصاعد حتى يتحقق هدفها المقدس المذكور.

وأرجو أن يكون لكتابي هذا الأثر المنشود في نفوسكم وتصرفكم، والله يوفق الجميع إلى ما فيه الخير والسداد، ويرد كيد الكائدين والماكرين لأمتنا وقضيتنا إلى نحورهم والسلام.

وقد تلقى الكاتب
من السيد جورج حبش الجواب التالي:
1970/7/6

أستاذي الكبير محمد عزة دروزة المحترم[1]

(1) رسالة جوابية من الدكتور جورج حبش على رسالتنا رقم (67).

تحية الثورة. وبعد، أرجو أن تسمح لي في أول رسالة أكتبها إليك أن أعبر لك يا والدي عن مدى شعوري العميق بالمحبة والتقدير الذي أحمله لكم في نفسي، أقول ذلك بكل صدق، وأرجوك أن لا تفهم كلامي هذا وكأنه مجرد مجاملة عادية.

إنكم بالنسبة إلي تمثلون صمود شعبنا رغم كل التحديات التي ما زال يواجهها منذ نصف قرن.

لقد شعرت بالاعتزاز لدى تسلمي رسالتك، رغم ما حملته يا والدي من نقد لمواقف الجبهة، يصعب علي في مثل هذه الرسالة أن أوضح لكم كافة هذه الملابسات التي تحوم حول مواقف الجبهة السياسية، سواء ما تعلق منها بموضوع الوحدة الوطنية أو الموقف من الأنظمة العربية أو بعض خطوطها العسكرية من نوع ضرب المصالح الإمبريالية ومؤسسات الصهيونية في الخارج. وكم أتمنى لو كانت الظروف تسمح بأن ألقاك مباشرة لشرح وجهة نظرنا، لأنه يهمني جداً يا والدي أن تكون راضياً عنا.

أما بالنسبة لموضوع الوحدة الوطنية، فإن أحداث الأردن الأخيرة قد دفعت بموضوع الوحدة الوطنية خطوة إلى الأمام من خلال صيغة اللجنة المركزية، ومن ناحيتنا سنبذل كل جهد لإنجاح هذه التجربة، والموضوع سيتوقف كذلك على الطرف الآخر بقدر ما يتوقف علينا. حتى الآن تسير التجربة بشكل مرض نسبياً، ولكننا لا نستطيع القول إنها ثبتت على أسس متينة واضحة وسليمة.

أعرف أن هذا المدى من الكلام لا يمكن أن يكون كافياً بالنسبة لك، سأحاول ولا أستطيع أن أعد بأن يمر عليك في دمشق أحد رفاقنا المسؤولين أو المتفهمين لحقائق مواقف الجبهة السياسية حتى تأخذ منه فكرة واضحة عن كل هذه الأمور. وقد نبقى مختلفين، غير أنه يهمني يا أستاذي الكبير أن تكون واثقاً بأننا كما عرفتنا سابقاً مخلصين، أعني مخلصين للقضية قبل أن نكون مخلصين للجبهة، وشكراً جزيلاً.

وقد أرسل الكاتب
إلى السيد جورج الجواب التالي:
1970/7/26:

عزيزي الدكتور جورج حبش المحترم

تحية واحتراماً وبعد، فقد استلمت أمس رسالتكم الجوابية المؤرخة في 1970/7/6، وإني أشكركم جزيل الشكر على حسن ثقتكم وجميل وفائكم والتقبل الحسن الذي تقبلتم به رسالتي، وأنا لم أرسلها هي والتي سبقتها إليكم إلا وأنا واثق من ذلك، لما خبرته فيكم شخصياً من إخلاص وغيرة وحسن تفهم وتجاوب مع نداء الحق والواجب.

إني لا يفوتني أنه لا بد من أن يكون لديكم ما تستطيعون أن تبرروا به مواقف جبهتكم السياسية التي أبديت عليها ملاحظاتي سابقاً وأخيراً. غير أن النقطة التي أنطلق وما أزال أرى الإنطلاق منها أولى وأوجب، هي أن ظروف قضيتنا وكفاحنا وما يدبر لهما من مكائد محبطة أو معوقة، وما هي في أشد الحاجة إليه من حشد كل طاقة وتقوية الانسجام بين العاملين والهدف التحريري الجوهري الذي يستهدفه كفاحنا. كل هذا يوجب علينا جميعاً أن نقلل أو نتغاضى عن ما قد يكون من تناقضات ثانوية، ولا نجعلها تؤثر فيما هو الأولى والأوجب والجوهري، أو تعيق السير فيه أو تعكره. ولا سيما أن أعداء

القضية يستغلون أية ثغرة للنفوذ منها لتعويق مسيرتنا الكفاحية وصمودنا.

وإني لوطيد الأمل في أنكم ورفاقكم تتفهمون ذلك أحسن التفهم وتسيرون وفق مقتضاه.

والنصر والعزة للمؤمنين المخلصين.

تعقيب

من المؤسف أن نسجل أن قادة الجبهة الشعبية وحركة القوميين العرب من ورائها ظلوا على الخطة التي انتقدناها في رسائلنا السابقة، وطلبنا منهم تعديلها أو عدم الغلو فيها، سواء بالنسبة للحكومات العربية على اختلاف صفاتها، أم بالنسبة إلى عدم الالتزام بالقرارات التي تتخذ في المجلس وفي اللجنة التنفيذية ولا يوافقون عليها، على ما قرأناه من مقترحاتهم التي قدموها إلى المجلس الوطني في دورته الطارئة في 29 آب 1970 . وقد جسدوا ذلك الموقف بعدم تقيدهم بقرار اللجنة المركزية في مسألة الطائرات التي خطفها بعض فدائييهم وأتوا بها إلى الأردن في أوائل أيلول 1970 ، وفرضوا عليها وعلى ملاحيها وركابها سيطرتهم.

فقد قررت اللجنة المركزية بناء على ما أحدثه ذلك العمل من ضجة دولية كادت أن تسيء إلى العمل الفدائي أخذ هذه المسألة لمسؤوليتها وبقاء الطيارات سليمة وإطلاقها في النهاية مع ركابها وملاحيها حينما يتم الوصول إلى النتيجة المنشودة، حيث بادروا إلى نسفها فور خروج الملاحين والركاب منها، وأبقوا بضع عشرات من الركاب رهائن في قبضتهم، وصاروا يطلقون التصريحات والتهديدات ويتفاوضون بشأنهم مع مندوبي الصليب الأحمر الدولي وممثلي الدول من ورائهم، متخطين بذلك اللجنة المركزية ومتجاهلين الحكومة الأردنية معاً، مما جعل اللجنة تقرر إدانتهم وتجميد تمثيلهم فيها. وكان عملهم هذا من الأسباب المباشرة التي تذرعت بها السلطات الأردنية لإقامة حكم عسكري في أيلول 1970، وإقدامها على المجزرة الرهيبة التي أشرنا إليها في مناسبة سابقة.

ونقول تذرعت لأن ذلك الحادث والأسباب الأخرى لا يمكن أن تبرر ذلك، ولأن السلطات الأردنية حاولت كما هو معروف مشهور ضرب المقاومة وتطويقها وعرقلتها وسحقها مراراً عديدة منذ بدايتها خلال السنين الخمس، بل منذ قامت حركة الكيان الفلسطيني وانشئت منظمة تحرير فلسطين سنة 1964، ولم يكن طيارات مخطوفة ولا رهائن محجوزة. وكان آخرها مجزرة حزيران 1970 الرهيبة التي لم ينقطع تسلسلها إلى أن كانت مجزرة أيلول هذه التي أرادتها السلطات أن تكون نهائية وقاصمة.

وكانت السلطات في كل محاولة من محاولاتها تتذرع بذرائع مختلفة ليس فيها ما يبرر ما كانت تقفه من مواقف العرقلة والكيد لمنظمة التحرير، ثم ما كانت تصبه على الفدائيين والفلسطينيين من بلاء. لأن ذلك استراتيجية جوهرية للصهيونية والولايات المتحدة أوكلوه لعملائهم في السلطات الأردنية على مختلف المستويات، بكل دأب وإخلاص.

* * *

(69) رسالة من الكاتب للسيد ياسر عرفات 29 تموز 1970

الأخ المناضل أبا عمار حفظه الله(1)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد، فإني رأيت من واجبي وقد عرفت فيكم في أثناء لقاءاتنا العديدة قبل النكبة وبعدها، وفي درب الثورة المباركة التي التقينا فيه، سعة الأفق والصدر وحسن التروي والأناة والتفهم والإخلاص الشديد للقضية التي نجاهد جميعاً في سبيلها، أن أرسل إليكم هذا الكتاب لعله يكون مفيداً في الظرف المتوتر الحاد الذي تمر به قضيتنا بسبب موافقة مصر والأردن على المبادرة الأميركية. وكم كنت أتمنى أن ألقاكم لأتحدث معكم في ذلك وجاهياً حينما مررتم بدمشق قبل أيام، وقد تعودت ذلك منكم، وقام به ما قام بيننا من تفاهم وتواثق وتعاطف. وأنا أعرف أن ظروفكم هي التي تحول دون هذا اللقاء المتواصل، فصار من الضروري أن أستعيض عنه بالكتابة إليكم من حين لآخر لأناجيكم بما يعن لي من أفكار في صدد قضيتنا العزيزة وجهادنا المقدس.

ومع أني قرأت في جريدة (فتح) مقالات وتعليقات فيها رد على بعض ما جاء في هذا الكتاب، فإني لم أر ذلك مانعاً من كتابته. لأني أعتقد بصواب ما كتبت وسلامته مهما كان بيني وبين الكاتبين والمعلقين من خلاف في وجهة النظر والاجتهاد والرؤية.

وأعتقد أن لي في نفوسكم رصيداً من حسن الظن في تفكيري وإخلاصي للقضية القومية عامة وللقضية الفلسطينية خاصة، وقد قضيت أكثر من ستين عاماً في خدمتها والجهاد في سبيلها بمختلف الصور، وهذا ما يجعلني آمل بأن تتلقوا ما أقوله في كتابي تلقياً حسناً:

1 ـ إن قناعتي العميقة التي أعتقد أنها أيضاً قناعة الرئيس جمال وقناعة كل متابع لتسلسل الأحداث، أن الموافقة على المبادرة الأميركية هي موقف سياسي وحسب اقتضته الظروف ومصلحة العمل السياسي رغم ما يقال خلاف ذلك(2). وأن ما عرف عن العدو من حيل وشره

---

(1) كتبنا في مآل هذه الرسالة رسالة إلى الدكتور جورج حبش ورفاقه وأركان الجبهة الشعبية أيضاً.

(2) عنينا بتعبير الموقف السياسي أن الجمهورية العربية المتحدة التي قبلت قرار مجلس الأمن الصادر في تشرين الثاني سنة 1967 القاضي بانسحاب القوات اليهودية من الأراضي التي احتلتها نتيجة لعدوان الخامس من حزيران من هذه السنة، وبحل مشكلة اللاجئين حلاً عادلاً، في وقت لم تكن تملك فيه أية قوة ظلت بالاشتراك مع الاتحاد السوفياتي تحمل على إسرائيل لرفضها القرار، وتحمل على الولايات المتحدة لتأييدها لإسرائيل بأساليب ملتوية في موقفها الرفضي رغم اشتراكها في القرار، والذي كان من جرائه حبوط مهمة يارينغ في المرحلة الأولى. وتصفها بالنفاق والخداع والعدوان، وتكسب نتيجة لذلك قطاعات واسعة من الرأي العام العالمي والدول الكثيرة جداً التي أيدت وأوجبت تنفيذ القرار ورأت فيه الحل الأدنى للمشكلة مع عدم إضاعتها ـ الجمهورية العربية المتحدة ـ دقيقة واحدة منذ قبلت القرار في الاستعداد الحربي، حتى استطاعت أن تعيد بناء قوتها على أفضل ما يمكن. وأعلنت حربها الاستنزافي ضد إسرائيل، مما أوجد موقفاً جديداً خطيراً جعل الولايات المتحدة تحسب عواقبه لا سيما والاتحاد السوفياتي وراء ذلك بكل ثقله، وتدرك عدم إمكان تحقيق مطامع اليهود وترسل سيسكو أحد كبار موظفيها ليقول للرئيس جمال (اختبرنا لآخر مرة)، فوجه الرئيس نداءه إلى الرئيس نيكسون يطلب منه أن يأمر إسرائيل بالإنسحاب وتنفيذ قرار مجلس الأمن أو يمنع تزويدها بالسلاح الذي يجعلها تركن إلى قوتها وترفض بغطرسة =

وصلف سوف يجعلها عقيمة، وأنها لن تصل إلى تنفيذ، وأن العدو لن يتزحزح عن موقفه الذي كسبه بالنصر السريع الخاطف إلا بالقوة، وأن المعركة معه سوف تقع، ولن يكون لهذا الموقف السياسي إلا الأثر الدعائي المتوخي، حتى ولو وافق العدو على المبادرة مبدئياً. ولا سيما أن الموافقة العربية عليها قامت على دعامتين كما جاء ذلك صراحة في الرد العربي الرسمي، وهما الإنسحاب الكامل من جميع الأراضي التي احتلتها، ثم التسليم بحقوق الشعب العربي الفلسطيني الكاملة في وطنه[1] ومباشرته لها فعلاً. وقد جاء هذا صريحاً جازماً

= تنفيذ القرار. فصار من المعقول والمنطق إذا ما جاءت الولايات المتحدة تعرض عليه بما عرف بمبادرة روجرز التي ليس فيها جديد إلا اقتراح وقف حرب الاستنزاف التي تباشرها مصر وحدها على قناة السويس لمدة ثلاثة أشهر، وتعد بتجميد وقف السلاح عن إسرائيل، أن تقبل الجمهورية العربية ذلك. ويكون رفضها له نقضاً لمواقفها السابقة. وحيث يكون في هذا القبول كشف عملي لحقيقة موقف وعرض الولايات المتحدة وتعريتها أمام الرأي العام العالمي. وهو ما وقع فعلاً. ولقد صرح وزير خارجية مصر في السادس من تشرين أول 1970 بما فيه مصداق لما كتبناه قبل، حيث قال أن الولايات المتحدة قدمت خطة روجرز بأمل الحصول على تأييد الرأي العام العالمي من جهة، ومن جهة ثانية لاعتقادها أن الجمهورية العربية المتحدة ستقدم على رفض الخطة أو قبولها بشروط، وهكذا تصبح للولايات المتحدة وإسرائيل ذريعة لتحميل مصر مسؤولية فشل أي تسوية سلمية، وبالتالي تستطيع واشنطن الاستمرار في مساعداتها العسكرية والمالية لليهود التي وعدت بتجميدها.

ومن الجدير بالذكر أن الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الأخرى ومنها يوغوسلافية بل وكثير من أصدقاء العرب الآخرين محبذون لهذا الموقف أو التحرك السياسي ومنسجمون معه بل ومشجعون عليه، وهذا أمر مهم لا يجوز التهوين منه.

*

نبه على أن هذا الذيل والذيول الأخرى التي تأتي في سياق متن الرسالة ليس من الرسالة، وإنما كتبها الكاتب حينما سلك هذه الرسالة في مجموعة الكتاب بعد بضعة أشهر من إرسالها، لتوضيح فكرة أو توضيح أمر أو نقطة في الرسالة لقارى الرسالة في هذه المجموعة.

* * *

(1) المتبادر أن تعبير حقوق الشعب الفلسطيني الكاملة يعني فيما يعنيه حق تقريره لمصيره، وفي حد أدنى وفي نطاق قرارات الأمم المتحدة يعني ارتفاع يد اليهود عن كل ما لم تخصصه هذه القرارات لهم وعن كل ما خصصته للعرب، وهو مدن القدس واللد والرملة ويافا وأسدود وعسقلان وبئر السبع وأم الرشراش التي سميت بإيلات وعكا والناصرة وشفا عمرو، مع ما يتبعها من مئات القرى وملايين الدونمات، وقد أكدت مصر والأردن ذلك مجدداً حيث ذكرت الأهرام في عددها الصادر في 29 آب 1970 أن يارينغ طرح عدداً من الأسئلة في أول يوم من استئناف مهمته مجدداً على مندوبي الجمهورية العربية والأردن، وأن المندوب المصري والأردني قد ردا على السؤال الخاص بمسألة الحدود بأنها يجب أن تكون حدود مشروع التقسيم. ويعني بالتبعية سحب اليهود الذي توطنوا في هذه المدن والقرى، ورد كل ما اغتصبوه منها، وعودة أهلها إليها تلقائياً في ظل السلطان العربي، ثم يعني عودة النازحين إلى مواطنهم المخصصة لليهود واستردادهم أموالهم وأملاكهم المنقولة وغير المنقولة.

ومما يقال إن شعار (حقوق أهل فلسطين الكاملة) يتناقض مع قبول قرار مجلس الأمن، لأن تلك الحقوق تقتضي مبدئياً عدم الاعتراف بالوجود الصهيوني، في حين أن هذا القرار يقضي بالإعتراف بهذا الوجود، وهذا صحيح. غير أن هذا الإعتراف لو فرضنا أن المعجزة حدثت وسلم اليهود بحقوق الشعب العربي كاملة في نطاق ما هو مشروح لن يكون من شأنه إلزام شعب فلسطين ولا إلغاء هدفه الجوهري الذي يجب الإصرار عليه وهو إزالة الوجود الصهيوني. ولا سيما إذا لاحظنا الحقيقة التي لا تتحمل مكابرة، وهي أن زوال الدولة اليهودية لن يكون إلا بالثورة الشعبية المستمرة، وأن الدول العربية لن تستطيع في ظروفها الدولية أن تسهم بذلك عملياً، وكل ما يمكنها هو مساعدة هذه الثورة. وما قد يكون منها من اعتراف جديد لن يمنع هذه الثورة من =

في رد الجمهورية العربية المتحدة. ولا يمكن لمصر وزعيمها وقد ألزما نفسيهما بذلك إلزاماً نابعاً من إيمان وصدق وإخلاص، وظلا وما يزالان يكررانه في كل موقف ومناسبة أن يتهاونا فيه ويرجعا عن أي شيء منه. ويكفي أن يسمع السامع ويقرأ القارىء خطاب الرئيس ثم كلماته في الجلسة الختامية للمؤتمر القومي الأخير الذي لم يكد يمر عليه إلا أيام معدودات ليتيقن من ذلك، وكان هذا دأبه الذي لم يحد عنه طيلة زعامته، ومن التجني والنكران إنكار ذلك بين عشية وضحاها نتيجة لسوء فهم وتقدير مدى التحرك السياسي المنطوي في قبول المبادرة الأميركية. ولقد أكد المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي ذلك بكل قوة حينما أيد قبول المبادرة، حيث جاء في توصياته (يجب أن يقترن القبول بالاستمرار في تدعيم القوة الذاتية وفي زيادة حشدها كلها، ووضعها موضع الاستعداد الكامل من أجل المعركة، والاستمرار فيها إذا لم تستطع هذه المبادرة إلزام العدو بالإنسحاب الكامل والتسليم بحقوق شعب فلسطين. ومن الواجب أن ننبه على أن الرئيس جمال صرح مراراً قبل قبول المبادرة وبعدها بأنه يشك كل الشك في حل المشكلة سياسياً، وأنه قانع كل القناعة أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، حيث يؤيد هذا كون قبوله للمبادرة هو موقف سياسي وحسب[1].

2 ـ وبناء على ذلك فإنه لا يجوز أن يحمل هذا الموقف السياسي أكثر مما يحمله حتى يصل الأمر إلى الانفعال الشديد الذي أخذ يؤدي إلى التهجم والاتهام والتشكيك والتجريح الشديد، مما يتمثل في ما تنشره جريدة (فتح) من مقالات وتعليقات، وتذيعه المنظمات والهيئات من بيانات واحتجاجات وتقريعات واتهامات شديدة اللهجة، ومما يثير أشد الألم والمرارة.

3 ـ وأنا أقرر أن من حق اللجنة المركزية ومنظمات المقاومة والهيئات الشعبية ومن واجبها معاً، أن ترفض هذه المبادرة كما رفضت قرار مجلس الأمن الذي كانت هذه المبادرة غرضاً لتنفيذه. وأنا أؤيد هذا الرفض معها، لأن المبادرة وسندهما ذلك القرار ينطويان على أي حال فرض الإعتراف بوجود الدولة الصهيونية الذي يستهدف جهادنا إزالته، والذي لا يجب أن يهدأ هذا الجهاد حتى يزول، مهما عظمت التضحيات وطال الزمن. وأعتقد أنه كان ومايزال في إمكان الرافضين إعلان رفضهم مع بذل

= الاستمرار والتأجج، حتى ولو صح ما يقال أن الحل السلمي إذا تم فسوف يكون مترافقاً بتعهد من الدول العربية بمنع الإنطلاق الثوري من أراضيها ضد إسرائيل. فالثورة والثوار يستطيعان التغلب على ذلك وعدم التقيد بالتعهد. وإذا ما تحققت المعجزة فسيكون وضع الدول العربية أقوى بما لا يقاس عليه، ولا تعبأ بالتعهد الذي يمكن أن يصبح حبراً على ورق، كما كان أمر التعهد الذي تعهد به اليهود في معاهدات الهدنة. .

(1) كتبنا ما سبق إيراده في المتن وفي الذيول قبل استشهاد البطل العظيم جمال عبد الناصر. ولقد أيد كل ما تقدم قادة مصر قبل استشهاده، حيث أعلنوا عبر اللجنة التنفيذية العليا للإتحاد الإشتراكي ثم اللجنة المركزية لهذا الإتحاد ثم مجلس الأمة ثم السيد أنور السادات في بياناتهم المتتابعة بعد أسبوع من رحيل المغفور له بأنهم سوف يلتزمون بكل مبادئه ومبادراته وتعهداته ويحافظون على خططه ومنجزاته، ويستلهمون كل ذلك في سيرهم، وبخاصة التزام خط الكفاح وتصعيده ورفع القدرة القتالية إلى أعلى مستوى لتحرير كل الأرض المغتصبة سيناء وقطاع غزة والقدس العربية والمرتفعات السورية والضفة الغربية وضمان حقوق الشعب الفلسطيني العربي كاملة ودعم كفاحه حتى يتحقق هدفه في تحرير وطنه.

الجهد في شرح وجهة نظرهم والدفاع عنهـا، وإعلانهم التصميم على الرفض ومتابعة النضال وعدم الإلتزام بما ينطوي في القرار والمبادرة. ولكن هـذا يجب أن يكون في نـطاق تحاشي الانفعال الشديد والتجريح والتشكيك والإتهـام ونسيان ما سبق من اياد ومواقف.

4 ـ من الحق أن يذكر أنه ليس من جديد هذا المـوقف، فهو في حقيقتـه تكرار لقبـول قـرار مجلس الأمن الذي ينطوي فيه ذلك الغرض، والـذي رفضته اللجنـة التنفيـذيـة ثم المجلس الوطني والهيئات الشعبية قبل سنتين واعتبرته غير ملزم للشعب الفلسطيني وغير مانع له من الكفاح في سبيل تحرير وطنه كاملاً وحقه الشرعي في ذلك. ولقد ترجمت ثورة فلسطين هذا الرفض بالتصعيد إلى أن بلغت ما بلغته من قوة وسعة وتحول، وفرضت بـذلك نفسهـا على الصعيد العربي والصعيد الدولي معاً. ولقـد كان هـذا الرفض مع تصعيد الكفاح والاستمرار فيه مترافقاً مع حسن التواصل والانسجام مع مصر. ونـال ذلك الرفض تفهماً سليماً منها، كما نـال هذا الكفاح منها التأييد والدعم على أوسع نـطاق، فليس من موجب للانفعال الشديد الجديد الذي فجر هذه الأزمـة الحادة المـريرة بين المقـاومة ومصر.

5 ـ والرئيس جمال قد سلم منذ سنين بحق الشعب الفلسطيني ومنظماته الفدائية والسياسية والشعبية برفض قرار مجلس الأمن، وحاول أن يـزيل التنـاقض ويوفق بينـه وبين قبـول مصـر للقرار، محاولة مستمدة من الواقع الدولي الذي عليه الدول العربية والذي لا يجوز المكابرة فيه.

وهو أن هذه الدول لا تستطيع في ظروفهـا الدولية الحاضرة أكثـر من إزالة العـدوان على أراضيها في نطاق حدودها الـدولية الـذي وقع عليها في الخامس من حزيران لسنـة 1967، بالقوة العسكرية أو السياسية، وذلـك من حقها وواجبها، مع تعضيد الشعب العربي الفلسطيني في مطالبه الشرعية في وطنه سياسياً، وتدعيم كفاحه مادياً. أما إزالة الوجود الصهيوني فهو من حق وواجب هذا الشعب غير المقيد بأي اعتبار دولي والمعترف له بحقـه الشرعي في وطنـه. ومفـاد تلك المحاولـة هو أن مصـر قبلت ذلك القرار لأنه يحقق لها وللدول العربية الأخرى ما تريد، وهو جلاء القوات اليهوديـة عن أراضيها التي احتلتها في عدوان حزيران 1967. ومن حق الشعب الفلسطيني أن يرفضه لأنه لا يحقق له ما يريد. ومصر الآن تكرر ذلك وتذكر به في مناسبة قبولها المبادرة الأميركية التي هي إجراء تنفيـذي لذلـك القرار، مـع إقرار حق الشعب الفلسطيني في رفض هذه المبادرة المستندة إلى ذلك القرار كما جاء في أهرام الاثنين والأربعاء 27 و 29 تموز 1970. وقد كررت مصر مـع ذلك كما جاء في العددين المذكورين إقرار حق الشعب الفلسطيني في الكفاح المسلح في سبيل تحقيق ما يريـد، والتزامهـا بدعم هـذا الكفاح حتى يحقق ما يريد، مع ثنائها على هذا الكفاح ووصفها له بأنه أنبل ظاهرة من ظواهـر الكفاح العربي. وهذا موقف إيجابي سليم وكريم يجب ويستحق أن يقابل بالمثل. ومن التجني أن يقابل بالنكران والاتهام والتشكيك والتهجم.

6 ـ وقـد يورد أن قبـول اقتـراح وقف النـار الموقت الذي هو الجديد في المبادرة الأميركية يستتبع وقف المقاومة الفلسطينية أو منعها. وأن الدولة اليهـودية والـولايات المتحـدة الأميركيـة سوف تصران على ذلك، في حين أنه لا يصح في حال أن تتوقف المقاومة من نفسها إنصياعاً لما تضمنته المبادرة، لأن ذلك يكـون اعترافـاً

منها بالموافقة على المبادرة وما ينطوي فيها، ورجوعاً عن الموقف المبدئي الذي التزمه الشعب الفلسطيني، وهو عدم الإعتراف بالوجود الصهيوني والتصميم على إزالته. وقد أوضحت مصر موقفها في هذا الأمر بالذات على ما جاء في العددين المذكورين من جريدة الأهرام، حيث جاء فيهما: (إن المبادرة الأميركية بما فيها النص على وقف النار لا تشكل أي وضع جديد بالنسبة لمنظمات المقاومة التي كانت تقوم بدورها في ظل وقف النار الذي كانت الأردن وسورية وظلتا ملتزمتين به. وإن المبادرة الأميركية إنما ذكرت وقف النار على الجبهة المصرية وحسب على اعتبار أن مصر هي التي ألغت قرار وقف النار، ولم تذكر وقف النار الأصلي الذي كان قائماً على الجبهات الأخرى). وهذا يعني أن المقاومة تستطيع أن تستمر في نشاطها الذي كان قبل المبادرة. ولقد استمرت المقاومة فعلاً في نشاطها في كافة الجبهات.

7 ـ وقد يرد أن من المحتمل أن يصل أمر الموافقة على المبادرة إلى نهاية إيجابية، فتوافق الدولة اليهودية عليها، ثم توافق على الجلاء عن الأراضي التي احتلتها وعلى التسليم بحق الشعب الفلسطيني النازح بأرضه ووطنه، والعودة إليها مقابل تسجيل الدول العربية على نفسها إنهاء حالة الحرب والتسليم بسيادة وسلامة وحدود دول المنطقة التي من جملتها الدولة اليهودية.

ويقال تعقيباً على هذا الاحتمال أن في تحققه تصفية للقضية الفلسطينية وتعطيلاً للكفاح الفلسطيني المستهدف تحرير كامل فلسطين وإزالة الدولة اليهودية. وأنا أعتقد أن هذا الاحتمال ضعيف، بل يكاد أن يكون مستحيلاً، وأن اليهود سوف يثيرون اشكالات متنوعة بسبيل عدم تنفيذ قرار مجلس الأمن على الوجه الذي تفسره مصر وهو الانسحاب الكامل من كل شبر احتله اليهود من أراضي مصر وسورية والأردن، وحق الشعب الفلسطيني الكامل في وطنه، وأنهم لن يتزحزحوا عن خط النار إلا بالقوة. فضلاً عن قبولهم عودة مليون نازح فلسطيني ورفعهم أيديهم عما ليس مخصصاً لهم. وإن معظم الناس بل كلهم يشاركونني في ذلك[1]،

---

(1) جاء مصداق ذلك وشيكاً. فإن السلطات اليهودية التي أعلنت قبولها للمبادرة بعد تلكؤ غير قصير واختلال في الائتلاف الوزاري وخروج كتلة جمال من الوزارة والائتلاف بضغط من الولايات المتحدة بعد إعلان مصر لقبولها، وهو ما كانوا يتوقعون عدمه على ما يظهر، بادرت غداة إعلان قبولها إلى إثارة الإشكالات. فقد تحفظت في جواب قبولها (بأن انسحابها سوف يكون إلى حدود آمنة معترف بها ومتفق عليها بتعاقد ملزم نتيجة لمفاوضات مباشرة). فلم يشر الأمين العام لهيئة الأمم إلى هذا التحفظ، واكتفى بإعلام الدول الأربع الكبرى بقبول مصر والأردن وإسرائيل للمبادرة. فاحتجت وصخبت ولامت الولايات المتحدة التي قبلت ذلك، وسكتت عليه وهددت بالتراجع عن قبولها. ثم اقترحت أن تكون قبرص مركزاً للمشاورات التي يجريها يارينغ، وأن تكون في مستوى وزراء الخارجية. ورفضت مصر والأردن ذلك واقترحنا أن تكون هيئة الأمم مركزاً ومندوبي الدول الدائمين فيها هم الذين يتولون التشاور. وظلت الدولة اليهودية حردانة صاخبة أسبوعاً، ثم خرجت بشكاوٍ متلاحقة تجاوزت إلى الآن (تشرين الأول) العشرين ضد مصر، بزعم أنها خرقت ترتيب وقف النار بتجميد الوضع العسكري في منطقة القناة بتحريكها الصواريخ وإنشائها قواعد لها. وقاطعت يارينغ وظلت تصخب وتشكو، مع أن مصر ردت التهمة ثم أعلنت قراراً صريحاً حاسماً بأنها لن تتشاور مع يارينغ ما لم تسحب مصر صواريخها وتحطم قواعدها. ولم تكتف بذلك فقد أعلنت أنها مهما يكن الأمر فلن تنسحب انسحاباً كاملاً من جميع الأراضي التي احتلتها، ولن تتخلى عن ما تعتبره حدوداً آمنة لها، ولن تقبل أي بحث في صدد القدس العربية =

والمترفعات السورية وشرم الشيخ وأماكن أخرى تحصنهـا في غور الأردن، وتعديلات أخرى في حدودها الشـرقية. ومع أن الولايات المتحدة أعلنت أولاً أنه لم يثبت عندها خرق مصر لترتيب وقف النار، ومع أنها كانت وعدت مصر أن توقف شحن سلاح جديد إلى إسـرائيل خـلال الأشهر الثلاثة، فإنها نكصت فأيدت مزاعم إسرائيل واشتركت في طلب سحب الصواريخ وتحطيم القواعد وإعادة الحالة إلى مـا كانت عليـه قبل وقف النـار، ثم قررت مـد إسرائيـل بشحنات جديدة من الأسلحة والأجهزة الإلكترونية المضادة للصواريخ، ومبالغ طائلة لمساعدة اقتصادياتها المنهـارة. وقد تدشن كل ذلك بزيارة غولدا مايير إلى نيويورك، حيث صـرحت أن إسرائيـل أبلغت الولايـات المتحدة أنهـا لن تشترك في مشاورات يارينغ ما لم ترجع حالة قناة السـويس إلى ما كانت عليه، وأنها لن تنسحب انسحاباً تاماً وإنمـا يكون انسحابها وفق خريطة أمن تقف عندها. وأنها وجدت من رئيس الجمهورية تفهماً تاماً لوجهة نظرها، كما تلقت منه وعوداً بما تطلبه إسرائيل من طيارات وأسلحة وأجهزة ومن مساعدات مالية أخرى. مما جعل المراقبين يرون في كل ذلك تجميداً أو عدولاً عن المبادرة، وكونها في أصلها لعبة أميركية يهودية لكشف مصر وإحراجها، وتبرير المواقف السابقة، ومما جعل وزيـر خارجيـة مصر يعلن بـدوره أن الولايات المتحدة قد أنهت مبادرتها وخـرقت ترتيب وقف النار بإخلافها في وعدها، ولم تعبأ بشكاية مصر الصحيحة ضد إسرائيل بأنها خرقت ترتيب وقف النار. وقد أعلن في 6 تشرين أول 1970 أن مصر لن تسحب صاروخاً واحداً ولن تقبل بحثاً في هذا الأمر ولن تقبل تمديد وقف النار إلا إذا ثبت أن هناك جهداً جدياً في تنفيذ قرار مجلس الأمن بالإنسحاب الكامل وحقوق شعب فلسطين الكاملة. وأكد ذلك أنور السادات خليفة الزعيم الراحل لممثلي الولايات المتحدة. ومع ذلك ظلت هذه الدولة مستمرة في تبرير موقف اليهود وفي إعلانها خـرق مصر لـوقف النار. وقـد جمـدت في الأسبـوع الثـاني من تشـرين الأول 1970 اشتراكها في محادثات الدول الأربع في صدد المشكلة، وإيجاد طريقـة لتنفيذ قـرار مجلس الأمن إلى أن يتصحح المـوقف. ومصر تعلن رفض الـدعوى والتصحيـح. وإذا لاحظنا أن الصواريخ دفاعية ليس لها فعالية إلا في حالـة معاودة إنهاء وقف النار الموقت عملياً، وأن المفروض من المبادرة الأميركية الداعية إلى تنفيذ قرار مجلس الأمن هو انسحاب إسرائيل من سيناء على أقل تقدير، فيزول احتمال عودة النار وفعالية الصواريخ، ظهـر لنا أن تمسـك اليهود والولايات المتحـدة بهذه المسـألة إلى حـد تعطيـل مهمة يارينغ والحـديث عن تنفيذ قـرار مجلس الأمن كما كـان ظاهراً، بـوضوح وصراحة أكثر أن المبادرة الأميركية لعبـة سياسية بقصد الإحراج، فلما أبطلتها مصر بقبولها لها انتقل الحرج إلى الولايات المتحدة وربيبتها الفاجـرة وجعلتهما يكشفان عن عدم جدهما. ولقد أثارت مصـر القضية في أواخر تشرين الأول أمام الجمعية العامة لهيئة الأمم بسبب استمـرار إسرائيـل والـولايـات المتحـدة على مـوقفهمـا، واستطاعت أن تحصل على قرار في الخامس من تشـرين الثاني 1970 يندد بإسرائيل ويهددها بالعقوبات ويفسر قرار مجلس الأمن بما يطابق تفسير مصر، وهو وجوب انسحابها الكامل من جميع الأراضي المصريـة والسوريـة والأردنية المحتلة، واحتـرام حقوق شعب فلسـطين ويوصي بمهلة جديدة لوقف النار، ويأمر الأطراف باستئناف تشاورها مع يارينغ بدون تأخير في نطاق هذا القرار، على أن يقدم هذا تقريره في ما يتم في شأن هذا القرار في ظرف شهرين. ولقد وقفت الولايات المتحدة بكـل ثقلها مـع إسرائيـل، وقامت بضغوط ومداورات شديـدة عجيبة لعـرقلة القرار. ولكن مصر استطاعت بمساعدة الأصـدقاء من دول آسيـة وافـريقية وأوروبـا الإشتراكيـة أن تحصل لقـرارها أكثـرية الثلثين، وأن تسقط المشاريع التي وقفت الولايات المتحدة وإسرائيل وراءها، وأن تلحق لأول مرة هزيمة بـالولايـات المتحدة التي صوتت ضد المشروع مع ست عشرة دولـة أخرى فقط. وأثار ذلـك غضبها وغضب ربيبتهـا، فسارع وزير الخارجيـة اليهودي إلى إعـلان رفض القرار، مثيراً إشكالاً جديداً، وهو أن هذا القرار مخل بتوازن قرار مجلس الأمن ورفض دولته المجرمـة، التفاوض على أسـاسه من جهـة، وما دامت مصـر لا تسحب صواريخهـا من جهة. وحـذت حذوه الحيـزبون الشمـطاء، وأيـدتهم الـولايـات المتحدة في موقفهم. والأمر على هذا حين إرسال الكتاب للطبع. والمرجح بل المعتقد أن إسرائيل مؤيدة بالولايات المتحدة ستستمر في إثارة الإشكالات وتمييع الموقف مـا أمكنها ذلك، حتى ولو قبلت بالتشاور مع يارينغ بعد التمنع لأنها شديدة الحرص والجشع على الإحتفاظ بما احتلته أو بكثير منه، وقلب الموقف إلى أمر واقع. وأنها لن ترضخ لقـرار الجمعية العـامة الجـديد، ولا لقـرار مجلس الأمن =

وإن المعركة واقعة في النهاية. فإنه لو وقعت المعجزة وصار المستحيل ممكناً وتم، فلن يكون فيه كما يقال ويكرر بإلحاح تصفية لقضية فلسطين وتعطيلاً للكفاح المسلح. وأعتقد أن في هذا الذي يقال ويكرر بإلحاح تهويلاً ضاراً بالقضية الفلسطينية والمصلحة العربية العليا في المدى القريب والبعيد. ومع أن من الحق أن نسلم أن ذلك لو تم سوف يكون له ثمن باهظ شديد على العرب بما ينطوي عليه من تسجيل الدول العربية تسليمها بوجود الدولة اليهودية. غير أن ذلك لن يكون ملزماً للشعب الفلسطيني وهو صاحب الحق الشرعي في وطنه ومصيره، مادام هذا الشعب بلسان منظماته الثورية والسياسية والشعبية يعلن رفضه لوجود الدولة اليهودية التي قامت على وطنه عدواناً واغتصاباً، وتصميمه على إزالته وإعادة فلسطين بكاملها للحظيرة العربية، ولن يمنعه عن الإستمرار في كفاحه في سبيل تحقيق هذه الغاية. وما دامت كل الحكومات العربية أو جلها تعلن تأييدها له في استمرار في هذا الكفاح. بل إن ذلك سيكون بدء مرحلة هامة لهذا الكفاح يمنحه قوة دفع عظيمة أضعاف ما كان له من ذلك إذا ما جلا اليهود عن كل أرض احتلوها، وسلموا بجميع حقوق شعب فلسطين حتى في نطاق قرارات هيئة الأمم، وخلص أهل فلسطين والدول العربية المجاورة بل وجميع الدول العربية من كابوس النكبة الشديد، وما يستنزفه من طاقات هائلة، ويثيره من هموم مريرة تكاد تشل كل نشاط عربي إيجابي، وحيث تصبح الدول العربية في حالة أقوى بما لا يقاس على الدعم في المرحلة الكفاحية الجديدة وحيث يتم التضامن على أوسع صورة بين الثوار والعائدين، ويصير في الإمكان توجيه الضربات إلى قلب إسرائيل ولا سيما أن تنفيذ اليهود لكل ذلك إنما يكون نتيجة يأس من الولايات المتحدة وإسرائيل من إرغام العرب لأسباب قاهرة معروفة، ويكون فيه ارتداد وانخذال لليهود، بعد أن ظنوا أنهم حققوا أحلامهم التوسعية على أوسع نطاق، وأن قضية فلسطين وشعبها قد ماتت أبدياً. وبعد أن ظلوا يرفضون قرار مجلس الأمن ويعلنون عزمهم على الإحتفاظ بكل ما احتلوه ويتصرفون فيه على أساس الإستمرار الأبدي، وتفريغ البلاد مما بقي من سكانها، وتغيير معالمها بما فيها قطاع غزة والقدس والخليل، وإنشاء العديد من المستعمرات العسكرية وغير العسكرية في الأراضي التي احتلتها من جديد، وفرض أمر واقع جديد مثل ما فعلوا في سنة 1949، غير مبالين بجمعية الأمم ومجلس الأمن وقراراتهما.

وقد يقال إن هذا التحسن مظهر مبشر يوجب على العرب أن يستمروا فيه ويقووه حتى يتم إرغام اليهود إرغاماً وتفادي ذلك الثمن الباهظ الشديد على كل حال وغسل عار الهزيمة الموجعة. وإن من الإهانة لشرفنا العسكري والقومي أن نقبل حلاً سياسياً فيه تنازلات شديدة

= بكامله، ولن تنسحب من كل الأرض التي احتلتها، ولن تسلم بحقوق الشعب الفلسطيني، ولن تقبل برفع يدها عن الأقسام المخصصة للعرب في التقسيم، وعودة النازحين حسب قرارات هيئة الأمم إلا بالقوة. ومصر من جانبها مصرة على أن يكون انسحاب القوات اليهودية كاملاً عن كل شبر احتلته مع التسليم بحق الشعب الفلسطيني في وطنه وممارسة هذا الشعب لهذا الحق. كان هذا الإصرار في حياة الزعيم الشهيد، ثم تكرر بقوة وتصميم من خلفائه. وفوق هذا فإن مصر تعلن أنها لن تقبل تمديد وقف النار مرة ثالثة تحت أي ظرف، بحيث يقال بجزم أن المعركة لا بد من وقوعها عاجلاً أم آجلاً.

بديلاً من الحل العسكري الذي فيه إرغام اليهود وغسل العار، وهذا صحيح وصدق. ومما لا ريب فيه أن مصر وسورية استمرتا على تهيئة نفسيهما وتقوية استعداداتهما واستكمال معداتهما، وتحملتا ما تحملتاه من باهظ التكاليف من أجل ذلك. وأن مصر رغم قبولها قرار مجلس الأمن تعتقد في قرارة نفسها استحالة إذعان اليهود الكامل، وأن المعركة آتية لا ريب فيها، وأن قبولها المبادرة هو تحرك سياسي ولا تخسر به شيئاً بل تربح به عطف الرأي العام العالمي وتأييده للموقف العربي. غير أن الأمر يتوقف إلى حد كبير على جعل الجبهة الشرقية فعالة بقدر الجبهة الغربية، بل هذا هو الأشد ضرورة وأثراً في نتائج المعركة المطلوب إنشابها. وهو الآن متعثر لما بين دول هذه الجبهة من عدم تواثق وانسجام بل وجفاء، وقد يمتد أمداً غير قصير. ومهما كان لسورية من جهد وإعداد، فلا يمكنها لوحدها أن تجعل هذه الجبهة فعالة، وما دام الأمر كذلك، وإذا كان الأمر كذلك، وإذا كان من الممكن أن تقع المعجزة فيذعن اليهود لشروط العرب وتفسيرهم لقرار مجلس الأمن الذي أيدته الجمعية العامة في قرارها في الخامس من تشرين الثاني 1970، وهو الانسحاب الكامل من كل الأراضي التي احتلوها، والتسليم بحقوق شعب فلسطين بدون حرب، فلا أعتقد أن عاقلاً منصفاً لا يرحب بزوال ذلك الكابوس الرهيب والخلاص من تلك الهموم العظيمة والنزيف المستمر بهذه الطريقة التي تضمن في الوقت نفسه تلك المزايا العظيمة التي فيها دفع شديد للثورة الفلسطينية حتى تحقق غاياتها، ويصر على رفض ذلك، واختيار طريق الحرب التي لا يمكن أن تكون إلا بالجيوش النظامية، والتي يمكن أن لا تقع إلا بعد سنين نتيجة للعثرات القائمة يبقى الكابوس والهموم والنزيف فيها مستمراً، وقد لا يكون النصر فيها مضموناً أيضاً.

ويظل اليهود محتلين سيناء وقطاع غزة وباقي الضفة الغربية بما فيها القدس والمرتفعات السورية، ويمعنون في اضطهاد أهلها وتدميرهم وطردهم واعتقالهم وإنشاء المستعمرات العسكرية وغير العسكرية فيها كما قلنا، محاولين فرض الأمر الواقع بمرور الوقت. ولا سيما إذا سلم من جهة بالحقيقة الدولية التي تجعل إزالة الدولة اليهودية بالقوة من قبل الدول العربية أمراً مستحيلاً.

ونذكر من جهة أن ذلك الحل السياسي لا يمكن أن يكون قد تم إلا وقد أدرك الأعداء أنهم عاجزون عن إرغام العرب، وأنهم موافقون عليه مرغمين، ولاحظ من جهة أن ما يمكن أن يترتب عليه من تسجيل الدول العربية اعترافهم بالدولة اليهودية غير ملزم للشعب العربي الفلسطيني الذي أعلن ذلك تكراراً وبكل لسان يمثله. وأنه ليس من قوة في الدنيا تستطيع أن تمنع هذا الشعب من الاستمرار في كفاحه ضد الوجود الصهيوني، ولن يقيده أي قيد وشرط وتعهد خارجي عربياً كان أم غير عربي.

ولقد عرف العدو هذا الأمر، فكان منه تلك المحاولات المستميتة في خداع أهل فلسطين ليقيموا كياناً لهم تتم به تصفية قضيتهم، إلى جانب كيانه. وما دام هذا الأمر لا يكون، فلن يكون لهذه القضية تصفية من أي موقف خارج عن أهل فلسطين.

ولقد بدأت (فتح) ثورتها وقضية فلسطين في أدنى دركات الضياع والهوان وقد تشرد شعبها وتمزق، وانشغلت الدول العربية بهمومها ومتناقضاتها، وسكتت على نمو اليهود عدداً وقوة

وسياسة واقتصاداً ومطامع. فلم يمنعها كل ذلك من تفجير ثورتها رغم معاكسة الدول لها بحجة الخوف من التورط والتوريط، ثم استمرت حتى كان التفجر العظيم بعد هزيمة حزيران الذي شمل الشعب، وأصبح انطفاء شعلته مستحيلاً إلى أن يحقق غايته بإذن الله.

ولقد حاول العملاء ضرب المقاومة منذ بدئها، وكانت بعض محاولاتهم شديدة ورهيبة في شمولها ومداها وآثارها. ولكنها كانت تخرج بعد كل محاولة قوية وتستمر في نشاطها مؤيدة من الجميع حكومياً وشعبياً، وسوف يكون لها إذا تمت المعجزة وأذعن اليهود قوة دفع عظيمة حكومية وشعبية أضعاف ما كان لها كما قلنا تضمن لنا تحقيق غايتها بأسرع مما نخمنه.

9 ـ والذي أريد أن أركز عليه في النهاية كما في البداية هو أن الكفاح الفلسطيني في أية مرحلة لا يمكن أن يستغني عن مصر، ومن السذاجة أن نظن أنه قصير الأمد، وما دمنا موقنين بحتمية استمرار الكفاح ومصممين عليه فمن المهم جداً أن لا يصل الأمر بين قادة هذا الكفاح وبينها إلى التأزم والقطيعة والاتهام والنكران. وأي انفعال شديد أكثر مما تتحمله طبائع الأمور ويؤدي إلى التنابذ والتقاطع والجحود سيكون له أثر شديد النكاية في المدى القريب والبعيد على هذا الكفاح وسيره. وإني أناشدكم بخاصة وأناشد إخوانكم الذين أعتقد إخلاصهم وتفهمهم للأمور أن توسعوا صدوركم وأن لا تتشددوا بالانفعال، لئلا يزداد الموقف سوءاً وتأزماً وتوتراً، وإني لوطيد الأمل والثقة بما عرفته فيكم من صفات أن يكون لكم شخصياً الموقف الحاسم الحازم الذي يمنع تدهور الموقف وازدياد التوتر لمصلحة الثورة والثوار والقضية الفلسطينية في الدرجة الأولى.

10 ـ ولقد اطلعت في جريدة (فتح) على مشروع أميركي عرض على الدول العربية مؤلف من عشر نقاط فيه إجراءات تنفيذية لحل مشاكل القضية، وتوهم النصوص أن حكومتي مصر والأردن قد ارتبطت بها، وفيها تنازلات عديدة في صدد الانسحاب وقضية أهل فلسطين. والنصوص مناقضة للأسس التي قام عليها قرار مجلس الأمن والمبادرة الأميركية حسب ما جاء في رسالة روجرز، وللشروط الصريحة التي جاءت في جوابي الحكومتين المصرية والأردنية في صدد الانسحاب الكامل وحقوق الشعب الفلسطيني. وأنا أذكر أن الصحف نشرت خبر مشروع أميركي عرضه روجرز في نقاط عشر، وأن مصر والأردن رفضتاه. وأعتقد أن المشروع الذي نشرته (فتح) هو هذا. ونشره الآن كمشروع متفق عليه ينطوي على قصد تجريح وتشكيك واتهام غير بريء. ولقد صدر عن حكومة عمان توضيح بأن هذا المشروع كان عرض ورفض.

ومن المؤسف أن (فتح) تجاهلت هذا الإيضاح أو التكذيب، وظلت تشير إلى المشروع كوثيقة ارتبطت بها مصر والأردن. ولا أحب لجريدة الثورة التي يجب أن يكون رائدها ولحمتها الصدق والشجاعة أن يكون ذلك منها. وآمل أن تكف عن ذلك وأن لا يتكرر مثله فيها. والنصر والعزة للمؤمنين المخلصين.

***

(70) تعقيبات

حدثت أحداث ونشرت كتابات متصلة بموضوع الرسالة فرأينا من المفيد كتابة هذين التعقيبين في صددها:

التعقيب الأول: وقد كتب في شهر شباط 1971:

1 ـ لقد قرأنا كراساً نشرته الجبهة الشعبية بعنوان (رحلة الاستسلام من قرار مجلس الأمن الى مشروع روجرز)، فلم نر فيه ما يجعلنا نغير ما تراءى لنا ونبهنا عليه، بل وجدنا فيه بعض المغالطات والاتهامات والجدليات التي لا تتوافق مع حقيقة الحال.

ومن جملة ما قرأناه فيه نبذة بعنوان (وثائق الحل الاستسلامي) فيه نص رسالة روجرز المسماة بالمبادرة. وكان الحق والإنصاف يوجبان أن ينشر معه نص جوابي مصر والأردن ليقرأه قارئو الكراس، ويعرفوا الشروط الحاسمة الصريحة التي قبلت بها مصر والأردن المبادرة. وهي الانسحاب الكامل وضمان حقوق شعب فلسطين في وطنهم. ومن جملة ما قرأناه في هذه النبذة مشروعان أميركيان، واحد في عشر نقاط وآخر في ثلاث عشر نقطة، على اعتبار أنهما مشروعان ارتبطت بهما مصر والأردن، وفيهما تنازلات عديدة مناقضة للشروط المذكورة. ومشروع العشر نقاط هو المشروع الذي نشرته جريدة فتح، والمشروع الثاني قد ذكرته الصحف أيضاً، وذكرت أن مصر والأردن رفضتاه كما رفضتا المشروع الأول. وأعتقد أن كاتبي الكراس يعرفون هذه الحقائق، ولكنهم تجاهلوها للتشكيك والتجريح، وهذا ما كان يجب على الجبهة الشعبية أن ترتفع عنه بدورها...

2 ـ بعد إرسال رسالتينا بأيام بدأت إمارات تدل على أن التعقل أخذ يسود أوساط اللجنة المركزية والمقاومة. ويستفاد مما نشرته الأهرام في أعداد متتابعة خلال شهر آب 1970 أن وفداً من منظمة فتح ثم من اللجنة المركزية وفيهم قائد جيش التحرير وأخيراً ياسر عرفات رئيس اللجنة قد أموا مصر تباعاً، وجرت اتصالات بينهم وبين المسؤولين فيها بقصد إزالة أسباب التناقض وإعادة الصفاء إلى الصلات. وأن المسؤولين قد استمعوا لوجهة نظرهم، وشرحوا لهم وجهة نظرهم بالتالي، وأكدوا لهم أنه ليس من تناقض في موقف مصر مع مقتضيات قضية فلسطين وأهداف منظماتها التحريرية. وأن مصر ستثابر على خطتها في دعم وتأييد حركة التحرير الفلسطينية.

وقد تكررت هذه التصريحات بأساليب ومناسبات أخرى من الرئيس جمال وحسنين هيكل. ومن جملة ذلك في سياق زيارة قام بها الملك حسين في أواخر شهر آب 1970، حيث أذيع في أهرام 24 آب 1970 أن من جملة ما ركز عليه الرئيس ووافقه حسين عليه أن المقاومة عنصر أساسي في المعركة يجب أن تبقى وأن تدعم، بقطع النظر عن أي اعتبار وموقف وسوء فهم وتقدير من بعض عناصرها.

وقد انعكس كل هذا على تقرير اللجنة المركزية المقدم إلى المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الطارئة في 29 آب، حيث أبرز هذه النقاط كما جاء في 29 آب 1970:

1 ـ إن الثورة المصرية وهي تقوم بدورها في قيادة حركة التحرير الوطني العربية حريصة على

بقاء واستمرار الثورة الفلسطينية.

2 - إن مصر تقدم المساعدات للمقاومة، وهي تعتبر أن وجود وعمل المنظمات الفلسطينية ضرورة من ضرورات التقدم نحو هدف التحرير.

3 - إن كل تحرك لمصر إنما ينطلق من خطها الثوري ومن نطاق أهدافه العامة.

4 - إن هناك اقتناعاً كاملاً من الجانبين المصري والفلسطيني أن موقف القبول أو الرفض تجاه المبادرة الأميركية لا يشكل أي تهديد أو مساس بمسيرة الثورة.

5 - إن الحوار بين الجمهورية العربية المتحدة والثورة الفلسطينية سيظل مفتوحاً ومستمراً في الظروف الدولية والقومية، وسيستمر التنسيق بينهما وإن اختلفت الأساليب وصولاً إلى الهدف.

6 - إن قيادة الجمهورية العربية المتحدة حريصة على انطلاق وتصاعد الكفاح الفلسطيني المسلح.

وفي كل هذا ما يهدىء الروع في صدد إزالة أي تناقض وتنابذ بين مصر وحركة التحرير الفلسطينية، وهو ما أردناه وحرصنا على التركيز عليه في رسالتينا ونرجو له الاستمرار والقوة.

ولقد كتبنا كل ما تقدم قبل استشهاد البطل الزعيم المغفور له، ونرجو الاستمرار في ما ظهر من بوادر سواء من خلفائه أو من منظمات المقاومة.

ولقد نشرت جريدة الأهرام في عددها 30721 وتاريخ 23 ذي القعدة 1390 - 20 يناير 1971 رسالة أو برقية من عمان جاء فيها:

قررت اللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية تأييد أي تحرك سياسي تمارسه الدول العربية لإزالة العدوان الإسرائيلي يوم 5 يونيو 1967، وصدر هذا القرار الذي يعد بمثابة خط جديد للمقاومة بإجماع آراء جميع منظمات العمل الفدائي خلال عملية مراجعة شاملة أجرتها اللجنة أخيراً لظروف المقاومة. وتم اتخاذ القرار بناء على اقتراح محدد قدمته الجبهة الشعبية الديموقراطية إحدى المنظمات العشر الرئيسية الممثلة في اللجنة المركزية، وبعده أوفدت اللجنة ممثلين لها إلى عواصم دول ميثاق طرابلس لتوضح موقفها الجديد، وسافر إلى القاهرة بالفعل السيد فاروق قدومي.

وصرح السيد ابراهيم بكر المتحدث الرسمي باسم اللجنة المركزية أن التجارب الماضية قد أثبتت خطأ «الموقف المتشنج» الذي كانت قيادة المقاومة قد اتخذته بالنسبة لقبول القاهرة لمبادرة روجرز. وقال أن المقاومة ستعود بذلك لنفس التصور الذي كان القائد الخالد جمال عبد الناصر قد أعلنه، وهو أنه لا تناقض لقبول القاهرة لقرار مجلس الأمن والمبادرة الأميركية، لحق المقاومة الشرعي في ممارسة الكفاح المسلح. وأضاف أن المواقف الواضحة والمؤكدة التي اتخذتها القاهرة لمساندة العمل الفدائي خلال أزماته كلها شاهد حق لها.

وأكد ياسر عرفات في تصريح للأهرام أن موقف القاهرة الحازم في تنفيذ قرار مجلس الأمن قد أكد بما لا يدع مجالاً للشك ثبات الخط القومي للجمهورية العربية المتحدة وصلابته النضالية.

وصرح جورج حبش رئيس الجبهة الشعبية بأنه خلال سلسلة مراجعاتنا وضح خطأ تصور الجبهة الشعبية لموضوع مشروع روجرز. فقد تصورت أن المشروع معد للتنفيذ الفوري خلال ثلاثة أشهر، وكان يجب أن لا نقع في هذا الخطأ.

النار، ولم يتحقق وعد روجرز بالسير الجدي لتنفيذ قرار مجلس الأمن والانسحاب الكامل اللذين كانت مبادرة روجرز تقوم عليهما والتي أوقف الرئيس بها النار من أجلهما ومن أجل تفادي استمرار حرب الاستنزاف ومضاعفاتها. ولكنه ارتحل إلى دار البقاء فتغير شيء كثير، حيث استغلت الولايات المتحدة وربيبتها ذلك أشد استغلال، فأوغلتا في المراوغة والحرب النفسية، وأحدثتا شيئاً غير يسير من البلبلة والتردد والتهيب. وكان من نتائج ذلك تمديد مهلة وقف النار القصيرة مرة بعد مرة، ثم تجميد الموقف على حالة اللاحرب واللاسلم التي يفضلها اليهود ويبذلون جهدهم في بقائها، لأنها تضمن لهم الاحتفاظ بكل مكاسبهم الإقليمية والسياسية وتحويلها إلى أمر واقع بمرور الزمن. ولأنها تجعل المجتمع اليهودي في فلسطين يتغاضى بسبب استمرار حالة التوتر والخطر عن كثير من مشاكله واختلافاته الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، ويتضامن مع حكامه وقادته العسكريين. كما تجعل اليهود وأصدقاءهم في أنحاء العالم، لنفس السبب، يواصلون دعم الدولة اليهودية مادياً وسياسياً. وهم في كل مناسبة ينوهون بنجاحهم في ذلك ويعدون استمرار وقف النار من أعظم المكاسب.

ولقد واصلوا في أثناء ذلك ما كانوا بدأوه عقب الاحتلال دون إضاعة دقيقة واحدة من إنشاء المزيد من المستعمرات في جميع الأنحاء المحتلة السورية والمصرية والأردنية والفلسطينية، وجلب المزيد من المهاجرين، ومصادرة المزيد من الأراضي في المدن والقرى وتدمير القرى والمنازل والأحياء العربية، وإصلات سيف الإرهاب والتشريد والتعذيب للعرب وملء السجون والمعتقلات بهم، وإجبار كثير منهم عن النزوح بل وطردهم بالقوة وتفريغ مساكنهم وأراضيهم وإنشاء المساكن والمشاريع الصناعية والعمرانية والسياحية وتغيير المعالم العربية وإضفاء الصبغة اليهودية عليها، وإنفاق مئات الملايين من الليرات على كل ذلك، ضاربين بعرض الحائط كل قرارات ومواثيق ومبادىء هيئة الأمم ومجلس الأمن وحقوق الإنسان، وغير مبالين بشكايات العرب وتنديدات أصدقائهم، مما لا يمكن أن يبقي أي شك، في أنهم مصممون على البقاء في المناطق التي احتلوها وعدم التخلي عن أي شبر منها.

بل هذا مما يطلقه بعض زعمائهم من حين إلى آخر. وما يطلقونه مع ذلك من نداء السلام والرغبة في تسوية سلمية سياسية مع العرب والعيش بسلام هو كذب وقح إزاء كل ذلك وبقصد التمييع والتمطيط والاستهلاك الخارجي. وهم حين يطلقونه يجعلونه رهناً بشروط مذلة يعرفون أن العرب لا يمكن أن يقبلوها[1]. وخلال ذلك يكثفون المزيد من

(1) يطلبون أن يبقى في يدهم قطاع غزة وشرم الشيخ وقسم من سيناء ليكون طريقاً إلى إيلات من شرم الشيخ، والقدس مع توسيع حدودها وضم مناطق كبيرة إليها من قضائي بيت لحم ورام الله. وقرى اللطرون ـ طريق يافا القدس التي منها عمواس ويلوا وغيرها. وبقاء مستعمراتهم العسكرية التي أنشأوها على امتداد نهر الأردن من بحيرة طبريا إلى بحيرة لوط مع عرض عشرين كيلومتر على ضفتي النهر لتكون مخافر أمن بين الضفة الشرقية والضفة الغربية، وتعديلات أرضية في أقضية طولكرم وجنين والخليل تضم بها أراض مهمة استراتيجية. وأن تكون سيناء وما يبقى من الضفة الغربية مجردة من السلاح ومحرمة على جيشي مصر والأردن، وعبور سفنهم قناة السويس، وعدم طرح مسألة ما أخذوه عنوة فوق قرار التقسيم سنة 1948 لأي بحث. ومعاهدات صلح صريحة الاعتراف بكل ما اغتصبوه ونهبوه =

السلاح على اختلاف أنواعه ومستوياته ليظلوا متفوقين على العرب ويجعلوهم متهيبين من أي تحرك عسكري ضدهم، ويحتفظوا بذلك بحالة اللاحرب واللاسلم التي يفضلونها ليفرضوا بها الأمر الواقع كما قلنا، ويجعلوا العرب ييأسوا ويستسلمون. وتساعدهم الولايات المتحدة في كل ذلك بكل علنية وعمد وتصميم.

ولقد فاق ما أغدقته عليها بعد عدوان حزيران 1967 التي ثبت يقيناً ضلوعها في تخطيطه وتنفيذه، ما أغدقته عليها طيلة العشرين سنة السابقة، حتى تحفظ لها تفوقها على جميع العرب في كل شيء، وتجعلها محتفظة بكل ما استولت عليه ومتصرفة فيه تصرف المالك المصمم على البقاء فيه وتهويده، وقادرة في الوقت نفسه على إحباط كل تحرك محتمل من العرب، والقفز إلى ما تستطيع من بلادهم وبخاصة من ناحية الشرق والشمال.

ولقد شجعت هي الملك حسين وزبانيتهم عنده على اغتنام فرصة ارتحال القائد عبد الناصر، فضربوا المقاومة في الساحة الأردنية وسحقوها وأنهوا وجودها العلني على النحو الذي شرحناه في تعقيباتنا على الرقم (66) فاستراح اليهود وحماتهم من هذه الناحية بعد أن استراحوا من حرب الاستنزاف ومضاعفاتها.

ولقد كان العمل الفدائي من لبنان يصطدم بالعناصر غير المخلصة للعروبة والموالية والعميلة للولايات المتحدة والدولة اليهودية في داخل السلطة وخارجها فيه، ووصل الأمر إلى سفك الدماء، وإن لم يصل الأمر إلى ما وصل إليه في الأردن بسبب ما كان من ولاء قوي للعمل الفدائي في قطاعات شعبية كبيرة وخشية من حدوث فتن أهلية بين الطوائف.

ولقد تدخل الرئيس عبد الناصر وتمكن من فرض قواعد ينتظم بها العمل الفدائي من لبنان ويتسق مع سيادة الدولة. فلما ارتحل تحركت تلك العناصر بتحريض من الولايات المتحدة

= ودمروه وسفكوه وانتهكوه ليصبح شرعياً أبدياً لهم، وصريحة النص على التعامل والتعايش السياسي والإجتماعي والثقافي والإقتصادي والسياسي، وإلغاء المقاطعة، ومنع الانطلاق الفدائي، وإسكان اللاجئين حيث هم. وإنهاء أي مطلب في صدد ذلك. وكل هذا يجب أن يتم نتيجة مفاوضات مباشرة لإضفاء الشرعية الأبدية على وجودهم وما اغتصبوه وفعلوه ويريدون أن يغتصبوه من جديد، من حيث إن العرب يرفضون الإعتراف بوجودهم ودولتهم اللذين قاما على البغي والعدوان وبقوة النار والحديد على وطن عربي شرِّد أصحابه الشرعيون عنه ويصرون على استرداده مهما طال الزمن وعظمت التضحيات. ويتجاهل اليهود هذا ويسوقون الأمثال لدول متنازعة تحل مشاكلها بالمفاوضة، ويفسرون قرار مجلس الأمن الذي قبله بعض العرب وفق هواهم، ويرون أن يعطيهم الحق بالمفاوضة والإحتفاظ بأقسام جديدة من أراضي العرب التي احتلوها من جديد، مع موافقة العرب على ذلك تحت شعار (حدود آمنة معترف بها وحق السيادة والسلامة والعيش بسلام لجميع دول المنطقة) كما يذكر القرار، ويطلبون المفاوضة وهم في وضع المصوب مسدسه إلى صدغ خصمه ليوقع على شروطه، وفي تصورهم أنه لا مناص للعرب من قبول ذلك لأنهم يحتلون بلادهم ويتفوقون عليهم بالسلاح والفن والكيد والسياسة، ولن يتخلوا عما يريدون أن يتفضلوا بإعادته منها بعد تشويهه وتفريغه وتجريده إلا بذلك. وقد يتفضلون عليهم بمنح الحرم القدسي مشيخة إسلامية مستقلة بصورة ما. ومن تمام سخريتهم أنهم يرفعون شعار المفاوضة المباشرة بدون شروط مسبقة وهم محتلون، وهذا أشد شرط. ثم وهم يعلنون بأسلوب حازم أنهم لن يعودوا إلى حدود سنة 1967، وأنهم لا بد لهم من حدود جديدة يوافق عليها العرب، وأن مرتفعات الجولان والقدس العربية وشرم الشيخ وقطاع غزة لا يمكن أن يكون عليها مفاوضة، وستبقى في يدهم بالإضافة إلى بقاء المستعمرات التي أنشأوها في مختلف الأنحاء المحتلة، أي أن الشروط غير المسبقة هي بالنسبة للعرب دونهم.

واستطرد جورج حبش قائلاً إنه خلال معركة حماية المقاومة بدت القاهرة أكبر صديق للمقاومة، وازدادت قناعتنا بضرورة أن نفرق ما بين استمرار العمل الفدائي وقبول القاهرة بقرار مجلس الأمن، وقال أن القاهرة قد أثبتت أنها أكبر دعم لنا.

ويبدو من هذه الرسالة أن التروي الذي بدا من قيادتي فتح ومنظمة التحرير قد بلغ ذروته ولو مؤخراً، حيث انتبه قياديو المقاومة ومنظمة التحرير إلى جميع ما حاولنا أن ننبه إليه في رسالتينا إلى أبي عمار والدكتور جورج حبش ورفاقهما من خطل الانفعال الذي انساقوا فيه، والموقف العصبي العاطفي الذي نتج عن ذلك في أوساط المقاومة والمنظمات الشعبية تجاه مصر وزعيمها الخالد لقبولهما قرار مجلس الأمن ومبادرة روجرز، مع كون ذلك هو موقف سياسي من جهة، ومع موقفهما الكريم السليم القوي تجاه المقاومة في استمرار تأييدها مادياً وسياسياً، وإقرارها على رفضها للقرار والمبادرة وعلى متابعتها الكفاح المسلح إلى أن تحقق غايتها التي هي تحرير جميع فلسطين وإزالة مصدر العدوان.

ويظهر أن بعض الجهات المريبة والعميلة حاولت أن تدس فتثير ضجة حول ما نشرته الأهرام، لتوهم أن في ذلك تراجعاً من منظمة التحرير والمقاومة عما التزمت به من متابعة الكفاح إلى أن تتحرر جميع فلسطين، وعدم الالتزام بأي حل سياسي دون ذلك قد تصل إليه الحكومات العربية في تحركها السياسي بسبيل إزالة آثار عدوان الخامس من حزيران عن أراضيها.

ويظهر أن تلك الجهات نجحت شيئاً ما في ما قصدت إليه من إثارة الضجة والبلبلة والشك في حسن نية الأهرام في صياغة الرسالة وهدفها، فأدى ذلك إلى انفعال جديد في بعض أوساط المنظمات الفدائية لا مبرر له. وليس فيما عزته رسالة الأهرام إلى إبراهيم بكر وجورج حبش ما يبرر ذلك أو يفيد تراجعاً. بل وفيه وضع للأمر في نصابه من حيث التنبيه على عدم التعارض بين حل سياسي تحققه الحكومات العربية لإزالة آثار العدوان، وبين عدم التزام المقاومة به وتصميمها على متابعة الكفاح حتى التحرير الشامل. وقد جعلت تلك الضجة والانفعال ناطقاً رسمياً باسم منظمة التحرير يصدر تصريحاً جديداً نشرته جريدة فتح في عددها 181 وتاريخ 21 كانون ثاني 1971، جاء فيه (إن الثورة الفلسطينية لم تغير موقفها في قرار مجلس الأمن رقم 242 وتاريخ 22 ـ 11 ـ 1967 وخطة روجرز، وهي ماضية في مسيرتها في الكفاح المسلح لتحرير كامل التراب الفلسطيني. ولكن هذا الموقف من جانبنا الذي كان انعكس بشكل انفعالي تجاه الجمهورية العربية المتحدة إزاء تحركها السياسي لدى الإعلان عن خطة روجرز كان قد أخضع للمناقشة في اللجنة المركزية وأمانة السر. وكانت النتيجة أن التزامنا بالكفاح المسلح هو التزام فلسطيني مدعوم بالجماهير العربية تعبر عنه باستمرارية الثورة الفلسطينية. وهو التزام لا يشكل قيداً على محاولات الجمهورية العربية المتحدة لإزالة آثار عدوان حزيران 1967، ما دامت لا تفرط بحق الشعب الفلسطيني ولا تلزمه بأي قيد قد يحد من استمرار نضاله. ولا بد من أن يكون راسخاً أن فهمنا لإزالة آثار العدوان يختلف كثيراً عن مجموع مشاريع التسوية المطروحة. ونحن لسنا بالتأكيد ضد الانسحاب الكامل للإسرائيليين من الأراضي المحتلة،

بحيث تعود الأوضاع إلى ما كانت عليه يوم 4 حزيران 1967 دونما إسقاط الحق الفلسطيني في الكفاح من أجل تحرير كامل التراب الفلسطيني. لا سيما ونحن لسنا طرفاً ولا ننوي أن نكون طرفاً في هذه التسويات، وكفاحنا لم يبدأ في حزيران 1967 وإنما بدأ في كانون الثاني 1965.

وجميع ما جاء في هذا التصريح هو تحصيل حاصل ومسلم به، وقد نبهنا عليه في رسالتينا لأبي عمار وجورج حبش حينما حجبه الانفعال عن الرؤية. وليس فيه ما يتناقض جوهرياً مع ما جاء في رسالة الأهرام أو ينقضه أيضاً، لأن فيه وضعاً للأمر في نصابه مرة أخرى من قبل المنظمة، وإحباطاً للدسائس والصيد في الماء العكر.

التعقيب الثاني

وقد كتب في أواسط تموز 1972

حينما كتبنا رسالتنا إلى أبي عمار وجورج حبش اللتين أوردنا نصهما في الرقم (69)، كنا على يقين من أن الرئيس عبد الناصر لن يقبل مراوغة من الولايات المتحدة وربيبتها المجرمة، وإن معرفة جميع الأطراف ذلك سيجعلهم يحذرون المراوغة.

ولقد كان، حينما قبل مبادرة روجرز التي كانت وعداً بالسير في تنفيذ قرار مجلس الأمن بانسحاب اليهود الكامل وحل مشكلة اللاجئين وفقاً لقرار هذا المجلس وقرارات هيئة الأمم، قال أنه قبل هذه المبادرة لتجربة الولايات المتحدة مرة أخرى بناء على طلبها منه ذلك وإن كان يشك في وفائها. وكان المقدر أن قبول اليهود بانسحاب قوتهم وحل مشكلة اللاجئين وفق قرارات هيئة الأمم، يعني ارتفاع يد اليهود عن المدن والقرى التي احتلوها عنوة في سنة 1948 من فلسطين المخصصة للعرب في قرار التقسيم، وانسحابهم عنها وعودة أهلها إليها في ظل السيادة العربية، وعودة من أراد من النازحين إلى مواطنهم في الأقسام المخصصة لليهود، والتعويض على من لا يريد العودة بدون ارتباط فلسطيني بكل ذلك، ويعني كذلك وقف النزيف العربي الشديد في الجهد والمال، وزوال الكابوس الرهيب الذي يعيش العرب تحت وطأته، وكل هذا يكون بدون ريب انتصاراً مادياً وأدبياً للعرب على اليهود الذين لا يمكن أن يقبلوا ذلك إلا برغمهم، حيث يكون قبولهم هو نتيجة لموقف القائد العظيم الذي جسد الرفض العربي العام للهزيمة والاستسلام وعدم قبول واقع مفروض، والتصميم العربي العام على الصمود والجهد الشاق في إعادة تنظيم الجيش القادر على المواجهة التي كان مصمماً عليها، والتي لم يكن بد منها. والمبادرة إلى حرب الاستنزاف كإعلان عن كل ذلك بعد نحو سنة ونصف من معركة حزيران 1967، وأنه لا بد من أن يكون قد حسب حساب كل شيء، وأنه وقد أعلن حرب الاستنزاف واستمر فيها سبعة عشر شهراً واستطاع أن يصمد فيها ويحبط محاولات اليهود ومن ورائهم بضرب الأعماق المصرية، بما كان من إعداده الدفاع الجوي القوي الذي جعل الفانتومات الأميركية اليهودية تتساقط، وأزعج اليهود والأمير كان أشد إزعاج، وفتح الاحتمالات لمضاعفات خطيرة، سوف يعود إلى تسخين الجبهة مرة أخرى، وعلى الأقل إلى استئناف هذه الحرب التي ثبتت قدرة مصر قيادة قائدها عليها، وفرض هو نفسه بها، حتى اضطر الولايات المتحدة إلى عرض المبادرة إذا ظهرت مراوغة منها ومن ربيبتها خلال مهلة الأشهر الثلاثة المتفق عليها لوقف

والدولة اليهودية وأخذت تعمل لعرقلة تنفيذ القواعد والعمل الفدائي من طريق لبنان وفيه، وأخذ اليهود في الوقت نفسه يشددون ضغطهم على لبنان بالإنذارات المتوالية وبالعدوان المتكرر براً وجواً ومدرعات بل وبحراً، والذي كان أحياناً شديداً كثيفاً يذهب به كثير من القتلى والجرحى وتتدمر به كثير من المنازل، معلنين أنهم سيستمرون على ذلك إلى أن يمتنع أي عمل ونشاط فدائي من لبنان، ويخرج الفدائيون منه، مشيدين بما فعله النظام الأردني، وأدى إلى ما أدى إليه من هدوء وراحة له ولهم. وقد كان في الشهر الذي نكتب فيه هذا التعقيب من هذا العدوان المتكرر شيء كثير وشديد. وكل هذا حقق لهم شيئاً كبيراً من النجاح، وأدى إلى ركود هذا العمل بعد أن بلغ عدد وقائعه في السنتين الأخيرتين نحو ستمائة، وضحاياه نحو مائتين وخمسين شخصاً باعتراف سلطات اليهود التي لا تعترف بجميع ما يقع عليها من هجمات وخسائر، كما ركد في الساحة الأردنية. وبعد أن ضمنت الولايات المتحدة التفوق العسكري لليهود على جميع العرب بسبيل إبقاء حالة اللاحرب واللاسلم التي يفضلها اليهود، وبسبيل فرض الاستسلام على العرب لشروطها وشروط اليهود، وهي ترفع شعار تنفيذ قرار مجلس الأمن، ولكنها تفسره مثل تفسير اليهود الذي شرحناه في الذيل. وبعد أن استطاعت بتحريضها وعمالة عملائها أن تجمد العمل الفدائي من الحدود الأردنية والحدود اللبنانية أخذت تراوغ في ما سمي بمبادرة روجرز التي طلب روجرز بها من الرئيس الراحل وقف النار واعداً بانسحاب اليهود الكامل من الأراضي العربية، بالإضافة إلى تعطيلها محاولات الدول الكبرى الدائمة في مجلس الأمن، لإيجاد مخرج وطريقة لتنفيذ القرار، وتعطيلها مهمة الوسيط الدولي وكل جهد سياسي تبذله مصر واصدقاؤها بسبيل إيجاد مخرج كريم عادل، بحيث صار ما يقوله الواعون العرب من أنها أشد عداء وضرراً للعرب من اليهود صادقاً كل الصدق، وأصدق من أي وقت سابق.

ولقد كان كثير من الناس يتوهمون أنها تفعل ذلك بتأثير ضغط اليهود وأصواتهم. ومع ما في هذا من حقيقة، فإن الواعين كانوا مدركين أن ذلك من صميم استراتيجيتها، وأنها تعتبر الدولة اليهودية ركيزتها العظمى التي تعول عليها أكبر تعويل في ضمان مصالحها واستثمارها وهيبتها في الشرق الأوسط، وتعطيل أي ازدهار وقوة ووحدة وتقدم عربي، وإسقاط الأنظمة التقدمية فيها وإعادة جميع هذا الشرق إلى فلكها. وقد غدا هذا الإدراك يقيناً على كل لسان عربي رسمي وغير رسمي.

ولقد صوتت غالبية اليهود في الانتخابات السابقة للمرشح الديموقراطي، وفاز المرشح الجمهوري نكسون بدون أصواتهم، فلم يتبدل شيء بل فاق نكسون جميع من سبقه في تأييده للدولة اليهودية اقتصادياً وسياسياً وتسليحاً مما فيه مصداق ذلك. ويسوق بعض العملاء والسذج من العرب بتضليل من أميركا واليهود حجة متهافتة، وهي أن موقف الولايات المتحدة هو نتيجة لما قام من تواثق بين مصر وغيرها من الدول العربية وبين الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية من تواثق وتعاون، وما أدى ذلك إليه من تواجد سوفياتي قوي في الشرق العربي.

وتهافت الحجة تبدو بارزة حينما نذكر أن الولايات المتحدة أيدت الصهيونية ووعد بلفور منذ الحرب العالمية الأولى، واستمرت في تأييدها، وبلغ ذلك ذروته أثناء الحرب العالمية

الثانية وبعدها، حتى قامت الدولة اليهودية بقوة هذا التأييد، في حين لم يكن للاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية أي وجود في الشرق العربي، بل وكانت الدول العربية جميعها تسير في فلكها وفلك بريطانية وتقاطع الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية!

ولقد أدرك اليهود كل هذا، فكان منهم ما كان من رفض واستهتار وعدم مبالاة بما صدر وما يزال يصدر من جميعة الأمم ومجلس الأمن من قرارات ضدهم وفي صالح العرب وخاصة بعد حزيران 1967، سواء في صدد وجوب انسحابهم من الأراضي العربية التي احتلوها أم في وجوب السماح للاجئين الجدد بالعودة، أم في صدد حظر تغيير معالم القدس وغيرها من المناطق المحتلة، أم في صدد حق الشعب العربي الفلسطيني في وطنه وتقرير مصيره، أم في صدد جرائمهم في الأرض المحتلة اللاإنسانية واللاأخلاقية ضد العرب. وكانت القرارات تصدر بأكثرية كبرى، ولم يكد يصوت ضدها غير اليهود، بل وتبلغ فيهم الصلافة والصفاقة إلى حد شتم هذه الهيئات.

وفعلوا مثل هذا تجاه القرارات الإجتماعية التي أصدرتها منظمة الدول الإفريقية والأوروبية على الرغم من تعويلهم تعويلاً شديداً على هذه الدول في حياة دولتهم الاقتصادية. وكل هذا اعتماداً على ما كان من تأييد الولايات المتحدة لهم واستمرارها في مدهم بالمال والسلاح وضمان تفوقهم بخاصة في القوة العسكرية والتكنولوجية، وهو المجدي في الموقف دون القرارات السياسية.

ولقد ظلت الولايات المتحدة تحاور مصر في صدد الحلول السلمية والجزئية والكلية مراوغة وتمييعاً بعد رحيل الزعيم القائد عبد الناصر، مع استمرارها في ذلك التأييد والضمان، مما جعل الرئيس السادات يعلن أنها غشاشة مراوغة خادعة ويقطع ما كان من حوار معها.

وإنه لمما يثير المرارة والحزن بل ويلطخ الجبين العربي بالخزي والعار أن من الدول العربية مع كل ذلك من يرتبط بها بصداقة وولاء. وأن مصالحها واستثماراتها وامتيازاتها وبضائعها ومصنوعاتها وتجارتها مصونة مزدهرة بل ومتجددة ومتزايدة. وإنها تفعل بالعرب ما تفعل وهي مطمئنة البال. بل وترى في نفسها الجرأة أن تشيد من آن لآخر بما يربطها ببعض الدول العربية من صداقة وتواثق.

ولقد قطعت بعض الدول العربية علاقاتها السياسية معها بعد حرب حزيران 1967 نتيجة لما ظهر واضحاً من الموقف المتحيز الذي وقفته لجانب اليهود ضد العرب. ولكن الإمتيازات والإستثمارات والشركات والمصنوعات الأميركية ماتزال مصونة مزدهرة مثمرة في بلاد بعض هذه الدول. ومايزال أصحابها يحصلون منها ومن البلاد العربية الأخرى على مليارات الدولارات أرباحاً وعائدات، فتأخذ منها حكومتهم ما تأخذ، فتغدق منه على الدولة اليهودية ما تغدق سلاحاً ونقداً ومعدات دمار، فتنمو قوتها وصمودها ويستشري عدوانها وطغيانها على العرب بمال العرب...

ومن تمام الصورة الكئيبة أن وزير خارجية الولايات المتحدة جاء في أوائل تموز 1972 ونحن نعيد النظر في صياغة هذ التعقيب إلى بلاد العرب وتطويفه متبختراً فيها ومستقبلاً بالترحاب والتكريم في الدول التي زارها من جزيرة العرب والخليج منوهاً بصداقة الولايات المتحدة لها ورغبتها في استقرار وازدهار المنطقة واستعدادها لمساعدتها.

وإن الجمهورية اليمنية التي قطعت علاقتها عقب هزيمة حزيران 1967 بها مع من قطعها من الدول العربية، كانت من جملة من استقبل الوزير، وأعلنت بالمناسبة إعادة علاقتها السياسية بدولته، وأن السودان الذي كان كذلك في جملة من قطع هذه العلاقة أعلن عزمه على درس مسألة إعادتها. وكل هذا مقابل بضعة ملايين من الدولارات منت أو وعدت بمنها على الدولتين العربيتين!!

ولقد أثر كل هذا في الموقف العربي الذي كان تحسن بعض الشيء نتيجة لحرب الاستنزاف وللكفاح الفلسطيني في الأوساط العالمية والدولية بصورة عامة خلال سني 1968 و 1969 و 1970 تأثيراً سلبياً. وبعد أن كانت أنظار العالم مشدودة إلى الشرق العربي وأزمته متخوفة من تفاقمها وانفجارها ارتخت، وقام مقام هذا الخوف كلمات الرثاء والإشفاق والتمني.

ولقد أعلن الرئيس السادات وهو يلمح هذه الآثار والنتائج المؤسفة أن عام 1971 يجب أن يكون عام الحسم للقضية سياسياً أو عسكرياً، لأن أي تربص أكثر يؤدي إلى ما يريده اليهود في فرض الأمر الواقع كما فعلوا في سنة 1948، وأخذت مصر تتهيأ لذلك، بل وصدر قرار المعركة فعلاً لإنشابها في أقرب وقت مناسب، فضاعفت الولايات المتحدة مساعدتها وحربها النفسية حتى جعلته يرى من الضروري إعادة الحساب والتربص فترة أخرى لزيادة الاستعداد للمواجهة الحاسمة.

ولقد أعلن في أواخر عام 1971 خبر الإتفاق على اجتماع قمة في موسكو في شهر مارس بين الرئيس الأميركي وقادة الإتحاد السوفياتي، فتعلقت بعض الآمال والأنظار باحتمال حل شريف عادل سياسياً.

ولقد حاول اليهود إبعاد قضية الشرق الأوسط عن هذا الإجتماع فلم ينجحوا، فبادرت رئيسة الدولة اليهودية إلى تصريح مثير بين يدي الاجتماع جاء فيه: (أنه ليس قوة في الدنيا تستطيع أن تفرض على إسرائيل حلاً لا يضمن لها الحدود الآمنة المعترف بها). وبادر روجرز وزير خارجية أميركا إلى تطمينها بقوله أنه ليس هناك أي إمكان لفرض حل لا يرضى به الأطراف المعنية وبمعزل عنها. ثم انعقد الإجتماع وجاء في البيان المشترك الذي صدر عقب انتهائه أن الدولتين اتفقتا على التعاون على حل سياسي لأزمة الشرق الأوسط وفقاً لقرار مجلس الأمن، وتنشيط وساطة يارينغ بسبيل ذلك، وليس في هذا شيء جديد. فالولايات المتحدة منذ الأصل تعلن أنها تؤيد حل القضية على أساس قرار مجلس الأمن وبوساطة يارينغ مثل روسية، بل وجميع الدول، ولكن العرب وأصدقاءهم الذين هم الأكثرية الكبرى من الدول مختلفون مع اليهود وأصدقائهم ومن جملتهم الولايات المتحدة في تفسير القرار على ما شرحناه قبل.

ولقد أيد يارينغ تفسير العرب حينما طلب قبل عشرين شهراً من اليهود إعلان التزامهم بالإنسحاب من جميع الأراضي العربية التي احتلوها بعد الخامس من حزيران 1967، وقد رفض اليهود ذلك وأعلنوا أنهم لا يلتزمون بذلك ولا يعودون إلى حدود ما قبل الخامس من حزيران، فتجمدت وساطته وماتزال، فيكون الأمر بما أعلنته روسية والولايات المتحدة في بيانهما المشترك قد عاد إلى الحلقة المفرغة والطريق المسدود.

وكان ذلك فعلاً، حيث أعلن العرب

تمسكهم بتفسيرهم، وأعلن اليهود تمسكهم بتفسيرهم. وليس هناك احتمال لاتفاق الدولتين العظيمتين على تفسير وعلى فرض تفسير. بل من المؤكد على ضوء الوقائع أن يظل الاختلاف على التفسير مستمراً لتمييع القضية وتمطيطها، وأن تظل الولايات المتحدة على تحيزها لليهود في تفسيرهم ورفضهم وتمييعهم وفي تجميدهم لمهمة يارينغ. وفي بقائهم متفوقين على العرب بالسلاح لمنع العرب من التحرك الحربي، والإبقاء على حالة اللاحرب واللاسلم التي يفضلونها.

وهناك مسألة اللاجئين التي يوجب قرار مجلس الأمن حلها حلاً عادلاً، والتي يغيب عن أذهان الناس أن حلها أصعب بالنسبة لليهود من الانسحاب من الأراضي التي احتلوها بعد الخامس من حزيران، بل الصخرة التي سوف تتحطم عليها أية تسوية. فاللاجئون نزحوا من المناطق المخصصة لليهود في قرار التقسيم، ومن المناطق المخصصة للعرب فيه التي احتلها اليهود عنوة سنة 1948 ثم ضموها إلى دولتهم رغم أنف هيئة الأمم ونصوص اتفاقات الهدنة الدائمة. وأبسط حل دولي لمسألة اللاجئين هو أن ترتفع يد اليهود عن ما احتلوه عنوة من القسم المخصص للعرب ليعود إليها أهلها في ظل السيادة العربية وهم نصف النازحين تقريباً. وأن يعود من أراد العودة من النصف الثاني إلى وطنهم وأملاكهم في الأقسام المخصصة لليهود في التقسيم، وأن يعوض على من لا يريد العودة. وهذا وذاك بمقتضى قرارات هيئة الأمم التي قامت دولة اليهود المجرمة على أساسها. واليهود يرفضون كل ذلك رفضاً باتاً لأنه يحل الصفة اليهودية لدولتهم وهي أساس وجودهم وكيانهم، ويختزلها ويعجل باختناقها. ولو وافق اليهود على الإنسحاب من الأراضي التي احتلوها بعد الخامس من حزيران حسب قرار مجلس الأمن، وهذا مستحيل فيما نعتقد، فلسوف يربطون انسحابهم بشروط عديدة من أهمها حل مسألة اللاجئين خارج نطاق الأراضي الفلسطينية التي كانوا يحتلونها قبل الخامس من حزيران، سواء منها ما هو مخصص لهم أو غير مخصص. ولن يقبلوا عودة أحد ولن يقبلوا طرح موضوع الأراضي التي احتلوها عنوة من الأقسام المخصصة للعرب في قرار التقسيم لأي بحث. ولن يقبل بل ولن يستطيع أحد من العرب الموافقة على ذلك.

وإنه لمن المتبادر على ضوء مراوغات وخطط وأهداف اليهود التوسعية وما يعمدون إليه من تمييع وتعجيز بسبيل ذلك أنه لو تمت المعجزة واستأنف يارينغ مهمته لعمد اليهود إلى التمطيط والأخذ والرد والقبول والصد، حتى يستغرق ذلك شهوراً بعد شهور بل سنين بعد سنين، ثم يصطدم بالعقبات والطرق المسدودة، سواء بالنسبة للحدود أم بالنسبة لقضية اللاجئين من مختلف جوانبها أم بالنسبة لما يجب أن تكون عليه الصلات بين دولتهم والدول العربية. ثم تستمر عبر ذلك حالة اللاحرب واللاسلم التي يفضلونها لفرض ما يريدونه من واقع أو شروط استسلامية اعتماداً على ما تضمنه لهم الولايات المتحدة من تفوق وتحيز. بل نحن على يقين أن العرب، لو فرضنا أنهم تنازلوا وقبلوا بتسوية ما مما يرتضيه اليهود، فلن يكون ذلك بالنسبة لليهود إلا مرحلة استجمام، ثم يستأنفون نشاطهم في سبيل تحقيق مخططاتهم من (النيل إلى الفرات) كدولة، والهيمنة على باقي البلاد العربية كمجال حيوي لهم. . .

والحالة الآن حالة ركود وترقب وتوتر وتوعد

من الجانب العربي، ومراوغة من جانب العدو، وإصرار على الشروط المذلة، واستمرار في تهويد الأرض وتفريغها، وقلب الموقف فيها إلى واقع مفروض. وحرص شديد على إبقاء وقف النار أو حالة اللاحرب واللاسلم، وتحد واستهتار شديدين بما صدر وما يزال يصدر من المنظمات والهيئات الدولية والحكومات الأجنبية من قرارات وتصريحات فيها تنديد وإدانة لموقفه وبغيه ولا إنسانيته ولا أخلاقيته. بل وتصل الوقاحة فيه إلى شكاية الحكومات العربية إلى هيئة الأمم ومجلس الأمن إذا ما قام العرب بعمليات فدائية ضدهم جواً أو براً لتشجيعها على ذلك وجعلها أرضها منطلقاً له باعتبار أن ذلك خرق لوقف النار.

وخلال ذلك يواصل رؤساء اتحاد الجمهوريات العربية المصرية السورية الليبية التي هي الكتلة المتراصة المنسجمة، ورجال الحكم والسياسية فيها، إعلان تصميمهم على الصمود ورفض التسليم بشروط اليهود وعدم التخلي عن شبر واحد من الأرض العربية المصرية والسورية والأردنية والفلسطينية، وضمان حقوق شعب فلسطين كاملة في وطنه ودعم كفاحه، والاستمرار في الاستعداد العسكري والنشاط السياسي في المجال العربي والدولي، بسبيل إحباط المؤامرة الأميركية اليهودية وإرغام العدو على التراجع والتسليم بالحق العربي في فلسطين والانسحاب الكامل من الأرض العربية بالحرب إن لم يمكن الوصول إلى حل شريف عادل بالسياسة، مع إعلان قناعاتهم إزاء ما يبدو من واقع اليهود وصلفهم ومطامعهم ومراوغاتهم ومساندة الولايات المتحدة لهم في كل ذلك، بأنه لا بديل عن الحرب والقتال. وأن المعركة حتمية مقررة لا رجوع عنها، وأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بها، وأنهم يبذلون جهودهم لزيادة استعدادهم لذلك، وأن الوقت لن يطول، وقد يكون أقرب مما يظن. ويتوافق معهم في هذه القناعة رؤساء الدول العربية الأخرى ورجال السياسة فيها، وإن كان من الحق أن نسجل ضعف الحماس والجد في التضامن وحشد الطاقات فيها. وهذا من العلل الرئيسية للموقف الراهن.

وفي تلك القناعات كل الحق والحقيقة. فليس من سبيل إلى تحرير الأرض المغتصبة قديماً وحديثاً وتوطيد الحق العربي في أرض فلسطين إلا القوة والإرغام.

ولقد قامت حركة اليهود منذ بدئها على العدوان والإغتصاب والقوة والغدر والمراوغة والكذب والشره. وظل كل هذا ديدنهم إلى الآن، وبسبيل ذلك صاروا معسكراً حربياً مجندين رجالاً ونساء، وحرصوا على أن يكون لهم دائماً التفوق في السلاح والفن، وأن يكونوا مهاجمين مباغتين، وأن يقابلوا كل حركة واحتمال حركة بكل قسوة وقمع، واعتبار ذلك كله أساس استراتيجياتهم وتكتيكاتهم معاً، مع الإستمرار في خطط التوسع في الأرض العربية لإقامة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات في بقعة كبيرة منها، ثم تكريس بقيتها لتكون مجالاً حيوياً اقتصادياً وسياسياً وسياحياً وثقافياً لهم، وتكديس السلاح والمهاجرين، وبذل الجهود الدعائية والسياسية والحرب النفسية داخلاً وخارجاً في سبيل ذلك.

وقد لمحنا كل هذا منذ البدء وقررناه وكررناه في كتبنا وبحوثنا ومقالاتنا في مختلف المناسبات. ومن حسن الحظ أن هذا قد أصبح أكثر من أي وقت مضى شعوراً عاماً راسخاً في

ضمير الأمة العربية على اختلاف مستوياتها وأقطارها. من حيث إنه لا أمان ولا إستقرار للعرب في جميع بلادهم إلا بالانتصار بالقوة على اليهود وإزالة كيانهم المشؤوم وإعادة الحق العربي والسلطان العربي على فلسطين بكاملها مهما طال الزمن وعظمت التضحيات، لأن الأمر متصل بالوجود العربي والمصير العربي، ولا بديل عنه ولا خيار فيه، وهو ما يجب أن يشتد توطيد العرب أنفسهم عليه أكثر من أي وقت، ويتوسعوا إليه بكل وسيلة وأسلوب رسمي وشعبي، وباستراتيجية الأرض المحروقة التي ينتهجها اليهود ويقدمون بها على الأعمال الرهيبة الحارقة الصاعقة التي يرتكبونها ضد العرب.

ومن الحق أن نذكر أن فيما يصدر من رؤساء اتحاد الجمهوريات العربية ورجالاتها ومن مختلف التنظيمات العربية من تصريحات شيء غير يسير من الحرارة والتصميم وإدراك لأبعاد القضية ومقتضياتها.

وإننا لندعو الله أن يسدد الخطى ويشدد العزائم وييسر الأسباب حتى تتحقق الآمال بالتحرير والنصر التامين الشاملين. إنه سميع مجيب.

***

(71) رسالة من الكاتب الى الشيخ عبد الحميد السايح 1970/8/10

سماحة الأخ الكريم الشيخ عبد الحميد السايح حفظه الله[1]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد، فقد رأيت أن أكتب لكم بأمر رأيته مهماً ومتصلاً بحقوق الشعب الفلسطيني.

فمع تصميمنا كفلسطينيين على عدم الالتزام وعدم الاعتراف بأية تسوية تتضمن التسليم بوجود الدولة الصهيونية من قبل أي حكومة عربية. وعلى متابعة الكفاح المسلح إلى أن تزول هذه الدولة مهما طال الزمن وعظمت التضحيات، وتعود فلسطين كاملة إلى الحظيرة والسيادة العربية، فقد يكون من المفيد إذا قدر للمحادثات السياسية في سبيل الحل السلمي أن تجري - وسوف تجري حينئذ في نطاق قرارات هيئة الأمم - أن يثير الجانب العربي بقوة وإصرار أمر المناطق المخصصة للعرب في قرار التقسيم، وهي مدن يافا واللد والرملة وبير السبع وسدود وعسقلان وأم الرشراش التي سماها اليهود إيلات والناصرة وعكا وشفا عمرو مع القدس التي لم تخصص لهم ، ومع ما يتبع هذه المدن من مئات القرى وملايين الدونمات. وأن يصر على تخلي السلطات المغتصبة عن كل ذلك، وأن لا يسلم بأي حال بكون حدود هذه السلطات هي حدود ما قبل العدوان في الخامس من حزيران التي هي حدود هدنة لا تكسب أحداً

(1) كان الاستاذ في هذا الظرف وزيراً للاوقاف والشؤون الإسلامية في الحكومة الأردنية.

أي حق كما هو صريح من نصوص اتفاقيات الهدنة. وما دامت الأبحاث تكون في نطاق قرارات هيئة الأمم، فإن إثارة هذا الأمر والتمسك به طبيعي جداً وضروري جداً. ولا يمكن المكابرة فيه لأنه حق معترف به للعرب في قرار هيئة الأمم. وهو يحل نصف مشكلة النازحين أو أكثر حلاً تلقائياً كريماً، حيث تخرج هذه المناطق من سيطرة المغتصبين، ويسحب منها اليهود الذين وطنوا فيها، ويعود أهلها إليها وتصبح عربية الصفة والسلطة، ولا يجوز أن يقبل من المغتصبين خلاف ذلك، كما لا يمكن أن يقبل منهم أن ذلك خارج عن نطاق مطلب انسحاب اليهود إلى حدود ما قبل الخامس من حزيران. لأن هذا المطلب خاص بالدول المحتلة أراضيها، وواجب حسب ميثاق هيئة الأمم، ومختلف جوهرياً عن ذاك، ومتصل بحق شعب فلسطين المعترف به والمطلوب التسليم به سواء من وجهة الحق والقانون تقرير المصير وقرارات هيئة الأمم السابقة، أم من وجهة كون ذلك من أسس قرار مجلس الأمن.

ومما لا ريب فيه أن عودة هذه المناطق إلى السلطان العربي سوف يساعد مساعدة كبيرة الكفاح الفلسطيني المسلح الذي لا بد من استمراره على تحقيق هدفه.

ومن تحصيل الحاصل أن يقال أن هذا الأمر مختلف عن عودة النازحين إلى مواطنهم التي خصصها قرار التقسيم للدولة المجرمة. فالنازحون قد نزحوا عن ما هو مخصص للعرب. فإذا ما رفعت اليد المغتصبة عن ما ليس مخصصاً لها وعاد أهلها إليها عودة كريمة تلقائية، يبقى حق عودة الذين نزحوا عن ما هو مخصص في قرار التقسيم للدولة اليهودية إلى مدنهم وقراهم واستردادهم ثرواتهم المنقولة وغير المنقولة وإخلاء المستوطنين اليهود منها قائماً وواجب التنفيذ.

وليس من شك في أن تحقيق هذه المسائل على الوجه المشروح، وهو ما يجب على الجانب العربي الرسمي الإصرار عليه والتمسك به كحد أدنى على الأقل، سوف يسهل النضال الواجب على عرب فلسطين في سبيل تقويض الكيان الصهيوني وتحرير بقية فلسطين، وسوف يعجل بالتالي تحقيق هدفنا المقدس في تقويض نسف هذا الكيان.

ومع اعتقادي أن هذه المسائل لا تفوتكم ولا تفوت زملاءكم في الوزارة ووزارة الخارجية بالذات، فإني أحببت أن أنبه عليها مكرراً الدعاء لله بأن يؤيد المخلصين بتسديده، وأن يقرب يوم النصر الأكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

وقد كتب الكاتب رسالة في نفس المآل للسيد وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة وأرسلها في نفس التاريخ.

* * *

(72) شذرات من ملحق نشر في مجلة الوعي الإسلامي

نشرت لنا مجلة الوعي الإسلامي في الكويت ملحقاً لعدد رجب 1390 أيلول 1970 بعنوان «قصة غزو فلسطين» فرأينا أن نورد منه الشذرات التالية:

أولاً:

مقدمة البحث:

إن الباحث في الأسفار التي يتداولها اليهود ويقدسونها يقع على الجذور التي يستوحون منها سلوكهم وأحداثهم، والتي نبتت كما تلهم

الأسفار من الأساطير وغذيت بالإضطهاد والحرمان والكبت. فكان من آثارها العجيب المذهل من الصور والسوآت والتناقضات التي تمثلت فيهم بالأنانية المفرطة والرغبة الشديدة في التمايز والعزلة والإنغلاق عن البشر، واعتبارهم دونهم وأعداء وملكاً وعبيداً لهم. وتعطشهم الشديد لسفك الدم وتدمير كيان الغير بالعنف والغدر والاحتيال والخيانة والخداع والتآمر. وتبرير كل وسيلة مهما كانت غير شريفة وغير إنسانية وغير دينية وغير أخلاقية، للوصول إلى غاية ما مهما كانت غير شريفة وغير دينية وغير إنسانية وغير أخلاقية، وجحود المعروف ونكران الجميل، ومقابلة الإحسان بالإساءة، وعدم الولاء لأحد، وعدم تبادل المودة والإخلاص والثقة مع أحد، وعدم الاعتراف بأي حق لأحد، وعدم التقيد بأي عهد واعتبار وقيمة أخلاقية وإنسانية، وازدراء كل شخصية وغلة قوم، وعدم الشعور بأي واجب وبأية مسؤولية عن أي عمل منهم تجاه غيرهم، والإفتراء على الله ورسله وتحريف كتبه، والاحتيال على شرائعه وتكذيب رسله وقتلهم مع اللجاجة والصلافة والصفافة والمكابرة والشح والحسد والارتكاس في مختلف الأثام والفواحش، ومع الهلع والجزع والانهيار أمام الأخطار والصدمات[1]. مما صار به بنو إسرائيل في القديم مثلاً فريداً في التاريخ، ومما يمكن أن يفسر به ما كان يقع منهم من أفعال ومواقف منكرة نحو جميع الناس، وما يفسر ما كان من سلوك الناس نحوهم، وصراعهم الدائم معهم وكراهيتهم الشديدة لهم. وما تكرر من عمليات الإبادة فيهم بدافع المقابلة والدفاع عن النفس والكيان على اعتبار أن ذلك هو العلاج الوحيد الناجع فيهم على ما حكته أسفارهم والمنقوشات وكتب التاريخ القديمة.

ومما هو ذو مغزى خطير جداً أنهم الوحيدون الذين سجل التاريخ صراعاً مستمراً بينهم وبين سائر البشر على اختلاف الأجناس والمستويات والعصور والأمكنة، وفي هذا دليل قاطع على جبلتهم وأخلاقهم التي كانوا وظلوا متفردين بها، فهم يعتبرون جميع الناس دونهم وغرباء عنهم وأعداء لهم. وجميع الناس بالمقابلة يعتبرونهم غرباء عنهم وأعداء لهم، ويعاملونهم على هذا الإعتبار ويبعدونهم عنهم، أو يستأصلونهم للخلاص منهم، ومع أن الأكثرية الساحقة من يهود اليوم لا يمتون إلى بني إسرائيل القدماء دماً وعرقاً على ما ثبت لدى جمهور الباحثين المحققين[2]، فإن تداولهم الأسفار التي كان يتداولها بنو إسرائيل ودأبهم على استمداد صور وحوافز حياتهم وسلوكهم منها طيلة القرون المديدة، جعلتهم يتأثرون بما في تلك الأسفار من جذور في أحداثهم وأخلاقهم أشد تأثر، ويصدرون عنها كل شيء، بحيث صار يهود

(1) كل هذه الصفات والمواقف محكية عن بني إسرائيل في أسفار العهد القديم والجديد، وعلى ألسنة أنبيائهم، وفي سياق أحداثهم التاريخية في هذه الأسفار، وقد أيد القرآن كل ذلك عنهم (أنظر كتابنا تاريخ بني إسرائيل وأخلاقهم من أسفارهم ومن القرآن الكريم).

(2) اليهود اليوم طائفتان متميزتان جنسياً هما طائفة السكناج أوشكناز وطائفة السفارديم. والأولون هم يهود أوروبا ويهود أميركا منهم، وهم الأكثرية العظمى من اليهود. والآخرون هم يهود آسية وشمال أفريقية. والأولون هم من جنس آري اعتنق أجدادهم اليهودية في القرون الوسطى. ومن المحتمل أن يكون في الآخرين دماء إسرائيلية، مع القول إن هذه الدماء اختلطت بدماء أمم أخرى، ومع ذلك فهم لا يبلغون إلا نسبة العشر من مجموع اليهود.

اليوم وأجدادهم إلى قرون عديدة، الذين هم ليسوا من بني إسرائيل، كبني إسرائيل مثلاً فريداً في سلوكهم إزاء غيرهم. وصار هذا الغير يقف منهم نفس الموقف الذي وقفه غير بني إسرائيل في القديم للمقابلة والدفاع عن النفس.

ولقد بلي العرب بهذا القبيل الحاقد اللئيم ذي النجيزة العدوانية الشرهة المخادعة الغادرة، فصاروا أكثر الناس حاجة إلى معرفة أخلاقه وطبيعته ومطامعه.

ثانياً:

الخطة الرهيبة التي مارسها بنو إسرائيل حينما غزوا فلسطين قديماً وسجلوها في أسفارهم معزوة إلى الله افتراء عليه تعالى وتنزه عن ذلك:

«إذا أدخلك الرب إلهك الأرض التي أنت صائر إليها لترثها وأسلمهم الرب إلهك وضربتهم فأبسلهم إبسالاً. لا تقطع معهم عهداً ولا تأخذك بهم رأفة. ولا تصاهرهم لأنك شعب مقدس للرب إلهك. وإياك اصطفى لتكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على وجه الأرض» و (هذا ما تصنعه في الأمم التي يعطيك الرب إلهك أرضها ومدنها ميراثاً. فلا تستبق منها نسمة، بل أبسلها إبسالاً. أما المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن أولئك الأمم، فإذا تقدمت إلى مدينة لتقاتلها فادعها أولاً إلى السلم فإذا أجابتك. وفتحت لك. فجميع الشعب الذي فيها يكونون لك تحت الجزية ويتعبدون لك. وإن لم تسالمك بل حاربتك فحاصرها. واسلمها الرب إلهك إلى يدك فاضرب كل ذكر بحد السيف. وأما النساء والأطفال وذوات الأربع وجميع ما في المدينة من قيمة فاغتنمها لنفسك وكل غنيمة أعدائك التي أعطاكها الرب إلهك)[1].

والمقصود بالمدن البعيدة هي التي تكون غير مدن فلسطين أرض كنعان، لأن الخطة لهذه الأرض هي الخطة الأولى أي الإبسال التام بدون دعوة إلى السلم وبدون قطع عهد. والدعوة إلى السلم التي سجلها بنو إسرائيل في خطتهم الرهيبة إلى أهل المدن البعيدة ليست دعوة إلى سلم وسلام بل دعوة إلى الاستسلام وفرض الاستعباد والجزية، فإن لم يقبل أهلها فيكون مصيرهم ذلك المصير الرهيب كما هو واضح من العبارة.

وواضح منها كذلك أن مطامع بني إسرائيل لم تقف عند أرض كنعان ـ فلسطين ـ فإنها تحركت بعد أن وطدوا أقدامهم فيها بالقوة والتدمير والإبادة ما استطاعوا للاستيلاء على ما بعدها.

ولقد سمى سفرهم أهل أرض كنعان وأهل المدن البعيدة جداً أعداء. والمفروض أن التسمية كانت قبل طروء بني إسرائيل على البلاد. مع أنه لم يكن بينهم وبين سكانها أي عداء سابق، ولم يكن من هؤلاء أي موقف عدواني ضدهم، مما فيه تقرير كونهم كانوا يعتبرون غيرهم غرباء وأعداء إطلاقاً.

والسفر يعلل ذلك بكونهم مشركين ووثنيين. والخطة ترسم لإبادتهم واستعبادهم والاستيلاء على أراضيهم وثرواتهم دون عداء أو عدوان أو إستفزاز سابق، ودون إعذار ولا إنذار ولا دعوة إلى دينهم التوحيدي مما لم يكد التاريخ يسجل مثل ذلك في الوحشية والقسوة والشمول والروح العدوانية المبادرة. وهم ينسبون هذه الخطة لله افتراء وكذباً سبحانه وتعالى وتنزه عنها.

(1) سفر التثنية الاصحاح 7 و 20.

وأسفارهم تذكر أنهم طبقوا هذه الخطة بحذافيرها بالنسبة لأرض كنعان وما بعدها من قريب وبعيد بحذافيرها بكل ما فيها من قسوة ووحشية ولا إنسانية ولا أخلاقية ولا دينية ما استطاعوا حينما طرأوا على شرق الأردن وغربه قبل ثلاثة آلاف ومائتي سنة، وظلوا يطبقونها ما استطاعوا طيلة وجودهم فيهما. والراجح أن تسجيل هذه الخطة كان من وحي تطبيقاتها.

وبعض الباحثين يبحثون اليوم عن حافز حديث لما وقع من اليهود في فلسطين وما جاورها من أعمال القتل والغدر والتدمير والنهب والسلب والمطاردة والمصادرة، وبخاصة في سني 1947 و1948 و1956 و1967 وبعدها، وما يزال مستمراً بكل قسوة ولؤم ووحشية مستمد من ظروف حياتهم في أوروبا. والحافز والخطة مرسومان بكل قوتهما وبشاعتهما في أسفارهم التي يتلونها صبحاً ومساء. . .

ثالثاً: الفصل الأخير من البحث:

ولما تمت الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام والعراق ومصر وشمال أفريقية والأندلس، كانت جماعات من اليهود الذين شردهم الرومان عن فلسطين في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد في هذه البلاد، فأظهروا الخضوع والطاعة للسلطان الإسلامي، وعاشوا في كنفه عيشة أمان وطمأنينة ونشاط بل ومشاركة، خلافاً لما كان من اليهود في أوروبا الذين لم يستطيعوا أن يتعايشوا مع أهل البلاد المسيحيين. فنشب بينهم نتيجة لذلك صراع وتشاد أدى في النهاية إلى ما عرف بالقضية اليهودية أو القضية الصهيونية[1].

ولقد كان الحل الطبيعي والأسهل لهؤلاء أن يندمجوا في المجتمع الذي يعيشون فيه كأصحاب نحلة أسوة بأصحاب النحل الأخرى المندمجين المتعايشين بعضهم مع بعض في مجال الحياة، ولا سيما أنهم آريون أي من جنسهم كما ذكرنا قبل. ولكن الجبلة التي جبلتهم عليها الأسفار والتي أوحت إليهم بفكرة التفوق والتمايز واستحلال ما في أيدي الغير واعتبارهم أعداء، وعدم الشعور بأي مسؤولية مادية أو أدبية أو أخلاقية أو إنسانية تجاههم، حالت دون ذلك الحل الطبيعي الأسهل. وأوجدت في نفوس الشعوب التي كانوا بين ظهرانيها الإزورار منهم، وعدم الطمأنينة لهم. وكان سلوك اليهود نحو المسيح والمسيحية منذ حياة المسيح والذي استمر بعده قد زاد حياتهم في الأوساط الأوروبية التي كانت مسيحية حرجاً وسوءاً واستثقالاً، فأخذوا يتعرضون للاضطهاد. وانبثق نتيجة ذلك في بعض نبهاء يهود أوروبا فكرة إقامة دولة يهودية كحل للمعضلة اليهودية الأوروبية.

وكان من أقوى دعاتها هرتزل الذي كان تفكيره في أصله أن تكون الدولة مهجراً لطوائف العمال اليهود، فتكون هجرتهم مخففة للضغط الذي يلقاه اليهود في المجتمع الأوروبي، ويلقاه هذا المجتمع من اليهود بدوره، ومؤدية إلى سلام المهاجرين في دولتهم وسلام لمن يريد البقاء منهم في أوروبا. وتقررت الفكرة في مؤتمر بال سنة 1897 الذي دعا إليه هرتزل وانعقد برئاسته. ولو اقتصر الأمر على هذا الأصل من جهة واختار اليهود أرضاً خالية غير فلسطين من جهة أخرى لكان من المحتمل أن ينالوا السلام المنشود لمضطهديهم وعمالهم، وأن يتحقق تخفيض الضغط والتنافس بين من

(1) الصهيونية نسبة إلى هضبة في القدس أقام عليها داود قصراً لحكمه حينما صار ملكاً وانتقل إلى القدس.

يبقى منهم في المجتمع المسيحي وبين هذا المجتمع، ولتفادوا بذلك الصراع الحتمي مع العرب ومعاملتهم لهم بعداء ليس له أي سبب، حيث لم يكن بينهم وبين العرب أي خلاف وصدام. ولكن سوء حظهم وسوء حظ العرب معاً جعل فلسطين هي المرجحة عندهم لتقوم فيها الدولة المنشودة بسبب ما أقامته الأسفار بينهم وبينها من صلات تجعلها أكثر جذباً للمهاجرين، وأعماهم عن حقائق لم يكن من شأنها أن تخفى. ولم يتحقق لهم به ما نشدوه من أمن وسلام، بل فتح عليهم باب كفاح مرير سيبقى مهدداً لوجودهم إلى أن يقضي عليه.

ففلسطين لم تكن خالية، وأهلها فيها منذ عشرات القرون، ولهم فيها مقدسات وآثار وأسباب حياة ومعاش، ومتصلون أشد الاتصال بالبلاد المجاورة لهم التي يسكنها بنو قومهم ودينهم منذ عشرات القرون. وكان على اليهود أن لا ينسوا الصراع المديد المرير الدامي بين أهلها وأهل البلاد المجاورة من جهة، وبين بني إسرائيل القدماء حينما طرأوا عليها، والذي استمر ألف عام حتى تقوض بنيانهم الذي بنوه بغياً وعدواناً، وتشردوا وبقيت البلاد لأهلها، فلا يكرروا العملية ويتحملوا نفس النتائج. وكان عليهم أن لا ينسوا أن الإفرنج غزوا هذه البلاد مما سمي الحروب الصليبية، فلم يستسلم أهلها، وحاربوهم مع إخوانهم في البلاد العربية مئتي سنة حتى ردوهم وطهروا بلادهم منهم وأعادوا سيادتهم عليها وضحوا في سبيل ذلك بمئات ألوف الشهداء. ولكنهم عموا عن هذه الحقائق وتحالفوا مع الاستعمار الذي كانت تمثله قبل الحرب العالمية الأولى الأمبراطورية البريطانية، والذي رأى في مطلبهم وهدفهم خدمة لمآربه، حيث كانت الأمبراطورية المذكورة تترسم تشميل هيمنتها على بلاد العرب وإبقائها مجزأة ضعيفة لضمان نفوذها واستغلالها لثروات هذه البلاد ومركزها. فانعقدت الصفقة بينهم وبينها على تنفيذ ذلك بالغدر والخداع ثم بالحديد والنار، فكان هذا إيذاناً بصراع مرير واستمراره الى النهاية بكل آلامه وقسوته.

ولقد انبرى أهل فلسطين للنضال ضدهم وأبلوا بلاء عظيماً في فترة ما بين الحربين العالميتين، وكانوا يسجلون انتصارات رائعة رغم ما تعرضوا له من الغدر والخداع والقمع والمصادرة والمطاردة ورغم ضعف إمكانياتهم إزاء أقوى قوتين عالميتين: الأمبراطورية البريطانية والصهيونية العالمية. ورغم انشغال سائر العرب بهمومهم ووقوعهم تحت هيمنة الإنكليز والإفرنسيين، حيث اصطلوا وحدهم تقريباً بالبلاء والنار، وتحملوا أعظم التضحيات وسجلوا كما قلنا انتصارات رائعة.

ولقد حاول الإنكليز واليهود فرض قيام دولة يهودية في سنة 1937، فثار الفلسطينيون ثورة عارمة أجبرتهم على التراجع.

ولقد كانت الولايات المتحدة الأميركية مؤيدة للسياسة والمطالب الصهيونية منذ الأصل، غير أنها كانت لا تتدخل علناً وبقوة قبل الحرب العالمية الثانية، فأخذت تفعل ذلك علناً وبكل قوتها وثقلها بعد هذه الحرب نتيجة لغدوها زعيمة الاستعمار وحامية مصالحه في الشرق وأقوى قواه، وللدسائس والضغوط الصهيونية معاً، واستمرت في هذا الخط حتى النهاية.

ولقد كان من نتائج ذلك أنه أمكن بالضغط والرشوة وبالإغراء الحصول على أكثرية أصوات الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقرير تقسيم فلسطين في تشرين الثاني 1947 وقيام دولة

يهودية في القسم الأكبر منها.

ولقد قابل الفلسطينيون ذلك بثورة عارمة جديدة، وكادوا يحبطونه لولا تقصير الحكومات العربية وعدم جدها وضنها بالسلاح عليهم ومؤامرة بعض الرؤساء وتآمرهم، مما أدى إلى تثبيت الدولة اليهودية في حدود التقسيم أولاً ثم في حدود ما قبل حزيران 1967 التي كان فيها نحو ثلث ما هو مخصص في قرار التقسيم الظالم للعرب[1]، فتشرد أهل فلسطين نتيجة لذلك شر تشريد بعد أن جردوا من كل شيء، واستولى اليهود على ثرواتهم العظيمة المنقولة وغير المنقولة وحولوهم الى شراذم لاجئة.

ومنذئذ واليهود يخططون للعدوان على ما لم تصل إليه أيديهم من فلسطين وما جاورها لتقوم دولتهم (من النيل الى الفرات) وتشريد العرب عنها بعد تجريدهم استلهاماً من الخطة الرهيبة المرسومة في الأسفار، مؤيدين بالدعم المادي والسياسي من الاستعمار وبخاصة الولايات المتحدة الأميركية وبريطانية. وقد جعلوا وجودهم في الأقسام المخصصة للعرب في قرار التقسيم مع مدينة القدس وطريقها إلى البحر التي ليست لهم في هذا القرار، وسلطانهم عليها بقوة ذلك التأييد أمراً واقعاً، وجعلوا العالم الدولي ينسى اغتصابهم لها ويعتبرها جزءاً من دولتهم وكيانهم ويعتبر أن حدودهم هي حدود هدنة عام 1949 أو ما يسمى حدود ما قبل عدوان حزيران 1967.

ولقد اختطوا نحو من بقي من العرب من مسيحيين ومسلمين في هذه الحدود خططاً رهيبة تقوم على المصادرة والمطاردة والحرمان والقمع والكبت والتمييز والتعطيل. سنوا لذلك قوانين تمثل ما فيهم من لؤم وحقد واستعلاء وازدراء وشره ولا إنسانية ولا أخلاقية.

وبلغ عدوانهم ذروته في حزيران 1967 بما احتلوه من بقية فلسطين، ومن أراض شاسعة أخرى من البلاد المجاورة لها، وما نهبوه من ثروات ودمروه من معالم مع بالغ القسوة في القمع والمطاردة. ومع بالغ الاستهزاء بميثاق هيئة الأمم وقراراتها والعالم العربي والإسلامي والدولي، ومع إعلان متواصل عن عزمهم بالاحتفاظ بما استولوا عليه استناداً إلى الدعم المتواصل الذي يلقونه من الدولتين الاستعماريتين الكبيرتين، ومن يدور في فلكهما.

ويهتفون مع ذلك بالدعوة إلى السلام، وهم في الحقيقة يريدون من العرب الاستسلام، لينقلب كل ما اغتصبوه قديماً وحديثاً من بلادهم وأملاكهم وثرواتهم حقاً شرعياً لهم، وكل ما سفكوه من دماء ودمروه من معالم وارتكبوه من جرائم وانتهكوه من مقدسات وحرمات وشردوه من سكان هدراً وهباء، ثم لتنفتح به أبواب بلاد العرب لدسائسهم واستغلالهم مع أسيادهم المستعمرين، حتى يستجموا ويقووا ويقلبوا هيمنتهم عليها إلى امتلاك واستعمار واستعباد.

ومع هتافهم بالسلم، وقولهم مؤخراً أنهم يقبلون قرار مجلس الأمن الصادر في 22 تشرين الثاني 1967 القاضي بانسحابهم من الأراضي المحتلة وعودة أهل فلسطين إلى وطنهم، وإعادة حقوقهم وممتلكاتهم المغصوبة إليهم، فإنهم من جهة يماطلون ويميعون الموقف ليصبح

(1) من ذلك مدن يافا واللد والرملة وسدود وعسقلان وبئر السبع وأم الرشراش المسماة بايلات والناصرة وعكا وشفا عمرو مع ما يلحقها من مئات القرى وملايين الدونمات. وهذا فضلاً عن القدس الجديدة وطريقها إلى البحر وهو ما لم يدخل في المخصص لليهود في قرار التقسيم.

احتلالهم للجديد من الأراضي أمراً واقعاً كما كان شأن ما احتلوه سابقاً، ومن جهة يستمرون بسبيل ذلك في التصرف بهذه الأراضي تصرف العازم على البقاء فيها وتغيير معالمها وتهويدها وتفريغها ممن بقي فيها من العرب واستصفاء أملاكهم وأموالهم بالحديد والنار والمطاردة والتعذيب والقمع والتدمير وإقامة المزيد من المستعمرات والمنشآت، سواء في أرض فلسطين الأصلية أم في أرض مصر وسورية والأردن. وجلب المزيد من اليهود والحصول على المزيد من السلاح حتى يضمنوا تحقيق ما صمموا عليه وخططوا له من كل ذلك، وعلى رفض عودة أي نازح عنها رغماً عن قرارات هيئة الأمم. هذا فضلاً عن تصميمهم السابق على عدم التخلي عن أي شبر احتلوه في سنة 1948 وبعدها من القسم المخصص للعرب في قرار التقسيم الجائر في أصله، وعن أي منزل ومصنع وحانوت وبستان ومزرعة ومال سلبوه وتصرفوا فيه، وعلى رفض عودة أي نازح قديم. بل وعلى تصفية الوجود العربي القديم بشراً وكياناً وأملاكاً، بحيث يكون ذلك الهتاف كذباً واستهزاء بالعالم واستهتاراً بكل القيم، ولا مبالاة بكل ما قررته هيئة الأمم من قرارات سواء في جمعيتها العامة أم في مجلس أمنها. وكل ذلك مستوحى من جذورهم ومستند إلى تعضيد الاستعمار المتحالف معهم وفي طليعته الولايات المتحدة الأميركية.

وليس هتافهم هذا جديداً، فمنذ وعد بلفور يهتفون بالسلام ثم يمضون في خططهم الاغتصابية والعدوانية بدون توقف وبمختلف الأساليب. فالسلام هو طلب الاستسلام لهم من المطلوب منهم ليكونوا عبيداً مستغلين لهم وحسب وفقاً للخطة الرهيبة التي سجلوها في أسفارهم. ومن لم يستسلم لهم على هذا الوجه يستحق منهم التدمير والإبسال أو (الإبادة). ولقد وصفهم الله بأنهم لا يتنازلون عن أي شيء مهما تفه إذا ما حازوه من غيرهم كما تضمنت تقريره آية سورة النساء هذه: ﴿أم لهم نصيب من الملك فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً﴾. ووصفهم بأنهم يستحلون كل ما للغير ويعتبرونه ملكاً لهم ويعتبرون أنفسهم غير مسؤولين عن كل ما يفعلونه به كما جاء في آية سورة آل عمران هذه : ﴿ومنهم من إن تأتمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل﴾. . وقد سجلوا في أسفارهم خطة لهم أن كل غيرهم عدوهم وأن لهم الحق في إبادته واستعباده والاستيلاء على كل شيء له.

ولقد قبلت مصر والأردن قرار مجلس الأمن الصادر في تشرين الثاني 1967 كحد أدنى لتسوية سياسية سلمية يضمن بها جلاء القوات اليهودية عن الأراضي التي احتلتها من سورية والأردن ومصر، وحل مسألة حقوق الشعب الفلسطيني حلاً عادلاً، سواء في عودته إلى وطنه أم في ارتفاع يد اليهود عن الأقسام المخصصة للعرب في قرار التقسيم[1]. وبرغم ما في قبول هذا القرار من غضاضة وما ينطوي فيه من اعتراف الدول بوجود الدولة اليهودية وقبول حدود آمنة لها فإن الدولة المجرمة لم تقبل هذا القرار قبولاً صريحاً مطلقاً وتظل تحاول تفسيره تفسيراً ملتوياً من جهة، وترفض من جهة أخرى بصراحة وإصرار أن تنسحب من القدس العربية والمرتفعات السورية وقطاع غزة وشرم الشيخ،

(1) واضح أننا غير مؤيدين لقبول قرار مجلس الأمن، وإنما أردنا الكلام من باب تقرير الواقع.

وأن يعود اللاجئون إلى مواطنهم، وأن يعود للعرب ما احتلوه عنوة مما هو مخصص لهم في قرار التقسيم الجائر. وكل ذلك يجعل إرغامهم بالقوة وتقويض دولتهم أمراً لا مناص منه ولا بديل له.

وقضية فلسطين قضية عربية عامة من حيث أن استمرار ونمو الدولة اليهودية المتحالفة مع الاستعمار من أشد العقبات في سبيل وحدة العرب وازدهارهم وتكاملهم. ومن أشد الأخطار المهددة للوجود العربي في كل بلد قريب أو بعيد. والخرائط التي ينشرونها لإسرائيل (من النيل إلى الفرات) والتي يترسمون تحقيقها بالتوسع والقفز كلما سنحت لهم الفرص من غفلة العرب وتقصيرهم ومساعدة الاستعمار تشمل جميع فلسطين والأردن وقسماً كبيراً من شمال وشرق مصر وجميع سورية تقريباً وقسماً كبيراً من غرب وجنوب العراق إلى أطراف السعودية والكويت ثم طريق الحجاز من الشام إلى يثرب وخيبر ووادي القرى وتيماء الخ. وكل هذا ما كان زعماؤهم وما يزالون يصرحون به خلال الخمسين سنة الفائتة أيضاً.

وهي قضية إسلامية من حيث إن فلسطين مسرى نبي الإسلام وأولى قبلتي المسلمين وفيها ثالث الحرمين الشريفين. ولقد بلغ استهتار اليهود بالمسلمين إلى إحراق المسجد الأقصى تمهيداً لهدمه وإقامة معبد سليمان على أنقاضه مما يترسمونه ويعلنونه منذ عشرات السنين.

وهذا فضلاً عن أنها قضية عالمية من حيث إذ إقرار قيام دولة في فلسطين يتألف سكانها من مختلف الأجناس والألوان واللغات، ويجلبون إليها جلباً ولا يجمع بينهم إلا اسم الدين، بحجة أنها كانت مركزاً للإسرائيليين اليهود لفترة ما في أزمنة سحيقة في القدم من شأنه أن يقلب خريطة العالم ويبدلها من آن لآخر استجابة للنزوات والشهوات والأساطير. ولقد أخذ الرأي العام العالمي ينتبه إلى ما في ذلك من شذوذ وسخف وخطر. ويقف في جانب القضية العربية والكافح العربي مؤيداً معاضداً، وسوف يتسع هذا وينمو من دون ريب.

وكل من العرب والمسلمين حكومات وشعوباً مدعوون إلى التكاتف والتضامن في سبيل تحرير الأرض المغتصبة ورد العدوان الباغي، وحشد جميع الطاقات لذلك بسبب كون قوى الاستعمار العظمى والصهيونية العالمية معاً يلقون ثقلهم في جانب العدوان الباغي، ويدعمونه بقوى جبارة. وقد أمر الله بذلك حيث يقول (قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) و (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص). وللعرب وللمسلمين كل على حدة ومجتمعين أيضاً من الطاقات العظيمة ما يضمن لهم النصر إذا تضامنوا، يعضدهم في ذلك الحق والمنطق والتاريخ والرأي العام العالمي غير الاستعماري.

ومن حسن الحظ أن كل هذا مما يدركه العرب والمسلمون، حكوماتهم وشعوبهم وبخاصة بعد عدوان حزيران 1967 الذي هزهم أشد هز ونبههم أشد تنبيه، وكشف عن مخططات اليهود الرهيبة ومن وراءهم، ونياتهم وخطرهم الأكيد ضد جميع العرب وبلادهم كشفاً تاماً لم يبق فيه خفاء.

ولقد كان أول رد فعلي قوي هو ثورة الشعب العربي وغضب الأمة الإسلامية في جميع الأقطار بعد حزيران 1967، والتصميم على الصمود ورفض الهزيمة، وكان ثاني رد فعل قومي ما تقرر في مؤتمر الملوك والرؤساء العرب الذي انعقد في الخرطوم في أواخر شهر آب

1967 في رفض واقع الهزيمة وعدم الصلح والمفاوضة والاعتراف بدولة اليهود، وعدم التفريط بشبر من الأراضي العربية وبشيء من حقوق الشعب العربي الفلسطيني.

ولقد كانت الثورة الفلسطينية العربية ضد الدولة اليهودية قد بدأت قبل حزيران، وكانت ضعيفة فاشتدت بعد الهزيمة حتى أصبحت ثورة عارمة اندمج فيها الشعب الفلسطيني جميعه بمختلف الصور بعد عشرين عاماً من الضياع والتمزق والشلل والبؤس. وقوي تفجرها حتى لفتت أنظار العالم وأحيت قضية فلسطين التي كادت تتلاشى، وبعثت في النفوس عظيم الأمل والاستبشار. وصار حق الشعب العربي الفلسطيني في استرداد وطنه وممارسة حقوقه الشرعية كاملة فيه عنصراً أساسياً على الصعيد العربي وعلى الصعيد الدولي معاً، وصار الشباب يتسابقون في سبيل ذلك إلى الموت كما يتسابق الناس إلى الأعراس. وصار الثوار يوجهون إلى العدو أشد الضربات ويثيرون فيه الرعب والاضطراب والدمار.

ولقد لقيت الثورة حقاً تأييداً ودعماً من الحكومات والشعوب العربية والصديقة، غير أن ذلك أقل بكثير من الحاجة. ومع أن الحكومات تقول أن الحركة الفلسطينية صارت عنصراً هاماً في الموقف العربي وصموده، وتعول على تصاعدها تعويلاً كبيراً، وقد رصدت لها مبالغ في ميزانيتها، فإن كثيراً منها لم توف بالتزاماتها، مع أن الحاجة تشتد يوماً بعد يوم سواء من أجل رفد العمل الثوري وتصعيده، أم من أجل رعاية أسر شهدائه الأبرار، أم من أجل مساعدة أهل الأراضي المحتلة على الصمود وتعويض ما دمر لهم من ألوف المنازل، وقتل منهم من مئات وسجن من آلاف. وكل هذا بالغ الأهمية، ويوجب مناشدة الحكومات والشعوب العربية والإسلامية الوفاء بالتزاماتها ومضاعفة رفدها حتى تصبح الثورة قادرة على الاضطلاع بمهمتها الجهادية، وحتى يمكن القيام بالواجب نحو أسر الشهداء الذين يضحون حياتهم في سبيل ذلك، وحتى يساعد أهل الأرض المحتلة على الصمود في ظل الشدائد الجسيمة التي يعيشون تحت كابوسها، وتعويض ما وقع عليهم من تدمير وقتل وسجن وما يعانونه من عوز وبطالة وحرمان.

ولقد كان في الثورة ثغرة مهمة، ونعني بها عدم اندماج قسم كبير من جيش التحرير الفلسطيني في العمل الثوري الميداني، برغم أنه قد أنشىء لذلك وأهل له أحسن تأهيل. ثم تعدد التنظيمات الفدائية واستقلال كل منها في التخطيط والتنفيذ والجباية عن بعضها، ووجود شيء من التنافس والتناقض بينها أو بالأحرى بين الذين يتولون القيادة فيها. وعدم قيام قيادة واحدة فعالة تتولى التخطيط والتنفيذ والتدريب والتجهيز والتمويل والإعلام والربط والضبط. وينضوي فيها جميع المنظمات الفدائية وكتائب جيش التحرير، ليتحقق بذلك الأمل المنشود والمطلب القومي العام الملح في وحدة الثورة وتصاعدها وغدوها حرب تحرير شاملة. وبها وحدها يضمن للثورة النمو والاستمرار وتحقيق الهدف الأساسي الذي هو تقويض الكيان الصهيوني، حيث أن ما قام من (قيادة الكفاح المسلح) و (القيادة الموحدة) لم تسد الثغرة ولم تبلغ المستوى المطلوب.

ولقد انعقد المجلس الوطني الفلسطيني في أواخر مارس وأوائل حزيران سنة 1970 لمعالجة كل هذه الثغرات وقرر بعض التوصيات، وأوكل تنفيذها إلى لجنته التنفيذية، ونرجو أن يتم تنفيذها بروح الجد والصدق

والتضحية ليتحقق بذلك الأمل المنشود إن شاء الله.

والأمر على كل حال يوجب بذل مضاعفة الجهود، ومناشدة كل مخلص غيور من قادة المنظمات والحركة الفلسطينية التنازل عن كل اعتبار ونبذ الخلافات والمماحكات والمنافسات والجدليات السابقة لأوانها والتي قد تجد النزوات والنزعات والدسائس والمطامع منفذاً فيها لعرقلة تصعيد العمل وتجميع الطاقات ليغدو العمل الثوري حرب تحرير شاملة يتحقق به الهدف الكبير وهو تقويض الكيان الصيهوني.

ولقد أفزع تفجر الثورة الفلسطينية اليهود وأنصارهم منذ بدئها، لأنهم عرفوا هدفها النهائي الذي لن تهدأ إلى أن يتحقق، وهو تقويض الكيان الصيهوني. وزاد في فزعهم تعاظمها وتصاعدها وفرضها نفسها على الصعيد العربي وعلى الصعيد الدولي معاً. فأخذوا يحيكون لها المؤامرات ويستخدمون عملاءهم في ذلك، مما كان من مظاهره تلك الأحداث الدموية والمناوآت العديدة المتنوعة في لبنان والأردن. وكان من أشدها وأفظعها ما وقع في الأردن في حزيران 1970 ويظهر أن اليهود وأنصارهم تحسبوا من عواقب قرارات المجلس الوطني بتوحيد العمل الثوري قيادة وتخطيطاً وتصعيداً، فحركوا عملاءهم للضربة الشديدة المجرمة التي كانت في الأردن في حزيران 1970، والتي بلغت من البشاعة والسعة والإجرام مبلغاً لا يكاد يصدق لولا وقوعه فعلاً. والتي أريد بها ضرب المقاومة والفلسطينيين وقضيتهم والجيش الأردني معاً ضربة قاصمة[1].

ولقد استطاعت الثورة أن تخرج من كل مؤامرة أقوى من قبل نتيجة لتصميم قواد الثورة على الوقوف في وجه المؤامرات والمتآمرين بصلابة وضراوة. ثم لمواقف الحكومات والهيئات المخلصة والجماهير العربية الاستنكارية لهذه المؤامرات وشجبها وتأييد الثورة وتوكيد وجوب تصعيدها وضمان الحماية والحرية والانطلاق لها. وكانت هذه المواقف تجاه مؤامرة الأردن الأخيرة أشد من ذي قبل، لتتناسب مع بشاعة وسعة الإجرام الذي كان فيها. على أن المؤامرات ضد الثورة سوف تستمر، ولسوف يستميت الاستعمار والصيهونية والمخابرات الأميركية والإنكليزية في سبيل ذلك، ويحركون عملاءهم والحاقدين والموتورين الذين لا يردعهم دين ولا شرف ولا نخوة عن تحطيم الثورة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا[2].

لأن الثورة صارت أخطر حركة على الانهزاميين والخائنين، وأشد عقبة في سبيل أي حل يريد الاستعمار والصهيونية فرضه وتحريره، وليضيع به حق العرب في فلسطين، وتبقى دولة الشر سرطاناً خبيثاً في جسم البلاد العربية جميعها، وهذا التوقع يجعل واجب قواد الثورة والمنظمات أشد بالتلاحم والتغلب على التناقضات، ويجعل واجب الحكومات والزعماء والهيئات العربية المخلصة أشد بتدعيم الثورة وحمايتها والدفاع عنها، ولا سيما أنها المجسد

---

(1) لم تكن مأساة أيلول 1970 ثم مأساة جرش وعجلون في سنة 1971 قد وقعت حين كتابة هذا الفصل.

(2) هذا البحث كتب في تموز 1970 وجاء مصداق ما قلناه وشيكاً حيث استمرت المؤامرات في الأردن ثم انفجرت أشد هولاً وفظاعة وإجراماً وآثاراً عما كان في حزيران اضعافاً مضاعفة على ما شرحناه سابقاً.

العملي للتمرد ضد الاستعمار والوجود الصهيوني الذي لا بديل عنه لتحقيق ذلك الهدف المقدس مهما طال الزمن وعظمت التضحيات، من حيث أن الحكومات العربية في الظروف الدولية الراهنة لا تستطيع أن تسهم في القضاء على دولة إسرائيل المعترف بها من معظم دول الأرض. وأن كل ما تستطيعه - وهو واجبها - حمل إسرائيل بالقوة أو السياسة على الجلاء عن أراضيها، ثم مساعدة الكفاح الفلسطيني الشعبي، ومن حيث أن الشعب الفلسطيني هو صاحب الحق الشرعي المعترف به في العودة إلى وطنه المغتصب وتقرير مصيره. ولن يتم هذا إلا باستمرار الثورة وتعاظمها.

وعلى الصعيد الحكومي الرسمي فإن حكومات دول المواجهة العربية تستعد استعداداً كبيراً، وتبذل جهوداً عظيمة للمعركة مادياً وسياسياً. وبعد أن حطمت هزيمة حزيران جيوش هذه الدول أشد تحطيم أمكن بذلك الجهد والاستعداد لإعادة بناء قوات مدربة مجهزة كبيرة، وإحباط انتصار العدو العسكري في حزيران 1967 والصمود له ومباراته والتحفز لأخذ زمام المبادرة منه، واستئناف المعركة معه لطرده عن الأرض المحتلة خاسراً مدحوراً، والتمهيد لتقويض كيانه عن فلسطين نهائياً.

غير أن حكومات أخرى لا تبذل كل جهدها، ولا تحشد جميع طاقاتها، مع أن للأمة العربية طاقات هائلة تكفي لكسب المعركة لو بذلت لها. بل هناك دول إسلامية توالي وتواد الدول الاستعمارية سراً أو علنا رغم كل المواقف اللئيمة المكشوفة التي تقفها في تعضيد العدو بالمال والسلاح والمجال الدولي أشد تعضيد، دون أي اهتمام بهذه الدول الموادة الموالية.

ولولا ذلك لما حاز العدو ما حاز ولما جرأ على الوقوف مستهتراً بالعرب والمسلمين والعالم وجميع القيم والمقررات والمواثيق.

وكل هذا مخالف لأوامر الله التي تعتبر موالاة الأعداء والمظاهرين لهم كفراً وارتداداً، وتأمر بإعداد كل قوة مستطاعة، وعدم الوقوع في التهلكة بالبخل وعدم الإنفاق والتبذير وعدم الإستعداد الشامل، وعدم التضامن صفاً واحداً كالبنيان المرصوص، وتنذر من يفعل ذلك بالإنذارات الرهيبة القاصمة، وموجب لمناشدتهم بتقوى الله في وطنهم ودينهم وتذكرهم بأن تقصيرهم مؤد إلى تسربلهم مع أمتهم وبلادهم بالذل والهوان، ولن يكون لهم من حكمهم وسلطانهم حام من ذلك، ولن تنفعهم أموالهم، وسوف تكون عليهم عاراً في الدنيا وناراً محرقة في الآخرة.

وهناك فئة من الذين يتسمون بالإسلام والعروبة منافقون وعملاء وانهزاميون يبثون الدسائس وروح الهزيمة، ويدعون إلى الرضوخ للواقع، ويغالون في التهديم والتجريح والتشكيك، وهم لا يخفون على الناس، ويجب على كل صادق في إسلامه وعروبته أن يقف منهم موقف الحذر بل موقف المؤدب المتكل، فهم من يصدق عليهم وصف القرآن ومحمل إنذاره الرهيب في هذه الآيات: ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً * ملعونين أين ما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً﴾ سورة الأحزاب.

على أن ما ذكرناه لا يعني أننا متشائمون، فقد تعرضت أمتنا وبلادنا لمثل ما تتعرض له اليوم وأكثر، ثم انتصرت وبقيت بلادنا لنا، وارتد البغاة مدحورين عنها، وأعداؤنا باغون

وعلى الباغي تدور الدوائر، ومهما يكن من عون يلقاه هذا العدو الباغي من طواغيت الاستعمار والصهيونية فلن يدوم إلى ما شاء الله، والله أكبر، وبلادنا وأمتنا محيطة بالعدو إحاطة السوار بالمعصم، مصممة أشد تصميم على الصمود وإزالة الكيان الصهيوني مهما طال الزمن وعظمت التضحيات، وهي تزداد انتباهاً ونمواً وقوة وشعوراً بالخطر والعار.

ولقد كان العدو وأعوانه يظنون أن العرب ينسون ثأرهم ونكبتهم، وسيرضخون للواقع وبخاصة أهل فلسطين حينما يموت جيل النكبة وينشأ جيل جديد لم يتحسس بها. فخاب ظنهم وصارت الأجيال الجديدة الفلسطينية بخاصة والعربية عامة أشد تعلقاً بقضيتهم وأشد تحسساً بالنكبة التي حلت بوطنهم. وأشد ظمأ لأخذ ثأرهم وغسل عارهم واسترداد سيادتهم على وطنهم، وهم الآن يتسابقون إلى الموت في سبيل ذلك كما يتسابق الناس إلى الأعراس، وحينما يطلب الإنسان الموت ويقدم عليه توهب له الحياة كما يقول المثل. وكل هذا أخذ بالإشتداد والإحتدام، ولسوف يكون ذلك ضاغطاً قوياً لتلافي التقصير وسد الثغرات وحشد الطاقات، والأمل كبير في نجاح ذلك في مستقبل قريب.

ولقد كانت اجتماعات الرؤساء وممثليهم في المؤتمرات الأخيرة مما قوى هذا الأمل، حيث قرروا فيها أن القتال هو الحل الوحيد لتحرير الأرض وضمان الحق العربي في فلسطين وأن الواجب المحتم جعل المعركة قومية يزول فيها كل اعتبار إقليمي أو شخصي، وحشد كل الطاقات لها وتلافي كل تقصير في ذلك. وحيث اتفقوا على خطة موحدة تشرف على تنفيذها أعلى المستويات الفنية في أقرب وقت. وكانت الجبهة الشرقية بنوع خاص هي المعنية في ذلك، مما نرجو أن نرى آثاره العظيمة في وقت قريب. وللحق أنصار في كل زمان ومكان، والرأي العام العالمي يزداد انتباهاً وعطفاً على عدالة قضية العرب، ويزداد بذلك موقف المعتدين وأنصارهم حرجاً وسوءاً.

وعدونا مصطنع في كل شيء، وتتوقف كل أسباب حياته على الغير والخارج. وهما مما سوف يسبب انهياره، وهو ليس مستحيلاً بل ليس بعيداً، بعد أن أخذ ينكشف للعالم موقفه وعدوانه الباغي في أصل حركته وسيرها. وهذا بالإضافة إلى الضربات العربية التي سوف تزداد شدة عليه.

ولقد كان صمود العرب وتصميمهم على الكفاح ضده حتى النهاية وبدون كلل، مما جعل كثيراً من اليهود أنفسهم يدركون مدى الهوة التي وقعوا فيها وبعدهم عن السلام والأمن اللذين ينشدونهما، وجعل اليأس يتسرب إلى نفوسهم، وسيزداد ذلك يوماً بعد يوم باتساع نطاق الكفاح وشدته والتصميم عليه، وانتباه العالم، ولسوف يؤثر كل ذلك على حياة الدولة المجرمة داخلاً وخارجاً، ويكون من أسباب شللها وانهيارها. ولنا في قول الله عز وجل الروح والقوة: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾. سورة الحشر. و﴿أنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً، وأورثكم

أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها وكان الله على كل شيء قديراً﴾. سورة الأحزاب.

والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

* * *

(73) رسالة من الكاتب في صدد مبادرة فتح قناة السويس تاريخ 12 ذو الحجة 1390 8 شباط 1971

السيد نائب رئيس الجمهورية ووزير الخارجية في الجمهورية العربية المتحدة بواسطة السيد سفير الجمهورية العربية المتحدة في دمشق.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فقد أثار خطاب السيد الرئيس السادات أمام مجلس الأمة في الرابع من شباط الإعجاب والانتباه والطمأنينة. ودل على بعد نظر ورغبة في اكتساب الرأي العام العالمي من جهة، وإتاحة فرصة أخرى أخيرة للحل السياسي المنشود من جهة أخرى. ولا سيما أنه قرر حقائق الموقف تقريراً صريحاً محكماً وحاسماً في قوله: (إن القضية هي تحرير كل الأراضي العربية ورد الحق للشعب الفلسطيني العربي، وإن علينا أن نثبت أن الأمر في النهاية منوط بقوتنا وحدها، وبقدر معرفتنا للعدو ونحن نعرفه أكثر من غيرنا فإننا مقتنعون بأنه لن يرتدع بغير القوة ولن يتراجع إلا تحت ضغطها).

غير أن ما احتواه من المبادرة الجديدة أي اقتراح الإنسحاب الجزئي للقوات الإسرائيلية بسبيل تطهير وتشغيل قناة السويس قد أثارت بعض الهواجس والملاحظات.

1 ـ لنفرض أن إسرائيل قبلت المبادرة والانسحاب 50 أو 100 كيلومتر من مواقعها الحالية. والمرجح أنها سوف تشترط أن يبقى ما تجلو قواتها عنه مجرداً من السلاح، وأن لا تعبر القوات العربية إلى شرق القناة، وأن يكون لها حق المرور في القناة بعد تطهيرها وتشغيلها.

2 ـ بل ولنفرض أنها وافقت على جدول زمني لإتمام الإنسحاب.

3 ـ وأن الجمهورية العربية المتحدة بناء على ذلك بادرت إلى تطهير القناة وتشغيلها.

4 ـ فماذا يكون الموقف إذا راوغت إسرائيل في إتمام الإنسحاب عن سيناء وقطاع غزة، فضلاً عن الضفة الغربية والقدس والمرتفعات السورية. وراوغت كذلك في رفع يدها عن الأقسام المخصصة للعرب في قرار التقسيم، وعن غير ما هو مخصص لها أي القدس. وفي الموافقة على عودة أهل فلسطين إلى وطنهم في هذه الأقسام والأقسام الأخرى، مما يدخل في الشعار العربي العام المؤكد من جديد (حق الشعب العربي الفلسطيني كاملاً).

5 ـ وألا تكون الجمهورية العربية قد صارت في مأزق، حيث تكون بين أمرين، إما أن تتساهل تجاه هذه المراوغة التي أعتقد أنها واقعة لا محالة، وتكتفي بمعالجتها بالطرق السياسية التي قد تطول وقد لا تجدي حماية للقناة بعد أن طهرتها وشغلتها، وحينئذ تكون إسرائيل قد حققت خطتها بالاحتفاظ بمعظم ما احتلته من أراض عربية جديدة، وبالإستمرار في تصرفاتها الرامية إلى تشديد قبضتها وترسيخ قدمها فيها وقلبها إلى حدود لها، وإبقاء الشعب العربي الفلسطيني محروماً من حقه ووطنه، وهو ما فعلته بعد سنة 1948 رغم توقيعها ميثاق لوزان في مارس 1949. وإما أن تستأنف الحرب ضدها لإرغامها على الإنسحاب من جميع ما

بقي في يدها من أراضٍ عربية جديدة مع الانسحاب، مما ليس لها من الأقسام الفلسطينية، والموافقة على عودة أهل فلسطين إلى وطنهم والإستمتاع بحياتهم الحرة الكريمة فيه ـ وأقول هذا من وجهة النظر السياسية الدولية مع تقريري القاطع ببقاء حق الشعب الفلسطيني في الكفاح ضد الوجود الإسرائيلي حتى يزول ـ وحينئذ تكون القناة معرضة للقصف والتعطيل والتخريب من جانب إسرائيل نتيجة لنشوب الحرب مجدداً، ويكون ما بذل من جهد في التطهير والتشغيل قد ذهب هباء.

إني لم يفتني أن تكون الجمهورية العربية قد غفلت عن هذه الملاحظات والهواجس. وقد بدا منها كفاءة عالية نعتز بها في التفكير والنصح السياسي، ولكن إخلاصي وإشفاقي جعلاني أبادر إلى رفعها لأريح ضميري.

والله المسؤول أن يحقق آمالنا بالنصر المبين ورد كيد أعدائنا ومكرهم إلى نحورهم واستعادة الحق والكرامة العربية، وأن يؤيد قادتنا المخلصين في ما يترسمونه بسبيل ذلك. والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

***

تعقيب:

كتب في 25 نيسان 1972:

نسجل هذا التعقيب بعد أربعة عشر شهراً من كتابة رسالتنا إلى وزير الخارجية المصرية، فنقول إن الأوساط الدولية التي تضررت كثيراً من تعطيل قناة السويس رحبت حقاً بمبادرة الرئيس السادات. وبقيت الولايات المتحدة متحفظة فترة ما ثم رأت أن هذا التحفظ قد يسيء إلى موقفها. فأظهرت استعدادها لبحث هذه المبادرة والاستجابة إليها. وجارتها إسرائيل مشترطة أن لا يكون ارتباط بين تحقيق هذه المبادرة وبين الحل الشامل وقرار مجلس الأمن رقم 242، ولم تعترض الولايات المتحدة على هذا الشرط، مما جعل الرئيس السادات يدرك أن في مواقف الولايات المتحدة وربيبتها ريباً ومكراً. فحدد مجال مبادرته بأنها يجب أن تكون خطوة مرحلية لتسوية شاملة على أساس قرار مجلس الأمن القاضي بالإنسحاب اليهودي الكامل من جميع الأرض المحتلة بعد حرب حزيران، وحل قضية الشعب الفلسطيني وحقوقه، وأن تكون هذه الخطوة مترافقة مع حق القوات المصرية باجتياز الضفة الشرقية لقناة السويس والمرابطة في الساحة التي تنسحب منها القوات اليهودية في المرحلة الأولى، وأن تكون مدة هذه المرحلة ستة أشهر يتم خلالها تطهير قناة السويس من جهة وانسحاب القوات اليهودية من جميع الأراضي التي احتلتها من جهة أخرى بمساعي الوسيط الدولي. وأن يكون لمصر حق التحرك الحربي لإرغام هذه القوات على الإنسحاب إذا لم يكن قد تم في نهاية الأشهر الستة أو لم تحدد مراحل إتمامه بصراحة وحسم.

ولقد سارعت إسرائيل إلى إعلان رفضها القاطع لاجتياز القوات المصرية لقناة السويس، وتكرار شرطها بأن انسحابها الجزئي من شرق القناة مسافة ما لإتاحة الفرصة للفنيين المصريين لتطهير القناة منوط بأن لا يكون ذلك مرتبطاً بتنفيذ قرار مجلس الأمن أو معبراً عن موافقتها عليه وعلى الإنسحاب التام مع استمرار وقف النار بدون أجل محدد وبعبور سفنها القناة حين يتم تشغيلها. ورفضت مصر ذلك، ولكنها ظلت تعلن قيام مبادرتها وتستقطب بذلك ارتياح وتشجيع الدول المتضررة، وتجعل إسرائيل هي المسؤولة عن عرقلة ذلك. مما جعل اليهود

يظنون أن مصر قد أيقنت بعجزها عن الحرب والإنتصار، ويئست من حل شامل عاجل سياسياً، فرأت أن لا تظل محرومة من عائدات قناة السويس، وكون ذلك هو أكثر ما يهمها، فصارت تسوق كلامها في هذا النطاق وتحدد المسافات التي يمكن أن تنسحب عنها بعشرة كيلو مترات وتشترط مع ذلك بقاء تحصيناتها على حافة القناة وحقها في صيانتها ومراقبة الضفة الغربية وتحركات مصر حولها، وتحدد نوع الفنيين الذين يطهرون القناة وعددهم وتصر على عدم اجتياز أي قوات مسلحة للقناة تحت أي اسم الخ.

ومع الموقفين المتعارضين المصري واليهودي اندمجت الولايات المتحدة في القضية والوساطة أخذاً ورداً وزيارات وتصريحات وشروطاً متبادلة، حتى لقد تحولت القضية الكبرى إلى هذه القضية الجزئية، وأصبحت في وقت ما كل شيء. وبدا اليهود وكأنهم يريدون أن تكون صفقة فتح قناة السويس بديلة نهائية عن القضية برمتها يتكرس بها استمرار وقف النار واستمرار احتلالهم لكل ما في أيديهم وتصرفهم فيه، وترك القضية لمفاوضات تستمر عشرات السنين يكون فيها كل شيء قد انتهى. مع هيمنتهم على القناة والانتفاع بها أسوة بسائر الدول. وبدت الولايات المتحدة وهي تنشط وتراوغ غير بعيدة عن التصور اليهودي بل ومؤيدة له[1]. مما جعل الرئيس السادات يعلن أنه لم يعد يثق بالولايات المتحدة، وأنه قطع كل اتصال معها في هذا الأمر كما في غيره. والأمر الآن على هذه الحالة مع كلام يلقى من الولايات المتحدة بين حين وحين باستعدادها للوساطة في إنجاز الحل الجزئي إذا ما رغبت مصر وإسرائيل في هذه الوساطة. ومع كلام من إسرائيل في رغبتها على شروطها، وكلام من مصر بأن مبادرتها قائمة على شروطها.

ومهما يكن من أمر فإن هذه المبادرة وما جرى حولها من نشاط وكلام ومراوغات مما ميع القضية الكبرى وساعد على تجميدها على النحو الذي شرحناه في تعقيبنا الأخير على الرقم (70).

***

(74) رسالة من الكاتب إلى رئيس المجلس الوطني الفلسطيني

في تاريخ 19 شباط 1971 في مناسبة انعقاد المجلس في القاهرة تتضمن بعض الأفكار والمقترحات

السيد الأستاذ يحيى حمودة رئيس المجلس الوطني الفلسطيني.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فقد رأيت بمناسبة قرب انعقاد المجلس أن أرسل إليه بواسطتكم هذه المذكرة آملاً أن يكون فيها الفائدة والتذكير:

1 ـ إنه لمما يثير الدهشة وشديد المرارة أن فصائل المقاومة بعد كل الضربات التي وجهت اليها وكل المؤامرات التي تحاك ضدها وتستهدف تصفية وجودها والحركة الفلسطينية عامة فضلاً عن شلها، ما تزال تعيش فيما بينها عيش التناظر والتنافس والتباين الذي يمنعها من

---

(1) من آخر ما أعلنه الرئيس السادات في نيسان 1972 من دلائل ذلك أنها تراجعت عن كل موقف لها وأبلغت مصر استعدادها للوساطة بينها وبين اليهود لعقد اتفاق على فتح قناة السويس بدون أن يكون ذلك مرتبطاً بالحل الشامل وبطريقة مفاوضات مباشرة. وهذا هو ما كان اليهود يطلبونه ويصرون عليه.

الالتحام التام، وتركيز كل جهدها وطاقتها على الصمود للدفاع عن وجودها من جهة، وضمان الاستمرار في طريق تحقيق غايتها من تحرير الوطن المغتصب من جهة أخرى، على غير طائل وجدوى. ولقد آن لكل ذلك أن يزول إزاء ما يتعرض له وجودها وغايتها من أخطار وشلل، وأن لا يكون لها إلا هدف واحد وهو الدفاع عن وجودها وتركيز كل جهدها وطاقتها في الكفاح التحريري بكل التحام وانسجام، وأن تؤجل ما عدا ذلك إلى ما بعد التحرير، وأن تندمج في وحدة تامة تتمثل في قيادة واحدة نافذة شاملة لكل شؤون التخطيط والتجنيد والتدريب والتجهيز والتمويل والإعلام والضبط والربط، لا على أساس جبهوي كما تضمنه قرار اللجنة المركزية المتخذ في دورتها (8 ـ 12 ـ 70)، لأن هذا الأساس سيظل على أي حال يثير التباين والتنافس والتناظر والحساسيات مهما وضع له قيود والتزامات بالقيادة الجماعية واحترام الأقلية لرأي الأغلبية والتزامها به.

وعلى المجلس الوطني في دورته هذه أن يتحمل المسؤولية وأن يضع صيغة جديدة معدلة قوية تضمن كل ذلك.

إن مطلب وحدة المقاومة وحدة تامة شاملة كان مطلباً قومياً ملحاً في كل وقت من كل جهة وصقع، وهو اليوم أشد إلحاحاً من كل وقت مضى. وأن الضمير العربي العام ليناشد قادة المقاومة بأن يتخلوا عن كل خلافاتهم وأنانياتهم وما يسمونه استراتيجياتهم وأيديولوجياتهم السابقة لأوانها كثيراً، والتي لا محل لها إزاء الخطر الذي يهدد وجودهم أصلاً، وأن يرتفعوا إلى مستوى مسؤوليتهم القومية الكفاحية في الاستجابة لهذه المناشدة، ويبرهنوا على فنائهم في هدفهم وغايتهم وإخلاصهم لهما، وأن لا يترك أحد منهم أي مجال لارتفاع أصبع التهمة نحوه بعرقلة تحقيق هذه الوحدة النافذة الشاملة التي تذوب فيها كل المباينات والأنانيات.

وإني أقترح أن تتضمن الصيغة الجديدة إنشاء محكمة ثورية تحاكم وتدين كل شذوذ على هذه الوحدة وقيادتها الجماعية، وتعاقب الشاذين بالنبذ والحرمان والقطيعة.

2 ـ مع توكيد تقرير عدم التزام الفلسطينيين بقرار مجلس الأمن الصادر في 22 تشرين الثاني 1967 بأي حل سياسي يمكن أن تصل إليه الدول العربية في نطاقه ورفضهم له وتصميمهم على الاستمرار في الكفاح ضد الوجود الصهيوني السياسي والعنصري إلى أن يتحرر جميع التراب الفلسطيني ويزول ذلك الوجود.

ومع الاعتقاد الغالب بأن ذلك الحل بعيد جداً أو مستحيل، وأن التحرير لا بد من أن يكون بمعركة شاملة، فإني لا أرى أن يقف المجلس الوطني موقفاً غير إيجابي، بل وأرى أنه ليس ما يمنعه من إعلان موقف إيجابي إزاء ذلك الحل إذا ما تحقق به جلاء القوات الإسرائيلية عن جميع الأراضي التي احتلتها في حرب حزيران 1967 انسحاباً تاماً، وضمان حقوق الشعب العربي الفلسطيني في أرضه ووطنه كما هو الشعار العربي الرسمي اليوم[1]. حتى ولو كان هذا الضمان في نطاق قرارات هيئة الأمم، ما دام الفلسطينيون غير ملتزمين به بحيث ترتفع:

أولاً: يد المعتدين عن مدن عكا والناصرة

(1) ننبه على ان هذا الكتاب كتب والمقاومة الفلسطينية ما زالت تنشط نشاطاً كبيراً من الساحة الأردنية واللبنانية والسورية وقطاع غزة وسيناء، وما تزال المحاورات تجري في صدد قوة احتمال تنفيذ قرار مجلس الأمن.

وشفا عمرو والقدس الجديدة ـ المسماة باليهودية ـ واللد والرملة ويافا وسدود ومجدل عسقلان وبئر السبع وما يتبعها من قرى وأرض ومرتفعات احتلتها القوات الإسرائيلية عنوة في حرب 1948.

ثانياً : وبحيث ينسحب كل اليهود الذين وطنوا فيها بغياً واغتصاباً.

ثالثاً : وبحيث يعوض كل ما لحق بأملاك وأموال النازحين عنها من خسائر وضرر ودمار واستهلاك.

رابعاً : وبحيث يعود كل من يرغب في العودة من النازحين الى الأقسام المخصصة لليهود إلى وطنهم ومنازلهم وأملاكهم، ويسحب اليهود الذين وطنوا فيها، ويعوض عن كل ما لحقها من خسائر ضرر ودمار واستهلاك.

خامساً : وبحيث يعوض على من لا يرغب منهم في العودة تعويضاً عادلاً.

وما جاء في النقاط الأولى والثانية والثالثة يحل نصف مشكلة النازحين حلاً كريماً تلقائياً، حيث يعودون إلى وطنهم في ظل سيادة عربية.

ولا شك في أن هذا إذا تم على الوجه المشروح ينتهي به الكابوس الثقيل الهائل الذي تعيش تحت وطأته البلاد والأمة العربية جميعها، والنزيف الشديد الذي ينزف منها ويعطل قواها من جهة، ويمنح الحركة الفلسطينية والمقاومة الفلسطينية قوة دفع عظيمة، سواء من ناحية ميدان الكفاح الذي سوف يتسع أم من ناحية التأييد العربي الذي سيقوى بعد تحرر الدول والشعوب العربية من ذلك الكابوس والنزيف[1].

3 ـ إن بحث مسألة الدولة الفلسطينية في هذه الظروف مؤد إلى البلبلة من جهة وهو غير ذي جدوى من جهة أخرى، ما دامت أرض فلسطين محتلة والمعركة قائمة ومتوقعة. فعلى المجلس واللجنة المركزية والمنظمات الفلسطينية عامة أن يستبعدوا هذا البحث ولا يشغلوا أنفسهم به، وأن يؤجلوه إلى ما بعد التحرير إن شاء الله.

والذي أعنيه هو مسألة إنشاء الدولة الفلسطينية في أجزاء محررة من فلسطين إذا تحررت بعض أجزائها بالحل السياسي أو المعركة الحربية، سواء أكانت مستقلة أم متحدة مع الضفة الشرقية بشكل ما. أما ما طرحته بعض المنظمات ولقي ارتياحاً دولياً عاماً من البديل السياسي المتمثل في قيام دولة فلسطينية شاملة لجميع فلسطين على أساس علماني زائل عنها الصفة العنصرية الصهيونية، ويتعايش فيها جميع الطوائف ديموقراطياً، فليس ما يمنع المجلس والمنظمات الفلسطينية من الوقوف منه موقفاً إيجابياً لأنه خطة سياسية حكيمة وسليمة للحاضر والمستقبل.

4 ـ إن العناية المستمرة بأسر الشهداء واجب مقدس بالغ الخطورة. ولقد كنت وما زلت أعتقد أن هذا الواجب يجب أن يناط بمؤسسة مستقلة غير سياسية يوفر لها إيرادات ثابتة كافية وغير متفرعة عن منظمة التحرير السياسية. لأن هذه

---

(1) نرى أن نستدرك أمراً لم نذكره، وهو أن من واجبنا أن نضع في أذهاننا أن إزالة الوجود الصهيوني السياسي المدعم بقوى هائلة من الإمبريالية العالمية بزعامة الولايات المتحدة الاميركية والصهيونية العالمية التي تحدق بجميع أقطار العالم كالأخطبوط الهائل تتوقف على جهود جبارة وسوف تستغرق مراحل طويلة. وهذا الحل إذا تم على الوجه المشروح سيكون مرحلة هامة من هذه المراحل يتمهد بها طريق النجاح إلى المراحل الآتية.

المنظمة قد تتعرض للطوارىء، وأي طارىء يطرأ عليها ويعطلها سيمتد أثره التعطيلي إلى مؤسساتها المتفرعة عنها، ويتعطل بذلك الواجب المقدس. وهذا ما يجعلني أعترض على ما جنحت إليه المنظمة بإنشاء مؤسسة تابعة لها سياسياً للقيام بهذا الواجب. وأعتقد أن من الضروري إعادة النظر في الأمر وإيكال الواجب لمؤسسة مستقلة، واعتراضي منصب على أمر توزيع المرتبات على أسر الشهداء والعناية بأيتامهم في منشآت تعليمية وصناعية. لأن هذا يجب أن يضمن له الدوام. وإناطته بمؤسسة مستقلة غير سياسية يضمن ذلك. وليس ما يمنع منظمة التحرير أن يكون في نطاقها دائرة تهتم لهذه النواحي وتشرف عليها وتضمن لها الاستمرار والموارد ما دامت قائمة فعالة. ولقد كنت اقترحت أن تكون هذه المؤسسة هي (جمعية رعاية أسر شهداء ومجاهدي فلسطين) التي أنشئت منذ بضع سنين في دمشق لهذه الغاية، والتي تتولى توزيع المرتبات والمساعدات على أسر الشهداء بانتظام، وما زلت أرى هذا الاقتراح صالحاً للاعتماد.

وأسأل الله أن يسدد خطى المجلس في دورته الحالية ودوراته المقبلة، وأن يسدد خطى المخلصين من قادة الحركة السياسية والكفاحية، وأن يقرب يوم النصر الأكبر. ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز. والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

***

(75) رسالة من الكاتب إلى وزير خارجية مصر:

في 20 شباط 1971 في صدد ما يجري من محاورات في نطاق قرار مجلس الأمن. وقد أرسلت نسخة منها إلى وزير خارجية الأردن:

السيد الوزير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد، فإني أستميحكم بعرض ما عن لي من أفكار في صدد ما يجري حول تنفيذ قرار مجلس الأمن الصادر في تشرين الثاني 1967، مع اعتقادي القومي الذي يشاركني فيه معظم الناس أن إسرائيل لن تلتزم به ولن تتزحزح عن مقاصدها التوسعية إلا بالإرغام.

1 ـ المعروف أن الجمهورية العربية المتحدة تطلب بإصرار أن يتم الانسحاب الكامل للقوات الإسرائيلية عن جميع الأراضي التي احتلتها في حرب الخامس من حزيران 1967، وحل مشكلة اللاجئين حلاً عادلاً، وأن تتعهد إسرائيل بالتخلي عن ضم أراضٍ بالقوة أو الطمع في أراضٍ عربية، وهو ما نص عليه قرار مجلس الأمن.

2 ـ ومشكلة اللاجئين نجمت من طريقين، الأولى نزوح فريق منهم من الأقسام المخصصة للدولة اليهودية في قرار التقسيم الجائر الصادر من الجمعية العامة لهيئة الأمم في 29 تشرين الثاني 1947 . والثانية نزوح فريق آخر من الأقسام المخصصة للدولة العربية في هذا القرار بعد أن احتلتها القوات الإسرائيلية أيضاً.

3 ـ وإذا كانت الدول العربية والدول الأخرى تطالب بانسحاب القوات الإسرائيلية إلى حدود ما قبل الخامس من حزيران، فإن ذلك بسبب

كون ما احتلته هذه القوات من وراء هذه الحدود هو من أراضي دول عربية أخرى، مما يمنعه ميثاق هيئة الأمم، ومما أكد على منعه قرار مجلس الأمن.

4 ـ وهذه الحدود ليست حدود (إسرائيل)، وإنما هي حدود هدنة عسكرية نصت اتفاقياتها على عدم حق أي طرف بادعاء كسب وحق سياسي بسببها إلى أن تتم تسوية نهائية. أما حدود إسرائيل فهي حدود التقسيم المقرر في تشرين الثاني 1947. وما تجاوز هذه الحدود فإن القوات الإسرائيلية قد احتلته بالقوة من أراضي الدولة العربية الفلسطينية المقرر إنشاؤها في قرار التقسيم.

وإسرائيل تتجاهل ذلك، وتريد من الناس أن ينسوه حينما تقول إنها ليس لها حدود سياسية، وتطالب بحدود سياسية جديدة معترف بها، مع أن حدودها معروفة معينة.

5 ـ وإنه لمن الطبيعي أن يكون مما تطالب به الدول العربية وهيئة الأمم معاً في صدد حل مشكلة اللاجئين أن تجلو القوات الإسرائيلية عما احتلته بالقوة من الأقسام المخصصة في قرار التقسيم للدولة العربية الفلسطينية، وترجع إلى حدودها المعينة فيه أسوة بطلب انسحابها من الأراضي التي احتلتها في حرب الخامس من حزيران 1967، مع انسحاب كل من وطن فيها من اليهود مجدداً بعد سنة 1948، وإعادة كل ما استولت عليه من أموال العرب النازحين المنقولة، وتعويض كل ما دمرته وتصرفت به من ممتلكاتهم، لأن كل ما فعلته في هذه الأقسام هو عدوان مخالف لميثاق هيئة الأمم وقراراتها.

وإذا تم هذا فيكون فيه حل لنصف مشكلة اللاجئين حلاً كريماً، حيث يعود أهل هذه الأقسام إلى منازلهم وممتلكاتهم في ظل السيادة العربية.

وهذا مطلب بالغ الأهمية، ويجب الإصرار عليه، ولا يجوز السكوت على أية محاولة إسرائيلية في هذا الصدد فضلاً عن التسليم بها.

6 ـ أما النصف الثاني من المشكلة المذكورة فيحل بموجب قرار جمعية الأمم الذي يتأكد سنة بعد أخرى. ويقضي أولاً بالسماح لمن يرغب في العودة من النازحين عن الأقسام المخصصة للدولة اليهودية في قرار التقسيم بالعودة إلى البلاد التي نزحوا عنها. ويجب أن يترتب على هذا سحب من وطن في منازلهم من اليهود بعد سنة 1948 ورد ممتلكاتهم وأموالهم إليهم والتعويض عما استهلك منها أو دمر أو تصرف به. وثانياً بالتعويض العادل على من لا يرغب في العودة.

7 ـ وحينما يتم جلاء القوات الإسرائيلية عن الأقسام الفلسطينية التي احتلت في حرب حزيران 1967، ثم عن الأقسام المخصصة للدولة العربية في قرار التقسيم، وكلا الأمرين متمم للآخر، يستفتي أهل فلسطين العرب في مصيرهم، فإما أن يقيموا دولة مستقلة في هذه الأقسام أو يتحدوا بشكل ما مع الأردن.

8 ـ ليس في قرار مجلس الأمن أي إشارة إلى مفاوضة مباشرة وعقد معاهدة صلح بين الدول العربية وإسرائيل. فمطالبة إسرائيل بذلك لا سند لها ولا محل. وليس هناك أي عرف أو ميثاق يفرض على دولة ما الاعتراف السياسي بدولة أخرى أو التعاقد والتعامل معها. وكل ما ينطوي في قرار مجلس الأمن تسجيل متبادل من دول المنطقة بإنهاء حالة الحرب في ما بينها، واحترام كل منها لسيادة واستقلال وأمن الأخرى، والتخلي عن استعمال القوة والسماح

بالمرور من الممرات المائية الدولية.

فإذا ما تم تنفيذ الإنسحاب الكامل عن الأراضي العربية المحتلة بعد الخامس من حزيران 1967، ثم عن الأقسام المخصصة للدولة العربية الفلسطينية في قرار التقسيم، وسحب من توطن فيها من يهود، وحل مشكلة اللاجئين بالشكل المشروح، يتم ذلك التسجيل وينتهي الأمر عنده.

9 ـ إن هذه التسوية هي بين الدول العربية وإسرائيل التي هي في حالة حرب مع بعضها، ولا يطلب من الفلسطينيين أن يلتزموا بها ميثاقاً وعهداً، ولا يصح أن تتعهد الدول العربية عنهم بذلك، ولهم الحق في الاحتفاظ بموقفهم من عدم الالتزام بها وتصميمهم على الكفاح ضد الوجود الصهيوني السياسي والعنصري، حتى يزول ويتحرر جميع التراب الفلسطيني الذي هو في أصله تراب عربي مغتصب لم يكن يملك اليهود منه حين قرار التقسيم الجائر الذي صدر، ممن لا يملك إصدارة شرعاً وحقاً وميثاقاً، إلا سبعة في المئة، وكثير من هذه النسبة الضئيلة التي كانوا يملكونها ملكوه بالحيلة والقهر السياسي.

ويجب على الدول العربية أن تظل موقنة بأن الخطر سيظل يهددها ما دام هذا الوجود قائماً، وأن من مصلحة الدول حاضراً ومستقبلاً تأييد الفلسطينيين في عدم التزامهم وتصميمهم المذكورين.

إني لا أزعم أن ما جاء في هذه المذكرة غائب عنكم من حيث الموضوع ومن حيث الموقف، ولكن هذا لم يمنعني من رفعها إليكم.

والله المسؤول أن يسدد خطى المخلصين من قادة الأمة العربية إلى ما فيه كرامتها وتحقيق أهدافها. والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

وقد أرسل الكاتب مذكرة في مآل هذه المذكرة إلى وزير خارجية المملكة الأردنية أيضاً.

* * *

(76) حول رسالة أرسلها الكاتب رداً على مقال في الأهرام

1971/3/24

نشر الأستاذ محمد سيد أحمد المحرر في جريدة الأهرام مقالاً في أهرام 1971/3/23 بعنوان (أضواء على المصير) في صدد قضية فلسطين وجد الكاتب فيه ثغرات في شرح موضوع حقوق شعب فلسطين ومنطلقاتها حتى من وجهة نظر هيئة الأمم وقراراتها التي يدور مقال الأستاذ عليها، فأرسل إليه رسالة شرح له هذه المنطلقات في نطاق الشرح الوارد في رسالته السابقة إلى وزير الخارجية.

* * *

(77) رسالة من الكاتب إلى رئيس المجلس الوطني الفلسطيني

في صدد توجيه الدعوة إلى سماحة رئيس الهيأة العربية العليا.

1971/3/10

السيد الأستاذ يحيى حمودة رئيس المجلس الوطني الفلسطيني

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد، فإن المتبادر أن فكرة تجديد وتوسيع المجلس

الوطني الفلسطيني التي أقرت في دورة المجلس الأخيرة، رمت فيما رمت إليه إلى استكمال الوحدة الوطنية الفلسطينية، بالإضافة إلى استكمال تمثيل الفئات الفلسطينية.

ولقد ظل سماحة الحاج أمين الحسيني والهيأة العربية التي يرأسها إلى الآن فيما أعلم غير مندمجين في الحركة الفلسطينية الجديدة بعد قيام كيانها ومنظمتها.

ولعل الظروف الآن تجعله يغير موقفه من هذه الحركة، وهو يمثل بدون ريب قطاعاً مهماً من الفلسطينيين، فضلاً عما له ولجماعته من جهاد مخلص في سبيل القضية الفلسطينية. ولذلك رأيت أن أقترح عليكم في سياق ما تقوم به اللجنة التنفيذية من خطوات في سبيل تجديد وتوسيع المجلس الوطني المقبل حسب ما كلفت به من قبل المجلس الاتصال بسماحته ومناشدته بتغيير موقفه والاندماج في الحركة الفلسطينية الجديدة ومنظمتها، والاتفاق معه على ترشيح عدد من جماعته لعضوية المجلس الجديد.

وإني آمل أن يلقى اقتراحي هذا ترحيباً منكم ومن زملائكم أعضاء اللجنة وأن تبادروا إلى تنفيذه. والله الموفق إلى ما فيه الخير والسداد ويؤيد المخلصين من قادة حركتنا بقوته ونصره، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

* * *

(78) رسالة للرئيس أنور السادات في صدد محاكمات التآمر على رئاسته. 3 تموز 1971

الرئيس الجليل المسلم العربي المجاهد أنور السادات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فهذا هتاف موجه إليكم من أعماق رجل مسلم عربي قضى أكثر من ستين عاماً من عمره يجاهد بلسانه وقلمه وماله وبدنه في سبيل الإسلام والعروبة.

إن ما أعلنتموه من وقائع التآمر الذي ارتكس فيه عدد كبير من رجالات مصر الذين كانوا في أعلى المستويات القيادية أمر بالغ الخطورة، ومثير لأشد الألم والمرارة. ولقد هز المسلمين والعرب في جميع أقطارهم الذين يعتبرون مصر عمودهم الفقري وقائدة نضالهم ومنارهم الأسنى، وأثار فيهم شديد الفزع، وزلزل أو كاد يزلزل الصورة المشرقة التي أمتلأت بهم نفوسهم عن عهد القائد الراحل العظيم، برغم القول أن المتآمرين حفنة وأن بنيان الأمة سليم، وأن فضحهم أمام الرأي العام ونيلهم ما يستحقون هو عملية جراحية لا بد منها لإنقاذ كرامة ذلك العهد وصورته المشرقة الذي اختاركم القائد الراحل لتسلم الأمانة فيه بعده، وأيد الشعب ذلك الاختيار الحكيم.

ومهما كانت سلامة ذلك القول، فإن مما لا شك فيه أن الاستمرار في نشر وقائع التآمر ثم اجراء محاكمات المتآمرين سيظل يهز أعماق المسلمين والعرب ويزلزل تلك الصورة المشرقة من جهة، وسيشغل الأفكار والأنظار في مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

حركة التحرير الوطني الفلسطيني
«فتح»

بيان

من اللجنة المركزية للجماهير العربية

لا يجوز لاية جهة عربية او اجنبية ان تلغي وجود الشعب الفلسطيني ان الشعب الفلسطيني سيواصل الكفاح حتى التحرير الشامل ولن يلتزم بوقف اطلاق النار الجماهير العربية مطالبة اليوم بالتحرك السريع والفعال لمنع التآمر الامبريالي والصهيوني ..

كان الهدف الاستعماري ـ الصهيوني من قيام دولة اسرائيل هو اقامة قاعدة بشرية استعمارية ثابتة ودائمة في قلب الوطن العربي تمنع منعا ماديا وحدة الامة العربية وتقدمها وتطورها وتضمن وتحمي المصالح الاستعمارية في الوطن العربي .

وفي مقابل هذا كان وما يزال هدف الجماهير الفلسطينية خصوصا والعربية عموما منذ الاحتلال البريطاني لفلسطين هو رد الغزوة الصهيونية الاستعمارية ، ومنع قيام الدولة اليهودية وتحرير فلسطين ، باعتبارها اقليما عربيا وجزءا لا يتجزأ من الوطن العربي ، ولهذا الغرض وقعت انتفاضات وثورات الشعب العربي الفلسطيني عبر عهد الانتداب ، وقدمت الجماهير الفلسطينية اغلى التضحيات المادية وعشرات الالاف من الشهداء ، الى ان دفع الاستعمار البريطاني الحكومات العربية الى اجهاض اكبر الثورات الفلسطينية قبل قيام دولة اسرائيل والى التقاء التآمر الاستعماري والصهيوني مع الحكومات العربية في سنة ١٩٤٨ في مهزلة الحرب الفلسطينية الاولى حيث دخلت الجيوش العربية لا لكي تمنع قيام الدولة الصهيونية في فلسطين ، وانما لتحمي قيامها بمنع الشعب الفلسطيني وكل الجماهير العربية من حمل السلاح للدفاع عن تراب الوطن .

ومنذ قيام دولة اسرائيل والامة العربية تبذل بسخاء على حساب غذائها وكسائها لبناء الجيوش العربية ، بهدف تحرير فلسطين ، غير ان انظمة الحكم العربية كانت وهي تتظاهر برفع شعارات التحرير ، تحول ايضا دون الشعب الفلسطيني وكل الجماهير العربية في المشاركة الحقيقية في المعركة ضد الصهيونية المرتبطة ارتباطا عضويا بالامبريالية العالمية وعلى راسها امريكا وبريطانيا والمانيا الغربية ، الى ان وقعت هزيمة الجيوش العربية في حرب الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ ، وليصبح واضحا وجليا ان مجابهة الغزو الصهيوني والامبريالي للوطن العربي المبتدىء في اغتصاب فلسطين يتطلب المشاركة الجماهيرية الواسعة في التصدي للعدوان القديم والجديد ودحره ، ومن هنا كان منطلق العمل الفدائي الفلسطيني والتفاف الجماهير الفلسطينية والعربية حوله من طريق تطويره الى حرب تحرير شعبية تشارك فيها كل الجماهير العربية .

غير ان معظم الاوضاع العربية الرسمية لم تستجب استجابة حقيقية وجادة لمطلب الجماهير العربية ، فالتقت الحكومات العربية بعد الهزيمة في الخرطوم حيث خرجت بمجموعة من القرارات تنطوي في مفهومها الاساسي على التنازل نهائيا عن هدف تحرير فلسطين ، تحت شعار ما يسمى باسلوب العمل السياسي ، لازالة آثار العدوان الصهيوني في سنة ١٩٦٧ ، متجاهلة ازالة آثار العدوان الصهيوني في سنة ١٩٤٨ محاولة الاختفاء خلف ستار تضليلي باسم ما وضعته من القررات لا مفاوضات مع اسرائيل ولا اعتراف بها ولا صلح معها ولا مساس بالقضيةالفلسطينية ليتم بعد ذلك الموافقة على قرار مجلس الامن الصادر في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٦٧ الذي يصفي القضية الفلسطينية وينطوي على الاعتراف باسرائيل ، وللانتقال الى المزيد من التنازلات بالموافقة على ما يسمى المبادرة الامريكية ، التي تضمنها خطاب روجرز وزير الخارجية الامريكي الى وزراء خارجية الجمهورية العربيةالمتحدة والمملكة الاردنية الهاشمية واسرائيل .

ان مشروع روجرز يتضمن ويفترض ما يلي :

اولا : تعيين ممثل لكل دولة للتفاوض تحت اشراف الدكتور يارينغ لتنفيذ قرار مجلس الامن الصادر بتاريخ ٢٢ تشرين ثاني سنة ١٩٦٧

ثانيا : الاعتراف باسرائيل .

ثالثا : الانسحاب الاسرائيلي من اراضي احتلت خلال حرب حزيران .

رابعا : اعادة وقف اطلاق النار لمدة ثلاثة اشهر على الاقل .

هذا على اساس ان توقع الاردن والجمهورية العربية المتحدة واسرائيل على الوثيقة التي يقدمها يارينغ الى يوثانت متضمنة تفاصيل القواعد السابقة قبل بدء المفاوضات .

ان المفاوضات مع اسرائيل لتنفيذ قرارمجلس الامن والاعتراف بها يعني فضلا من التراجع والالتزام العربي بعدم التفاوض مع اسرائيل ، التنازل نهائيا عن حق الشعب العربي الفلسطيني في وطنه فلسطين ، ويعني الانسحاب من اراضي احتلت خلال حرب حزيران الانسحاب الاسرائيلي غير الكامل ، اي عدم الانسحاب بشكل خاص من القدس والجولان واجزاء عربية اخرى ، واما اعادة وقف اطلاق النار فانه يعني حظر نشاط العمل الفدائي وتبعا لذلك الاصطدام مع حركة المقاومة الفلسطينية ويؤيد هذا الاستنتاج الموقف الاسرائيلي الامريكي والمشاريع التي سبق وقدمتها امريكا في السابق التي تحدد المفهوم الامريكي للسلام العالم والعادل في المنطقة .

ومن الواضح ان المشروع الامريكي هو في حقيقته حالة مؤامرة خبيثة جدا تهدف الى تمزيق وحدة الصف العربي والى تفتيت الجبهة الداخلية العربية كما تهدف الى ضرب وتصفية حركة المقاومة الفلسطينية خصوصا وحركة التحرر العربية عموما فالمشروع الامريكي اذ يحقق لاسرائيل مكاسب ضخمة ليس فقط قبل ان يحقق اي مكسب للعرب وانما الى المكاسب الاسرائيلية مقترنة مع الخسارة الفادحة للامةالعربية.

ان اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية الناطقة باسم الشعب العربي الفلسطيني والمعبرة عن اهداف نضاله تعلن عن رفض الشعب الفلسطيني لقرار مجلس الامن وكل صيغ واشكال تنفيذه ومنها مشروع روجرز وتؤكد انه لا يجوز لاي جهة عربية او اجنبية ان تلغي وجود الشعب الفلسطيني وتتنازل عن وطنه للصهيونية وللاستعمار وتكون عاملا في تصفيته وطنا وشعبا تصفية شاملة ونهائية .

ان الشعب الفلسطيني الذي حمل السلاح لتحرير وطنه والعودة اليه وممارسة حق تقرير مصيره فيه ، لن يلقي السلاح وسوف يواصل الكفاح المسلح حتى التحرير الشامل ولن يلتزم وقف اطلاق النار ، وان الجماهير العربية الملتفة حول حركة المقاومة الفلسطينية مدعوة لان تزيد من دعمها وتاييدها لحركة المقاومة الفلسطينية والمشاركة فيها لاحباط كافة المؤامرات الامبريالية والصهيونية وقوى الثورة المضادة ضد الوطن العربي والامة العربية وفي مقدمتها كافة مشاريع تصفية العمل الفدائي والقضية الفلسطينية .

ان الحركة الوطنية العربية موضوعة الان امام مسؤولياتها التاريخية لتثبت انها قادرة على قيادة الجماهير وقيادة مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي من خلال تحملها مسؤولياتها في هذه المرحلة الخطرة التي تواجه شعبيا .

ان الجماهير العربية التي قاتلت الاستعمار وحققت الكثير من الانتصارات العظيمة مطالبة اليوم بتثبيت هذا الاستقلال ورفض الخضوع للارادة الامبريالية والصهيونية والتحرك السريع الفعال من اجل منع التآمر الامبريالي والصهيوني الخطير ضد القضية الفلسطينية لقد آن للجماهير العربية ان تاخذ دورها الفعال في مواجهة معركة المصير وفرض ارادتها في الصمود والتحرير . وان المؤامرة الحالية انما هي مؤامرة على مصير هذه الجماهير وحقها في الحياة والحرية فلتتحد صفوف الجماهير العربية والفلسطينية لاحباط مؤامرة التصفية ولتعلن الجماهير ارادتها الحاسمة بكل وسيلة وبمنتهى القوة وان الثورة الفلسطينية تعاهد الجماهير العربية على ان تستمر في النضال حتى النصر والتحرير عاشت الثورة الفلسطينية .. عاشت حرب التحرير الشعبية ولتسقط كل الحلول التصفوية والاستسلامية .

اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية

بسم الله الرحمن الرحيم

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

بيـــان

حول وحدة العمل الوطني الفلسطيني

لقد اعقبت نكبة ١٩٤٨ فترة طويلة من الذهول نتجت عن فداحة الصدمة التي اصابت جماهير شعب فلسطين اثر هذه النكبة ، فاقعدته فترة ليست قصيرة في شبه غيبوبة كاملة .

وكان من غير الطبيعي ان يبقى شعب فلسطين غارقاً في هذه الغيبوبة الى الأبد ، فقام يرد على هذه النكبة ردوداً متعددة الأساليب ، كان ابرزها قيام تنظيمات متعددة ، استهدف في قيامها بتجارب الشعوب الاخرى ، الى ان بلغت هذه المنظمات من التعدد والكثرة ما كان يعتبر دليلا على رفضه أن يبقى صاحب وطن مغتصب.

الا ان هزيمة الخامس من حزيران اتت باوضاع جديدة ، وطرحت مجموعة من الحقائق الجغرافية والسياسية والعسكرية من أهم نتائجها :

١ ـ أن أرض فلسطين بكاملها ـ مع أجزاء عربية أخرى ـ أصبحت تحت الاحتلال الصهيوني ، وان النسبة العظمى من جماهير شعبنا تحت وطأة هذا الاحتلال ، مما يستدعي قلب وتغيير اساليب العمل الوطني الفلسطيني ، واستراتيجية هذا العمل بما يتلاءم مع متطلبات هذه الأوضاع الجديدة للأرض الفلسطينية ولشعب فلسطين .

٢ ـ أن الحرب التقليدية ـ وارتباطاتها السياسية لم تعد هي المطمح النهائي لجماهير شعب فلسطين ، بل لابد ان يسبقها ويرافقها أنواع وأساليب أخرى من العمل العسكري والكفاح الشعبي المسلح يعمل في صفوف العدو كافة اشكال التدمير .

٣ ـ أن اعتماد شعب فلسطين على نفسه وذاته أصبح ضرورة أكيدة أكثر من أي وقت مضى ـ وهو معذور في ذلك ـ بحيث يضع نفسه في طليعة المعركة ، وفي صميمها ، ويؤكد نفسه ودوره بأنه هو الأصل في كل هذا ، لا يسمح لاية جهة كانت ان تلغي دوره الطبيعي هذا سياسياً وعسكرياً .

ومن جهة أخرى يجب الا يجرنا هذا المنطق الى حد الغاء دور العمل العربي في قضية فلسطين والاستغناء عنه .

٤ ـ ان التعدد والتشتت للمنظمات والجبهات الفلسطينية الذي كان يعد في السابق دليلا على حيوية وصمود شعب فلسطين ، لايمكن ان نجد له اي مبرر من المبررات على ضوء الظروف الجديدة ، وان اية عوائق او صعوبات يجب أن تذلل بروحية مستمدة من جدية المعركة وخطورتها ، وشراسة العدو الذي نقاتل ، وأوضاع الأرض الفلسطينية والشعب الفلسطيني ، وطبيعة القتال الذي نخوضه .

ان توحيد أداة النضال الوطني الفلسطيني أصبحت هي الضرورة التي لابد منها لاي نضال وطني يريد ان يرتفع الى مستوى هذه المعركة ومجابهة هذا العدو ، وعلى ضوء تلك النتائج التي طرحتها المعركة الأخيرة .

لقد جرت في السابق عدة محاولات لتوحيد ادوات العمل الوطني الفلسطيني كان نصيبها الفشل ، ومن ابرز هذه المحاولات تجربة « اللجنة التحضيرية للعمل الفلسطيني الموحد » ومع ان هذه اللجنة ضمت عدداً كبيراً من المنظمات السياسية في ذلك الوقت ليس لها اسهام في ميدان الكفاح المسلح ، الا ان هذه اللجنة لم تعش طويلا لانها قامت على اسس سياسية نظرية فقط ، ولم يدخل الكفاح المسلح في صلب تجربتها . عدا عن ان هذه المنظمات السياسية لم تعد في هذه الظروف الجديدة هي التي تمثل شعب فلسطين ، لانها لاتمثل نضاله وكفاحه المسلح الذي يحفر طريقه على ارضنا المغتصبة من خلال تضحيات يومية يبذلها الشهداء والجرحى والأسرى والمقاتلون من أبناء شعبنا البطل ، ان اولئك الذين لايملكون من سلاح الا الكلام ليس من حقهم أن يدعو تمثيل شعبنا المقهور في الأرض المحتلة الذي يقاوم الاحتلال بالجوع والصبر والقتال والتضحيات .

ان أية دعوة من أجل الوحدة الوطنية تقتصر على تلك المنظمات السياسية لاسيما والكثير منها ليس له وجود على الاطلاق ، الا الاسم وبغير الاستناد الى قاعدة وحدة المقاتلين في الارض المحتلة . ان الدعوة لوحدة مثل هذا النوع من المنظمات لايمكن ان تعطي الكفاح الشعبي المسلح اية دفعة الى الامام ، بل ستكون عبئاً عليه وعلى مسيرته الطويلة .

ان تجربة التوحيد هذه ـ سواء سميت مؤتمراً او غير ذلك ـ ستاتي فارغة من اي مضمون نضالي او كفاحي ، وهي تمثل تراجعاً ـ مؤسفاً ومحزناً ـ الى الوراء عن شعار « اللقاء على ارض المعركة » الذي كان مرفوعاً من قبل ، تراجعاً ليس في صالح العمل الفلسطيني المسلح ، خاصة في مثل هذه الظروف الدقيقة .

ـ ان وحدة المقاتلين ـ تحت ضغط الظروف الجديدة ـ يجب أن تكون هي الأساس الذي تقوم عليه اية تجربة من تجارب العمل الوطني الفلسطيني ، بحيث تكون وحدة المقاتلين هي محور هذا التوحيد وعموده الفقري ، تلتف حوله المنظمات السياسية من أجل تامين الدعم الشعبي ، وتوسيع قاعدته ، وتوفير الحماية له .

ـ ان وحدة المقاتلين هي القاعدة التي يجب أن تبتني عليها أية دعوة للوحدة الوطنية ، حتى تقوم هذه الوحدة على قاعدة كفاحية صلبة تضمن لها الاستمرار والصمود امام كل العواصف والرياح العاتية .

ـ ان وحدة المقاتلين هي الضمانة الأولى والأخيرة ، من أجل استمرار الكفاح الشعبي المسلح ، وتصاعده ووصوله الى كل النتائج المرجوة من اية دعوة للوحدة الوطنية .

وعلى أساس هذا الفهم الواضح والعملي الذي يقول ان وحدة المقاتلين هي ضمانة الكفاح الشعبي المسلح وتصاعده تشكلت « **الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين** » من التنظيمات المقاتلة الثلاث :

١ ـ منظمة ابطال العودة، ٢ ـ جبهة التحرير الفلسطينية، ٣ ـ منظمة شباب الثار واعلنت بيانها السياسي في منتصف شهر كانون الاول عام ١٩٦٧ .

وعلى نفس هذا الأساس من الفهم لوحدة أداة الثورة **تدعو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين كل التنظيمات المقاتلة الى اقامة وحدة فيما بينها من اجل خدمة حقيقية وفعالة لقضية الكفاح المسلح الذي يشكل عنواناً كبيراً لقضية فلسطين بالذات .**

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

المكتب السياسي

والبلاد الإسلامية والعربية عن الموقف المصيري الذي تقف فيه الأمة العربية والذي يصبح، نتيجة لإصرار المعتدين المغتصبين على التوسع، وإنكار حقوق العرب في وطنهم وفرض أمرهم الواقع، كل طريق أمامه غير الحرب مسدوداً للخروج منه خروجاً شريفاً كريماً تتحرر به بلاد العرب وينخسىء به عدوان المعتدين الآثمين، وتسترد به حقوق العرب كاملة في فلسطين ويغسل عارهم.

ولقد تلقى المسلمون والعرب في كل بلد الشعار الذي رفعتموه ورفعه سلفكم العظيم قبلكم، وهو المعركة أولاً والمعركة ثانياً والمعركة أخيراً (وما رافق ذلك من إعلانكم العزم على أن يكون هذا العام هو العام الحاسم للموقف الذي لم يعد يتحمل انتظاراً أكثر، لأن أي انتظار أكثر يعني تكرار مأساة سنة 1949 واستمرار المعتدين في تحديهم وصلفهم، وإمعانهم في التدمير والتخريب والتغيير والتعذيب والتفريغ للأرض المغتصبة، وتخطيطهم لفرض اليأس والاستسلام والأمر الواقع وعدم مبالاتهم بكل القيم والحقوق والقرارات)، بكل استبشار كما تلقوا بمثل ذلك تطميناتكم المكررة بما وصلت إليه قوات مصر البرية والجوية والبحرية من قدرة واستعداد وإعداد، وبما يعتمل في نفوس هذه القوات من تحرق شديد للقتال وغسل العار واسترداد الكرامة والحقوق وتطهير الأرض وبذل جسيم التضحيات حتى يتم النصر، وباتوا يترقبون تجسيد ذلك في هذه الحقبة القصيرة الباقية من هذا العام أو البدء به فعلاً.

وكل هذا موجب في اعتقادي أشد الإيجاب أن لا ينشغل الناس في مصر وغير مصر إلا بالمعركة. في حين أن الاستمرار في نشر وقائع التآمر ثم الإنتقال إلى وقائع المحاكمات مما يشغل الناس بغير المعركة، ويذهب بما أثاره ذلك الشعار والعزم من آمال واستبشار ويؤدي بهم إلى الخيبة واليأس.

وهنا محل هتافي من أعماقي إلى أعماقكم، وهو وجوب الوقوف من ذلك عندما وصل إليه، وإعلان سبب الوقوف، وهو المعركة أولاً والمعركة ثانياً والمعركة أخيراً، والانصراف إلى تجسيد ذلك الشعار والعزم. ولا مانع من أن يبقى المتآمرون الثابت عليهم التهمة محتجزين في إقامات إجبارية أو في معتقل، أو اعتبار التوقف تأجيلاً إلى ما بعد انتهاء المعركة. وأرجو أن يكون لهتافي هذا الأثر الإيجابي السريع حتى يذهب عن المسلمين والعرب الروع وتهدأ نفوسهم، ويكون في ذلك بشرى بأنكم عند شعاركم وعزيمتكم، وما أعلنتموه من أن هذا العام هو عام الحسم، في الموقف المصيري الذي لم يعد يتحمل انتظاراً والذي انسدت طرق غير الحرب أمام الخروج منه خروجاً كريماً شريفاً، والذي يكون الانتظار والتمييع فيه تحقيقاً لمكائد المعتدين وحلفائهم وكارثة تفوق كارثة سنة 1949 أضعافاً مضاعفة.

حمى الله الكنانة ووقاها السوء وسدد الله خطاكم وصحبكم وقادة العرب والمسلمين المخلصين وأيدكم بنصره وعنايته.

والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

* * *

(79) مقال نشر في جريدة (فتح) التي تصدر في دمشق

العدد 316 وتاريخ 15 كانون الأول 1971 لتصحيح ما نشرته الجريدة في صدد ثورة فلسطين لسني 1936 ـ 1939[1].

قرأت في عدد فتح 311 و312 تشرين الثاني 1971 مقالين عن إضراب وثورة عام 1936 وثورة سني 1937 ـ 1939، والمقالان كما يبدو تلخيصاً لما جاء في الجزء الثالث من كتابي حول الحركة العربية الحديثة[2].

وفي الحديث قفزات وثغرات، وتخلله استنتاجات ثم تعليقات وتثريبات. وقد بدا لي أن هذه كتبت بعين الحاضر دون تصور صحيح للظروف والمواقف الواقعية، رغم أني حاولت في كتابي المذكور شرح هذه الظروف ونتائجها على وجهها الصحيح.

ومن ذلك قول الكاتب إن وقف الإضراب الطويل والحركات النارية الذي كان استجابة لنداء الملوك قد أدى إلى فشل وإجهاض الثورة، بحيث يفيد هذا أنه لو لم يتدخل الملوك ويستجاب لندائهم لاستمر الإضراب والثورة.

وهذا ما قاله ويقوله غيره من كتّاب اليوم الذين كتبوا ويكتبون عن أحداث ثورة فلسطين.

والذين كانوا أحياء في تلك الحقبة من أهل فلسطين، يعرفون أكثر من غيرهم وأكثر ممن ولد وعاش بعدها بطبيعة الحال ـ وأكثر الذين يكتبون عنها هم من هؤلاء ـ ما كان من آثار الإضراب الطويل من جهد ومشقة وإرهاق على مختلف فئات الشعب في المدن والقرى وعمال وزراع وكتبة وغيرهم، وأن وقف الإضراب بالصورة التي وقف بها كان المخرج الكريم للموقف المرهق الشديد، ولا سيما أن هذا الموقف وماتبعه من وقف الحركات النارية كان في نظر الثوار والشعب والواقع هدنة موقتة احتفظ فيها الثوار بأسلحتهم مع شعورهم القوي بموقف المنتصر المعتز القوي المتحفز لاستئناف القتال. وقد قبلت السلطات الإنكليزية هذا الاحتفاظ والشعور واقعياً، دون أن تحاول التحرش بأحد أو مصادرته وتجريده خلافاً لما يقوله الكاتب في مقاله 311.

ولقد ظهر مصداق ذلك حينما استؤنفت الحركات المسلحة في أواخر سنة 1937، حيث عاد الثوار إلى نشاطهم بما احتفظوا به من سلاح وعتاد وشعور.

ولقد كانت دواعي الإضراب المعتادة قائمة بعد قتل أندروز حاكم الناصرة، لأن السلطات حلت اللجنة العربية العليا واعتقلت من استطاعت من أعضائها ونفتهم إلى سيشل، وحلت اللجان القومية واعتقلت المئات من أعضائها وغيرهم. فلم يدع داع إلى الإضراب، ولم يعد الشعب عفوياً إليه لئلا يحمل عبئاً مرهقاً كما كان في الإضراب الطويل، واكتفى الثوار بالكفاح المسلح دونه حال ما أمكن التغلب على المصاعب الأولى التي وقفت أمامه بفعل عملاء الإنكليز حينما دعا داعي هذا الكفاح، وكان عدم الإضراب من أسباب استمرار هذا الكفاح

(1) نشر المقال أيضاً في مجلة فلسطين العدد 31 ـ 1 شباط 1972 مقدماً المقال بقوله (المؤلف والمؤرخ العربي المعروف الاستاذ محمد عزة دروزة من أبرز رجال الحركة الوطنية العربية وأشهر مؤرخي القضية الفلسطينية ومجاهديها، وقد كانت له مشاركة فعالة في تغذية ثوراتها المتعاقبة. وقد نشرت له مجلة فتح المقال التالي.

(2) طبع الكتاب طبعة جديدة بعنوان «الجزء الأول من القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها».

وتصعيده وبلوغه ذروته.

وقد حلا للكاتب وهو ما حلا لمن كتب عن أحداث الثورة الفلسطينية بعين الحاضر ممن لم يعيشوا في جو تلك الظروف والمواقف أن يذكروا (مساومة القيادة السياسية)، ويقولوا إن ذلك كان يجهض الكفاح والثورة.

والحق الذي يجب أن يقال بصراحة وجرأة إن الحركة الوطنية والكفاح المسلح في سبيلها في فلسطين لم يكن في إمكانها وظروفها وإمكانياتها المحدودة وظروف البلاد العربية التي كانت جميعها مشغولة بهمومها وتحت وطأة الإحتلال والإستعمار الشديد وتجاه مواجهة أعتى قوتين عالميتين إذ ذاك ـ أي الامبراطورية البريطانية العظمى والصهيونية العالمية ـ أن تأمل أكثر من أن تحمل السلطات الإنكليزية في مرحلة أولى على:

1 ـ وقف الهجرة اليهودية.

2 ـ وقف بيوع الأراضي لليهود.

3 ـ تشكيل وإقامة حكومة ذات شخصية وطنية وأكثرية عربية تصل في النهاية إلى الاستقلال.

ومصداق ذلك أن هذا كان شعار الشعب العفوي حينما أعلن إضرابه وما انبثق منه وبعده من حركات مسلحة. وغير هذا مما يقال بلسان اليوم لم يكن وارداً، وأن من التجوز والتعنت أن يقال لما كانت تسير عليه القيادة السياسية المخلصة في نطاق ذلك إنه مساومة وإجهاض للثورة، وليس من مجال لانتقاد ذلك والحالة هذه إذا ما قبلت هذه القيادة الاستجابة للنداء وأوقفت الإضراب انتظاراً للوعود التي ظنت أنها يمكن أن تحقق ذلك الشعار، ولا سيما أن ثورة البراق سنة 1929 كادت أن تحقق شيئاً كثيراً من ذلك الشعار لولا حملات الصهيونية وتراجع السلطات أمامها عن كتابها الأبيض الذي أعلنت عزمها فيه على وقف الهجرة وبيوع الأراضي وإقامة حكم وطني بناء على توصيات لجنة شو ولجنة سمبسون. وقد يقال أن القيادة كان يجب أن تعتبر بذلك. ولكن من الحق أن يقال أن الظرف مختلف من حيث قوة الثورة وتوسيط الإنكليز الملوك ووعدهم لهم بالجد هذه المرة، فرأت القيادة وقد أرهق الإضراب الشعب أن تجرب مرة أخرى.

وفي تعليقات الكاتب في مقاله الثاني العدد 312 تثريب صريح وضمني، لأن قادة الجهاد السياسيين أداروا حركة الجهاد المستأنفة في أواخر سنة 1937 وبعدها من خارج فلسطين، مع أنه في الحقيقة كان هذا هو العامل المهم لتصعيد حركة الكفاح ووصوله إلى ذروته في أواسط سنة 1938، والذين تولوا ذلك كانوا سيقعون في يد السلطات الإنكليزية ويعتقلون وينعون كما جرى لغيرهم لو كانوا في فلسطين، فكان وجود بعضهم في الخارج وتمكن بعضهم من الإفلات من فلسطين خيراً كثيراً ونفعاً مؤكداً للثورة وتصعيدها، وهم الذين بذلوا جهودهم في إرسال طلائعها من القواد الفعليين من الخارج لإشعالها من جديد وتجهيزهم وتمويلهم، ولو لم يكونوا في الخارج ويتمكنوا من ذلك لما كان إمكان قوي وناجح لذلك الإشعار والتصعيد.

ولقد حلا للكاتب ويحلو للكتّاب الذين كتبوا في هذه المواضيع من مواليد بعد الثورة ولم يعيشوا في جوها وظروفها ولم يجشموا أنفسهم بسؤال الذين عاشوا هذا الجو والظروف ومارسوها فعلاً، أن يحملوا على القادة السياسيين ويقولوا أنهم كانوا يجهضون الثورة بمآربهم وعمالاتهم ومساوماتهم وعجزهم عن اللحاق بالشعب الثائر.

وقد يكون في الذين كانوا بارزين في المجال السياسي من يصدق عليه هذا الوصف، ولكن في إطلاقة على الجميع تجنياً وغبناً وبعداً عن الحق والواقع وغمطاً للمخلصين، وخيالاً أكثر منه واقعاً. وأريد أن أؤكد للكتاب ولأبناء الجيل الحاضر أن هؤلاء المخلصين الذين صارت منهم الهيأة المركزية للجهاد هم الذين حركوا وشجعوا ومولوا وفجروا الحركات النارية في أثناء الإضراب الطويل. وهم الذين مولوا وحركوا فصائل الكفاح المسلح من أبناء فلسطين أثناء هذا الإضراب، وهم الذين استقدموا ومولوا حملتي فوزي القاوقجي من العراق والشيخ محمد الأشمر من الشام اللتين اشتركتا في الكفاح المسلح أثناء هذا الإضراب أيضاً وهم الذين أعدوا وهيأوا الوسائل لاستئناف الثورة في أواخر سنة 1937، وأرسلوا طلائع ثوارها بقيادة الشيخ عطية وأبي إبراهيم الكبير وأبي كمال وغيرهم، وكانوا على صلة وثقى بقيادات الثورة في مختلف مناطقها وفي مختلف شؤونها وظروفها، وإن حركة الكفاح المسلح مدينة لهم إلى درجة كبيرة بحيث يقال بحق وصدق أنهم لو لم يكونوا في مراكز القيادة السياسية والبروز والنشاط لما كان ما كان من قوة حركة الكفاح وتصعيدها ونتائجها ودويها. ولا أريد أن أقول أن الأمة كانت عقيمة، وأنه قد لا يتيسر غيرهم يقوم بدورهم، ولكن هذا ليس من شأنه أن يخل بما كان من واقع.

وقد تخلل تلخيص الكاتب في مقاله 312 تثريب في صدد تعدد قيادات الثورة ومناطقها واستقلالها. ولقد كان هذا من وحي الظروف القائمة التي انبثقت وتطورت منها الثورة، وقد حاولت اللجنة المركزية للجهاد ربط الجميع بها ونجحت إلى حد غير يسير.

ولقد كان لذلك التعداد مبرر أو محل ما أو معنى ما من حيث كانت كل قيادة تتولى حركة الكفاح في منطقتها. وهذا ما كان لا بد منه حتى ولو كانت جميعها من تنظيم واحد تابع لقيادة واحدة.

ومن عجيب ما جاء في المقال 312 تهوين الكاتب لحادث إلغاء التقسيم الذي اضطر إليه الإنكليز، مع أن هذا كان حتماً نتيجة الكفاح المسلح الذي بلغ ذروته في أواسط عام 1938، وكان نصراً باهراً لهذا الكفاح وتحقيقاً لأهم أهدافه، لأن التقسيم هو الذي أثار التوتر ثم فجر الثورة ثانية.

ومن المؤسف أن يكون هذا التهوين من الكاتب مع أنه يكتب مقالاته لإبراز روعة الكفاح العربي الفلسطيني.

ولقد وصف الكاتب هذا الإلغاء بأنه خدعة، وسخر من القول أن الكفاح حقق رغباته وغايته. ولنفرض أنه كان خدعة من الإنكليز، ولكن ذلك ليس من شأنه أن يقلل قيمة وخطورة كونه نتيجة باهرة للكفاح المسلح فضلاً عن الإستهتار به وتهوينه.

ومن ذلك عودته في مقاله 312 إلى نغمة مساومة القيادة السياسية بعد إعلان إلغاء التقسيم، وظروف مؤتمر لندن في أوائل عام 1939 الذي دعت إليه بريطانية لإيجاد حل آخر للقضية. ولا يذكر الكاتب مدى هذه المساومة التي يندد بها، مع أن الذي دار في المؤتمر قد دار حول تحقيق الشعار الذي أشرنا إليه والمستوحى من الظروف والواقع والإمكانات.

ولقد وافقت بريطانية على هذا الشعار الثلاثي، أي وقف الهجرة ووقف بيوع الأراضي وقيام حكم وطني بأكثرية عربية ينتهي إلى الاستقلال والتوقف عن الاستمرار بما زعمته من

التزام نحو اليهود عند الحد الذي وصلوا إليه، وتسجيلها أن في ذلك تحقيقاً كافياً لهذا الإلتزام، وكان هذا أيضاً تحقيقاً لأهداف الثورة من دون ريب، ولا يغير ذلك عدم اعتراف الكاتب ومن يضرب على وتيرته به، أو تهوينهم له.

ولقد حاول الإنكليز أن يبقوا بعض الثغرات في مراحل تنفيذ الشعار الثلاثي، فرفض ذلك ممثلو فلسطين والحكومات العربية، ولكن الإنكليز لم يتراجعوا هذه المرة عن الالتزام بالشعار رغم رفض اليهود وهياجهم، حيث أصدروا الكتاب الأبيض لسنة 1939، معلنين فيه أنهم سينفذون كل ما جاء فيه سواء تعاون العرب واليهود معهم أم لم يتعاونوا. وكان ذلك من آثار الكفاح المسلح الذي كان للقادة السياسيين المخلصين، وما كان لهم من دور كبير فعال في تصعيده، وهذه الوقائع تجعل ذلك الوصف لموقف القيادة تجنياً وغمطاً.

ولقد سارع قواد الثورة في البلاد إلى تأييد موقف القيادة السياسية الرافض، وأعلنوا عزمهم على الاستمرار في الكفاح إلى أن يتحقق الشعار تحقيقاً صحيحاً وبدون ثغرات. ثم استمروا فعلاً في حركاتهم الكفاحية، وكان ذلك بإيعاز من اللجنة المركزية للجهاد التي كانت منبثقة من تلك القيادة.

وكل هذا مما أغفله الكاتب في مقاله إمعاناً في التثريب والتهوين والوصف المتجني، ولقد كان من الممكن أن تظل الثورة مستمرة إلى أن يتحقق الشعار بدون ثغرات لو لم يتجهم الموقف الدولي في أوروبا وتستجيب فرنسة لبريطانية، وتتضامن الاثنتان في عرقلة إمداد الثورة الذي كان أركان هذه اللجنة يواصلونه من الخارج، وفي مطاردة واعتقال بعض هؤلاء الأركان ومساعديهم وفي تضييق الخناق على التحرك بين سورية وفلسطين، ثم لو لم تنفجر الحرب العالمية الثانية ويصل التضامن الاستعماري إلى ذروته في سورية ولبنان وفلسطين، ويؤثر التأثير الشديد السلبي في حركة الكفاح المسلح، مما لا يجوز أن تحمل الثورة وقادتها الفعليون والسياسيون المخلصون مسؤوليته. ومما ليس من شأنه أن ينقص من قيمة آثار الثورة أو يسمح لأحد أن يقول أنها أجهضت بسبب القيادة السياسية ومساوماتها.

ولقد شرحت كل ذلك في كتابي المذكور، وشرحته في رسالة خاصة نشرت سنة 1958 بعنوان (جهاد الفلسطينيين)، وشرحته في مقال نشر في مجلة المعرفة (كانون الثاني 1968) رداً على كتاب أصدره ناجي علوش فيه مثل ما تخلل المقالين من تعليقات واستنتاجات.

وأؤكد أن شرحي قد كان من وحي الوقائع والظروف والحقائق. ولم يكن متأثراً بكوني أحد أركان اللجنة المركزية للجهاد ومرجع ومدير حركة الثورة في سورية ومدها وتصعيدها مع مساعدين مخلصين. ولم يكن حين كتبت كتابي الأول لأول مرة وأنا في المنفى في تركية سنة 1943، وجميع الصور مالثة نفسي وماثلة في ذهني بكل تفاصيلها، أحد يتصدى لتثريب ونقد حتى يكون ذلك جواباً ودفاعاً. بل كان النقد والتثريب يوجهان للقيادة السياسية، لأنها رفضت الكتاب الأبيض على ما ذكرته في كتابي، وكان ذلك أيضاً خطأ ومن وحي الظروف التي كانت بعد إعلان الحرب.

ومن دواعي العجب والتأمل أن كثيراً مما يوجه الكتاب الحديثون إليه النقد والتثريب والغمز من مواقف وأحداث ذلك الكفاح وقياداته الميدانية والسياسية يقع اليوم أثناء الكفاح

الراهن، بل وأكثر منه من قادة الكفاح السياسيين والميدانيين، وأن هؤلاء الكتّاب يحاولون أن يجدوا لما يقع اليوم المبررات والعلل من الظروف والملابسات، ثم لا يلحظون مثل ذلك حينما يتصدون لأحداث الكفاح السابق والتعليق عليها مع ما هناك من فروق عظيمة بين الماضي والحاضر في الظروف والإمكانيات والوعي، وخلاص جميع البلاد العربية من وطأة الاحتلال والاستعمار التي كانت تكبلها وتحول بينها وبين مد الكفاح السابق، ثم من سعة ثقافة الثوار السياسيين والميدانيين، مما يجعل واجب التبرير ومحله بالنسبة للسابق أقوى وأشد منه بالنسبة للحاضر..

ونسأل الله تحقيق ما نصبو إليه من النصر والكرامة. ولينصرن الله من ينصره، إن الله قوي عزيز، والله أكبر ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

***

(80) رسالة من الكاتب في معالجة الوحدة الوطنية الفلسطينية 1972/2/7

الأخ المجاهد السيد خليل الوزير[1]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فقد كنتم في زيسارتكم الأخيرة لي وفي سياق استعراض الحركة الفلسطينية وعثراتها ومقتضياتها الملحة التي في رأسها توطيد الوحدة بين العاملين في ميدانها من الفلسطينيين، طلبتم مني أن أقترح منهجاً يؤدي إلى ذلك.

ولقد كان هذا الموضوع الشغل الشاغل للمخلصين من أبناء قضية فلسطين من ناحيتيها السياسية والعسكرية الفدائية خلال السنوات الثمان التي انبعثت في أولها الحركة الفلسطينية بعد سياسة استمرت سبع عشرة سنة، وشاركهم في ذلك إخوانهم في الأقطار العربية الأخرى على مختلف المستويات، وجرت مساعٍ ومحاولات عديدة، ووضعت مقترحات وقررت قرارات في مختلف المناسبات. وشاركت أنا في ذلك بما نشرت من أبحاث وأرسلت من رسائل دون أن يتحقق ذلك الهدف الخطير الهام بسبب ما هناك من عقد وتيارات وعوامل واعتبارات.

فالفلسطينيون قد منوا بفراغ وضياع وتشرد وتشتت وحيرة طيلة السنين السبع عشرة التي سبقت انبعاث حركتكم الجديدة. واندمج كثير منهم في ما في البلاد العربية من تنظيمات سياسية واجتماعية. وصار لكثير من أصحاب النشاط منهم الذين يمكن أن يكونوا قياديين في الحركة الفلسطينية انتماءات وولاءات متنوعة. ومنهم من أنشأ تنظيمات خاصة استقطبت انتماءهم وولاءهم. ولما انبعثت الحركة الفلسطينية مجدداً سنة 1964 وانعقد أول مؤتمر فلسطيني في القدس، وقامت منظمة التحرير، كانت كل هذه المظاهر قائمة، فأخذت تؤثر بتناقضاتها في سير الحركة وتعرقل وحدتها.

ولقد اشتد كل ذلك بعد نزول عاصفة (فتح) إلى ميدان العمل الفدائي في أول عام 1965، ثم بخاصة بعد نكبة حزيران 1967، واشتداد الرغبة والضرورة لتوسيع العمل في هذا الميدان.

ولقد مدت في خلال ذلك بعض الحكومات العربية أصابعها اندفاعاً بما بينها وبين بعض آخر من تناقضات ومنافسات إلى الحركة السياسية

---

(1) من أهم أركان تنظيم «فتح» السياسي والفدائي، ويعرف بأبي جهاد.

والفدائية، فصار لها دور في العرقلة، بما أنشأته من تنظيمات منتمية لها، وبما أمدته لتنظيمات قائمة من عون جعلها تنتمي إليها وتلتزم بإيحائها.

ولقد تحرك بعض الطامحين والنبهاء من أصحاب النشاط الوافر والقابليات في هذا الميدان الذي صار يعود على بعض الجائلين فيه وجاهات وبروزاً رغبة في أن يكون لهم نصيب في ذلك، وضخم بعضهم أخطاء بعض المنظمات، وافتعل بعضهم خلافات لتبرير إقامة تنظيمات بقيادتهم، فكان لذلك دور كذلك في عرقلة الوحدة.

وواضح من هذا الإيجاز ما يقف في سبيل الوحدة المنشودة من عقبات كثيرة كأداء على الصعيدين السياسي والفدائي، حيث يعرقل كل هذا مساعي الوحدة ويربكها ويجعلها تمنى بالإخفاق بالرغم مما اتخذ من أجلها من قرارات وتظاهر جميع الأطراف بالرغبة فيها.

ولكن ضرورة الوحدة تظل شديدة الإلحاح والوجوب إذا كان يراد للحركة الفلسطينية الاستمرار والنمو، وهو ما يتظاهر الجميع في إرادته وشدة الرغبة فيه والحرص عليه، وأصبح شعاراً لجميع العرب رسميين وغير رسميين وفلسطينيين وغير فلسطينيين. ولا سيما أن فقدانها وما وقع عبر ذلك من منافسات ومزايدات ومهاترات وأخطاء كان يؤدي إلى انتكاسات شديدة في العمل الفدائي، وأدى في النهاية إلى ما أدى إليه من اغتنام نظام الأردن العميل الفرصة وإنزاله الضربة الشديدة القاصمة التي كادت تجمده وتشله بعدما تألق وبلغ الذروة وأثار الفزع والرعب في العدو واستقطب الأنظار والأسماع، وأثر أعظم الأثر في سير القضية الفلسطينية وحقيقتها في الأوساط الدولية والعالمية. وأشعر العرب بشيء من كرامتهم التي مرغتها الهزيمة، مما أثار ولا يزال يثير أشد المرارة والحسرة، وضاعف وجوب العمل على تحقيق الوحدة ومناشدة الضمائر لتذليل الصعوبات والتغلب عليها.

وقد خطر لي خواطر لا أزعم أن فيها العلاج الشافي، أو أنها لم تخطر لكم ولكثيرين من المشتغلين بالقضية المهتمين لمعالجة الموقف الخطير. ولا أزعم أنه لم تجر محاولات في سبيل تحقيقها، ولكن ذلك لم يمنعني من تسجيلها وإرسالها إليكم.

1 - إن أسلم موقف وأبعده عن التعقيد كأساس للوحدة الوطنية هو الاتفاق والتركيز على هدف تحرير فلسطين كاملة وإزالة الكيان الصهيوني، وتجميد كل فكرة اجتماعية وسياسية بالنسبة لمصيرها إلى ما بعد التحرير.

2 - إن الشق الأول من هذا الموقف هو هدف جميع العاملين المخلصين للقضية على مختلف المستويات.

3 - والخلاف بين التنظيمات هو بالنسبة للشطر الثاني منه بالإضافة إلى ما هناك من خلافات أخرى متصلة بالعمل والمواقف، وهذا من العقد التي تعثر الموقف وتعرقل الوحدة.

4 - وأنا أعرف أن (فتح) كانت تعتنق الشعار بشطريه. ثم طرحت فكرة (الدولة الديمقراطية لجميع سكان فلسطين مسلمين ونصارى ويهود كبديل للدولة الصهيونية)، وكان ذلك كجواب على تساؤل أجنبي عن (مصير اليهود في فلسطين بعد تحرير فلسطين)، وقد نال الجواب ارتياحاً وتفهماً في أوساط كثيرة. غير أنه أحدث شيئاً من الخلاف بين فتح ومنظمات أخرى.

5 - وإني أرى أن تعود (فتح) إلى موقفها السابق فتعتنق الشعار المذكور في الفقرة (1)

بشطريه، وتدع الحل البديل لقرار تتفق عليه غالبية التنظيمات على اعتبار أنه خلافي على ما سوف يأتي شرحه بعد.

6 ـ و (فتح) على اعتبارها أقوى التنظيمات السياسية والفدائية الفلسطينية وأشدها استقطاباً للتأييد وأكثرها وفرة وسائل للعمل باستمرار، تصبح إذا التزمت بشقي الشعار فقط مؤهلة أكثر من غيرها للدعوة إلى الوحدة على أساسه.

7 ـ ومن المفيد جداً لنجاح المسعى أن تتعهد فتح لمن تتحاور معه بأن يكون الحوار مفتوحاً دائماً بحرية تامة بالنسبة للخطط التكتيكية والاستراتيجية والتنظيم والمواقف تجاه أي جهة عربية وغير عربية، وكل فكرة أو أمر متصل بالعمل في كل اجتماع ومجلس ولجنة حسب طبيعة المواضيع ومناسباتها، وأن تتعهد بالالتزام بما تقرره الغالبية بكل إخلاص وبدون أي مداورة ومراوغة، وأن تأخذ من العناصر التي تحاورها وتدعوها تعهداً بمثل ذلك، وأن يكون التعهد بحرية البحث والالتزام بقرار الأغلبية صادقاً حميماً بقطع النظر عن الانتماءات والولاءات والأيديولوجيات والتنظيمات التي تنتسب إليها العناصر المتحاورة إذا ما لبت الدعوة، على أن يكون الأمر التي لم توافق عليه الأقلية قابلاً للإثارة في الاجتماعات مع التزام ذلك التعهد دائماً.

8 ـ وقد يكون من أسباب التعثر نسبة اشتراك التنظيمات في المؤسسات المتنوعة للتنظيم الفلسطيني العام. وإني أرى أن تضحي (فتح) وتضرب مثلاً لغيرها وتقبل أن تكون متساوية مع التنظيمات الأخرى في هذه المؤسسات. وتطلب ممن تحاوره أن يحذو حذوها، ولسوف تكون تضحية (فتح) عاملاً في هذا الحذو، والمسألة اعتبارية وشكلية غير ذات أثر فعلي.

ففتح أو أي تنظيم كبير آخر لم يكن لها وله في المؤتمرات واللجان أغلبية مطلقة حتى يقال أن هذه التضحية تفقدها ذلك. وهذه مسألة مهمة لعلها من أهم مسهلات نجاح الدعوة والحوار.

9 ـ ومن المسائل المهمة التي يجب التركيز عليها وإيجاب الالتزام بها وعدم التساهل فيها أن يكون الحوار على أساس مركزية العمل السياسي والفدائي والمالي والتمويني والتخطيطي والإعلامي ووحدته ووحدة المرجعية والتنظيم والإدارة فيه.

10 ـ وليس ما يمنع أن يكون الحوار في نطاق الاحتفاظ باسم منظمة التحرير ومؤتمرها ولجنتها التنفيذية والقيادة العسكرية العامة.

11 ـ ويحسن أن تبدأ (فتح) الحوار مع العناصر الأقل تعقيداً وتزمتاً وعناداً بسبيل إقناعها بالتزام كل ما تقدم.

12 ـ ويجب أن لا تنحصر الدعوة والحوار في التنظيمات الفدائية، بل يجب أن تشمل كل تنظيم فلسطيني آخر مخلص من اتحادات عمال ومعلمين وطلاب وأطباء ومحامين ومهندسين ونساء وهيئات وأحزاب، فهذه التنظيمات تمثل قطاعات كبيرة مؤثرة وواعية، ومنها ما يضم المئات ومنها ما يضم الآلاف، وهي روافد قوية للعمل السياسي والفدائي، ومن حقها أن تتمثل فيه ويكون لها فيه شأن وموقف.

13 ـ وإذا ما وافقت فتح على جميع نقاط هذا المنهج ـ وأرجو وآمل من كل قلبي أن توافق عليه وتتغلب على أي اعتبار ـ ثم استطاعت أخذ الموافقة عليه من كتلة كبيرة من التنظيمات الفدائية والشعبية وبخاصة ذات الوزن، تتألف حينئذ لجنة تحضيرية يتمثل فيها كل من التنظيمات بعضو واحد، لتعيد النظر في الميثاق والأنظمة القائمة، ولتضع خطة تأليف المؤتمر

الوطني وتدعوه إلى الإنعقاد في زمان ومكان تحددهما للمصادقة على ما اتفقت عليه وانتخاب لجنة تنفيذية جديدة.

14 ـ هناك شخصيات فلسطينية مرموقة وذات أثر وقيمة ونشاط وإخلاص وصدق رغبة في مجال العمل الفلسطيني، فأرى أن تختار (فتح) نخبة منهم لتعرض عليهم هذا المنهج وتأخذ رأيهم فيه، وإذا حصلت على موافقة عدد مهم منهم فيكونون من عناصر التنظيم كعناصر مستقلة يمثلون بشخص أو أكثر في اللجنة التحضيرية ثم في المؤتمر واللجنة التنفيذية.

15 ـ وإلى أن تستقطب مساعي ودعوة (فتح) المقترحة كل التنظيمات الشعبية والفدائية أو غالبيتها، فإن على فتح أن تتضامن مع من يقبل المنهج وتسير معه قدماً في سبيل العمل واستقطاب الباقي.

16 ـ وقد يصر بعض التنظيمات على عدم الالتزام بالمنهج ويبقى خارجه، فتترك وشأنها ما دام نشاطها غير ضار بنشاط التنظيم العام الذي يكون انضوى إليه كتلة كبيرة أو غالبية، ولا بالقضية مع استمرار الحوار معها بسبيل إقناعها ودخولها فيما دخلت فيه بالغالبية، وإذا ما بدا منها نشاط ضار يتخذ تجاهها ما يتناسب مع ذلك من مواقف.

هذا ما عن لي من خواطر في سبيل توطيد الوحدة التي لا بد منها إذا كنا نريد أن لا نبدد هذه الطاقة الهائلة التي تفجرت في شعبنا بعد ذلك السبات والضياع، ولا تذهب هدراً تلك البطولات العظيمة التي ظهرت منه، والدماء الزكية التي أراقها، ولا يخبو ذلك الحماس الشديد ولا ذلك الدوي الهائل الذي كسبته قضية فلسطين وبدل من صورتها نتيجة لذلك. ثم إذا لحظنا قبل كل شيء أننا في صدد قضية تكاد تكون أصعب قضايا التاريخ والشعوب بما يكتنفها من تعقيدات ويحدق بها من قوى مضادة خطيرة، وأنها بحاجة إلى طاقات عظيمة مستمرة التفجر على مدى حقبة طويلة يمكن أن تمتد عشرات السنين، وأن أقوى دعامة لذلك هو الوحدة الوطنية بين الفلسطينيين المخلصين في الدرجة الأولى.

والله المسؤول أن يسدد الخطى ويلهم الصواب ويحقق القصد. ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

(81) بحث للكاتب
حول إمارة شرق الأردن
مارس 1972[1]

ليس صدقاً أن إنشاء إمارة شرق الأردن حماها من وعد بلفور بل كان حامياً لهذا الوعد وآثاره ومثبتاً لهما:

يحلو لرجال النظام الأردني وخطبائه وكتابه أن يكرروا زعم أن إنشاء إمارة شرق الأردن كان منقذاً لها من وعد بلفور. والحقائق والوقائع تكذب ذلك من جهة، وتثبت أنه إنما كان لتثبيت هذا الوعد وآثاره وحمايتهما من جهة أخرى.

وإليك البيان :

1) كانت المنطقة التي قامت فيها الإمارة

---

(1) كتب هذا البحث بناء على طلب الجبهة الوطنية الأردنية والمجاهد خليل الوزير أبي جهاد من أبرز أركان تنظيم (فتح) لنشره في بعض نشراته، ومشروع الملك حسين والتعليق عليه في نسخة أبي جهاد دون الأول لأن البحث أرسل إلى الأول قبل إعلان المشروع.

متصرفية تابعة لولاية سورية باسم متصرفية الكرك حينما صدر وعد بلفور. وكانت هذه التبعية امتداداً إلى مئات السنين قبل ذلك. واستمر ذلك ممارساً إلى سقوط الحكم العربي الفيصلي في 24 تموز 1920.

2) ونص وعد بلفور صريح بأن الحكومة البريطانية إنما وعدت بتأييد إنشاء وطن قومي يهودي في (فلسطين)، ولم تكن هذه المتصرفية في تصور أي كان أنها من فلسطين. ولقد أصدرت الحكومة البريطانية هذا الوعد للاستعانة باليهود على تثبيت يدها وهيمنتها على فلسطين التي لم تكن لها فيها مصالح وصلة قائمة، والتي نصت اتفاقية سايكس بيكو المعقودة في سنة 1916 بين فرنسة وبريطانية على أن تكون تحت إدارة دولية، وليكون اليهود لهم فيها ركيزة لمصالحها الاستعمارية. ولقد كان اليهود يسعون لإنشاء مركز أو دولة لهم في فلسطين فتلاقت المصالح وانعقدت الصفقة.

3) وما قيل من أن الصهيونية كانت تترسم أن تكون حدود وعد بلفور شاملة لشرق الأردن هو قول جزافي تجاه النص الصريح الواقع، وكل ما يمكن أن يوصف به أنه أطماع صهيونية.

4) ولو لم تترسم بريطانية أن تقيم في متصرفية الكرك «منطقة إمارة شرق الأردن فيما بعد» ركيزة لاستعمارها لبقيت في نطاق سورية.

5) وقد يقال إن اتفاقية سايكس بيكو قد جعلت هذه المتصرفية في نطاق النفوذ البريطاني. ولكن هذا لم يكن ليغير تلك الحقيقة. لأن هذا النفوذ كان مفروضاً أن يكون، والمتصرفية جزء من الدولة العربية المستقلة التي نص ذلك الاتفاق على قيامها في الأقسام السورية الشرقية والشمالية والجنوبية.

6) وحقاً إن بريطانية سعت بعد اتفاقية سايكس بيكو، وظلت تسعى لاقتطاع هذه المتصرفية من الجسم السوري، وجعلها خاضعة لهيمنتها نفوذاً وممارسة، واستطاعت أن ترغم فرنسة على الموافقة على ذلك لإنهاء ما كانت تثيره في طريق حرية حركتها في سورية الداخلية من عقبات. وكان نتيجة ذلك أن وقف الغزو الإفرنسي للمملكة السورية الفيصلية العربية في 24 تموز 1920 عند حدود هذه المتصرفية. وقد أرسلت بريطانية ضباطاً ليمارسوا الهيمنة والحكم في المتصرفية التي تخلت فرنسة لها عنها، ثم قررت إقامة الإمارة برئاسة عبد الله بن الحسين تحت الهيمنة البريطانية التامة. غير أنها كانت وظلت تترسم أن تكون ركيزتها فيها عربية صرفة، ورفضت بإصرار كل محاولات اليهود والمندوب السامي اليهودي صموئيل بشمول الوعد لها على ما تفيده الوثائق العديدة، وقد أيدت ذلك في النص الوارد في صك الإنتداب.

7) ولقد ترسمت أن يقوم في هذه المتصرفية كما قلنا ركيزة عربية تحت هيمنتها المطلقة موازية للركيزة اليهودية التي دشنت إقامتها بوعد بلفور. ولقد كانت هاتان الركيزتان تفتقدان كل المقومات الذاتية[1]، وهذا مما ترسمته أيضاً فكانتا وظلتا في أشد الحاجة إلى المساعدة والحماية الإستعمارية، بحيث لا يأتي وقت يكون لأي منهما اكتفاء وغناء عن ذلك مما كان وما يزال ماثلاً للعيان. وقد حلت الولايات المتحدة محل بريطانية في ذلك كله حينما آذنت

(1) كانت المساعدة الأجنبية للركيزة العربية بنوع خاص وبصورة دائمة تبلغ نصف الميزانية أو تزيد، لأنها كانت في فقر مدقع في المقومات الذاتية وفي هذه السنة «1972» بلغت هذه المساعدة ثلثي الميزانية!

شمس هذه بالغروب.

8) ولقد كان إقامة الركيزتين كما قلنا لتنفيذ مآرب بريطانية استعمارية، على أن تكون الركيزة الشرقية حامية ومانعة للركيزة الغربية. بحيث يكون امتداد الركيزة الغربية للشرق غير متسق في أي حال مع ما ترسمه الاستعمار من وجود ركيزتين متميزتين.

9) ولو لم تترسم بريطانية ذلك وبقيت منطقة شرق الأردن كما كانت تابعة لسورية، لكانت الركيزة الغربية تحت التهديد العربي الدائم القوي من سورية والعراق والسعودية. وهذا التهديد يكون قائماً لو امتدت هيمنة الركيزة الغربية إلى الشرق ولم تقم فيه ركيزة عربية حامية مانعة.

10) ولقد دارت الركيزتان في فلك السياسة الإستعمارية البريطانية، ثم في فلك السياسة الإستعمارية الأميركية، لأن الاستعمار البريطاني ثم الأميركاني بعده كان هو الذي يمدهما بأسباب الحياة والبقاء.

11) ولقد استغلت الركيزة اليهودية حاجة الاستعمار لها أقوى استغلال، فصار لها ما صار من كيان قومي ونمو سياسي واقتصادي وعسكري أصبح يهدد البلاد العربية وبخاصة المجاورة مما هو ماثل للعيان وقائم في الواقع، في حين كان أكبرهم الركيزة العربية أن يكون لها مظاهر الحكم الظاهري دون الحقيقي وحسب، فكانت وظلت قزماً في كل مظهر من مظاهرها. .

وفيما يلي بيان لما كان من العاهل الأردني الأول في سبيل تثبيت وعد بلفور وتنميته، بل والسماح له بالامتداد إلى شرق الأردن لو لم تحل بريطانية دون ذلك. وفي ذلك تكذيب آخر للقول إن إنشاء الإمارة كان منقذاً لها من هذا الوعد.

1) كان صك الانتداب هو الأساس الذي قبل به العاهل أن تقوم إمارته عليه. وفي أول عقد عقد بينه وبين بريطانية نص صراحة بأنه يلتزم بكل نصوص صك الانتداب في صلاته مع الدولة المنتدبة وفي سيرته في إمارته. وكان المندوب السامي للدولة المنتدبة في فلسطين هو نفسه المندوب السامي للدولة المنتدبة في شرق الأردن. وهو مرجعه الرسمي. وصك الانتداب قام على وعد بلفور أو أن وعد بلفور من أسسه. وإذا كان حقاً قد نص هذا الصك على عدم سريان الوعد إلى شرق الأردن، فإن هذا النص لم يكن لينقض حقيقة كون العاهل قد قبل هذا الوعد بالنسبة لفلسطين بصورة عهدية.

2) ولقد حاولت بريطانية بعد الحرب العالمية الأولى أن تنظم صلاتها مع الملك حسين والد عبد الله بمعاهدة يعترف فيها بمركز ممتاز لها في العراق وفلسطين وشرق الأردن. وعرضت صيغة بعد أخرى فكان يرفضها ويقترح إدخال تعديلات عليها، ويحتج ويطالب بالوفاء بالعهود المقطوعة له بدولة عربية مستقلة تشمل جميع بلاد الشام والعراق والحجاز. وكان العاهل الأردني يحمل صفة وزير خارجية أبيه، فأرسلت إليه صيغة تنص على ما أرادت من الحسين الاعتراف به، وطلبت منه توقيعها لعله يجعل والده أمام الأمر الواقع، فوقعها في 21 كانون الأول 1921، وكان من مضمون ذلك تثبيت وعد بلفور، فكان أول وأوحد عربي رسمي يوقع اعترافه بذلك.

3) ومما كان من مآثر العاهل في تقوية وتدعيم الوطن القومي منحه لروتمبرغ صاحب امتياز كهرباء فلسطين الذي كان وظل من أقوى أعصاب نمو هذا الوطن أرضاً شاسعة من أرض الأردن على النهر ليقيم عليها مشروعه.

4) ولما قويت الحركة الوطنية في فلسطين واستطاعت أن تحبط في سنة 1922 مشروع المجلس التشريعي المستند إلى دستور من أسسه وعد بلفور ويقوم على صك الانتداب، عمدت الحكومة الإنكليزية إلى شق هذه الحركة بواسطة عملائها، وكان للعاهل أثر قوي في ذلك، فضربت بذلك الحركة الوطنية ضربة شديدة ظلت تعاني منها طيلة مدة الإنتداب بصور مختلفة، وظل المنشقون على صلة وثيقة به، يسيرون وفق توجيهه الذي كان يوجب مسايرة الأمر الواقع وعدم الغلو في المواقف والمطالب. وكان يوجه اللوم والعتب إلى قادة الحركة الوطنية بسبب مواقفهم القوية ضد الانتداب ووعد بلفور وآثاره. وفي أثناء ذلك أخذت تتوطد صلات صداقة وانسجام بين العاهل وبين زعماء الصهيونية الذين كانوا يزورونه من آن لآخر ويوحون إليه بالمزيد من الحكمة السامية الهاشمية في مسايرة الأمر الواقع وعدم الغلو في المطالب والمواقف.

5) وبعد ثورة البراق 29 آب 1929 جاءت لجنة تحقيق نيابية لدرس أسباب الثورة وإعطاء التواصي بمعالجتها، وتبين لها أن العرب يشعرون بانزعاج وخطر عظيمين من مستقبلهم بسبب تيسير حكومة الانتداب لليهود شراء الأراضي وطرد المزارعين منها وتيسير الهجرة اليهودية إلى فلسطين وحرمانهم من الحكم الذاتي، فوصت اللجنة الحكومة بمعالجة هذه الأمور، وأرسلت الحكومة لجنة فنية تبين لها أن ما بقي في أيدي العرب من أراضٍ صالحة للزراعة تقل عن حاجتهم، وأن البطالة متفشية في العرب واليهود على السواء، فوصت بوقف البيوع والهجرة. فعمد اليهود إلى العاهل الأردني لتفريج أمرهم، فاستجاب إليهم بنفسه أولاً، حيث استوهب من الدولة أرضاً في الغور بمساحة مائة ألف دونم، وسارع إلى تأجيرها لهم بمدة تسع وتسعين سنة. ثم أخذ يوعز لرؤساء القبائل والعشائر بطلب فتح باب الأردن للأموال اليهودية لأن عندهم أراضٍ شاسعة معطلة وأرسل نفراً منهم فاجتمعوا بزعماء اليهود وقدموا لهم مضابط بذلك. وحمل اليهود المضابط مع عقد إيجار الأرض التي استأجروها منه إلى الحكومة الإنكليزية، مطالبين بالسماح لهم بالامتداد الاستيطاني إلى شرق الأردن، فرفضت فشكوها إلى عصبة الأمم وقدموا الوثائق التي أخذوها من العاهل والزعماء، فأصرت على المنع معتذرة بمقتضيات الأمن. . . وفي هذا الحادث اليقيني تكذيب صارخ للقول أن الإمارة حمت الأردن من وعد بلفور، وتأييد صارخ أنها لم تكتف بتثبيت هذا الوعد في فلسطين بل رحبت بامتداده إلى شرق الأردن. . . .

6) وحينما اندلعت ثورة فلسطين الكبرى سنة1936 وامتدت إلى أواخر سنة 1939، بذل العاهل الأول جهده في التثبيط من جهة وعرقلة التحرك والمدد من الأردن وغيره من جهة أخرى.

7) ولقد أرسلت الحكومة البريطانية لجنة جديدة بعد الإضراب الطويل الذي أعلنه العرب احتجاجاً على سيرتها والخطر المتفاقم عليهم من النمو اليهودي شراء وهجرة واقتصاداً وصناعة، مع حرمانهم من حقهم في الحكم الوطني، فتواطأ العاهل مع هذه اللجنة على حل يقوم بموجبه في أخصب وأحسن أقسام فلسطين دولة يهودية ويضم الباقي من فلسطين الى مملكته. ولقد كان متيقناً بأن هذا كائن، فأوعز إلى أوليائه القدامى الذين كانوا ممثلين في

اللجنة العربية العليا التي كانت تقود الحركة الوطنية لينشقوا على هذه اللجنة، مكرراً بذلك جهده في سنة 1922 مع نفس العناصر حتى لا يلتزموا برفض اللجنة العربية المحقق لما تواطأ عليه مع اللجنة الإنكليزية. وقد استجابوا إلى ذلك، فانشقت الحركة الوطنية مرة أخرى، وكان لهذا الانشقاق أثر مرير في سير الثورة حينما استؤنفت في سنة 1937.

ولقد جاء تقرير اللجنة الإنكليزية كما رسمته معه. وقد رفضته اللجنة العربية، فأخذ العاهل يبذل جهده في التحريض عليها وفي حمل أوليائه على الموافقة على تقرير اللجنة رغم رفض الجمهور الأعظم من أهل فلسطين ومن جملتهم عدد كبير من أتباع هؤلاء الأولياء بل ومن بارزيهم، ورغم رفض سائر الحكومات والشعوب العربية.

8) ولقد توتر الموقف بعد ذلك وانفجرت الثورة في فلسطين من جديد في أواخر سنة 1938 وتعاظمت حتى أرغمت الإنكليز على إلغاء التقسيم، فخاب بذلك أمل العاهل هذه المرة، وجعله يشتد حنقاً على قادة الحركة الوطنية والثورة ويقف منهما موقف المتهجم المتجهم المعرقل المحرض. وقد كان من تأثير تحريضه لأوليائه أن وقفوا من الثورة مثل موقفه، وصار بعضهم يرسل المذكرات التي تذكر أن عرب فلسطين راضون بالتقسيم، وأن قادة الحركة الوطنية والثورة لا يمثلون إلا أقلية. ووصل الأمر بهم إلى إنشاء كتائب مسلحة بسلاح الإنكليز واليهود لمحاربة الثورة.

9) وقد لعب هذا العاهل في ظروف تنفيذ قرار تقسيم فلسطين سنة 1947 أنكى الأدوار وأشدها أثراً وضرراً. ولقد تم الإتصال بينه وبين زعماء اليهود من أصدقاء قدامى وجدد، وتم الإتفاق على قبوله لقيام الدولة اليهودية في القسم المخصص لها في فلسطين، مقابل موافقتهم على ضم المخصص للدولة العربية إلى مملكته حسب ما ترسمه سابقاً[1]. ولما شح السلاح في يد المجاهدين الذين أبلوا أعظم البلاء وكادوا بجهادهم يلغون قرار التقسيم،

وكان من الممكن أن يتم ذلك لو لم يضن حكام العرب عليهم بالسلاح وكان هو من الضانين، وكان يعد وفودهم به ويخلف وعده. ولعب ضباط جيشه الإنكليز وغير الإنكليز مع حرس الحدود دوراً في تيسير سقوط صفد في يد اليهود قبل 15 مارس 1948. ولما قررت الحكومات العربية إدخال جيوشها إلى فلسطين لحماية أهلها وإنقاذ ما يمكن إنقاذه ولم ير مناصاً من المشاركة أصر على أن تكون له القيادة العليا. وأخبر اليهود بأنه ملتزم بما تم الاتفاق عليه، وأن

---

(1) قال لي الدكتور علي الحافظة الأستاذ في كلية الآداب في الجامعة الأردنية حينما زارني مساء الثلاثاء 28/11/1978 في معرض قولي ان الملك عبدالله كان موافقاً على قيام الدولة اليهودية مقابل ضم باقي فلسطين إلى مملكته، أنه قرأ في مذكرات ديان وغولدا مائير انهم لما تحاوروا معه قبل زحف الجيوش العربية في 15 مارس 1948 كان يرفض قيام دولة يهودية ويطلب أن تكون دولة كبرى فلسطينية اردنية يكون لهم فيها كانتون. والراجح ان هذا إن كان أصحاب المذكرات صدقوا فيما يكتبوه كان في سياق أو موقف محاوره ومساجله وحسب فالملك يقيناً توافق مع اللجنة الملكية على ذلك وقد اعترف الدكتور علي بذلك. وفي الجزء الثاني من كتابنا القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ص 170 نبذة من مذكرات عبدالله التل الذي كان رسول الملك إلى رجال اليهود فيها صراحة توافق الملك مع غولدا مائير وشرتوك على قيام الدولة اليهودية مقابل ضم الاشلاء إلى مملكته وان مثل هذا الموقف كان في حديث جرى بين توفيق ابي الهدى ووزير خارجية بريطانية بيفن في أول سنة 1948.

الجيوش العربية لن تتعدى حدود ما في أيدي العرب. وأخبر بذلك الحكومة الإنكليزية وأخذ موافقتها، وخالف الخطة المرسومة بسبيل ما وعد به اليهود والإنكليز. وكان من أول أعماله إعلانه حل الهيئة العربية العليا التي كانت تمثل الفلسطينيين في الجامعة العربية وفي الأوساط الدولية معاً وتشرف على حركة الجهاد المقدس الشعبية التي أبلت أعظم البلاء ضد اليهود قبل قرار الحكومات العربية بدخول جيوشها إلى فلسطين وأرهبت اليهود أعظم إرهاب وكادت تقضي على التقسيم كما قلنا قبل. ثم أمره بمنع كتائب المجاهدين الفلسطينيين من المشاركة في الحرب وتجريدهم من السلاح. وكان هذا منه بادرة أولى لما أتمه بعد ذلك من طمس اسم فلسطين وشعب فلسطين على ما سوف نذكره بعد، فأسدى بها أعظم اليد لليهود، لأن هؤلاء كانوا ولا يزالون لا يحسبون الحساب إلا لجهاد الفلسطينيين ومعارضتهم لهم على اعتبار أنهم أصحاب الحق الشرعي والطبيعي الذي لا يمكن أن ينكره أحد في وطنهم، ورفض قيام دولة اليهود على أنقاضهم وفي مقاومتهم لذلك حتى النهاية، خلافاً للحكومات العربية التي يمكن أن يقال لها دولياً أنها لا علاقة لها بفلسطين ولا حق لها في الدفاع عنها وتحريرها.

10) ولقد كان للجيش الأردني دور فظيع آخر في هذه الحرب. فإن الدول العربية قبلت بهدنة شهر بعد دخول جيوشها لفلسطين للنظر في حل مناسب. غير أن ذلك لم يتحقق وخرق اليهود شروط الهدنة، فقررت الحكومات العربية استئناف القتال رغم إلحاح الدول الكبرى بالإنتظار، ورغم البوادر التي كانت تدل على أن اليهود استعدوا للجولة أعظم استعداد بالسلاح والمقاتلين دون العرب.

ولقد كان العاهل الأردني قائداً أعلى للجيوش العربية، وكان يصرح قبيل استئناف القتال بتصريحات قوية، بينما كان في مجالسه يعترف بأن أسباب الحرب والنصر غير متوفرة لديه ولدى العرب على ما سجلناه في حينه،

وجاء في الجزء الثاني من كتابنا (القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها). ومع ذلك فقد استؤنفت الحرب. وما كادت تستأنف حتى أشار ضباط الإنكليز في القوات الأردنية المرابطة في منطقة اللد والرملة بالإنسحاب من هذه المنطقة بحجة قوة حشود اليهود وضغطها. ورفع كلوب باشا قائد الجيش الأردني الأمر إلى العاهل،

فوافق على ذلك رغم فزع أهل البلاد واستغاثاتهم ووعود العاهل المطمئنة لهم التي لم يوف بها. وقد أدى ذلك إلى انسحاب القوات العراقية المرابطة في جوار المنطقة بحجة حماية مؤخرة الجيش، وإلى استيلاء اليهود على مدينتي اللد والرملة وما حولهما من قرى، وإيقاعهم مذبحة مروعة في أهلها وتشريد عشرات الآلاف منهم في حالة تدمي القلوب بعد سلبهم كل ما يملكون، وأدى ذلك إلى اشتداد الضغط على القوات العربية في منطقة الناصرة ومرج ابن عامر، فانسحبت بدورها وسقطت الناصرة وما حولها في أيدي اليهود.

وكل هذه المناطق مما كان مخصصاً للعرب في قرار التقسيم، وأدى ذلك إلى انكسار الجبهة المصرية واضطرار الحكومات العربية إلى قبول الهدنة مرة أخرى بعد بضعة أيام من استئناف القتال على أساس بقاء كل ما دخل من جديد في أيدي اليهود في أيديهم. وكان ملموحاً بقوة أن هذه الكارثة كانت مؤامرة ضد مصر وجيشها بالإضافة إلى رجحان كون اليهود طرفاً فيها مما

فصلناه كذلك في كتابنا المذكور آنفاً[1].

11) ولقد قررت الجامعة العربية إنشاء كيان فلسطيني تكون له المبادرة بإسم فلسطين، لما كان لذلك من ضرورة سياسية، فانعقد مؤتمر وطني في غزة عام 1948 بعد الهدنة الثانية، ضم زعماء فلسطين وممثليها، فقرر إنشاء حكومة عموم فلسطين ومجلس دفاع أعلى ومجلس رئاسة أعلى ووضع دستوراً لفلسطين.

ولقد كان هذا هادماً لما ترسمه من ضمن الأشلاء الباقية من فلسطين إلى مملكته، فما كان منه إلا أن حشد أولياءه وعملاءه وعملاء الإنكليز واليهود معاً في مؤتمر في أريحا رأسه الشيخ محمد علي الجعبري المشهور، فقرر رفض قرارات مؤتمر غزة وضم الأشلاء إلى مملكة العاهل الذي سماها المملكة الأردنية، فطمس بذلك اسم فلسطين وقضية فلسطين وشعب فلسطين، وهو ما كان يريده اليهود. حتى لقد جاء وقت حينما تذكر فلسطين في اجتماعات هيئة الأمم كانوا يهتفون أنه ليس هناك وقت حينما تذكر فلسطين في اجتماعات هيئة الأمم كانوا يهتفون أنه ليس هناك شيء بهذا الإسم، وأن كل شيء انتهى وليس هناك إلا الأردن وإسرائيل.

12) ولقد قام جفاء بين مصر من ناحية والعاهل العراقي الذي كان على رأسه أولاد أخيه من ناحية بسبب ذلك، فاغتنم اليهود الفرصة وخرقوا الهدنة وأنشبوا القتال مع الكتائب المصرية التي كانت تسيطر على النقب الذي كان اليهود يعولون عليه أعظم تعويل عسكرياً واقتصادياً واستيطاناً، واستطاعوا أن ينتزعوه من السيطرة المصرية. وكان موقف العاهل وأولاد أخيه موقف الفرح الشامت، وقد وضع العراقيل في سبيل أي نجدة ترسل إلى بعض المواقع المصرية التي كان يحاصرها اليهود، وكانوا يحاصرونها حتى استولوا عليها. فقدم العاهل بذلك لحلفائه أعظم الخدمات، وأدى الأمر إلى اضطرار مصر والدول العربية المجاورة الأخرى إلى الدخول في مفاوضات مع اليهود وعقد اتفاقيات الهدنة الدائمة في سنة 1949 التي اعترفوا فيها باليهود كطرف ثانٍ في فلسطين، وبالتالي بالوجود اليهودي السياسي والعسكري، والتي تعهدوا فيها بعدم استعمال القوة أبداً لتغيير أي شيء مما تم النص عليه في الإتفاقيات.

ثم أصدرت الولايات المتحدة وبريطانية وفرنسة بياناً أعلنت فيه تضامنها في عدم السماح لأي طرف من أطراف النزاع باستعمال القوة في التغيير ولا بتسليح أي طرف بسبيل ذلك، فتجمد الموقف على حالة اللاحرب واللاسلم.

13) ولقد كان الجيش العراقي يحتل بعض أقسام فلسطين الوسطى عرف بالمثلث. ورفضت الحكومة العراقية أن تكون طرفاً في اتفاقيات الهدنة، فحل العاهل المشكلة حلاً مضحكاً بالاتفاق مع اليهود، على أن تجلو القوات العراقية ويحل جيشه محلها ويأخذ توكيلاً من العراق. وحال ما جلا الجيش العراقي أنذر اليهود حليفهم العاهل دون أن يرف لهم رمش بصداقة وتقدير خدماته لهم بأنهم يريدون أن يكون هذا المثلث في حدودهم، ولم ير مناصاً من قبول ذلك ومن قبول تعديل الحدود من ناحية جنوب الخليل أيضاً.

ولم يقف الأمر عند هذا، فقد كان الجيش

(1) أنظر أيضاً الجزء الثالث من كتاب «النكبة» لعارف العارف.

الأردني مسيطراً على ميناء العقبة وما حولها، وكان هذا جزءاً من مملكته، فسارعوا إلى احتلال شقة من الميناء كانت تغرف بأم الرشراش، وأجبروا العاهل على الموافقة على ذلك. وهذه الشقة هي التي أقام اليهود عليها ميناء إيلات التي صار لها في كيانهم الإقتصادي والعسكري أعظم الأثر . . .

14) وبعد الهدنة استؤنفت الاتصالات بين العاهل واليهود بسبيل عقد الصلح وكسر جدار الرفض العربي، ورحب هو بذلك وكانوا يريدون صلحاً بدون ثمن. ورأى هو أن ذلك هو السقوط الحاسم، فأراد أن يأخذ شيئاً ما، فطلب منهم أن يردوا اللد والرملة ويمنحوه ميناء عسقلان وطريقاً إليها، ويقبلوا بعود مائة ألف لاجىء من الملاكين إلى المنطقة التي في أيديهم فرفضوا، وكل ما وافقوا عليه أن يمنحوه بعض التسهيلات في ميناءحيفا. ولو لم تعاجله رصاصات الاغتيال في 20 تموز 1951 لتم الصلح بينهم وبينه وانكسر الجدار بأبخس ثمن . . .

وهذا الاستعراض الوجيز المستند إلى الوقائع يثبت مقدار ما كان من هذا العاهل من خدمة في تثبيت وعد بلفور وتنميته، حتى قامت دولة الجريمة وتعاظمت وغدت تهدد الأمة العربية والبلاد العربية جميعاً. وهي الآن تحتل أكثر من أربعة أضعاف مما خصص لها في قرار التقسيم من فلسطين والبلاد المجاورة وتسقي العرب جميعهم كأس المهانة حتى الثمالة.

ولقد استمر هذا الشريط المسلسل في عهد حفيد العاهل أيضاً وهذا بيان ذلك:

1) لقد كان حلف بغداد في أوائل عهده، وكان هذا الحلف تحت الرعاية الإنكليزية والأميركية، وكان مما هدف إليه جعل بلاد العرب المشرقية تحت هذه الرعاية. وكان في ذلك كبح لأي احتمال تحرك عربي ضد الدولة اليهودية التي كانت بدورها متمتعة برعاية وحماية الإنكليز والأميركان. فدعى إلى الدخول فيه أسوة بأسرته في العراق، فاستجاب للدعوة لذلك ولدوران مملكته في فلك الإنكليز. وكاد ذلك يتم لو لم تقم المظاهرات الدامية العارمة المضادة في الأردن متأثرة بوقفة الزعيم الراحل عبد الناصر ومعه سورية والسعودية تجاه هذا الحلف وفضحهم أهدافه المذكورة.

2) ولقد جاءته نفحة حماس عن خوف، فاستجاب بعد ذلك لدعوة إلغاء المعاهدة الإنكليزية وتسريح الضباط الإنكليز من جيشه، وأخذ ما كان يدفعه الإنكليز من معونة مالية لموازنة الدولة والجيش من مصر والسعودية وسورية، وتواثق عسكرياً واقتصادياً وسياسياً مع الدول الثلاث. ولكنه سرعان ما خاف وخوف من الوقوع تحت رحمة هذه الدول العربية فنكص على عقبه وتنكر لما أبرم من عهد وتواثق، وفضل رحمة أحضان الولايات المتحدة التي أخذت تحل محل بريطانية العظمى في المشرق العربي. وأقال الوزارة الوطنية التي تعاهدت وتواثقت مع الحكومات العربية وأتى بحكومة عميلة أصلتت سيف الإرهاب والقمع، ومنذئذ وهو منسجم في هذه الأحضان حتى بلغ في ذلك مبلغاً لم يبلغه غيره[1].

3) ولقد قامت في سنة 1958 وحدة بين مصر وسورية، فأثارت استبشار الجماهير العربية

---

(1) مما يذكر من مظاهر ذلك أنه أصدر طابعاً بريدياً عليه صورة الرئيس الاميركي جونسون سنة 1965، وتحتها عبارة «من بناة السلم العالمي» وكانت يدا هذا الرئيس إذ ذاك تتلطخ بدماء أهل الصين الهندية الذين اعتدى على بلادهم بحجة حمايتها من الشيوعية.

لما تحمله من معان وتنبه من آمال. وأثار ذلك الولايات المتحدة وبريطانية وإسرائيل وغيرها من أعداء الوحدة العربية والقوة العربية، فوقف نتيجة لولائه للولايات المتحدة موقف المتنكر العادي، وأخذ يبذل جهده في دس الدسائس لها متضامناً في ذلك مع الملك سعود الذي انفصل عن تواثقه مع مصر وسورية نتيجة لتخويف ودسائس الإنكليز والأميركان، والذي تنكر بدوره للوحدة وبذل عظيم جهده وماله ضدها. وتمكن في النهاية هذا الحلف غير المقدس الهاشمي السعودي الإنكليزي الأميركي من ضرب الوحدة وفصمها في أيلول سنة 1961، وكان هو العنصر البارز في الاتصال والسعي، وبذل المال للمغامرين من ضباط الجيش السوري ولبعض أصحاب المصالح والموتورين من الوحدة في سورية، ولعب وصفي التل الذي كان سفيره في بغداد دوراً قوياً في هذه المؤامرة، وكان هو الموزع للمال والعاقد للصفقة مع الضباط السوريين على ما ذاع وشاع وقامت عليه الشواهد.

ولقد كان من مقتضى الصفقة أن تتسع مملكة الحفيد فتشمل سورية، حيث يدعوه عاقدوها المغامرون والموتورون إلى الشام، ويتوجوه ملكاً على سورية بالإضافة إلى الأردن.

وكان هذا أملاً داعب جده من قبل في العقد الخامس من القرن الحاضر، وجعله يدس الدسائس لسورية في سبيله. وقد عجز العملاء والمغامرون عن تحقيق الأمل والصفقة فخاب أمله كما خاب أمل جده من قبل. ولكن عملية الإنفصال التي صارت أمراً واقعاً كانت من أعظم الخدمات لليهود الذين كانت الوحدة السورية المصرية من أشد ما أقض مضاجعهم، وكانت لو بقيت ورسخت وقويت أعظم من كماشة لخنق دولتهم المجرمة.

ولقد مثل في سياق هذه الجريمة دوراً فظيعاً من الخديعة والمكر والتعمية. حيث أرسل إلى الرئيس جمال عبد الناصر في رمضان الذي سبق إتمام جريمة الإنفصال بمدة قليلة رسالة يستعطفه فيها ويطلب فتح صفحة جديدة للتواثق والتصافي، وكان في الوقت نفسه هو وزبانئه والحاقدون ومن ورائهم الولايات المتحدة يتآمرون ضد الوحدة السورية المصرية، ويتصل وصفي التل بالضباط المغامرين السوريين ويدفع لهم الأموال لإتمام جريمتهم...

4) ولقد كان بال اليهود وحماتهم هادئاً من انطماس اسم فلسطين وشعب فلسطين وقضية فلسطين الذي دشنه الجد. فلما أخذت الأفكار تتنبه والأصوات ترتفع بوجوب إقامة كيان فلسطيني يحيي هذه القضية سياسياً وتحريرياً وتبنى معظم ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية ذلك وقرروه في أول مؤتمر قمة عقدوه سنة 1964، كان ذلك مما أثار الرعب في اليهود وحماتهم لما يعرفونه من تاريخ الكفاح الفلسطيني، فتحركوا وحركوا الحفيد فاستجاب لتحريكهم، ووقف منذئذ موقف المناوىء المعرقل واستمر في موقفه حتى النهاية. مما فيه رد تكذيبي قاطع على من يزعم أن ما كان من مواقفه ضد حركة المقاومة كان نتيجة لتصرفات وأخطاء قادة منظمة التحرير التي انبثقت من تلك الحركة[1].

---

(1) لم يكن هذا الموقف المناوىء لقيام كيان فلسطيني هو الأول من هذا النظام، فإن موضوع إنشاء كيان فلسطيني بحث لأول مرة في دورة الجامعة العربية في الدار البيضاء سنة 1960 فعارضه ممثلو هذا النظام حتى جمدوه على ما جاء شرحه في الرقم (18) وفي هذا تكذيب آخر.

5) ولما تأخرت منظمة التحرير في مباشرة العمل التحريري الذي كان الهدف الرئيسي لقيامها وباشر ذلك تنظيم (فتح) عبر (العاصفة) في بدء سنة 1965، كان الحفيد وأجهزته لها بالمرصاد عرقلة مطاردة وتطويقاً وسجناً بل وقتلاً. وكان هذا قبل سنة 1967 وقبل أن ينسب إلى العاصفة أو يصدر منها أي بوادر متصلة من قريب أو بعيد بنظام الأردن وسلطاته، مما فيه تكذيب آخر على تلك المزاعم. ولقد كانت الحجة هي تفادي التوريط، وتناسي المحتجون جريمتهم في تمضية سبع عشرة سنة في سبات عميق دون أن يفكروا في إعداد واستعداد.

6 ـ ولقد بلغ ذلك ذروته حينما اشتدت حركة الكفاح الفلسطيني بعد نكبة 1967 وبلغت أوجها بما كانت تكيله من ضربات شديدة للكيان اليهودي وتهز أركانه وتثير فيه الرعب والفزع، وبما كان من لفتها أنظار العالم واستقطابها انتباهه وغدوها ملء السمع والبصر، وإشعارها العرب بشيء من كرامتهم المهانة الممرغة في وحل الهزيمة المشؤومة، وإبرازها قضية العرب وقضية الشعب الفلسطيني العربي كحركة تحرير وطنية لاسترداد الوطن السليب والحق المغصوب، وجعلها هيئة الأمم تقرر مرة بعد مرة في سنتي 1971 و1972 الاعتراف بالشخصية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني كاملة في وطنه، فاندفع الحفيد بالتواطؤ مع الولايات المتحدة واليهود معاً فيما اندفع فيه من مذابح وقمع ومطاردة ومصادرة، بالقسوة البالغة التي كان يزيدها بشاعة أنها كانت ضد شعبه ودون تورع عما كان يقع في سياق ذلك من إزهاق أرواح آلاف الأبرياء وتدمير المنازل وهتك الأعراض ونهب الأموال وأسر المجاهدين وأنصارهم وتعذيبهم الرهيب والإجهاز على جرحاهم ونبش قبور الشهداء الخ. حتى تمكن من القضاء على العمل الفدائي في الساحة الأردنية وإعادة الطمأنينة لليهود وحماتهم مما هو ماثل في الأذهان والواقع ومثير لأشد الحسرات واللوعات.

ولقد فعل الشيء الكثير من ذلك رغم ما ارتبط به إزاء الملوك والرؤساء وممثليهم من اتفاقيات. ولقد حاول بعضهم أن يتدخل، فكان هو ورجال نظامه العملاء بدورهم يعرقلون كل محاولة، لأنه كان منطلقاً من فكرة القضاء على العمل الفدائي بالمرة، تظاهراً بحجة الحفاظ على سيادة الدولة وقوانينها، وتحقيقاً في الحقيقة لأوامر الولايات المتحدة وربيبتها. وظهر أنه كان في ارتباطاته مناوراً ليتفادى العاصفة ويكسب الوقت ويتهيأ للضربة الساحقة، غير مبالٍ بما انطوى في كل ذلك من تحدٍ لجميع ملوك ورؤساء العرب والجماهير العربية قاطبة، ومن عزل مملكته عن الأسرة العربية. وكان يفعل كل هذا على دقات طبول الأكاذيب والتبجحات الطنانة الجوفاء والاعتذارات الزائفة التي لا تستند إلى حقائق مبررة. وكل هذا ثمن لما كان وظل يلقاه من مساعدة وحماية لنظامه وعرشه ولو لم يبق ما يقومان عليه إلا صخرات في صحراء... ما يعد أعظم جريمة قومية ضد أعظم ظاهرة قومية كان لها ما كان من عظيم المآثر والآثار. وهو ما يتوخاه الاستعمار واليهود من ورائهم وحسب.

والدليل على ذلك أن اليهود اكتسحوا بقية الضفة الغربية وقسماً كبيراً من الضفة الشرقية، دون أن يبالوا بخدماته وخدمات جده لهم، وسكتت الولايات المتحدة على ذلك، ولم يهتز لها شعرة، لأن العرش والنظام بقيا قائمين، وظل صاحبهما على ما كان عليه من شدة

الانسجام والاندماج معها.

ولقد كان الأمر خلاف ذلك حينما شعرت الولايات المتحدة واليهود باحتمال زلزلة هذا العرش والنظام، وباحتمال تدخل عربي في أثناء مذابح أيلول 1970 وبعدهما، حيث سارعوا إلى إعلان العزم على التدخل لحمايتهما وإعلان أنهما حريصان على أن يكون الأردن قوياً قادراً على الصمود لجيرانه ولحركة المقاومة[1].

ولقد استنكرت غير واحدة من الحكومات العربية هذه الجرائم وقطعت علاقاتها بالأردن، ومنعت ليبية والكويت ما كانتا تدفعانه للأردن من معونات مادية كبيرة، وكان هذا أضعف الإيمان، فكانت الولايات المتحدة تعوض عليه ما قطع وما هلك وتلف من معدات حربية متنوعة أثناء القمع والمطاردة وتشجعه على الصمود في موقفه.

وجاءه روجرز وزير خارجيتها فأخذه الحفيد في سيارته في جولة في عمان ليريه آثار ما اقترفه من جرائم صفى بها حركة المقاومة، متفاخراً كأنما يقدم له فاتورة حساب بما أعطوه من مال وسلاح لذلك. ولذلك فقط.

وتبلغ الصفاقة في الحفيد ورجال نظامه وأبواق دعايته وإعلامه أن ينسوا ما كان منهم من هذه الجرائم الفظيعة التي أسدوا بها عن قصد أجلى خدمة للعدو وصدروا بها عن تواطؤ معه ومع الولايات المتحدة حاميته وحامية النظام معاً. وما كان من تنكر بذلك لارتباطهم إزاء الدول العربية وتحدٍ لها، وأن يطلبوا من الحكومات والتنظيمات والجماهير العربية أن ينسوا ذلك وينسوا ما كان لجرائمهم الرهيبة التي كانت منهم بالتواطؤ المكشوف والخفي مع الأعداء من آثار مريرة في دنيا العرب وأفكار العرب وقضية العرب والأوساط العالمية الصديقة والعدوة معاً، وأن يندبوا حالة الأمة العربية وعدم وحدتها وعدم حشد طاقاتها لمواجهة العدو، وما أدى ذلك إليه من استشراء عدوانه، وأن يتساءلوا تساؤل المظلوم عن مواقف الحكومات العربية والجماهير والمنظمات العربيةالفدائية تجاه نظامهم، وعن قطع الحكومات التي كانت تعطيهم المساعدات لهذه المساعدات وسد الحكومات العديدة الأبواب في وجهه. ويستمرون في الوقت نفسه في دس الدسائس ضد المنظمات الفدائية، وبث التفرقة بينهم وإثارة الأحقاد عليهم واختلاق الأكاذيب والتهم ضدهم، وتسقط ما قد يقع فيه بعضهم من أخطاء وتضخيمها والتحريض عليهم، وتهوين ما كان من بطولاتهم، في حين تعلو أصوات العرب حكومات وجماهير ومنظمات بدون استثناء بوجوب إمدادهم وتقويتهم ودعمهم واعتبار وجودهم ونشاطهم

---

(1) مثل هذا الموقف ولنفس أسبابه وقفته الولايات المتحدة وبريطانيا في سنة 1958 حينما قامت ثورة العراق وأطاحت بالعرش الهاشمي وقضت على الأسرة المالكة، حيث شعروا أن عرش الأردن ونظامه سوف يتعرضان لخطر مماثل، لما رأوه من المقابلة الحماسية الفرحة التي استقبلت بها الجماهير العربية حتى في الأردن لأحداث العراق. فسارعت بريطانية إلى إنزال مظليين وإرسال طائرات والاستعداد للدفاع عن الأردن، وسارعت الولايات المتحدة إلى إرسال بعض قطع أسطولها إلى بيروت، وإنزال بحارتها لتكون في الحقيقة مهيأة للحركة من وراء سورية التي كانت مندمجة في وحدة مع مصر وعلى جفاء مع الأردن، محتجة بحجة ظاهرة هي طلب كميل شمعون رئيس جمهورية لبنان آنذاك الذي كان ضالعاً مع حلف بغداد والولايات المتحدة وبريطانية والأسرة الهاشمية في العراق والأردن ومناوئاً للوحدة السورية المصرية نتيجة لهذا الضلوع.

عنصراً أساسياً في المعركة الكبرى واعتبار تصفيتهم خيانة قومية عظمى. وبكلمة ثانية يستمرون في أداء مهمتهم نحو أوليائهم.

7 ـ وللحفيد موقف إزاء سورية قبيل النكبة وبعدها يذكر بموقفه من وحدتها مع مصر ويدخل ضمن المسلسل الإستعماري اليهودي له.

فقد أخذ ينشب في داخل تنظيم حزب البعث في سورية صراع بين القادة والقواعد. وفي سنة 1966 كان الصراع دموياً. وقاده الضابط سليم حاطوم الذي كان مندمجاً في الحزب وله أخ ضابط في الجيش اليهودي، والذي ثبتت علاقته الوثيقة بالمخابرات الأميركية، وثبت أنه اندفع بتحريض من هذه المخابرات لإسقاط حكم البعث الذي كانت هذه المخابرات تبذل جهدها في إسقاطه. ولم يتحقق أمل المخابرات في مغامرة حاطوم في المرة الأولى، فكرر مغامرته في السويداء ضد القيادة الجديدة التي حلت محل القيادة السابقة، ولم ينجح للمرة الثانية واضطر إلى الفرار إلى الأردن مع ثلة من زلمه ورفاق له. فتلقاه الحفيد ووصفي التل الذي كان رئيس وزارته ورتبا له ولجماعته المرتبات وهيأ لهم معسكرات التدريب، وصار يستحضر زلماً آخرين من الجبل ويدربهم انتظاراً لفرصة ينقض فيها على سورية وينفذ المهمة الموكولة له، والذي ظهر أن الحفيد ورئيس وزرائه من ورائها بالتضامن مع المخابرات الأميركية. ولا شك في أن أمله في سورية كان من الحوافز والمغريات.

ولما وقعت هزيمة حزيران 1967 لم يشغل بال الحفيد ووصفي التل ـ وكان قد انفصل عن الوزارة وظلت صلته وتضامنه وثيقين بالحفيد والمخابرات وحاطوم والمهمة ـ ما كان من عار الهزيمة وضياع القسم الأغنى والأرقى في قسم من المملكة، وغدوه تحت سنابك اليهود وتهديدهم لما وراءه، وما كان في ذلك من خيانة منهم ونسيان لخدمة الحفيد لهم. وما كان من سيدة الجميع الولايات المتحدة من خيانة له وهو وليهم الحميم، بتركها مملكته فريسة للاحتلال اليهودي. فسارعوا إلى إرسال سليم حاطوم وجماعته إلى سورية بتحريض من المخابرات الأمريكية لينقضوا عليها اغتناماً لفرصة الإرتباك الشديد التي سببته الهزيمة. ولعلهم منوه بملك سورية لتكون له عوضاً عما أخذه اليهود من مملكته. وإن كانت المغامرة لم تنجح لأن حكومة البعث وقيادته الجديدة استطاعت أن تعتقل حاطوم وتحاكمه وتشنقه.

وفي حركة النظام الأردني هذه في هذا الظرف يتجلى أفظع صورة للعمالة والانتهازية وعدم الشعور بالنكبة العظمى من دون ريب.

8) ومن آخر مآثر الحفيد الذي يمكن أن تكون أنكى مآثره في صدد تصفية قضية فلسطين وتثبيت الكيان الصهيوني مشروعه الذي أعلنه في منتصف آذار 1972 باسم المملكة العربية المتحدة في طنطنة وضجة وحركة مسرحية مثيرة بعد مقدمة مملوءة بالمغالطات وتشويهات الحقائق والأحداث وتبجحات فارغة جوفاء، وعلى صورة قانون معد للعرض على البرلمان للتصديق والتنفيذ. يقوم بموجبه اتحاد فدرالي بين الضفة الشرقية والضفة الغربية تحت تاجه، وتكون عمان عاصمته الأولى وعاصمة المملكة معاً، وتكون القدس عاصمته الثانية، وأوسل مشروعه إلى الملوك والرؤساء العرب بواسطة رسل من وزراء سابقين، كما أرسله إلى كبرى الدول الأجنبية تتمة للمسرحية وعلامة على الجد في المشروع وطرحه وتنفيذه.

وللمشروع أبعاد ونتائج هامة في صدد قضية

فلسطين والكيان الصهيوني جعلتنا نسهب فيه بعض الشيء.

والمفروض الذي صرح به هو وصرح به رجال حكومته حينما رأوا علامات الاستفهام والاستغراب الكثيرة ترتفع على مشروعه، أن المشروع هو اقتراح للتنفيذ بعد تحرير الضفة الغربية مع القدس. وهو يعرف أن هذا التحرير لن يتم عربياً إلا بالحرب، في حين أعلن مراراً أنه لن يشترك في حرب ولن ينجر إلى حرب. وأن المشروع بدون حرب والحالة هذه لا يمكن أن يمشي إلا بموافقة اليهود. وهو يعرف أن اليهود مصرون كل الإصرار على عدم التخلي عن القدس ومصممون على الاحتفاظ بمساحة كبيرة على ضفتي نهر الأردن التي أقاموا عليها مستعمرات عسكرية سموها حزام أمن مع قرى وأراضٍ أخرى في أطراف القدس والخليل وطولكرم وجنين وطريق القدس، مما كان تحت السلطة الأردنية، لو تمت تسوية سلمية مع شروط أخرى شديدة مثل تجريد الضفة الغربية من السلاح وعقد معاهدة صلح تتيح لهم التعاون السياسي والثقافي والاقتصادي. والتعهد بالعدول عن أي مطلب في صدد عودة لاجئين إلى الأرض التي تبقى في أيديهم، وبمنع أي انطلاق فدائي ضد هذه الأرض، وباعتبار كل ما يبقى في أيديهم حدوداً شرعية لهم، مع أن أكثر من ثلثها لم تخصص لهم في قرار التقسيم مما يجعل المشروع مسخاً شديد التشويه، ويتيح لإسرائيل كسر جدار الرفض العربي والتسرب عبر المملكة الجديدة إلى بلاد العرب، ويكرس أمنها وينهي ما عرف بقضية فلسطين وحق أهلها في تحرير باقيها، ويضرب ستار النسيان على كل ما اقترفوه ونهبوه. بل ولقد سارع رجال حكومة إسرائيل إلى ذكر كل ذلك تعقيباً على إعلان حسين لمشروعه، بحيث يبدو من كل هذا أن المشروع خيالي لا يتحمل تلك الطنطنة والضجة والتبجحات، وكان يكفي أن يدلي بتصريح فيه وعد بذلك حينما يتم التحرير. وقد سبق له أن فعل ذلك أكثر من مرة بدون ضجةولا طنطنة لو كان ما أعلنه بريئاً من شوائب ودخائل عاجلة أو آجلة، حتى ولو أريد به دغدغة عواطف الفلسطينيين وتهدئة بالهم، مع ما في ذلك من صفاقة بالغة بعد أن اقترف ما اقترف فيهم من جرائم رهيبة ولطخ أيديه وفمه بدمائهم وأعراضهم وأموالهم، وسد على ثوارهم أي مجال لحركتهم التحريرية، وأثار نعرات الكراهية بين أهل الضفتين، واستعدى جيشه البدوي ضدهم وفقاً لرغبات ومخططات الولايات المتحدة وإسرائيل معاً، وأوصلهم بذلك إلى أشد حالات المقت لحكمه والرفض له، ورغم كونه قد ناقض نفسه في مشروعه حيث صرح أكثر من مرة أنه سيترك لأهل فلسطين حرية تقرير مصيرهم بعد التحرير، ثم يفرض عليهم المصير الذي ارتآه أو أوحي إليه.

وكل هذا مما يثير الريب في هذا المشروع بدون ريب. واندماجه التاريخي المستمر مع الولايات المتحدة الذي لم يكد يبلغه اندفاع عملائها في فيتنام ولاووس وكورية وكمبوديا ومع مخططاتها ومآربها في المنطقة. واندماج الولايات المتحدة في ذلك الوقت في مآرب وأهداف اليهود يؤيد ذلك الريب من طرح المشروع بالضجة والطنطنة والتبجحات الفارغة في هذا الوقت الذي يكتنف الموقف العربي ما يكتنفه من ميوعة وجمود وبلبلة، ويجعله هو الوارد الذي يمكن الجزم بأن من أهدافه تصفية الثورة الفلسطينية والقضية الفلسطينية وتطويق زعماء الكيان الفلسطيني نهائياً. . .

ولقد تواترت الأنباء التي تكاد تكون يقينية عن اتصالاته واتصال رجاله مع السلطات اليهودية ومفاوضاتهم في سبيل تسوية سلمية وعقد صلح منفرد. ولقد نادى رئيس الولايات المتحدة ورجالاتها بضرورة تطمين رغبة الشعب الفلسطيني ومنح حق الشخصية والوجود السياسي في وطنه كأساس لابد منه لأية تسوية آتية. إما بإنشاء دولة لهم تحت هيمنة الأمم المتحدة في الأقسام الخارجة عما كان في أيدي اليهود قبل حزيران 1967 أو فدرالية مع إسرائيل، أو فدرالية مع الأردن، مما فيه تكريس للوجود الصهيوني في جميع ما في أيدي اليهود مما هو مخصص لهم وغير مخصص، وتصفية للقضية الفلسطينية.

ولقد سارع الحفيد بعد أيام من إعلان مشروعه إلى واشنطن لعرض مشروعه الذي يلتقي من ناحية ما بقطع النظر عن التفصيل مع ما نادت به الولايات المتحدة. وأحيطت محادثاته بالسرية مع شيء من العطف والتشجيع، حيث يمكن الجزم بأن للولايات المتحدة يداً في وضع هذا المشروع وطرحه، مع الجزم بأنها لم توافق عليه في صورته البراقة التي طرح بها. وحيث يمكن القول إن الحسين أخذ الضوء الأخضر لتسوية ما بينه وبين اليهود على الضفة الغربية، فرأى أن يطرح المشروع براقاً كما تخيل ليكون أساساً للمساومة مع اليهود، فيكون فيه الحد الأقصى من جانبه، فيتقدم اليهود بدورهم بالحد الأقصى لمطالبهم، ثم تتوسط الولايات المتحدة لتقنع كلاً من الطرفين بالتنازل وتتم التسوية. وما بين إسرائيل والولايات المتحدة من انسجام وتواثق في الأهداف والمآرب وما هو معروف من شدة حرص إسرائيل على كسب أكبر كسب ممكن وعدم التخلي عن أي شيء جوهري، وكونها تتحدث من مركز القوة، وكون الحسين في أشد حالات الضعف والعزلة والتفاهة في الوزن، يجعل أية تسوية نتيجة لهذه الوساطة تافهة جداً وواهية جداً.

ولسوف يطرح الحسين حينئذ ما يعطى له ويقول إن هذا هو الذي قدرت عليه، وليس هناك أي إمكان لكفاح مسلح تحريري. وإن إنقاذ ما يمكن إنقاذه هو أفضل من فقد كل شيء، وسيجد أصواتاً عميلة منهزمة في الداخل والخارج مؤيدة له. وهكذا تستحكم حلقات المؤامرة بتصفية قضية فلسطين. . .

ومما يثير السخرية من أجهزة إعلام النظام الأردني بل ومن تصريحات أركان هذا النظام تخبطهم في تقديم المشروع. فهم كما قلنا سارعوا إلى إعلان كونه اقتراحاً ينفذ بعد التحرير من أجل تنظيم ما سموه بالبيت الأردني. ثم نسوا هذا وركبوا رؤوسهم وصاروا يقدمونه كمشروع أصبح رهن التحقيق، وإن في معارضته من قبل حكومات العرب ومنظماتهم تعطيلاً وعرقلة، وإنه أحدث ارتباكاً لإسرائيل وأحبط خططها في الضفة الغربية. وإن العالم والشعب الفلسطيني في الضفتين وهم غالبية الفلسطينيين العظمى رحبوا به كوسيلة مثلى لحل العقدة المعقدة. ووصل الإسفاف في هذه الأجهزة إلى زعم أن ممثلي (فتح) يتفاوضون في نيويورك مع ممثلي إسرائيل مقابل الاتصال معهم على تسليمهم الضفة الغربية وعدم الاتفاق مع الحسين على مشروعه. . .

والذين ربطوا بين الانتخابات البلدية التي جرت في مدن وقرى الضفة الغربية تحت ضغط وحراب اليهود، والتي كان أعلن عنها قبل إعلان

الحسين لمشروعه وبين هذا المشروع ليسوا مخطئين.

ولقد عارض الحسين وحكومته هذه الانتخابات حين الإعلان عنها، وأنذروا كل من يستجيب إليها، ثم سكتوا بل وباركوا بدليل اندماج كثير ممن يعرف ولاؤهم للسلطات الأردنية فيها. ولقد أذيع بأساليب مختلفة أن هذه الانتخابات ستسفر عن ممثلين سياسيين لأهل الضفة يكون لهم حق الكلام عنهم دون غيرهم من خارجها، حيث يمكن القول بجزم أن الانتخابات ستكون مقدمة أو وسيلة إلى تجمع فلسطيني تمثيلي سياسي يقوم بالضغط اليهودي الهاشمي وضغط الظروف والضياع بإعلان تأييد التسوية التي قد تتم نتيجة للمساومة والوساطة[1].

ومن حسن الحظ أن الأمة العربية في مختلف أقطارها وعلى مختلف مستوياتها حكومات وشعوباً وتنظيمات قد أدركت بعفويتها وبما تعرفه من طبيعة النظام الأردني ومواقفه ما وراء هذا المشروع وتوقيت طرحه من مقاصد وأخطار وريب ونتائج بعيدة المدى في قضية فلسطين ومصير العرب الذي ارتبط بهذه القضية، والذي يظل في خطر دائم، ما لم يتحقق للعرب النصر على اليهود وزوال كيانهم من جسم بلادهم، فهبوا صوتاً واحداً قوياً داوياً إلى رفضه ونبذه وكشف أهدافه ونتائجه وقالوا كل ما ذكرناه. وطالبوا بتصعيد الكفاح المسلح كوسيلة وحيدة لتحرير فلسطين وإحباط المؤامرات والتسويات التصفوية، وشددوا في القول أنه ليس للحسين ولا لغيره أن يتكلم باسم فلسطين وتقرير

---

(1) يمكن أن يقال مع هذا إن من المحتمل أن يكون لليهود هدف آخر من اهتمامهم بهذه الانتخابات على المدى البعيد فقد لا تتم تسوية ما، وهو ما يفضلونه في قرارة أنفسهم، حتى تظل جميع الضفة والمساحات التي على شرقها في أيديهم.

وفي سبيل ذلك يكثفون أقصى ما يستطيعون من مختلف أنواع السلاح، حتى يظلوا متفوقين على العرب ويحملوهم على التهيب من استئناف الحرب ـ وفي هذه الحالة فإنهم لا يحبون ضمها ودمجها في دولتهم كما فعلوه في القدس والمناطق التي استولوا عليها عنوة من حصة العرب وقرار التقسيم، لأن أهلها صاروا إسرائيليين جنسية وممارسة. وهم عشر دولتهم تعداداً، فإذا صار أهل الضفة وقطاع غزة مثلهم صار العرب 40٪ من السكان، وفي هذا مشكلة لهم فضلاً عن خطر تكاثرهم وتفوقهم واختلال الصفة اليهودية عن دولتهم. وحينئذ يوعزون للمجالس البلدية المنتخبة الممثلة بزعمهم لأهل الضفة باجتماع سياسي يعلنون به قيام حكم ذاتي تحت هيمنتهم، فيكون لهم مزايا بقاء الضفة في حوزتهم مع زوال ذلك الخطر. ولقد أعلنوا أنهم سيجرون انتخابات للغرف التجارية والزراعية والنقابات، وأنهم سيسلمون للمجالس البلدية المنتخبة إدارة شؤون التعليم والصحة وغير ذلك من الخدمات. وقد يكون هذا مقدمة وتجربة للحكم الذاتي الذي سوف يقيمونه للعرب تحت هيمنتهم، فإذا جنحوا إلى تسوية ما مع النظام الأردني فيكون ذلك منهم مماشاة للولايات المتحدة بعد تحقيق كل ما يريدون من تشويه وبتر وشروط، لأجل أن يكون لهم عبر ذلك امتداد مستريح للأردن وما وراءه، وإعداد لمرحلة قفز جديدة حينما تسنح لهم الفرصة.

ونحن نرجح مع ذلك أنهم يرجحون الاحتفاظ بكل ما في يدهم وإقامة كيان ذاتي للعرب في الضفة الغربية مع قطاع غزة أو بدونه بعد تفريغه من العرب ونقلهم إلى الضفة الغربية وبعد ضم ما يريدون من أرض لدولتهم منها ومع بقاء مخافرهم العسكرية على ضفتي النهر كحاجز آخر. فهم يعرفون أن الفلسطينيين سيظلون يتحركون ويحركون العرب والعالم في سبيل استعادة وطنهم وممارسة حقوقهم القومية فيه. وهذا ما سوف يديم الصراع بينهم وبين العرب ويؤدي إلى مضاعفات تهدد كيانهم، وفي تصورهم أنهم إذا أقاموا للفلسطينيين كياناً ذاتياً حسب ما يخططون له يكونون قد هدأوا من عواطفهم ومطامحهم القومية من جهة وصفوا القضية من جهة أخرى. وقد يكون في تصورهم أن الفلسطينيين بعد أن أوقع النظام الأردني ما أوقعه فيهم من جرائم رهيبة يفضلون هذا الحكم الذاتي على العودة إلى حكم ذلك النظام المجرم.

مصيرها، وأن هذا من حق شعب فلسطين فقط حينما تتاح لهم الحرية التامة بذلك، كما شددوا في دعوة الفلسطينيين إلى تحقيق وحدتهم الوطنية وتوحيد فصائل الثورة ليكون ذلك الجواب الصحيح للمؤامرة.

ولقد كان هذا مما أثير وتقرر في مؤتمري فلسطين الوطني والشعبي اللذين عقدا في القاهرة في الأسبوع الأول من نيسان 1972، وصار من الواجب بذل الجهد في سبيل تحقيق ذلك فعلاً.

ولقد أذاعت أجهزة الإعلام الأردنية برقيات وتصريحات فلسطينية بتأييد المشروع. وهذا بالإرهاب والإرغام من دون ريب كما هو مشهور. ولقد دعي الزعماء الوطنيون الفلسطينيون في الضفة الشرقية والضفة الغربية وقطاع غزة إلى مؤتمر القاهرة، فمنعتهم السلطات الأردنية والإسرائيلية معاً، فأرسلوا مذكرات يشجبون فيها المشروع. ولم تنشر أسماء أصحاب مذكرات الضفة الغربية وقطاع غزة حماية لهم، ولكن الصحف المصرية نشرت أسماء الزعماء الفلسطينيين المقيمين في الضفة الشرقية مع نص مذكرتهم. ومنهم سليمان النابلسي والشيخ عبد الحميد السايح وروحي الخطيب والدكتور داود الحسيني وهاشم الجيوسي وعبد المجيد شومان والدكتور صلاح العنبتاوي والدكتور رفعة عودة وبهجة أبو غربية وياسر عمرو وأديب العامري وابراهيم بكر. وقد جاء في مذكرتهم في صدد المشروع:

1 ـ إن طرح المشروع في هذه الظروف يعني التنازل نهائياً وباسم الشعب الفلسطيني عن معظم فلسطين، واعتبار أن معظم فلسطين هي إسرائيل واقعياً وقانونياً، والانطلاق من أن فلسطين هي في أحسن الحالات مقتصرة على الضفة الغربية وقطاع غزة. وما يترتب على ذلك من إلغاء حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على أرضه ووطنه.

2 ـ إن إسرائيل لن تنسحب مما يسميه المشروع (القطر الفلسطيني) ما لم تتبن أميركا المشروع ويقترن بموافقة إسرائيل. وفي هذه الحالة فإن الإنسحاب سيتم وفقاً للشروط السياسية والإقليمية لإسرائيل.

3 ـ إن إعلان المشروع الآن من شأنه أن يفسح المجال لإسرائيل بتشكيل حكومة محلية لما يسمى بالقطر الفلسطيني تحت الاحتلال، ويتم مع هذه الحكومة ظاهرياً الاتفاق على الشروط السياسية والإقليمية للتسوية النهائية.

4 ـ ينتج عن طرح المشروع وقوع شقاق وانقسام وعداء داخل صفوف الشعب الفلسطيني وإثارة الحساسية بين الفلسطينيين والأردنيين، ودخول الدول العربية جميعها في دوامة جديدة من الصراعات والخلافات مما يزيد البلبلة وإضعاف الأمة وسلبها إرادة القتال. وطالبوا بوجوب الجهد الشديد لإقامة الوحدة الوطنية وتوحيد فصائل المقاومة.

ولا شك في أن مذكرات زعماء الضفة الغربية وقطاع غزة كانت في مثل هذا المآل.

ولقد ذكرت الأهرام أن الملك حسين استدعى زعماء الفلسطينيين في عمان أصحاب المذكرة المذكورة قبل إعلان مشروعه وحدثهم عنه، فنصحوه بعدم إعلانه، وبينوا ما ذكروه في مذكرتهم من أخطار ونتائج[1].

---

(1) حملت أجهزة الإعلام الاردنية على أصحاب المذكرة حينما أعلن خبرها ومآلها وأوعزت السلطات الأردنية لأوليائها وتنظيماتها بطلب إيقاع العقاب عليهم لجرأتهم على مضادة مشروع الملك علناً. وقد أذيع خبر اعتقال بعضهم وقطع =

ولقد أذيع قبل عودة الحسين من واشنطن انصراف العزيمة إلى عقد مؤتمر فلسطيني للرد على مؤتمري القاهرة والحكومات والشعوب العربية وتأييد موقف الحسين ومشروعه تكراراً لموقف الجد تجاه مؤتمر غزة سنة 1948 الذي شرحناه قبل.

وبعد عودة الحسين من واشنطن بأيام أذيع أنه استقبل وفوداً يمثلون أهل فلسطين أو بعبارة أدق أهل الضفة الغربية على اختلاف مستوياتهم، فشرح لهم المشروع وتلقى تأييدهم دون تسمية أسماء وإعلان نصوص إلا إسمان هما من أصحاب الوظائف والمرتبات في نظامه، ونعتقد أن خبر هذا الاستقبال قد ضخم كثيراً، وأن معظم من شهدوه هم من العملاء والأولياء كشأن مؤتمر أريحا في عهد الجد أو بالتهديد والقهر. وإذا كانت حقاً جاءت وفود من الضفة الغربية، فيكون في ذلك دليل جديد على التواطؤ الهاشمي الإسرائيلي على التسوية. لأنه لا يأتي منها أحد إلا بتصريح من السلطة اليهودية.

ولقد حظرت هذه السلطة السفر على المدعوين إلى مؤتمر القاهرة، فلا يمكن أن تسمح إلا لمن هو منسجم معها بطبيعة الحال.

ويجوز أن يكون الملك استعاض بهذا الاستقبال عن فكرة المؤتمر، لأنه عرف أن البارزين من أصحاب الرأي من الفلسطينيين في الضفتين لن يلبوا الدعوة، وقد قالوا كلمتهم المضادة في مذكراتهم إلى مؤتمر القاهرة، وأنه سيقتصر على العملاء والأولياء ولا يضمن التأثير المقصود به. وحتى لو نفذت العزيمة وعقد المؤتمر فلن تكون صفته غير صفة الاستقبال، ولن يشهده إلا العملاء والأولياء والمنسجمون مع السلطات الأردنية والاسرائيلية معاً[1].

ولقد تبجح الحسين في هذا الاستقبال قائلاً بأنه مصر على مشروعه، وأنه هو المشروع القومي الوحيد الذي يحقق حقوق الفلسطينيين ويحبط خطط الصهيونيين، وحمل على الحكومات العربية والهيئات والمنظمات لرفضها، وقال أنها تتخذ من حقوق الفلسطينيين وقضيتهم وسيلة للمتاجرة والمزايدة، وأنه هو وحده صاحب هذه القضية. وما دام قد تلقى التأييد للمشروع من غالبية أهل الضفتين، فإنه سيمضي في مشروعه دون أن يبالي باعتراض الفلسطينيين في الخارج، لأنهم ليسوا إلا قلة، وباعتراض غيرهم لأنهم ليسوا أصحاب هذه القضية، حتى ليكاد يوهم السامعين أن مشروعه في حاله سائر نحو التنفيذ والتحقيق، وتناسي ما قاله أنه معد للتنفيذ بعد التحرير، وأن هذا لن يكون إلا بحرب وقد أعلن أنه لن يحارب. وغفل عما يسوقه اليهود ويصرون عليه من شروط ثقيلة مقابل تنازلهم عن شيء من الضفة بعد مسخها، وغفل عن المثل السائر (إن حبل الكذب قصير ، وإن الثلج سوف يذوب ويبان ما تحته). فإما أن يظهر مشروعه فقاعة صابون نفخها بحركته المسرحية ليتلهى بها ويشغل الناس ويذكرهم بنفسه التي يستصغرونها في مداها وحجمها، ثم لن تلبث أن تطق وتصبح عدماً، لأن المشروع في حالته البراقة لا ينفذ إلا بعد التحرير، والتحرير لا يتم إلا بالحرب،

= مرتبات بعضهم وإهانة وضرب بعضهم وإحاطتهم جميعاً بجو الإرهاب الشديد.

(1) ذكرت الأهرام 17 مارس انه كان عين (15) مارس موعداً للمؤتمر ثم أجّل إلى أجل غير مسمى.

والحرب غير واردة بالنسبة اليه، وإما أن يكون مقدمة لمؤامرة التسوية ينمسخ بها ويكون له من الأبعاد والنتائج ما شرحناه وهو ما يعتقده جمهور العرب الأعظم.

وبعد فإذا كنا نشرح مشروع الحسين وما يمكن أن ينقلب إليه من أبعاد وتسوية تصفوية، فإنما نفعل ذلك من قبيل شرح ما يمكن أن يقع على المدى القريب مع يقيننا أن الشعلة الثورية الكفاحية التي اتقدت في الشعب الفلسطيني لا يمكن أن تنطفىء مهما بدا عليها من ركود أو طرأ عليها من صعوبات داخلية وخارجية، ولن تضعفها أية تسوية عابرة، وأنها سوف تتقد وتتغلب على مصاعبها وركودها وتحطم كل المؤامرات والمتآمرين، ويتعاظم اتقادها حتى تحقق غايتها بكل وسيلة وبكل تصميم وبكل نفس طويل مهما طال الزمن وعظمت التضحيات حتى تحقق غايتها بتقويض الكيان الصهيوني المجرم وتحرير جميع فلسطين وإعادتها إلى أهلها حرة عربية. فضلاً عن كون قضية فلسطين ليست قضية أهل فلسطين ولا قضيةحدود ولاجئين، وإنما هي قضية قومية مصيرية لجميع العرب، وكون العرب على اختلاف أقطارهم ومستوياتهم مدركين ذلك ومدركين أنه لن يكون لهم قرار ولا أمان ولا كرامة ولا إزدهار وتكامل ووحدة وقوة، وفي سرة بلادهم وعقدة صلتها بين مشارقها ومغاربها وشمالها وجنوبها سرطان خبيث يتعاظم ويتكاثر ويتغذى سنوياً بعشرات آلاف اليهود من جميع أنحاء الأرض، وبطاقات اليهود الهائلة التي هي كالأخطبوط الذي يلف جميع الدنيا، ليمتد وينتشر في جميع بلاد العرب وشعاره (إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات). وخطته في إقامتها تلك الخطة الجهنمية التي رسمها قدماء اليهود في الأسفار وطبقوها في سالف الزمن في فلسطين وما جاورها، والتي تقوم على الإبادة الجماعية لأهل البلاد بدون استثناء طفل ولا شيخ ولا امرأة، وتدمير كل معالمهم ونهب أموالهم وتشريد من يبقى منهم حياً او استعباده. ومن أهدافه جعل بلاد العرب الأخرى مجالاً حيوياً له اقتصادياً وثقافياً وسياحياً، وجبلته الطمع بما للغير واستحلاله، والعدوان المستمر، وعدته التآمر مع الإستعمار الذي يريد بقاء العرب مفككين متخاذلين متخلفين مستسلمين لضمان هيمنته عليهم بدوره. وإنهم مهما بدا عليهم الآن من ركود ووهن فإنهم بدورهم سوف يندفعون في مكافحته جنباً إلى جنب مع الشعب الفلسطيني دون هوادة ولا كلل وبكل وسيلة وتصميم ونفس طويل، حتى يجتثوه من جسمهم مهما طال الزمن وعظمت التضحيات، كما فعل أسلافهم في التاريخ القديم مع غزاة بني إسرائيل وغيرهم، وفي التاريخ المتوسط والحديث مع غزاة الإفرنج الصليبيين وغزاة الإستعمار. وإن كل تسوية تصفوية تآمرية سوف تتحطم بدورها بقوة هذا الكفاح. ولسوف يساندهم في ذلك حينما يندفعون إليه مئات ملايين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها الذين يعتبرون تطهير فلسطين منهم واجباً دينياً لأنها مسرى نبيهم وأولى قبلتهم وثالث حرميهم الشريفين. ولسوف تؤيدهم حكومات وشعوب كثيرة في مشارق الأرض ومغاربها من أعداء الاستعمار وخلفائه الصهيونيين. وهذا وذاك مما تبدو بوادره من الآن.

ومهما كان واقع الأمة العربية من تخلف علمياً واقتصادياً وفنياً وذهنياً واجتماعياً وتنظيمياً ووعياً، ومن تفكك واختلاف وتناقض وتنافس، فلا يمكن أن يكابر أحد في أنها في حركة نمو

وفعالية. وإذا قيست حالتها بما كانت عليه قبل خمسين وأربعين وثلاثين سنة، فلا يمكن للمرء إلا أن يرى فرقاً كبيراً نحو الأمام في كل ذلك. ولسوف يستمر هذا ويقوى لأنها حركة مستمرة. ولسوف ينمو عدد العرب، حتى لسوف يصبحون ضعف عددهم الآن في ربع قرن. ولسوف يكونون أثناء ذلك قد قطعوا أشواطاً أخرى نحو الأمام. ولسوف تظل الدولة اليهودية في بحرها الخضم كالزورق الشراعي الذي تلطمه الأمواج حتى تحطمه.

ولقد قارع العرب الحديثون الاستعمار في بلادهم طيلة خمسين سنة، واستطاعوا أن يطهروها منه ويوطدوا استقلالهم، وكانت حالتهم أوهى مما هي عليه الآن في كل شيء...

والبلاد العربية لم تتخلص من الاستعمار الفعلي إلا من سنوات معدودة. وإذا كانت استطاعت أن تقطع شوطاً كبيراً في طريق النمو والنهوض الاقتصادي والعلمي والاجتماعي والسياسي وهي تحت هذا الإستعمار، فإنها تكون أقدر على مضاعفة جهدها وأشواطها بعد أن خلصت منه، وكل البواد تدل على ذلك.

هذا. ولقد يرد على البال سؤال عن الجيش الضخم الذي يحتفظ به النظام الأردني، فنقول إن كل ما يتبجح به رأس هذا النظام وأذنابه عن استعداد هذا الجيش وإعداده لحرب التحرير هو هراء في هراء، وسخرية بالعقول، ولا يصدقه ولا يدعيه ذو عقل. فرأس هذا النظام يكرر مرة بعد مرة أن الحرب آخر ما يفكر فيها، وإنه لن ينجر إلى حرب ولن يشترك في حرب. وتاريخ هذا الجيش ومعظم عناصر تكوينه من حيث كونهم من البدو المرتزقة ومن حيث كونه ليس قائماً على تجنيد إجباري، ثم تاريخ تطوره ومدى تسليحه والمصدر الإستعماري الذي يموله ويجهزه وهو الممول المجهز لليهود. كل ذلك براهين قاطعة عيانية على أن هذا الجيش لم يكن ليوجد لأية مهمة نضالية ضد الصهيونية والاستعمار. وإنما وجد وتضخم وتطور وتسلح للدفاع عن العرش والنظام وحمايتهما، ولقمع أي تمرد داخلي أو الرد على أي تحرك عربي وحسب، ثم للهجوم على أي طرف عربي يغريه به الممول المجهز وتسنح به الفرصة ويكون في ظاهره توسع وأبهة زائفتان لصاحب العرش وفي حقيقته خدمة لهذا الممول المجهز وأهدافه.

وهذا ما قامت وماتزال تقوم عليه البراهين والوقائع القاطعة العيانية[1]. وقد ذكرنا قبل ما كان من آماله وصفقاته ومغامراته في سبيل سورية التي يظنها سهلة عليه، مؤيداً من الولايات المتحدة التي يقض مضجعها أن يكون في سورية حكم مناوىء لها. وهو من أجل ذلك ونتيجة لذلك كل ولائه لصاحب العرش الذي هو الكفيل برزقه ومكافأته والذي يعتبر وجوده رهناً به وحده دون أي إحساس بما يرتكبه بأمر وليه هذا في الشعب من جرائم قمعية رهيبة.

---

(1) من وقائع ذلك في زمن الجد دور جيش الأردن في حراسة الحدود بين فلسطين والأردن وعرقلة حركات ثورات فلسطين. ودوره في حفظ الأمن في بعض أنحاء فلسطين أثناء الحرب العالمية الثانية. ودوره في قمع ثورة العراق ضد الانكليز في سنتي 1940 ـ 1941، ودوره في غزو سورية مع الديغوليين والإنكليز. ودوره في حرب ليبية أثناء الحرب العالمية الثانية. ودوره في حرب فلسطين سنة 1948 الذي شرحناه سابقاً. وفي زمن الحفيد تهيأ الجيش لغزو سورية إثر حركة الانفصال في سنة 1961 التي كان لهذا الحفيد دور فعال فيها على ما شرحناه. وإسهامه في ضرب ثورة اليمن سنة 1961 وبعدها. وإسهامه في ضرب ثورة ظفار منذ سنة 1970 بالإضافة إلى دوره الرهيب في سحق الثورة الفلسطينية وأنصارها في الأردن.

فهذه هي مهمته وكفى[1]. ولايزال الناس يذكرون تصريحات جديدة من الولايات المتحدة ودولة اليهود معاً بأنهما حريصان على بقاء نظام الأردن صامداً قوياً، وأن ما تغدقه عليه الولايات المتحدة من مال وسلاح هو بقصد تقويته إزاء جيرانه العرب الذين قد يطيحون به، ثم لمنع تسرب الأفكار الهدامة! وهذا بالنسبة للأمر القائم، مع ورود الاحتمال دائماً لتحركه نحو أرض عربية ما حين ما تسنح له الفرصة واستعداده لذلك.

ولقد يسأل سائل بعد هذا عن موقف صاحب العرش حينما سارع إلى مصر واتفق مع رئيسها الراحل اتفاق الدفاع العسكري قبيل حزيران 1967، واشترك الجيش الأردني في حرب حزيران، فنقول إن كثيراً من الناس يعتقدون أن ذلك كان بقصد التوريط وبترتيب من المخابرات الأميركية واليهودية. في حين أن هناك كثيراً من الناس يعتقدون أن ذلك كان إنقاذاً لعرشه من احتمال نجاح مصر في معركتها مع اليهود حينما اشتد التوتر وقامت بوادر الحرب. ولا سيما أن دعاية كبيرة كانت تضخم قوة مصر واستعداداها وصواريخها وطياراتها الخ الخ. ولكل من الرأيين وجاهته المستمدة من الظروف والوقائع. ومسألة اشتراك الجيش الأردني في المعركة بدءاً ماتزال موضوع أخذ ورد، حيث سجلت بعض المصادر أن اليهود والولايات المتحدة طلبوا من الحسين عدم الاشتراك في الحرب مقابل عدم المساس بمملكته فتريث فترة ما. ثم غدر اليهود ورأوا أن لا يضيعوا فرصة سانحة لهم وهو دأبهم، فبادروا إلى اكتساح القدس وسائر الضفة الغربية، فلم يكن من الجيش الأردني إلا الرد.

ومهما يكن من أمر فإن مصر لما خسرت المعركة في أمد قصير ارتد الجيش الأردني عنها ذلك الارتداد السريع لا يلوي على شيء، بل وارتد عن مساحة شاسعة من الضفة الشرقية. لأنه لم يكن في أصله مهيئاً للحرب مع اليهود، وخسر أغنى وأرقى وأعمر مملكته، واكتفى بما بقي، مع تبجح ظهر زيفه حتى صار يقيناً بآلاف الشهداء والجرحى والأسرى والدفاع من بيت إلى بيت وجدار إلى جدار وشارع إلى شارع، حيث ثبت أن كل ما استشهد لا يعدو المئات القليلة، وإن شهادتهم كانت من الطائرات المطاردة أثناء ذلك الإرتداد دون مواجهة حرب.

وإذا كان اشتد حرص العاهل بعد ذلك على جلب السلاح وتضخيم الجيش والاهتمام بتطويره، فإن في بقاء معظم عناصره على حالها وتعويله على الولايات المتحدة مرتبات وسلاح وهي التي تمد الدولة اليهودية بكل ذلك وتحيطها بكل رعاية وحماية، براهين قاطعة على أن ذلك ليس بقصد مواجهة اليهود وإنما بقصد مواجهة الأحداث العربية وحسب.

ولقد كان من ذلك ما كان من مطاردة وتنكيل وقمع وتصفية لحركة المقاومة، لأن العاهل رأى فيها خطراً على عرشه، وكان الأميركان واليهود يرون فيها خطراً مماثلاً على وجودهم ومصالحهم، فهدأت بذلك نفسه ونفس مموله ومجهزه، ونفس العدو الصهيوني حينما سار في خطته إلى نهايتها، واستطاع أن ينهي الوجود الفدائي العلني في الساحة الأردنية. ولايزال الناس يذكرون تصريحات رجال الولايات المتحدة المتكررة بأنهم إنما يرسلون إلى الأردن السلاح لتعويضه عما فقده في هذا السبيل...

(1) بل كان هذا شأن معظم عناصر أجهزة النظام المدنية أيضاً، وبخاصة العناصر المسيطرة على هذه الأجهزة، فضلاً عن أن منها في الوقت نفسه من هو عميل شديد الولاء والانسجام مع الاستعمار وأجهزته مباشرة.

(82) رسالة من الكاتب إلى السيد ياسر عرفات
24 شعبان 1932
2 تشرين الأول 1972

الأخ المناضل أبا عمار حفظه الله

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. وبعد فإني متابع بكل قلبي وعواطفي جهادكم وجهودكم وما تعانونه ورفاقكم المناضلون من مشاكل وصعاب. ومواصل دعائي لله تعالى بأن يؤيدكم بتسديده ورعايته، لتتغلبوا على ذلك وتسيروا قدماً في السبيل الكفاحي الذي ترسمتموه حتى النصر النهائي إن شاء الله.

وبعد فقد كان الأخ المناضل أبو جهاد خليل الوزير قد زارني قبل بضعة أشهر حينما طرح الملك العميل مشروعه، وسألني رأيي في ما يدعو إليه البعض من إقامة حكومة فلسطينية في المنفى كجواب إحباطي وتطويقي لهذا المشروع. وقد حذرته من الانسياق وراء هذه الدعوة، وقلت له إن الحركة الفلسطينية السياسية والفدائية تعاني مشاكل كثيرة داخلية وخارجية تكاد تشلها، وإنها ليست في حاجة إلى مشكلة جديدة مثل هذه المشكلة التي سوف تثير من الإشكالات ما يتضاءل معه ما تعانيه الآن، سواء في صدد تشكيل حكومة المنفى أو مركزها وتمويلها ونطاقها وعلاقاتها ونشاطها. وأن في منظمة التحرير ولجنتها التنفيذية ومجلسها الوطني الغناء عن كل ذلك. ولا سيما أنها تتمتع بما يمكن أن تتمتع به حكومة المنفى بدون إشكالاتها بل وبأوسع. فهي معترف بها من جميع الحكومات والجامعة العربية مادياً وسياسياً ثم من جميع أصدقاء العرب. وفي المؤتمرات والمجتمعات الدولية كممثلة وحيدة لفلسطين وحركتها الوطنية السياسية والكفاحية. ولن يتيسر لحكومة المنفى كل ذلك في ما أعتقد. وأن إقامة حكومة منفى ليست ضرورية ولا مجدية في محاربة مشروع الملك العميل الذي لا يخفي ما وراءه من مشاريع تصفوية والذي تحاربه جميع الحكومات العربية بدون استثناء تقريباً وتؤيدها في محاربته جميع الأصدقاء.

والآن وقد طرح الرئيس السادات هذا الموضوع ثانية أعود فأؤكد رأيي بجميع حدوده وتفاصيله المذكورة. وأناشدكم وأناشد رفاقكم المناضلين برفضه وعدم الانسياق مع بريقه الزائف. وليس من محل للقياس بين ظروف الحركة الفلسطينية وظروف الجزائر وفيتنام اللتين أقامتا حكومة منفى. فكل منهما كان يسيطر سيطرة فعلية على رأض شاسعة من وطنه، ويلحظ مع ذلك أنهما لم تقيما حكومتيهما في المنفى إلا بعد أن نضجت حركاتهما الكفاحية، وصار الموقف يتطلب ذلك ويفيده في المجال السياسي. وأين هذا من حركتنا التي هي الآن مع الأسف الشديد في حالة انحسار وتمزق رهيبة. ويجب أن لا نؤخذ بالموقف السلبي الذي تقفه حكومتا الأردن واليهود. فلكلٍ منهما دوافعه وليس للحركة الفلسطينية فيه جدوى ولا ضرورة، ولن يكون لها من ذلك إلا المشاكل والإشكالات.

وأكرر دعائي لكم ولرفاقكم بالتسديد والتغلب على المشاكل والإشكالات وبالنصر النهائي بحول الله وقوته. والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين. والسلام.

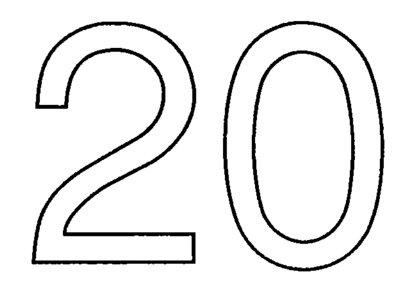
بعونه تعالى
انتهى الجزء التاسع عشر
ويليه الجزء العشرون

سبعة وتسعون عاماً في الحياة

1305 ـ 1404هـ / 1887 ـ 1984م

مذكرات وتسجيلات

محمد عزة دروزة



مجموعة مقالات وبحوث وتعليقات ودراسات
ولقاءات ورسائل في صدد الوحدة العربية
مع
ترجمة شخصية للمؤلف

الجـزء العشرون



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة بين يدي المجموعة ،

نشرت المكتبة العصرية في صيدا في سنة 1974 مجلداً بعنوان (في سبيل القضية الفلسطينية والوحدة العربية ومن وحي النكبة وفي سبيل معالجتها) . ولقد احتوى ذلك المجلد رسائل وبحوثاً ومقالات ومقابلات وتعليقات وتقارير في صدد قضية فلسطين تعاطيتها خلال المدة من سنة 1948 الى سنة 1972 .

ولقد تعاطيت مثل ذلك وخلال المدة نفسها في صدد الوحدة العربية أيضاً . فالقسم الأعظم والأول من مشتملات هذا المجلد الذي بين يدي القارىء هو ما تعاطيته في صدد الوحدة في تلك المدة. باسم (المجلد الثاني) عطفاً على الأول.

[ولقد اقترح غير واحد من إخواننا وأصدقائنا في ظروف عديدة نشر ترجمة لي فيها شيء من التفصيل، فرأيت أن أستجيب اليهم وأثبت ذلك في هذا المجلد أيضاً فيكون قسمه الثاني .

وفي الترجمة جهدي وجهادي في سبيل قضية فلسطين وفي سبيل الوحدة العربية معاً فتكون المناسبة قائمة بين ذلك وبين موضوع المجلدين][1].

ولقد قوبل المجلد الأول مقابلة حسنة من القراء والمشتغلين بالحركة الوطنية ورأوا فيه فوائد وخدمة للقضية الفلسطينية. ولقد كان هذا الجزء مهيئاً للنشر قبل بضع سنين فحالت ظروف متنوعة دون صدوره قبل الآن حيث ضاعت نسخته الأولى وبذلنا الجهد في كتابة نسخة جديدة مما في اليد من أصول ومخطوطات وجذاذات. وإننا لنرجو أن يرى فيه قرّاؤه ما رأوه في المجلد الأول وأن يقابلوه بما قابلوا به ذلك المجلد. والله ولي التوفيق.

رجب 1398
دمشق حزيران 1978

المؤلف

(1) لم نر إثبات الترجمة الذاتية المشار إليها بسبب أن المجلد ذاته ألحق بكامل المذكرات التي تمثل تفصيل الترجمة الذاتية.

***

(1) نشر هذا المقال في أيلول 1948 في جريدة الإنشاء التي تصدر في دمشق، وفي جريدة العالم العربي التي تصدر في القاهرة

الاتحاد العربي

هو العلاج السريع لموقف الأمة العربية العصيب:

كان الهدف الذي استهدفته الحركة العربية منذ دخلت في دور العمل بالثورة الكبرى تحت لواء المغفور له الملك حسين، إقامة دولة عربية مستقلة، تضم الحجاز والشام والعراق.

ولم يكن ليخطر ببال أحد من رجال هذه الحركة، الشاميين والعراقيين، الذين ما يزال كثير منهم أحياء يرزقون، ومنهم من يحمل مسؤولية الحكم، معنى من معاني الإقليمية، أو الكيانات المجزأة.

غير أن هذا الهدف أصيب بنكسة أليمة، بسبب الغدر اللئيم الذي وقع من حلفاء العرب، وخاصة بريطانية، التي تعاقدت معهم باسم الحلفاء، بما اشتركت فيه من مؤامرات ضد العهد الذي قطعته لهم، وجعلتهم يريقون في سبيله دماءهم، سواء في الاتفاق على فصل الحجاز والشام والعراق عن بعض، أو على تجزئة القطر الشامي إلى أجزاء عديدة، ليسيطر على بعضها فرنسة، وعلى بعضها بريطانية، أو في إصدار تصريح بلفور، وارتكابها في سبيل تنفيذه أفظع الآثام وأخبث المنكرات.

وقد كان من جراء هذه النكسة الأليمة، أن انشغل رجال الحركة العربية عن هدفهم ذاك، بحركات النضال الإقليمي ضد ما منيت به أقطارهم من البلاء الاستعماري وشروره، وأن أنهكت قواهم، واستغرقت أوقاتهم بالعمل في نطاق الإقليمية سياسياً واقتصادياً وثقافياً واجتماعياً، وهو ما رمت إليه بريطانية وحلفاؤها الغادرون من مؤامراتهم، ليظل العرب مشتتي الصفوف، منفرطي العقد، منهوكي القوى، وليتيسر لهم بذلك السيطرة عليهم، حسب الخطط الاستعمارية التي رسموها.

على أن هذا لم يكن تاماً نافذاً والحق يقال. فإن رجال العرب وخاصة في القطرين الشامي والعراقي، ما لبثوا أن أخذوا يشعرون بهذه النكسة وآثارها، ويتحدثون في المخرج من المأزق الذي صاروا إليه، وانصرفوا بسببه عن هدفهم، وكان شعورهم متجاوباً. ولقد اجتمع فريق منهم ممن لا يزال كثير منهم أحياء يرزقون، ومنهم من يحمل عبء المسؤولية، في شتاء عام 1931 ، وتذاكروا في الموقف، فجددوا عهد هدفهم الأول بميثاق صرحوا فيه بأن كل تجزئة باطلة، وكل استعمار ظالم، وبأن النضال والعمل الإقليمي لا ينبغي أن يصرفهم عن ذلك الهدف والسعي في تحقيقه، وقرروا عقد مؤتمر عربي قومي، يضع الخطط لتحقيق ذلك الهدف. غير أن بريطانية أقامت العثرات في سبيل عقده.

ثم كانت مباحثات «الوحدة العربية» في مصر - وهذا هو التعبير الذي كان يعبر به عن هذه المباحثات - بين مندوبي الحكومات المصرية والعراقية واللبنانية والسورية والسعودية واليمنية والأردنية، وكان الهدف إنشاء كيان سياسي عربي موحد بين دول هذه الأقطار، فأسفرت لأسباب خاصة وعامة عن كيان الجامعة العربية، وفق دستور قيل عنه، أنه ولو لم يحقق الآمال، فإنه بداية حسنة، ونواة فيها قوة النمو والاتساع والسير إلى ذلك الهدف.

ومهما قيل في شأن الجامعة تأييداً ونقداً، فإنها لم تسر خطوة صحيحة نحو هذا الهدف الى الآن، حتى فيما يتصل بإلغاء الجوازات، فضلاً عن ما هو أهم من ذلك، من مسائل اقتصادية وثقافية ودفاعية وخارجية.

ولقد انصرف معظم جهود الجامعة إلى قضية فلسطين، وهي تستحق ذلك، لأن فلسطين كانت في تاريخ العرب والإسلام عقدة أعصاب الأمم العربية والإسلامية، وما تزال تحافظ على هذه الصفة. ولكن النتائج التي أسفرت عنها هذه الجهود التي استغرقت ثلاث سنوات، كانت أليمة جداً، بحيث صار من الواجب على رجال الحركة العربية التفكير الجدي في الوسائل التي تحقق هدفهم الأول، ثم التي تزيل تلك النتائج الأليمة التي جعلت الأمة العربية ودولها السبع والجامعة العربية في موقف مؤلم جداً، لاسيما بعد أن تفاقم خطر الصهيونية، وصارت الأقطار العربية، وخاصة المجاورة لفلسطين، مهددة تهديداً مباشراً وسريعاً به، فإن هذا الخطر المتفاقم يحتاج إلى جبهة قوية تقف أمامه. وقد ثبت بما لا يتحمل الشك، أن هذه الجبهة لن تكون في نطاق الحالة الراهنة.

والذي نعتقده أن هذه الجبهة لن تكون إلا في نطاق الهدف الأول للحركة العربية. وإذا كنا نعترف، والأسف يملأ نفوسنا، أن المستعمرين قد نجحوا في خلق ذهنية لا تتحمل الدعوة الآن إلى وحدة عربية مطلقة، تتمثل في دولة واحدة، وخاصة في طبقة الحكم والسياسة، في الأقطار العربية، فإن الظروف الخطيرة التي تحدق بالأمة والبلاد والدول العربية، من شأنها أن تيسر الدعوة الى اتحاد عربي، يشمل الشؤون الدفاعية والإقتصادية والخارجية على الأقل، على أن يحتفظ كل قطر عربي بسلطانه وكيانه محلياً. فمثل هذا الاتحاد ينطوي على الجواب القوي للخطر المتفاقم، والوسيلة القوية للتغلب عليه، وإنقاذ فلسطين من محنتها به، والمظهر القوي لحيوية الأمة العربية التي أخذ الأغيار يظنون أنها مفقودة، وعاملوا العرب بما عاملوهم به بسبب هذا الظن. فضلاً عن أنه تحقيق نوعي للهدف الذي استهدفته الحركة العربية، والذي قطع رجالها على أنفسهم العهود بالعمل المتصل لتحقيقه.

وإذا كانت الظروف الدولية أخذت تدفع الدول الأوروبية الغربية، وكل منها جنس مستقل، ولغة مستقلة، وتاريخ مستقل، الى طريق مثل هذا الاتحاد، والخطر الذي يهددها ما يزال في الغيب، وليس هو من نوع الخطر الذي يهدد الأمة والبلاد العربية. فأولى بالأمة العربية مئة مرة، أن تندفع بقوة الظروف الخطرة التي تحدق بها، وبشدة الصدمة الأليمة التي صدمتها في معركة فلسطين، إلى هذا الطريق بكل قوة وسرعة، لأنها أمة واحدة، ذات تاريخ واحد، وأهداف واحدة، ولم يكن الانفصال الذي عاشت في ظله طبيعياً، وإنما هو عمل استعماري ضد مصلحتها، وضد رغبتها وأمنيتها، وهدف حركتها وثورتها.

وإنا لنرجو أن تثير كلمتنا هذه الاهتمام اللائق بموضوعها الخطر، فتتناوله الأقلام والأذهان بالتدبر والتمحيص والتأييد، وأن يكون الموقف الذي تقف الأمة العربية به على مفترق الطرق، حافزاً لكل عاقل مخلص، ذي شأن سياسي أو شعبي في هذه الأمة على اختلاف أقطارهم، بأن يستوحي عقله وضميره، ويدعو إلى تأييد الدعوة إلى هذا الاتحاد بالسرعة الممكنة ويسهم في بنائه.

(2) رسالة الى فخامة الرئيس شكري القوتلي 23 ذو الحجة 1367 15 اكتوبر 1949

تمهيد:

هذه الرسائل من رسائل عديدة تبادلها الكاتب مع الرئيس القوتلي، وأوردها في المجموعة. وقد جاء ذكر الرئيس في مناسبات عديدة أخرى في المجموعة أيضاً، فصار من المناسب والمفيد إيراد كلمة عن صلة الكاتب بالرئيس.

إن هذه الصلة قديمة، ترجع إلى زمن حكومة فيصل في دمشق، حيث ذهب الكاتب من فلسطين إلى دمشق لتمثيل مدينته نابلس في المؤتمر السوري العام (حزيران 1919)، وبقي فيها إلى آخر عهد هذه الحكومة (24 تموز 1920). فتعرف الكاتب على السيد شكري القوتلي الشاب القومي الرصين المستقيم، الذي يقرب سنه من سنه، والذي كان وإياه قبل ذلك، وبدون تعارف، مندمجين في جمعية العربية الفتاة منذ أواخر الدولة العثمانية. وكان التعارف في نطاق اجتماعات هذه الجمعية في عهد حكومة فيصل، فقام بين الشابين انسجام وتوافق وتعاون في مختلف المواقف والأفكار، واتسم ذلك بصداقة حميمة. واستمر ذلك بعد عهد حكومة فيصل، وفي فلسطين ثم في سورية، حيث التقيا مراراً واستمراراً. وكان للكاتب لدى الرئيس أثناء رئاسته للجمهورية التي كان يقيم أثناءها في دمشق مقام أثير، حتى لقد كان موضع سره ومستشاره الأمين. وكان تعاون وثيق بينهما في التطلعات والخطوات الوحدوية، منذ سنة 1949، واستمر كل ذلك إلى أيلول 1961، حيث تعكر صفو الصداقة الحميمة، بسبب موقف الرئيس المؤيد للانفصال المشؤوم، الذي وقع بين سورية ومصر في أيلول 1961، وانفرط به عقد (الجمهورية العربية المتحدة) الذي كان له جهد وموقف عظيمان في قيامها قبل أربع سنين. وحيث أحزن هذا الموقف الكاتب أشد الحزن، وجعله ينقطع عنه بعد موقف عتاب. ولم يعد يراه إلى أن توفاه الله تعالى، بعد مدة غير طويلة. رحمة الله عليه رحمة واسعة.

وهذه الرسالة ورسائل أخرى تبادلها الكاتب مع الرئيس، كانت في ظرف إقامة الرئيس في القطر المصري بين سنتي 1949 ـ 1954.

ولقد حركت الأصابع الخارجية العربية والأجنبية حسني الزعيم، رئيس أركان الجيش السوري، فقام في أواخر شهر آذار 1949 بحركة انقلابية ضد الرئيس، واعتقله مدة، ثم سمح له بالسفر والإقامة في مصر، بمساعٍ من ملكي مصر والسعودية.

ومع أن عهد حسني الزعيم الذي نادى بنفسه رئيساً للجمهورية لم يطل، إلا نحو ثلاثة أشهر، فإن إقامة الرئيس القوتلي في مصر طالت إلى أواخر عام 1954. حيث حركت الأصابع سامي الحناوي، أحد كبار ضباط الجيش السوري، فقام بحركة انقلابية ضد حسني الزعيم، واعتقله وأعدمه. وقامت تحت هيمنته حكومة مدنية برئاسة هاشم الأتاسي في أوائل سنة 1950. ولقد استجابت هذه الحكومة إلى حركة ترمي إلى إقامة اتحاد بين سورية والعراق. فحركت الأصابع أديب الشيشكلي، أحد ضباط الجيش السوري، فقام بانقلاب ثالث، واعتقل الحناوي وأحبط تلك الحركة. وأقدم على اعتقال الوزارة، وعدداً من أعضاء المجلس النيابي، واضطر هاشم الأتاسي إلى الانسحاب. وحينئذ

قامت حكومة عسكرية برئاسة فوزي سلو، أكبر ضباط الجيش بالظاهر، وبسيطرة أديب الشيشكلي، أقوى رجال الجيش. وخطا هذا خطوة جديدة في سنة 1953، ففرض نفسه رئيساً للجمهورية. وظل يحكم إلى أوائل سنة 1954، حيث قامت حركة تذمر عسكري مدني جماعية ضد حكمه، اضطرته إلى الانسحاب. وعاد هاشم الأتاسي ليكمل مدة رئاسته. وسمح الجو الجديد للرئيس القوتلي بالعودة إلى سورية، فعاد في أواخر هذه السنة. وجرت انتخابات نيابية جديدة. ثم ترشح الرئيس القوتلي لرئاسة الجمهورية، بعد انتهاء مدة رئاسة الأتاسي، وتم انتخابه في آب 1955.

نص الرسالة:

سيدي الأخ الجليل حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فقد أرسلت أول أمس إلى فخامتكم كتاباً، جواباً على كتابكم الكريم الأخير، وأزجيت فيه تهنئتي بوصولكم إلى الوطن العربي العزيز. وقد رأيت أن أغتنم سفر الأخ أكرم بك، فأرسل هذا الكتاب، أكرر فيه ابتهاجي بعودتكم موفوري الصحة، ودعائي لله بأن يكون لكم في مقامكم الجديد الراحة وقرة العين، ولأعرض فيه ما رأيت من الواجب عرضه، في صدد ما هو دائر عن حديث الاتحاد السوري العراقي.

مما لا ريب فيه أن تجدد هذا الحديث في هذه الآونة هو ـ بالإضافة إلى أصالة الرغبة فيه في النفوس، على اعتبار أنه من غايات الحركة القومية العربية ـ صدى للكارثة الفلسطينية التي هزت كيان العرب العام هزاً عنيفاً، وأفقدتهم الثقة في أنفسهم، وجعلتهم يرون الخطر يقترب إليهم، ويعتبرون بالهول الفادح الذي ألمّ بإخوانهم ولا يرون لهم منقذاً ولا أملاً في النجاة، إذا ظلوا على حالتهم الحاضرة. وقد نسفت الكارثة كل ماعلّق على تشكيلة الجامعة العربية من أمل، لتكون وسيلة قوة وتضامن عربي، وأعقبها هذه القطيعة المريرة، والبلية الأليمة، بين الحكومات العربية، فازداد موقف العرب بالداخل والخارج، وأمام الأعداء خاصة سوءاً على سوء، وهوناً على هون.

ومن المؤسف أن مصر خاصة، هي التي تتبوأ مركز الزعامة في الأمة العربية. والمفروض أنها الأقوى رشداً، والأكثر إدراكاً لمدى الكارثة. وقد ظلت مندفعة في عاطفة غضبها مما جرى، سواء أكانت على حق أم لا. وكادت تدير للفكرة العربية القومية وغاياتها قفاها، بدلاً من أن تكون هي المفكرة في عملية تعاونية أشد، تنعقد لها فيها راية الزعامة الحقيقية، ويزداد مركزها في العرب وفي الخارج علواً، كما يزداد مركز العرب أنفسهم قوة.

ومهما تكن الأسباب التي أدت إلى هذه النتائج، وسواء أكانت على علم وبيّنة وقصد من مسببيها، أم كانت أثراً لضعف البنية القومية، وارتكاس الأمة في الجهل، وفساد الجهاز الذي يقوم فيها، وقصر نظر زعمائها وقادتها وضيق أفقهم، فقد أخذ الشعور يقوى بضرورة تغيير الحال. وبكلمة ثانية، بضرورة إجراء عملية ما، تكون كرد فعل لهذه الآثار الأليمة، يعيد بقدر ما يمكن إلى الأمة ثقتها بنفسها، ويجعلها ترى فيه شيئاً جديداً، يبعث فيها الأمل بالتحسن واتقاء الخطر المحدق بها من جهة، ويهيؤها للانتقام لشرفها المهان، وكرامتها الجريحة، ووطنها السليب من جهة أخرى.

ولقد كانت بلاد الشام والعراق في الأصل منبت الحركة القومية التي تهدف إلى بناء أمة

واحدة وكيان واحد. ولقد كانت فكرة الاتحاد تتراوح من آن لآخر فيهما، وخاصة في سوريا، في كل مناسبة عصيبة. وإنكم لتذكرون فخامتكم أن آخر قرار، ختم به مجلس النواب السوري حياته عام 1939، هو إعلان الرغبة في هذا الاتحاد. فمن الطبيعي جداً أن تنبثق فيهما هذه الفكرة بعد الكارثة التي ألمت بالعرب. على أن انبثاقها ليس جديداً الآن، بل إنه يعود إلى بعد الكارثة مباشرة. وأخذ الكثير منا يعيد ويبدي فيه كما تذكرون فخامتكم. غير أن موقف مصر وانشلال الجامعة والهزات التي توالت على سوريا في الحقبة الأخيرة كانت من أسباب اشتداد الرغبة في تحقيقها.

ولقد سنحت الفرصة بهذه العملية حينما جرت مشاورات الوحدة العربية أثناء الحرب، وأدت إلى قيام الجامعة بميثاقها الضعيف. وكان ممثلو سورية والعراق، يعلنون رغبتهم فيها واستعدادهم لها. ولكن موقف الملك عبد العزيز ومصر ولبنان ـ وكل منهم يتأثر باعتبارات محلية وليست قومية، كان حائلاً دون تحقيقها إجماعية، كما أن سورية والعراق لم يرزقا العزيمة والإقدام على تحقيقها منفردين، فضاعت فرصة، ربما كانت تحول دون الكارثة الأليمة.

ومهما تكن الملاحظات التي ترد على هذه الرغبة صحيحة كلها أو بعضها، فإنها كما قلت صدى للكارثة الأليمة التي لا مندوحة للعرب من إجراء عملية ما تكون رد فعل لها، ولا سيما أنهم فقدوا كل أمل في التعاون واستعادة الأمل في ظل الجامعة العربية على شكلها الحاضر. علماً أن هناك مساعي وبحوثاً في صدد اتقاء ما يمكن أن يرد من ملاحظات أو ينتج من مضاعفات. . .

ولقد اندمج في هذه الرغبة جل إخوانكم الذين عملوا في الحركة العربية بإخلاص، وكثيرون غيرهم ممن اتصل جهاده وجهوده بجهادهم وجهودهم. كما اندمج فيها جميع أحزاب سورية، سواء التي في الحكم أو الخارجة عنه. بل إن الخارجة عنه، وأعني الحزب الوطني، وبعض أركان ما يسمى بالحزب الجمهوري، أشد فيها ممن هم في الحكم.

فالوقوف ضد هذه الرغبة الشاملة ضار بالمصلحة القومية العامة، وفيه تحمل لمسؤولية ضياع الفرصة مرة أخرى. وإني أربأ بفخامتكم أن تقفوا هذا الموقف، ولا سيما أن لسورية في تحقيقها منافع اقتصادية وغير اقتصادية أشد وأقوى، فضلاً عن شعورها بالانفراد في الميدان، وتهددها بالخطر أكثر من غيرها، بسبب هذا الانفراد. بحيث يجعلها ترى في مضادة الرغبة مضادة للصميم من منافعها. فإذا لم تروا تأييداً للرغبة، وبذل التوجيهات المفيدة في وسائل تحقيقها على الوجه الأفضل، مع أني اتمنى هذا من كل قلبي، ويشاركني فيه إخوانكم. فالأفضل والأكرم على ما أعتقد أن تقفوا موقف المرتقب على الأقل.

أقول هذا، وأنا لا أدعي أن هذه العملية إذا قدر لها التحقيق، ستكون سحراً، وستنتقل الأمة بها في مدى قريب من الحضيض إلى الذروة، لأن هذا منوط بطبيعة الحال ببنية الأمة التي ماتزال ضعيفة جداً، ولكنها على كل حال عملية لا مندوحة عنها، أوعمّا يماثلها، كما قلت آنفاً، كوسيلة إلى دفع الأخطار المحدقة بالعرب، وبخاصة بسورية، ثم إلى إعادة الثقة وإنعاش الأمل. وكإعلان للعالم، والأعداء خاصة، أن العرب يسيرون في طريق مجدٍ في

صدد حماية كيانهم ومستقبلهم وكرامتهم وثأرهم. وليس أحب على النفوس من أن يستطاع حمل مصر على الدخول فيها، بل وتبنيها، فيكون حينئذ اتحاد عربي عام بزعامتها، ويتحقق الأمل الذي سرنا وراءه أربعين عاماً. ويعيد التاريخ نفسه في جهاد الصليبيين الذي كان عاملاً في قيام مثل هذا الاتحاد، تحت هذه الزعامة، والذي كان العامل الأكبر في النجاح في ذلك الجهاد. ويذهب بأسباب المخاوف النفسية التي تساور أناساً كثيرين من رجالات سورية، من مصالح الأسرة الهاشمية الذاتية، وكونها الحافز الأقوى في الحركة. ويجعل من الدول العربية المتحدة قوة لها وزنها في ميدان السياسة، ولها مسوغات الإملاء والمساومة المثمرة فيه. وإذا كانت دول أوروبا المختلفة جنساً ولغة ومصالح وأمزجة، تجمعت في اتحاد سياسي واقتصادي وعسكري وبرلماني، لتستعيد نشاطها بعد كارثة الحرب، وتدفع ما يهددها من خطر لايزال بعيداً وغير واقعي. فالعرب أولى بمثل هذا من جميع الوجوه، وإن وقته هو الآن، لأني أعتقد، ويشاركني في عقيدتي الكثيرون، أنه سيحال بينهم وبينه بالقوة بعد أمد ما. وإني لأخشى، بل لأكاد أقول أن هناك دسائس وألاعيب يهودية وغير يهودية، هي التي تدفع مصر إلى الوقوف موقف المتجهم من مثل هذا المشروع، بل من الحركة العزبية، والاندماج فيها أكثر من الضغينة على العراق والأردن والإنكليز.

إن هذا ميدان جليل، فيه مجال لجهد إيجابي عظيم النفع. وأنتم أولى الناس به، وأقدرهم عليه. وإني أتمنى من كل قلبي أن تركزوا مساعيكم فيه، وأنا واثق أنكم تستطيعون أن تبصروا جلالة الفاروق في الموقف، وتقنعوه بالإقدام على الدخول فيه وتبنيه. وإذا تم هذا، فإنكم تكونون قد أسديتم لفكرتنا القومية العزيزة يداً جديدة خالدة إلى أياديكم. وصار في الإمكان حينئذ تفادي إنفراد سورية والعراق في التكتل، وتفادي ما قد يكون لهذا الإنفراد من آثار في الأقطار العربية الأخرى. ومن الممكن حمل الملك عبد العزيز على الحركة في هذا الميدان أيضاً.

وما أعرفه من المكانة العظيمة لكم في نفس جلالة الملكين، يبعث فيّ الأمل على نجاح هذه الجهود الإيجابية التي هذا الظرف أفضل ظروفها، وأضمنها للنجاح فيها.

وإني لأرجو أن تقابلوا كتابي هذا برحابة الصدر التي عهدتها في فخامتكم. وأن تكون لما جاء فيه من الوقع، ما آمله في عظيم إخلاصكم ووطنيتكم وتجردكم. وأسأل الله أن يسدد خطاكم إلى ما فيه الخير والمصلحة، وأن يكلأكم برعايته وتوفيقه.

23 ذي الحجة 1367

15 اكتوبر 1949

***

(3) تعقيب وتوضيح وتسجيل جهود في سبيل الوحدة ومددها إلى أن تحققت الوحدة السورية المصرية:

كتبنا الكتاب السابق للرئيس شكري القوتلي، حينما لم يكن إمكان للتفكير في عمل وحدوي من جانب مصر أو معها، لا من ناحية حكمها القائم، واحتلال الإنكليز، ولا من ناحية ضعف الشعور العربي، والنكسة التي كانت فيها ضد العروبة، بسبب حركات النقب وحرب فلسطين، ومفاوضات الهدنة الانفرادية، مما

فصلناه في الجزء الخامس من كتابنا، حول الحركة العربية، الذي صار الجزء الثاني من كتابنا القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها. وكان الظاهر أن الاتحاد السوري العراقي ممكن التحقيق، بل لقد سير فيه بعض الخطوات في نطاق انقلاب الحناوى وقبل انقلاب الشيشكلي على الحناوي.

ولقد جعلتنا الأحداث التي كانت في سنة 1949، والانقلابات التي توالت على سورية، على مثل اليقين أن الأصابع الإنكليزية هي وراء ذلك. لذلك تحولت أنا عن الفكرة والدعوة إلى ذلك، وكان مظهر تحولي ما كتبته في كتابي (مشاكل العالم العربي) الذي كتبته سنة 1953 ونشر في سنة 1954 حيث رشحت مصر لتبني الدعوة إلى الوحدة. ثم قوي هذا الاتجاه فيّ، وأيدني فيه معين الماضي، وصرنا نسعى معاً لإيجاد جماعة من ذوي المقامات والنفوذ، ومن ذوي الروح القومية والوحدوية في سورية، لتكوين جهاز شعبي، يدعو إلى الاتحاد بين سورية ومصر أولا، وكان مما شجعنا على هذا ثورة الضباط الأحرار في مصر، وإطاحتهم بالنظام الملكي والأحزاب القائدة في تموز 1952، واندفاعهم في الاندماج بالعروبة. وقد فاتحنا محمد العايش، أحد الأعضاء البارزين في مجلس النواب السوري، وعلي الدندشي أحد الشباب القوميين الوحدويين البارزين، وزميل مثله هو الدكتور سعيد الإمام في الأمر، وأخذنا موافقة على اندماجهم في حركة الدعوة إلى الاتحاد المصري الشامي، وعضويتهم في جهاز لها. ثم زرت الدكتور ناظم القدسي، رئيس مجلس النواب في سنة 1953، ولطفي الحفار من بارزي رجالات سورية ونوابها، وحدثتهم في الأمر. وقد قابلا حديثي باستغراب، لأن الأذهان كانت متجهة إلى فائدة وإمكانية الاتحاد بين سورية والعراق وحسب، وحاولت إقناعهما. وتظاهر ناظم بالاقتناع دون لطفي. وحدثت كذلك بهجة الشهابي، أحد أبرز رجالات جمعية الفتاة، وأصدقائنا في الحركة العربية القومية، وكان هو وبعض أشخاص آخرين، منهم الدكتور أحمد قدري، وعبد القادر الميداني، من شبابنا القوميين النابهين، ونصوح الأيوبي زميله، يتحركون في سبيل تأليف حزب يدعو إلى الاتحاد العربي، مبتدئاً بالاتحاد السوري العراقي. وقد تجاوبوا معنا، وبخاصة بهجة، الذي كنا دائماً على انسجام وتواثق معه. وفي هذه الأثناء كانت حركة الشيشكلي التي أدت إلى حل مجلس النواب، واعتقال الوزارة، واستقالة هاشم الأتاسي من رئاسة الجمهورية، ثم إعلان نفسه رئيساً للجمهورية، فتوقفت المساعي أو تجمدت، إلى أن انزاح كابوسه، فعدنا إلى مساعينا، وأخذنا نتكاتب مع الرئيس شكري القوتلي استئنافاً. وفي سنة 1955 كان حلف بغداد. وقامت الجبهة العربية بين مصر وسورية والسعودية ضده، وانعقد ميثاق بين الدول الثلاث لإنشاء منظمة متحدة عسكرياً واقتصادياً وسياسياً. غير أنها كانت دون الاتحاد أو الوحدة، فكتبت للرئيس القوتلي، وكان مايزال في مصر، ولصبري العسلي ولصلاح سالم أحد أبرز رجال ضباط مصر الأحرار الذي جاء إلى سورية مبعوثاً من مصر، لأجل تركيز المنظمة. وكتبت لجمال عبد الناصر كذلك رسائل مفصلة، مبيناً للثغرة في كيان المنظمة المتحدة، وداعياً إلى الاتحاد الفعلي الإجرائي. ورسائلي هذه سوف ترد بعد. ثم عاد الرئيس شكري إلى سورية، وانتخب ثانية للرئاسة، فاستمرت

مساعينا، إلى أن تكللت والحمد لله بالنجاح الباهر الذي تمثل في قيام (الجمهورية العربية المتحدة) المؤلفة من سورية ومصر، والذي كان أوسع مما كنا نرضى به، ونرمي إليه، حيث كانت (وحدة) بدلاً من (اتحاد).

والحق أن الرئيس شكري القوتلي تجاوب معنا أشد تجاوب، وكان يطلب مني أن أضع الخطط والمناهج ليتحدث مع جمال عبد الناصر في نطاقها، حينما يذهب لزيارته. وكان يعود أحياناً بشيء من التشاؤم، لأن جمالاً وسعوداً في سنتي 1955 ـ 1956 كانا لا يتجاوبان معه في صدد وحدة أو اتحاد. وكان جمال يتخوف من عواقب الاتحاد أو الوحدة الاقتصادية والسياسية. ولقد أخذ تيار الاتحاد مع مصر يقوى في أواخر سنة 1955، حتى نفذ إلى الحكومة، بفضل توصية الرئيس شكري، وإصراره اللذين كان لي جهد فيهما. وقد انقسم الحزب الوطني الذي كان صبري العسلي رئيس الوزارة سكرتيره العام، غير أن الفريق الذي كان مع صبري، والذي كان متجاوباً مع الرئيس شكري في تشغيل الاتحاد مع مصر، تغلب على الفريق الآخر ذي الميول إلى الاتحاد مع العراق. وأدى هذا إلى مجاراة حزب الشعب للتيار. وكان حزب البعث أيضاً متجاوباً معه، فكان لكل هذا أثر قوي في المجلس النيابي السوري، وفي المجلس الوزاري السوري. وحسم هذا المجلس النيابي، فقرر في تموز 1956 تبني الدعوة إلى الاتحاد، بدءاً من مصر، ونال هذا إجماع المجلس النيابي، فلم يكن من الرئيس جمال عبد الناصر إلا أن أعلن ترحيبه بالقرار، واستعداده للأخذ به. وفي هذه الأثناء طرأت مشكلة قناة السويس وتأميمها (آب 1956)، والعدوان الثلاثي الإفرنسي الإنكليزي الإسرائيلي على مصر، فشغل الناس عن موضوع الاتحاد فترة ما. وكان هذا الإنشغال مما هدف إليه ذلك العدوان على ما ذكره إيدن رئيس الوزارة البريطانية في مذكراته حيث قال: إن من أهداف العدوان الحيلولة دون اتحاد مصر وسورية، تنفيذاً لقرار مجلس النواب السوري، فلما انكشفت غمة العدوان، وانخذل المعتدون، وهدأت الأمور، استوثقت المساعي والخطوات في سنة 1957، حتى وصلت إلى نهايتها السعيدة على ما ذكرناه في ملحق كتابنا (الوحدة العربية). ولا شك في أن إخفاق العدوان، وارتداد المعتدين أذلة صاغرين، كان ذا أثر إيجابي قوي في إتمام الخطوة، بالإضافة إلى عوامل محلية أخرى. والحمد لله أولاً وآخراً.

ولقد كتبنا ملحقاً ألحقناه بكتابنا (الوحدة العربية) الذي كتبناه ونشرناه في هذه الظروف، وقد شرحنا في الملحق الخطوات التي انتهت إلى هذه النتيجة، وأوردنا نصوص المواثيق الاتحادية المتفق عليها، كما أوردنا تفصيل حادث انضمام اليمن إلى الاتحاد السوري المصري والميثاق المتفق عليه في صدده. وحادث قيام الاتحاد الهاشمي في هذا الظرف، والذي ضم المملكتين الهاشميتين العراقية والأردنية، وما أعلن من نصوص في صدد ذلك.

هذا وننبه على أن هذا التعقيب سجل في الورقة التي كتب عليها مسودة رسالة الكاتب إلى الرئيس القوتلي. والراجح أن التسجيل كان عقب قيام (الجمهورية العربية المتحدة) بقصد توضيح الظروف والمساعي المبذولة في سبيل الوحدة. ومن الأحداث المثيرة في أثناء قيام الوحدة ما كان من محاولة رشوة عبد الحميد السراج أحد كبار ضباط الجيش السوري

وأقوياثهم بقصد تعطيل إعلان الوحدة المذكورة في ظروف الاستفتاء عليها بعملية عسكرية. وقد أذاعت الصحف الخبر ونشرت صورة الشيك بمليون جنيه المسحوب من البنك العربي في الرياض لأمر السراج والمرسل إليه. وعرف بأن الشيك أعطي من جانب الملك سعود وإن كان أنكر. وقد سلم السراج الشيك للرئيس جمال الذي أمر بقيده لحساب مشاريع خيرية في سورية. ولقد كان الملك سعود متضامناً مع مصر وسورية، ضد حلف بغداد إلى ما بعد العدوان الثلاثي. ثم انقلب بعد رحلة قام بها إلى الولايات المتحدة، وصار يسير في فلكها. وكانت ركناً غير رسمي في حلف بغداد.

وقد نشرت الأهرام في عدد الخميس 15 شعبان 1377 و 6 مارس 1958 تفاصيل هذا الحادث، بعنوان أغرب من الخيال؛ ونشرت صورة الشيك المسحوب من البنك العربي في الرياض على بنك ميدلاند بمليون جنيه لأمر السراج.

ولقد قيل إن تيارات في الجيش السوري كانت متعاكسة مع الوحدة وضدها، وأن سورية تعرضت لدسائس وأصابع أجنبية وتخريبية، بقصد منع وحدتها مع مصر، وضمها إلى التاج الهاشمي البغدادي، وأن كل هذا مما عجل إعلان الوحدة. وقد يكون هذا صحيحاً. وقد ظهرت آثاره فيما كان من موقف سلبي مضاد للوحدة، ترأسه عفيف البزره رئيس أركان الجيش السوري الشيوعي النزعة، وموقف إيجابي قومي ترأسه عبد الحميد السراج. وفيما ظهر من مؤامرات تخريبية غذيت بأموال وسلاح من العراق والمخابرات الأميركية، وكشفت وحوكم رجالها البارزون.

ولكن ليس من شأن ذلك تغطية الجهود والتطلعات المبذولة التي اشتدت في سبيل الوحدة، وبخاصة الوحدة السورية المصرية قبل العدوان الثلاثي على ما مر شرحه. بل من الحق أن يقال أن المواقف المضادة السلبية، إنما كانت لتعويق تلك الجهود والتطلعات التي كانت مشتدة.

ولقد كان العدوان الثلاثي الأثيم مناسبة لتداعي رجال العرب القوميين من مختلف الأقطار إلى عقد مؤتمر شعبي قومي في دمشق لمناصرة مصر ضد العدوان، وإعلان تضامن وتناصر الشعوب العربية، وعقد المؤتمر فعلاً في أواخر آب 1956 برئاسة السيد حميد فرنجية القومي اللبناني المعروف. وكنت من دعا اليه واشترك في صوغ قراراته التي أعلنت تضامن الشعوب العربية، وشدة تطلعها ورغبتها في الوحدة، وتصميمها على مكافحة الاستعمار وأداتها العدوان الثلاثي الأثيم.

ومما يسجل من أثر موقف حزب البعث العربي. فقد كان الرئيس جمال متخوفاً من وجود أحزاب عديدة في سورية، وكان يسوق ذلك كبوادر لما سوف يعترض الوحدة من عثرات ومحرجات. وكان أهم هذه الأحزاب إذ ذاك بصورة رسمية وعلنية هو حزب البعث العربي الاشتراكي، فبادر القائمون عليه إلى إعلان استعدادهم لحل الحزب تيسيراً لقيام الوحدة، وإزالة للمخاوف من العثرات والمحرجات. ثم نفذوا ذلك فقرروا تجميد الحزب. وكان لذلك أثر إيجابي في مصر وسورية معا. ولقد أثار ذلك إعجابي وإكباري، فكتبت كلمة نشرتها جريدة البعث، سجلت فيها ذلك الإكبار والإعجاب، وأثنيت على الروح القومية الوطنية الوحدوية التي أملت هذا الموقف.

(4) رسالة إلى الكاتب من الرئيس شكري القوتلي 6 تشرين ثاني 1949

أخي الجليل حفظه الله.

تسلمت كتابيك الثاني ثم الأول، إذ وصلني الأخير متأخراً، أما الثاني فهو الذي عليه المعول، وقد شكرت لك دوام حسن ظنك، كما شكرت لك حسن توجيهك في كل ما جاء في كتابك من تفصيل وإيضاح. وقد نم كتابك على أنك مازلت في الصف الأول بين كل من إخوانك في حسن التوجيه، وأنك المرجع الذي كان ومازال إخوانك يرجعون إليه في الأزمات، وفي المحن الحالكات. حفظك المولى لأمتك قدر إخلاصك لها، وأمتعك بالصحة والعافية، وكلأك بعين رعايته، قدر ما هي بحاجة إليك، وإلى آرائك الحصيفة، وإلى إرشادك السديد. كأني في اليوم الذي تسلمت فيه كتابك الثاني، وهو الذي بعث به إلي السيد أكرم من القاهرة، كأني استوحيت عملي وركزت جهدي على ما جاء في كتابك قبل وصوله بثلاثة أيام، بل كأنك كنت معي وبجانبي، تخط ما بحثته هنا مع من يجب البحث معه بشأن زعامة هذا البلد وعروبته وقيادته، والفائدة العائدة عليه من ذلك، والحرص على استبقاء هذه الفائدة، والاستزادة منها، وتقويتها، وما يعلق عليه وما ينتظر في طيات التاريخ المقبل منه من رجاء وآمال، وما يفضي ذلك كله من حسنات تعود على هذا البلد أولاً، وبالتالي على المجموعة العربية بالخير. أقول كأنك كنت معي عند بحث هذا الموضوع بإيضاح وإسهاب، بل كأني استوحيت ما جاء في كتابك وأنت تكتبه، وتخط فيه آراءك السديدة، وأفكارك الصائبة، إذ كنت في ذلك اليوم أبدي نفس الملاحظات الواردة في كتابك. أي أن كتابك مؤرخ 15 تشرين الأول، وكان حديثي في نفس الموضوع في اليوم ذاته. وكان في نفس المعنى الوارد في كتابك. وهكذا لم نختلف يوماً منذ عرفتك وعرفتني، حتى أن الاتفاق دوماً في التفكير وفي وقته، ولو كنا على بعد غير قليل، وبعد انقطاع غير قصير.

إن ما جاء في كتابك عن التحالف العام جاء بشكل كأنك أمليته بنفسك إملاء، وها إن المشروع بعد أن أقر مبدئياً بالإجماع، سوف يجري البحث فيه بعد غدٍ بصورة مفصلة، فأرجو الله أن تصفو النيات، وتشحذ الهمم والعزائم، للسير في بحث الموضوع، ووضع خططه وصيغه بسرعة وحزم وإيضاح وتفصيل. أما هنا فإن العزم موفور، والحزم موجود، والسرعة مطلوبة، والخطر المداهم موضوع نصب العين، وأكبر دليل على ذلك، وأقربه ما جرى لإسماعيل صدقي، عندما تعرض لنقد المشروع وما لحقه من تأنيب، أدى إلى تراجع ملموس ومفضوح. وإنك متتبع ولا شك بأن المشروع لقي كل تحبيذ لدى مختلف الهيآت، وشتى الأحزاب، ما يجعل ذلك مضموناً ومتفقاً عليه من الجميع. لهذا أرجو أن نكون جميعاً عاملين على تحقيق الفكرة، والعمل على تأمين إخراج هذا المشروع إلى حيز العمل التنفيذي بأسرع وقت ممكن، وبما يستحقه هذا الموضوع من حزم وعزم، بعد الإيمان به والاعتقاد به، كما أوضحتم ذلك في كتابكم، وإن العمل بجد على إزالة كل العقبات من طريقه. راجياً من الله حسن الختام، متمنياً أن تجني الأمة العربية من وراء هذا المشروع ثمرة يانعة مدعومة بالقوة التي تؤيد حقها، وترد عنها

كيد الطامعين، وتدفع عنها أيدي الأغيار المجتاحين.

سلامي وتحياتي إليك، وإلى الإخوان الاعزاء، وخاصة إلى أبي الحكم أخيكم، والسيد زهير شبلكم العزيز، حفظكم المولى وإياهم، ومتعكم بأتم الصحة والعافية، وتولى رعايتكم بالجزيل من عنايته.

6 تشرين الثاني 1949

أخوكم

شكري القوتلي

***

(5) رسالة من الكاتب إلى الرئيس شكري القوتلي 1949/11/16

سيدي الأخ الجليل حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ودعاء الله بأن تكونوا والأسرة الكريمة في خير حال من موفور العافية والراحة.

وبعد فقد تشرفت بكتابكم الكريم وحمدت الله عز وجل على دوام نعمته عليكم بالصحة والراحة والنشاط. ولقد اغتبطت جداً بما أفضتم عليّ فيه من حسن ثقتكم وكريم عاطفتكم اللذين كنت ومازلت أعتز بهما. ومما لا ريب فيه أن ما بيننا من وحدة أخوية ومبدئية ونضالية طويلة كان لها الأثر الكبير في تجاوب روحينا وتوافق تفكيرنا وانسجام اتجاهاتنا، فليسدى أجزل الشكر والثناء. ولقد حسبت قبل أن يصل إلي كتابكم أن لكم يداً طائلة في فكرة الضمان الجماعي التي اقترحتها مصر، لأني على يقين من أنكم من أكثرنا تألماً مما حل في أمتنا من نكبة وهوان. ومن أكثرنا يقيناً بوجوب تلافي ذلك، والعمل على عملية رد فعل تعيد إلى الأمة ثقتها في نفسها، وتفسد العار الذي لبسها في شرفها ووطنها، وتهيؤها لتوطيد الأمور في نصابها الحق في فلسطين، ومواجهة الأخطار التي تهددها. ولقد اغتبطت أيما اغتباط حين عرفت اليقين في ذلك، ودعوت الله بأن يكلل جهودكم بالنجاح والتوفيق، وأن يجزيكم عن أمتكم خير الجزاء..

ومما لا ريب فيه أن فكرة الضمان إذا أمكن نقلها إلى ميدان التنفيذ فإنها سوف تسد الثغرة وتحقق الأمل المرجو، وتقوي من رابطة التضامن بين جميع البلاد العربية على أفضل وجه. غير أن المهم فيها لتحقيق ذلك أن تكون قوية شاملة نصاً وروحاً وعزماً. وأن لا تستغرق من البحوث والدراسات فيها أمداً طويلاً، وأخوف ما يخيفنا أن تخرج ضعيفة متهافتة من حيث النص والمدى والروح، وأن تضيع بهجتها في طول مدة الدراسة والبحث، فإن هذا يؤدي إلى فتور العزائم وانكسار الآمال، وانبثاث الهواجس والشكوك في البواعث والخوافي، وفي هذا ما فيه من الخطر ورد الفعل. ولا سيما أن عدونا القريب غير غافل عن تقوية نفسه وترسيخ قدمه واستغلال كل فرصة وثغرة ودقيقة، كما أن مركز العرب العالمي سيزداد ضعفاً وهواناً إذا ما كانت النتيجة هزيلة. وإذا كنا جميعاً نفضل الضمان الجماعي على الضمان الثنائي، فإن الشرط الأساسي هو أن يجيء ذلك قوياً وشاملاً وسريعاً، وأن يكون خطوة صحيحة وجريئة إلى الاتحاد في الشؤون العسكرية والإقتصادية، بحيث يتناول وحدة القيادة ووحدة الأركان الحربية ووحدة الخطط والتنظيم والسلاح والميزانية الدفاعية والتعاون المالي

فيـه، وبحيث يتناول كـذلـك نسف الحـواجـز والعـراقيل أمـام النشـاط الإقتصـادي. أمـا إذا استغرق وقتاً طويلاً، وأسفـر عن نتيجة هـزيلة مهلهلة فاقدة الروح والحقيقة، وليست إلا من قبيل المراسم والشكليات، فإنه يفقد أفضليته، وتصبـح سوريـة مضطرة إلى التضـامن مع من تستطيع التضامن معه من أقطار العرب، تضامناً يضمن ذلك الشرط الأساسي، والذي يرى كثير من إخوانكم أن السبيل إليه هو الاتحاد السوري العراقي، لأن سورية أشد البلاد تعرضاً للخطر، ومجالاً سهلاً له في حالتها الانعزالية الراهنـة، كما هي أشد البلاد شعوراً بألم النكبة وذلتها، وحاجة إلى الانطلاق وانفتاح الآفاق أمام ذلك. ويتـرتب علينـا جميعـاً حينئـذ أن نتضـامن في تحقيق هذا الاتحاد وتوجيهه على أفضل الوجوه وأسلمها.

إن فخامتكم الآن في ظرف ومكان يساعدان على مضاعفة الجهد والسعي في سبيل النتيجة الفضلى الشاملة القوية في أسرع وقت ممكن، وكتـابكم الكريم يحتـوي مـا يبعث في النفس الطمأنينة من هذه الناحية.

ومـا دمتم قد خـطوتم خطوتكم المبـاركـة، وتقـدمتم لحمـل نصيبكم المفـروض من هـذا العبء العظيم، فقد أصبحتم مناط الأمل الكبير في تحقيق الفكرة على أفضل الوجوه وفي أسرع وقت ممكن، بحيث تجد أمتنا فرصة تتنفس فيها بنفس العزة والكرامة. وتستعيد فيهـا ثقتها في نفسها، وليكون لها في الميدان الـدولي الذي أخذ التزاحم يشتد فيه، وفي نفس العدو الغادر الذي مازال ينظر إليها نظر الاستهتار والاستهانة الـوزن والقـوة. ولعـل من المفيـد أن أذكّـر فخـامتكم بهذه المنـاسبة أن أمـد الهـدنـة بين العرب واليهود والموقوف بسنـة واحدة سينتهي بعد أشهر قليلة. وقد أخذ اليهـود يهددون من اليوم بأنهم سيستعيدون حريـة العمل ليضمنـوا لأنفسهم خطوطاً أضمن ومجالاً أوسع، ما دام العرب يرفضون المفاوضة معهم لعقد الصلح، أو بـالأحرى ليغتنمـوا فرصـة تخاذلنـا وضعفنـا لتحقيق ما يستطيعون تحقيقه من منهاجهم، وهم من المهارة والخبث بحيث يسهل عليهم خلق المبـررات، ولهم من اليـد والتـأثيـر بحيث لا يصعب عليهم أن يجدوا من يشد أزرهم أو يبرر لهم ما يريدون أن يفعلوه. بل ولقد بدأوا بهذا فعلاً من اليوم، فلعل في هذا حافزاً على تفسير خطورة الموقف ومضاعفة الجهود وتحقيق الأمل المنشود على أفضل الوجوه. أخـذ الله بيدكم وسـدد خـطاكم ومتعكم بـالقـوة والعـافيـة والسعادة..

أخي وزهير يقدمان واجب شكرهما وعظيم توقيرهما والله يكلأكم بعنايته.

1949/11/16

***

(6) رسالة من الكاتب إلى الرئيس شكري القوتلي في 1954/4/2:

سيدي الأخ الجليل

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ودعاء الله بأن تكونوا في خير حال.

وبعد فقد كنت مترقباً ما لهجت به الألسن من قرب عودتكم، ومتـريثاً في الكتـابة إليكم عن ابتهاجي بزوال الكابوس الطاغي، لأعبر به لكم وجاهياً وأنا استمتع بالابتهاج المـزدوج باللقـاء الذي اشتد الحنين إليه. ولكن بيانكم الحكيم الرشيد الذي أذعتموه من جديد جعلني أسارع

(٩) رسالة من الرئيس شكري القوتلي إلى الكاتب

الأخ الجليل حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأرجو أن تكونوا بخير وعافية

وبعد فقد وصلت إلى هنا في الظرف الذي كانت فيه البلاد كلها مشغولة في [illegible] الأمور التي تهم الكثير منها. ومع ذلك فقد باشرت البحث في موضوع الوحدة — وحدة الصف ووحدة القوى والهدف والعمل — عقدنا جلسات طويلة مع أولي الشأن في هذا البلد تزيد على أربع جلسات [illegible] مختلف الاتجاهات وشتى الوسائل لتأمين الوصول إلى الاتفاق [illegible] وتأمين وحدة الاتجاه. وسيعقب ذلك [illegible] الطرق المؤدية إلى الاتحاد [illegible] وسأعود بعد ذلك [illegible] اجتماعات أخرى. وإني ربما [illegible] ما تسفر عنه [illegible] وأرجو أن [illegible] الهدف المقصود [illegible] إلى البدء في العمل لتحقيق الاتحاد على الوجه الممكن. [illegible] طبع الكتاب الذي [illegible] فصل عن الاتحاد [illegible] [illegible] الفائدة المرجوة من العرب [illegible] طبعه ونشره في كتاب [illegible] الفكرة التي [illegible] طبع الفصل المذكور. [illegible] طبع الكتاب [illegible] الصحة والعافية والتوفيق [illegible]

والله تعالى يحفظكم ودمتم محترمين

الإسكندرية ٢٠/١٢/٥١

لما كتب شكري القوتلي [illegible]
[illegible]



شكري القوتلي.

(١٠) رسالة من الرئيس شكري القوتلي إلى الكاتب

حضرة الأخ الكريم حفظه الله

أهديكم أزكى تحياتي وتمنياتي الصادقة راجياً أن تكونوا بصحة وعافية

وبعد فقد أخذت كتابكم الكريم وشكرتكم على ما جاء فيه من النصح [illegible] [illegible] [illegible] أرجو الله [illegible] الأمة [illegible] [illegible] [illegible] هذه الأمة العربية [illegible] [illegible] هذه الأمة [illegible] [illegible] خدمة الأمة [illegible] [illegible] لخدمة الأمة [illegible] [illegible] السياسة [illegible] الحياة. [illegible] القومية [illegible] خدمة هذه الأمة [illegible] [illegible] ومجد وعزة.

هذا وإني إذ أشكركم على عواطفكم الكريمة أرجو الله [illegible] ويحفظكم ذخراً للأمة. [illegible] [illegible] التوفيق والنجاح. [illegible] [illegible] والله تعالى يحفظكم ودمتم [illegible]

الإسكندرية ٢٤/٤/٥٢

إلى إرسال هذه الرسالة معلناً ابتهاجي داعياً إلى الله بأن ييسر اللقاء ويجمع بكم الشمل قريباً في عاصمة العروبة الخالدة، حتى يتم ابتهاجنا وتستمتع روحنا بما فقدته طويلاً وعلى مضض من الأنس الأخوي الكريم.

وإني لأشارككم فيما يبدو من ثنايا بيانكم من التردد في العودة العاجلة، ولا سيما إذا كان سيترتب عليها الانغمار في تيار السياسة المحلية والترشح للرئاسة العليا الرسمية، لأن العناصر الشانئة التي لم تأل جهدها من قبل في الكيد وبث الدعايات، ما تزال تكن في صدورها الكثير مما كان يحفزها إلى المواقف التي وقفتها، وقد لا تتورع عن إثارة أي حركة ما قد يترتب عليها ما يكدر الصفو ويمضّ النفس وتأباه الكرامة. وليس من ريب في صواب وحكمة التروي والتريث حتى تكون الخطوة أمينة من العثار.

وإني لأتساءل بعد عما إذا كان من الضروري أن يترتب على عودتكم ذلك الانغمار، وعما إذا كان ليس من الأكرم والأفضل والأرشد والأصلح أن تكون عودة الزعيم الكريم ليتبوأ الزعامة الشعبية الكبرى، وليكون المرشد الموجه الذي يغدو موئل الناس جميعهم في الأزمات، وحلّال المشاكل والعقد في الملمات، وإنه ليخيل لي أن الوطن لفي أشد الحاجة إلى ذلك، كما أنه يخيل لي أن مثل هذا الموقف حقيق بأن يحيطكم بهالة من التكريم والسمو والاعتبار تصغر دونها تلك الرئاسة الرسمية، ويتيح لكم بأن يكون المرشح الأمين المستقيم لهذه الرئاسة، هو مرشحكم الذي يظل يستمد منكم الإرشاد والتوجيه والقوة.

وإنه ليخيل إليّ إلى ذلك أن قضية الوحدة العربية التي كانت وما تزال أعز أمانينا وأقدس مبادئنا لفي أشد الحاجة إلى زعيم قوي بارز متمتع بالنفوذ والكرامة والثقة، يجمع حوله كتلة من رجال هذه القضية، لدرس الخطط والاحتمالات من مختلف الوجوه، والعمل لتحقيق تلك الأمنية، وهذا المبدأ بكل وسيلة، وأنتم لا تجهلون أن وحدة الأمم التي سبقتنا إنما تمت على يد مثل هذا الزعيم القوي البارز، وإنكم لهو هذا الزعيم اليوم في الأمة العربية الجامع لتلك المزايا، وإنكم لتستطيعون لو تفرغتم لهذه القضية المقدسة العظيمة أن تسجلوا لكم إسماً نورانياً خالداً، بما يمكنكم أن تسدّوه من فراغ، وتُسدوه إلى الأمة العربية من يد، في سبيل تحقيق غاية هي الآن أشد ما تحتاج إليه، وأقوى ما فيه حياتها وإنقاذها وكرامتها وقوة وزنها وسيرها نحو الهدف الأسمى. وهو تبوء المكانة السامية المرموقة المتناسبة مع أمجادها ومركز بلادها الممتاز، وغسل عارها الذي أذلها بين أمم الأرض، واستكمال نهضتها في مختلف المجالات.

وإني لأعتقد أنه يوجد في كل بلد عربي رجال عديدون من ذوي البصيرة والمكانة والمبدأ، مستعدون للاستجابة إليكم والتضامن معكم في هذه المهمة المقدسة إذا تفرغتم لها ودعوتم إليها. بل إني لأرجح أن رؤساء العرب الأعلين سيقبلون على التجاوب مع هذه الحركة إذا ما تزعمتموها، وإن في الأمة العربية على اختلاف أقطارها من شدة الشعور العام والتحمس لقضية الوحدة ما يجعل الإمكانيات كبيرة للعمل الناجح في هذا المجال إذا انطلقت الدعوة إليه من سورية البعيدة عن كل ريب، التي ليس فيها من العراقيل والاعتبارات ما يقيدها عن الانطلاق إلى أبعد الغايات، ثم التي هي أحق البلاد بحمل هذه الدعوة والعمل لها.

وأسأل الله أن ينير طريقكم ويلهمكم ما فيه السداد والخير للوطن العربي والأمة العربية السورية الحبيبة ولشخصكم الكريم.

***

(7) رسالة من الرئيس شكري القوتلي الى الكاتب:

حضرة الأخ الكريم حفظه الله.

أهديكم وافر تحياتي وتمنياتي الصادقة راجياً أن تكونوا بصحة وعافية.

وبعد فقد أخذت كتابكم الكريم وشكرت لكم ما جاء فيه من الإيضاح والتفصيل، وما تلطفتم من حسن الظن ودوام الثقة والمحبة، وإني إذ أشكر لكم ذلك أرجو الله أن يهيء لهذه الأمة النهوض من العثرات التي ألمت بها، والتغلب على المصاعب التي تعانيها، والأخطار التي تحيط بها. وذلك بأن يعمل كل فرد من أفراد هذه الأمة العربية على نزع الأنانية المتأصلة في الصدور، والنزعات الشخصية التي يتمسك بها رجالات هذه الأمة، وأن يجنح إلى المحوية وإلى الصوفية وإلى الزهد في سبيل الله وسبيل الوطن كل من أخذ على عاتقه خدمة الأمة، وكل من ادعى أنه يعمل لمصلحة المجموع. وإني موقن بأن قادة الأمة أو الذين ندبوا نفسهم لخدمة الأمة إذا لم يكونوا محويين ويضربون بأنانيتهم عرض الحائط، ويطرحون كل مصالحهم الخاصة جانباً، فإن الأمة تبقى في تدهورها الحالي في الأخلاق والسياسة وفي كل مقومات الحياة. وإننا نرجو للجيل الصاعد المتوثب التحلي بأحسن الأخلاق القومية، والسير في خدمة هذه الأمة في نشاط وطني وروح تتفق مع ما يتطلبه منهم وطنهم من مجد وسؤدد وعزة.

هذا وإني إذ أشكر لكم عاطفتكم الكريمة أرجو الله أن يتولاكم بنعيم الصحة ويحفظكم ذخراً لأمتكم.

سررت لوجود الشبل الكريم زهير على رأس عمله في إدارة البنك في طرابس، متمنياً له التوفيق والنجاح. تحياتي للأخ أبي الحكم، وسلامي إلى الإخوان الأعزاء، والله تعالى يحفظكم ودمتم باحترام.

الإسكندرية 1954/4/24.

***

(8) رسالة من الرئيس شكري القوتلي إلى الكاتب

الأخ الجليل حفظه الله ورعاه،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأرجو أن تكون بخير وعافية.

وبعد فقد وصلت إلى هنا في الظرف الذي كانت فيه البلاد مشغولة في نفسها، وفي الأمور التي تعلم الكثير منها. ومع ذلك فقد باشرت البحث في موضوع الوحدة ـ وحدة الصف ووحدة القوى والهدف والعمل ـ، وعقدنا جلسات طويلة مع أولي الشأن في هذا البلد تزيد على أربع جلسات، تناولنا فيها مختلف الاتجاهات وشتى الوسائل لتأمين الوصول إلى أقصر الطرق المؤدية إلى الاتحاد وتأمين وحدة الاتجاه. وسيعقب ذلك اجتماعات أخرى. وإني ربما لا أتأخر هنا كثيراً وسأعود بعد ذلك إلى دمشق، وأرجو أن نراكم بخير، ونتحدث إليكم بما تسفر عليه اجتماعاتنا هنا من أبحاث، وما حققناه من خطى عملية للوصول إلى الهدف المقصود، وسلوك الطريق المؤدية إلى البدء في العمل لتحقيق الاتحاد على الوجه الأكمل، وإني بهذه المناسبة أرجو منكم أن لا تباشروا

طبع الكتاب الذي تريدون طبعه الآن، والمتعلق بهذا القسم أو هذا الفصل من الكتاب ـ فصل عن الاتحاد العربي ـ، وإرجاء ذلك لحين حضوري لطرفكم والتحدث إليكم بشأنه. لأن في طبعه ونشره في كتاب الآن تضيع الفائدة المرجوة من العمل به، ومن تحقيق الفكرة التي لا بد أننا واصلون بحول الله إلى تأمينها.

فاما أنكم ترجئون طبع الكتاب، أو تؤجلون طبع الفصل المذكور.

ومع رجائي إليكم العمل بذلك أتمنى لكم الصحة والعافية والتوفيق.

والله تعالى يحفظكم ودمتم محترمين.

الإسكندرية 1954/12/20

***

(9) رسالة من الكاتب الى الرئيس شكري القوتلي:

سيدي الأخ الجليل حفظه الله.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ودعاء لله بأن تكونوا على أحسن حال.

لقد كنت تلقيت كتابكم الكريم الذي يعد بقرب العودة السعيدة، فتريثت في إرسال جواب عليه. ولما رأيت أن إقامتكم طالت، رأيت أن أبعث هذه الرسالة.

لقد ابتهجت مما احتواه كتابكم من تطمين وبشرى في صدد المشروع الحيوي للعرب الذي لا علاج لما يرتكسون فيه بدونه، كما ابتهجت لما لمستموه من رجال مصر من تجاوب معه، وسألت الله أن يمدكم بعونه حتى يصل الأمر إلى النتيجة الإيجابية المنشودة.

إن الكتاب لن يطبع الآن، فقد أرسلته إلى الإدارة الثقافية للجامعة العربية، لأني كتبته استجابة لإعلان منها. فإذا حظي منهج الكتاب بقبول اللجنة المحكمة وكان لفخامتكم ملاحظات على بعض فصوله، أمكن النظر في ذلك حينما يصار إلى طبعه.

إني أرى في اجتماع رؤساء الحكومات العربية ووزراء خارجيتها فرصة عظيمة آمل أن لا تكون غابت عن فخامتكم، وأن تغتنموها إذا كان الظرف مناسباً لتقديم المشروع وتحريكه حركة إيجابية.

أعانكم الله على ما فيه خير العرب وسعادتهم، وأرانا وجهكم الكريم على أحسن حال في وقت قريب إن شاء الله.

والسلام عليكم وبركات الله سيدي.

1955/1/25.

***

(10) فصل عن الوحدة العربية في كتابنا «مشاكل العالم العربي»:

الذي وردت الإشارة إليه في الرسالتين السابقتين، والذي كتبناه في سنة 1953 وقدمناه إلى جامعة الدول العربية في سنة 1954 ونشرناه في أوائل سنة 1955.

الوحدة العربية:

ـ 1 ـ

هناك ثلاث سبل أو وسائل إلى توطيد العلاقات بين الدول العربية وتنظيمها، اثنتان منها في نطاق الواقع، وليس من شأنهما قلب شيء من الأوضاع الحاضرة. وهما معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي، ودستور الجامعة العربية. أما الثالثة فهي الوحدة العربية. والثالثة هي الجوهرية في حياة العرب ومصالحهم. والاثنتان الأوليان إنما جعلتا عوضاً

عنها بعض الشيء بسبب الاعتبارات الشخصية والإقليمية التي سيطرت على الرؤساء والساسة الكبار على ما ذكرناه قبل. وفي اعتبارهما عوضاً عن الوحدة اعتراف وتسليم بأن هذه هي الجوهرية، وبأن الرؤساء والساسة إنما تحولوا عنها مع اعترافهم بضرورتها بسبب تلك الاعتبارات.

وجميع أسباب الوحدة ودواعيها قائمة، فالشعوب العربية ذات لغة واحدة تقطن في وطن كبير لا يفصل بينه فاصل طبيعي ولا عنصري، وهي تعيش منذ ألف وثلاثمائة سنة على الأقل في جو تاريخي وسياسي وروحي وقضائي وثقافي وأدبي واقتصادي واحد.

ولقد كان يقوم أحياناً دول مستقلة استقلالاً داخلياً في بعض البلدان العربية. غير أن الوحدة السياسية والاقتصادية بل والعسكرية كانت تظل موطدة بينها، فضلاً عن عدم تبدل الجو الروحي والأدبي والثقافي الواحد. وإذا كان قيام الدولة الفاطمية استثناء في موضوع الوحدة السياسية والاقتصادية والعسكرية، فإن ذلك الجو لم يتبدل أولاً. وكانت الوحدة السياسية والإقتصادية والعسكرية موطدة لوقت طويل من عهدها بين مصر والشام والحجاز واليمن وبلاد المغرب العربي ثانياً. وحينما قضي على هذه الدولة ظلت الوحدة السياسية والاقتصادية والعسكرية موطدة بين الأقطار الشامية والمصرية والحجازية واليمنية في نطاق الدول الأيوبية والتركية والشركسية، التي كانت في الحقيقة دولاً عربية فعلاً، برغم كون رؤسائها وفريق من جندها ورجالها من عنصر غير عربي. وحينما قضي على الدولة الشركسية ظلت هذه الوحدة موطدة في نطاق الدولة العثمانية مع احتفاظ البلاد العربية بطابعها العربي.

ـ 2 ـ

والفرقة البادية اليوم هي في معظم مظاهرها وقيامها من صنع الأجنبي وغدره، وليست منبثقة من الشعوب العربية التي ظلت تعيش في نطاق الوحدة طيلة القرون المديدة السابقة. فقد اعتدى الإفرنسيون والإنكليز على بلاد المغرب ومصر في القرن السابق وفصلوهما عن نطاق الدولة العثمانية وبقية البلاد الغربية، ثم غدروا غدرتهم الفاجرة الثانية في ظروف الحرب العالمية الأولى، فتآمروا على تقطيع أوصال البلاد الشامية واستعمارها وقطع الروابط بينها وبين العراق والحجاز، قبل أن يجف مداد العهود التي قطعها الإنكليز للملك حسين باسم الحلفاء على قيام مملكة عربية مستقلة، تضم جميع الأقطار العربية التي كانت في نطاق الدولة العثمانية، وبتحديد أدق بلاد الشام والعراق والحجاز على ما هو مثبت في مكاتبات الحسين ـ مكماهون، ثم ظلوا يواصلون مؤامراتهم وخططهم الغادرة بمختلف الأساليب والدسائس والوساوس والدعايات المضللة، والإرهاب والرشوة وشراء الذمم والتخويف وإيقاظ النعرات وتغذية الحزازات والأحقاد، ونفخ المطامع في الرؤوس، حتى بدت بلاد العرب أشلاءً متناثرة وأجزاء متنافرة. وكانت غدرتهم الكبرى منهم في فلسطين، وما انتهى إليه أمرها من قيام الدولة اليهودية وانقطاع عقدة الصلة بين شمال بلاد العرب وجنوبها، فضلاً عما ثار بين العرب من أحقاد وضغائن كانت وماتزال اليد الإنكليزية الأثيمة طولى في نشوئه ورسوخه.

والشعوب العربية راغبة في الوحدة أشد الرغبة، لأنها تعاني من الحواجز الاصطناعية التي تقوم بين البلاد العربية أشد العنت والعناء،

وتتضرر منها أكبر ضرر، ولو استفتيت لكانت فتواها حاسمة في إثبات هذه الرغبة التي قامت وماتزال تقوم عليها الأدلة المتعددة الرسمية وغير الرسمية على ما ذكرناه قبل، وكل ما في الأمر أن جمود وعيها وسلبيته يجعلها لا تندفع اندفاعاً ذاتياً قوياً يملي إرادتها في تحقيق هذه الرغبة.

- 3 -

والحق الذي لا مراء فيه والذي يقول به كل واعٍ سليم التفكير من العرب، أنه لن يكون للعرب كيان محترم قوي إلا بالوحدة التي تغدو أقطارهم بها دولة واحدة، أو دولاً متحدة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وتشريعياً، وأنه لم يصب العرب ما أصابهم من وهن وضعف وتعرض للعدوان واندحار أمامه في ظرف من ظروف تاريخهم إلا حينما كانت تنفصم وحدتهم أو تهن، ولم يكونوا أقوياء محترمين مزدهري الحضارة في ظرف من ظروف تاريخهم كذلك إلا في ظل شكل من أشكال الوحدة، وأنهم لن يزالوا ضعفاء مهينين في عيون أنفسهم وعيون غيرهم، مستضعفين تتلاعب بهم الأهواء ويتهضمهم الأعداء والطامعون ماززالوا غير متحدين.

فمن الواجب والحالة هذه أن لا يلهي العرب شيء عن الوحدة التي هي طبيعية وضرورية بأسبابها ودواعيها، والتي هي العلاج الأقوى أو الأوحد لما يرتكسون فيه من ضعف وهوان وتخاذل واعتبارات شخصية وإقليمية.

ونحن لا نجهل أن الوحدة بين العرب قديماً إنما توطدت بالقوة، وأن الوحدة بين الشعوب التي اتحدت حديثاً إنما توطدت كذلك بالقوة التي هي على ما يبدو السبيل إليها، لأنه يوجد دائماً طامحون يودون أن يستمتعوا بالحكم والسلطان، ورؤساء لا يتخلون عن مالهم من حكم وسلطان مهما كان أمرهما ومدى رقعتهما. غير أن للاستعداد الطبيعي أثراً لا ينكر في توطيدها أيضاً. وهذا متوفر كل التوفر في العرب من حيث رغبتهم الشديدة ووحدة الوطن واللغة والتاريخ والجو والثقافة والروح الموطدة بينهم دهراً طويلاً. وإذا لم يكن الوعي العربي العام قوياً وكاسحاً تستطيع الشعوب العربية أن تملي به إرادتها التي لا شك فيها في أمر الوحدة، وإذا لم يبد في أي بلد استعداد وقدرة معاً على تحقيق الوحدة بالفرض والإملاء، فإن رجال العرب البارزين على المسرح القومي والسياسي، والقابضين على أزمة الأمور والمؤثرين فيها، وجميعهم يعترفون جهاراً أو في أنفسهم بأن الوحدة هي العلاج الوحيد الطبيعي لحالة العرب الحاضرة، مدعوون إلى التفكير الجدي العاجل في هذا الأمر، وهم قادرون فيما نعتقد إذا ما جدوا وتضامنوا على عمل شيء كثير في هذا الباب. وظروف العالم وحركات التكتل الجارية[1] بين أقطار كثيرة لا تتوفر فيها ما يتوفر في الأقطار العربية من دواع واستعداد. وحالة العرب التي هي أسوأ ما يمكن أن تكون عليه مما يمكن أن يساعد كثيراً على النجاح. وعلى الواعين أن يشتدوا في الدعوة إلى هذا الهدف الجوهري كل الاشتداد وبكل سرعة ونشاط، لأنه متصل بصميم حياتهم ووجودهم ومركزهم في العالم، ولأنه كل ما تأخر ازدادت حالتهم سوءاً وازداد مركزهم هواناً.

---

(1) لعل فيما يجري الآن في أوروبا الغربية عبرة بالغة: فقد اتفقت دول فرنسة وهولانده ودانيماركة ولوكسمبورغ وألمانيا الغربية على تأسيس أسرة أوروبية متحدة لها برلمان وجيش مشترك، وبينها اتحاد اقتصادي، ولها مجلس وزراء مشترك، وقد ألغيت بينها الحواجز والجوازات.

- 4 -

وإذا كان وضع الأقطار العربية الراهن، سواءً من ناحية وجود كيانات شخصية وإقليمية ورسوخ اعتباراتها، أو من ناحية سلبية الوعي وجموده، أو من ناحية التفاوت الثقافي والاقتصادي، لا يساعد على قيام وحدة سياسية شاملة في ظل دولة واحدة في هذه المرحلة وتاريخ العرب، ولو على نمط الولايات المتحدة الأميركية الذي يمكن أن يكون مثالياً بالنسبة للبلاد والشعوب العربية، فلا مانع من مسايرة هذا الوضع وجعل تحقيق فكرة الوحدة العربية على مراحل، بحيث تكون المرحلة الأولى قيام اتحاد دول عربية وفقاً لهذا المنهج :

1 - اتحاد في الشؤون العسكرية، فيكون جيش متحد تحت قيادة ونظم واحدة.

2 - اتحاد في الشؤون الخارجية، فيكون هناك تمثيل سياسي واحد وسياسة خارجية واحدة.

3 - اتحاد في الشؤون الإقتصادية، فيكون هناك نقد واحد وجمارك وبرق وبريد وهاتف موحدة في النظم والإدارة.

4 - يكون لرعايا الدول المتحدة جنسية اتحادية تخولهم حق التنقل والإقامة والنشاط والعمل في أي دولة.

5 - اتحاد في النظم واللوائح والخطط الثقافية والمدرسية.

6 - اتحاد في التشريع، فتكون القوانين العامة صادرة عن مصدر تشريعي واحد.

7 - يقوم على إدارة الشؤون الاتحادية مجلسان يشترك فيهما ممثلون للدول المتحدة، واحد إجرائي وآخر تشريعي، بنسبة تستمد من ظروف ودور وتكاليف كل دولة من الدول المتحدة.

8 - تقسم نفقات المصالح والمؤسسات الاتحادية وريعها ووظائفها بنسبة ميزانية أو عدد سكان كل دولة، أو بنسبة أخرى تنسجم مع الظروف الاجتماعية والاقتصادية لكل دولة.

9 - يضع مجلس تأسيسي مشترك قانوناً أساسياً (دستوراً) لهذا الاتحاد، تحدد فيه الأهداف والغايات والحقوق والواجبات والسلطات والكيفيات بصورة عامة.

10 - يبقى لكل دولة استقلالها الداخلي فيما يتصل بطرائق التطبيق والأمن والعمران والتنظيم والوظائف والشؤون البلدية والصحية والتجارية والصناعية والزراعية الخ، وما يتصل بذلك من قوانين وتشريعات وتشكيلات، وتحتفظ كل دولة بنظام حكمها الراهن، ويكون لها وزارة وبرلمان.

ويندمج في هذا الاتحاد مصر وسوريا ولبنان والعراق والأردن والمملكة السعودية والمملكة اليمنية، أي دول الجامعة العربية اليوم إن أمكن. ويجب أن يكون مركزه مصر، لما لها من ميزات عديدة تجعل مركزيتها مهضومة من قبل الدول الأخرى. ومع أننا نميل إلى أن تكون رئاسة الاتحاد لمصر تقوية لمعنى الاتحاد القومي، فإن من الممكن الاستغناء عن رئاسة رمزية إذا ثارت الاعتبارات الشخصية، والاكتفاء برئاسة عملية يتناوبها ممثلو الدول المتحدة في دورات سنوية.

وهناك إمارات عربية في أنحاء جزيرة العرب جنوباً وشرقاً وشمالاً، لها كيانات خاصة على صغرها، وتلعب فيها الأصابع الإنكليزية والمطامع الاستعمارية، فتجعلها تحرص على هذه الكيانات، مع اتصالها الجغرافي الوثيق بدول اليمن والسعودية والعراق. ومع أن من الأفضل أن ينضم كل منها إلى الدولة الأكثر قرباً

والأشد صلة جغرافية واجتماعية واقتصادية، فلا مانع إذا تعذر هذا الآن من دخولها في الاتحاد كشخصيات خاصة أسوة بلبنان والأردن.

وطبيعي أن تكون الدولة الليبية عضواً في هذا الاتحاد، كما أن من الطبيعي أن تكون كل من تونس والجزائر ومراكش أعضاء فيه حال ما يتم تحريرها، الذي يجب على الاتحاد العربي بعد تكونه بذل الجهد المتصل في سبيله.

وهذه الصورة التي نرسمها تنطوي ولا ريب على نواة المملكة العربية المتحدة التي سوف تتطور إليها، ويستطاع فيها سبك الأمة العربية في قالب واحد وتوجيهها في اتجاه واحد، وإلحاق المتأخر منها بالمتقدم من النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية، وتكثيف جهودها وقابليتها، واستغلال إمكانياتها العظيمة، حتى تصل إلى أكمل ما يمكن من درجات الثقافة والرفاه والكرامة والقوة والصلاح الإجتماعي والفردي والاقتصادي، وتتبوأ مركزها اللائق بها بين أمم الأرض، كأمة ذات أمجاد تاريخية وذات خصائص وقابليات عظمى، وفي أثناء ذلك تكون فكرة الدولة الواحدة قد نضجت، فتغدو هذه النواة حقيقة للمملكة العربية المتحدة التي نرى أن تقوم على نمط ونظم الولايات المتحدة الأميركية.

وطبيعي أننا نقدر أن هذا ليس سهلاً كسهولة رسمه على الورق، ولكن الجهد المنظم والإخلاص في السعي والإيمان بالفكرة والهدف، وكل هذا مما يجب على الواعين القادرين توجيه الشعور إليه وتركيزه فيه من شأنه تهوين كل عسير، ولا سيما أنه ليس أمام هذه الأمة طريق آخر يضمن لها حياة كريمة عزيزة.

ومهما يكن من احتمالات عراقيل الأجنبي في سبيل تحقيق هذه الصورة في مرحلتها الأولى التي هي مرحلة خطيرة من دون ريب توصل إلى الغاية، فإننا لا نشك في أن الأمر قبل كل شيء هو أمر العرب أنفسهم والإرادة إرادتهم، وعراقيل الأجنبي إنما تنجح بما يمكن أن يجده من ثغرات أو ضعف في إرادة العرب ورغباتهم ومواقفهم وجدهم وإخلاصهم، والجهد المنظم الدائب والدعوة القوية المترافقة بالإيمان والصدق من شأنهما أن يسدا هذه الثغرات، فلا يجد الأجنبي منفذاً للدسائس والمكائد والعراقيل، أو يضيق المنافذ أمامها.

ـ 5 ـ

ولقد يقال إن ارتباط بعض الدول بمعاهدات فيها التزامات عسكرية وغير عسكرية، في حين أن بعضها حر من كل قيد، يجعل الاتحاد بينها خطراً على الدول المطلقة، من حيث كونه يجرها إلى داخل الشبكة مع الدول المقيدة. ونحن لا ندري كيف يمكن أن يكون هذا إذا احتفظت كل دولة بكيانها. فالمعاهدات الموجودة إنما تنص على التزامات معينة في داخل أراضي الدولة المقيدة بها وحسب. والاتحاد إذا قام فسوف يقوم بموجب ميثاق مماثل لميثاق جامعة الدول العربية من جهة الأسلوب الفني، مبدلاً في الاسم والمدى وقوة الالتزام والتنفيذ. ولقد كانت تلك الحالة موجودة حينما قامت الجامعة العربية، فلم تمنع قيامها واشتراك المقيدين والمطلقين على السواء فيها. ولقد كانت موجودة كذلك حينما عرض الضمان الجماعي بديلاً عن الاتحاد الثنائي الذي كان هناك اتجاه نحوه في بعض الدول، فلم تمنع من مضي الدول العربية في بحثه وإيصاله إلى مرحلته الكلامية النهائية. واشتراك الدول المقيدة والمطلقة على السواء في توقيع

معاهدة الدفاع المشترك التي انبثقت عنه، وخطر وقوع الدول المطلقة لو صح وروده إنما يكون إذا نشبت حرب عامة، وفي هذه الحالة يكون الخطر واقعاً عليها، سواء اتحدت مع غيرها أم لم تتحد، لأنها محاطة بالدول المقيدة، ومن العسير عليها أن تدافع عن حيادها بالقوة، كما أن الدول الكبرى لن تحترم هذا الحياد من نفسها. وقد رأينا أمثلة كثيرة على ذلك في أوروبا وآسيا وفي بلادنا نفسها أثناء الحرب العالمية الأخيرة.

ولقد قلنا إن خطر الوقوع في الشبكة يرد إذا صح وروده في حالة الحرب، وليست هذه الحالة دائمة وأبدية. ومدة السلم على كل حال أطول، فالمصلحة القومية تقضي أن لا يتعطل والحالة هذه مشروع اتحاد الدول العربية الذي يهدف إلى أهداف عظيمة تتصل بصميم حياة العرب ومصالحهم ومستقبلهم من مختلف النواحي وفي جميع الظروف والحالات. وتعليقه إلى أن تتفلت الدول المرتبطة بالمعاهدات مؤخر لتحقيق هذه الأهداف، بل وقد يكون مؤخراً لنجاة هذه الدول، من حيث كون هذه النجاة أكثر إمكاناً حينما ينتظم الاتحاد جميع الدول العربية ويغدو لها جيش متحد واقتصاد متحد وتشريع متحد وسياسة متحدة، وبكلمة واحدة جبهة متحدة قوية.

يضاف إلى هذا أن الدول المرتبطة بالمعاهدات معترف باستقلالها وسيادتها التامتين وممارسة لهما، وفي شعوبها روح تمرد قوية ضد المستعمرين، وإلزامات هذه المعاهدات، وهم متحفزون للتفلت منها. فالاتحاد والحالة هذه من شأنه أن يبث القوة ويشدد العزيمة في سبيل النضال والفكاك في شعوب هذه الدول قبل غيرها.

وتطور روح العالم وما أثاره من روح التمرد والتوفز والتحفز في الأمم الشرقية، يعسر يوماً بعد يوم استمرار نظام الاستعمار والمعاهدات التي تقوم على عدم التكافؤ وأساليب الشباك والتطويق الراهنة، فضلاً عن أنه يجعل امتداد ذلك إلى ما هو سليم منه أشد عسراً. وقد نجت بقوة هذا التطور بلاد أغنى وأوسع من البلاد العربية المقيدة بالمعاهدات، كأندنسيا والباكستان والهند، وكانت يد المسيطرين عليها أشد وطأة فيها منها في بلادنا. ولقد نجت سوريا ولبنان كذلك بقوة هذا التطور مع ما كان من شدة اليد والمطامع والمزاعم الإفرنسية.

ولقد أخذت الدول العربية المرتبطة تسعى جاهدة في سبيل الفكاك، ولم تعد تسيغ ما كانت تسيغه من قبل، ولم يسع الدول المسيطرة إلا الملاينة والمسايرة والتأويل والتفسير، مما يؤيد ما قلناه من إمكان النجاة وقوته بالاتحاد من جهة، وعسر الامتداد من جهة أخرى. هذا إلى أن الدول الناجية قوية الشعور بخطورة ما تتمتع به من عزة وكرامة وانطلاق، وفخورة به وشديدة الحرص عليه. ومن العسير أن تخدع عن أمرها وتغفل عن أي شبكة تنصب لها، وليس من الصعب أن توجد الصيغ والتحفظات التي تضمن لها ما تتمتع به من حرية وانطلاق فوق ذلك.

وإذا تعذر السير في مرحلة الاتحاد العام مرحلة واحدة، فلا مانع من السير فيها على مراحل أيضاً. حيث يقوم الاتحاد في أول الأمر بين البلاد المتقاربة في الحياة العصرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، أي مصر وسوريا والعراق والأردن، ثم تبذل المساعي لإتمام السلسلة.

- 6 -

وخير من يتبنى الدعوة إلى هذه الخطوة بل وأولى من يتبناها مصر، فهي وسط العالم العربي وقلبه بالنسبة لمشارق العرب ومغاربهم، وهي الأكثر عدداً والأكبر اسماً والأوسع صيتاً، وتبنيها للدعوة يقع هيناً مهضوماً من الدول العربية الأخرى لمختلف الأسباب والاعتبارات الوجيهة، ولا سيما بعد الأحداث التي تمت فيها.

ومصر ليست غريبة عن مثل هذه الحركة تاريخياً، حيث كانت تسعى دائماً لجمع شمل البلاد العربية تحت لوائها. وقد نجحت في ذلك مراراً، وكان نجاحها تحت راية صلاح الدين، واستمرار ذلك في عهد خلفائه الأيوبيين وملوك الدولة التركية، كفيلاً بإنقاذ فلسطين وإنزال الضربة القاصمة على الإفرنج الغزاة، الذين لم يكتب لهم النجاح في جولتهم الأولى إلا لسبب تشتت شمل العرب وانفصام وحدتهم وتفوق كلمة ملوكهم واستغراقهم في السياسة الشخصية وتغليبها على المصلحة العامة، حتى طهرت البلاد منهم نهائياً سنة 1692 هجري تحت لواء الملك الأشرف ملك مصر والشام. وقد كادت هذه الخطة تتحقق من جديد في أواسط القرن السابق تحت راية محمد علي الكبير، لولا تدخل الإنكليز الذي أدّى إلى انكفاف يده عن بلاد الشام بعد أن توحدت مع مصر وبدت تباشير مملكة عربية إسلامية كبرى تضم مصر والسودان والحجاز والشام والعراق وكيليكيا.

ويقوم على أمر مصر الآن فئة ثبت حسن نواياها وروحها وسعة أفقها ونفاذ بصيرتها، واندماجها بالفكرة العربية الحديثة وأهدافها وقدرتها على الاضطلاع بدعوة خطيرة مثل هذه الدعوة، وهذا ما يجعلها أهلاً للدعوة مستجابة إليها. وما تم في مصر من أحداث قد وجه إليها أنظار العالم العربي، وبعث فيه الآمال الجسام، وهيأ فرصة ذهبية للدعوة والاستجابة إليها، ومن حسن الحظ أن قائد الحركة لا يفتأ يصرح عن أمله بقيام ولايات عربية متحدة، وبرغبته في تحقق ذلك في القريب العاجل، ويردد هذا القول كثير من رجال الحكومات العربية المسؤولين، فضلاً عن ترديده من قبل جمهرة رجال الأمة العربية البارزين. فيجب على الواعين القادرين من أبناء الأمة العربية في مختلف الأقطار أن يغتنموا هذه الفرصة ويتجهوا الى مصر، ويهيبوا بها لتقدم على تبني هذه الخطة وتوليتها عنايتها العظمى، فتجدد بذلك عهد صلاح الدين في جمع شمل العرب، في وقت اشتد فيه تكالب الأعداء والكائدين عليهم، ونشب في قلب بلادهم جرثومة سرطان خبيثة وهي الجرثومة اليهودية، وغدت الحاجة إلى جمع الشمل مثلها في ذلك العهد أو أشد.

- 7 -

على أن من الواجب على الواعين من صحفيين وأساتذة وكتاب وخطباء ووعاظ أن لا يقفوا مكتوفي اليد إزاء ما يجب من علاج سريع، إلى أن تنضج دعوة مثل هذه الدعوة، وفي طريقها من العقبات والعثرات بسبب تلك الاعتبارات المجرمة الشديدة الأثر ما لا يمكن تجاهله، فهناك مجال الدعوة إلى وحدة اقتصادية على الأقل، تشمل شؤون النقد والمواصلات والجمارك وحرية التنقل والإقامة والعمل. فتكون مقدمة نافعة جداً للوحدة السياسية والعسكرية، وفرجاً لسكان البلاد العربية يتسع لهم به المجال في سبيل تحسين أوضاعهم الاقتصادية والمعاشية، ويزداد به

التواثق بينهم قوة وشدة. وقد كان مثل هذه الوحدة سبيل الوحدة السياسية الألمانية في القرن الماضي كما لا يخفى، ولقد كانت ألمانيا منقسمة الى دول وإمارات كثيرة جداً، وكان هناك اعتبارات متنوعة تحول دون وحدتها السياسية، فكانت الوحدة الاقتصادية خطوة أولى إليها. وهناك مجال الدعوة إلى جعل معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي ودستور جامعة الدول العربية نافذتين نصاً وروحاً. ففي الأولى وسيلة للتضامن والتعاون العسكري والاقتصادي، وفي الثاني وسيلة لتوطيد التقارب والتطابق في شؤون كثيرة مما نصت عليه النصوص. وبهذا أو ذاك يمكن أن يسد شيء من الفراغ الهائل في دنيا السياسة العربية، إلى أن تنضج مثل تلك الخطة والدعوة، أو يقوى الوعي القومي العام ويغدو كاسحاً ويستطيع أن يملي إرادته في الوحدة الصحيحة، ويحطم كل عقبة تقف في سبيل هذه الإرادة، أو يقيض الله من يوطدها بالأسلوب الذي توطدت به الوحدة بين الشعوب والبلاد المتماثلة قديماً وحديثاً. فإن من الخطر كل الخطر أن يبقى هذا الفراغ الهائل في دنيا السياسة العربية، لأنه سبب كل ما يحدق بالعرب من ذل وهوان وضعف وخفة وزن واعتبار وطمع واستهتار، وما يرتكسون فيه من سوء حالة اقتصادية ومعاشية، ومن الجريمة كل الجريمة أن لا يبالي الرؤساء والساسة، ومن الواجب كل الواجب على كل واعٍ وقادر أن يعمل كل ما يمكنه في سبيل حملهم على الإذعان وتقوى الله في أمتهم وبلادهم.

ولقد يسرت الحركة الانقلابية المصرية سبيل التعاون والإنسجام الواسع بين مصر وسورية كما قلنا قبل، وهما أكثر الدول العربية تحرراً سياسياً واجتماعياً. فعلى الواعين من أبناء البلدين أن تشتد دعوتهم إلى أن يخطو رجال العهد فيهما خطوة جريئة في هذا المجال، فتكون خطوتهم نواة الاتحاد العربي العام، ومرحلته الأولى إذا كانت هناك عثرات وعقبات شخصية أو إقليمية أو أجنبية تقف في طريق الوحدة أو الاتحاد العام، ولا سيما أن مصر والشام كانتا في أغلب ظروف التاريخ القديم والمتوسط متحدتين سياسياً وعسكرياً واقتصادياً.

***

(11) رسالة من الكاتب الى الرئيس شكري القوتلي ـ في صدد الوحدة 1955/2/23:

سيدي الأخ الجليل،

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ودعاء الله بأن تكونوا بخير حال،

لقد كنت أرسلت لفخامتكم كتاباً بالبريد المسجل جواباً على الكتاب الذي تلقيته منكم، فأرجو أن يكون قد وصل إليكم. وقد كنت آمل أن نحظى بكم في دمشق في وقت قريب نتحدث في الموقف العربي وملابساته. ثم نشرت الصحف أن عودتكم قد تطول، فرأيت حينئذ أن أكتب هذا الكتاب.

لقد آلمنا وآلم كل عربي ما انتهت اليه اجتماعات القاهرة وأدت إليه من توتر وبلبلة وتفكك. غير أن ما أعلنه رجال مصر من عزمهم على تدعيم الذاتية العربية وتنفيذ معاهدة الضمان العربي وجعلها فعالة بدون تأخير، تلافياً لما ألمّ بالموقف العربي بسبب انفراد العراق وانزلاقه في حلفه مع تركية من توتر وبلبلة، قد أنعش الآمال. ومما قوى هذا أن الدول العربية الأخرى رغم ما كان من تردد

بعضها تعلن باستمرار عزوفها من الإنزلاق فيما تريد العراق أن تنزلق فيه، وإدراكها ما وراء ذلك من أضرار عاجلة وآجلة على العرب وقضاياهم. واستمساكها بالذاتية العربية والدفاع العربي ومعاهدة الضمان الجماعي. وأن الشعوب العربية قاطبة تبدي وعيها القوي والمتشدد في هذا المجال. وهذا يبدو بصراحة وقوة في سورية وبخاصة في عهد وزارتها الجديدة.

على أن الوقوف عند حد تنفيذ معاهدة الضمان الجماعي ليس كافياً، وليس مناسباً مع الموقف العربي وظروفه. وما دامت كل دولة عربية تحتفظ بحريتها التامة في سياستها الخارجية، فإن العرب يظلون يواجهون مواقف مماثلة ويتعرضون للمناورات والدسائس والإغراءات. والعلاج الأقوى والأنجع هو قلب هذه المعاهدة إلى ميثاق اتحادي فعلي عسكري وسياسي واقتصادي. وما يبدو للملاحظ من روح رجال مصر وسعة أفقهم، يجعلنا على يقين بأنهم يدركون هذا أحسن إدراك. وهو أفضل جواب لحركة العراق الانفرادية، ولإحباط المناورات التي تدور حول العرب وترمي إلى جعلهم ينزلقون فيما يريده المعسكر الغربي بدون ثمن، ويقبلون بتجميد قضاياهم وبخاصة قضية فلسطين في وضعها الضار.

وأعتقد ويعتقد إخواننا المخلصون المدركون هنا وفي غير مكان أن الجو صالح لبذل الجهود في سبيل توجيه الدفة نحو ذلك ولنجاحه، بحيث يتم التفاهم عليه بين مصر والسعودية، ثم يعرض على سورية ولبنان والعراق والأردن وليبية واليمن، ويدخل معهما فيه من يريد من هذه الدول. ولا أشك في أن مثل هذه الحركة البارعة ستعلي قدر مصر وكلمتها، وستقابل بالارتياح والاغتباط والتأييد القوي من الشعوب العربية على اختلاف أقطارها، بما فيها العراق الذي كان ومايزال ينادي بالاتحاد.

وما لفخامتكم من اعتبار وحرمة لدى رجال الحكومات العربية وخاصة مصر والسعودية وسورية، يجعلكم خير من يتقدم للعمل في هذا السبيل وإيصاله إلى نتيجة إيجابية عاجلة. ومع اعتقادي أن هذا الأمر لن يفوتكم، فإني أحببت أن يكون موضوع رسالتي هذه. سائلاً الله عز وجل أن يقويكم على تحقيق هذه الفكرة الجليلة التي فيها قوام حياة العرب وقوتهم ومجدهم، وأن يسدد خطى رجال الدول العربية إلى ما فيه الخير والنجاح والسلام.

تعقيب وتوضيح :

أخذت الولايات المتحدة ـ بجهد وزير خارجيتها دالاس ـ في أوائل الخمسينات وبالتفاهم والتواطؤ مع بريطانية، تسعى لما يسمى ملء الفراغ في الشرق الأوسط، بإقامة حلف غربي عربي في وجه ما سمي بالمطامع والأخطار الشيوعية بزعامة الاتحاد السوفيتي. وكان الاتصال بدأ مع مصر في عهد زعامة جمال عبد الناصر. وكان جواب زعيم مصر أن الأفضل أن يملأ العرب هذا الفراغ، ويستعدوا لصد كل اعتداء دون استفزاز لأحد أو عداء لأحد. وإن كان للعرب مصلحة في ذلك، ولهم مصلحة مؤكدة، فعلى المعسكر الغربي أن يسلّحهم، ويجعلهم قادرين على ملء الفراغ. ولما لم يقتنع دالاس بالجواب، طلب زعيم مصر التفاهم أولاً على حل المشاكل القائمة بين العرب والغرب، حتى يكون للتحالف الغربي العربي مبرره ومعناه، ولا سيما ليس بين العرب والاتحاد السوفيتي مشاكل، وكل مشاكلهم مع الغرب، وهي الاحتلالات الإنكليزية في مصر

والعراق والأردن وسواحل جزيرة العرب الجنوبية والشرقية، والاحتلالات الإفرنسية في تونس والجزائر والمغرب الأقصى، ثم قضية فلسطين التي شرد أهلها وأقيمت دولة إسرائيل على أنقاضهم ظلماً واغتصاباً. وقد تعطلت نتيجة لذلك قرارات هيئة الأمم العديدة، سواء في موضوع عودة اللاجئين أو في قيام الدولة العربية الفلسطينية نتيجة لرفض إسرائيل الانصياع للحق والعدل والمنطق. ولم يعجب هذا الموقف الولايات المتحدة وبريطانية بخاصة، فأخذتا تبذلان مساعيهما ودسائسهما لشق الصف العربي الذي جمع بشكل ما عبر ميثاق جامعة الدول العربية وعبر ميثاق معاهدة الدفاع المشترك.

ولقد عقد مجلس للجامعة العربية لبحث الأمور، وكان خلاف فيه، حيث أن العراق بزعامة نوري السعيد رئيس وزارتها ومن ورائه الوصي على العرش الأمير عبد الإله، كان يقول أن العرب لا يستطيعون أن يملأوا الفراغ وحدهم، وأن بلادهم معرضة للأخطار، وأن عليهم أن يتحالفوا مع الغرب بسبيل درء هذه الأخطار، ثم يتحاورون بعد ذلك مع الغرب لحل قضاياهم.

وكان من رأي مصر والسعودية وسورية أن التحالف الغربي العربي ضد الاتحاد السوفيتي وقبل حل القضايا العربية يجمد هذه القضايا من جهة، ويجعل العرب في موقف المتحرش المستفز للاتحاد السوفيتي بدون مصلحة لهم، وأن الأفضل أن يقووا الروابط بينهم عبر معاهدة الدفاع، وأن يتسلحوا ويملأوا هم الفراغ دون تحالف مع الغرب ودون استفزاز للاتحاد السوفيتي. وانفرط الاجتماع العربي بتوتر وخلاف. وانفرد العراق واستجاب للدعوة، فقام ما عرف بحلف بغداد الذي كان ركناه الأولان العراق وتركية، ومعهما بريطانية والولايات المتحدة سنة 1955. وقد انبرت كل من مصر وسورية والسعودية لمناهضة هذا الحلف. ولقد جرت محاولة لضم الأردن إليه، ولكنها حبطت نتيجة لتلك المناهضة التي كان لها تأثير في الرأي العام الأردني، وقامت بمظاهرات بقوتها ضد هذا الانضمام وأحبط. وهذا ما أشير اليه في هذه الرسالة وفي رسائل ومقالات أخرى ترد فيما بعد.

***

(12) الحكومة الجديدة والموقف العربي:

مقال للكاتب نشر في جريدة النصر الثلاثاء العدد 3047 وتاريخ 15 شباط 1955.
والمقصود بالحكومة الجديدة هو الحكومة السورية.

في بعض الصحف السورية واللبنانية ومنها «الحياة»، محاولة لا أدري هل هي عفوية أو مقصودة، لنقل الكلام في جوهر الحلف العراقي التركي إلى عرض له فيما قام بين العراق ومصر من تشاد، وفيما اندفعت فيه مصر من نشر أسرار الجلسات وخباياها، وما سوف يعود من ذلك على الكيان العربي من أضرار وقطيعة، مع التنبيه على أننا لا نريد بهذا أن نحبذ ذلك الاندفاع وأن نقلل أثره في كيان العرب، وكنا نفضل أن يظل المنطق المتزن الوقور هو المتحكم في الحجاج والجدل في جوهر الموضوع.

وقد سبق لهذه الصحف موقف عجيب من جوهر الحلف، بل إن المحاولة المذكورة تأتي

كنتيجة لهذا الموقف العجيب السابق، ونعني به موقف الحيادي المتفرج من الحلف، فهم لا يباركونه ولا يلعنونه بصراحة، ولا يدخلون في جوهره وتحليله لتبيين مداه سلباً وإيجاباً، وأثره في كيان العرب وقضاياهم. وجل كلامهم يدور حول الخلاف عليه بين العراق ومصر، وما تقوله كل منهما من أقوال متعارضة لتبرر موقفها منه.

وهذا الموقف الحيادي المتفرج يكاد يلمس كذلك في مواقف رجال سوريا ولبنان الرسميين، الذين كان قصارى همهم في اجتماعات القاهرة إيجاد الوسيلة إلى تخفيف التشاد والتصادم بين مصر والعراق والتقريب بينهما. وقد أدى هذا إلى تنكرهم لقرار اتخذوه قبل في مؤتمر وزراء الخارجية، قرروا به عدم الدخول بأي حلف خارجي، وجعل معاهدة الدفاع المشترك الوسيلة الوحيدة إلى تنظيم الدفاع عن الشرق العربي. ولقد تكرر هذا وتأيد في اجتماعات القاهرة من قبل الجميع باستثناء العراق، فلما جاء دور التسجيل والإعلان تنكروا له خشية من اشتداد التوتر بين مصر والعراق، فأدى ذلك إلى انفراط عقد الاجتماعات على الوجه الذي أثار الدهشة والاستغراب والبلبلة معاً.

وموقف تلك الصحف السورية واللبنانية لا يتسق بأي حال فيما نعتقد من واجب الصحافة المؤمنة المخلصة النزيهة الذي يملي عليها الدخول في جوهر الموضوع وتحليله، وإبداء الرأي الصريح فيه وفي آثاره السلبية والإيجابية، حتى تساعد على تكوين رأي عام فيه.

وموقف رجال سوريا ولبنان الرسميين لا يتسق بأي حال كذلك مع مصلحة العرب وواجبهم أمام أمتهم وضمائرهم في شيء.

ونعتقد أنهم لو احترموا قرارهم السابق وأصروا عليه جهرة وصراحة، لكانوا أثروا بالعراق تأثيراً قوياً، أو لكانوا أعلنوا للعالم أن المناورة التي عمد إليها الذين هم وراء الحلف لم تنجح في جعل العرب أمام أمر واقع، وفصم وحدتهم، واضطرارهم في النهاية إلى متابعة العراق دولة بعد دولة، وتناسي كل قضاياهم التي منها ما فيه أعظم الخطر على كيانهم عاجلا وآجلا، وأنهم ظلوا كتلة متماسكة متضامنة تحترم قرارها وتدرك مدى الموقف. ولكانوا بذلك اكتسبوا حرمة العالم، وحتى حرمة أصحاب تلك المناورة.

وفي اعتقادنا أن الزمام لم يفلت بعد، وأن الموقف الآن هو في الدرجة الأولى بيد سوريا التي أصبحت مركز الثقل والترجيح فيه. وإننا لنرجو أن تتلافى الوزارة الجديدة الأمر لتقف الموقف الذي تمليه مصلحة العرب ووحدتهم وقضاياهم بجرأة وصراحة وحسم.

***

(13) الأرباح والخسائر من الحلف العراقي التركي:

- بحث تحليلي على ضوء الواقع والاحتمالات المقبلة
مقال للكاتب نشر في جريدة النصر الدمشقية العدد 3050 وتاريخ 17 شباط 1955
صباح الجمعة
26 جمادى الثانية 1374

قد يقال إن نصوص الحلف العراقي - التركي لم تعرف يقيناً، وأن الكلام فيها يظل في حدود التخمينات. وقد يكون هذا صحيحاً. غير أن ما علم إلى الآن من البيانات الرسمية وشبه

الرسمية قد أتاح إلماماً غير قليل بغايات الحلف وبواعثه، يساعد على وضع موازنة للأرباح والخسائر منه بالنسبة لدنيا العرب. والذي نعتقده أن مفتاح الموقف كان هو الرغبة الملحة في التسلح من جانب العراق، واشتراط الولايات المتحدة عليه الدخول في حلقات الدفاع الشرقية بميثاق عراقي - تركي يتمم الميثاق الباكستاني - التركي، ثمناً لتحقيق هذه الرغبة، واستجابة العراق إلى هذا الشرط.

وقد يكون العراق سعى في السابق إلى هذا مع مصر وغيرها من الدول العربية، فلما لم يصل في سعيه إلى نتيجة، أقدم على الإنفراد وتنفيذ الشرط في سبيل تحقيق رغبته الملحة.

ويتذرع العراق إلى ما أقدم عليه بوضعه الاستراتيجي الخاص، وضرورة تأمين سلامته. وهذا على ما عرف قائم على نقطتين، الأولى الاستعداد للدفاع ضد النفوذ الشيوعي إذا وقعت الواقعة الكبرى، والثانية الاستعداد لإحباط دسائس الشيوعيين في المربع الكردي العراقي الإيراني التركي السوري، وتسليحهم وتحريكهم للأكراد للقيام بحركات مزعجة في هذا المربع.

ولا شك في أن التسلح العراقي ربح كبير للعراق وللعرب على أي حال، فلا وزن ولا اعتبار لدولة بدون قوة. هذا فضلاً عن أن تسلح العراق وغيره من الدول العربية ضروري جداً من وجهة النظر القومية الخاصة من حيث ضرورة الاحتياط لتحركات الشيوعيين المذكورة من جهة، ولما يبدو من حركات ومطامع اليهود التوسعية والعدوانية من جهة أخرى.

ومما يقال إن العملية العراقية تضمنت وعداً من الترك بأمرين عربيين مهمين، الأول سحب اعتراضهم على اتحاد دول الهلال الخصيب، والثاني تبديل موقفهم الراهن نحو اليهود في صدد تنفيذ مقررات هيئة الأمم. ويرى الملاحظون في هذا وذاك ربحاً من هذه العملية.

مقابل هذه الأرباح نرى في جانب الخسائر ما يلي:

1 - إن العملية تحقق للمعسكر الغربي ما ظل يحاوله منذ خمس سنين من التغلب على تمنع العرب من الدخول في حلقاته الدفاعية، إلا بشرط حل قضاياهم حلاً صحيحاً من دون تحقيق هذا الشرط الحيوي.

2 - إنها تجعل سائر الدول العربية أمام أمرين أحلاهما علقم وهما: انخراق وحدتها وتضعضع جبهتها، أو متابعة العراق والدخول في تلك الحلقات واحدة بعد أخرى. وبهذا أو ذاك يمزقون الورقة الرابحة التي في أيديهم، ويجمدون قضاياهم المعلقة في واقعها الراهن الضار.

3 - إنها تحقق هدفاً سياسياً واستراتيجياً ظلت تركيا تترشح له وتهدف إليه وتتقاضى بسبيله جسيم المساعدات، وهوتسليم العرب بزعامتها السياسية والاستراتيجية على الشرق الأوسط، وبالتبعية على الشرق العربي. وبذلك يفقد العرب مزية عظمى هي أقوى ما يعولون عليه، ونعني بها كيانهم الجمعي وذاتيتهم القومية، وحقهم بأن يكونوا هم أصحاب الزمام والمبادرة، لأنهم الأكبر عدداً والأهم مركزاً والأعظم حيزاً.

والموازنة بين الخسائر والأرباح تجعل الأولى أعظم بكثير من الثانية، هذا إلى ما يتبادر من أن في الثانية غلواً في الحساب، وخطأً غير قليل في حساب النتائج، كما أن منها ما يمكن

تحقيقه بدون الإضطرار إلى تحمل تلك الخسائر.

فالعراق في اعتقادنا ليس عاجزاً عن تسليح نفسه تسليحاً يجعله قادراً على قمع تحركات الشيوعيين الإقليمية، التي هي الخطر الجوهري الذي يمكن أن تواجهه العراق لأن خطر الغزو الشيوعي إذا ما وقعت الواقعة الكبرى ليس خاصاً من جهة، ولن يجدي فيه تسلح مئة ألف عراقي شيئاً من جهة، ولسوف يبادر المعسكر الغربي إلى إرسال قواته إلى العراق ليعاون العراق في الدفاع شاء العراق أم أبى من جهة.

وتركيا من ناحية وإيران من ناحية أخرى لا يمكن إلا أن تتضامنا مع العراق في قمع التحركات الشيوعية الإقليمية، سواء أكان بينهما وبين العراق ميثاق أم لم يكن، لأنها موجهة ضدها كما هي موجهة ضد العراق.

واعتراض تركيا على اتحاد الهلال الخصيب ليس هو كل شيء عن الموضوع بل هو ثانوي، فالعراق ليس في وضع يجعله يقدم على تحقيق هذا الأمر بالقوة. وهناك كثير من الاعتبارات العربية وغير العربية ما يأتي في المقام الأول الذي يجب التغلب عليه.

وليس الاتحاد العربي العراقي العام أصعب من اتحاد الهلال الخصيب بالنسبة لهذه الاعتبارات، ولذلك فإن هذا الربح وهمي أكثر منه حقيقي.

ومثل هذا يقال بالنسبة لوعد تركيا بتعديل موقفها من اليهود، فمهما كان هذا الموقف شديد النكاية والأذى بالنسبة للعرب، فإنه ليس جوهرياً في أساس قضية فلسطين. وقصارى ما يمكن من أثر لتبدله على أفضل تقدير أنه يكسب العرب صوتاً في المضمار السياسي الدولي، ويشدد من الخناق الاقتصادي. وليس لهذا وذاك آثار عاجلة فعالة في حل قضية فلسطين. وزمام كل هذه القضية هو في الدرجة الأولى في يد الولايات المتحدة، فهي حامية إسرائيل وحاضنتها وسندها في الدرجة الأولى مالياً وسياسياً. وليست تركيا بقادرة على تبديل موقفها هذا، بل إلى احتمال تبديله بمساعي العرب ومواقفهم الجماعية يظل هو الأقوى.

على أننا نعتقد أن ما بذلته تركيا من وعود إذا صحت ليس إلا من قبيل الإغراء، وأنها ستظل حريصة على أن لا يقوى العرب باتحاد ما، وعلى أن لا تخف مشاكلهم ومتاعبهم من ناحية إسرائيل، وعلى أن يظل العرب تحت سيطرتها السياسية والاستراتيجية، لأنها تحسب حساباً كبيراً لأي تفوق ذي بال يصيبه العرب.

ونعتقد من ناحية أخرى أن الولايات المتحدة لن تبقي إسرائيل خارجة عن نطاق حلقتها الدفاعية إلا ريثما تنجح في عملية إدخال العرب في هذه الحلقات . فإذا مانجحت سارعت إلى عقد اتفاق ثنائي مع إسرائيل، وجعلت بريطانيا وتركيا تحذوان حذوها لتتم هذه الحلقات، ولن يستطيع العرب مهما تميزوا من الغيظ أن يفعلوا شيئاً بعد أن يكون السهم قد نفذ فيهم.

وهكذا يبدو أن هناك أخطاراً أشد ستجرها عملية انفراد العراق إذا قدّر لها التمام، فتتضاعف الخسائر وتشتد، في حين تظل الأرباح أقرب إلى الوهم منها إلى الحقيقة في مجال الفعل والنفاذ.

قد يقال إن العراق لا ينفرد وحده في الرغبة في التعاون مع المعسكر الغربي، وقد يكون هذا صحيحاً. ولكن السير في هذه الرغبة جماعياً يظل على كل حال أقوى على تحقيق مصلحة العرب وحل قضاياهم من السير انفرادياً. وبقاء العرب جبهة متراصة إذا لم

يمكن سيرهم جماعياً في هذه الرغبة يظل هو الأفضل والأصلح لهم على كل حال، ولو أدى إلى عدم حصولهم على سلاح وعدم توفيقهم إلى حل قضاياهم وبقائهم في عزلة سياسية أو عسكرية، لأن انفراد إحدى دولهم لن يحقق شيئاً من ذلك، فضلاً عن أضراره المتنوعة.

وللعرب إمكانيات مادية ومعنوية عظمى لو بذل في سبيلها الذين يتولون مقاليد الحكم نصف الجهود التي يبذلونها في المداولات والمماحكات والمحاولات، لاستطاعوا بها أن يتبوأوا اعتبارهم ومكانتهم، في نظر الغرب والشرق معاً.

والواقعة الكبرى ليست وشيكة على ما هو ثابت من الأحداث، فلا ضرورة للعجلة والوقوع في الخطر والندامة بسببها. . .

فعسى أن يتدبر القابضون على مقاليد الحكم في العراق وغير العراق في الأمر، ويستلهموا ضمائرهم ومصلحة أمتهم العامة، لتلافي الأخطار والأضرار، والإبقاء على الجبهة العربية المتراصة، وإحباط المناورات التي تهدف إلى إدخالهم في الشبكة مع تجميد قضاياهم في واقعها الراهن الضار. .

* * *

(14) نص ميثاق حلف بغداد:

نشرت جريدة النصر في عددها 3057 وتاريخ 27 شباط 1955 6 رجب 1374، نص ميثاق حلف بغداد المنعقد رسمياً بين تركية والعراق. وإتماماً للفائدة نورده فيما يلي نقلاً عنها.

يتألف الميثاق التركي العراقي الذي وقع أمس في بغداد من ثماني مواد، وهو مذيل بمذكرتين تفسيريتين. .

وتشير مقدمة الميثاق إلى المعاهدة التركية العراقية المعقودة في 29 مارس سنة 1946، وإلى المادة الحادية عشرة من ميثاق الجامعة العربية التي تنص على عدم المساس بحقوق دول الجامعة والتزاماتها الناجمة عن انضمامها إلى الأمم المتحدة. كما تشير إلى إدراك كل من تركيا والعراق لما عليهما من مسؤوليات ناجمة عن عضويتهما في الأمم المتحدة. وقد رأيا رغبة منهما في حفظ الأمن والسلام بمنطقة الشرق الأوسط الاتفاق على ما يلي وفقاً للمادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة.

أولاً ـ وفقاً للمادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة يتعاون الطرفان الساميان المتعاقدان على حفظ الأمن وكفالة الدفاع، وسيحدد اتفاق خاص التدابير اللازم اتخاذها لتحقيق هذا التعاون.

ثانياً ـ لتحقيق التعاون المنصوص عليه في المادة الأولى تحدد الجهات المختصة لدى كل من الطرفين المتعاقدين، التدابير المفيدة بمجرد تنفيذ هذا الميثاق. ويكون لتلك التدابير كامل الأثر بمجرد الموافقة عليها من حكومتي الطرفين المتعاقدين.

ثالثاً ـ يتعهد الطرفان المتعاقدان بالامتناع من التدخل في الشؤون الداخلية لكل منهما، وتسوية كل نزاع ينشأ بالطرق السلمية، وفقاً لميثاق الأمم المتحدة.

رابعاً ـ يؤكد الطرفان المتعاقدان أن عدم تعارض أي شرط من شروط هذا الميثاق مع ما على كل منهما من التزامات دولية نحو الغير، ويتعهد الطرفان المتعاقدان بعدم الارتباط بأية التزامات دولية لا تتمشى مع هذا الميثاق.

خامساً ـ هذا الميثاق مفتوح أمام كل عضو من الأعضاء في الجامعة العربية، أو أية دولة

يهمها الأمن والسلام في هذه المنطقة من العالم، بشرط أن يكون الطرفان الساميان المتعاقدان معترفين بها، ويبدأ الانضمام إلى هذا الميثاق من تاريخ إيداع وثائق الإنضمام التي تقدم إلى وزير الخارجية العراقية.

ويمكن لكل دولة متعاقدة أن تعقد وفقاً للمادة الأولى اتفاقات خاصة مع دولة أو أكثر من دولة من الدول المشتركة في هذا الميثاق، وتحدد الجهات المختصة في كل دولة مشتركة الأساس الذي يتم عليه التعاقد، على أن ينفذ ذلك بمجرد موافقة الدول صاحبة الشأن.

سادساً ـ بمجرد اشتراك أربع دول في هذا الميثاق، يؤلف مجلس دائم أعضاؤه من الوزراء، يكون الغرض منه العمل في نطاق هذا الميثاق. ويحدد هذا المجلس بنفسه لائحته ونظمه فيما يتصل بالإجراءات.

سابعاً ـ صلاحية هذا الميثاق تمتد إلى خمس سنوات قابلة للتجديد خمس سنوات في كل مرة، ويمكن كل طرف من الأطراف المتعاقدة الانسحاب إذا لم يخطر (برغبته في التجديد) قبل انتهاء أجل الميثاق بستة أشهر. وفي هذه الحالة يبقى الميثاق نافذ المفعول بالنسبة للأطراف المتعاقدة الأخرى.

ثامناً ـ يتم التصديق على هذا الميثاق من جانب كل طرف بمجرد أن يصبح ذلك ممكناً، على أن يتم تبادل وثائق التصديق في أنقرة متى أصبح ذلك ممكناً، ويدخل الميثاق دور التنفيذ بمجرد تبادل هذه الوثائق.

وقد وضع نص هذا الاتفاق باللغات الثلاث العربية والتركية والإنكليزية.

ووقع السيد نوري السعيد المذكرة التفسيرية الأولى الملحقة بالميثاق، وقد ورد بها ما يلي:

بالإشارة إلى الميثاق الموقع اليوم أتشرف بالإحاطة أني أخذت علماً بموافقتكم، على أن هذا الميثاق يسمح لبلدينا بالتعاون في سبيل مقاومة كل عدوان موجه إلى أي منا، وفضلاً عن ذلك فلكفالة حفظ السلام والأمن في منطقة الشرق الأوسط قد اتفقنا على التعاون على جعل كل قرارات الأمم المتحدة فيما يتعلق بفلسطين نافذة.

وقد وقع السيد عدنان مندريس المذكرة الثانية، وهي تتضمن رده على النقطة التي أثارها نوري السعيد في مذكرته، ومفاد هذا الرد الموافقة التامة.

***

(15) واجب سورية الجديد في الموقف العربي نحو الاتحاد:

مقال للكاتب نشر في جريدة الرأي الدمشقية عدد الإثنين 6 رجب 374 ـ 28 شباط 1955.

كنا قلنا في مقال نشر قبل أسبوعين في الموقف العربي، إن سورية تستطيع أن تقوم بدور هام إيجابي إذا وقفت موقفاً صريحاً حاسماً.

والآن وقد وقفت هذا الموقف، بنأيها عن الانزلاق فيما انزلق فيه العراق منفرداً، وبإعلانها العزم على تدعيم الذاتية العربية الجماعية، فقد انفتح أمامها مجال عمل جديد يجب عليها أن تنشط في سبيله.

إن مصر تتزعم الآن فكرة تنفيذ معاهدة الضمان الجماعي تنفيذاً فعالاً ليسد الفراغ في دنيا الاستراتيجية العربية، وليكون الدعامة للدفاع عن الشرق العربي ودفع الأخطار القريبة والبعيدة عنه، في نطاق الجامعة العربية. وتردد هذه الفكرة بقية الدول العربية بما فيها العراق،

وفي هذا خير كثير إذا أمكن إخراجه من حيز القول إلى حيز التنفيذ.

غير أن الذي نعتقده أن الدول العربية ما دامت تتمتع بحريتها السياسية داخل الجامعة تمتعاً تاماً، فإن العرب سيظلون يواجهون مواقف مماثلة للموقف الذي واجهوه في حركة انفراد العراق، ويتعرضون لمختلف مناورات المعسكر الغربي الرامية إلى إدخالهم منفردين أو مجتمعين في حلقاته الدفاعية بدون حل قضاياهم حلاً عادلاً وحاسماً.

والعلاج الأنجح والأقوى هو تبديل ميثاق معاهدة الضمان الجماعي إلى ميثاق اتحادي عسكري وسياسي واقتصادي، تتوحد به فعلاً جيوش العرب وسياستهم واقتصادهم في نطاق من وحدة النظم والإدارة والتشريع، مع احتفاظ كل دولة بنظام حكمها الراهن، واستقلالها الذاتي، وتشكيلاتها البرلمانية والدستورية والحكومية. فبمثل هذا العلاج لا يبقى مجال لاختلاف الوجهات السياسية، والتأثر بالاعتبارات الإقليمية والأسروية والطائفية والشخصية في مجالها وبه يتعامل العرب مع المعسكرات الخارجية في جبهة متحدة، يكون فيها الضمان القوي للنجاح في ما يجب أن يترسموه من السياسة المتسقة مع مصالحهم، والكفيلة بحل قضاياهم حلاً عادلاً وحاسماً.

والجهد الذي يبذل في سبيل تنفيذ معاهدة الضمان تنفيذاً فعالاً، لن يقل عن الجهد الذي يبذل في سبيل تعديل هذه المعاهدة إلى ميثاق اتحادي عسكري وسياسي واقتصادي فيما نعتقد. وإذا كانت هناك دول تقف منكمشة أو مناوئة للحركات الاتحادية، فإن منشأ هذا هو كون هذه الحركات غير عامة، ومن شأنها أن تثير القلق في هذه الدول لاعتبارات متنوعة. فإذا ما اندمجت الدول جميعها في الاتحاد زالت أسباب القلق منها.

وهنا مجال العمل الجديد الذي يجب على سورية أن تنشط في سبيله، فهي خير من يتقدم ويتبنى هذه الفكرة لأنها غير متهمة بمطامع إقليمية ولا بمطامع عروش وزعامة، وليس بينها وبين شقيقاتها نزاع وتوتر أو ثارات وأحقاد. وكل هذا من شأنه أن يجعل تبنيها للفكرة ونشاطها في سبيلها سائغاً مقبولاً.

وهي إلى هذا أولى الدول العربية التي جعلت العمل للوحدة العربية واجباً دستورياً عليها، وأقسم نوابها ورئيس جمهوريتها عليه حينما باشروا مهام مناصبهم. وهذا من شأنه أن يجعلها أولى الدول لتبني الفكرة والنشاط في سبيلها أيضاً.

فنحن ندعو والحالة هذه الوزارة السورية الجديدة، وقد نالت الثقة على أساس الذاتية العربية الخالصة، إلى تبني هذه الفكرة والنشاط في سبيلها. ونعتقد أن ذلك سوف يقابل بالتأييد والارتياح من الشعب العربي بأجمعه، وأن الجو صالح له كل الصلاح.

***

(16) برقية من الرئيس شكري القوتلي من الإسكندرية في 28 شباط 1955:

السيد عزة دروزة دمشق

اتصلوا بسيادة الصاغ صلاح سالم واعرضوا عليه آراءكم.

توضيح

الأراء المذكورة في البرقية هي التي شرحناها

في كتابنا للرئيس القوتلي الذي أوردنا نصه سابقاً تحت رقم (11). ولقد ذكرنا في التعقيب الذي كتبناه بعد إيرادنا نص كتابنا المذكور، أنه قام جبهة مصرية سعودية سورية لمناهضة حلف بغداد ـ وقد أرسلت مصر أحد أبرز رجالها الصاغ سالم إلى سورية في هذه الآونة للبحث مع رجال الحكومة السورية في وسائل تعزيز التضامن بين هذه الجبهة. فالبرقية هي لأجل شرح ما ذكرناه من آراء في كتابنا المذكور للصاغ سالم.

ولم نتمكن من الاجتماع بالصاغ سالم في دمشق، فكتبنا له رسالة مطولة ضمناها آراءنا التي كنا نريد شرحها له. وكتبنا في نفس الموضوع رسالة للسيد صبري العسلي رئيس الوزارة السورية وهما ما سوف يردان بعد قليل.

***

(17) رسالة من الكاتب للرئيس شكري القوتلي 4 آذار 1955 ـ 10 رجب 374:

سيدي الأخ الجليل

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. وبعد فقد تلقيت برقيتكم بشأن مقابلة سيادة الصاغ صلاح سالم لعرض آرائنا عليه. وقد حاولت أنا والأخ معين ذلك، وطلبنا من أحد موظفي المفوضية المصرية تدبير اجتماع في وقت مناسب فلم يتيسر. ولم تتح لنا فرصة أخرى للاجتماع به.

وعلى كل حال إن كثيراً مما خطر لبالنا كان حديث الناس والمجالس والاجتماعات الرسمية وشبه الرسمية والصحف. ويظهر أن خطوط مشروع حلف او اتحاد عسكري واقتصادي وسياسي بأسلوب ما قد تفوهم عليها بين الصاغ والحكومة السورية ورجال الجيش السوري، وإن الاتفاق تم على استمزاج الأردن ولبنان في هذه الخطوط على أمل اندماجهما. ولعلها تعرض بعد ذلك على العراق من قبل سورية. وقد سافر الصاغ مع خالد العظم إلى الأردن، وسيسافران منها إلى بيروت بسبيل ذلك. ولا بد من أنكم اطلعتم على ما نشرته صحف دمشق في هذه المواضيع، وما جرى في مناسبة زيارة الصاغ من اجتماعات وأبحاث وحفلات وخطب فيها.

على أن المهم في الأمر أن لا يظل ما جرى وقيل في سورية ومصر في نطاق الكلام والنشر، وأن ينقلب إلى حقيقة. ورجال مصر في الدرجة الأولى الآن تحت الاختبار، لأنهم هم الذين أمسكوا منذ البدء بزمام المبادرة. ونرجو أن لا يجفلوا ويتوانوا ويخمد حماسهم مما قد يقف في الطريق من عقبات ومشاكل، وأن يبذلوا جهودهم وما تحلوا به من المرونة وسعة الأفق والصبر للتغلب عليها. أما إذا جفلوا وتراخوا فإن الآمال تتحطم مرة أخرى وبصورة شديدة، وقد يؤدي هذا إلى ما لا تحمد عقباه من تطورات.

وسورية تستطيع كذلك أن تلعب دوراً مهماً في الموقف، بل إنه ليس من المبالغة أن يقال أنها الآن مركز الثقل، وأن هذا المركز يمنحها قوة الترجيح والحسم.

وأعتقد أن على فخامتكم دوراً مهماً في هذا المجال في سورية ومصر، وأن الفرصة سانحة كل السنوح لخطوة جدية إلى الاتحاد العربي الذي يقوي العرب على حل قضاياهم وارتفاع اعتبارهم وتلافي آثار المكائد التي تكاد لهم.

فمن واجب كل قادر، وأنت في رأس القائمة، أن يبذل جهده في عدم ضياعها كما

ضاعت فرص سابقة لو لم تضع لكان من أقوى الاحتمالات أن نتفادى كارثة فلسطين وما جرتها، ثم أن لا تبقى هذه المنافذ التي تنفذ منها الأصابع الاستعمارية للتلاعب بنا وتسييرنا في ركابها بدون ثمن، أو بالثمن البخس، وتجميد قضايانا بدون حل كريم.

والله المسؤول أن يمدكم بعونه وتسديده إلى ما فيه خير العروبة وقوتها، إنه سميع مجيب.

***

(18) رسالة من الرئيس شكري القوتلي إلى الكاتب:

الأخ الجليل حفظه الله،

أهديكم فائق تحياتي وأصدق تمنياتي، وأرجو أن تكونوا بصحة تامة وعافية.

وبعد فقد كنت أخذت منكم كتاباً قبل الكتاب الأخير، وعملت على تنفيذ ما جاء فيه، وأرجو أن يكون ذلك غير بعيد. ومنذ أربعة أيام أخذت كتابكم المفصل وفيه آراء قيمة لكم، وهي التي كنا تحدثنا سوية بشأنها، والتي تضمنها الفصل العائد لكتابكم المرسل إلى القاهرة سابقاً. وهذه الآراء هي التي كنت - منذ وصولي إلى هنا وقبل عاصفة اتفاق نوري - مندريس بزمن غير قصير - تذاكرت بها مع رجالات مصر مرات متعددة. وقد ذكرت لهم أمس إنكم لو قبلتم تنفيذ وإعلان ما كنا تحدثنا به وهو ما تعلنونه اليوم، لكان أنسب وأوفق للمصلحة العربية، وكانت جاءت تصريحاتكم هذه قبل الاتفاق المذكور بزمن، وربما كانت تحول دون التوقيع. ومع ذلك فإننا باركنا الخطة التي يسيرون عليها. وبما أن الصاغ صلاح بطرفكم ولما يبرح دمشق، وهو قادم على تنظيم ميثاق جديد في هذا الشأن، وبما أن الكثيرين من الذين يفاوضهم في هذا الأمر لا يحيطون بالموضوع إحاطتكم به، فقد أبرقت إليكم للإجتماع، وعرض آرائكم عليه. وبالأمس ذكرت إلى الرئيس جمال هنا أنني أبرقت إليكم بذلك، وعند عودة الصاغ صلاح إلى هنا سأتحدث إليه بشأنكم وبآرائكم، مع الاعتقاد بأنكم اجتمعتم إثر برقيتي لكم، وأدليتم برأيكم إليه لإعطائه الإيضاح والتفصيل اللازم.

نحن تأخرنا هنا حتى الآن، وأرجو أن نوفق للسفر قريباً إلى طرفكم، وأرجو أن أراكم بخير وعافية إن شاء الله. تحياتي.

***

(19) رسالة من الكاتب للسيد صبري العسلي 1955/3/6:

دولة الأخ الكريم السيد صبري العسلي المحترم.

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وبعد. فإني أريد أن أعلنكم بابتهاجي الشديد بما انتهت إليه المحادثات مع ممثل مصر، والاتفاق على فكرة الاتحاد العسكري والاقتصادي والسياسي، وأرجو الله أن يمدكم بقوته وتسديده، إلى أن يتحقق هذا فعلاً في وقت قريب، فيتحقق به مرحلة من مراحل الهدف القومي المقدس للعرب في دور حركتهم الحديثة. ولقد كتبت منذ أيام مقالين قلت فيهما أن سوريا تستطيع ويجب أن تقوم بدور حاسم إيجابي في الموقف الحاضر العربي، وأنها فيه مركز الثقل الآن الذي يمنحها قوة الترجيح،

وأنها يجب أن تستغل هذا المركز في الدعوة إلى اتحاد عربي فعلي، وهي أولى من تتبنى هذه الدعوة من مختلف الإعتبارات. وإني مغتبط لأنكم أدركتم قيمة هذا المركز، وبادرتم إلى القيام بالواجب المتناسب معه.

وبعد هذا استسمحكم بإبداء الملاحظات التالية:

1 ـ لا أعرف تفصيل المشروع الذي جرى الاتفاق عليه، ولكني أخشى أن لا يكون مشروع اتحاد فعلي تنفيذي، وأن يكون من نوع مواثيق معاهدة الضمان أو الجامعة العربية، مع شيء من التعديل. وأعتقد أن هذا لن يجدي شيئاً في معالجة الموقف العربي معالجة ناجعة، ولن يحقق الأهداف العربية. وما دامت الدول العربية محتفظة بحريتها السياسية، فإن العرب سيظلون يواجهون مواقف شذوذ من دولة أو أخرى، تمليها الاعتبارات المتنوعة المعروفة.

2 ـ والعلاج الناجع الذي يضمن تلافي ذلك ويضمن للعرب القوة والمكانة والمصالح الإقتصادية المتنوعة وحل قضاياهم حلاً كريماً، هو الاتحاد الفعلي على الأقل في هذه المرحلة. وقد كنت وضعت مشروعاً لمثل هذا الاتحاد سلمت نسخة منه لفخامة الأخ الجليل السيد شكري القوتلي حينما ذهب بالسلامة إلى مصر. وها أنا أربط نسخة عنه أرجو أن يكون لها بعض الفائدة فيما يجري من أبحاث.

ففي تحقيق مثل هذا المشروع تضمن وحدة القوات الحربية ووحدة السياسة الخارجية ووحدة الاقتصاد والجمارك والنقد والمواصلات والمناهج الثقافية والتشريع العام، وحرية العمل والتبادل والتناقل التي لا بد منها لازدهار ونشاط الشعوب والبلاد العربية.

ومثل هذا المشروع يحل مشكلة الجيش الأردني التي هي أعقد المشكلات العربية. فالقوات الموجودة في الدول العربية تغدو به قوات موحدة التنظيم والإدارة، وينفق عليها من بيت مال الاتحاد، ولا يبقى أي ضرورة لأخذ المساعدات المالية الإنكليزية التي يسترق الإنكليز بها الأردن، ويتخذ منها ذريعة إلى إحكام قبضتهم على زمام الجيش الأردني، وجعل رئاسته وضباطه إنكليزاً دون ما سند من نص عهدي.

ويحل كذلك مشكلة التوجس السعودي الهاشمي التي هي من أشد المشكلات تأثيراً في دنيا العرب وأهدافهم الاتحادية، لأن توحيد القوات العربية تحت قيادة واحدة، وتوحيد السياسة والاقتصاد، سيبعث الطمأنينة ويزيل الهواجس من القلوب.

وهو إلى هذا وذاك مطمئن لرغبات أصحاب الإعتبارات الطائفية والأسروية والشخصية والإقليمية، من حيث سماحه ببقاء نظم الحكم وتشكيلات الدولة الداخلية لكل دولة.

3 ـ إني أعتقد بأن التشاد العربي الذي نشأ عن الأحداث المعروفة، هيأ أحسن الفرص لتحقيق هذا الاتحاد الذي هو نشيد أنشاد العرب في كل اجتماع وعلى كل لسان ومنبر وقلم. وفيه الجواب القوي لكل موقف وسؤال. فمن الواجب استغلالها دون أي تراخ وتوان. ولقد أضعنا فرصاً ذهبية فيما سبق، لو لم نضيعها لتفادينا كارثة فلسطين الحاطمة وكثيراً مما ألم بالعرب بعدها. فحرام كل الحرام إضاعة هذه الفرصة.

4 ـ من المسلم به أن يشمل الإتحاد جميع دول الجامعة العربية، وهذا ما يجب السعي إليه بكل قوة وجهد. وإني أتفاءل كثيراً في النجاح إذا ما بذلت الجهود الصادقة مع سعة الأفق

والمرونة والبصر. غير أن من المحتمل أن تقف اعتبارات وظروف متنوعة خارجية وداخلية في الطريق، فتجعل بعض الدول تتردد في الإندماج فيه، وأقصد لبنان والأردن والعراق، لأن الملاحظ أن مصر متحمسة لعمل شيء، وأن السعودية متجاوبة معها، وهذه تؤثر على اليمن فتجعلها تتجاوب أيضاً. وأرجح أن ليبيا مستعدة للتجاوب أيضاً. فمن الواجب على سوريا أن لا تتردد أو تحجم عن المضي في المشروع مع مصر والسعودية واليمن وليبيا.

واعتقد أنها إن فعلت فلن تجد الأردن ولبنان والعراق بدأ من الاندماج عاجلاً أو آجلا. لأنها لا تستطيع أن تتحمل نتائج العزلة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والقومية في حال. وسورية في هذا الموقف أيضاً مركز الثقل الذي يمنحها قوة الترجيح. ومن العجز أن لا تلعب الدور الذي يهيؤه لها هذا المركز، وأن تكون متأثرة لا مؤثرة. أما إذا أحجمت وترددت وأرادت أن تكون المتأثرة دون المؤثرة، فإن مسؤولية ضياع هذه الفرصة تعود عليها أمام الله والتاريخ، وإني أعيذكم من ذلك.

5 ـ مما يقال أنه ليس بين مصر وسورية اتصال أرضي، فكيف يجدي الاتحاد بينهما. والحق أن هذا من أسباب وجوب قيام هذا الاتحاد بينهما قبل غيرهما. فالعدو الأول والأخطر للعرب هو إسرائيل، وإسرائيل هي الحد المشترك بين مصر وسوريا بنوع خاص، فإذا ما اتحدت الدولتان سياسياً وحربياً واقتصادياً غدت بين شقي الرحى وضمن التضامن الحربي على أوسع نطاق بين القوات المصرية والسورية، التي تكون قوات موحدة نظماً وسلاحاً وتجهيزاً وإدارة وقيادة، في مجال الدفاع وفي مجال الهجوم معاً، وهذا لا يضمنه أي اتحاد ثنائي آخر. فقصارى ما يفيده اتحاد العراق وسورية أن تتصامن قواتهما في جبهة واحدة ـ ولست أعني بهذا أن الإتحاد بين العراق وسوريا غير مفيد وغير ضروري، ولكني أقصد إلى القول بأن الاتحاد بين مصر وسوريا مجدٍ كل الجدوى، وأن وجود إسرائيل بينهما يجعله أشد جدوى وإلزاماً خلافاً لما يتوهمه البعض. هذا بالإضافة إلى أن الاتصال بين مصر والسعودية بحراً مضمون وميسر كل الضمان واليسر، والاتصال بين السعودية وسوريا براً قائم. والطيران قد جعل البعيد قريباً والمقطوع موصولا. وليست فائدة الاتحاد منحصرة في المسائل الحربية والسياسية. بل إن هذه تأتي ثانوية وموقوتة بالنسبة للمصالح الاقتصادية والاجتماعية التي يشملها. وهذه لا تتوقف على اتصال ترابي كما لا يخفى. وأظنني لا اذكّر ذاكراً إذا قلت أن اتحاد مصر مع سورية ليس بدعاً ولا غريباً. فهو المألوف الذي كان يتم ويستمر قبل الإسلام وبعده على الأغلب، وأن فلسطين قد أنقذت بفضله من الغزوة الصليبية.

هذا وأختم كتابي بالدعاء لله بأن يسدد خطواتكم وخطوات رجال العرب إلى ما فيه خير العروبة وقوتها ومجدها، وأن يدرأ عنها كيد الكائدين ومكر الماكرين.

والسلام عليكم.

10 رجب 1374 ـ 6 آذار 1955

توضيح:

لم نجد بين أوراقنا المشروع الاتحادي الذي ذكرنا أننا أرسلناه إلى الرئيس القوتلي، وأرسلنا صورته إلى الرئيس العسلي. غير أننا وجدنا بين أوراقنا نشرة فيها مشروع أذيع من قبل الرئيس القوتلي هو على الأرجح مقتبس من مشروعنا أو صيغة معدلة له. وسيأتي نص هذا المشروع بعد قليل. ولقد نشرنا في جريدة الرأي مشروعاً للاتحاد هو متطابق لهذا المشروع، وسيأتي نص المقال بعد قليل أيضاً (المؤلف).

(20) رسالة من الكاتب إلى الرئيس شكري القوتلي 11/3/1955:

سيدي الأخ الجليل،

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ودعاء الله بأن تكونوا مع الأسرة الكريمة على خير حال. وبعد فقد شرفني كتابكم الكريم المؤرخ 2/3/1955، وإني أشكر عواطفكم الأخوية جزيل الشكر، وأدعو الله أن يبقيكم ذخراً لإخوانكم وأمتكم.

ولقد كتبت قبل هذا كتاباً بناء على البرقية التي تلقيتها منكم، شرحت لكم عدم سنوح الفرصة للاجتماع بالصاغ صلاح سالم. وقد صدر البيان المشترك بعد ذلك، وقد حقق أملاً مهماً جداً، وهو إعلان سورية موقفها النهائي من الحلف العراقي التركي والأحلاف الخارجية. فسورية مركز الثقل في الموقف العربي الراهن، وإعلانها هذا مهم جداً من أجل ذلك. وسوف يؤثر على لبنان والأردن والعراق عاجلاً او آجلاً، كما أنه أحبط مناورة الغرب لسحب الدول العربية واحدة بعد أخرى إلى حلقاته الدفاعية، بدون الثمن الذي يريده العرب، والذي تحل به قضاياهم وعلى رأسها قضية فلسطين. غير أنه في اعتقادي غير كفيل بتحقيق الأمل المنشود الذي لا يتحقق إلا باتحاد حقيقي تجتمع به شؤون السياسة والدفاع والاقتصاد في يد واحدة. والبيان يدل على أن المراد عمله هو مماثل من حيث المبدأ لمواثيق جامعة الدول العربية ومعاهدة الدفاع المشترك، التي تظل الدول المندمجة فيه محتفظة بحريتها السياسية وسيادتها الكاملة. وهذا هو سبب تعثر ميثاق الجامعة ومعاهدة الدفاع، وسيكون سبب تعثر المنظمة الجديدة أيضاً. ولهذا أعتقد بوجوب بذل المساعي نحو إقامة كيان اتحادي على أسس مماثلة للأسس التي اقترحتها. وبهذا فقط يتحقق التدعيم الاقتصادي والسياسي والدفاعي، وتحل مشاكل العرب وعقدهم، وتنسد المنافذ على المداورات والدسائس الخارجية والاعتبارات الإقليمية والطائفية. وقد كتبت مذكرة متصلة بهذا وأرسلتها للسيد صبري العسلي. ومما يقال أن مصر لا تستسيغ اتحاداً من هذا الوجه وهو غريب، لأنها كما يبدو راغبة أشد الرغبة في الاتحاد على أوسع نطاق ممكن مع السودان. والمسافات والعلاقات والمصالح الأخرى قوية مثل علاقتها بالسودان.

وها أنا أكتب الآن مقالاً في تحليل البيان ومقارنته بما قبله، وإثبات عدم جدواه في مجال التطبيق. وسوف أرسل إلى فخامتكم نسخة من العدد الذي ينشر فيه.

سدد الله خطى رجال العرب إلى ما فيه الرشاد والصلاح والجد، إنه سميع مجيب.

ابتهجت لبشرى قرب أوبتكم إلينا، وسألنا الله أن يجمع الشمل بكم على أحسن حال.

16/3/1955.

توضيح :

نص المقال التحليلي سيرد بعد قليل (المؤلف).

***

(21) رسالة من الرئيس شكري القوتلي الى الكاتب 16/3/1955:

الأخ الجليل حفظه الله،

أهديكم تحياتي وأحسن تمنياتي مع

الاحترام، وأرجو أن تكونوا بخير وعافية وصحة تامة.

وبعد فقد أخذت كتابكم الكريم وتطمنت منه عن صحتكم وحمدت الله تعالى على ذلك.

أسفت لعدم اجتماعكم بالصاغ صلاح أثناء وجوده في دمشق، وقد كان يكفي لو أبرزتم البرقية لمن طلبتم إليه أن يجمعكم به لأمكن الوصول إليه والتحدث معه.

وقد لقيته أمس وتحدثت إليه مطولاً وأطلعته على أسفكم لعدم الاجتماع به وإدلائكم بآرائكم اليه كما طلبت، فأسف لذلك كثيراً.

إنني تحدثت إليه وإلى رئيسه، وأفضنا في موضوع تحقيق أهدافنا التي طالما تمنينا تحقيقها، ورجونا سنوح الفرص لإعلانها، وسعينا لإيجاد من يتبنى حمل رايتها. والذي تراءى لي بأن الجماعة هنا مع السعوديين، وبالتالي مع الجماعة في سورية، يمكنهم حمل الراية الآن والدعوة إلى الاتحاد توصلاً إلى تحقيق الهدف الأسمى وهو الوحدة الشاملة، وسيكون بيني وبينهما اجتماعات أخرى هذا الأسبوع إتماماً لإعلان ذلك.

وربما أقوم أنا بإعلان هذه الفكرة هذين اليومين.

وإني موقن بأن للموضوع أهميته القصوى، وهذه فرصة كبرى لتحقيق ذلك.

حبذا لو كنت هنا لتمكنا من مبادلة الرأي والتحدث سوية في أطراف الموضوع، ولو كان الأخ معين مرافقك أيضاً لكان في ذلك كل الخير. تحياتي إليه وإلى الإخوان المحترمين. إنني باقٍ هنا في القاهرة لغاية يوم الأحد، أعود بعدها إلى الإسكندرية.

هذا وإني أرجو الله سبحانه أن يهيىء لهذه الأمة خير مخرج مما يحيط بها من شرور، ومما يراد لها من سوء وأذى، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين. تولاك الله برعايته وجزيل عنايته والله يحفظكم ودمتم محترمين.

القاهرة ـ 1955/3/16

كنت نشرت هنا تصريحاً عن ميثاق الدفاع الصادر عن الدول الثلاث لا بد اطلعتم عليه. وكنت أبديت رأيي في موضوع الضمان الجماعي في عام 1949، وقد طبعت الجامعة رأيي هذا في كراس آنئذٍ ووزعته على أعضاء الجامعة، وأرسلت عدداً منه إلى المهاجرين في ديار الغرب.

وفي هذا الأسبوع لفت نظري أحد موظفي الجامعة، وأرسل لي عدة نسخ من الموجودة لدى الجامعة. وها إني أرسل إليك نسختين. ومن مطالعة النسخة تجد أن نص الميثاق الجديد مأخوذ من هذا الكراس بل هو منقول حرفياً. ربما أمكن نشر شيء في هذا الموضوع ببعض الصحف بطرفكم، والإشارة إلى ذلك بعد المقارنة وبيان النقل الحرفي، إذا وجدت ذلك مناسباً. ربما يكون ملائماً أيضاً نشر بعض الصفحات من الكراس وخاصة من صحيفة 12 ـ 15، ليطلع بعض الشباب على مثل هذه الآراء التي كانت تنشر في الماضي....

توضيح :

هذه حاشية في كتاب الرئيس القوتلي. وقد استجبنا لرغبته، وكتبنا له عن ذلك في حاشية جوابنا الذي كتبناه له والذي سيرد بعد قليل (المؤلف).

***

(22) رسالة من الكاتب للصاغ صلاح سالم - في صدد الوحدة - 1955/3/19:

سيادة الصاغ صلاح سالم المحترم

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد، فقد كنت تلقيت من فخامة الأخ الجليل السيد شكري القوتلي الذي تربطني به منذ الشباب رابطة وثيقة ناشئة عن اندماجنا في الحركة العربية القومية والعمل على تحقيق أهدافها في مختلف الأدوار، برقية بمقابلتكم في دمشق حينما زرتموها قبل قليل، وعرض آرائي عليكم في الموقف العربي الراهن. وقد حاولت أن أحظى باللقاء ولكن الحظ لم ييسره مع الأسف.

إن الذي كنت أريد أن أقوله لسيادتكم هو أن الأسباب الحقيقية لتعثر تنفيذ مواثيق جامعة الدول العربية ومعاهدة الضمان المشترك ليست صيغتها، وإنما لأن الدول المشتركة فيها ظلت تحتفظ بكامل سيادتها وحريتها، وظل بعضها يستوحي اعتباراته الإقليمية والشخصية والأسروية والطائفية في استعمال هذه السيادة والحرية. وفي هذه المواثيق نصوص عديدة، لولا ذلك لكان لها آثار نافذة في تدعيم البنيان العربي سياسياً ودفاعياً واقتصادياً. وأي ميثاق تنبعث عنه أي منظمة إذا ظلت الدول المشتركة فيه تحتفظ بكامل سيادتها وحريتها سيتعثر في التنفيذ مهما كانت نصوصه. والعلاج الأنجع هو الاتجاه نحو الاتحاد الذي تجتمع فيه الشؤون السياسية والدفاعية والاقتصادية في يد واحدة في نطاق جهاز اتحادي تنفيذي.

ولقد كتبت مقالاً مسهباً حللت فيه البيان العربي الثلاثي الجديد وبينت نقاط قوته وضعفه. وهو دراسة مستمدة من مقارنة النصوص من جهة والتجارب السالفة من جهة أخرى، انتهيت بها إلى أن العلاج الأنجع هو الاتجاه نحو الاتحاد. وقد أرسلت نسخة من جريدة «الرآي» التي نشر فيها المقال لسيادتكم في البريد الجوي، فأرجو أن تطلعوا عليه. وستنشر لي هذه الجريدة بعد غد مقالاً مسهباً فيه مشروع مفصل للاتحاد الذي أرى ظروف الدول العربية واعتباراتها الراهنة تتحمله وتسيغه، والذي فيه في الوقت نفسه تدعيم للبنيان العربي الاقتصادي والسياسي والدفاعي، وسأرسل لسيادتكم نسخة من العدد الذي ينشره، وأرجو أن يحظى باهتمامكم.

يسعدني أن أقول لكم إني مندمج أشد الاندماج في حركتكم المباركة التي قمتم بها أنتم وإخوانكم الأبرار، فأنقذتم مصر من الفساد والطغيان، وفتحتم لها وللعروبة طريق المجد والقوة. وقد أيدتكم في كل ما فعلتموه بقلمي ولساني، لأني رأيت فيه الحق والخير والنفع. وأنا مغتبط كل الاغتباط بما يبدو منكم ومن إخوانكم من اندماج شديد في العروبة وأهدافها ونشاط كبير في سبيل ذلك. وإني أناشد ضمائركم وإيمانكم وعروبتكم بأن لا تضيعوا جهدكم العظيم الذي بذلتموه في هذين الشهرين في الموقف العربي الناتج عن انفراد العراق في الانزلاق إلى حلقات الغرب الدفاعية بتجربة جديدة سيكون مصيرها الإخفاق ما دامت من نوع المواثيق السابقة مهما كانت صيغتها، وأن تغتنموا فرصة التجاوب السوري السعودي، واهتمام الرأي العام العربي والعالمي وتعليق انظاره عليكم، فتخطوا خطوة قوية إيجابية نحو الاتحاد الفدرالي التنفيذي.

ولقد كانت مصر العربية تحرص أشد

الحرص على توحيد بلاد العرب تحت رايتها قبل الإسلام وبعده، وكانت تنجح في أكثر حقب التاريخ، وكان لنجاحها أعظم الآثار النافعة لها وللبلاد العربية سياسياً ودفاعياً واقتصادياً واجتماعياً.

ولم تمن هي وبلاد العرب بما كانت تُمنى به من وهن وتفكك وضعف وتعرض للغزوات والكوارث، إلا حينما كانت تنحل عقدة الوحدة بينها وبين بلاد العرب. وإن الفرصة الآن أمام رجال مصر لسانحة كل السنوح لتجديد ذلك العهد العظيم، وإن رجال مصر هم الآن تحت الاختبار، فإما أن يخطوا خطوة إيجابية قوية هم جديرون بها في سبيل ذلك، فينقذوا العروبة مما حلّ فيها ويهيئوا لها أسباب الجد والقوة وحل العقد والمشاكل ومحو العار الذي لبسته في كارثة فلسطين. وإما أن تكون حصيلة هذا الجهد ضئيلة، تتكرر بها التجارب المخفقة وتتحطم بها الآمال المعقودة. وإني أعيذهم من أن يفعلوا ذلك، وقد برهنوا على جرأتهم وسعة أفقهم وقوة رغبتهم في العمل الجدي لخير مصر والعروبة.

إن الوحدة والاتحاد العربي قد أصبح اليوم نشيد أنشاد العرب في كل قطر، وإنه لم يبق في الدنيا بلاد تتوافر فيها وحدة الجنس والتاريخ واللغة والمصلحة والجغرافية إلا واندمجت في اتحاد ووحدة غير بلاد العرب، في حين لا تتوفر أسباب الوحدة في أي بلاد كما تتوفر في بلاد العرب قوة وامتدادا. ولقد كانت الوحدة تجمع بينها إلى أمد قريب ممتدة إلى عديد القرون. وما يقوم اليوم فيها من كيانات وحدود وحواجز شيء مصطنع وأثر من آثار الاستعمار. ومصر وسورية والسعودية واليمن هي الدول التي لا تأثير للاستعمار فيها، فواجبها أن تحقق للعرب وحدتهم وهي 60٪ من الأمة العربية جميعها، و 80٪ من المشرق العربي. ومصر هي العمود الفقري من حيث توسطها مركزها ولمعانها وكثافتها وتاريخها، وقد تحللت بفضل الثورة المباركة من كثير مما كان يعوقها عن الانطلاق، وحملت راية العروبة والدعوة إلى وحدتها وتحقيقها، فواجبها في هذا أشد وألزم، ولا يخامرني ريب في أن رجال الثورة مدركون لكل ذلك. وأرجو أن يحققوا حسن الظن فيهم، فيتحقق على يدهم أمل عظيم فيه القوة والمجد للعرب والإسلام، وأسأل الله أن يسدد خطاهم ويلهمهم ما فيه الخير والحق والصواب إنه سميع مجيب.

1955/3/19

***

(23) مقال للكاتب نشر في جريدة النصر العدد 3066 الخميس تاريخ 10 آذار 1955 17 رجب 1374

البيان الثنائي والبيان الثلاثي
هل تخيب الآمال؟..

شعرت بخيبة أمل حينما قرأت البيان المشترك السوري المصري الذي نشر بالأمس بعد أخذ موافقة العاهل السعودي على فحواه، لأنه يوحي بأنه ليس هناك اتجاه نحو اتحاد فعلي عربي كما قيل وأشيع، وأن حصيلة هذا الضجيج والعجيج والنشاط والتشاد والحماس والهزات والرجات التي اكتنفت بلاد العرب وحكوماتها ورجالاتها لن تعدو ميثاقاً جديداً من نوع ونطاق ميثاق معاهدة الدفاع المشترك، أو جامعة الدول العربية.

وحينما تعود الذاكرة إلى الظروف التي انبثق عنها هذان الميثاقان، نجد مشابهة تامة في ما اكتنف ظهورهما من عجيج وضجيج، وما أسفرا عنه من نتائج هزيلة.

فلقد أوحت ظروف الحرب العالمية الثانية للقوميين العرب أمل الفرصة لتحقيق الوحدة العربية، حتى انعكس هذا الأمل على السياسة الإنكليزية، وجعل وزير الخارجية الإنكليزية يصرح بعطف حكومته على أي حركة توحيدية يتحرك نحوها العرب. واستقبل القوميون التصريح بالارتياح، لأن الإنكليز كانوا إذ ذاك أصحاب الحول والطول في الحرب وفي بلاد العرب. وبادر مصطفى النحاس رئيس الوزارة المصرية إلى الحركة. فأخذ يقوم بالمشاورات مع الحكومات العربية سميت بمشاورات الوحدة العربية، ورافق المشاورات التي استمرت نحو عام ضجّة وطنّة وتصريحات وخطب جعلت القوميين يظنون أن الوحدة لن تلبث أن تقوم، وخاصة لأن ممثلي العراق وسوريا والأردن طلبوا باسم حكوماتهم وشعوبهم قيام اتحاد إجرائي تنفيذي. ثم انتهت الضجة إلى تضاؤل الفكرة في النظام الفضفاض الذي عرف بميثاق جامعة الدول العربية، والذي يعترف جميع رجال العرب، الرسميين والشعبيين، أنه لم يحقق شيئاً كثيراً من آمالهم، وأن نتائجه لم تعد المراسم والمظاهر وبعض الشؤون والتنظيمات الثانوية.

ولقد كانت فرصة ذهبية أضاعها رجال العرب الرسميون، وخاصة رجال سوريا والأردن والعراق، الذين كانوا من أركان الحركة العربية القومية التي كانت الوحدة أهم أهدافها، والذين طالبوا فعلاً بها في المشاورات. فقد أصرت الدول الأخرى على احتفاظ الدول العربية بنظامها الراهن، فتراجع رجال سوريا والعراق والأردن وقبلوا بذلك، وكان من الواجب عليهم أن يحققوا ما طلبوه وما هو من أهداف حركتهم بالنسبة لبلادهم على الأقل. وكان ذلك في نطاق الإمكان فيما نعتقد. ولو فعلوا هذا لتفادى العرب على ما هو الأرجح كارثة فلسطين الحاطمة وغيرها مما ألم بهم.

ولقد أدرك رجال العرب فيما بعد عدم جدوى نظام جامعة الدول العربية ولا سيما بعد كارثة فلسطين، وأخذوا يهتفون بالوحدة التنفيذية العملية لأنها العلاج الناجع الأقوى بل الأوحد لتقوية البنيان العربي وجعله قادراً على حل قضايا العرب ورفع اعتبارهم في نظر أنفسهم ونظر العالم، ومحو ما لبسوه من عار وذل، وازدهار بلادهم واستثمار إمكانياتها العظيمة، واشتداد التواثق والانسجام بين أهلها. ونتج عن هذا مساعٍ ونشاط كانت حصيلته معاهدة الضمان الجماعي لتكون عوضاً عن الاتحادات الثنائية التي أريد بها أن تكون المرحلة الأولى للوحدة، ولتسد الفراغ الدفاعي والاقتصادي في دنيا العرب، ولكنها ظلت هي الأخرى حبراً على ورق، ولم تسد ثغرة من الثغرات كما كان شأن ميثاق الجامعة، وكل ما كان من أمرها أنها صارت نكأة وحجة عندما يشتد الهتاف بقيام وحدة تنفيذية عسكرية واقتصادية وسياسية كما كان ذلك أمر الجامعة العربية قبلها.

واليوم يواجه العرب نفس الموقف دون أن يعتبروا بالدروس القاسية التي تلقوها، والفرص الذهبية التي تفلت من يدهم، والضربات الشديدة التي تكال لهم، حيث تكون حصيلة هذه الضجة الكبيرة التي ثارت في دنيا العرب ميثاق تنسيق وتعاون وتنظيم دفاعي واقتصادي، لن يعدو في جوهره على ما يبدو من نصوص

البيان المشترك وما احتواه ميثاق الجامعة العربية ومعاهدة الضمان الجماعي.

فكيف يجيز رجال العرب لأنفسهم أن يظلوا يكررون التجارب الفاشلة، ويضيعون الفرص السانحة، ويهدرون الوقت ويخمدون الحماس مرة بعد مرة؟ والى متى يظلون نائين عن العلاج الناجع لكل ما يرتكسون فيه من سوء حالة واعتبار في الداخل والخارج؟ أولم يثبت لكل عاقل أن الدول العربية ما دامت تتمتع بحريتها السياسية فإن العرب سيظلون يواجهون شذوذاً من دولة أو أخرى تمليه عليها اعتباراتها الإقليمية والطائفية والأسروية، مهما قيدت نفسها بمواثيق لا تضمن وحدة اليد التنفيذية في الشؤون السياسية والدفاعية والاقتصادية؟

إن نصوص البيان المشترك لم تسد باب الأمل بالمرة، لأنها تعطف على اجتماعات تعقد فيما بعد لتركيز المقاصد، ووضع القواعد. وهذا ما يجعلنا نهيب برجال الحكومات العربية بأن يعتبروا بالدروس التي مرت، والتجارب التي فشلت، والفرص التي ضاعت، والشذوذ الذي ظل ومازال يظهر من جهة إلى أخرى. وأن يتقوا الله في أمتهم وبلادهم، فيحزموا أمرهم على عمل إيجابي حاسم، فتكون القواعد المرتقبة قواعد وحدة أو اتحاد فعلي تجتمع في نطاقه شؤون الدفاع والسياسة والاقتصاد في جهاز اتحادي، حتى لا يبقى أي إمكان لشذوذ، وحتى تصبح الدول العربية جبهة موحدة فعلاً في هذه الشؤون. ولتحتفظ بعد هذا كل دولة بنظام حكمها الراهن وتشكيلاتها الداخلية واستقلالها الذاتي وطرائق التطبيق كما تشاء. وليوقن العرب أنه لن يكون حل كريم عادل لقضاياهم المعلقة، ومشاكلهم الداخلية والخارجية، ولن يتيسر لهم تبوء المكانة اللائقة بهم، ولن يتم بينهم تعاون وتواثق اقتصادي واجتماعي وثقافي ودفاعي وسياسي صادق إلا بذلك. وكل جهد لا يسير في هذا الطريق هو جهد ضائع، وكل أمل في نجاح وقوة خارج هذا النطاق هو أمل خائب. .

***

(24) رسالة من الكاتب الى الرئيس القوتلي 1955/3/18

سيدي الأخ الجليل حفظه الله،

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وبعد. فقد شرفني كتابكم من القاهرة المؤرخ في 16 الجاري، فابتهجت بما انطوى عليه من التطمين بالعافية التامة التي كان خبر اللوزتين المغلوط قد أزعجني عنها، وجعلني أكتب كتاباً أرسلته أمس مستفسراً داعياً الله أن يكون الأمر عرضاً. وعلى كل حال فإني أسأل الله الكريم العزيز تمام العافية والراحة بعد العملية.

كنت كثيراً أتمنى أن أستطيع السفر إلى القاهرة في هذه الآونة، غير أن الجهد الجسماني بالنسبة إليّ متعب لي بعد العملية المعلومة التي جعلت مشيتي مترجرجة وغير متوازنة وأثقلتني باندلاق البطن. هذا بالإضافة إلى أن الوقت ضيق. فقد استلمت كتابكم مساء الخميس وليس معي جواز سفر، والجمعة دائرة الأمن معطلة، ولا يكفي يوم ولا يومان لاستخراج تذكرة سفر (لسّه باسه)، وعلى هذا فلو استطعت وسافرت لما كنت في القاهرة قبل الثلاثاء، وأنتم تكونون قد عدتم إلى الإسكندرية. على أني كتبت بضع مقالات في الموضوع، ونبهت على الفرصة السانحة،

وحللت البيان الثلاثي، وانتهيت منه إلى أن لا جدوى للموقف العربي الراهن إلا باتحاد تنفيذي، وأن أي منظمة تنبثق عن ميثاق من نوع ميثاق جامعة الدول العربية والضمان الجماعي سوف تتعثر كما تعثرت هاتان المنظمتان. وقد أرسلت نسخة من جريدة النصر ونسختين من جريدة الرأي التي فيها هذه المقالات إلى فخامتكم، وأرسلت نسخة من جريدة الرأي التي فيها تحليل للبيان لسيادة الصاغ صلاح سالم. وبعد يومين سأنشر في الرأي مشروعاً للاتحاد مقدماً لمؤتمر القاهرة، وغداً ستنشر لي النصر مقالة فيها مناشدة لضمير العروبة في سورية بأن لا يضيعوا الفرصة، وبأن يتبنوا الدعوة إلى الاتحاد وتحويل الجهود في المؤتمر القادم نحوه. فما أريد أن أقوله ها أنا أقوله، وأخشى أن لا أستطيع أكثر من ذلك شخصياً في القاهرة، والناس مشغولون فيها إلى أذقانهم.

أما مقابلة سيادة الصاغ في دمشق، فقد ذكر الأخ معين لموظف السفارة المصرية وهو الأستاذ أبو درة خبر تلقينا برقية من فخامتكم بشأنها، ومع ذلك فلم يرد علينا جواباً ولم يتيسر لنا الاجتماع بسيادته. وعلى كل حال فإني أعتقد أن فخامتكم ولكم المقام والاعتبار والحرمة والإيمان لتستطيعون أن تساهموا بالنصيب الأوفى لتحويل الاتجاه إلى الاتحاد، وبيان الفرق بين منظمة تنبثق عن ميثاق تظل الدول فيه محتفظة بكامل حريتها وسيادتها، وبين اتحاد تنفيذي في نطاق اقتراحاتي التي قدمتها لفخامتكم. وأعتقد أن الموقف غير غامض، وأن كل ما نحن في حاجة إليه في صدده هو الجد والإيمان والرغبة الصادقة في عمل جدي إيجابي. وهو ما تبدو بوادره لحسن الحظ في رجال مصر. وفقكم الله إلى ما فيه خير العروبة ومجدها. وسدد خطى رجال العرب إلى ما فيه الصواب والحق. إنه سميع مجيب.

لقد نقلت صحف دمشق تصريحاتكم الأولى والأخيرة، وفيها إشارتكم إلى التطابق بين المشروع الجديد وبين ما تضمنته رسالتكم عن الضمان الجماعي. وقد أرسلت إليكم نسختين من جريدة العلم فيهما هذه التصاريح.

وختاماً أكرر الدعاء لكم بحفظ الله ورعايته.

1955/3/18

حاشية: في النبذة الأخيرة جواب على حاشية الرئيس في كتاب سابق له للمؤلف.

***

(25) مقال للكاتب
نشر في جريدة الرأي الدمشقية
الاثنين 20 رجب 1374
14 آذار 1955:

دراسة وتحليل للاتفاق السوري السعودي المصري
ميزته الأولى رفضه الصريح للأحلاف الأجنبية ونقطة الضعف فيه محافظته على «السيادات» «والكيانات القائمة»:

قد يكون من التعجل الحكم على نتيجة الاتفاق الذي تم بين سورية ومصر، والذي نشرت خطوطه في البيان المشترك السوري المصري ووافقت عليه السعودية، لأن البيان ليس ميثاقاً مبرماً، وإنما هو خطوط علق تطوره إلى ميثاق مبرم على اجتماع رؤساء الحكومات التي وافقت عليه. والحكم على مدى صلاح هذه الخطوط لا يتيسر إلا بعد الاجتماعات الموعودة، وإبرام الميثاق الذي سوف ينبثق عنها.

غير أن هذا لا يعني أنه ليس من الممكن، وليس من المفيد إلقاء نظرة تحليلية عليه، لأنه يشكل الخطوط الرئيسية للميثاق المنتظر على الأرجح.

قبل كل شيء نقول، إن البيان احتوى تقرير الموقف المصري السوري السعودي بصورة حاسمة نحو الحلف التركي العراقي والأحلاف غير العربية، بحيث يصح أن يقال إن الدول الثلاث قد قررت أن تقف من ذلك موقفاً سلبياً مبرماً. وقد لا يكون في تقرير مصر والسعودية لذلك شيء جديد، لأنهما أعلنتا موقفهما السلبي المبرم من قبل. ولكن الشيء الجديد هو اشتراك سوريا في إعلان موقفها، وهو ما كان إلى وقت صدور البيان غير صريح وحاسم بصورة رسمية.

ولقد كنا وما زلنا نرى أن سوريا غدت مركز الثقل بالنسبة للموقف العربي الراهن، وأنها تستطيع الترجيح والتعديل فيه بقوة وحسم. فإعلانها لموقفها النهائي قد حقق ذلك الأمر بدون ريب. ومع أن ذلك سلبي الصبغة، إلا أنه إيجابي بالنسبة للموقف العربي. ولسوف يؤثر تأثيراً شديداً عاجلاً أو آجلاً في لبنان والأردن. فالغرب الذي نجح في النهاية في التغلب على التمنع العربي العام من الاندماج في حلقاته الدفاعية باندماج العراق فيها، كان يأمل أن ينفرط بذلك عقد التمنع العربي العام، ويسحب الدول العربية، وعلى الأقل بقية دول الهلال الخصيب واحدة بعد أخرى، إلى حلقاته بدون الثمن الذي كان العرب يطالبون به، وهو حل قضاياهم، وخاصة قضية فلسطين، حلاً عادلاً تعود به الصلة التي إنقطعت بين بلاد العرب الآسيوية والأفريقية، وتجتث به الجرثومة الخبيثة التي أنشأها في قلب هذه البلاد وما يزال يمدها بأسباب القوة والنمو.

فإعلان سورية لموقفها النهائي على الوجه الذي تم، قد سد فيما نرجح باب ذلك الإنفراط، وانحصر في العراق الذي تذرع اليه بخصوصيته الإقليمية، بقطع النظر عما في تذرعه هذا من تهافت. وهذا في اعتقادنا ربح غير يسير من البيان.

أما ما احتواه البيان من خطوط في صدد ما سماه بمنظمة دفاع وتعاون اقتصادي عربي مشترك، فإنه يدل على أن الذين وضعوه ووقعوه لم يقصدوا بمنظمتهم اتحاداً فدرالياً كما كان أشيع وأذيع، وإنما قصدوا إلى قيام تعاون دفاعي واقتصادي مشترك على أساس احتفاظ كل دولة بكامل سيادتها، وفي نطاق ميثاق من نوع مواثيق الجامعة العربية ومعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي.

وهناك تشابه كبير في الفكرة بين ما جاء في البيان من خطوط، وما جاء في معاهدة الدفاع. فهذه المعاهدة نصت :

1 ـ على اعتبار كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة من الدول المتعاقدة اعتداء عليها جميعاً، والتزامها بالمبادرة إلى مساعدة الدول المعتدى عليها، واتخاذها على الفور جميع التدابير بما في ذلك استخدام القوة المسلحة لرد العدوان (المادة 2) .

2 ـ على التشاور بناء على طلب إحداها كلما هددت سلامة أراضي أي واحدة منها أو استقلالها أو أمنها، وتوحيد خططها ومساعيها في اتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية التي يقتضيها الموقف في حال خطر حرب داهم أو حالة دولية يخشى خطرها (المادة 3) .

3 ـ على تعاون الدول فيما بينها لدعم مقوماتها العسكرية وتعزيزها رغبة في تنفيذ

الالتزامات سالفة الذكر (المادة 4) .

4 ـ على تأليف لجنة عسكرية دائمة لتنظيم خطط الدفاع المشترك وتهيئة وسائله وأساليبه (المادة 5) .

5 ـ على تأليف مجلس دفاع مشترك يختص بجميع الشؤون المتعلقة بتنفيذ المواد السابقة من وزراء الخارجية والدفاع للدول المتعاقدة، وعلى التزام جميع الدول بما يقرره بأكثرية ثلثيه (المادة 6) .

6 ـ على تعهد كل الدول المتعاقدة بعدم عقد اتفاق دولي يناقض المعاهدة، وعدم سلوكها في علاقاتها الدولية الأخرى مسلكاً يتنافى مع أغراضها.

وقد أوضح الملحق العسكري الذي اعتبر جزءاً من المعاهدة، مهمة اللجنة العسكرية الدائمة التي تتناول إعداد الخطط العسكرية لمواجهة الأخطار المتوقعة، أو أي اعتداء مسلح يمكن أن يقع على أية دولة، وتقديم المقترحات لزيادة كفاية قوات الدول المتعاقدة تسليحاً وتنظيماً وتدريباً، ولاستثمار موارد الدول المتعاقدة الطبيعية والصناعية والزراعية وغيرها، وتنسيقها لصالح المجهود الحربي والدفاع المشترك، وإعداد المعلومات والإحصاءات اللازمة عن موارد الدول المتعاقدة وإمكانياتها الحربية.

وقد نص البيان المشترك الجديد على الشؤون الدفاعية التي تناولتها المواد السابقة بما يلي :

1 ـ الالتزام بالاشتراك في صد أي عدوان يقع على إحدى دول المنظمة.

2 ـ إنشاء قيادة مشتركة دائمة لها مقر رئيسي تشرف على تدريب القوات العسكرية التي تضعها كل دولة تحت تصرف تلك القيادة، وعلى تسليحها وتنظيمها وتوزيعها وفقاً للخطة الدفاعية المشتركة، كما تتولى هذه القيادة تنسيق الصناعات الحربية والمواصلات اللازمة للأغراض العسكرية.

3 ـ عدم قيام أية دولة في المنظمة بعقد اتفاقات دولية عسكرية أو سياسية بدون موافقة بقية أعضاء المنظمة.

ولقد احتوت معاهدة الدفاع المشترك مادتين بشأن التعاون الاقتصادي، نصت إحداهما على تعاون الدول المتعاقدة على النهوض باقتصاديات بلادها، واستثمار مرافقها الطبيعية، وتسهيل تبادل منتجاتها الوطنية والزراعية والصناعية، وبوجه عام على تنظيم نشاطها الاقتصادي وتنسيقه، وإبرام ما تقتضيه الحال من اتفاقات خاصة لتحقيق هذه الأهداف (المادة 7) .

ونصت ثانيتهما على إنشاء مجلس اقتصادي من وزراء الدول المتعاقدة المختصين بالشؤون الاقتصادية، لكي يقترح على حكومات تلك الدول ما يراه كفيلاً بتحقيق الأغراض المبينة في المادة السابقة (المادة 8) .

وقد جاء في البيان الجديد بشأن التعاون الاقتصادي :

1 ـ دعم الاقتصاد بين دول المنظمة تمهيداً لتحقيق الوحدة الاقتصادية الجامعة.

2 ـ تبني الدول الموقعة إحداث مصرف عربي يصدر نقداً عربياً، وإعادة النظر في نظام التبادل التجاري المعمول به حالياً رغبة في تعزيزه وتوطيده، وتشجيع شركات مساهمة برؤوس أموال عربية مشتركة للقيام بمشاريع إقتصادية، وتأليف مجلس إقتصادي عربي لتوجيه هذه السياسة الاقتصادية والإشراف عليها.

فالتشابه واضح في المدى والمبادىء بين نصوص معاهدة الدفاع وبين خطوط البيان كما هو المتبادر. مع الاعتراف بأن في البيان ما يدل على أن الميثاق الذي قد تقوم المنظمة الجديدة عليه سيكون أقوى وأنفذ، وخاصة في إنشاء قيادة مشتركة دائمة، وتعهد الدول بعدم عقد اتفاقات خارجية بدون موافقة الجميع، وفي النص بصراحة على مصرف عربي يصدر نقداً عربياً الخ . . .

على أن الحق الذي يجب أن يقال أن العلة لم تكن في سعة النصوص وضيقها، وقوتها وضعفها، وإنما في تنفيذها، فمهما كان من أمر نصوص ميثاق جامعة الدول العربية ومعاهدة الدفاع المشترك، فإن فيها ما يمكن أن يساعد مساعدة قوية على تدعيم البنيان العربي السياسي والحربي والاقتصادي، وحل مشاكل العرب وقضاياهم الداخلية والخارجية، لو كانا ينفذان بإيمان وصدق وجد. غير أن الذي حصل هو أن كثيراً من النصوص قد أهملت، وكثيراً من القرارات قد عطلت، وكثيراً من المواقف الشاذة قد وقعت من دولة أو أخرى. وسبب ذلك أن الدول العربية ظلت تحتفظ بحريتها السياسية، وظلت تستوحي اعتباراتها الإقليمية والأسروية والطائفية والشخصية في استعمال هذه الحرية.

وخطوط البيان الجديد تدل على أن الدول الموقعة عليه ستظل تحتفظ بحريتها السياسية كاملة، وهذا ما سوف يؤدي بناء على التجارب السالفة إلى استمرار المشكلة، فما لم تقم وحدة عربية، أو على الأقل ما لم تنحصر السياسة الخارجية وشؤون الدفاع والاقتصاد في يد واحدة في نطاق ميثاق يسمى «ميثاق الدول المتحدة العربية»، وينبثق عنه جهاز اتحادي يتمثل بمجلس تنفيذي اتحادي، ومجلس تشريعي اتحادي، ومحكمة عدل اتحادية، وقيادة اتحادية، وميزانية اتحادية، ونظم اتحادية، فسيظل العرب يواجهون مثل تلك المواقف، ويظل ما يمكن أن يربط بين دولهم من مواثيق يتأثر بتلك الاعتبارات مهما كانت صيغتها من القوة والسعة.

وهذا ما يجب أن توجه نحوه العزائم، وتشتد إليه الدعوة، وتبذل في سبيله الجهود إذا كانت الرغبة في التجديد والتدعيم الحربي والسياسي والاقتصادي صادقة، وليست ناشئة عن نزوة غضب أو سورة حماس أو إيجاد مخرج . .

وبهذا وحده يقوى بنيان العرب سياسياً واقتصادياً ودفاعياً، ويعظم اعتبارهم، وترتد إليهم الثقة بأنفسهم، وتحل عقدهم وقضاياهم ويرأب صدعهم، وتسد المنافذ دون المؤامرات والمداورات حولهم من الشرق أو الغرب. فيه تحل عقدة الجيش الأردني الكبرى، لأن ميزانية الاتحاد هي التي تتولى الإنفاق على الجيش الاتحادي. وبه تزول توجسات الأسر المالكة من بعضها، لأنه لا يعود إمكان لازدياد قوة أسرة على أسرة أو تربص أسرة بأسرة. بل وبه تحل عقدة الحلف التركي ـ العراقي، لأن اندماج العراق في الاتحاد يجعل ذلك الحلف بدون أثر ومعنى، هذا مع تطمينه في الوقت نفسه مختلف الاعتبارات والشهوات الإقليمية والطائفية والشخصية، حيث يبقي لكل دولة نظامها وتشكيلاتها وصفتها ومناصبها الحكومية والبرلمانية.

ومما يقال أن مصر لا تسيغ اتحاداً بهذه الصورة والسعة. وهذا يبدو غريباً. فمصر تبدو راغبة أشد الرغبة في اتحاد مع السودان على أوسع نطاق ممكن وتراه طبيعياً جداً. وليس هناك أي فرق. والمسافات والعلاقات

والمصالح بين مصر والبلاد العربية الأخرى متشابهة، وقد كان الاتحاد بينها وبين هذه البلاد قائماً في أكثر حقب التاريخ قبل الإسلام وبعده كما لا يخفى، وهي التي كانت تسعى إليه لأن مصالحها تقتضيه. وبفضله أمكن إنقاذ فلسطين من الرجس الإفرنجي.

ومما يقال إن انقطاع الصلة الأرضية بين مصر وبلاد الشام الذي تم بقيام «إسرائيل» مما يعسر تحقيق الاتحاد المنشود. ونرى نحن هذا من الأسباب الموجبة القوية له. فعدو العرب الأكبر هو «إسرائيل»، وهذه حد مشترك بين مصر وبلاد الشام من الشمال والجنوب والشرق. وقد كانت المملكة الإفرنجية قائمة، فلم يمنع قيامها اتحاد مصر مع بلاد الشام.

فإذا لم يفهم رجال العرب هذا ويتجهوا إليه، ويستجيبوا للحاجة الشديدة إليه، والشعور العام نحوه، فلينتظروا لهم ولأمتهم وبلادهم المزيد من التصدع والتفكك والانهيار والذل والهوان والدسائس والمداورات، إذا كان هناك مزيد على ما هم فيه من كل ذلك. ولن يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم..

***

(26) الاتفاق الثنائي بين مصر وسورية وبين مصر والسعودية:

وقد رأينا إتماماً للفائدة وللمقارنة أن نورد نص الاتفاق الثنائي بين مصر وسورية وبين مصر والسعودية. وقد نشر أولهما في جريدة العلم الدمشقية عدد الأحد 23/10/1955 ـ 6 ربيع الأول 1375. وثانيهما في جريدة الأهرام عدد الجمعة 16 ربيع الأول 1375 ـ 28 أوكتوبر 1955.

نص الاتفاق المصري السوري:

المادة الأولى:

تؤكد الدولتان المتعاقدتان حرصهما على دوام الأمن والسلام واستقرارهما، وعزمهما على فض جميع منازعاتهما الدولية بالطرق السلمية.

المادة الثانية:

تعتبر الدولتان المتعاقدتان كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة منهما أو على قواتهما اعتداء عليهما، ولذلك فإنهما عملاً بحق الدفاع الشرعي الفردي والجماعي عن كيانهما، تلتزمان بأن تبادر كل منهما إلى معونة الدولة المعتدى عليها، وبأن تتخذا على الفور جميع التدابير، وتستخدما جميع ما لديهما من وسائل، بما في ذلك استخدام القوة المسلحة لرد الاعتداء ولإعادة الأمن والسلم إلى نصابهما.

وتطبيقاً لأحكام المادة السادسة من ميثاق جامعة الدول العربية، والمادة الحادية والخمسين من ميثاق الأمم المتحدة، يخطر على الفور مجلس الجامعة ومجلس الأمن بوقوع الاعتداء، وبما اتخذ في صدده من تدابير وإجراءات.

وتتعهد الدولتان المتعاقدتان بألا تعقد أي منهما صلحاً منفرداً مع المعتدي، أو أي اتفاق معه دون موافقة الدولة الأخرى.

المادة الثالثة:

تتشاور الدولتان المتعاقدتان فيما بينهما بناء على طلب إحداهما كلما توترت واضطربت العلاقات الدولية بشكل خطير يؤثر في أمن المنطقة العربية أو الشرق الأوسط، أو سلامة أراضي أية واحدة منهما أو استقلالها أو أمنها.

وفي حالة خطر حرب داهم أو قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها، تبادر الدولتان

المتعاقدتان على الفور باتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية التي يقتضيها الموقف.

المادة الرابعة:

أما عند وقوع اعتداء مفاجىء على حدود أو قوات إحدى الدولتين المتعاقدتين، فبالإضافة إلى الإجراءات العسكرية التي تتخذ لمواجهة هذا العدوان، تقرر الدولتان فوراً الإجراءات التي تضع خطط هذه الاتفاقية موضع التنفيذ.

المادة الخامسة:

تنفيذاً لأغراض الاتفاقية اتفقت الدولتان المتعاقدتان على إنشاء الجهاز التالي المنظم له:

- مجلس أعلى.
- مجلس حربي.
- قيادة مشتركة.

المادة السادسة:

1 - يتكون المجلس الأعلى من وزراء خارجية وحربية الدولتين المتعاقدتين.

2 - هو المرجع الرسمي للقائد العام للقيادة المشتركة، ويتلقى منه جميع التوجيهات العليا الخاصة بالسياسة العسكرية، ويختص بتعيينه وتنحيته.

3 - يضع بناء على اقتراح المجلس الحربي تنظيمات القيادة المشتركة واختصاصاتها ومهماتها، وهو المختص بالتعديلات التي تدخل عليها بناء على اقتراح المجلس الحربي. وللمجلس حق تكوين أي لجان أو مجالس فرعية أو مؤقتة عندما يرى ضرورة لها.

4 - يختص المجلس بالنظر في التوصيات والقرارات التي يصدرها المجلس فيما هو خارج عن اختصاص رؤساء الأركان.

5 - يصدر المجلس اللوائح التي تنظم اجتماعه وأعمال المجلس الحربي.

المادة السابعة:

1 - يتألف المجلس الحربي من رؤساء هيئة أركان حرب جيوش الدولتين المتعاقدتين.

2 - وهذا المجلس هو الهيئة الاستشارية للمجلس الأعلى، ويختص بتقديم التوصيات والتوجيهات فيما يتعلق بالخطط الحربية وبجميع الأعمال والمهمات الموكولة للقيادة المشتركة.

3 - يصدر المجلس الحربي توصياته عن الصناعات الحربية والمواصلات اللازمة للأغراض العسكرية، وعن تنسيقها وتوجيهها لخدمة القوات الحربية، وعن كل ما يتعلق بها في الدولتين المتعاقدتين.

4 - بعد الإحصائيات والمعلومات عن موارد الدولتين المتعاقدتين وإمكانياتهما الحربية والطبيعية والصناعية والزراعية وغيرها، وما يتعلق بالمجهود الحربي المشترك، يقدم إلى المجلس الأعلى المقترحات لاستثمار هذه الموارد والإمكانيات لصالح المجهود الحربي.

5 - يدرس المجلس الحربي البرامج الموضوعة من قبل القيادة المشتركة لتدريب وتنظيم وتسليح وتجهيز القوات الموضوعة تحت قيادتها، كما يدرس إمكانيات تطبيقها على جيوش الدولتين المتعاقدتين، ويتخذ الإجراءات الكفيلة بتحقيقها، ويرفع للمجلس الأعلى ما يرى رفعه لإقرارها.

6 - لهذا المجلس هيئة عسكرية دائمة تقوم بجميع الدراسات والتحضيرات للمواضيع والقضايا التي تعرض عليه، وينظم المجلس أعمال هذه الهيئة بلائحة يضعها لهذا الغرض كما يضع ميزانيتها.

المادة الثامنة :

1 ـ تشمل القيادة المشتركة : ـ القائد العام ، هيئة أركان حرب، الوحدات التي يتقرر وضعها لتأمين القيادة المشتركة وإدارة أعمالها، هذه القيادات ذات صفة دائمة تمارس عملها وقت السلم.

2 ـ يتولى القائد العام قيادة القوات التي توضع تحت قيادته، وهو المسؤول أمام المجلس الأعلى، ويختص بما يلي :

أ ـ وضع وتطبيق برنامج تدريب وتنظيم وتسليح وتجهيز القوات التي تضعها الدولتان المتعاقدتان تحت تصرفه، بحيث تصبح قوة موحدة يمكن الإعتماد عليها. وتقديم تلك البرامج إلى المجلس الحربي لتحقيقها أو رفعها للمجلس الأعلى لإقرارها.

ب ـ إعداد وتنفيذ الخطط الدفاعية المشتركة لمواجهة جميع الاحتمالات المتوقعة من أي اعتداء مسلح، يمكن أن يقع على إحدى الدولتين أو على قواتهما، ويعتمد في إعداد هذه الخطط على ما يضعه المجلس الأعلى من قرارات وتوجيهات.

جـ ـ توزيع القوات التي تضعها الدولتان المتعاقدتان تحت تصرفه في السلم والحرب وفقاً للخطط الدفاعية المشتركة.

د ـ وضع ميزانية القيادة المشتركة وتقديمها إلى المجلس الحربي لدراستها ثم إقرارها نهائياً من قبل المجلس الأعلى.

3 ـ يكون تعيين المعاونين الرئيسيين للقائد العام بمعرفة المجلس الحربي بالاتفاق مع القائد العام وكذلك تنحيتهم، أما باقي هيئة القيادة فتكون بالاتفاق مع القائد العام ورئيس هيئة أركان حرب الجيش المعني.

المادة التاسعة :

1 ـ تضع الدولتان المتعاقدتان تحت تصرف القيادة المشتركة في حالتي السلم والحرب جميع القوات الضاربة التي تملكها، بما فيها القوات المتمركزة على الحدود الفلسطينية، ويحدد المجلس الحربي بالاشتراك مع القائد العام القوات المطلوبة لكل حالة من الحالتين السابقتين، وتعتبر توصية المجلس الأعلى.

2 ـ يحدد المجلس الحربي بناء على اقتراح القائد العام المنشآت والقواعد الضرورية لتحقيق الخطط وأسبقية إنشائها.

المادة العاشرة :

1 ـ ينشأ صندوق مشترك تساهم فيه الدولتان المتعاقدتان للإنفاق منه على تحقيق الأغراض التالية :

أ ـ نفقات القيادة المشتركة، وتكون مناصفة بين الدولتين.

ب ـ المنشآت العسكرية المنوه عنها في المادة التاسعة الفقرة 2 بنسبة 65٪ لجمهورية مصر و 35٪ للجمهورية السورية.

2 ـ تدفع كل من الدولتين المتعاقدتين الرواتب والتعويضات للعسكريين والمدنيين الذين تبعث بهم للعمل في القيادة المشتركة والمجلس الحربي واللجان الأخرى، وفق أنظمتها المالية الخاصة بها.

المادة الحادية عشرة :

ليس في أحكام هذه المعاهدة ما يمس أو ما يقصد به أن يمس بأي حال من الأحوال الحقوق والالتزامات المترتبة، أو التي قد تترتب للدولتين المتعاقدتين منها بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة أو المسؤوليات التي يضطلع بها مجلس الأمن للمحافظة على السلام والأمن الدولي.

المادة الثانية عشرة:

مدة هذه المعاهدة خمس سنوات تتجدد تلقائياً مدة بعد أخرى.

ولأي دولة من الدولتين المتعاقدتين أن تنسحب منها بعد إبلاغ الدولة الأخرى كتابة برغبتها في ذلك قبل سنة من تاريخ انتهاء أي من المدة المذكورة سابقاً.

المادة الثالثة عشرة:

يصدق على هذه الاتفاقية وفق الأوضاع الدستورية المرعية في كل من الدولتين المتعاقدتين، ويتم تبادل وثائق التصديق في وزارة الخارجية السورية بدمشق خلال مدة أقصاها ثلاثين يوماً من تاريخ توقيع هذه الاتفاقية، وتعبر نافذة فور تبادل وثائق التصديق.

* * *

النص الكامل للاتفاقية بين مصر والسعودية:

إن حكومتي المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر توطيداً لمبادىء ميثاق جامعة الدول العربية، وتوكيداً لإخلاص الدول المتعاقدة لهذه المبادىء.

ورغبة منهما في زيادة تقوية وتوثيق التعاون العسكري حرصاً على استقلال بلاديهما، ومحافظة على سلامتهما، وإيمانا منهما بأن إقامة نظام أمن مشترك فيما بينهما يعتبر عاملاً رئيسياً في تأمين سلامة واستقلال كل منهما، وتحقيقاً لأمانيهما في الدفاع المشترك عن كيانهما، وصيانة الأمن والسلام وفقاً لمبادىء ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة وأهدافهما.

وعملاً بما نصت عليه الفقرة الأولى من المادة التاسعة من ميثاق جامعة الدول العربية، وقد اتفقتا على عقد اتفاقية لهذه الغاية، وأنابتا عنهما المفوضينً الآتية اسماؤهما:

عن حكومة المملكة العربية السعودية: حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود.

عن حكومة جمهورية مصر: الرئيس البكباشي (أ.ح) جمال عبد الناصر رئيس مجلس الوزراء.

اللذين بعد تبادل وثائق التفويض التي تخولهما سلطة كاملة، والتي وجدت صحيحة ومستوفاة الشكل قد اتفقا على ما يلي:

المادة الأولى:

تؤكد الدولتان المتعاقدتان حرصهما على دوام الأمن والسلام واستقرارهما، وعزمهما على فض جميع منازعاتهما الدولية بالطرق السلمية.

المادة الثانية:

تعتبر الدولتان المتعاقدتان كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة منهما أو على قواتها اعتداء عليهما، ولذلك فإنهما عملاً بحق الدفاع الشرعي الفردي والجماعي عن كيانيهما، تلتزمان بأن تبادر كل منهما إلى معونة الدولة المعتدى عليها، وبأن تتخذا على الفور جميع التدابير، وتستخدما جميع ما لديهما من وسائل، بما في ذلك استخدام القوة المسلحة لرد الاعتداء ولإعادة الأمن والسلام إلى نصابهما.

وتطبيقاً لأحكام المادة السادسة من ميثاق جامعة الدول العربية، والمادة الحادية والخمسين من ميثاق الأمم المتحدة، يخطر على الفور مجلس الجامعة ومجلس الأمن بوقوع

الاعتداء، وبما اتخذ في صدده من تدابير وإجراءات.

وتتعهد الدولتان المتعاقدتان بألا تعقد أي منهما صلحاً منفرداً مع المعتدي، أو أي اتفاق معه دون موافقة الدول الأخرى.

المادة الثالثة:

تتشاور الدولتان المتعاقدتان فيما بينهما بناء على طلب إحداهما كلما توترت واضطربت العلاقات الدولية بشكل خطير يؤثر في سلامة أراضي أية واحدة منهما أو استقلالها.

وفي حالة خطر حرب داهم أو قيام حالة مفاجئة يخشى خطرها، تبادر الدولتان المتعاقدتان على الفور إلى اتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية التي يقتضيها الموقف.

المادة الرابعة:

أما عند وقوع اعتداء مفاجىء على حدود أو قوات إحدى الدولتين المتعاقدتين، فبالاضافة إلى الإجراءات العسكرية التي تتخذ لمواجهة هذا العدوان، تقرر الدولتان فوراً الإجراءات التي تضع خطط هذه الاتفاقية موضع التنفيذ.

المادة الخامسة:

تنفيذاً لأغراض هذه الاتفاقية قررت الدولتان المتعاقدتان إنشاء الجهاز التالي:

- مجلس أعلى
- مجلس حربي
- قيادة مشتركة

المادة السادسة:

1 - يتكون المجلس الأعلى من وزراء الخارجية والحربية (الدفاع) للدولتين المتعاقدتين، وهو المرجع الرسمي للقائد العام للقيادة المشتركة، الذي يتلقى منه جميع التوجيهات العليا الخاصة بالسياسة العسكرية، ويختص المجلس الأعلى بتعيين القائد العام وتنحيته.

2- يضع المجلس الأعلى بناء على اقتراح المجلس الحربي تنظيمات القيادة المشتركة واختصاصاتها ومهماتها، وهو المختص بالتعديلات التي تدخل عليها بناء على اقتراح المجلس الحربي. وللمجلس الأعلى حق تكوين اللجان والمجالس الفرعية أو المؤقتة عند اللزوم.

3 - يختص المجلس الأعلى بالنظر في التوصيات والقرارات التي يصدرها المجلس الحربي مما هو خارج عن اختصاصات رؤساء الأركان.

4 - يصدر المجلس الأعلى اللوائح التي تنظم اجتماعه وأعمال المجلس الحربي.

المادة السابعة:

1 - يتألف المجلس الحربي من رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري، ورئيس هيئة أركان حرب الجيش السعودي، وهو الهيئة الاستشارية للمجلس الأعلى، ويختص بتقديم التوصيات والتوجيهات فيما يتعلق بالخطط الحربية وبجميع الأعمال والمهمات الموكولة للقيادة المشتركة.

2 - يصدر المجلس الحربي توصيات عن الصناعات الحربية والمواصلات اللازمة للأغراض العسكرية، وعن تنسيقها وتوجيهها لخدمة القوات الحربية، وعن كل ما يتعلق بها في الدولتين المتعاقدتين.

3 - يدرس المجلس الحربي البرامج الموضوعة من قبل القيادة المشتركة لتدريب وتنظيم وتسليح وتجهيز القوات الموضوعة تحت

قيادتها، كما يدرس إمكانيات تطبيقها على جميع جيوش الدولتين المتعاقدتين، ويتخذ الإجراءات الكفيلة لتحقيقها، ويرفع للمجلس الأعلى ما يرى رفعه لإقراره.

4 - لهذا المجلس هيئة عسكرية دائمة تقوم بجميع الدراسات والتحضيرات للمواضيع والقضايا التي تعرض عليه، وينظم المجلس أعمال هذه الهيئة بلائحة يضعها لهذا الغرض كما يضع ميزانيتها.

المادة الثامنة:

1 - تشمل القيادة المشتركة:

(أ) القائد العام.

(ب) هيئة أركان حرب.

(جـ) الوحدات التي يتقرر وضعها لتأمين القيادة المشتركة وإدارة أعمالها. وتمارس هذه القيادة عملها وقت السلم والحرب، وهي ذات صفة دائمة.

2 - يتولى القائد العام قيادة القوات التي توضع تحت إمرته، وهو مسؤول أمام المجلس الأعلى.

3 - يختص القائد العام بما يلي:

أ: وضع وتطبيق برامج تدريب وتنظيم وتسليح وتجهيز القوات التي تضعها الدولتان المتعاقدتان تحت إمرته، بحيث تصبح قوة موحدة، وتقديم تلك البرامج إلى المجلس الحربي لتحقيقها، أو رفعها إلى المجلس الأعلى لإقرارها.

ب: إعداد وتنفيذ الخطط الدفاعية المشتركة لمواجهة جميع الاحتمالات المتوقعة من أي اعتداء مسلح يمكن أن يقع على إحدى الدولتين أو على قواتهما، ويعتمد في إعداد هذه الخطط على ما يضعه المجلس الأعلى من قرارات وتوجيهات.

جـ: توزيع القوات التي تضعها الدولتان المتعاقدتان تحت إمرته في السلم والحرب وفقاً للخطط الدفاعية المشتركة.

د: وضع ميزانية القيادة المشتركة وتقديمها إلى المجلس الحربي لدراستها ثم إقرارها نهائياً من قبل المجلس الأعلى.

4 - يكون تعيين وتنحية المعاونين الرئيسيين للقائد العام بمعرفة المجلس الحربي بالاتفاق مع القائد العام. أما باقي هيئة القيادة فإنها تعين بالاتفاق بين القائد العام ورئيس هيئة أركان حرب الجيش المعني.

المادة التاسعة:

تضع الدولتان المتعاقدتان تحت تصرف القيادة المشتركة في حالة السلم والحرب القوات التي يرى المجلس الحربي بالاتفاق مع القائد العام ضرورة وضعها تحت إمرته، وذلك بعد موافقة المجلس الأعلى.

المادة العاشرة:

تدفع كل من الدولتين المتعاقدتين الرواتب والتعويضات للعسكريين والمدنيين الذين تبعث بهم للعمل في القيادة المشتركة والمجلس الحربي واللجان الأخرى وفق أنظمتها المالية الخاصة بها.

المادة الحادية عشرة:

ليس في أحكام هذه المعاهدة ما يمس أو يقصد به أن يمس بأي حال من الأحوال الحقوق والالتزامات المترتبة أو التي قد تترتب على كل من الدولتين المتعاقدتين بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة، أو المسؤوليات التي يضطلع بها مجلس الأمن للمحافظة على السلام والأمن الدولي.

المادة الثانية عشرة:

مدة هذه المعاهدة خمس سنوات تتجدد من تلقاء نفسها لمدة خمس سنوات أخرى وهكذا. ولأي دولة من الدولتين المتعاقدتين أن تنسحب منها بعد إبلاغ الدولة الأخرى كتابة برغبتها في ذلك قبل سنة من تاريخ انتهاء أي من المدد المذكورة سابقاً.

حررت هذه الاتفاقية بتاريخ 11 من ربيع الأول سنة 1375هـ الموافق 27 من اكتوبر سنة 1955م، وقد وقع على هذه الاتفاقية من ثلاث نسخ، واحتفظ كل من الطرفين بنسخة منها، وترسل نسخة منها الى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية.

حاشية: «لم نعثر على نص اتفاق بين سورية والسعودية، والراجح أنه يماثل للنص بين مصر والسعودية وتواريخ الاتفاقات متأخرة، ولكنا رأينا أن ننشرها في سياق تاريخ أسبق في مناسبة الإشارة اليها».

***

(27) مقال للكاتب نشر في جريدة النصر العدد 3073 الجمعة تاريخ 25 رجب 1374 18 آذار 1955.

سوريا تحقق رسالتها القومية بتوجيهها مؤتمر القاهرة نحو الاتحاد الصحيح:

كتبنا قبل مقالاً عبرنا فيه عن رأينا في مدى البيان الثلاثي العربي، وقلنا أن المنظمة التي سوف تقوم وفاقاً لخطوطه لن تحقق الأمل المنشود في التدعيم الاقتصادي والسياسي والدفاعي إذا بقيت في نطاق ميثاق من نوع ميثاق جامعة الدول العربية، أو معاهدة الدفاع المشترك، وإذا بقيت الدول المندمجة فيها محتفظة بحريتها السياسية التامة، وأبدينا مخاوفنا من أن يظل الميثاق الذي تقوم عليه هذه المنظمة حبراً على ورق كما ظل الميثاقان الأولان.

وحللنا في مقال آخر خطوط هذا البيان، وقارناه بخطوط الميثاقين الأولين، وانتهى كلامنا إلى أن العلاج الأنجع للموقف العربي الراهن هو الاتحاد ـ على الأقل ـ، الذي تجتمع فيه شؤون الدفاع والسياسة والاقتصاد في يد واحدة ضمن نطاق جهاز اتحادي تنفيذي.

ونعود بمقالنا إلى نفس الموضوع، لأنه موضوع خطير متصل بصميم حياة العرب، ويتحمل كثيراً من المقالات، ويستدعي إلى المشاركة فيه كل كاتب وقلم ومنبر.

ونريد أن نوجه نحن في مقالنا هذا الكلام إلى سوريا بنوع خاص. فهي كما قلنا في مقال آخر غدت مركز الثقل في الموقف العربي الذي يمكن أن يمنحها قوة التعديل والترجيح. ولقد كانت وما تزال أول وأقوى حاضن للحركة العربية وأهدافها التي من أهمها الوحدة العربية. وكانت هي الوحيدة التي قطعت في دستورها على نفسها عهداً بالعمل لها، وغدا من واجبها وحقها أن تتبنى الدعوة إليها وحمل رايتها. ولا سيما أنها غير متهمة بأي نزعة من النزعات.

والفرصة في اعتقادنا سانحة للعمل، والمجال ما يزال متسعاً لتدارك الأمر في مؤتمر القاهرة المزمع عقده في الأسبوع القادم.

فنحن لذلك نناشد ضمير العروبة في الحكومة السورية والنواب السوريين والقوميين العرب، بأن لا يضيعوا هذه الفرصة السانحة نتيجة لما كان من اهتزاز الكيان العربي، وما أدى إليه من الرغبة في الإقدام على عمل

تدعيمي، سياسي واقتصادي ودفاعي، والتحمس له، وأن يبذلوا كل جهودهم في ذلك المؤتمر ليحولوا الاتجاه إلى الوجهة الصحيحة، وهي الاتحاد الاقتصادي والعسكري والسياسي، في نطاق جهاز اتحادي تنفيذي، ففيه وحده التدعيم الصحيح، وفيه وحده ضمان لحل عقد العرب ومشاكلهم وقضاياهم بما فيها عقدة الحلف العراقي ـ التركي، وفيه في الوقت نفسه تطمين لمختلف الرغبات والاعتبارات.

وبهذا التحويل يمكن أن يتسع المؤتمر لجميع دول الجامعة العربية، ويزول الخطر البادي من انقسام هذه الدول إلى مجموعات متناقضة حائرة يزداد الكيان العربي به وهناً على وهن، وتكون سوريا قد حققت رسالتها القومية، وفتحت الآفاق إلى إتمامها في المستقبل إن شاء الله.

وتعيذ سوريا من التهاون في هذا الأمر الذي يجعلها مسؤولة أمام التاريخ أكثر من غيرها عن ضياع هذه الفرصة. وكفى العرب ما أضاعوه من فرص أخرى، وكفاهم ما ذاقوه نتيجة لذلك من غصص ومرائر وحل بهم من كوارث وهوان.

* * *

(28) مقال للكاتب
نشر في جريدة الرأي الدمشقية
عدد الاثنين 28 رجب 1374
21 آذار 1955:

مشروع اتحادي مقدم إلى مؤتمر القاهرة:

تكون قوات الدول العربية المتحدة بقيادة ونظم وإدارة موحدة، وتنحصر الشؤون السياسية الخارجية في وزارة واحدة.

في مقالنا السابق حللنا البيان الثلاثي العربي، ونبهنا على أنه لا جدوى كبيرة من المنظمة التي يراد إنشاؤها ما دامت في نطاق نوع من مواثيق جامعة الدول العربية، ومعاهدة الدفاع المشترك التي تحتفظ الدول العربية فيها بحريتها السياسية. وقلنا إن هذا هو علة تعثر تنفيذ هذه المواثيق، وأبدينا خوفنا من أن يكون مصير الميثاق الجديد نفس المصير.

ومازال يحدونا الأمل في أن يتنبه رجال الحكومات الثلاث التي وقعت البيان إلى نقطة الضعف هذه، وفي أن يتجهوا في المؤتمر المزمع عقده في القاهرة نحو الاتحاد الذي تجتمع فيه شؤون الدفاع والسياسة والاقتصاد في يد واحدة، وفي نطاق جهاز اتحادي تنفيذي يتسع لاندماج جميع الدول العربية، لأن ذلك هو العلاج الأنجع للموقف العربي الراهن، وحل القضايا والعقد العربية، وارتفاع اعتبار العرب في نظر أنفسهم ونظر غيرهم، وتحقيق التدعيم الاقتصادي والسياسي والدفاعي للبنيان العربي تدعيماً جدياً.

والخطوة العملية إلى تحقيق هذا العلاج هي أن ينبثق عن المؤتمر العتيد ميثاق يسمى «ميثاق الدول العربية المتحدة» يتضمن ما يلي:

1 ـ اتفاق الدول الموقعة عليه على الاتحاد في الشؤون السياسية والعسكرية والاقتصادية والتشريعية العامة والثقافية والمواصلات.

2 ـ إمكان انضمام الدول والكيانات العربية التي قد تتأخر في الانضمام إليه، وقد تنشأ نتيجة للتحرر من الاستعمار.

3 ـ وضع دستور للاتحاد تحدد فيه المقاصد والحقوق والواجبات والسلطات التي تشرف على الإدارة الاتحادية من قبل مجلس تأسيسي يتألف:

(أولاً): من أعضاء منتخبين من المجالس

العامة الرسمية القائمة في كل دولة حسب نظامها، بنسبة عضو واحد عن كل نصف مليون من السكان، على أن لا يقل عدد ممثلي كل دولة عن خمسة ولا يزيد عن أربعين.

(ثانياً): من خمسة أعضاء من كل دولة تعينهم حكوماتها، ويراعى فيهم الكفاءة والخبرة.

4 ـ إبرام الميثاق وفقاً للطريقة الدستورية أو أسلوب الحكم القائم في كل دولة في مدة لا تتجاوز الشهرين.

5 ـ انتخاب المجلس التأسيسي في خلال مدة لا تتجاوز الشهرين من إبرام الميثاق، واجتماعه بعد أسبوعين من انتخابه برئاسة أكبر الأعضاء سناً، فيختار مكتبه ويضع لائحته الداخلية ويباشر مهمته التي يجب أن ينتهي منها في مدة لا تزيد عن ستة أشهر.

6 ـ إنشاء أمانة عامة للاتحاد لملاحقة تنفيذ الميثاق وإتمام خطواته، تنتهي مهمتها حينما تقوم المنظمات الاتحادية الدستورية.

7 ـ حينما ينتهي تشريع الدستور، تسارع الدول الموقعة على الميثاق إلى تعديل دساتيرها وفاقه، أو إعلان موافقتها عليه حسب نظم كل دولة، وبذلك يغدو الاتحاد في حيز التحقيق. ويتم تباعاً خطواته التنفيذية وقيام المنظمات التي يتألف منها جهاز الاتحاد.

وهذه بعض الخطوط التي يمكن أن تكون نواة للدستور الاتحادي، فيها توضيح لمدى الاتحاد المقترح الذي فيه في الوقت نفسه تطمين لمختلف الرغبات والاعتبارات:

1 ـ مواد عامة:

1 ـ تكون قوات الدول العربية المتحدة موحدة قيادة ونظماً وإدارة، ويباشر شؤونها وزارة اتحادية واحدة وهيأة قيادة واحدة.

2 ـ تنحصر مباشرة الشؤون السياسية الخارجية وعقد المعاهدات الخارجية في وزارة خارجية اتحادية واحدة.

3 ـ تكون الجمارك في الدول المتحدة موحدة نظماً وإدارة، ويكون النقد موحداً، وتكون السياسة الاقتصادية الخارجية في نطاق تنظيمي وتوجيهي موحد.

وتكون السياسة المتعلقة بالتجارة والصناعات الداخلية في نطاق تنسيقي موحد، ويكون التشريع الاقتصادي في الدول العربية كافلاً لأرباب التجارة والصناعة والمهن في بلاد الإتحاد شروطاً متكافئة، وتشرف على هذه الشؤون وزارة اتحادية باسم وزارة المال والاقتصاد.

4 ـ يكون البرق والبريد والهاتف والطيران المدني والملاحة المدنية والخطوط الحديدية والموانىء والمطارات المدنية موحدة نظماً وإدارة، وتشرف على شؤونها وزارة اتحادية باسم وزارة المواصلات.

5 ـ تكون مناهج التعليم والخطط الثقافية العامة موحدة، توخياً لتوطيد الانسجام القومي والفكري والأدبي والاجتماعي العام في صفوف الشعب العربي. وتشرف على هذه الشؤون وزارة معارف اتحادية. أما التطبيق والمدارس وإدارتها فذلك من شأن كل دولة.

6 ـ تكون القوانين الجزائية والمدنية موحدة، ويشرف على هذه الشؤون وزارة تشريع اتحادية.

7 ـ يكون لرعايا الدول المتحدة جنسية اتحادية تخولهم حق التنقل والإقامة والعمل في أي دولة من دول الاتحاد بدون قيد، وبمساواة مع رعية الدولة التي هم فيها. ويحتفظون

بالوقت نفسه بجنسيتهم الأصلية التي تخولهم ممارسة الحقوق الانتخابية والمدنية في دولهم. وييسر لمن أراد منهم تبديل جنسيته بجنسية الدولة التي يقيم ويعمل فيها إذا مر عليه مقيماً وعاملاً سنتان. وحينئذ يستطيع أن يمارس الحقوق الانتخابية في الدولة التي يتجنس بجنسيتها، وينقطع حقه في ذلك في دولته الأولى. ويشرف على هذه الشؤون وزارة اتحادية باسم وزارة العمل والجنسية.

8 ـ موارد الاتحاد تتألف من حصيلة الجمارك والمواصلات والنقد ومن رسوم وموارد أخرى يقررها المجلس التشريعي الاتحادي.

2 ـ المنظمات الاتحادية:

9 ـ يقوم على شؤون الاتحاد أربع منظمات اتحادية وهي: المجلس التنفيذي، والمجلس التشريعي، والقيادة العامة، ومحكمة العدل.

3 ـ المجلس التنفيذي:

10 ـ المجلس التنفيذي يتألف من رئيس ومن وزراء للمالية والخارجية والدفاع والمواصلات والمعارف والتشريع العام والعمل والجنسية.

11 ـ رئيس المجلس التنفيذي هو رئيس الاتحاد أيضاً، ومدة رئاسته سنتان، ومهمته:

1 ـ تمثيل الدول المتحدة.

2 ـ قبول سفراء الدول الأجنبية.

3 ـ إيفاد السفراء والبعثات السياسية.

4 ـ إبرام المعاهدات والاتفاقات الخارجية والقوانين الاتحادية وإعلان نفاذها.

5 ـ إدارة جلسات المجلس التنفيذي.

6 ـ ما يمكن أن تنص عليه لائحة المجلس من شؤون أخرى.

وتتناوب الدول المتحدة الرئاسة حسب ترتيب حروف الهجاء، ويختار المجلس التشريعي بأكثرية عدد أعضائه الرئيس من بين ثلاثة مرشحين ترشحهم الدولة صاحبة النوبة. وإذا مات أو استقال أو أدين وعزل، يتمم مدته رئيس يختار كذلك من قبل المجلس التشريعي من بين ثلاثة مرشحين من الدولة صاحبة النوبة. وإذا وقع هذا في عطلة المجلس التشريعي، وجب اجتماعه اجتماعاً خارقاً خلال أسبوع واحد لملء فراغه، ويقوم مقام الرئيس في هذه الفترة رئيس المجلس التشريعي. ويقوم هذا مقام الرئيس أيضاً في حالة تغيبه موقتاً لمرض أو سفر أو سبب آخر.

12 ـ وزراء الاتحاد ينتخبون من قبل المجلس التشريعي بأكثرية عدد أعضائه من بين مرشحين ترشح كل دولة واحداً منهم لكل وزارة، ولا يجوز أن يكون أكثر من ثلاثة منهم من مرشحي دولة واحدة، وليس لهم مدة. وإذا استقال وزير أو مات أو أدين وعزل، ينتخب المجلس التشريعي آخر مكانه من بين ثلاثة مرشحين ترشحهم دولته.

ويصرف كل وزير شؤون وزارته وفقاً للائحة الداخلية التي يضعها المجلس التنفيذي لسير أعماله ووفق القوانين النافذة. أما مشاريع القوانين والاتفاقات والمعاهدات الخارجية السياسية والاقتصادية والعسكرية، فالنظر فيها عائد إلى المجلس التنفيذي.

والمجلس متضامن في المسؤولية في السياسة العامة. وكل وزير مسؤول عن أعمال وزارته الخاصة.

13 ـ ينشأ في كل مركز دولة مكتب اتحادي مرتبط برئيس المجلس التنفيذي ليكون واسطة الاتصال والتنسيق بين الإدارة الاتحادية والدولة التي يكون فيها.

14 ـ ينشأ في كل دولة فروع لوزارات المالية والدفاع والمواصلات والجنسية، تكون تابعة لها إدارة ونظماً.

15 ـ ما يزيد من ريع الموارد الاتحادية بعد نفقات الإدارة الإتحادية بما فيها نفقات القوات العسكرية، يوزع على الدول بنسبة ميزانية كل منها، أو يحفظ كاحتياط بقرار المجلس التشريعي. وإذا نقص الريع عن هذه النفقات يوزع النقص على الدول بنفس النسبة.

4 ـ المجلس التشريعي:

16 ـ يتألف المجلس التشريعي الاتحادي من نوعين من الأعضاء:

1) من أعضاء منتخبين من قبل مجالس الأمة القائمة، أو ما يقوم مقامها حسب نظم الدول المتحدة، بنسبة عضو واحد عن كل نصف مليون من أهلها، أو كسوره إذا كان ربع مليون. على أن لا يقل عدد أعضاء كل دولة عن أربعة، ولا يزيد عن أربعين.

2) من أعضاء يعينهم مجلس وزراء كل دولة بنسبة عضو واحد عن كل مليونين من سكانها، أو كسورهما إذا كان مليوناً، على أن لا يقل عدد أعضاء كل دولة عن اثنين ولا يزيد عن عشرة، يراعى فيهم الخبرة والكفاءة.

17 ـ مدة المجلس سنتان. ويعقد دورتين في كل سنة. ويتولى تشريع جميع الشؤون الاتحادية بما فيها الميزانية.

والمجلس التنفيذي هو الذي يقدم المشاريع إليه. ولربع أعضائه أن يقدموا ما يرونه من المشاريع أيضاً. ويتخذ قراراته بأكثريته العددية، عدا قرارات إعلان الحرب ومعاهدات الصلح والاتفاقيات السياسية والاقتصادية التي تزيد مدتها عن خمس سنين، فإن ذلك يتم بأكثرية ثلاثة أخماس أعضائه.

وتنفذ القوانين والقرارات التي تصدر من المجلس بعد إبرامها من رئيس الاتحاد، الذي يجب عليه أن يعيدها باعتراض معلل خلال أسبوعين إذا لم ير إبرامها. فإذا أصر المجلس عليها وجب إعلانها وتنفيذها.

18 ـ للمجلس التشريعي حق سؤال المجلس التنفيذي بما فيه الرئيس والوزراء مجتمعين ومنفردين عن كل شأن من شؤون الاتحاد. وله حق إدانتهم بالتقصير والإهمال أو مخالفة الدستور والقوانين أو الخيانة، بأكثرية ثلاثة أخماس أعضائه.

وحينئذ تنظر محكمة العدل الاتحادية في الأمر وتصدر قرارها. وإذا كان قرارها إيجابياً في تهمة التقصير والإهمال ومخالفة الدستور والقوانين، فإنه يعني العزل، وإذا كان قرارها إيجابياً في تهمة الخيانة، فتحيله إلى محكمة جنايات الدولة العليا الموجودة في مركز الاتحاد. ولها أن تحيله إلى هذه المحكمة إذا ترتب على الإهمال والتقصير والمخالفة خسارة مادية لخزانة الاتحاد.

19 ـ يجوز للمجلس التنفيذي أن يدعو المجلس التشريعي لاجتماع خارق إذا اقتضت ذلك المصلحة والظروف، ولربع أعضاء المجلس التشريعي طلب ذلك أيضاً، ومثل هذا الحق لدولتين من الدول المتحدة. ويترتب على المجلس التنفيذي تنفيذ الطلب.

5 ـ محكمة العدل الاتحادية:

20 ـ تتألف محكمة العدل الاتحادية من عضوين على الأقل وأربعة على الأكثر لكل دولة. وينتخبون من قبل المجلس التشريعي بأكثريته العددية من بين مرشحين بقدر ثلاثة

أضعافهم، ترشحهم الدول بالتساوي العددي.

وينتخب المجلس التشريعي رئيس المحكمة أيضاً من بين مرشحين ترشح كل دولة واحداً. وإذا ما شغر مكان في المحكمة يملأ بنفس الطريقة، وأعضاء المحكمة لا يعزلون، ويعتزلون الخدمة بالاستقالة أو ببلوغ سن السبعين.

21 ـ مهمة محكمة العدل :

1 ـ حل الخلافات التي تقوم بين الدول العربية المتحدة في مختلف الشؤون بطلب من إحدى الدول أو من رئيس الاتحاد.

2 ـ النظر في قرارات إدانة رئيس المجلس التنفيذي وأعضائه، الصادرة من المجلس التشريعي، وإصدار قرار فيها بعد منح المدان فرصة الدفاع.

3 ـ النظر في دستورية أي تشريع أو قانون أو نظام أو أمر أو قرار صادر من المجلس التشريعي أو المجلس التنفيذي، وإصدار قرار فيه إذا طلبت ذلك إحدى دول الاتحاد.

4 ـ النظر في أي شكوى من مثل ذلك يتقدم بها أحد رعايا الدول المتحدة في حالة وقوع ضرر عليه، ورفض الإدارة الاتحادية النظر في شكواه.

5 ـ النظر في أي خلاف يحدث بين المجلس التنفيذي وإحدى الدول المتحدة، إذا طلب ذلك هذا المجلس أو الدولة المعنية، وإصدار قرار فيه.

6 ـ تفسير ميثاق الاتحاد ومواد الدستور إذا طلب منها ذلك المجلس التنفيذي، أو إحدى الدول المتحدة.

ودعوتها واجبة التلبية وقراراتها واجبة التنفيذ. وإذا رفضت الدولة المدعوة من قبل المحكمة تلبية الدعوة، فللمحكمة أن تنظر في القضية غيابياً. وإذا رفضت الدولة المدانة تنفيذ قرار المحكمة، فالمجلس التنفيذي يقترح على المجلس التشريعي ما يراه في صدد التنفيذ، ويكون قرار المجلس بأكثرية ثلاثة أخماسه نافذاً.

6 ـ القيادة العسكرية :

22 ـ تنشأ قيادة عسكرية عامة للإشراف على تنظيم القوات العربية الاتحادية وإعدادها، وتكون رئاسة القيادة في وقت السلم لأكثر الدول عدداً في القوات الاتحادية، وفي الحرب لأكثر الدول عدداً من العمليات. والمجلس التنفيذي هو الذي يعين القائد العام في وقت السلم ووقت الحرب من بين ثلاثة مرشحين ترشحهم الدولة التي ينبغي أن يكون منها.

والقيادة مرتبطة بوزارة الدفاع الاتحادية من نواحي التموين والتمويل والتنظيم والتجهيز.

ويجب أن يشترك فيها ضابط ركن وغير ركن من سائر الدول بنسبة عدد قوات كل منها في وقت السلم والحرب، إلا إذا قرر المجلس التنفيذي خلال ذلك وفقاً لما يراه متمشياً مع المصلحة، وتكون جميع قوات الدول العربية في السلم والحرب تابعة للقيادة العامة في مختلف الشؤون كأنها قطعات جيش واحد.

7 ـ مركز الاتحاد:

23 ـ مركز المنظمات الاتحادية الأربع مدينة القاهرة، ما عدا مركز القيادة العامة وقت الحرب، حيث يكون ذلك بقرار المجلس التنفيذي ووفقاً لما تمليه الظروف.

8 ـ مادة منفردة :

24 ـ لا يجوز لدولة من دول الاتحاد عقد أي اتفاق أو معاهدة، ولا إصدار أي تشريع أو قانون

أو نظام، يتعارض مع التشريعات والقوانين والأنظمة الاتحادية. وإذا وجد مثل هذا، فالتشريعات والقوانين والأنظمة الاتحادية هي التي تكون نافذة فيها.

وطبيعي أن هذه الخطوط قابلة للتعديل والتركيز، ولكنها خطوط صالحة كل الصلاح فيما نعتقد لقيام بنيان عربي اتحادي فيه القوة والتدعيم، وحل عقد العرب ومشاكلهم الداخلية والخارجية والنفسية.

وختاماً نقول إن الفرصة سانحة لخطوة مخلصة مثل هذه الخطوة التي آن للدول العربية أن تخطوها بعد فشل التجارب والمحاولات السابقة، بسبب احتفاظ الدول بحريتها السياسية واستيحاء اعتباراتها الإقليمية والشخصية والأسروية والطائفية في استعمال هذه الحرية. وحرام كل الحرام إضاعتها أو تأخيرها إلى وقت آخر، لأنه ليس في ذلك إلا إضاعة للوقت وبقاء العرب مرتكسين فيما هم فيه من ضعف وتفكك وانعدام وذل، واعتبار على ما هم عليه من كثرة، وعلى ما لوطنهم العظيم من مركز ممتاز.

إلا إن رجال المؤتمر هم الآن تحت الاختبار، فإما أن يثبتوا صدقهم في الرغبة في تدعيم البنيان العربي، وليس لذلك إلا هذه الوسيلة التي لا تتطلب منهم إلا القليل من التضحية، والتي تتسع كما قلنا لتطمين مختلف الرغبات والاعتبارات، وإما أن ينتهي اجتماعهم وحماسهم إلى ميثاق من نوع مواثيق جامعة الدول العربية ومعاهدة الدفاع المشترك، فيظلوا تاركين المنافذ للتعثر والتردد، ولتكون حبراً على ورق، كما كان شأن تلك المواثيق، ومحطمين بذلك أمل العرب تحطيماً جديداً، قد يكون أشد من المرات الأولى وخامة عاقبة، ومسببين إنفقاد كل ثقة فيهم أمام شعوبهم وأمام العالم أجمع.

إننا نناشد ضمائرهم وعروبتهم وإيمانهم بأن لا يضيعوا الفرصة والوقت في تجارب جديدة بدون جدوى، وأن يقدموا على هذه الخطوة التي هي اليوم أمنية العرب ونشيد أنشادهم، وأن يجعلوا شعوب العرب والعالم يتأكدون صدق ما يدعون من الرغبة الخالصة في تدعيم البنيان العربي وتحقيق آمال العرب، ونسأل الله أن يسدد خطاهم إلى ما فيه خير العروبة وقوتها ومجدها. إنه سميع مجيب.

***

(29) مقال للكاتب
نشر في جريدة النصر العدد 3087
الأربعاء تاريخ 14 شعبان 1374
6 نيسان 1955

بدأت النوايا تظهر آثار خطيرة للحلف العراقي - التركي:

كنا حللنا في هذه الصحيفة بمقال مسهب خسائر الحلف العراقي التركي وأرباحه بالنسبة للعراق ودنيا العرب وقضاياهم، وانتهينا إلى أن الخسائر هي الراجحة.

وها نحن نشهد بمزيد الأسف والقلق آثار خطيرة للخسائر التي تصيب العرب وقضاياهم من ذلك الحلف، تظهر وشيكاً ومصداقاً لما أوردناه في ذلك المقال.

وقد ظهر أول هذه الآثار في الموقف (الهولاكي التيمورلنكي) الذي وقفه رئيس الحكومة التركية من سوريا، وإعلانه عليها حرب أعصاب شديدة، لأنها لم تستجب للأمر الشاهاني وترتم في حضن الزعامة السياسية

والعسكرية على الشرق العربي، التي أرادت تركيا أن تتمثل فيها وتضم إليها دول العرب وخاصة دول الهلال الخصيب واحدة بعد أخرى، تنفيذاً لرغبة وتوجيه الولايات المتحدة من جهة، وضمانة للمنافع العظيمة التي تنالها من وراء ذلك من جهة أخرى. ولا سيما أنها رأت أن الزعامة قد تحققت لها فعلاً بالحلف الذي عقدته مع العراق، والذي كان فيه تسليم ضمني بها منه. ولذلك عظم عليها إباء سوريا، فلم تطق عليها صبراً، وخاصة لأن موقف سوريا أدى إلى تردد لبنان والأردن في الارتماء في ذلك الحضن الذي بلا العرب منه ما بلوه خلال القرون الغابرة...

وهكذا اعتبرت تركيا نفسها ولية أمر سوريا والدول العربية الأخرى، والقوامة عليها قوامة الراشد على القاصر الذي لا يعرف مصلحته، ورأت من حقها أن تقف منها الموقف الذي وقفته، لإجبارها على الخضوع لقوامتها، وتسليم قيادها إليها كرهاً، بعد أن أخفقت في جعلها تفعل ذلك طوعاً.

وليس من المغالاة أن نقول إن تركيا ستشتد نقمة على العرب وعرقلة لقضاياهم ومصالحهم، لإجبارهم على الخضوع لقوامتها وعدم التمرد عليها بأي شكل.

وإذا لم يكن شعور الترك هذا نحو العرب بدعاً، فإنه كان على الأقل في صورة أقل بروزاً واستهتاراً منه الآن ومما سيكون بعد الآن. وهذا لم يكن ليكون لو لم ينزلق العراق إلى ما انزلق إليه ويخرق الجبهة العربية.

وأول أمس ظهر أثر خطر آخر لهذا الحلف في تصريحات وزير الخارجية البريطانية التي ألقاها في مجلس العموم، في سياق إعلانه انضمام دولته إليه. فقد جاء في هذه التصريحات نقطتان خطيرتان جداً، أولاهما إعلان الوزير بأن بريطانيا غير مقيدة بالكتابين اللذين تبادلهما رئيسا الحكومتين التركية العراقية في صدد التعاون على جعل قرارات هيئة الأمم بفلسطين نافذة، وثانيتهما قول الوزير إن الحلف العراقي التركي الذي انضمت إليه بريطانيا هو تطور مرغوب فيه من وجهة نظر إسرائيل.

وقد أراد الوزير البريطاني بتصريحاته تطمين إسرائيل ربيبة بريطانيا وخنجرها المسموم في ظهر العرب على حياتها ومستقبلها، وتطمين أنصارها في بريطانيا.

وإذا لاحظنا أن بريطانيا بصفتها عضواً في هيئة الأمم مرتبطة بقرارات جمعيتها العامة، ومنها قرارات فلسطين، التي يعتبرها العرب الرسميون الحد الأدنى لحل قضية فلسطين، وأن الجمعية قد أكدت اعتبار هذه القرارات قائمة مرة بعد مرة في مختلف المناسبات، ظهرت لنا خطورة إعلان الوزير البريطاني بالنسبة للنقطة الأولى، لأن فيه بشكل ما تراجعاً رسمياً عن هذه القرارات من بريطانيا التي هي من أهم أركان هيئة الأمم. وتشتد هذه الخطورة إذا لاحظنا أن بريطانيا ليست في حالة ملزمة لهذا التصريح، لأن موافقة تركيا على التعاون مع العراق على جعل القرارات المذكورة نافذة ليست في صلب مواد الميثاق الذي انضمت إليه، وإنما جاءت في كتابين تبادلهما رئيسا الحكومتين العراقية والتركية.

وقد كان على بريطانيا أن تجامل العراق على الأقل بعدم إعلان ما ليست ملزمة بإعلانه، وأن لا تحرجه من جديد أمام العرب الذين رأوا في استجابته لمساعي الغرب ثغرة في صفوفهم وضربة على كيانهم ومصالحهم لو كانت المسألة عادية.

أما النقطة الثانية من التصريح فلا تكاد خطورتها تحتاج إلى تعليق. وكفى للحلف فضيحة ووصمة أن يكون تطوراً مرغوباً فيه من وجهة نظر إسرائيل، وهو ما كان رجال الحكم في العراق ينكرونه أشد إنكار.

ولسنا ندري هل العراق فوجىء بهذين الأثرين ـ الموقف التركي من سوريا وتصريحات الوزير البريطاني ـ مفاجأة . فإذا كان فوجىء بهما مفاجأة فلا شك في أنه قد لمس خطورتهما في مستقبل العرب وقضاياهم، وقد ظهر له أنهما آثار خطيرة ضد ذلك المستقبل، وهذه القضايا نتجت من الحلف.

ولا نريد أن نقول إنه كان على علم ويقين بحدوثهما، أو ضالعاً فيهما، لأننا ما زلنا نحب أن نعتقد أن رجال الحكومة العراقية لم يصلوا إلى هذا الدرك من التنكر لمستقبل العرب وقضاياهم.

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

***

(30) رسالة من الكاتب للرئيس جمال عبد الناصر ـ في صدد الوحدة 18 رمضان 1374 10 مارس 1955 :

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر المحترم،

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. وبعد فإنه يسعدني أن أقول لكم إني مغتبط كل الاغتباط بحركتكم المباركة التي أنقذتم بها مصر من الفساد والطغيان والشعوبيين، وفتحتم لها وللعروبة طريق المجد والقوة، وقد أيدتكم بلساني وبقلبي في كل مناسبة، لأني رأيت في أكثر أعمالكم الخير والصواب. وأنا إلى هذا مبتهج أشد ابتهاج بما يبدو منكم من اندماج قوي في العروبة وأهدافها.

ولقد كان اغتباطي عظيماً حينما أخذتم بيدكم زمام المبادرة في الموقف العربي، لما انزلق العراق إلى شبكة الحلف التركي، فكان انزلاقه مؤذناً بتصديع البنيان العربي العام، وانبساط سيطرة تركية السياسية والعسكرية بشكل ما عليه، وأعلنتم من عزيمتكم على الدفاع عن بقاء هذا البنيان قوياً، وإقامة حلف عربي خالص يدعمه ويقيه من التفكك والتفتت، ثم لما تجاوبت معكم سورية والسعودية، نادى هذا التجاوب إلى تحديد خطر ذلك الانزلاق وانتعاش الآمال بخطوة جدية نحو تدعيم البنيان العربي، تدعيماً يجعل للعرب مكانة مرموقة، ويساعد على ازدهار بلادهم وحل قضاياهم حلاً كريماً.

غير أن الأمل أصيب بشيء من الصدمة حينما أذيع الميثاق الثلاثي الموقع مبدئياً، حيث بان منه أن العزيمة قاصرة على إقامة منظمة على غرار منظمة الدفاع المشترك أو الجامعة العربية. وقد اتصلت بفخامة الأخ الجليل السيد شكري القوتلي الذي تربطني وإياه رابطة وثيقة من العمل المشترك في الحركة العربية منذ الشباب، فطلب مني أن أشرح آرائي لسيادة الصاغ صلاح سالم الذي كان يزور دمشق حينئذ، ولم يتسن لي الاجتماع، فكتبت له بتاريخ 1955/3/19 مذكرة شرحت فيها العلاج الأنجع للموقف ، وعبث أي عملية لا تقوم على أساس اتحاد سياسي ودفاعي واقتصادي تنفيذي يقوم عليه جهاز خاص، وأرسلت إليه مشروعاً مفصلاً لمثل هذا الاتحاد، وناشدته الاتجاه إلى مثله الذي فيه وحدة تدعيم البنيان العربي تدعيماً صحيحاً. . .

ولقد وصل إلى سمعي أن سوريا قدمت مشروعاً يضمن التدعيم المطلوب بعض الشيء ـ وإن كان يقصر عن المشروع الذي اقترحته ـ وأن مصر قابلت ذلك المشروع وخاصة ناحيته الاقتصادية، بشيء من الفتور والتردد، تأثراً بالاعتبارات الإقليمية. وقد استغربت ذلك ولم أرد أن أصدقه، لأني أرى مصر حريصة على قيام اتحاد سياسي ودفاعي واقتصادي بأوسع مقياس مع السودان، ولأني لا أريد أن أصدق أن الأفق الذي يتسع لهذا يضيق عن فهم ضرورة ومحسنات قيام مثله بين مصر والبلاد العربية الأخرى، والذي ستكون مصر فيه الرابحة الفائزة في الدرجة الأولى مادياً وأدبياً. ولقد اقترح علي فريق من العاملين في الحركة العربية أن أكتب إليكم رأساً. وقال لي بعضهم أنكم تحسنون الإصغاء.

فيا سيدي الرئيس،

لقد سنحت للعرب فرصة أثناء الحرب العالمية الثانية للاتحاد، فكانت مشاوراتهم التي سميت بمشاورات الوحدة العربية سنة 1943، ثم ضاق أفق رؤسائهم وتأثروا بالاعتبارات الإقليمية الضيقة وربما بوساوس المستعمرين، فتضاءلت الفرصة إلى ميثاق جامعة الدول العربية التي لم تضمن أي غناء في مجال الجد والمواقف الخطيرة، والتي أفلست ذلك الإفلاس المريع المحزن في كارثة فلسطين.

ثم سنحت لهم بعد هذه الكارثة فرصة ثانية، بما كان من هتافات نحو الاتحاد نتيجة لتلك الكارثة، وكعلاج لما حل في العرب من هوان وتصدع وانتقاد ثقة واعتبار في نفوس العرب أنفسهم وفي نفوس العالم، فضاق أفق رؤسائهم كذلك، فتضاءلت الفرصة إلى معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي التي ظلت مشلولة لم تغن أي غناء في مجال العمل والحاجة.

ومن الحق أن أعترف أن تعثر هاتين المنظمتين لم يكن مرده قصور في المواد والنصوص فقط، فقد احتوتا مواد صالحة من شأنها تدعيم البنيان العربي اقتصادياً وسياسياً ودفاعياً، وجعله فعالاً محترماً يملأ الحيز اللائق به، وإنما العلة فيهما أن الدول العربية في نطاقهما احتفظت بكامل سيادتها وحريتها التنفيذية والتشريعية، فوجد الإقليميون الضيقو الأفق والمستعمرون معاً المجال لتعطيل تلك المواد الصالحة.

والآن تسنح للعرب فرصة ثالثة، بما كان من حركة وجيشان بمناسبة انزلاق العراق، وتعلن مصر زعيمة بلاد العرب أنها بسبيل إقامة تنظيم عربي جديد لا يكون مثل ما سبق من تنظيمات، وتتجاوب معها سورية والسعودية والرأي العام العربي، فإذا تضاءلت هذه الفرصة إلى شكل مشابه للأشكال السابقة، فيكون العرب قد أضاعوها غير معتبرين بما مر بهم من تجارب وأضاعوه من فرص وهدروه من أوقات وجهود، غير مبالين بما سوف يبقى ببنيانهم عليه من ضعف وتفكك وتعرض للدسائس والوساوس.

والعلاج الناجع هو قيام شكل من أشكال الاتحاد، تتنازل فيه الدول عن شيء من سيادتها وحريتها التنفيذية والتشريعية لصالح المجموع، وتتجمع فيه شؤون الدفاع والخارجية والاقتصاد العام والتشريع العام في جهاز تنفيذي وتشريعي اتحادي خاص يكون مركزه مصر، وترتفع به الحواجز القائمة بين الدول العربية، ويتسع الأفق أمام النشاط العربي الفردي والجماعي اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً. ولن يكون هناك أي تدعيم صحيح للبنيان العربي إلا بذلك، وكل

محاولة في غير هذا النطاق عبث ومضيعة للوقت.

وفي هذا العلاج وحده في الوقت ذاته حل لمشكلات العرب الداخلية والخارجية المعقدة. ففيه حل لمشكلة جيش الأردن، لأن ميزانية الاتحاد هي التي تتكفل بالإنفاق على الجيش الموحد وتنظيمه، فلا يظل الأردن بحاجة إلى صدقات الإنكليز يطوقون بها عنقه. وفيه حل لمشكلة الحلف العراقي ـ التركي، حيث يصبح بدون معنى ولا أثر إذا ما اندمج العراق في الاتحاد. وفيه حل لمشكلة التوجس الهاشمي السعودي، لأنه لا يبقى هناك أي سبب للتخوف من تفوق دولة على دولة، وانتقام دولة من دولة أو أسرة من أسرة.

وإذا كان الظرف الحاضر لا يساعد على اندماج دول الجامعة العربية جميعها في مثل هذا الاتحاد ـ وهو الأفضل بدون ريب ـ ، فلا أقل من أن يقوم في المرحلة الأولى على مصر وسوريا والسعودية، وهي خالصة من تأثير الاستعمار ومالكة زمام أمرها، وتمثل ثلاثة أخماس المشرق العربي. ومن السهل اندماج اليمن أيضاً في المرحلة الأولى، لأنها مثل الدول الثلاث، فيزداد الاتحاد قوة وعدداً. ولسوف يكون مثل هذا الاتحاد تمهيداً صالحاً لاندماج السودان فيه بعد أشهر معدودات، فيصبح ممثلاً لثلثي الشعوب العربية، ولأربعة أخماس المشرق العربي. وحينئذ يغدو في الإمكان التغلب على العقد المانعة لاندماج من لم يندمج من الدول العربية الأخرى.

يا سيدي الرئيس،

إن الوحدة أو الاتحاد أصبح اليوم نشيد أنشاد الشعوب العربية في كل قطر. ولم يبق في الدنيا بلاد وأمة تتوافر فيها وحدة الجنس والتاريخ واللغة والمصلحة والموطن الجغرافي إلا واندمجت في وحدة أو اتحاد غير بلاد العرب والأمة العربية، في حين لا تتوافر أسباب الوحدة في أي بلاد وأمة متحدة كما تتوفر في بلاد العرب والأمة العربية قوة وامتداداً. ولقد كانت الوحدة تجمع بينها إلى أمد قريب ممتدة إلى عديد القرون، وما يقوم اليوم فيها من كيانات وحدود وحواجز شيء مصطنع، وأثر من آثار الاستعمار ومصر وسوريا والسعودية واليمن خاصة خالية من تأثير الاستعمار، وقد آن لها أن تخطو خطوة جدية إلى هذه الغاية التي بلغتها جميع الأمم من دونها، مع احتفاظها إذا أرادت بأشكال حكمها وكياناتها القائمة، وأن لا تضيع الوقت والجهد بما لا يجدي ولا يغني.

وعلى مصر تقع التبعة العظمى في الوقت الراهن، لأنها هي التي أخذت زمام المبادرة بيدها، وأعلنت عن عزمها على تنظيم عربي جديد، فيه التدعيم القوي للبنيان العربي، ولقد كانت مصر تحرص أشد الحرص على توحيد بلاد العرب قبل الإسلام وبعده. وكانت تنجح في أكثر حقب التاريخ، وكان لنجاحها أعظم الآثار النافعة لها وللبلاد العربية سياسياً ودفاعياً واقتصادياً واجتماعياً. وكانت في إحدى المرات الوسيلة إلى تخليص بلاد الشام من الغزوة الصليبية. ولم تمن مصر وبلاد العرب بما كانت تمنى به من وهن وتفكك وضعف وتعرض للغزوات والكوارث إلا حينما كانت تنحل عقدة الوحدة بينها وبين بلاد العرب. والفرصة الآن سانحة كل السنوح لتجديد ذلك العهد العظيم. وأنتم الآن تحت الاختبار والأنظار، فإما أن تخطوا خطوة إيجابية نحو اتحاد تنفيذي صحيح، يقوم عليه جهاز خاص، وفي نطاق المشروع الذي أرسلته لسيادة الصاغ صلاح

سالم، والذي أرسل الآن لسيادتكم نسخة من مجلة الرأي التي نشر فيها أو ما يقاربه، فتنقذوا العروبة مما حل فيها، وتهيئوا لها أسباب القوة والمناعة والكرامة والإزدهار، وحل العقد والمشاكل، ومحو العار الذي لبسها بكارثة فلسطين. وإما أن تكون حصيلة هذه الفرصة الثمينة والضجة العظمى التي ثارت في مناسبتها وأثارت الرأي العام العربي والعالمي ضئيلة، تتكرر بها التجارب المخفقة، فتتحطم الآمال المعقودة وتضيع الجهود المبذولة، ويظل العرب أضحوكة للناس ومضغة في أفواههم، وإني أعيذكم من أن تفعلوا ذلك، وقد أثبتم رجولتكم وسعة أفقكم في مواقف عديدة، وإني أناشد ضمير العروبة والإسلام فيكم أن لا تتأثروا بالاعتبارات الإقليمية الضيقة، وأن تبذلوا جهدكم وقوة إقناعكم، وأن تسجلوا بطولة جديدة في التاريخ العربي تتجدد فيها عظمة العروبة تحت زعامتكم وزعامة مصر، لتؤدي رسالتها العظمى، كما كان شأنها حينما كانت تتحد تحت راية واحدة في مختلف حقب التاريخ.

وأريد أن أنبه إلى أمر مهم تزداد به مسؤولية مصر وضرورة إقدامها، وهو أن سورية تواجه ضغطاً متنوع الجبهات، وقد أحبط تجاوبها مع مصر إلى حد كبير، الجهود المبذولة في سبيل توسيع شبكة الحلف العراقي التركي. فمن الواجب اللازم الحرص على استبقائها في موقفها الراهن المتجاوب مع مصر، والذي حفظ البنيان العربي من الانهيار الشديد، وسوريا جعلت العمل للوحدة العربية واجباً محتماً في دستورها، يقسم عليه رئيس جمهوريتها ونوابها، وأي فتور أو تردد من مصر في موضوع قيام اتحاد تنفيذي قد يؤثر في موقفها، وقد يحبط العزيمة التي أخذت مصر مبادرتها بيدها.

أقول هذا وأقول أني لست سورياً، وإنما أنا عربي فلسطيني، عمل بكل إيمان وقوة في سبيل الحركة العربية، وتحمل التضحيات العديدة، ويرى في مصر الزعيمة الطبيعية للعرب التي حملت راية توحيدهم في مختلف حقب التاريخ، والتي يجب عليها أن تحمل الآن بكل قوة، وقد غدت مصر بفضل حركتكم المباركة متحررة من التهم التي كانت تتهم بها في صدد زعامتها الطبيعية للعرب. ولقد قمتم بهذه الحركة فغدت زعامة مصر زعامة شعبية عربية متحررة من المطامع والاعتبارات الشخصية، فصار من واجبكم والجدير بكم أن تخطوا خطوة مباركة ثانية، فتحققوا مرحلة من مراحل هدف العروبة الأعلى وهو الوحدة، وتعيدوا لمصر والعروبة دور العزة والقوة والمجد.

سدد الله خطواتكم إلى ما فيه الحق والخير ومجد العروبة والإسلام، والسلام.

18 رمضان 1374 .

10 مارس 1955 .

***

(31) رسالة من السيد محمود رأفة الضابط المصري في منظمة المقاطعة الى الكاتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الأخ الكريم،

السلام عليكم ورحمة الله وبعد، وصلني خطاباك الكريمان الأول والثاني، كما وصلني نسخة كتاب «القرآن واليهود» المخطوطة، وأرجو الله أن أوفق لما يرضيه سبحانه ويرضينا

جميعاً، وسأخطر سيادتكم قريباً عن النتيجة التي آمل أن تكون سارة لنا جميعاً.

كما أبلغ سيادتكم بأنني قمت بتوصيل خطابكم، وحاز القبول التام، ولا يتسع المقام الآن للتفصيل، وإنما كل ما يمكن قوله أن جميع ما ورد فيه موضع التنفيذ بما يسرنا جميعاً.

موضوع المسابقة - لاتزال لجنة الفحص توالي عملها ولم تنته منه بعد.

أنتهز هذه الفرصة السعيدة لأتقدم لشخصكم الكريم بأسمى آيات التبريك والتهنئة بالعيد السعيد - راجياً المولى القدير أن يعيده على العرب وعلى المسلمين وهم في أكرم حال وأسعد مآل. والله ولي التوفيق.

ختاماً أنا دائماً في انتظار أوامركم. وقبلاتي حتى اللقاء.

ودمتم لمخلصكم

محمد رأفت

52 شارع مصطفى باشا بالزيتون - ضواحي القاهرة

توضيح:

المرسل إليه من الضباط الأحرار. وقد عهد إليه مراقبة أو إدارة شؤون المقاطعة في أمانة جامعة الدول العربية. وكان يأتي إلى دمشق في نطاق مهمته. وقد تعرف الكاتب عليه لأول مرة في سنة 1954. ثم التقى به أكثر من مرة في دمشق. وهو رجل قومي عربي مسلم متدين ومستقيم التفكير. وقد توسط في طبع كتابي تاريخ بني إسرائيل لأول مرة في القاهرة. وتوسط في طبع كتابي (الوحدة العربية) بواسطة المؤتمر الإسلامي الذي كان يرأسه أنور السادات. وقد تعثر طبع هذا دون ذلك. وقد حدثه الكاتب في صدد ما يجري من جهود مركّزة في تنظيم عربي ودعوته إلى جعل ذلك اتحاداً. فاقترح أن أكتب بذلك للرئيس جمال وقال إن الرئيس يحسن الإصغاء. ووعد بتسليم الكتاب. فكتبت الرسالة التي سبق إيرادها للرئيس، وأخذها وأوصلها، وهذا الكتاب في صدد ذلك.

* * *

(32) رسالة من الكاتب إلى الرئيس شكري القوتلي - في صدد الوحدة - بتاريخ 20 تشرين الأول 1955

(وكان قد أعيد انتخابه إلى الرئاسة مجدداً قبل مدة قليلة)

سيدي الرئيس الجليل،

عطفاً على الحديث الذي جرى بيننا منذ أيام أستسمحكم بعرض ما يلي:

إن المعالجة التي جنح إليها بصورة مواثيق عسكرية ثنائية لا تحقق إلا ناحية من نواحي الحاجة الملحة للوحدة العربية. فهذه الوحدة ليست لسد الثغرة الدفاعية، وإنما هي لسد الثغرات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية التي تتصل بصميم حياة الأمة العربية في جميع الأوقات والأمكنة. وقد سمعت أن هناك نية لاتباع هذه الحركة بمواثيق ثنائية اقتصادية. وهذه لن تحل المشكلة وتسد الثغرة، لأن قصاراها تيسير التبادل بين البلاد العربية، في حين أن الأمر يتصل ببناء الأمة العربية بناءً جديداً يجعلها موحدة الأهداف والاجتماع والاقتصاد والجنسية والكيان، ويسبكها ببودقة واحدة، مما لا يمكن أن يتم إلا في ظل الوحدة الشاملة.

على أن هذه المعالجة الثنائية ليست جديدة إلا بالتسمية. فمعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الإقتصادي قد عالجت سد الثغرة الدفاعية والإقتصادية جماعياً بمقياس أوسع وأشمل وأقوى. وتعثرها في التنفيذ آتٍ من الاعتبارات المتنوعة التي تؤثر في سير واتجاهات الدول العربية من وجهة عامة، ولأن هذه الدول احتفظت في نطاقها بحريتها الإجرائية الكاملة بوجه خاص. ومثل هذه العثرات قد يقف في طريق تنفيذ المواثيق الثنائية أيضاً.

ومهما يكن من أمر، فما دامت الحاجة ملحة إلى سد ثغرة الدفاع بصورة سريعة، بعد أن تعثر ذلك بطريق معاهدة الضمان، فلا مانع من هذه التجربة، على أن لا تكون سبباً لإضعاف الهمة والعزيمة في سبيل المعالجة الشاملة الصحيحة بطريق الوحدة أو الإتحاد.

وقد بعثت عودة فخامتكم إلى رئاسة الدولة فينا الآمال الكبيرة في أن تتضاعف تلك الهمة والعزيمة، وفي أن يسجل لفخامتكم الشرف الخالد بدفع الأمة العربية إلى الهدف الذي استهدفته الحركة العربية التي كنتم ومازلتم من أقطابها، عن إيمان قوي بأن تحقيق ذلك هو وحده سبيل المجد والسؤدد والسعادة والقوة والتكامل لهذه الأمة. مما يجعلني أناشد فخامتكم بأن تقوموا بالدور العظيم الذي تهيؤه لكم، عودتكم السعيدة، بل لأن تجعلوا هذا الدور هو المهمة الأولى التي تستنفذون فيها جهدكم ونشاطكم.

وطبعاً نحن لا نطمع الآن بقيام « الدولة العربية المتحدة »، ولكنا نطمع على الأقل في قيام « الدول العربية المتحدة » التي تتنازل الدول العربية فيها عن شيء من سيادتها في سبيل الكيان العام، فتتحد في نطاقها في الشؤون العسكرية والخارجية والإقتصادية والثقافية والتشريعية والمواصلات العامة، مع الاحتفاظ لكل منها بنظام الحكم الذي تريده، وباستقلال ذاتي يمكنها من ممارسة مختلف الشؤون الداخلية تشريعاً وتنفيذاً.

ففي مثل هذا الاتحاد تطمين للاعتبارات المتنوعة التي لا مناص من ملاحظتها من أسروية وطائفية وإقليمية. وفيه حل للمشكلات العربية المعقدة التي كانت ومازال تقف في طريق التواثق العربي، كمشكلة الجيش الأردني ومشكلة الحلف العراقي ـ التركي، ومشكلة التوجس السعودي الهاشمي، بل ومشكلات المعاهدات العسكرية وغير العسكرية المنعقدة بين بعض الدول وبريطانية وأمريكا. لأن الاتحاد سيجعل هذه المشكلات غير ذات موضوع. وفيه في الوقت ذاته استجابة للشعور القومي العام الذي يشتد يوماً بعد يوم، والذي كانت آخر مظاهره في قرارات مؤتمر الخريجين المنعقد في القدس، بضرورة قيام جبهة عربية متحدة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وثقافياً وتشريعياً، يزول في ظلها ما بين أقطار العرب وشعوبهم من حواجز، وتعود بها إلى العرب ثقتهم بنفسهم، ويثقل بها وزنهم، وتساعدهم إلى أبعد حد على حل قضاياهم المعلقة حلاً كريماً.

والخطوة الإجرائية هي عقد ميثاق ينص على ما يلي:

1 ـ الاتفاق على الاتحاد في الشؤون الخارجية والعسكرية والاقتصادية والتشريعية والثقافية والمواصلات. يتمثل في منظمات إتحادية تنفيذية وتشريعية.

2 ـ وضع دستور للاتحاد يعين فيه مركز الاتحاد، وتحدد فيه المقاصد والحقوق

والواجبات والمنظمات الاتحادية التنفيذية والتشريعية من قبل مجلس تأسيسي يتألف من أعضاء تنتخبهم المجالس الرسمية القائمة في كل دولة حسب نظامها بنسبة عضو واحد عن كل نصف مليون من السكان، على أن لا يقل عدد ممثلي كل دولة عن خمسة أعضاء، ولا يزيد عن أربعين، ثم من خمسة أعضاء من كل دولة تعينهم حكومتها ويراعى فيهم الكفاءة والخبرة.

3 ـ إبرام الميثاق وفقاً للطريقة الدستورية أو أسلوب الحكم القائم في كل دولة في مدة لا تتجاوز الشهرين.

4 ـ انتخاب المجلس التأسيسي في مدة لا تتجاوز الشهرين من إبرام الميثاق. واجتماعه في مدة أسبوعين من انتخابه برئاسة أكبر أعضائه سناً، فيختار مكتبه ويضع لائحته الداخلية، ويباشر مهمته التي يجب أن ينتهي منها في مدة لا تزيد عن ستة أشهر.

5 ـ إنشاء أمانة عامة للاتحاد لملاحقة تنفيذ الميثاق وإتمام خطواته، تنتهي مهمتها حينما تقوم الإدارة الإتحادية الدستورية.

6 ـ إبرام الدستور الاتحادي من قبل الدول، وتعديل دساتيرها وفاقاً له في مدة لا تزيد عن الشهرين. «وبذلك يغدو الاتحاد في حيز التحقيق، وتتم تباعاً خطواته التنفيذية بملاحقة جهاز الأمانة العامة».

7 ـ إبقاء الباب مفتوحاً لانضمام أي دولة أو كيان عربي يتأخر عن الانضمام أو ينشأ نتيجة للتحرر من الاستعمار.

وحينما يتم التفاهم والتطابق المبدئي على هذه الأسس بين الدول على مستوى عالي، ونتيجة للاتصالات الشخصية العالية، تتفق الدول على تعيين مندوبين مفوضين عنها للبت في النصوص نهائياً وتوقيعها وتشكيل الأمانة العامة ووضع نظام وميزانية لها، على أن تكون قرارات مجلس المندوبين، الذين يكونون بعدد متساوٍ أو الذين يمثلون الدول، نافذة بأكثرية الثلثين.

وقد يكون من المستحسن والمفيد تكليف مجلس المندوبين الآنف الذكر وضع مشروع دستور للاتحاد ليوضع بين يدي المجلس التأسيسي. فإن هذا يكون أدعى إلى التطابق والتفاهم على مدى الاتحاد وحدوده وشرائعه ومنظماته.

وليس هناك أي محذور صحيح من اشتراك جميع دول الجامعة العربية، بل ومن يمكن من الإمارات العربية في هذا الميثاق وبحثه ووضعه. غير أن الخطوة التي نعتقد بضرورة البدء بها هي التفاهم والتطابق على الأمر مع مصر بالدرجة الأولى، ثم مع المملكة السعودية. ولقد كنت استبشرت بكلام سابق بفخامتكم بإمكان ذلك. والتوافق القوي بينكم وبين رجال الدولتين يبعث الأمل بالنجاح.

ولا شك في أن من الواجب بذل الجهد في إقناع مصر والسعودية بأن يكون العراق داخلاً في هذه الحركة من البدء. وأسباب الإقناع وحججه قوية لا تدحض حينما يُصغى إليها بالعقل والضمير دون العاطفة والهوى. غير أن من الواجب إذا لم يمكن إقناعهما أن تبرم الخطوة في المرحلة الأولى معهما إذا كان ذلك هو الممكن. وليس من ضرر عظيم في تأخير شمولها العراق ردحاً من الزمن، ولكن الضرر عظيم في تأخيرها مدة طويلة، بحجة عدم شمولها له في مرحلتها الأولى إذا كانت ممكنة في هذه المرحلة مع الدولتين المذكورتين اللتين من المحتمل جداً أن تنضم إليهما اليمن وليبية.

إن مصر في الدرجة الأولى والسعودية في

الدرجة الثانية ويلحق بهما اليمن، أعمدة فقارية لكل اتحاد أو وحدة عربية شاملة. وسورية هي العمود الفقري لبلاد الشام بل وللهلال الخصيب، فإذا ما تم الاتحاد بينها تمت الوحدة العربية الكبرى عاجلاً أو آجلاً، لأنها تجمع بين الأعمدة الفقارية للأوطان العربية الآسيوية والإفريقية، فتجذب إليها الباقي. في حين أن أي اتحاد أو وحدة بدون مصر وجزيرة العرب لا ينتج عنه إلا وحدة جزئية منعزلة، وكتلة صغيرة لا تشفي غلة ولا تمهد لوحدة شاملة. بل وقد تجعل مثل هذه الوحدة ممتنعة، لأن الصغير لا يجذب الكبير.

ولقد أدى موقف سورية وتجاوبها مع مصر والسعودية إلى قوة الموقف العربي في إبان اشتداد حدة الحلف العراقي التركي، وغدت سورية بذلك مركز الثقل المؤثر في هذا الموقف، وأحبط به الحلف الذي كان من أهدافه تفتيت الكيان العربي واعتبار تركية وصية أو زعيمة للشرق العربي، وتنفيذ المآرب التي كان المعسكر الغربي يحاولها منذ بضع سنين بالهيمنة على الدول العربية وجرّها واحدة بعد أخرى بعجلته، وتجميد القضايا العربية وفي مقدمتها قضية فلسطين، وإبقائها بدون حل، بل ومصمم على الوقوف من هذه القضايا موقف الكيد والعداء، مما فيه مصداق لما قلته آنفاً من كون سورية ومصر وجزيرة العرب هي الأعمدة الفقارية في كل حركة توحيدية عربية، بل وفي كل موقف عربي. ولقد برزت مصر بعد خطوتها الجريئة المتحررة بروزاً عظيماً زاد في قيمتها، وجعل الواجب أشد باغتنام فرصته بدون تأخير.

والقول بعدم الإقدام على خطوة واسعة مع مصر والسعودية إذا كان ذلك ممكناً، بحجة أنها لا ينبغي أن تكون إلا إذا كانت تشمل العراق وغيره، هو من قبيل الحق الذي يراد به الباطل. وسوف يؤدي إلى نكسة خطيرة يعود الموقف العربي بها إلى التبلبل والميوعة، ويجعل أبواب الدسائس لمنع أي تكتل عربي مفتوحة على مصاريعها.

والذين يقولون هذا فريقان: فريق مخلص يريد أن تندمج جميع الدول العربية في الاتحاد، ولا يبقى أي منها وخاصة العراق الذي هو ركن عظيم من أركان البلاد العربية منعزلاً. وفريق مأجور أو طائفي أو إقليمي شديد التعصب يريد أن يعرقل أي خطوة نحو الاتحاد والوحدة، لأنه يعرف أن الإجماع قد يكون متعذراً.

وأعتقد أن الفريق الأول لا يمكن إلا أن يرحب بأي خطوة ممكنة إذا كان اندماج الجميع متعذراً في الخطوة الأولى، وبالتالي لا يمكن إلا أن يرحب باندماج مصر والسعودية وسورية إذا كان ذلك هو الممكن في المرحلة الأولى، ولا يعقل أن يعطل مثل هذه الخطوة العظيمة التي يتمثل فيها أكثر من نصف العرب المشرقيين، بسبب عدم إمكان اندماج العراق والأردن أو لبنان فيها في مرحلتها الأولى، لأن هذا يعني تأخير الخطوة إذا كانت ممكنة مع سورية ومصر والسعودية فقط في مرحلتها الأولى إلى ما شاء الله، لأن هناك من لا يمكن إقناعه بالمرة، ويعني أن الدول العربية يجب أن تبقى متفككة متخاذلة هزيلة مستغلة، دون أي وزن واعتبار، وأن تبقى قضاياها معلقة وأعداؤها مستهترين بها. وهذا يعني بصريح العبارة خيانة عظمى، لا يمكن أن يرضى مخلص بتسجيلها على نفسه لأي اعتبار كان. ولا سيما أن الباب سيبقى مفتوحاً أمام المتأخر لينضم إلى الاتحاد حينما يتيسر التغلب على الأسباب المانعة. ولسوف

يتيسر ذلك في نطاق الاتحاد بسهولة أكثر، حيث يكون الأمر حينئذٍ منوطاً بالمنظمات الاتحادية التشريعية والتنفيذية.

وأسأل الله لكم التأييد والتسديد، وأن يأخذ بيدكم إلى ما فيه مجد العروبة وسعادتها وقوتها، وأن يجعل من حظ إسمكم وعهدكم الخلود بإتمام هذه الخطوة العظيمة. إنه سميع مجيب.

3 ربيع الأول 1375

20 تشرين الأول 1955

***

(33) مقال للكاتب نشر في جريدة الرأي الدمشقية العدد 52 الاثنين 2 جمادى الثانية 1375 16 كانون ثاني 1956 :

اقتراح الى المجلس النيابي تشكيل لجنة برلمانية لتحقيق الوحدة العربية:

كلمة تمهيدية لجريدة الرأي:

قام أعضاء المكتب الدائم لمؤتمر الخريجين بزيارة دمشق وقدموا لرئيس الجمهورية قرارات المؤتمر، وكانت أهم هذه القرارات وأبرزها الدعوة لإقامة اتحاد عربي، كخطوة أولى نحو الوحدة العربية.

هذا القرار، الذي تبناه مؤتمر الخريجين بالإجماع، أوحى للأستاذ محمد عزة دروزة أن يقدم لأعضاء المجلس النيابي في سورية اقتراحاً بتشكيل لجنة برلمانية خاصة « تتفرغ لدرس قضية الوحدة العربية ورسم الخطط والخطوات التي تكفل تحقيقها ».

و « الرأي » إذ تنشر هذا الاقتراح، تأمل أن يعمد المجلس النيابي إلى إقرار هذا الاقتراح الهام براً باليمين الذي أقسمه نواب سورية.

نص المقال:

قرأت في صحف نهار الأربعاء تصريحاً أو تصحيحاً لرئيس المجلس النيابي حول ما قيل من أن هناك مسعى لإقامة اتحاد عربي فدرالي، فحفزني هذا إلى كتابة هذا المقال الذي يحيك موضوعه في صدري منذ أمد طويل.

لقد أصبحت الوحدة العربية نشيد أنشاد العرب وأقوى هتافاتهم التي تتردد في كل مناسبة ومكان، وعلى كل لسان وقلم، ويندمج في ذلك كل فئة من ملوك ورؤساء وساسة وأحزاب وهيئات وكتاب وخطباء وشيب وشبان ومثقفين وغير مثقفين، حتى الذين لا يريدونها لمآربهم الطائفية والإقليمية والشخصية، وذلك على اعتبار أنها العلاج الحاسم لكل ما يرتكس فيه العرب من حالات مريرة ويتعرضون له من عدوان، ويرون من هوان وذل واستهتار، ويتألمون منه ببقاء قضاياهم دون حل، وببقاء بعض أجزاء أوطانهم مدنسة برجس المغتصبين، ثم لسيرهم قدماً نحو الازدهار والتكامل السياسي والثقافي والاقتصادي والدفاعي والعمراني، وتبوء المكانة اللائقة بأمجادهم وخصائصهم.

وسند ذلك إلى هذا أقوى الإسناد من حيث توافر أركان الوحدة من جنسية ولغوية وروحية وتاريخية واجتماعية وجغرافية وثقافية واقتصادية، بالقوة التي لا تتوافر بها لأي أمة وبلاد أخرى.

وطبيعي أن هناك أسباباً واعتبارات داخلية وخارجية تقف في طريق تحقيق هذا الهدف، برغم أنه قد غدا ـ كما قلنا ـ أعظم أهداف الأمة العربية في هذه الحقبة.

ولعل من جملة الأسباب بل من أهم الأسباب، عدم قيام جهاز قوي فعال متفرغ غير مريب ومندفع بإيمان، يجعل أصحابه لا يكلون ولا يهنون عن الإلحاح والدأب وتلمس الوسائل والسعي في إزالة العقبات الداخلية على الأقل، التي هي من أهم العقبات.

ولقد كان من مفاخر سورية، التي نشأت وترعرعت فيها الحركة العربية القومية، أن نص دستورها على أن مطلب الوحدة مطلب أساسي من مطالب عرب سورية، وأن أوجب على رئيس جمهوريتها ونوابها القسم للعمل على تحقيق ذلك.

فماذا فعل المجلس النيابي السوري، وماذا يستطيع أن يفعل إزاء هذا المطلب؟ ويؤسفني أن لا يكون الجواب على الشق الأول مشجعاً، وأن ما يتردد في جوانب المجلس في المناسبات لا يكفي ولا يغني. وما كان من أعمال إيجابية قوبلت بترحيب المجلس وموافقته ـ على فائدتها ـ من مثل الاتفاق الثنائي العسكري المصري السوري، ومن مثل الاتفاقات الاقتصادية والبريدية وغيرها، مما تم في نطاق الجامعة العربية، ليس من شأنها أن تعد عملاً إيجابياً مهماً في سبيل ذلك المطلب المهم. كما أنها ليس من شأنها أن تعد مفخرة خاصة بالنسبة لسورية، التي انفردت دون غيرها بما انفردت به من نص وقسم، لأنها متشاركة فيها مع غيرها، وهذا بقطع النظر عما جاءت عليه من نصوص يجعلها أشبه باتفاقات تعقد بين دولة عربية ودولة غير عربية، مما يضعف جدواها ومعناها في صدد مطالب الوحدة العربية.

والمتبادر أن الاختصاص الذي خصت به سورية نفسها، والذي تفاخر غيرها به بحق يتطلب من مجلسها النيابي عملاً أقوى وأجدى في هذا الصدد، ومما يخطر للبال من ذلك تشكيل لجنة برلمانية في نطاق المجلس إلى جانب اللجان الموجودة فيه، تتألف من مختلف الميول والأحزاب مثلها، تكون مهمتها التفرغ لدرس قضية الوحدة العربية ورسم الخطط والخطوات التي تكفل تحقيقها بشكل من الأشكال، وبذل الجهد المستمر في سبيل تنفيذها.

إن جعل الوحدة العربية مطلباً أساسياً من مطالب عرب سورية في الدستور، وإحاطته بهالة القسم الموجب للعمل، ثم كون هذا المطلب هو العلاج الناجع لحالة العرب الحاضرة، وتبديلها بما يكفل لهم القوة والمنعة والاعتبار والازدهار والتكامل، يتحمل أن يكون له لجنة خاصة في مجلس النواب السوري، متفرغة لدراسته والعمل له من مختلف الاعتبارات والوجهات، وبمختلف الأساليب والوسائل.

قد يقال أن هناك لجنة للشؤون الخارجية تستطيع أن تقوم بهذه المهمة، وهذا القول هو تهرب من مواجهة المشكلة، لأن لجنة الشؤون الخارجية تضطلع بمعالجة شؤون متنوعة، ومطلب الوحدة يحتاج إلى تفرغ وتخصص يجعلان لجنته تجد بدأب وإلحاح للقيام بمهمتها. ولعل الدليل على عدم جدوى إناطة هذه المهمة بلجنة الشؤون الخارجية فيما هو ماثل من كون هذه اللجنة، فضلاً عن غيرها، لم تقم بعمل جدي في صدد مطلب الوحدة، بل ولعلي لا أكون بعيداً عن الواقع إذا قلت أنه ليس في مكتبتها، إذا كانت هناك مكتبة أي ملف وأي تقرير وأي دراسة عن هذا المطلب.

وإذا أمكن قيام هذه اللجنة بالوصف الذي وصفناه، يكون من جملة ما تسعى إليه تأليف

لجان مماثلة برلمانية وغير برلمانية في كل دولة عربية وفق نظم كل دولة، تجتمع في دورات معينة للبحث والسعي ورسم الخطط والخطوات، فيتم بذلك الجهاز المطلوب الذي يمكن أن يعول عليه ويرجى له التوفيق، وخاصة لأنه حيث يكون عاماً تنتظم فيه البلاد العربية جميعها ومختلف الميول والأحزاب، لا يكون مدموغاً بدمغة تثير الريب وتحمل على الانقباض والمناوأة.

فهل لنا أن نرجو أعضاء المجلس النيابي النظر في هذا الاقتراح نظرة اهتمام وتنفيذ، فيكونون بذلك قد بروا بيمينهم وجعلوه ذا موضوع، ولم يبقوه قاصراً على التفاخر وحبراً على ورق.

***

(34) تسجيل لقاء وحديث بين الكاتب ومعه معين الماضي وبين الرئيس شكري القوتلي. في صدد الوحدة 1956/1/28:

زرت أنا ومعين الماضي الرئيس شكري القوتلي في القصر الجمهوري بتاريخ 1956/1/25 بمناسبة عزمه على السفر إلى مصر ثم إلى السعودية. وتحدثنا في ضرورة اغتنام الفرصة للتفاهم على إقامة اتحاد فدرالي عربي يبدأ بسورية ومصر والسعودية، لأن في ذلك حلاً لمختلف المشاكل والعقد، وإحباطاً لما يحاك لسورية من دسائس وينصب لها من شباك لتطويقها والتهويش عليها. واستعرضنا الميثاق المعقود بين الدول الثلاث، وأظهرنا أنه ليس فيه سد للثغرات ولا ضمان للمستقبل العربي ولا تحقيق للمطامح الوحدوية العربية.

وتذاكرنا بما أظهره رجال العهد الجديد في مصر من شدة اندماج فيما بينهم وبينه وفيما بين فخامته ورجال السعودية ومصر من تواثق، وما يمكن أن يساعد كل هذا عليه من جهد يبذل بجد وقلب في سبيل تحقيق ذلك الاتحاد الفدرالي على الأقل بين الدول الثلاث. وقد أظهر فخامته استعداده وموافقته، وطلب كتابة مذكرة تحتوي الأسباب الموجبة مع مشروع ميثاق دستور للاتحاد الفدرالي، ليكون الحديث في نطاق الإمكان والدرس.

وقد كتبت مذكرة جديدة قررت فيها كثيراً مما جاء في رسالتي المقدمة في تشرين الأول 1955، والتي أوردتها آنفا تحت رقم (32)، وكتبت كذلك مشروعي ميثاق ودستور، وقدمت الجميع لفخامته في 1956/1/28. والله المسؤول أن يحقق الغايات ويسدد الخطوات.

وهذا ما هو مسجل في الورقة القديمة. وأسجل من جديد أني لم أجد في أوراقي مسودة للمذكرة ولا للميثاق والدستور، ولكني وجدت نشرة مطبوعة على الآلة الكاتبة، ذكر فيها أن فخامة الرئيس شكري القوتلي قدم في مؤتمر القمة المنعقد في القاهرة والذي يشهده الأقطاب الثلاثة المصري، السعودي والسوري، مشروعاً لاتحاد الدول العربية مع ميثاق ودستور. وفي النشرة تفصيلات للميثاق والدستور والأسباب الموجبة. وكل هذا في مادته وجوهره مقارب ومماثل لما قدمته للرئيس فيما أرجح، وهذا هو الذي جعلني أحتفظ بالنشرة مع أصول ومسودات الرسائل على ما هو المتبادر، ولا شك أن القارىء يلحظ كثيراً مما جاء في النشرة من ألفاظ وعبارات هي مما ورد في رسالتي الطويلة للرئيس التي وردت برقم (32)، وفي مشروعي المنشور في جريدة الرأي الذي ورد في الرقم

(28). والمتبادر أني استقيت منهما ما قدمته للرئيس، وفيما يلي نص النشرة:

أهم نصوص مشروع الدول العربية المتحدة وهو المشروع الذي قدمه فخامة الرئيس شكري القوتلي، إلى مؤتمر الأقطاب الثلاثة في القاهرة في أيار عام 1956:

المشروع الذي قدمه فخامة الرئيس شكري القوتلي، إلى مؤتمر الأقطاب الثلاثة في القاهرة، والذي درسه مجلس الوزراء السوري في إحدى جلساته قبل عيد الأضحى المبارك - يتألف من مقدمة في فكرة الاتحاد وأهميتها، ومن مجمل لكيفية الشروع في تنفيذ الإتحاد عملياً بين الدول المستكملة أسباب حريتها واستقلالها، ومن الخطوط والمبادىء العامة لدستور الدول العربية المتحدة.

وقد جاء في المقدمة أن فكرة الوحدة العربية أضحت نشيداً ينشده العرب في مختلف ديارهم، ويردد نغمته كل لسان وكل صحيفة وكل منبر. وهذه الفكرة الأصيلة هي العلاج الوحيد لتقوية مركز العرب وتحسين حالهم وتأمين تبوئهم المركز اللائق بهم وبأمجادهم. ولقد أصبحت الضرورة تقضي بأن تنقلب هذه الفكرة إلى تنفيذ وهذا الكلام إلى عمل، ولئن كنا لا نطمع الآن وفي المرحلة الأولى بقيام (الدولة العربية الموحدة) التي هي الغاية المثلى، أو قيام (الدولة العربية المتحدة)، فإننا نعمل على الأقل لقيام (الدول العربية المتحدة) التي تتنازل الدول العربية في نطاقها وفي سبيل الكيان العربي العام عن جزء من سيادتها، فتتحد في الشؤون العسكرية والخارجية والاقتصادية، مع احتفاظ كل منها بنظام الحكم الذي تريده، وبالاستقلال الداخلي الذي يمكنها من ممارسة مختلف شؤونها الداخلية تشريعاً وتنفيذا. إن في هذا مسايرة كبرى لواقع العرب والأخذ الكلي بالاعتبارات الكثيرة في مختلف البلاد العربية، وفيه أيضاً حل لمختلف المشكلات العربية المعقدة التي كانت وما تزال تقف في طريق التوافق العربي، واستجابة للشعور القومي العام الذي يشتد يوماً بعد يوم بضرورة قيام جبهة عربية متحدة سياسياً وعسكرياً واقتصاديا.

ويساعد المشروع على إزالة ما بين أقطار العرب وشعوبهم من حواجز مصطنعة، ويعود بالعرب إلى ثقتهم بنفسهم، فيثقل وزنهم الدولي، ويدعمهم في حل قضاياهم الى أبعد حد حلًا كريماً، ويفتح السبيل إلى تكاملهم السياسي والاقتصادي والثقافي والإجتماعي والدفاعي.

البدء بعقد ميثاق بين دول الاتحاد:

ويرى مشروع فخامة الرئيس القوتلي أن يباشر فوراً بعقد ميثاق يتضمن:

أولاً - الاتفاق على الاتحاد في الشؤون الخارجية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والمواصلات العامة، ويتمثل ذلك في منظمات اتحادية تشريعية وتنفيذية.

ثانياً - وضع دستور للاتحاد يبين فيه مركز الاتحاد، وتحدد فيه المقاصد والحقوق والواجبات والمنظمات الاتحادية التنفيذية والتشريعية، وذلك من قبل جمعية تأسيسية تتألف من أعضاء منتخبين من المجالس العامة الرسمية القائمة في كل دولة حسب نظامها، بنسبة يتفق عليها عند قبول فكرة مشروع الاتحاد.

ثالثاً - المبادرة إلى إبرام الميثاق وفقاً للطرق

الدستورية وأسلوب الحكم القائم في كل دولة في مدة لا تتجاوز الشهرين.

ويتوخى مشروع فخامة الرئيس القوتلي السرعة، فينص على ضرورة انتخاب المجلس التأسيسي خلال مدة لا تتجاوز شهرين من إبرام الميثاق، واجتماعه في مدة أسبوعين من انتخابه برئاسة أكبر الأعضاء سناً، فيختار مكتبه ويضع لائحته الداخلية ويباشر مهمته التي يجب أن ينتهي منها في مدة لا تزيد عن ستة أشهر.

ولا بد في سبيل التنظيم والسرعة من إنشاء أمانة عامة للاتحاد لملاحقة تنفيذ الميثاق وإتمام خطواته، تنتهي مهمتها حينما تقوم الإدارة الاتحادية الدستورية.

إبرام الدستور الاتحادي وإعادة النظر في الدساتير:

ثم يقترح المشروع أن يتم إبرام الدستور الاتحادي من قبل الدول الموقعة على الميثاق، وتعديل دساتيرها وفاقاً له، وإعلان قبوله في مدة لا تتجاوز شهرين. وبذلك يغدو الاتحاد في حيّز التحقيق، وتتم تباعاً الخطوات التنفيذية لملاحقة جهاز الأمانة العامة من انتخابات للمجلس التشريعي الاتحادي وتشكيل المجلس التنفيذي ومحكمة العدل العليا والقيادة العامة، وفقاً لنصوص الدستور الإتحادي.

الباب مفتوح للانضمام للاتحاد:

وينص المشروع على أن الباب يبقى مفتوحاً لانضمام أية دولة أو كيان عربي يتأخر عن الانضمام، أو ينشأ نتيجة للتحرر من الاستعمار.

تأليف مجلس مفوضين لمباشرة وضع الدستور:

ويرى المشروع تسهيلاً لمباشرة العمل أنه عندما تتفق الدول العربية المتحدة وتوافق على الميثاق، يجري تعيين مفوضين عن كل دولة متحدة للبت بالنصوص نهائياً وتوقيعها وتشكيل الأمانة العامة، ووضع نظام وميزانية لها، وقد يكون من المفيد تكليف مجلس المفوضين بوضع مشروع دستور للاتحاد بين يدي الجمعية التأسيسية، فإن هذا يكون أدعى إلى التطابق والتفاهم على مدى الاتحاد وحدوده وشرائطه ومنظماته.

المبادىء العامة لدستور الدول العربية المتحدة:

ثم يأتي القسم الثالث من المشروع، وهو يتناول مواد الدستور المقترح، وفيما يلي مواده الهامة:

أولاً ـ يشمل الاتحاد الشؤون التالية:

أ ـ القوات العسكرية البرية والبحرية والجوية: تكون متحدة القيادة والنظام والإدارة، تشرف عليها هيئة قيادة اتحادية واحدة، ووزارة دفاع اتحادية واحدة.

ب ـ الإتحاد السياسي: يشمل التمثيل الخارجي والسياسة الخارجية والمعاهدات الخارجية، وتشرف على هذه الشؤون وزارة خارجية إتحادية واحدة.

جـ ـ الاتحاد الاقتصادي: يعني وحدة الجمارك والنقد إدارة وتنظيماً، وتوجيه السياسة الإقتصادية الخارجية، وتنسيق السياسة المتصلة بالتجارة والصناعة الخارجية، وتوحيد التشريع الاقتصادي بصورة تكفل لأرباب التجارة والصناعة والمهن في بلاد الدول المتحدة شروطاً متكافئة، وتشرف على هذه الشؤون وزارة اتحادية باسم وزارة المال والاقتصاد.

د ـ وحدة البرق والبريد والهاتف والطيران المدني والملاحة المدنية والخطوط الحديدية والموانىء والمطارات والطرق المشتركة، نظماً وإدارة، وتشرف على هذه الشؤون وزارة اتحادية باسم وزارة المواصلات.

هـ ـ وحدة النظم والمناهج والخطط الثقافية العامة: توخياً لتوطيد الانسجام القومي والفكري والأدبي والاجتماعي العام في الشعوب العربية، وتشرف على هذه الشؤون وزارة معارف اتحادية.

و ـ وحدة القوانين الجزائية والمدنية: ويشرف على ذلك وزارة تشريع اتحادية.

ثانياً ـ رعايا دول الاتحاد:

ثم يتناول القسم الثاني من المبادىء العامة النص على مواد المشروع من ناحية الرعوية الاتحادية فيقول:

إن لرعايا الدولة المتحدة جنسية اتحادية تخولهم حق التنقل والإقامة والنشاط والعمل في أية دولة من دول الإتحاد بدون قيد وعلى قدم المساواة مع رعايا تلك الدولة، ويحتفظون في الوقت نفسه بجنسيتهم الأصلية التي تخولهم الحقوق الانتخابية والمدنية في دولهم، وييسر لمن أراد منهم تبديل جنسيته بجنسية الدولة التي يقيم ويعمل فيها إذا مر عليه فيها مقيماً وعاملاً سنتين، وحينئذ يستطيع أن يمارس الحقوق الانتخابية في الدولة التي يتجنس بجنسيتها، وينقطع حقه بذلك في دولته الأولى.

وتنص إحدى مواد هذا القسم على حرية التنقل والعمل وتبادل المصنوعات والغلات بين الدول المتحدة.

ثالثاً ـ جهاز الاتحاد:

ينص المشروع على تأليف المجلس التنفيذي من رئيس ومن وزراء الإقتصاد والخارجية والدفاع والمواصلات والمعارف والتشريع العام.

ويكون رئيس المجلس التنفيذي هو رئيس الاتحاد، ومدة رئاسته سنتان، ومهمته:

أ ـ تمثيل الدول المتحدة.

ب ـ قبول سفراء الدول الأجنبية.

جـ ـ إيفاد السفراء والبعثات السياسية.

د ـ إبرام المعاهدات والاتفاقات والقوانين الاتحادية وإعلان نفاذها.

هـ ـ إدارة جلسات المجلس التنفيذي.

وتتناوب الدول المتحدة رئاسة الإتحاد حسب ترتيب الحروف الهجائية، ويختار المجلس التشريعي الإتحادي الرئيس من بين ثلاثة مرشحين ترشحهم الدولة صاحبة النوبة.

مهام وزراء الإتحاد:

أ ـ يصرّف كل وزير شؤون وزارته وفق اللائحة الداخلية التي يضعها المجلس التنفيذي لسير أعماله، ووفق القوانين النافذة.

ب ـ النظر في مشاريع القوانين والإتفاقات والمعاهدات السياسية والاقتصادية والعسكرية، وتعيين الممثلين السياسيين عائد إلى المجلس التنفيذي.

جـ ـ المجلس التنفيذي متضامن في المسؤولية السياسية العامة، وكل وزير مسؤول عن أعمال وزارته الخاصة.

موازنة الاتحاد:

تتألف موارد الجهاز الاتحادي مما يدخل في نطاق الاتحاد [illegible] شؤون. ولا تدخل الموارد التي تمتاز بها بعض الدول عن غيرها في نطاق موازنة الاتحاد.

المجلس التشريعي:

ويتألف المجلس التشريعي من أعضاء منتخبين من قبل مجالس الأمة القائمة في كل دولة، أو ما يقوم مقامها حسب نظام الدول المتحدة، ومن أعضاء مختارين من قبل حكومة كل دولة، بنسبة يتفق عليها بين دول الاتحاد عند إقرار فكرة المشروع.

وتكون مدة المجلس التشريعي أربع سنوات، ويعقد دورتين في كل سنة، واحدة في الخريف وأخرى في الربيع، وهو يضع لائحته.

وللمجلس التنفيذي الحق أن يدعو المجلس التشريعي لاجتماع طارىء إذا اقتضت ذلك المصلحة والظروف، ولربع أعضاء المجلس التشريعي حق طلب ذلك أيضاً. ومثل هذا الحق لدولتين من دول الاتحاد على أن يكون الطلب محتوياً المشاريع والأسباب الداعية.

محكمة العدل الاتحادية:

تتألف هذه المحكمة بنسبة عضوين على الأقل وأربعة على الأكثر لكل دولة، وينتخب أعضاؤها من قبل المجلس التشريعي بأكثريته العددية من بين مرشحين بقدر ثلاثة أضعافهم، ترشحهم الدول بالتساوي العددي، ولا يشترط أن يكون المرشحون من رعايا الدولة المرشحة.

وينتخب المجلس التشريعي رئيس المحكمة أيضاً من بين مرشحين ترشح كل دولة واحداً، وإذا ما شغر مكان في المحكمة يملأ بنفس الطريقة أيضاً.

رئيس وأعضاء المحكمة لا يعزلون ويعتزلون الخدمة بالاستقالة أو ببلوغ سن السبعين.

مهمة محكمة العدل الاتحادية:

أ ـ حل الخلافات التي تقوم بين الدول العربية المتحدة في مختلف الشؤون التي لا يمكن حلها بالمحادثات الثنائية، وبطلب من إحدى الدول المختلفة أو من رئيس الاتحاد.

ب ـ النظر في قرارات إدانة رئيس المجلس التنفيذي وأعضائه الصادرة من المجلس التشريعي وإصدار قرار فيها.

جـ ـ النظر في دستورية أي تشريع أو قانون أو نظام أو قرار أو أمر صادر من المجلس التشريعي أو المجلس التنفيذي، وإصدار قرار في ذلك بناء على طلب إحدى دول الاتحاد.

د ـ النظر في أي شكوى يتقدم بها أحد رعايا الدول المتحدة من أية دولة، في حالة وقوع ضرر عليه، بسبب مخالفته للدستور والقوانين والقرارات والأنظمة الإتحادية، أو احتمال وقوع ضرر عليه وإصدار قرار بذلك.

و ـ النظر في أي خلاف يحدث بين المجلس التنفيذي وإحدى الدول المتحدة إذا طلب ذلك المجلس أو الدولة المعنية، وإصدار قرار بذلك.

ز ـ تفسير ميثاق الإتحاد ومواد الدستور إذا طلب ذلك المجلس التنفيذي أو إحدى الدول المتحدة.

القيادة الاتحادية:

أ ـ تنشأ قيادة عسكرية عامة اتحادية للإشراف على تنظيم وحركة الجيش العربي الاتحادي.

ب ـ تكون القيادة أو الرئاسة لهذه القيادة في وقت السلم كما في وقت الحرب لأكبر الدول جيشاً في العمليات الحربية.

جـ ـ المجلس التنفيذي يعين القائد العام من بين ثلاثة مرشحين ترشحهم الدولة التي ينبغي أن يكون منها.

د ـ القيادة العامة الإتحادية مرتبطة بوزارة الدفاع الاتحادية من نواحي التمويل والتموين والتنظيم والتجهيز.

هـ ـ يشترك في القيادة العامة ضباط أركان وغير أركان من سائر الدول، بنسبة عدد جيش كل دولة في وقت السلم وفي وقت الحرب، إلا إذا قرر المجلس التنفيذي خلاف ذلك وفقاً لما يراه متمشياً مع المصلحة العامة.

و ـ القوات الحربية في الدول المتحدة في وقت السلم والحرب هي بمثابة قطعات جيش واحدة نظماً وإدارة وحركة وقيادة.

راية الإتحاد:

ويقترح المشروع أن يكون للاتحاد راية مؤلفة من ثلاثة ألوان أفقية ـ الأخضر فالأبيض فالأسود، وفي الأبيض نجمة خماسية حمراء بعدد الدول.

وتحتفظ كل دولة بنظام حكمها الداخلي الذي ترغب فيه، وباستقلالها الداخلي تشريعاً وتنفيذاً في كل ما لا يدخل في نطاق الإتحاد من حيث التشريع والتنفيذ.

ويحظر على حكومات الدول المتحدة ومجالسها النيابية وضع أي قانون أو اتخاذ أي قرار يتناقض مع الدستور الاتحادي والقوانين والقرارات الاتحادية، وحينما يكون هناك تباين بين أي قانون أو قرار في دولة من الدول وبين دستور الاتحاد وقوانينه وقراراته، فإن هذه هي التي تكون نافذة في الدول المتحدة بما فيها تلك الدولة.

* * *

(35) مقال للكاتب
نشر في جريدة النصر
العدد 3359 تاريخ 13آذار 1956
29 رجب 1375 :

ما معنى هذا الإحجام والتردد حول فكرة الاتحاد في الميثاق القومي:

تتبعت المفاوضات الدائرة بين ممثلي الكتل النيابية حول الميثاق القومي، وكنت كلما رأيت الاتجاه نحو النص فيه على توثيق التعاون السياسي والإقتصادي بالإضافة إلى العسكري بين مصر وسورية، أستغرب ذلك وأقول لعل المتفاوضين يعدلون في النهاية عن هذا الإحجام والتهيب واللف والدوران، ويقررون بصراحة وجوب الاتجاه نحو الاتحاد الفعلي التنفيذي بين البلدين. لأن التواثق السياسي والاقتصادي قائم بينهما، بالإضافة إلى الاتفاق الثنائي العسكري، فلا يكون لذلك النص معنى جديد في مجال الفعل والتنفيذ والمصلحة القومية الحقيقية.

وقد أحسست اليوم وأنا أقرأ مواضيع الميثاق المتفق عليها في الصحف بخيبة أمل شديدة، لأن المتفاوضين ظلوا يعدون في مكانهم (يرنده صاى)[1] حسب المثل التركي بالنسبة لذلك الموضوع، حيث ذكرت أنهم اتفقوا على النص على «تقوية التعاون السياسي والاقتصادي» ثم تفضلوا فقالوا «ليكون ذلك نواة للاتحاد».

فلماذا هذا اللف والتحويم وما معناه ومداه؟

إن المتفاوضين وسائر أعضاء المجلس النيابي قد عاهدوا الله ووطنهم حينما باشروا مهمتهم الغيابية على العمل للوحدة العربية،

---

(1) اصطلاح تركي عسكري يعني «مكانك راوح» أو «يعدون في مكانهم».

والاتحاد هو خطوة نحو الوحدة. ومعنى هذا أنهم مازالوا بعيدين جداً عن الهدف الذي أقسموا على تحقيقه، وأن على العرب أن ينتظروا سنين وسنين حتى يخطون الخطوة الثانية.

فهل لم يحن الوقت لإدراك كون العرب لا يستطيعون أن ينتظروا هذه السنين الطويلة، وهم يتعرضون كل يوم لمكائد المستعمرين والمستغلين الذين يودون أن يبقوا إلى ما شاء الله مفككين متخاذلين هزيلي القوة والاعتبار، وهم يرون الجرثومة الخبيثة التي زرعوها في قلب بلادهم تقوى وتنمو وتصول وتجول وتتحداهم وتستهتر بهم، وهم يرون كثيراً من أنحاء بلادهم محتلة راضخة لسيطرة المستعمرين وإشرافهم واستغلالهم، ثم وهم يستنفدون جهودهم في النطاقات الإقليمية التي لن تغنيهم غناء وافياً في مجال القوة الحقيقية النافذة والازدهار الاقتصادي والعمراني والاجتماعي، واستغلال الإمكانيات العظمى في جميع بلادهم بتضامن جميع قواهم وكفاءاتهم.

وهل لم يحن الوقت لإدراك كون الوقوف موقفاً جماعياً قوياً في ظل جبهة متحدة فعلية، يكون جيشهم فيها واحداً ونقدهم واحداً واقتصادهم واحداً وسياستهم واحدة، وجميع بلادهم مجالاً لجميع أفرادهم وقواهم وكفاءاتهم، هو وحده الذي يجعل لهم الوزن والاعتبار، ويصد عنهم كيد المستعمرين وألاعيبهم، ويساعدهم على تطهير أرضهم المقدسة من رجس تلك الجرثومة الخبيثة وسائر الجراثيم الاحتلالية الأخرى، وحل قضاياهم حلاً كريماً، وإشغال المكانة اللائقة بخصائصهم القومية ومركز بلادهم الممتاز الذي هو اليوم ميدان صراع العالم، والذي سيظل كذلك ما لم يشغلوه بأنفسهم، وإن هذا لن يتم إلا في ظل الوحدة أو الإتحاد على الأقل، الذي تتنازل فيه كل دولة عن شيء من سيادتها في الشؤون العسكرية والاقتصادية والسياسية، ليقوم على هذه الشؤون سلطات اتحادية تنفيذية وتشريعية.

إن هتاف الوحدة يتردد اليوم أكثر من أي وقت مضى على كل قلم ولسان ومنبر، ويندمج في ذلك جميع الفئات من ملوك ورؤساء وساسة ووزراء وأحزاب وهيئات وبلاد. والشعور بضرورتها عميق، تبدو آثاره في كل اجتماع ومناسبة، وسوريا هي الدولة الوحيدة التي أوجب دستورها على نوابها ورؤسائها العمل لها، فهل يجوز أن يظل نوابها يحومون حولها ويضيعون الجهود في غير ميدانها؟.

ومصر تبدي استعداداً قوياً للتجاوب في هذا الميدان، على ما سمعناه من الذين زاروها واجتمعوا بقادتها؟

فهل يجوز أن تظل سوريا متهيبة لتضيع هذه الفرصة السعيدة؟ وحتى لو فرضنا أن مصر غير مستعدة استعداداً قوياً للتجاوب العاجل، فهلا يجب على سوريا أن تقرر الاتجاه نحو الاتحاد على الأقل بدون لف ودوران، ثم تبذل جهودها في سبيل جعل مصر تتجاوب معها؟

إن سوريا هي العمود الفقري للجناح العربي الشمالي، ومصر هي العمود الفقري للجناح العربي الجنوبي، فإذا ما بذلت الجهود وتكاتفت القوى لإقامة الاتحاد كخطوة أولى على هذين العمودين، صار انضمام بقية الجناحين أمراً لا مناص منه. ولن تتم للعرب وحدة إلا على هذين العمودين. وقد كانت الوحدة تقوم عليهما في مدى سبعمائة عام أي منذ القرن الثالث إلى القرن العاشر الهجري.

وبذلك استطاع العرب والمسلمون رد غارة التتر عن بلاد الشام ومصر، وتطهير البلاد المقدسة من رجس الغزاة الإفرنج. ولن يستطيع العرب تطهير أرضهم المقدسة من رجس اليهود خاصة إلا بهذه الوحدة التي يكون مسخ إسرائيل في ظلها بين شقي الرحى من الشمال والجنوب.

من أجل ذلك كله نناشد نواب سوريا أن يعدلوا عن هذا الإحجام والتحريم إلى الصراحة والحسم، فيجعلوا الاتحاد الفعلي التنفيذي نقطة أساسية في ميثاقهم، ويوجبوا على الحكومة التي تضطلع بتنفيذه العمل على تحقيق ذلك دون تهيب ولا تأخر، وبذلك وحده يبرون بالقسم الذي أقسموه، ويجعلون سوريا التي نمت الحركة العربية فيها وترعرعت تقوم بالدور الذي يليق بها، ونناشد الأحزاب والهيئات والكتل والساسة أن يلحوا على هذا الأمر، ونحن على ثقة تامة إذا هم فعلوا أن يتحقق الهدف بأسرع وأيسر مما يظن بعض الناس، لأن هذا الهدف صار ملء الأسماع والأذهان والألسنة والأقلام، من حيث ضرورته ومن حيث حلول وقته، ومن حيث أنه العلاج الحاسم لكل داء ألمّ بالعرب وبلادهم، داخلي أو خارجي.

***

(36) تسجيل لقاء وحديث بين الكاتب والسيد إحسان الجابري عضو المجلس النيابي السوري في صدد الوحدة

في أوائل رمضان 1375 ـ نيسان 1956 زارني السيد إحسان الجابري، وهو صديق قديم، بيني وبينه معرفة وتواثق وانسجام منذ عهد فيصل في سنتي 1919 ـ 1920، وتحدثنا في موضوع إقامة اتحاد تنفيذي بين مصر وسورية، وضرورة تشكيل لجنة في مجلس النواب لمتابعة الأمر رسمياً. واتفقنا على ذلك، وكتبت اقتراحاً ليقدمه إلى رئيس المجلس بذلك بناء على طلبه. وزارني بعد أيام مرة أخرى وقرأ لي خطاباً عزم على إلقائه في المجلس بين يدي الاقتراح. واقترحت عليه تعديلات وافق عليها. وقد قدم اقتراحه وألقى خطبته في جلسة عقدها المجلس في أواسط رمضان. وقرر المجلس تحويل الإقتراح إلى لجنة الشؤون الخارجية. وقد زرته بعد ذلك في فندق الشرق (الأوريان) فطلب مني مشروع ميثاق للاتحاد، فكتبت له نصاً يقارب ما كنت كتبته وقدمته للرئيس شكري القوتلي. والتقيت به في الفندق بعد أيام أخرى، فأخبرني أنه قدم المشروع وقرر المجلس تحويله كذلك إلى لجنة الشؤون الخارجية، وعلمت أن اللجنة مؤلفة منه ومن السيدين معروف الدواليبي وصلاح الدين البيطار، وأن زميليه المذكورين وافقا على المشروع مبدئياً. وقد علق المجلس جلساته إلى ما بعد العيد، والمأمول أن يستأنف الكلام والسعي عند استئناف المجلس جلساته.

***

(37) مقال للكاتب نشر في جريدة الرأي الدمشقية الاثنين العدد 67 تاريخ 20 رمضان 1375 ـ 30 نيسان 1956

تأييداً وتعقيباً على الاقتراح الذي قدمه السيد

إحسان الجابري إلى مجلس النواب المشار إليه في الرقم (36) :

الوحدة هي الهدف الصحيح للحركة القومية :

كان الاقتراح الذي تقدم به الأستاذ إحسان الجابري إلى المجلس النيابي بالطلب من فخامة رئيس الجمهورية وحكومة سورية، تبني الدعوة بصورة رسمية إلى إقامة اتحاد عسكري واقتصادي وسياسي بين دول الجامعة العربية التي تمكنها ظروفها، وتأليف لجنة من النواب للتعاون مع الحكومة على تنفيذ المهمة. . وهذا الاقتراح بادرة مشكورة بسبيل تحريك المجلس نحو البر بقسمه على العمل للوحدة العربية بصورة فعلية. وقد جاءت هذه البادرة بعد أن نام الاقتراح الذي تقدم به الأستاذ معروف الدواليبي بتكليف لجنة الشؤون الخارجية القيام بالدعوة إلى الوحدة.

ولقد كنا اقترحنا على المجلس ذلك، وانتظرنا التجاوب والتنفيذ، فجاءت بادرة الأستاذ الجابري قوية المدى والتوكيد والتنبيه، وبتنا نأمل أن لا ينام هذا الاقتراح كما نام أخوه من قبل، رغم كون الهتاف للوحدة اليوم هو أشد من أي يوم مضى في كل ناحية وعلى كل لسان وقلم من جميع الفئات، ورغم كون المجلس النيابي في سورية قد أقسم على العمل على تحقيقها في سبيل قسمه كما قال الأستاذ الجابري.

والتنبيهان اللذان احتواهما اقتراح الجابري ونعني: (1) اتحاد الدول العربية كمرحلة إلى الوحدة . (2) البدء بمن تمكنه ظروفه السياسية.

إن هذين التنبيهين منبثقان، من دون ريب، من واقع الأمة العربية، ومساعدان على السير الإيجابي نحو الهدف.

إن تحقيق وحدة العرب، وهو الهدف الصحيح للحركة القومية، هو اليوم عسير بعض الشيء. . فلا بد لذلك من التمهيد إليه بمرحلة «الدول العربية المتحدة»، تلك التي فيها من جهة تطمين لمختلف الاعتبارات التي لا يمكن تجاهلها، ومن جهة أخرى ضمان لتجميع قوى العرب والتعاون على الانتفاع بالإمكانيات العربية العظيمة، وفتح الآفاق للنشاط العربي الفردي والجماعي. وكل هذا من شأنه أن يتيح للعرب قوة عسكرية وسياسية واقتصادية كبرى، وأن ييسر لهم تبوء المركز اللائق بخصائصهم وأمجادهم، واستغلال مركزهم الممتاز وكنوزهم الهائلة، وحل مشاكلهم الداخلية والخارجية.

واشتراك جميع دول الجامعة العربية دفعة واحدة الآن متعذر بعض الشيء، لاعتبارات عديدة داخلية وخارجية لا سبيل كذلك إلى إنكارها. والقول بانتظار التغلب على هذه الاعتبارات، يعني الجمود عن الحركة للوحدة، مما لا يمكن أن يقول به من يريد الوحدة العربية، ويخلص لها ويدرك شدة حاجة العرب إليها، لأنه يعلقها على زمن طويل قد تزداد فيه هذه الاعتبارات شدة على شدة، وجميع حركات الوحدة أو الاتحاد التي جرت إنما تمت على مراحل، لما كان في طريقها من مثل هذه الاعتبارات كما لا يخفى.

والذي نراه أن تتم المرحلة الأولى نظراً للاعتبارات المتعددة بين سورية ومصر، أو بين سورية أو مصر والسعودية. فسورية ومصر متماثلتان في نظام الحكم، ومنسجمتان كل الانسجام. والسعودية، وإن اختلفت عنهما في نظام الحكم، فالإنسجام والتوافق بينها وبينهما شديدان ييسران الاتحاد، ولا سيما أن الاتحاد سوف يتيح لكل دولة أن تحتفظ بنظام حكمها الراهن.

وسورية هي العمود الفقري في الجناح العربي الشمالي، ومصر والسعودية هما العمودان الفقريان في الجناح العربي الجنوبي، فإذا ما قامت قنطرة الاتحاد على هذه الأعمدة، صار هيكل الاتحاد العربي الشامل حقيقة راهنة، لأنه يصير في الإمكان انضمام بقية أعضاء الجناحين واحداً بعد آخر، ولا سيما أنه سيمثل الكتلة الكبرى من المشرق العربي. ونحن على مثل اليقين أنه لن يمضي طويل وقت حتى يتم ذلك. فاليمن المتفقة المتواثقة مع مصر والسعودية ستنضم حالاً. والسودان الذي اختار الاستقلال على الاتحاد مع مصر لأسباب واعتبارات نفسانية سوف يجد في الاتحاد الشامل مخرجاً لنفسه فينضم كذلك، لاسيما وأنه شديد الحاجة إلى التعاون مع شقيقاته. ولن تتأخر ليبيا بعد ذلك. وحينئذ تبذل الجهود في سبيل انضمام العراق والأردن ولبنان.

ومعاذ الله أن نرمي إلى عزل العراق والأردن ولبنان باقتراح هذه المرحلة.. فنحن طلاب وحدة شاملة عقيدة وجهداً. ونتمنى من كل قلبنا أن يقوم الاتحاد على الجميع دفعة واحدة. ولكننا نعتقد أن تأخير الحركة نحو الوحدة إلى أن يقوم انسجام بين الجميع ضار أشد الضرر بالعرب من كل ناحية، وأن من الواجب السير في سبيلها من الآن، مع بذل الجهود في توفير الإنسجام وتيسير انضمام الجميع تدريجياً، ونعتقد في الوقت نفسه أن كل مرحلة لا تبدأ بمصر وسورية والسعودية لن تؤدي إلى اتحاد شامل ثم وحدة شاملة. ولقد كان اندماج مصر في شؤون الوطن العربي الشاملة، هذا الاندماج القوي المتزايد يوماً بعد يوم، مما يبرر اقتراح هذه المرحلة أيضاً، لأنه بعث الآمال الكبيرة في تحقيق أمنية العرب المقدسة بالاتحاد الشامل، فالوحدة الشاملة.

ولقد قام الاتحاد بين مصر مع سودانها وليبيا وبلاد الشام والحجاز واليمن منذ القرن الهجري الثالث، واستمر حتى القرن العاشر.. فكانت دولة كبرى جمة النشاط.. وأمكن بذلك رد الغزوة التترية ثم الانتصار الحاسم على الغزوة الإفرنجية الصليبية. فالمرحلة المقترحة ليست بدعاً، وقد كانت تجربتها عظيمة الفوائد للعرب.

قد يقال إنه ليس هناك الآن اتصال أرضي بين سورية ومصر. وهذا في رأينا غير مهم. بل ولعل وجود المسخ اليهودي الذي قطع الاتصال بينهما هو من المبررات القوية لإقامة الاتحاد بينهما خلافاً لما يظنه البعض، حيث يكوّن هذا المسخ حدوداً مشتركة لهما، وحيث يجعل الاتحاد بينهما هذا المسخ بين شقي الرحى، ويجعل التضامن أجدى في سحقه.

والمواصلات الحديثة الجوية والبحرية يسرت كل شيء، فلم يعد التبادل والتعاون والتشارك والنشاط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والعسكري والسياسي مرتهناً بالاتصال الأرضي. وهناك دول تتألف من أجزاء متباعدة مئات الأميال بل ألوفها كما هو الحال في دولة الباكستان.

وعلى كل حال، فإننا نرجو أن يجدّ المجلس النيابي في سورية هذه المرة، فيوافق على اقتراح السيد الجابري بشقيه، ويؤلف اللجنة التي ستتفرغ للاضطلاع بالمهمة المقدسة، لتبذل جهودها متعاونة مع فخامة رئيس الجمهورية وحكومة سورية في تحقيق الأمنية المقدسة على أحسن وجه ممكن.

***

(38) رسالة من الكاتب للرئيس جمال عبد الناصر في تهنئته بالجلاء وحث على الوحدة في 15 حزيران 1956 :

بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة الرئيس الجليل جمال عبد الناصر حفظه الله،

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. وبعد، فإنه ليسعدني أن أعبر في هذا الأسبوع التاريخي الذي يتم فيه الجلاء عن مصر ومبايعتكم على رئاستها عن فرحتي ومشاركتي بكل قلبي بفرحة مصر، وأن أزجي إليكم بتهنئتي، مبتهلا إلى الله بأن يجعل التوفيق والسداد حليفين لكم، وأن أهنىء في الوقت نفسه العروبة بخلاص زعيمتها من وصمة الاحتلال وانفتاح طريق المجد والعزة أمامها تحت قيادتكم.

ولقد أثبتم في مختلف المواقف جرأتكم وتحرركم وسعة أفقكم وإيمانكم بالعروبة وأهدافها ومستقبلها، وغيرتكم على كرامتها وتحررها من كل نطاق استعماري، وتجردكم عن المآرب الخاصة، ووفائكم بوعودكم وصدق أقوالكم وخطواتكم المجيدة في سبيل النهضة بمصر وقوتها، مما جعل العرب يتجهون إليكم بأنظارهم وآمالهم، ويرون فيكم بطلاً من أبطالهم الذي يرجون الله أن تتم على أيديهم وحدة العرب الفعلية، وتطهير بلادهم من رجس اليهود والمستعمرين، وتكامل قوتهم وازدهارهم حتى يتبوأوا المكانة اللائقة بخصائصهم وأمجادهم، ويستأنفوا المهمة السامية التي اختصهم الله بها في قيادة الإنسانية وهدايتها.

ولقد فتح تاريخ العرب والإسلام صحيفة من صحفه لتسجلوا فيها مآثركم، كما سجل في مثلها عظماء العرب والإسلام مآثرهم التي ملأت الدنيا نوراً وحضارة وجهاداً وتحرراً وتوحيداً وتطهيرا. وهو يهتف بكم أن اقدموا اقدموا واحملوا راية العروبة والدعوة إلى توحيدها الذي هو الطريق الصحيح لخلاصها من الرجس وازدهارها ومجدها، واستئنافها تلك المهمة السامية، وسجلوا لأنفسكم في أمر تحقيقها عملياً شرف الخروج من نطاق الكلام، ولا تصغوا لضيقي الأفق من الأرقاميين والإقليميين، الذين لا يدركون أن عظمة الأمم ووحدتها لن تتحقق إلا بالخروج من ذلك النطاق الضيق وكونوا الدليل الحي في هذه الحقبة من تاريخ العرب على خصوبة الأمة العربية وحيويتها فتخلدوا مع الخالدين. وإني أدعو الله أن يوفق خطاكم، وأن يجعلكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يريني بعيني رأسي ما أراه بعيني بصيرتي من المستقبل السعيد الزاهر للعرب وبلادهم، بفضل تجاوبكم مع العاملين في سبيل تحقيق وحدة العرب واستكمال قوتهم ومجدهم.

والله أكبر والعزة للعرب. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

6 ذي القعدة 1375

15 حزيران 1956

***

(39) رسالة جوابية للكاتب من الرئيس جمال عبد الناصر :

السيد الكاتب محمد عزة دروزة ـ دمشق

تحية طيبة، وبعد

فأشكر لك رسالتك الكريمة التي أعربت فيها

عن روح عربي قويم، روح الوحدة والتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها.

والله أسأل أن يوفقنا ويهدينا وينصرنا.

والله أكبر والعزة للعرب.

القاهرة في 1956/6/24

رئيس الجمهورية

جمال عبد الناصر

***

(40) رسالة من الكاتب بنص واحد الى رئيس الجمهورية السورية ورئيس مجلس النواب السوري ورئيس مجلس الوزراء السوري لتهنئتهم بقرار سورية بفتح مفاوضات الوحدة مع مصر في 28 ذو القعدة 1375 7 تموز 1956

توضيح بين يدي النص:

في الترقيم (33) أوردت تسجيلا بما جرى بيني وبين الرئيس شكري القوتلي في مناسبة عزمه على السفر إلى مصر والسعودية. ولقد اجتمعت مع الرئيس حينما عاد فقص عليّ ما بذله من جهد عظيم في سبيل تحريك همة الرئيسين المصري والسعودي نحو الاتحاد، وما كان منهما من استمهال للتفكير، وإرجاء البت في الأمر إلى زيارة يقومان بها لدمشق في أواخر السنة.

وفي أوائل تموز 1956 ونتيجة للمساعي الوحدوية المبذولة قررت الحكومة السورية بموافقة رئيس الجمهورية أن تفتح باب المفاوضة مع مصر لإقامة اتحاد فدرالي، على أن يكون الباب مفتوحاً لمن تشاء من الدول العربية للإنضمام إلى هذا الاتحاد. وعرضت ذلك على المجلس النيابي فوافق عليه. وهذه الرسالة تهنئة بذلك.

نص الرسالة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فإنه يسعدني أعظم سعادة بأن أعبر عن عظيم اغتباطي وابتهاجي للقرار التاريخي الخطير الذي قرره مجلس الوزراء وأقره مجلس النواب، بالموافقة على إقامة الاتحاد بين مصر وسورية، على أن يبقى الباب مفتوحاً لالتحاق بقية الدول العربية، وأن أزجي تهنئتي الحارة بهذه الخطوة المباركة التي كنت من أشد الداعين إليها، والتي سوف تكون حينما يتيسر لها التحقيق في القريب العاجل إن شاء الله، أعظم خطوة في تاريخ العرب القومي الحديث، نحو استكمال العرب لأسباب قوتهم ومجدهم وتكاملهم السياسي والاقتصادي والثقافي، وحل قضاياهم حلاً كريماً، وتحرير أوطانهم وتطهيرها من رجس اليهود والمستعمرين، واجتماع شملهم تحت راية واحدة، وتبوئهم المركز اللائق بخصائصهم وأمجادهم، واستئنافهم مهمتهم الإنسانية السامية التي انتدبهم الله إليها.

وأرجو الله أن يمنحكم وزملاءكم المحترمين وسائر رجال سورية المخلصين القوة والثبات في الميدان، والغلبة على ما يمكن أن يقوم في الطريق من عقبات، والتسديد الذي يتم به القصد على أفضل وجه ويصل به إلى غايته المنشودة ويغدو به عاما شاملاً، ويتحقق به أعظم هدف للحركة العربية الحديثة القومية التي نمت وترعرعت في سوريتنا العزيزة. إنه سميع مجيب.



ديوان رئاسة الجمهورية

مكتب الرئيس

(٢٩) رسالة جمال عبد الناصر

السيد الكاتب محمد عزة دروزه دمشق

تحية طيبه وبعد

فأشكر لك رسالتك الكريمة التى أعربت فيها عن روح عربي قويم روح الوحدة والتمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها .

والله أسأل أن يوفقنا ويهدينا وينصرنا.

والله اكبر والعزة للعرب .

القاهرة فى ٢٤/ ٦/ ١٩٥٦

رئيس الجمهورية

الجمهورية السورية (٤١)

رئاسة مجلس الوزراء

الرئيس

رسالة رئيس الوزراء السوري

حضرة الاخ الاعز الاستاذ الجليل محمد عزة دروزة الاكرم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

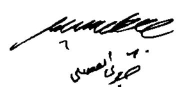
وبعد ، فقد وصلني كتابكم المؤرخ في ٢٨ ذى القعدة ١٣٧٥ـ٧ تموز ١٩٥٦ الذى اعربتم فيه عن اغتباطكم وابتهاجكم للقرار التاريخي الذى قرره مجلس الوزراء واقره مجلس النواب بالموافقة على اقامة الاتحاد بين مصر وسورية على ان يبقى الباب مفتوحا لالتحاق بقية الدول العربية .

واني لأرى في كتابكم هذا الاخ المجاهد القديم الذى تضى عمره المبارك في الدعوة الى الآمال القومية العليا والعمل على تحقيقها ، ولقد قرأت في الفاظه ومعانيه وما بين سطوره الاخلاص المجسد الذى كان وما زال موضع احترامي العميق ، وتقديرى البالغ ، واسترشاد قدماء العاملين القوميين الذين رافقوكم في مراحل جهادكم او عرفوا فيكم مزاياكم النادرة وسجاياكم العديدة .

أسأل الله تعالت قدرته واسماؤه ان يكتب للعرب حياة حرة موحدة سداها القيم الروحية السامية ولحمتها العزة والكرامة والقوة ليسهموا في خدمة المدنية والحضارة في المستقبل كما كانوا سدنتها في الماضي .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

دمشق في ٢٥/ ٧/ ١٩٥٦ رئيس مجلس الوزراء



صبري العسلي

(41) رسالة جوابية من رئيس الوزارة السورية للكاتب:

حضرة الأخ الأعز الأستاذ الجليل محمد عزة دروزة الأكرم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

وبعد، فقد وصلني كتابكم المؤرخ في 28 ذي القعدة 1375 ـ 7 تموز 1956، الذي أعربتم فيه عن اغتباطكم وابتهاجكم للقرار التاريخي الذي قرره مجلس الوزراء وأقره مجلس النواب بالموافقة على إقامة الاتحاد بين مصر وسورية، على أن يبقى الباب مفتوحاً لالتحاق بقية الدول العربية.

وإني لأرى في كتابكم هذا، الأخ المجاهد القديم، الذي قضى عمره المبارك في الدعوة إلى الآمال القومية العليا والعمل على تحقيقها، ولقد قرأت في ألفاظه ومعانيه وما بين سطوره الإخلاص المجسد الذي كان وما زال موضع احترامي العميق، وتقديري البالغ، واسترشاد قدماء العاملين القوميين الذين رافقوكم في مراحل جهادكم، أو عرفوا فيكم مزاياكم النادرة وسجاياكم العديدة.

أسأل الله تعالت قدرته وأسماؤه أن يكتب للعرب حياة حرة موحدة، سداها القيم الروحية السامية، ولحمتها العزة والكرامة والقوة، ليسهموا في خدمة المدنية والحضارة في المستقبل كما كانوا سدنتها في الماضي.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

دمشق في 1956/7/25.

رئيس مجلس الوزراء
صبري العسلي

***

(42) تسجيل لقاءات وخطوات وجهود بين يدي إعلان الوحدة السورية المصرية 7 رجب 1378 ـ 7 شباط 1958

لقد كان قرار مجلس الوزراء السوري الذي كان بتوصية الرئيس شكري القوتلي وأيده المجلس النيابي السوري في صدد عرض إقامة اتحاد فدرالي بين سورية ومصر، والذي ذكر خبره في الرقم (39)، نقطة انطلاق مهمة وفعلية للوحدة السورية ـ المصرية.

ولقد أعقب إعلان ذلك العدوان الثلاثي الأثيم الإسرائيلي البريطاني الإفرنسي على مصر في آب 1956، الذي كان من أهدافه تعطيل ذلك على ما شرحناه قبل، فشغلت البلاد به. فلما انقشعت الغمة بارتداد المعتدين وانتصار مصر وتأميمها للقناة، زار وفد من مجلس الأمة المصري سورية، وكان ذلك في كانون الأول 1957. وكانت هذه الزيارة نقطة انطلاق جديدة وقوية نحو ذلك. ولقد رحب المجلس النيابي السوري بالوفد المصري أعظم ترحيب، وقرر كتعبير عن شعور الأخوة دعوة الوفد إلى مشاركته في جلسة من جلساته تخصص لبحث الوحدة بين مصر وسورية. واستجاب الوفد واشترك في جلسة انعقدت في أواسط كانون الأول 1957، وتقرر فيها بالإجماع دعوة حكومتي مصر وسورية إلى إقامة اتحاد بينهما تحقيقاً لرغبة الشعبين، ولما أذيع قرار جلسة مجلس النواب السوري المشتركة، بادر مجلس الأمة المصري إلى عقد جلسة عاجلة قرر فيها الإستجابة لتلك الدعوة. وبادر الرئيس المصري جمال عبد الناصر إلى إعلان ترحيبه واغتباطه بما قرره مجلسا سورية

ومصـر. وبعـد هـذا أخـذت الاتصـالات والمفاوضات تجري بين الحكومتين في شهر كانون الثاني 1958 حتى نضجت. ولقد دعاني فخامة الرئيس القوتلي صباح الخميس 1958/1/16 لزيارته وتحدثنا في الموضوع. وأخبرته بما سمعته من ملاحظات.

أولاً ـ من ابن أخي الحكم بعد عودته من مؤتمر التضامن الآسيوي الأفريقي، من أن في مصر تساؤلاً وترددًا عن موقف ومصير الأحزاب المتنوعة والحزب الشيوعي بخاصة حساسياتها ومنافساتها وأفكارها المتناقضة إزاء النظام القائم في مصر، الذي لا أحزاب فيه ولا شيوعية. وما كان من جوابي على ذلك بأن الاتحاد الذي سوف يشمل توحيد التشريع والإشراف والتنظيم، كفيل بتنظيم ذلك وفق ما تراه مصر، لأنها ستكون في الحكم والبرلمان ذات أكثرية مطلقة.

ثانياً ـ من السيد إسماعيل الصفواني والدكتور جابر عمر العراقيين اللذين زاراني بعد شهودهما المؤتمر المذكور، من أن مصر تنتظر المبادهة من سورية احتراماً لرئيسها. فهي ترغب في وحدة الدولة. وهذه الرغبة تتعثر نفسانياً، لأن معناها زوال رئاسة الجمهورية السورية. وجوابي على هذا بأن الرئيس القوتلي لن يجعل من رئاسته عائقاً، وهو مستعد على ما أعتقد لقبول الوحدة إذا كانت مصر تريدها بكل ارتياح وحماس.

وهنا قال لي الرئيس: (لقد جمعت مجلس الوزراء وتحدثت معهم واتفقت على خطة فيها الجواب الحاسم لهذه الملاحظات. حيث صرحت وحملت المجلس على قرار يتضمن تصريحي بأن سورية ترغب في (وحدة تامة) لا في (اتحاد)، بحيث تصبح سورية ومصر دولة واحدة ذات رئاسة واحدة. وأن سورية في هذا النطاق مستعدة لقبول كل ما تقترحه مصر في صدد التنظيم لكل ناحية وأمر. وفي صدد أي خطوة في سبيل التوحيد. وإني وقد جاهدت خمسين سنة في سبيل وحدة العرب لأعد هذه اللحظة أسعد لحظات حياتي، ولأعد تيسير تنفيذها من أعظم واجباتي. وإن موضوع الأحزاب وحريتها ووجود الحزب الشيوعي إلخ، يدخل في نطاق التنظيم الذي ترغب فيه وتقترحه مصر. وإن مجلس الوزراء باقتراحه قرر كل هذا، وقرر إيفاد وزير الخارجية إلى مصر ليبلغ هذا القرار، ويجيب على كل سؤال، وليتفق مع مصر على الخطوات التالية).

وأطلعني فخامته على نص كتاب أرسله إلى الرئيس جمال بهذا كله. فابتهجت بذلك أعظم ابتهاج، وأكبرت موقفه القومي، ودعوت له بالعمر والعافية، ونوهت بعمله كعمل جهادي قومي رائع جدير به كل الجدارة.

ومما قاله لي إنه طلب من الرئيس جمال تطمين الدول العربية الأخرى بأننا إذا وحدنا سورية ومصر، فلا نريد أن نفرض نفس النظام عليها، مع إبقاء الباب مفتوحاً لأي منها لمشاركتهما في الوحدة أو في إتحاد على أساس إحتفاظها بتنظيمها وكيانها، أو بقائها مع الدولة الموحدة الجديدة في نطاق نظام جامعة الدول العربية بعد تقويته. وبأن كل ما تريده منها احترام رغبتنا في الوحدة، وعدم مساعدة الاستعمار على تهديم وتفتيت قوميتنا.

وقد جاء كلام فخامته هذا حلاً لمشكلة أو مسألة حاكت في نفسي في حالة وحدة سورية ومصر في دولة واحدة، حيث خطر لي أن هذا قد يسد الباب على الدول الأخرى التي لا تريد التضحية بكيانها وخاصة دول الملوك. وحيث

يمكن أن يكون بين الدولة الجديدة المتحدة مصر وسورية وبين الدول الأخرى اتحاد، على أساس احتفاظ تلك الدول بكياناتها على النحو الذي كنت اقترحته في بعض مشاريعي الوحدوية.. وأظهرت ابتهاجي بهذا الحل، وكررت الدعاء لفخامته بالعافية وطول العمر وتحقيق الأمل المشترك السعيد في وقت قريب إن شاء الله.

ثم تلاحقت الأحداث فتكررت زيارات وزير الخارجية السورية لمصر، ليبلغها آراء ومقترحات من سورية، ويرجع منها بآراء ومقترحات، حتى تم الإتفاق والتقت الأفكار. فسافر الرئيس شكري وجميع الوزراء يوم الجمعة 1958/1/23 إلى مصر. وهناك وضع ميثاق الوحدة السورية المصرية على أساس دولة واحدة باسم (الجمهورية العربية المتحدة) ورئاسة واحدة، وحكم إقليمي لا مركزي، وباب مفتوح لانضمام من يريد من الدول الأخرى على أساس الوحدة أو الإتحاد، وحل الأحزاب وقيام (اتحاد قومي) بديلاً عنها، ووضع دستور موقت تؤخذ الموافقة عليه من مجلس الأمة والنواب في مصر وسورية. ثم ترشيح جمال للرئاسة من قبل شكري، واستفتاء شعبي يجري يوم 21 شباط 1958 في سورية ومصر على الوحدة والدستور الموقت والرئيس المرشح. وفي مساء الأربعاء 15 رجب 1377 - 5 شباط 1958، انعقد مجلس النواب السوري ومجلس الأمة المصري في آن واحد في دمشق والقاهرة، وألقى كل من الرئيسين شكري وجمال خطاباً عرض عليه كل منهما على مجلسه الدستور الموقت فتمت الموافقة عليه.

ولقد كانت فرحتي عظيمة لا أكاد أجد لها وصفاً، ودمعت عيناي أكثر من مرة دمعة الفرح والابتهاج، ولقد شهدت جلسة مجلس النواب السوري واستمعت لخطاب الرئيس القوتلي الذي فيه شرح لصفحات الجهاد القومي وما استهدفه من هدف الوحدة، والذي أعلن فيه بعد ذلك أنه أدى الأمانة، وهو يسلمها للرئيس الشاب الملهم بأسلوب قوي نم عن روحه النبيلة وتساميه القومي.

ولا شك في أن الإستفتاء في اليوم المعين سيكون إيجابياً، وفي أن الجمهورية العربية المتحدة ستكون قائمة على أثره.

وهكذا أتاح الله لي، وله أعظم الحمد، أن أشهد هذه الفرصة، وأن أشهد أملي يتحقق وجهودي تثمر ويُسار على الخطوط التي رسمتها. ودعوت إليها في مقالاتي ورسائلي ومذكراتي، بل وبأسرع خطوة، حيث اتفقت مصر وسورية على المرحلة الثانية (مرحلة وحدة الدولة) دون الأولى التي سميتها (مرحلة الدول العربية المتحدة)، وأصبح ما كان يظن مستحيلاً أو عسيراً حقيقة ماثلة تنفتح بها الآفاق لأمتي العزيزة، فتنطلق كما انطلق آباؤها من قبل قوية حية، فتتكامل وحدتها وتملأ فراغ بلادها وينخسىء عنها الغاصبون، وتزول بها دولة الرجس اليهودية. وتأخذ مكانتها المناسبة مع خصائصها وأمجادها في الأرض، وتستأنف رسالتها الإنسانية العظمى.

وقد ذهبت ظهر الأربعاء إلى القصر الجمهوري، وسجلت العبارة التالية في سجل التشريفات: (أحمد الله أعظم الحمد على أن أتاح لي أن أشهد الفرحة العظمى. وهنيئاً لصاحب الفخامة الرئيس شكري القوتلي بتاج المجد الذي كلل به جهاده المبارك).

وجاءت وفود شامية للتهنئة، وتحلقت حول الرئيس ووقفت بجانبه، وألقيت كلمة حمدت

الله فيها على أن أتاح لي أن أشهد هذه الفرحة العظمى. وهنأت الرئيس بتاج المجد الذي كلل به جهاده المبارك، ودعوت الله أن ييسر تكامل البناء القومي بانضمام الدول العربية الأخرى واحدة بعد أخرى لهذه الوحدة، حتى يتمكن العرب من الصمود أمام الدسائس وتتطهر بلادهم من الاستعمار ورجس اليهود، وتستأنف الأمة العربية رسالتها الإنسانية التي أشرق بها الكون.

ثم جمعت جمعاً من أبناء فلسطين، وذهبنا معاً إلى القصر، حيث قدمنا بصفتنا الفلسطينية تهانينا وأعلنا فرحتنا وآمالنا. وألقيت كلمة بين يدي الرئيس نيابة عن الإخوان سيأتي نصها في الرقم (44)، وأخذنا معه صورة تذكارية.

وقد أرسلت بالاشتراك مع بعض الإخوان برقية للرؤساء الثلاثة جمال وشكري وصبري حينما أعلنوا الميثاق من القاهرة، سيرد نصها وأجوبة الرؤساء عليها بعد.

ولقد ذهبنا أنا وجمع من إخواني من رجال جمعية العربية الفتاة، بصفتنا زملاء مع الرئيس شكري في هذه الجمعية القومية الوحدوية التي كانت من أوائل من رفع شعار النهوض بالأمة العربية إلى مصاف الأمم الراقية في ظل وحدة شاملة، إلى القصر الجمهوري، فهنأنا الرئيس وأكبرنا مواقفه وجهوده، وأخذنا معه صورة تذكارية بهذه المناسبة السعيدة. وقد وقف الرئيس في الوسط، ووقفت على شماله، ثم رشدي الحسيني وفخري البارودي وعارف الخطيب وعفيف الصلح ونجيب الأرمنازي وصبحي الحسيني ومحمد علي دروزة، وعلى يمينه حسن الحكيم، ثم رشيد الحسامي وزكي الخطيب وتوفيق الحياني وصبحي الشوربجي وزكي التميمي والمير بهجة الشهابي.

ولقد كان من أثر الفرحة الكبرى التي كنت أشعر بها من إعلان الوحدة أن رأيت أن أتجنس بجنسية دولة الوحدة، لتكون مشاركتي تامة في كل نشاطاتها، وقدمت طلباً بذلك إلى مجلس الوزراء السوري في أوائل شباط 1958 واستجاب لطلبي. وكان آخر قرار قرره قبل أن يعلن وقف عمله رسمياً، فمنحني أنا وجميع أفراد أسرتي وأسرة أخي الجنسية السورية، وتمت إجراءات ذلك. ولما جاء يوم الاستفتاء المعين، اشترك اليافعون من رجالنا ونسائنا في الاستفتاء.

فالحمد لله أعظم الحمد، والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين وللعرب 7 رجب 1378 ـ 7 شباط 1958.

اقرأ مع هذا التعقيب التعقيب رقم (3) مرة ثانية فبينهما ترابط وصلة.

* * *

(43) البرقية التي أبرق بها الكاتب مع بعض أخوانه من الفلسطينيين إلى الرؤساء جمال وشكري وصبري العسلي في القاهرة في تاريخ 2 شباط 1958 :

في هذه اللحظة التاريخية التي نتلقى بها وعيوننا تنبض بدموع الفرح والبهجة والاعتزاز خبر الفرحة الكبرى بإعلان وحدة سورية ومصر وميلاد الجمهورية العربية المتحدة، يسعدنا نحن أبناء فلسطين ـ سورية الجنوبية، أن نقدم تهانينا الحارة وننوه بالجهود العظيمة التي بذلتموها، والإيمان القومي الذي استلهمتموه في تحقيق هذه الأمنية العزيزة فغدوتم من الخالدين.

REPUBLIQUE SYRIENNE Ministère des Travaux Publics et des Communications Direction Générale des P. T. T.	الجمهورية السورية وزارة الاشغال العامة والمواصلات المديرية العامة للبريد والبرق والهاتف

العنوان Adresse	برقية واردة Télégramme d'arrivée	اشارات الاخذ Indications de Réception
دمشق السيد عزة دروزة	خاتم التاريخ Timbre à date	المكتب المرسل Bureau Transmetteur التاريخ Date الساعة Heure توقيع الموظف Sign. de l'agent

اشارات المصلحة والطريق Mentions de Service et de Voie	الساعة Heure	التاريخ Date	عدد الكلمات Nombre de mots	رقم البرقية N° du télég.	المصدر Origine	رقم التسلسل No. d'ordre
	٩٠٠	١	٢٣	٩٣	دمشق	١٠

اشكركم لتهنئتكم التي عبرتم عنها في برقيتكم الرقيقة واني اذ ابعث اليكم بوافر تحياتي ادعو الله ان يوفقنا البارى تعالى ليدني امل العرب في الرفعة والسيادة والوحدة .

جمال عبد الناصر

REPUBLIQUE SYRIENNE Ministère des Travaux Publics et des Communications Direction Générale des P. T. T.	الجمهورية السورية وزارة الاشغال العامة والمواصلات المديرية العامة للبريد والبرق والهاتف

العنوان Adresse	برقية واردة Télégramme d'arrivée	اشارات الاخذ Indications de Réception
دمشق عزة دروزة	خاتم التاريخ Timbre à date	المكتب المرسل Bureau Transmetteur التاريخ Date الساعة Heure توقيع الموظف Sign. de l'agent

اشارات المصلحة والطريق Mentions de Service et de Voie	الساعة Heure	التاريخ Date	عدد الكلمات Nombre de mots	رقم البرقية N° du télég.	المصدر Origine	رقم التسلسل No. d'ordre
	٦٤١٥	٦/٢	٢٢	٧٢١	دمشق	

وحدتنا الكاملة غاية جهاد هذه الامة المناضلة نشكركم على مشاعركم الصادقة ونسأل الله ان يوفقنا جميعا لخدمة وطننا العربي الكبير ×

دمشق في ٦/٢/٥٨

شكري القوتلي

REPUBLIQUE SYRIENNE Postes, Télégraphes et Téléphones	الجمهورية السورية البريد والبرق والهاتف

العنوان Adresse	برقية واردة Télégramme d'arrivée	اشارات الاخذ Indications de Réception
سوريا السيد عزة دروزة ورفقاه	خاتم التاريخ Timbre à date	المكتب المرسل Bureau Transmetteur التاريخ Date الساعة Heure توقيع الموظف Sign. de l'agent

اشارات المصلحة والطريق Mentions de Service et de Voie	الساعة Heure	التاريخ Date	عدد الكلمات Nombre de mots	رقم البرقية N° du télég.	المصدر Origine	رقم التسلسل No. d'ordre
٢٠	١٢	٢	٢٦	٢١٠	غزة	

نشكركم ولدنا فلسطين تهانيكم الحارة وعواطفكم الصادقة حقق الله آمال الامة العربية جمعاء حيما تصبح القوة من تحرير فلسطين السليبة واعادة ابنائها اليها بالعز والمجد

REPUBLIQUE SYRIENNE Ministère des Travaux Publics et des Communications Direction Générale des P. T. T.	الجمهورية السورية وزارة الاشغال العامة والمواصلات المديرية العامة للبريد والبرق والهاتف

العنوان Adresse	برقية واردة Télégramme d'arrivée	اشارات الاخذ Indications de Réception
السيد عزة دروزة	خاتم التاريخ Timbre à date	المكتب المرسل Bureau Transmetteur التاريخ Date ١١ الساعة Heure ١٨/٠٤ توقيع الموظف Sign. de l'agent

اشارات المصلحة والطريق Mentions de Service et de Voie	الساعة Heure	التاريخ Date	عدد الكلمات Nombre de mots	رقم البرقية N° du télég.	المصدر Origine	رقم التسلسل No. d'ordre
	١٧٧	١١	٢٨	١٠٦٢	مصر	

اعتز والسادة زملائي على برقيتكم بمناسبة الوحدة بين سوريا ومصر وابعث اليكم جميعا باطيب التمنيات ×

جمال عبد الناصر



فلسطينيون مقيمون بدمشق في زيارة لرئيس الجمهورية السورية شكري القوتلي لتهنئته بالوحدة السورية المصرية في 22 شباط 1958 . الرئيس شكري القوتلي وعن يمينه محمد عزة دروزة وزكي التميمي وعن يساره طاهر التميمي، حمدي النابلسي، شوقي عبوش وعبد الرحمن الحاج ابراهيم.



فلسطينيون مقيمون بدمشق يهنئون الرئيس شكري القوتلي باعلان الوحدة السورية المصرية وقيام الجمهورية العربية المتحدة شباط 1958 .
الرئيس القوتلي في أقصى اليمين وعن يمينه محمد عزة دروزة وزكي التميمي وآخرون .



18 شباط 1958 في القصر الجمهوري بدمشق بمناسبة تهنئة الموجودون في دمشق من أعضاء جمعية القناة لفخامة السيد شكري القوتلي - رئيس الجمهورية - زميلهم في الجمعية - بالوحدة السورية المصرية ، التي انبثق عنها الجمهورية العربية المتحدة . ولما كان من مساعيه وجهوده من الأثر العظيم في هذا الحدث القومي العظيم الذي كان من الأهداف التي استهدفتها الجمعية العربية القناة وسعت اليها ويظهر عن يسار السيد شكري القوتلي :محمد عزة دروزة - رشيد الامام الحسيني - فخري البارودي - دكتور أحمد قدري - نجيب الأرمنازي - صبحي الحسيبي - محمد علي دروزة . وعن يمينه : كامل نصري - حسن الحكيم - رشيد الحسامي - زكي الخطيب - توفيق الحياني - شكـري الشوربجي - زكي التميمي - الأمير بهجة الشهابي .

والجواب الذي جاء عليها من الرئيس جمال :

السيد عزة دروزة عن أبناء فلسطين في سورية ـ دمشق .

أشكركم والسادة زملائكم على برقيتكم بمناسبة إعلان الوحدة بين سورية ومصر، وأبعث إليكم جميعاً بأطيب التحيات .

وهذا جواب الرئيس شكري من القاهرة:

السيد عزة دروزة .

وحدتنا الكاملة غاية جهاد هذه الأمة المناضلة. نشكركم على مشاعركم الصادقة، ونسأل الله أن يوفقنا لخدمة وطننا العربي الكبير .

وهذا جواب الرئيس صبري العسلي من القاهرة:

السيد عزة دروزة

أشكركم ولأبناء فلسطين تهانيكم الحارة وعواطفكم الصادقة. حقق الله آمال الأمة العربية جمعاء فيما تصبو إليه من تحرير فلسطين الغالية وإعادة أبنائها إليها بالعزة والمجد .

***

(44) الكلمة التي ألقاها الكاتب حينما ذهب مع جمع من إخوانه أبناء فلسطين في القصر الجمهوري لتهنئة الرئيس القوتلي بالوحدة والتمني بخيرها وأثرها العظيم في القضية الفلسطينية في تاريخ 5 شباط 1958 :

إن أبناء سورية الجنوبية الذي تعرفون فخامتكم شدة تعلقهم بكم ومحبتهم لكم، واعتبارهم إياكم الأخ الأكبر بل الأب البار، الذي أحاطهم بعطفه ووده، وأسبغ عليهم رعايته وحمايته، وآسى جراحهم وبث فيهم الصبر والإيمان والأمل في كل مناسبة، وطيلة المدة التي قضوها في حمى سورية العزيزة، رأوا أن يأتوا إليكم وفداً يمثل مختلف فئاتهم، ليعربوا عن فرحتهم العظمى بميلاد الجمهورية العربية المتحدة التي يعتبرون أنفسهم من صميمها، والتي يرجون لها النمو والازدهار، ويتوقعون أن تغير مجرى حياة العرب والشرق أعظم تغيير لصالح الحضارة والإسلام. ولينوهوا بما كان لجهودكم وجهادكم وتوجيهاتكم ونبلكم وتساميكم وإيمانكم من الأثر الأكبر في إتمام هذا الحادث السعيد على أحسن وجه وأحكم أسلوب، وليهنئوكم بتحقيق الأمنية الغالية التي كانت من الأهداف القومية التي قضيتم الشطر الأعظم من عمركم في استهدافها، وليعلنوا لكم أنهم سيظلون يحتفظون لفخامتكم بأشد عواطف الولاء والامتنان، وستظل ألسنتهم تلهج بذكركم وشكركم على مدى الأيام. وليلتمسوا منكم أن تظل رعايتكم شاملة لهم وعطفكم مستمراً عليهم.

إن فرحة أبناء سورية الجنوبية يا فخامة الرئيس الجليل مزدوجة. فهي من جهة فرحة العربي الذي يرى في الوحدة السبيل الصحيح الوحيد إلى مجد العرب وكرامتهم وعزتهم وتكاملهم وازدهارهم، وانخساء الطامعين والكائدين عنهم، وزوال الحواجز المصطنعة التي تشلّ نشاطهم وتضيق آفاقهم. وتبوئهم في النهاية المكانة اللائقة بأمجادهم وخصائصهم، واستئنافهم الرسالة الإنسانية العظمى التي انتدبوا لها، والتي ملأوا بها الدنيا نوراً وحضارة حينما كانت الوحدة تظللهم.

وهي من جهة أخرى تحمل لهم البشرى بقرب انهيار المسخ الذي قام في أراضيهم المقدسة، وتطهيرها من الرجس، وعودتها إلى الحظيرة، قرباً أكثر مما كان يقدره المتفائلون، فيجتمع بذلك الشمل الذي تفرق، وتقوم الصلة التي انقطعت، وتنقلب أتراحهم أفراحاً وأحزانهم أعراساً، وإنهم لسعداء كل السعادة إذ يعلنون بهذه المناسبة أنهم جنود مستعدون لبذل دمائهم تحت لواء جمهوريتهم العربية المتحدة في معركة الثأر التي يستبشرون بقربها من هذا الحادث السعيد.

وإنهم ليسألون الله عز وجل أن يمد في عمر فخامتكم، وأن يؤيدكم بقوته وعونه، حتى تتموا الرسالة القومية التي اضطلعتم بها، فتقودوا حركة تشميل هذه الخطوة لسائر البلاد العربية، حتى يتم تحقيق الهدف كاملاً، وتقوم الدولة العربية الكبرى، لتكون أعظم دول الشرق الأوسط نشاطاً وحيوية واعتباراً بحول الله وقوته. إنه سميع مجيب.

***

(45) مقال للكاتب بعنوان (الوحدة السورية المصرية عبر التاريخ)

نشر في جريدة الرأي الدمشقية

كانون الثاني 1958 بمناسبة الخطوات التاريخية نحو اعلان الوحدة السورية المصرية:

إن الحوادث التي تمت في خلال السنين الست الأخيرة، تصدم المرتابين في قوة العروبة وحيويتها وأصالتها صدمة شديدة، تتناسب شدتها بسرعة سير الأحداث أكثر مما كان يؤمل. وما كان يبدو قبل ست سنين من خيال بل وجنون عند كثير من الناس، بل وعند فريق من المثقفين المشتغلين بالحركة العربية، قد أصبح خلال هذه المدة القصيرة حقيقة رائعة يؤمن بها الناس، جميع الناس، وفيها كل الدلائل على ذلك.

وقد كنت ولا أذكر هذا من قبيل التفاخر والاعتداد، ولكن من قبيل تسجيل الدلائل - من أول من دعا إلى الوحدة بين مصر وسورية كخطوة أولى إلى الوحدة العربية الشاملة، وألمحت إلى ذلك في كتابي «مشاكل العالم العربي».

وأذكر أني أخذت أبذل الجهود في سبيل إنشاء جهاز قومي يدعو إلى الوحدة، على أن تكون الخطوة الأولى إليها وحدة مصر وسورية، واتصلت بسبيل ذلك بغير واحد من رجالات سورية البارزين، فكان بعضهم يقابلون سعيي ودعوتي بالتعجب، لا لعدم رغبتهم في الوحدة والعمل لها، ولكن لما كان يتبادر لهم بدورهم من الموانع المتنوعة التي كان من جملتهاعدم الاتصال الجغرافي بين سورية ومصر، وضعف الروح القومية العربية في مصر، ولأن الأذهان كانت منصرفة منذ أربعين سنة إلى أن من الطبيعي والممكن هو وحدة بلاد الشام والعراق أولاً.

ولم أكن ضد وحدة بلاد الشام والعراق، بل وكنت ممن انصرفت أذهانهم وجهودهم أيضاً. غير أن «الثورة المصرية» المباركة، وما بدا من رجالها الأبرار من اندماج، كان يشتد يوماً بعد يوم في الفكرة العربية وأهدافها غير رأيي، لأن ذلك جعل إمكان قيام وحدة بين سورية ومصر وارداً، وصار من الحق والواجب العمل له، لأن به وحده يمكن أن تتم الوحدة العربية الشاملة.

وكان ردي على الذين كانوا يبدون دهشتهم وتعجبهم مستمداً من صميم التاريخ والواقع والمنطق. وهو ما رأيت المناسبة سانحة لنشره

وشرحه الآن ليعرفه كل متسائل متردد.

إن وحدة البلاد الشامية العراقية لو تمت كما نريد أولاً، لما كانت أكثر من وحدة الجناح العربي الشمالي الذي لا يزيد سكانه عن ثمن مجموع الأمة العربية، ولا يكاد يبلغ مساحته عشر الوطن العربي الكبير.

ولن تستطيع هذه الكتلة الصغيرة أن تجر إليها الجناح الجنوبي الذي يمثل الشطر العربي الأكبر سكاناً ومساحة، وهذا بصرف النظر عن الملابسات والمضاعفات والمآرب التي كانت ترافق الجهود المبذولة في سبيل الوحدة «الشامية العراقية»، والتي كانت من شأنها زيادة عقد الوحدة الشاملة.

في حين أن وحدة مصر وسورية كخطوة أولى تعني قيام قنطرة بين الجناحين العربيين الشمالي والجنوبي، عموداها بلدان يتشابهان في النظام والحرية التامة من كل قيد واعتبار، ويمثل سكانهما ثلث الأمة العربية أو أكثر، ويكون جر الأجنحة أو الكيانات الأخرى التي حولهما إليهما أشد إمكاناً واحتمالاً. ولم يكن الانفصال الجغرافي بين سورية ومصر ليمنع قيام الوحدة حينما تتيسر باقي أسبابها. وفي التاريخ والواقع دول كثيرة يفصل بين اجزائها موانع وبعد أكثر مما يفصل بين سورية ومصر، فباكتسان مثلاً مؤلفة من شطرين يفصل بينهما مسافة ألف ميل من الطول تشغلها الجمهورية الهندية. ولعل الانفصال القائم بين سورية ومصر، والذي يملأ فراغه عصابات اليهود النجسة الغاصبة، من أسباب اشتداد الضرورة إلى قيام الوحدة بين البلدين، حيث يكون الرجس اليهودي بين شقي الرحى من شماله وجنوبه، ويكون في ذلك سهولة القضاء عليه في فرصة من الفرص التي لن يبخل الدهر بها عاجلاً أو آجلاً، كما أن إمكان الوقوف في وجه ما تمنيه النفس الشرهة اليهودية من توسع وعدوان باتحاد البلدين اللذين يحيقان بالرجس من شماله وجنوبه، يكون أقوى وأشد. ولقد قام الاتحاد بين البلدين في ظرف مشابه كل المشابهة لظروف الغزوة الإفرنجية التي سميت بالصليبية في القرن الخامس الهجري، حيث كان الإفرنج الصليبيون يفصلونهما عن بعضهما في فلسطين نفسها. فلم يمنع قيام ذلك الاتحاد، بل ولعله كان من حوافزه من جهة، كما كان حتماً من أسباب الانتصار على الغزاة وتطهير البلاد من رجسهم في النهاية. وإذا كان من المحتمل أن تبقى سورية ومصر منفصلتين أرضياً مدة من الزمن، من المأمول أن لا تكون طويلة، فإن ذلك لن يحول من ناحية أخرى دون تحقيق الفوائد العظمى التنظيمية والتشريعية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وحرية العمل والمشاركة التي سوف تنتج عن وحدتهما، فضلاً عن القوة المعنوية وزيادة الاعتبار الدولي كما هو المتبادر.

ولقد كان حادث الوحدة أو الاتحاد بين مصر وسورية يتكرر في التاريخ كثيراً قبل الإسلام وبعده، مما فيه الدلالة على أنه مطلب طبيعي كان البلدان يتجهان إلى تحقيقه. ولقد أخذت الوحدة أو الاتحاد يقوم بينهما في عهد الأسرة الثانية عشرة التي كان حكمها بين القرن العشرين والقرن السابع عشر قبل الميلاد. ثم تكرر قيامها في القرن الخامس عشر وبعده أكثر من مرة. وحينما قويت الدولة الأشورية في العراق، وأخذت تتصاول هي و« الدولة المصرية »، كانت بلاد الشام تستجيب على الأكثر لدعوة مصر وتندمج في حركاتها. وبعد الإسلام أخذت الوحدة بين البلدين تقوم منذ

أواخر القرن الثالث، حينما أخذ المتغلبون الترك والديلم يتغلبون على سلطان الخلافة العباسية. وامتدت بينهما سبعة قرون متواصلة، أي من سنة 270 إلى 923، وقامت أولاً تحت حكم الطولونيين، ثم الإخشيديين ثم الفاطميين ثم الأيوبيين ثم مماليك الترك ثم مماليك الشركس. وكان سلطان الدولة ووحدة الدولة لا تلبث أن تشمل السودان وليبيا، وأحياناً تونس في أفريقيا وبلاد اليمن والحجاز في آسيا، بالإضافة إلى بلاد الشام والجزيرة الفراتية. ولقد قامت هذه الوحدة قوية شاملة في الثلث الثالث من القرن السادس تحت لواء صلاح الدين الأيوبي، واستمرت في عهد خلفائه، ثم في عهد دولتي الترك والشركس، بعد أن استولى التتر على العراق وعزلوه عن سائر البلاد العربية، وكان قيامها مساعداً على رد التتر عن بلاد الشام مرة بعد مرة، وعلى المصاولة مع الإفرنج وتطهير البلاد منهم في أواخر القرن السابع، بعد أن كانوا تمكنوا من الاستيلاء على أنحاء كثيرة من بلاد الشام، حينما ضعف سلطان الخلافة العباسية وسلطان الخلافة الفاطمية معاً، وتفككت عرى الوحدة بين أقطارها.

ولقد حاول بعض أمراء المماليك علي بك الكبير - في عهد الدولة العثمانية بالتضامن مع بعض زعماء العرب - الشيخ ضاهر العمر - أن يكرروا الحادث في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، وكادوا ينجحون لولا خلاف دب بينهم. ولقد حاول محمد علي والي مصر بالتضامن مع بعض زعماء العرب - الأمير بشير الشهابي - أن يكرر الحادث في أواسط القرن الثالث عشر. وكاد ينجح فيه لولا تأليب بريطانيا والدول الأوروبية التي كانت تطمع في اقتسام الدولة العثمانية المنهارة، والتي رأت في حركة محمد علي بوادر دولة عربية فتية قوية، حيث يبدو في هذا طبيعية الاتجاه إلى الوحدة بين مصر وسورية.

والاعتراض على عروبة مصر أو عدم اندماجها في العروبة اعتراض لا سند له. بل كل الأسناد ضده بكل قوة. فعروبة مصر أصيلة كعروبة سورية والعراق إن لم تكن أصفى. فمعظم سكان مصر الأقدمين يمتون إلى جزيرة العرب كمعظم سكان سورية والعراق. والفتح العربي الإسلامي خلد الطابع العربي الصريح في مصر كما خلده في سورية والعراق. وسيل الموجات العربية إلى مصر ظل متدفقاً منذ الفتح كما كان الأمر في سورية والعراق. وآثار هذا السيل متمثلة حية في مليون ونصف مليون من القبائل العربية المنتشرة في كل مديرية من مديريات مصر، وهذا غير الملايين التي عمرت القرى والمدن وطبعتها بطابع العروبة الخالد. وليس في مصر عناصر أعجمية كجزء من أهل البلاد تحتفظ بعجمتها كما هو شأن سورية والعراق، وليس فيها هذا التعدد في الطوائف الإسلامية الموجود فيها. وكل ما في الأمر أن مصر كانت معزولة عن الولايات العربية في عهد الحكم العثماني الأخير حينما قامت الحركة العربية. وكانت محكومة بالعنصر التركي الذي كان وظل يناوىء هذه الحركة. وكانت تحت كابوس الاستعمار الإنكليزي في الوقت نفسه، والذي كان وظل هو الآخر يناوئها.

ومنذ أن خلصت من حكم ذلك العنصر، ومن هذا الكابوس اللعين، انطلقت عروبتها من عقالها انطلاقاً قوياً في ظل قيادة رجال الثورة. وقد توج هذا بما نص عليه دستور مصر من عروبة مصر وشعبها، ثم بما كان من تلاقي

مجلسي الأمة في مصر وسورية، وتعبيرهما معاً عن رغبة الشعب العربي في مصر وسورية في الاتحاد، وما أخذت تقوم بسبيل ذلك في البلدين من أعراس ومواكب قومية رائعة.

ولقد حاك في الصدور بعض الإشكالات في صدد وحدة مصر وسورية. وكان يظن أن هذه الوحدة لا تتحقق على الوجه الأتم مع احتفاظ سورية بكيانها، ومع كثرة أحزابها ومبايناتها. فحل الإيمان القومي في القوى المؤمنة المخلصة الشعبية والرسمية في سورية هذه الإشكالات بأسلوب قوي رائع، من حق كل عربي أن يفخر به، ويعتبره دليلاً على حيوية العروبة وقوة إيمان رجالها في سورية، حيث أعلن الاستعداد من الجميع وبدون أي قيد أو شرط للتنازل عن كل اعتبار محلي، والتغلب على كل عائق خاص بسبيل تحقيق هذه الوحدة[1]، وحيث أعلن بأن الاتحاد مع الدولة المتحدة سيكون مفتوحاً لكل دولة عربية تريد أن تحتفظ بكيانها إذا ما رغبت في الاتحاد بإخلاص مع الدولة الجديدة التي سوف تتكون من سورية ومصر، وقبلت التنازل عن سيادتها في الشؤون الدفاعية والاقتصادية والخارجية والثقافية والتشريعية العامة، ليباشرها جهاز اتحادي خاص، وخلصت من القيود والشوائب التي تحول بينها وبين حرية التصرف.

وهكذا يكون الطريق قد مهد تمهيدا عظيماً سواء من ناحية الوحدة بين سورية ومصر، وسواء من ناحية الاتحاد بين الدولة الجديدة المتحدة والدول العربية الأخرى.

(1) من أبرز ما يسجل من ذلك تسامي الرئيس شكري القوتلي وتنازله عن رئاسة الجمهورية وإعلان حزب البعث العربي حل نفسه تيسيراً لذلك. وقد ذكرنا هذا في تعقيب سابق.

وإننا لمؤمنون أقوى الإيمان أنه لن يمر وقت طويل على قيام وحدة مصر وسورية، حتى تأخذ الكيانات العربية الأخرى بالانضمام إليها بأي أسلوب، إلى أن يكمل البناء الشامخ الذي نصبو إليه، وتقوم الوحدة الكبرى الشاملة التي يسير العرب في ظلها قدماً نحو التكامل السياسي والاجتماعي والعمراني والثقافي والاقتصادي، ويعظم وزنهم، ويصبحون قادرين على تطهير أرضهم المقدسة من أرجاس الغاصبين والمستغلين والمستعمرين، ويستأنفون رسالتهم التي ملأت الدنيا نوراً وحضارة ومثلاً عليا، حينما كانت تظللهم راية الوحدة.

وإذا كنا لا نجهل أن أعداء الوحدة وأعداء العروبة من مستعمرين ومستغلين وشعوبيين وإقليميين ومأجورين وذوي مآرب، سوف يتألبون ويبذلون جهوداً جبارة في تعويق هذه الخطوة، فإننا مؤمنون أن الأمر هو أمر العرب، وأنهم إذا ما صمموا وصمدوا ووحدوا جهودهم وقلوبهم، سوف يرتد كيد الكائدين إلى نحورهم، ويبوؤا بالخسران والخيبة، ويتحقق للعرب هدفهم الأسمى بعون الله وقوته.

***

(46) برقية من الكاتب للرئيس جمال في 1958/2/23 بمناسبة زيارته المفاجئة لدمشق

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر

زيارتكم المباركة المفاجئة لدمشق كانت إلهاماً ربانياً لتلمسوا قوة وعي شعبكم وتجسد آماله فيكم وشدة ثقته ومحبته لكم في هذه الفرحة العظمى التي غمرت عاصمة العروبة الخالدة.

وإني أضرع إلى الله وأنا أحييكم أعظم تحية أن يمنحكم القوة والتأييد ويمد في عمركم ويقيكم الغوائل، حتى يتحقق أمل العرب فيكم كاملاً بوحدتهم الكبرى التي يتم بها مجدهم وعزتهم وازدهار بلادهم، وتنخسىء مكائد المستعمرين وصنائعهم، وتتطهر أرضهم المقدسة من رجس الغاصبين.

1958/2/23.

وقد أرسل الرئيس للكاتب هذا الجواب البرقي من دمشق:

أشكركم على تهنئتكم التي عبرتم بها في برقيتكم الرقيقة، وإني إذ أبعث إليكم بوافر تحيتي، أرجو أن يوفقنا الباري تعالى لتحقيق أمل العرب في الرفعة والسيادة والوحدة.

***

(47) رسالة من الكاتب في 1960/2/19 في صدد الوحدة

سيادة رئيس مكتب مؤتمر الخريجين المحترم

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وبعد، فإن ما حققته وحدة مصر وسورية المباركة من نتائج باهرة للعرب في المجالات الداخلية والعربية والدولية في وقت قصير، وما كان من استبشار العرب العظيم في كل ناحية من أنحاء الوطن العربي قد فاق والحمد لله أعظم الحمد كل تخمين.

والذي تم هو وحدة ثلث الأمة أو أقل، ولو كان هذا الثلث هو المنار الساطع، ولا شك أن كل هذا يتضاعف إذا ما تكاملت الوحدة. وقد صار من الواجب على القوميين أن ينشطوا في سبيل ذلك أكثر من ذي قبل. وأعتقد أن ما كان من نتائج واستبشار سيكون خير عون لهم على نجاحهم في هذا النشاط الواجب. وخير الطرق للعمل في اعتقادي هو تشكيل جهاز قومي يتألف من عدد من الشخصيات القومية التي تمثل مختلف أنحاء الوطن العربي، وممن عرفوا بالإيمان والدأب والحكمة والاتزان وحسن التقدير والصلات الحسنة مع الجميع ولهم وزن ما في الأمة العربية. وحينما يتم تشكيله يقوم بالاتصالات الشخصية مع الهيئات والمقامات العربية بادئاً بالأيسر فالأيسر، للتقريب والتأنيس والإقناع وتصفية الجو وإزالة الإشكالات من جهة، ويعقد الاجتماعات والمؤتمرات وينشر النشرات من جهة. وإن لي لوطيد الأمل أن يحالف هذا الجهاز التوفيق إذا ما توفرت في أعضائه الصفات المطلوبة وقام بالمهمة بدأب وإيمان وحنكة وأناة.

على أننا لسنا مخيرين على كل حال. فنحن إزاء واجب قومي يلزمنا أن لا نترك هذا الأمر العظيم، وقد بدت ثماره الجنية وبشائره العظيمة للعيان للظروف، وأن نقتحمه دون تردد وتهيب، وأن نبذل كل جهد في سبيله مع الأناة والصبر.

ولما كان مؤتمر الخريجين يمثل النخبة الممتازة من رجالات العرب المثقفين على اختلاف ديارهم، وكان قد اضطلع منذ انعقاده بأمر الوحدة، فإني أقترح على مكتبكم الموقر أن يأخذ على عاتقه تأليف هذا الجهاز المتفرغ، مراعياً في تأليفه الصفات التي ذكرتها، وأن يمده بما يحتاج إليه من وسائل العمل والتأييد، راجياً أن يلقى هذا الإقتراح منه حسن التقبل والاستجابة. وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

1960/2/19.

***

(48) رسالة من الكاتب أرسلت إلى السيد أحمد الفتيح أمين سر رئاسة الجمهورية ليسلمها إلى رئيس الجمهورية:

السيد ناظم القدسي رئيس الجمهورية السورية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،

فإننا قد اطلعنا على المذكرة التي قدمها لسيادتكم السيد نهاد القاسم وإخوانه أعضاء اللجنة التحضيرية للجبهة العربية المتحدة، ونعتقد أنهم قالوا فيها كل ما فيه المصلحة القومية العليا بصدق وحق وإخلاص. وإننا نؤيدهم فيها بكل قلوبنا، ونناشد ضميركم العربي الذي نؤمن به أن تبذلوا جهودكم في سبيل الخطوات الإيجابية إلى تحقيق محتوياتها أولاً، وأن تبذلوا ثانياً جهودكم في وئد التيار الجارف المحموم المسموم الذي يجتاح سورية، والذي تغذيه النزعة الإقليمية الضيقة والمآرب والأحقاد الشخصية والشعوبية والاستعمارية في الداخل والخارج. والذي يكاد يكون محنة أخلاقية مريرة، والذي من شأنه أن يقضي على كل إمكان لإقامة الوحدة الوطنية وتصفية الجو العربي.

ونسأل الله أن يسدد خطواتكم إلى ما فيه خير العروبة وتحقيق أهدافها المقدسة.

28 حزيران 1962.

بهجة الشهابي - عزة دروزة - نبيه العظمة

توضيح:

في 28 أيلول 1961 كانت حركة عسكرية مشؤومة في سورية كان وراءها الاستعمار والرجعية ورجال الإقطاع والاحتكار والاقليميون. ونجحت في فصم الوحدة بين مصر وسورية. ثم جرت انتخابات نيابية وأعيدت رئاسة الجمهورية السورية وانتخب لها السيد ناظم القدسي على ما سوف يأتي شرح أوفى له. وقد نشط أثناء الانفصال فيمن نشط ضد الإنفصال جماعة من السياسيين المستقلين على رأسهم نهاد القاسم. وألفوا لجنة تحضيرية لإنشاء جبهة عربية متحدة تعارض الانفصال وتدعو إلى إعادة الوحدة ووقف الحملات ضدها وضد مصر ورئيسها. وأرسلت مذكرة بذلك إلى رئيس الجمهورية نشرتها الصحف فأرسل الموقعون رسالتهم بتأييدها. ولم نجد نص المذكرة. ولكننا وجدنا بين أوراقنا بيانين أذاعتهما اللجنة، والراجح أن مذكرتها مقتبسة منهما. وقد رأينا من المفيد إثبات البيانين، لأن فيهما صوراً لما كان وبياناً ومطالب بما يفترض أن يكون.

وهذا نص البيان الأول:

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان اللجنة التحضيرية
للجبهة العربية المتحدة:

منذ نشأة الحركة العربية في أوائل هذا القرن لم يكن من أمامها هدف أعلى ولا غاية أسمى من أن تقوم بين البلاد العربية، من أقصاها في الشرق إلى أقصاها في الغرب، وحدة كاملة تنتظم كل مرافقها، وتجمع كل شتاتها، وتحاول أن ترد العرب إلى مكانتهم من الركب الإنساني بعد أن تخلفوا عنه، وتتيح لهم أن يعاودوا رسالتهم في زيادة هذا الركب بعد أن ضلوا عنها.

وكان في إيمان العربي دائماً أن العرب ما تفرقوا مرة إلا انهزموا، ولا اتحدوا إلا انتصروا:

تحقق ذلك في كل مراحل تاريخهم، تحقق مع الاستعمار الصليبي من الغرب، ومع الغزو التتري من الشرق في العصر الوسيط، وتحقق كذلك على نحو أشد وضوحاً في أعيننا في العصر الحديث في كل قطر عربي من شنقيط وطنجة على شاطىء المغرب العربي إلى الظهران على شاطىء الخليج العربي.

ومن هنا لم تعد الوحدة في ضمير العربي وذهنه مطلباً من المطالب التي يمكن أن يساوم عليها أو يهادن فيها، وإنما هي مطلب أساسي يعدل الوجود العربي ويوازيه، فكل وجود عربي، مما نلمحه في مرحلة الحياة العربية الحاضرة، لا يؤمن بالوحدة ولا يسعى إليها ولا يقيم حياته على أساس من تحقيقها، إنما هو وجود مهدد، أو وجود مزيف، أو وجود ناقص لا يلبث أن يفتضح أو ينهار. . . ولذلك فإن كل تضحية من أجل الوحدة إنما هي في حساب الحياة الحاضرة والمقبلة تضحية رابحة خيرها لنا ولأولادنا ولأجيالنا من بعدنا، وكل خطوة في سبيلها لا يمكن أن تقاس بحساب المصالح الخاصة أو الرغبات الموقتة أو الشهوات الطارئة، أو العصبيات الحزبية أو العائلية أو القبلية.

وبقدر ما كان تفتّح العرب للوحدة وإيمانهم بها واعتصامهم بحبلها المتين، كان هنالك في المعسكرات الاستعمارية على اختلافها هذا الخوف من هذه الوحدة، والتحسب منها ومحاربتها والحؤول دونها، والمحاولات التي لا تنتهي للتشكيك بها. . فلم تكن هذه القوى الإستعمارية تخشى شيئاً كما كانت تخشى هذه الوحدة، لأنها أقامت استعمارها على أساس من التفرقة، ومكنت لهذه التفرقة، فاختلقت الحدود وأثارت العصبيات، وانصرفت إلى التاريخ تحيي بعض جوانبه المندثرة، وتطمس بعض جوانبه الحية، وتخفي بعض حقائقه وتصبغ بعضها، وبعثت اللهجات وحاربت الفصحى وموهت الثقافة، وضللت الأجيال وأصرت على كل عوامل التفرقة، رجاء أن تستطيع الإبقاء على هذه الأقسام الهزيلة والكيانات الضعيفة في الوطن العربي.

وهكذا جسدت فكرة الوحدة شيئين اثنين: جسدت آمال العرب وأهدافهم وطريقهم إلى الحياة الكريمة في الركب الإنساني، كما جسدت مخاوف أعداء العرب، فكان كل جهدهم في القضاء عليها قبل أن تولد، وفي القضاء على عناصرها التي تتألف منها قبل أن تتلاقى وتتوحد.

ومن هنا كانت كارثة فلسطين سنة 1948، كانت في حقيقتها الكبرى عملاً استعمارياً ضخماً يهدف إلى الفصل بين المشرق العربي والمغرب العربي أولاً، وإلى إقامة رأس جسر استعماري ثانياً، وإلى تسميم الحياة العربية لتشغل بالعدو الرابض في أرضها عن بناء مستقبلها ثالثاً.

ولم يكن يسع العرب بعد هذا التحدي الذي كان في فلسطين، وبعد هزيمة الجيوش العربية السبعة (لأنها كانت سبعة جيوش ولم تكن جيشاً واحداً) إلا أن يتعجلوا وحدتهم. . لأنهم آمنوا أن الجولة الثانية لا تستقيم إلا مع وحدة الصف ووحدة الهدف. . وهكذا قدر للجراح العربية التي ظلت تنزف الدم منذ سنة 1948 أن تتوقف يوم 22 شباط من عام 1958، يوم أعلنت الوحدة بإجماع الرأي بين دمشق والقاهرة، ويوم قامت الجمهورية العربية المتحدة على أنها نواة للوحدة المرتقبة التي تحيا في أذهان العرب وقلوبهم.

ولقد واجهت الوحدة أعداءها منذ اليوم الأول، ولقيها هؤلاء الأعداء في صراحة وفي شراسة، واجتمعت عليها كل قواهم، في كل ميدان، وعلى كل صعيد، في الميدان الفكري والنفسي، وعلى الصعيد الداخلي والخارجي، وفي مستوى السياسة، ومستوى الاقتصاد.

وعلى ضراوة هذه العداوة وشراستها، وعلى الأوجه الكثيرة التي تخفت فيها، والألوان الكثيرة التي حاولت أن تصطبغ بها، فقد استطاعت الوحدة خلال ثلاث سنوات ونصف السنة بالرغم من رواسب الفرقة وعوامل التفريق، أن تحقق من النتائج ما لم يحققه أي حكم، ومنحت الشعب العربي مكاسب ما كان له أن يظفر بمثلها وهو في مثل ما كان عليه من تجزئة.

ففي حياتنا على الحدود وجدت إسرائيل أنها بين طرفي الكماشة العربية في الشمال والجنوب محصورة بجيش عربي موحد، فكان همها أن تشكك بهذه الوحدة، وأن تفككها.

وفي مركزنا الدولي استطاع العربي لأول مرة بعد هزيمة سنة 1948 أن يقول متباهياً في كل أنحاء العالم في المحافل الدولية وفي المدن الأوروبية والأميركية: أنا عربي.. وصار يمضي رافع الرأس لأنه استطاع أن ينفض عن كاهله أعباء القرون وضلالها، وأن يشق طريقه موازياً لهذه الطرق التي تسير فيها الشعوب الأخرى. والذين يرقبون السياسة الدولية يعرفون أن السمعة العربية التي ألقت بها كارثة فلسطين في حضيض عميق لم ينقذها إلا حركة الوحدة في شباط 1958.

وفي قضايانا العربية الأخرى استطعنا في المغرب العربي أن ندفع بثورة الجزائر مع دفع شعبها الثوري، واستطاعت القضايا العربية في المشرق العربي أن تجد سندها والمدافعين عنها.

وفي حياتنا النفسية عرف الشعب معنى الاستقرار، وانصرف عن الجدل الفارغ والخصومات التي تستنزف قواه وتستغل مواهبه وتوقع ما بينه العداوة وتشتت شبابه بين الأحزاب والدعوات والمذاهب الهدامة.

وفي حياتنا اليومية استطعنا أن نحفظ الريف والمدينة من كل عاديات الجفاف، ولقيت أبعد القرى على مختلف الحدود الماء والغذاء.

وفي بناء الوطن العربي المرتقب خطت هذه الجمهورية النواة خطوات فساح غالبت فيها الزمن، واستطاعت أن تتغلب قبل كل شيء على رواسب القرون وأوهام الماضي.. اجتثت من أمامها تركة استعمارية في الأفكار والمفاهيم والثقافة والتعليم والتشريع، وشقت طريق الحياة الإشتراكية الجديدة التي تفتح نوافذ الحياة لكل الأحياء، وتتيح لهم القدر الذي يحتاجون إليه من الشمس والهواء.. ورسمت في وضوح طريق التنظيم حين أخذت بالتخطيط والتنمية والمشاريع ذات السنوات المحدودة، حتى تستطيع أن تواجه خصومها وأعداءها، مستغنية عنهم أولاً، ثم متسابقة معهم في مضمار الحياة المتكافئة بعد ذلك.

واستغل الاستعمار وإسرائيل الأخطاء التي تقع عادة في كل حكم وضخمها وألح عليها، ودفع بأياديه المجرمة إلى التآمر عليها، واستغلت الأحقاد الشخصية في تنميتها، فكان من ذلك هذا الوضع الإنفصالي الأليم بين قطرين عربيين آمنا بالوحدة وأقدما عليها عن قناعة بها واعتزاز، وعن أمل فيها ورجاء، وعن أهداف كبيرة وراءها يتطلعان إليها ويعيشان من أجلها.

وهكذا لم تكن هذه الانتكاسة نتيجة الأخطاء وحدها. . لأن الأخطاء لا توازي الجريمة التي ارتكبت باسمها، والإيمان العربي لا يمكن أن يتقبل وأد الوحدة باسم بعض العيوب فيها، وهي عيوب لا يصعب تداركها وتلافيها.

ولم تشهد البيئات الاستعمارية إياها من أيام الفرح كهذه الأيام التي كانت في 28 أيلول من عام 1961، فقد كان انفصال ما بين مصر وسوريا عندها يعدل انتصارها في الحرب العالمية الثانية، فرقصت الجماهير في شوارع لندن وتل أبيب وغيرها كما لو كانت حققت أكبر ظفر لها.

وانكفأت الجماهير العربية بعد هذه الانتكاسة تسأل عن مصيرها ومستقبلها وطريقها.

وفي خلال هذه الأشهر مرت سورية بتجربة ضخمة لم تكن بحاجة إليها. . ومع ذلك فقد أكدت هذه التجربة إيمانها بالوحدة، وكانت الوحدة هي النقطة التي التقى عليها جماهيرنا ورجالاتنا وقادتنا.

ولقد استبان لنا بعد هذه التجربة الخطرة هذه الأمور الأساسية الثلاثة:

الأمر الأول ـ إن الوحدة الكبرى ليست بديلاً عن الوحدة الصغرى بين سورية ومصر، ولا يمكن أن تكون بديلاً عنها. . إن الوحدة الكبرى مطلبنا، ولكنه مطلب لا يمكن أن يتحقق إلا على أساس من هذه النواة بين القاهرة ودمشق. . ولم يعرف التاريخ في أي بيئة من البيئات أن أمة من الأمم حققت وحدتها الكبرى دفعة واحدة، ولذلك فإنه لا بد من الوحدة النواة قبل كل شيء.

الأمر الثاني ـ إن الكيان الخاص لكل قطر عربي إنما هو كيان مفتعل، نشأت الوحدة العربية لتحاربه لا لتسانده، وإن هذه الكيانات الخاصة ليست إلا معاقل ومتاريس للقوى الاستعمارية تحتج بها وتحتمي وراءها، وتحاول أن تلهى بها عن الكيان العربي الأصيل، وإن أية محاولة لتقديس هذه الكيانات الخاصة والوقوف عندها إنما هي نقض لكل الحقائق الأساسية الكبرى التي قام عليها الكفاح العربي، وضربة قاصمة لمستقبله، وتشويه لكل جهاده، وهزء بكل شهدائه ودمائه.

الأمر الثالث ـ إن العدالة الاجتماعية ليست دعوة نظرية، وإنما هي عمل أصيل لا يمكن أن يقوم في كيانات عربية متفرقة متضاربة، وإنما يقوم على أساس من اشتراك هذه الأقطار كلها «بكل جماهيرها، في أهدافها ومصائرها ضمن كيان عربي موحد».

واليوم ونحن نتطلع إلى نهاية لهذه التجربة التي نمر بها، ونحاول أن نتجافى عن هذا الوضع الإنفصالي، وننشد وضعاً وحدوياً نطمئن فيه إلى مستقبلنا ومستقبل أجيالنا الصاعدة كلها، يتبدى هذا الإجماع على النقطتين التاليتين:

الأولى ـ الوحدة هدف أصيل، والوضع الإنفصالي جريمة يجب العدول عنها، والجمهورية العربية المتحدة نواة الوحدة التي نستشرف منها آفاق المستقبل العربي الموحد.

الثانية ـ تؤمن هذه الوحدة النواة بالتطور وتعتز بالتراث، وتعول على الجماهير، وتحتفظ لها بكل مكاسبها، وتنمي هذه المكاسب بما يعود على الوطن العربي كله بالخير، وتكون أنموذجاً لمجتمع عربي مثالي تسوده الإشتراكية والحرية.

إننا، ونحن نحس كل مرارة التجربة وآلامها، وندرك خطورة الأيام الحاسمة التي نمر بها، ونقدر ما يكون من تكالب الاستعمار

وتعاونه وحرصه على استعادة مناطق نفوذه، لا نريد أن يغرق المواطنون في جدل فارغ والعدو على الأبواب.. إننا ندعو إلى أن ننسى كل ما كان، وأن نتجاهل شر الأحداث الأخيرة، وأن نسترد إيماننا بأن هؤلاء الذين يعيشون في هذا الجزء من أرض الوطن العربي ما عرفوا ولا يعرفون إلا الجهاد، وقد أنكروا أنفسهم على مدى التاريخ العربي من أجل المثل التي يؤمنون بها، وهم مستعدون أن ينكروا ذواتهم ليحققوا أبعد غاياتهم.. بل يجب أن يفعلوا ذلك ما دامت دعوتهم إيماناً في عروقهم وقلوبهم وأفئدتهم.

إننا ندعو في سبيل أهدافنا إلى تناسي كل عصبية حزبية، وكل شهوة فردية وكل رغبة عائلية، وأن نتجاهل كل تصرف وكل اجتهاد، وأن نندفع معاً في سبيل استعادة كيان الجمهورية العربية المتحدة، لتعود لنا ثقتنا بأنفسنا، ولنستأنف سيرتنا وجهادنا في سبيل مثلنا، ولنعاود السير في الحياة الدولية في كيان واحد هو الكيان العربي، ورسالة واحدة هي الرسالة العربية التي حملناها مدى التاريخ، ولن نتخلى عنها.

إن الأموال والمصالح والعنعنات والشهوات والأغراض ليست في الحياة الدنيا إلا أداة لاختبار الإيمان بالقضية الكبرى.. ونحن - جميع المواطنين - نرجو أن نجوز هذا الإمتحان وقضيتنا الكبرى في الوحدة فوق كل شيء، وأسمى من أن ينال منها شيء.

إننا ندعو كل جماهيرنا العربية في الإقليم الشمالي، كل فرد من أفراد شعبنا، كل طلابنا وعمالنا وفلاحينا ومواطنينا، إلى العمل يداً واحدة وفي قوة وحزم لاستعادة الجمهورية العربية المتحدة، واستعادة المكاسب العربية في النطاق الدولي وفي النطاق الداخلي.

هذه هي دعوة جبهتنا العربية المتحدة، فلنلتف جميعاً حولها، ولنعمل من أجلها بكل ما تتيحه لنا الأساليب الديمقراطية المشروعة.

والله من وراء القصد. والله أكبر والمجد للعروبة.

وهذا نص البيان الثاني:

بيان إلى الشعب العربي

أيها الشعب العربي: إن الجرح الذي تركه في صدرك يوم 28 أيلول 1961 ما يزال دامياً، ففي ذلك اليوم الفاجع تحركت الرجعية والانتهازية ومن ورائهما الاستعمار لطعن أمة العرب في أعز مكتسباتها النضالية، ففصلت بين شطري أول دولة عربية استطاع العرب بنضالهم الطويل المرير، أن يرفعوا لواءها عالياً في تاريخهم الحديث.

لقد كانت الجمهورية العربية المتحدة تمثل كبرياء الأمة العربية المكافحة، وبدء انطلاقها الثوري نحو الوحدة الحقيقية الكبرى. فهي الدولة التي جمعت بين شطري الوطن العربي في آسيا وأفريقيا، متحدية الاستعمار والصهيونية والشعوبية، متجاهلة وجود إسرائيل، محدقة بهذا المسخ الدخيل من طرفيه لتشد عليه الخناق في اليوم الموعود. ولم تكن هذه الدولة الفتية بملايينها الثلاثين وقوتها الضخمة ومبادئها الثورية وتخطيطها الاقتصادي الشامل مبعثاً للحركات التحررية في كثير من بقاع الوطن العربي فحسب، بل إن كثيراً من دول إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية كانت تستمد من هذه الإنطلاقة العربية النسغ الثوري الذي لا بد منه لكل اندفاع تحرري، حتى غدت سمعة العرب في الأوج، وأصبح لجمهوريتهم العربية كلمتها

في المجال الدولي، وأصبح العربي تحت كل سماء يرفع رأسه عزة وفخاراً بعد قرون طويلة من الإنزواء والضعف.

وكان طبيعياً بعد ذلك ألا يستسيغ الإستعمار ظهور مثل هذه الدولة التقدمية بطاقتها المتفجرة في هذه المنطقة الدقيقة من العالم، وأن يجرد لحربها ـ بعد أن فوجىء بقيامها ـ كل ما يملك من أسلحة الغدر والتدمير، فمنذ اليوم الأول لقيام الجمهورية العربية المتحدة أخذ يجند عملاءه داخل البلاد وخارجها لمحاربتها والتشكيك في إمكانية بقائها، والتشنيع على زعمائها، والتهويل بالأخطاء التي لا يخلو منها جميعاً أسلوب الحكم خلال السنوات الأولى من التجربة القومية التي تضع العرب لأول مرة أمام مسؤوليات خطيرة من نوع جديد.

1 ـ مؤامرة الانفصال:

حتى كان يوم 28 أيلول 1961، ونجحت المؤامرة الاستعمارية ـ ولو إلى حين ـ تلك المؤامرة التي لم يقشعر ضمير أصحابها حين أعلنوا بكل استهتار وعلى مرأى ومسمع من الأمة العربية المذهولة فسخ الوحدة ورفع أعلام التجزئة في سورية. فكان عملهم عيداً للاستعمار وإسرائيل، في الوقت الذي كان فيه عشرات الملايين من العرب والملايين من شعوب الأمم المتحررة في العالم يغصون ألماً لهذه النكسة المريبة ويشدهون لهول الصدمة.

2 ـ انكشاف المؤامرة واليهود المقطوعة بالعمل على إعادة بناء الوحدة:

ولم يعد في سورية اليوم من يجهل خيوط المؤامرة الاستعمارية الرجعية بعد أن سيق إلى القضاء من ثبت تآمرهم وبيعهم ضمائرهم لقاء أموال آثمة. ومافتىء الجيش في مختلف المواقف يصر على ضرورة إعادة بناء الوحدة، بعد أن رأى فريقاً من الانتهازيين يحاولون الإفادة من النكسة لتدعيم الانفصال، ضاربين عرض الحائط بأماني الأمة، متنكرين للمبادىء التي كانوا يخادعون بها، وإذا كان موقف الجيش قد ظل حاسماً وواضحاً، فلأنه جيش الأمة، ولأن انفعاله بأماني أمته ومطالب جماهيرها كان دائماً وأبداً في منتهى العمق.

وإذا كانت قيادة الجيش قد أكدت في صبيحة يوم 28 آذار 1962 عزمها على حماية أماني سورية في الوحدة، وتشكيل حكومة تقوم باتخاذ الخطوات الإيجابية لتحقيق وحدة عربية شاملة مبتدئة بمصر، فقد عادت وألحت على هذا الهدف في بيانها الثاني الذي أذاعته في 13 نيسان 1962، حين قالت: إن الجيش ملزم بحماية الأهداف القومية العليا التي تتمثل في السعي لإقامة وحدة عربية سليمة مع الدول العربية المتحررة وفي طليعتها مصر الحبيبة.

وحينما عاد الدكتور ناظم القدسي إلى ممارسة مهام منصبه في 14 نيسان 1962، قطع في بيانه للشعب عهداً وثيقاً أن يبذل مع أعضاء الحكومة التي ستتألف للفترة الانتقالية كل ما في وسعهم من مجهود لمباشرة العمل من أجل الوحدة مع البلاد العربية مبتدئين بمصر العزيزة.

وتسلمت حكومة الدكتور بشير العظمة مسؤولياتها في 1962/4/16، وأذاعت بيانها الوزاري في 1962/4/21، مندّدة بأولئك الذين يحرضون على تدعيم الانفصال واستمراره، آخذة على نفسها العهد «أن تستجيب إرادة الشعب الحرة الأصيلة في الوحدة، وأن تتخذ خطوة جادة من أجل العمل على تحقيق هذه الإرادة، ولا سيما الإتصال مع الحكومات العربية المتحررة، مبتدئة بمصر الشقيقة لتطرح بعد ذلك على

الاستفتاء الشعبي مشروعاً مدروساً ومتفقاً عليه».

وتتابعت بعد ذلك أحاديث وزير الإعلام، وكلها تؤكد أن الحكومة إنما جاءت إلى الحكم في هذه الفترة الدقيقة لتلبي إرادة الشعب في الوحدة، وأن وحدة سورية ومصر هي حجر الزاوية في كل وحدة عربية متحررة يرجى لها النمو والشمول.

3 ـ لجنة الشؤون العربية خطوة فاشلة:

بقي الشعب بمختلف مستوياته يقظاً يرقب الخطوات التي ستخطوها الحكومة لإنجاز العهد الذي قطعته على نفسها تحت ضغط جماهيره الواعية. وكم كان أسفه شديداً حين أعلن تأليف لجنة لا يمكن أن تكون سبيلاً لأي عمل جدي وإيجابي، وذلك بحكم تكوينها المتناقض من شخصيات سياسية متباينة الاتجاهات من جهة، وبحكم خلوها من جهة ثانية من ممثلين حقيقيين لجماهير الشعب وعماله وفلاحيه ومثقفيه، ونسائه ومنظماته الوحدوية.

4 ـ حول البيان الأخير الذي أذاعه الدكتور العظمة في 1962/6/5 وجواب القاهرة عليه:

وكان طبيعياً بعد ذلك أن تفشل هذه الخطوة وأن يعترف الدكتور العظمة في بيانه الذي أذاعه في 5 حزيران 1962 بفشل فكرة لجنة الشؤون العربية، وبالصعوبات التي واجهتها منذ البداية، لأن عدداً من أعضائها استقالوا لعدم قناعتهم بجدواها، كما استنكف معظم أعضائها عن حضور الاجتماع الأول الذي دعوا إليه.

وكان لا بد أن تعلن الحكومة عن عزمها على اتخاذ خطوات أكثر جدية، وأن تقرر الانطلاق من النقطة التي يتحتم عليها الانطلاق منها منذ تسلمت الحكم، للتعرف على وجهة نظرها من أجل الاتفاق على صيغة نهائية لمشروع الوحدة يطرح بعد ذلك على الاستفتاء الشعبي ليقول الشعب كلمته الفاصلة فيه. إن الشعب يسجل على الحكومة هذا العهد الذي قطعته على نفسها، ويرقب بمنتهى اليقظة الخطوات الجديدة التي وعدت باتخاذها، والنتائج التي ستتوصل إليها، ولا سيما بعد أن نشرت القاهرة في 11 حزيران 1962 جوابها الواضح الصريح، الجواب الذي صيغ بروح إيجابية بنّاءة، فجاء على مستوى القضية القومية ومن مستوى الأخطار التي تحدق بالأمة العربية. إن الشعب يلح على حكومة الدكتور العظمة بعد أن التقت وجهة نظرها بوجهة نظر القاهرة، أن تباشر العمل دون إبطاء، فليس صحيحاً ما ورد في بيانها عن وجود تيارين متعارضين بين أنصار الوحدة الفورية المتأنية المدروسة، إذ أن الشعب كله حريص على استرداد كرامته القومية عن طريق استعادة وحدته والانطلاق بها إلى ما وراء حدودها الأولى. كما أنه مؤمن بضرورة الدراسة والروية والتبصر. إن الشعب يدعو الحكومة إلى العمل بوحي المصلحة القومية العليا وحدها، وأن توقن أن كل وقت مهدور في هذه الآونة سيكون في مصلحة الاستعمار الذي يسعى إلى هدفه الجهنمي بخطى حقيقية لا تعرف التمهل والآجال الطويلة. إن كل موضوع يجب أن يعتبر تالياً لموضوع الوحدة، إذا كنا نؤمن حقاً أن قضية الوحدة هي قضية الجماهير الأولى، وهي قضية الاستقرار الذي نتحدث عنه.

أيها الشعب العربي: إنك مؤمن أن إعادة الوحدة واستعادة الجمهورية هي قضيتك الأولى، وهي قضية كبريائك وكرامتك وحياتك ومستقبلك، وعلى الذين يمسكون بزمام الحكم في هذه المرحلة أن يبدأوا من هذا الإيمان في منطلقهم، وأن يتجاوبوا معه في عملهم

ومخططاتهم، وهم حينذاك فقط يقطعون الطريق على الاستعمار والصهيونية، ويتيحون لك أن تتابع الطريق إلى غاياتك الكبرى. والله أكبر والعزة للعرب.

***

(49) رسالة أرسلها الكاتب في 5 آب 1962 إلى الأستاذ صلاح الدين البيطار في صدد ما كان يكتبه كتاب البعث في جريدة البعث أثناء عهد الانفصال:

تمهيد:

كان حزب البعث رحّب، واندمج في حركة الوحدة السورية المصرية وأعلن حل الحزب تيسيراً لها، وحظي رجاله نتيجة لذلك بمكانة مرموقة في الحكم في (الجمهورية العربية المتحدة) التي انبثقت من تلك الحركة.

فكان أكرم الحوراني نائباً من نواب رئاسة الجمهورية ومقيماً في سورية، وصلاح الدين البيطار وزيراً مركزياً للإرشاد في القاهرة، وعبد الغني قنوت ومصطفى حمدون وخليل كلاس وزراء في حكومة الإقليم السوري. وشغل كثير من أعضاء الحزب مراكز متنوعة أخرى في دوائر الحكم في الإقليم السوري بنوع خاص. ثم صار يقوم بينهم وبين الرئيس جمال وبعض أركان الحكم السوريين والمصريين خلاف[1] متنوع الصور والأسباب والأهداف، انتهى إلى إنسحاب الأقطاب البعثيين من مراكزهم..

ولما وقع الانفصال المشؤوم في أيلول 1961، انسجموا معه وأيدوه ووقعوا على وثيقة التأييد واشتركوا في الحكم والانتخابات النيابية. غير أنهم بعد بضعة شهور اختلفوا فيما بينهم فانقسموا إلى جناحين، جناح برئاسة أكرم الحوراني وقنوت وحمدون وكلاس ظلوا منسجمين مع الإنفصال مشتركين في الحكم فيه. وجناح برئاسة ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار وعبد الكريم زهور وجمال الأتاسي أعلنوا معارضتهم لعهد الانفصال وحكمه. وأصدروا جريدة البعث لتكون لسان حالهم. وكان لكل جناح قواعده ومؤيدوه: وقد استمر الشطران على خطيهما المتضادين. وصار الثاني على رأس حركة الثامن من آذار سنة 1963 التي أطاحت بعهد الانفصال المشؤوم. لأن معظم الذين قاموا بهذه الحركة بعثيون وحدويون، وصار صلاح الدين رئيساً للوزارة مع آخرين من رفاقه، بالإضافة الى عناصر تمثل التنظيمات الوحدوية التي ساهمت في الحركة، وكان للبعثيين في مجلس الوزارة ومجلس الثورة رداً على أكثريته. وظل الشطر الأول شديد الاندماج في العهد الانفصالي شديد التشريب للرئيس جمال الى حد الافتراء المعيب وبخاصة أكرم الحوراني. ولم يكن منهم إلا أن تواروا حينما نجحت حركة الثامن من آذار وسقط الانفصال

---

(1) مجمل ما علمناه من الأسباب الرئيسية للخلاف انه تقدمت شكايات الى رئيس الجمهورية من كيفية تطبيق قانون الإصلاح الزراعي في الإقليم السوري الذي كان يشرف عليه وزير سوري بعثي. وبخاصة في منطقة حماه. ومن اعتقالات كيفية غير مبررة، فأرسل الرئيس المشير عامر نائب رئيس الجمهورية إلى دمشق ليكون بديلاً عن أكرم وسحب أكرم إلى القاهرة، وألف المشير لجنة للتحقيق في الشكايات، فأدى ذلك أولاً إلى استقالة وزراء البعث في سورية. ومن جهة ثانية شكى أقطاب البعث من الانفراد في القرارات الهامة، وطلبوا من الرئيس تشكيل مجلس رئاسي للنظر في الأمور الهامة وتقريرها بالأكثرية، فأبى الرئيس فاستقال أكرم وصلاح الدين.

مع من توارى من رجاله.

ولقد كان كتّاب جريدة البعث يحملون على حكم الانفصال وتصرفاته من جهة، ويدعون الى الوحدة من جهة. ويحملون على أسلوب الرئيس جمال في الحكم من جهة. وقد رأى الكاتب في ما يكتبون غلوّاً وتحاملاً ومفارقة، فكتب للأستاذ صلاح الدين هذه الرسالة.

وبين الكاتب والأستاذ صلاح الدين تعارف وتزاور قبل الوحدة وفي اثنائها. ولقد زاره الأستاذ صلاح الدين حينما عاد من القاهرة مستقيلاً مع رفاقه من مناصب الحكم وجرى حديث بينهما في أمر الوحدة. وكان بينهما اتفاق على أن ما جرى بينهم وبين الرئيس من خلاف أدى إلى الانسحاب لا ينبغي أن يحمل على فكرة الوحدة وضرورتها ووجوب الحرص عليها، حيث يبقى كل ذلك لزاماً قومياً ووطنياً وأخلاقياً.

هذا ومما يحسن تسجيله في هذه المناسبة أن أكرم الحوراني ورفاقه ليسوا أصلاً من البعثيين. وإنما كانوا أنشأوا بعد نشوء حزب البعث حزباً خاصاً سموه (الحزب الاشتراكي)، ثم اتفق أركان الحزبين على دمج حزبيهما في حزب واحد هو (حزب البعث العربي الاشتراكي). وحين انشطروا أثناء الانفصال إلى جناحين عاد كل من التنظيمين إلى أصله، فصار أكرم ورفاقه يمثلون (الحزب الاشتراكي العربي) وبقي عفلق والبيطار ورفاقهم يمثلون (حزب البعث العربي).

«الرسالة»

الأخ الفاضل السيد صلاح الدين البيطار:

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وبعد، فإني أهنئكم على خطوتكم في إصدار البعث لتكون صوت الحق في هذا الظرف الذي غلب فيه صوت الباطل والقلم المأجور، واجتاح البلاد فيه تيار مسعور محموم تغذيه الأحقاد والنزعة الإقليمية الضيقة والشعوبية والمآرب والرجعية والأموال الداخلية والخارجية. والذي ترتكس بلادنا فيه في محنة أخلاقية مريرة. وأرجو أن يقدركم على إصدارها يومية، وأن يثبتكم في قول الحق، وأن يقوي صوتكم حتى يغلب ذلك الفحيح السام.

واستسمحكم في إبداء رأيي في أمر هام، وهو أني رأيت بعض كتّاب البعث يركزون الكلام على الضرب على وتر نظام عبد الناصر والديكتاتورية والإرهاب البوليسي الذي ساد حكم الوحدة واستحالة قيام الوحدة في ظله وعدم جدواها. ويلتقون في ذلك مع أعداء الوحدة العربية من عرب وغير عرب على اختلاف دوافعهم ومآربهم، مع أنهم يحملون على الانفصال والانفصاليين، ويقررون وجوب قيام الوحدة وضرورتها الملحة.

أنا لا أختلف معكم في تقدير القيمة المثالية للديموقراطية والحرية والكرامة الانسانية وأثرها في بناء المجتمع الفاضل والتقدم الانساني في مختلف الميادين فهذا عندي من المسلمات. ولا أريد كذلك أن أناقش نصيب الصدق والكذب والحق والباطل في ما يوجه الى نظام جمال عبد الناصر من تهم وضربات أو في صحة القول باستحالة أو بعدم جدوى قيام الوحدة ثانية في ظل ذلك النظام.

ولكنني أريد فقط أن ألفت النظر إلى الحقائق التالية:

1 ـ إن الأنظمة السائدة في غير مصر من بلاد العرب تقوم على الفردية والرجعية وسوء الاستغلال وظلمة الضمير والإرهاب. وهي في

ذلك أسوأ بما لا يقاس عليه واقعاً وتأثيراً مما يوجه إلى نظام عبد الناصر من انتقادات وتهم حقاً كانت أم باطلاً.

2 ـ إن كثيراً مما ينسب إلى نظام عبد الناصر ومظاهره هو في حقيقته من رواسب أخلاقنا ونظمنا، والمدة الطويلة التي عشناها في ظل الجهل والظلمات، ثم في ظل الاستعمار ومناهجه وقوانينه، بدليل أنه موجود في جميع بلاد العرب، وليس من اليسر أن يزول في أمد قصير. ومع ذلك مهما يقال في نظام جمال عبد الناصر فلا يستطيع أحد فيه شيء من إنصاف وضمير أن ينكر ما يبذل في ظله من جهود جبارة في سبيل تحسين حالة جماهير الشعب وتقدمهم ورفع مستواهم وتنمية الحركات والقوى والأجهزة العلمية والثقافية والعمرانية والتصنيعية، فضلاً عما يبذل في ظله من جهد في تنمية القوة الحربية في مختلف المجالات، لتصبح أقوى قوة حربية في الشرق الأوسط. وهذا حيوي كل الحيوية. وفضلاً كذلك عن الاهتمام الكبير للمشاركة الواسعة في المجالات الدولية المختلفة، وجعل وجود العرب ملموساً وصوتهم قوياً مسموعاً. وإلى هذا فإن هذا النظام ظل حريصاً على أن يقوم إلى جانبه في جميع ظروفه مجلس أمة ينتخب فيه ممثلون عن الشعب، وفيه العلماء والخبراء على مختلف المستويات. ومهما أورد على ذلك فإن ما يقوم في البلاد العربية بل في غير البلاد العربية من مجالس أمة ليست أحسن حالاً ومستوى وجدوى. بل لعله هو الأحسن، لأنه مختار اختياراً غير عشوائي أو غير مستمد من عصبية إقليمية أو طائفية أو إقطاعية أو رشوة.

3 ـ إن الضربات والصرخات والانتقادات التي توجه إلى هذا النظام بالحق وبالباطل وبكثير من التهويل والتضخيم، والتي يلتقي فيها ـ بقطع النظر عن النسبة ـ على صعيد واحد كتّاب البعث ورجاله مع غيرهم من غير المخلصين وأعداء الوحدة، الذين كل همهم توطيد الانفصال والانكماش في الأمة العربية لمآرب آثمة وبدوافع مجرمة متنوعة خارجية وداخلية، سيكون لها على كل حال محصل خطير، وهو تخويف الناس الطيبين من الوحدة والاتحاد، سواء أرادوا ذلك أم لم يريدوه. وجعل هؤلاء الطيبين الذين تعلقوا بالوحدة وصارت مناط آمالهم في السعادة ونشيدهم الدائم، وكانت هديرهم في أيامها بين جنبات الأرض، وهم أكثرية شعبنا، يقعون في يأس قاتل وظلمة خانقة لا يجدون منها مخرجاً، ولاسيما حينما يرون كتّاب البعث المخلصين يشاركون غيرهم في ذلك.

4 ـ وإذا لاحظنا أنه رغم كل ما كان ووقع تظل سورية ومصر هما البلدان العربيان الوحيدان المؤهلان لإقامة وحدة بينهما في هذه الحقبة من حياة الأمة العربية، دون أن يكون من ورائها دوافع ومآرب استعمارية. ثم إذا لاحظنا أن من المحتمل أن يعيش جمال عبد الناصر 20 أو 30 سنة أخرى، وأن تظل مصر تحت زعامته، ويظل نظامه مستمراً فيها، ظهرت لنا خطورة ذلك المحصل في تعسير تحقيق أي وحدة في أمد قصير. وهذا يعرفه المجرمون الانفصاليون المتآمرون مع الاستعمار، فيسخرون بالأمة ويقولون أن التجربة أبعدت بقية الأقطار العربية عن الوحدة، وأن من أهدافنا أن نقيم وحدة شاملة كبرى بدلاً من وحدة جزئية. هذا في حين أن الوحدة مطلب قومي ملح متصل بالوجود العربي، لابد منه في أي حال، بل وتحت أي نظام، لأن تفاعل الشعب هو القادر

على تعديل الأنظمة مهما كانت، ولأن هذا التفاعل يكون ذا تأثير أقوى بما لا يقاس عليه في نطاق الوحدة منه في نطاق الانكماش والقطيعة والعزلة. والقول بغير هذا كالقول بتبرير انفصال إحدى محافظات سورية عن أمها بسبب قيام نظام ديكتاتوري إرهابي بوليسي في الدولة.

هذا فضلاً عن أن جماهير شعبنا وهم العمال والفلاحون والطبقة الكادحة الباقية كانوا سعداء في ظل الوحدة وجنوا منها أطيب البركات. وكانت هذه البركات حقيقة بالازدياد مع الزمن. ويكاد يكون هؤلاء في معزل عن الشعور بحقيقة ما يوجه بالحق أو الباطل إلى النظام الذي كان سائداً في زمن الوحدة أو بضرره على مصالحهم ومعاشهم.

وإذا كانت الوحدة كمطلب قومي ملحاح متصل بالوجود العربي هو في متناول المثل القومية العليا، فإن من الحق أن تكون سعادة جماهير شعبنا ومصالحهم المعاشية أيضاً من متناول ذلك المطلب. وما دام هذا قد تم بمقياس غير ضيق في عهد الوحدة، فلا يجوز التضحية به في سبيل ما يوجه إلى نظام عبدالناصر من انتقادات حقاً كانت أم باطلة.

ويأتي فوق هذا كله ما كان للوحدة من أثر عظيم في رفعة شأن العروبة في المسرح الدولي وفي تحريك الروح القومية العربية في مختلف أقطار العروبة، وما كان من حماس العرب وابتهاجهم بها، وما انبعث فيهم من آمال عظمى بالعزة والقوة والاستبشار بحل قضايانا القومية وفي مقدمتها قضية فلسطين. مما لا يجوز أن نتناساه ونحن نكيل الضربات لذلك النظام، وننسف بها كل ما كان من ذلك، ونوطد بها فكرة الخوف من الوحدة وما ينتج عنها من الانكماش والعزلة والقطيعة، ونحقق بذلك أمل وهدف أعداء الوحدة من عرب وغير عرب.

وقد أكون غير متفق معكم ومع رجال البعث المخلصين للوحدة في بعض ما أقول. ولكني أعتقد أني على صواب فيه من ناحية الوقائع والحقائق على الأقل. وكم أتمنى أن ينعم النظر فيه رجال البعث المخلصين للوحدة قلباً وقالباً، الذين لم تغط الأحقاد على قلوبهم وأبصارهم، ولم يكن لهم تلك الأدوار الانتهازية العجيبة التي جعلتهم يمشون تحت كل ركاب وفي كل ميدان، لعلهم يجدون فيه ما أجده من صواب، ويعدلون خطتهم في الدعوة إلى الوحدة ودراسة إمكانيتها بأسلوب لا تكون نتيجته ذلك المحصل الخطير الذي يتعمد حصوله أعداء الوحدة في الداخل والخارج، ويبذلون طائل الأموال، ويستحلون كل وسيلة من وسائل الكذب والتهويل والتضخيم في سبيله.

5 آب 1962

* * *

(50) الوحدة أصيلة في الحياة العربية الحضارية آب 1962

تمهيد:

كتب الدكتور عزة النص الذي صار في ظرف من ظروف الانفصال المشؤوم رئيساً للوزارة، مقالاً نشرته مجلة المعرفة الدمشقية في عدد حزيران 1962، يدعي نفرة العرب بطبيعتهم من الوحدة.

فكتب الكاتب هذا المقال رداً عليه وتفنيداً له، وأرسله إلى المجلة، ولكن المجلة لم تنشره، لأنه كان ضد العهد الانفصالي القائم. وقد رأينا ضرورة وفائدة لإيراده في هذه

المجموعة، لأن الروح التي أملت على الدكتور النص مقولاته تظهر حيناً بعد حين نتيجة لما طرأ ويطرأ على الأمة والبلاد العربية من تفكك وابتعاد عن الوحدة، بعوامل وأسباب استعمارية أجنبية، ونزوات شخصية في الدرجة الأولي. وفي المقال من الحقائق ما فيه رد وتفنيد لتلك الروح والمقولات. وهذا هو المقال وعنوانه:

تعقيب على مقال:

قرأت في المقال الممتع الذي نشر في العدد السابع من هذه المجلة للدكتور عزة النص. وقد وقفت عند قوله: (وحصيلة هذا العرض الذي يقصه علينا تاريخنا أننا أمة هشة الأوصال منذ عهد بعيد، بل إن النتيجة المنطقية التي لا بد من أن نستصفيها من تاريخنا المأثور هي أن وحدتنا التي أحكمتها مرونة الإسلام لم تدم إلا الزمن الأقصر من عمرنا المديد. وإن التفرقة في ماضينا هي الأصل، والوحدة هي الحادث العارض، وإن الاستعمار التركي هو الذي ابتنى وحدتنا من جديد، وقد عمرت الوحدة العثمانية دهراً أطول من عمر الوحدة العربية المستقلة. وإن غرائزنا الفردية المشاكسة التي يضخمها تاريخنا تتراصف مع نفوسنا من تقبل الوحدة..

وقد رأيت، في هذه الأقوال ما يتنافى مع الحقائق ويتحمل التعقيب والتعليق.

فنحن إذا استقرينا آثار تاريخ بلادنا منذ أقدم الأزمنة التاريخية المعروفة، نرى أن التفرقة إنما كانت أصلاً في الزمن البدائي وفي الحياة البدوية. وفيما عدا ذلك صارت الوحدة هي الأصل بقطع النظر عن الدوافع. وصارت التفرقة هي الحادث نتيجة لنزوات الرؤساء والحكام والطامعين والمستغلين، وإن بلادنا عاشت دائماً في ظل الوحدة التي كانت أحياناً شاملة نافذة، وأحياناً شاملة ضعيفة النفوذ، وأحياناً جزئية، وأحياناً إتحادية.

ولقد كان جنوب جزيرة العرب الذي عاش حياة متحضرة نوعاً منذ أقدم الأزمنة يدار من قبل أمرائه المحليين في مناطق قبائلهم - في عهد البداوة - ، فبرز المعنيون في القرن العشرين قبل الميلاد، فوحدوا البلاد تحت سلطانهم. ثم برز السبئيون في القرن العاشر، ففرضوا سلطانهم مع بقاء البلاد موحدة في ظله. ثم برز الحميريون في القرن الأول ففعلوا مثل ذلك. وكان ملوك هذه الدول وجيوشها يحاربون بضراوة كل نزعة اختراقية تبدو من رؤساء المناطق، ويفرضون الوحدة على الأعم الأغلب. وكل ما كان من أمر أن مناطق البلاد كانت تدار على طريقة الاستقلال المحلي برئاسة ملوك أو أمراء محليين خاضعين للملك الأعلى.

وكان هذا شأن الجنس العربي الذي خرجت موجاته من جزيرة العرب في الأزمنة القديمة وعمرت البلاد المجاورة بجزيرتهم من الشمال والجنوب إلى بلاد الشام والعراق ومصر، حيث نجد أن هذه الموجات أنشأت في هذه البلاد أولاً إمارات عديدة، لأنها كانت ماتزال تعيش حياة البداوة أو القبيلة، ثم صارت الإمارات تتحد وتعيش في ظل دولة واحدة أو اتحادية. وكان ملوك هذه الدولة وجيوشها يحاربون بكل ضراوة كل نزعة افتراضية تبدو من حكام الأقاليم، ويفرضون الوحدة أو الاتحاد على الأعم الأغلب.

ولم تكن هذه الوحدة أو الاتحاد يقتصر على داخل الأقطار المذكورة، التي صارت تعيش في ظل الوحدة أو الاتحاد، بل كان هناك دور أمبراطوريات تضم أقطاراً عديدة في ظل وحدة

الحكم والسلطان، حيث كان ملوك دول جنوب اليمن في مختلف الأحقاب واحدة بعد أخرى يمدون سلطانهم إلى شمال الجزيرة وأطرافها، فتكون في وحدة من الجنوب. وحيث كان ملوك مصر في مختلف الأحقاب يمدون سلطانهم إلى بلاد النوبة والسودان وليبية وبلاد الشام حتى العراق، فتكون في وحدة أمبراطورية كبرى تحت سلطانهم. وحيث كان ملوك العراق يمدون سلطانهم إلى بلاد الخليج ثم إلى جزيرة الفرات ومختلف أنحاء بلاد الشام، فضلاً عن بلاد الفرس والأرمن والأناضول وكليكيا، فتكون أمبراطورية كبرى تحت سلطانهم. وكان ملوك مصر وملوك آشور بخاصة يتشادون ويتجاذبون على السلطان في بلاد الشام، فتتداول بينهم في وحدة أيضاً.

ولما زحف الإسكندر المكدوني واكتسح بلاد الشام والعراق ومصر، عاشت هذه البلاد في نطاق الوحدة. ثم قامت بعده دولتا البطالسة والسلاجقة في مصر والشام، فكانت كل من بلاد الشام ومصر في وحدة تحت سلطانيهما. وقد تناحرت الدولتان في سبيل فرض كل منهما سلطانها على القطرين معاً، وكان النجاح يتداول بينهما فيعيش القطران في ظل دولة واحدة أحياناً. ثم جاء الرومان فعاشت بلاد الشام والعراق في ظل حكم ووحدة سبعة قرون طويلة.

ولما بعث النبي ﷺ كان هدفه القريب توحيد جزيرة العرب تحت راية الإسلام، وقد يسر الله ذلك، فعاشت الجزيرة العربية في ظله في دولة واحدة تنتظم بلاد الحجاز واليمن والسواحل الشرقية والخليج ونجد واليمامة ومشارف الشام حتى حدود معان.

ومعظم حوادث الردة التي نجمت في أواخر عهد النبي وفي أوائل خلافة أبي بكر كانت بنزوة الرؤساء والزعماء. وقد ظل معظم الناس في الحجاز وفي أنحاء أخرى من الجزيرة على ولائهم للدولة، فكان ذلك من أسباب نجاح قمع الردة في مدة قصيرة. وقامت بعد ذلك حركة الفتح تحت راية أبي بكر ومن بعده، فلم تلبث أن قامت دولة واحدة كبرى شاملة نافذة تنتظم معظم جزيرة العرب. ووصلت موجاتها إلى بلاد الشام والعراق ووادي النيل وليبية وتونس والجزائر والمغرب، فضلاً عن بلاد فارس وأرمينية وبعض بلاد الترك. واستمر هذا في عهد الدولة الأموية مع الاتساع في الشرق والغرب، ثم طيلة مائة وخمسين سنة من حكم الدولة العباسية.

ولقد تعرضت الدولة بعد ذلك لتغلب المتغلبين الأعاجم، نتيجة لما كان من تناحر بين أفراد الأسرتين العباسية والعلوية على سلطان خلفائها، وتمكن كثير من حكام الأقاليم والطامحين والمتغلبين من الاستبداد بحكمها وأكثرهم أعاجم.

غير أن مظاهر الوحدة ظلت قائمة بين الأقاليم ومركز الخلافة والخلفاء، متمثلة في الخطبة والسكة والإعلام والطرز وبراءات التعيين والتشريف ومخصصات من المال تقدم لخزانة الخلافة.. الخ، حيث غدا مقام الخلافة ذا معنى ديني وسياسي معاً، وصار الناس لا يرون لقيام سلطان محلي في إقليم، أو لتغلب فتغلب على سلطان الخليفة مبرراً شرعياً، إلا إذا اقترن ذلك بموافقة صاحب هذا المقام، مما كان يضطر المستبدين المتغلبين الحصول على هذه الموافقة والرضاء بالبقاء في نطاق وحدة الدولة العام، وإلى قبول مظاهرها المذكورة، فتكون عنواناً لهذه الوحدة بمعنى من المعاني.

ولقد كان المتغلبون على سلطان الخلفاء يبذلون جهدهم في توطيد وحدة الدولة السياسية والاقتصادية بين مختلف الأقاليم المرتبطة بمقام الخلافة، وكان منهم من ينجح في ذلك نجاحاً كبيراً. وكل ما يكون من أمر في هذه الحال هو ضعف الخلفاء أنفسهم، وممارسة المتغلبين لسلطان الدولة الفعلي بدلاً منهم.

ولقد انخرمت الوحدة حقاً بقيام الدولة الفاطمية في المغرب في أواخر القرن الثالث بين آسيا وأفريقيا العربيتين الإسلاميتين. غير أن حركة الذين قاموا بهذه الدولة كانت حركة منافسة للعباسيين فقط، وكانوا يعتبرون أنفسهم أصحاب الحق في السلطان، فلم يكادوا ينجحون في إقامة دولتهم حتى أخذوا يبذلون جهودهم في نزع الأقطار العربية من نطاق سلطان العباسيين وتحويلها إلى نطاق سلطانهم، وبتعبير آخر لم يكن في حركتهم معنى من معاني التخلي عن فكرة قيام دولة واحدة تضم جميع الأقطار العربية الإسلامية. وقد نجحوا في جهودهم نجاحاً غير يسير، فاستطاعوا أن يوحدوا تحت رايتهم وسلطانهم بلاد المغرب ثم مصر والحجاز واليمن، بل واستطاعوا ولو لفترة قصيرة أن يستولوا على بغداد والبصرة وواسط، وأن يضطروا الخليفة العباسي إلى ترك بغداد، وأن يخطبوا لأنفسهم من فوق منابرها وينشروا ألويتهم وألوانهم الخضراء في ربوعها.

على أن بلاد الشام وجزيرة العرب عادت إلى الوحدة في ظل الخلافة العباسية، ثم عاد وادي النيل عام 567 هـ حينما قضى صلاح الدين الأيوبي على الدولة الفاطمية، حيث كانت قد وصلت إلى حالة الضعف القصوى، وكان صلاح الدين يتولى الوزارة للعاضد آخر خلفائها، فأمره ملك الشام نور الدين زنكي الذي كان صلاح الدين قائداً من قواده وممثلاً له في مصر بإسقاط خطبة الفاطميين والخطبة للعباسيين فنفذ الأمر.

ولقد كان يقوم في بلاد الشام في هذه الحقبة إمارات عديدة مستقلة استقلالاً محلياً ومتناحرة فيما بينها. وكان معظم حكامها من المتغلبين الترك. غير أنهم كانوا على كل حال يعترفون بسيادة الخلافة العباسية على ضعفها، فتعيش البلاد في ظل الوحدة.

ولقد كانت حالة ضعف الخلافة العباسية والخلافة الفاطمية وتناحر الأمراء الترك في بلاد الشام من الأسباب الرئيسية لنجاح الحملة الصليبية. غير أن هذا النجاح لم يلبث أن أدى إلى رد فعل قوي نتج عنه حركة توحيدية شملت بلاد الشام وجزيرة الفرات في ظل الدولة الزنكية، التي قادت بعد ذلك حركة جهاد قوية ضد الصليبية وأحرزت نجاحاً غير يسير في ذلك، فاستردت منهم بلاداً شامية، واضطرتهم إلى الارتداد عن مصر وحصرتهم في نطاق ضيق. ثم كانت حركة صلاح الدين الأيوبي التوحيدية المذكورة آنفا، فقام نتيجة لها دولة موحدة كبرى انتظمت فيها مصر وبلاد الشام، فكان ذلك من أسباب نجاح الحركة الجهادية الكبرى التي قادها ضد الصليبيين، حيث انكمشوا وضاق بهم المجال. واستمرت الوحدة قائمة بين القطرين في عهد خلفائه الذين استمر النضال متصلاً فيما بينهم وبين الصليبيين، برغم ما كان يقع بين أمراء الأيوبيين من تناحر وتنافس. ثم في عهد دولة مماليك الترك الذين تطهرت فيه البلاد من رجس الإفرنج الغزاة، وردت فيه حملات التتر المخربة عن بلاد الشام بفضل تعاون جيوش القطرين وسكانهما. ثم استمرت الوحدة قائمة في عهد دولة مماليك

الشركس التي خلفتها. وفي سنة 923هـ كان الفتح العثماني، فعاشت بلاد الشام ومصر ثم العراق وبعض أنحاء شمال إفريقية في ظل نطاق دولة إسلامية واحدة، إلى أن بليت في القرنين التاسع عشر والعشرين بالاستعمار الإفرنسي والإنكليزي الذي عاد فجزأها، وما تزال تقاسي مرارة هذه التجزئة ومآسيها.

وقد يكون العراق استثناء لفترة من الوقت، لأنه انفصل عن بلاد الشام حينما نكب بغزوة التتر، وعاش لوحده في ظلهم فترة غير قصيرة، إلى أن عاد إلى الاندماج معها ومع غيرها من بلاد العرب في القرن العاشر في ظل الدولة العثمانية.

ولا نرى محلاً لقول قائل أن عهد الوحدة الطويل بعد المائة الثالثة من الهجرة في زمن العباسيين وبعدهم كان عهداً غير عربي، أو بتعبير آخر عهداً تركيا وكردياً وتركياً وشركسياً، وتركياً عثمانياً على اختلاف الأسماء. فالأتراك والأكراد والشركس الملوك وبنو جنسهم في جسم الدولة لم يكونوا يرون أنفسهم غرباء عن بلاد العرب والعروبة. لأنهم مسلمون أولا، ومستعربون ثانياً، باستثناء العثمانيين منهم. وكان العرب الذين كانوا وظلوا يؤلفون أكثر سكان البلاد الساحقة من جهة ثانية، والذين كانوا يعيشون الوحدة وينتفعون بها، لم يعدّوا حكامهم غرباء عنهم، لأن الأخوة الإسلامية جمعت بينهم. وكان بروز هذه العناصر الحاكمة من جهة ثالثة في ميدان الحكم والسلطان صورة تطورية لاستمرار سير التاريخ العربي الإسلامي أكثر منها صورة استعمارية أجنبية عن العرب والإسلام. وفي هذا المعنى يلتقي العثمانيون مع من قبلهم من العناصر.

ولقد انقسم الوطن العربي الكبير في أوائل عهد العباسيين حقاً إلى قسمين مشرق عربي ومغرب عربي، وما تقدم من إيجاز هو ما وقع في المشرق العربي. أما المغرب العربي فقد تقلبت به الأحوال، فقد قامت الدولة الأموية في الأندلس، واستطاعت أن توطد فيها سلطان العروبة والإسلام، وأن تجمعها في نطاق خاص من الوحدة، وأن تمد سلطانها إلى المغرب الأقصى أحياناً، وتوطد الوحدة بينه وبين الأندلس. ولما زالت الدولة الأموية قام في مملكتها إمارات عديدة متناحرة بنزوة من أمراء الأقاليم، فلم يلبث أن قام في المغرب الأقصى دولة المرابطين التي استطاعت أن تقضي على حركة الأمراء الأندلسيين الإنفرادية، وأن تعيد الوحدة بين الأندلس والمغرب الأقصى. ثم قامت بعدها دولة الموحدين، فكانت الأندلس والمغرب الأقصى ثم الأوسط إلى حدود مصر موحدة تحت سلطانها، ثم قامت بعدها دولة المرينيين، فكانت الأندلس والمغرب الأقصى والمغرب الأوسط موحدة تحت سلطانها الأعلى كذلك بشكل ما.

وقد يقال إن الدول الثلاث غير عربية، وهذا لا يهم في الموضوع، لأن بلاد المغرب عاشت في ظلها في نطاق الوحدة. على أن ما قلناه في صدد دول الأكراد والترك والشركس يقال هنا بتمامه. حيث كان القائمون على هذه الدول مسلمين مستعربين على أشد ما يكون الإسلام والإستعراب، فضلاً عن أن أكثرية سكان البلاد كانت مسلمة، وكان أكثرها مستعرباً، حتى ليصح أن يقال أن نسميها بالدول البربرية لا يعني أكثر من نعت جنسي قديم.

ويبدو من هذا الاستعراض الوجيز الذي يعرف الدكتور عزة النص حقائقه ودقائقه دون

ريب، أن بلاد العرب منذ تمرست بالحياة الحضرية كانت تعيش في نطاق الوحدة كلياً أو جزئياً في مختلف حقب التاريخ تحت راية الدول التي كانت تقوم فيها حقبة بعد حقبة.

وقد يكون كل ما تقدم يمثل حركات ومصالح ملوك هذه الدول، وقد يقال أن هؤلاء الملوك هم الذين كانوا يفرضون الوحدة. غير أنه ليس لهذا وذاك أهمية في الموضوع، لأن التاريخ كما قال الدكتور عزة النص بحق قد شغل أكثر ما شغل بالملوك والأمراء وحروبهم ومنافساتهم، وليس هناك دليل على أن ما كان يقوم من حركات افتراقية بنزوة أمراء الأقاليم والمتغلبين كان بمشاركة الشعب، حتى يصح القول أن طبيعتنا هشة متعارضة مع الوحدة. وليس هناك من دليل على أن الشعب في معزل وجمود في ظل الوحدة حينما كان يوطدها الملوك. بل العكس هو الصحيح الذي تدل عليه صور الحياة التي كانت الأمة العربية تعيشها، حيث كان الشاميون من آراميين وكنعانيين يذهبون جماعات كثيرة إلى مصر فيعيشون فيها، والمصريون يأتون إلى بلاد الشام جماعات فيعيشون فيها، والآراميين والعموريين يذهبون من بلاد الشام جماعات إلى بلاد العراق فيعيشون فيها، والبابليين والآشوريين يأتون من العراق جماعات إلى بلاد الشام فيعيشون فيها. وكان تقارب لغاتهم التي كانت لهجات أكثر منها لغات متباينة، مما لا يزال ماثلاً في ما وصل إلينا من آثارها، هو الذي ييسر من ذلك ويتيح الآفاق أمام سكان البلاد لينشطوا في بلاد بعضهم. ولقد اتسع نطاق ذلك بما لا يقاس عليه منذ انبثاق الإسلام، حيث غدا الدين الإسلامي دين أكثريتهم الساحقة، واللغة العربية القرآنية أو ما يقرب منها لغة أكثريتهم الساحقة، وغدا تشريعهم في أصوله وفروعه واحداً. وحيث عاشت بلاد العرب في ظل الوحدة الكلية والجزئية أو الاتحادية بصورة مستمرة تقريباً، فكان ذلك مما فتح الآفاق أمام سكان البلاد، فصاروا يشتغلون ويتعيشون فيها دون ما قيد وشرط، ويسر وسهولة على ما يذكره المؤرخون، وتبدو آثاره ظاهرة في كل بلد من بلاد العرب. حيث نجد في كل بلد عربي المغربي والشامي والمصري والحجازي والعراقي واليمني يعيشون أبناء بلد واحد وأمة واحدة. حيث كانت حياة الوحدة تفتح أمامها الآفاق وتحفزها على النشاط والسياحة والتفاعل الاجتماعي والثقافي والأدبي والفني والاقتصادي الخ... وكان تقارب اللغات التي كان لهجات أكثر منها لغات متباينة مما لا يزال ماثلاً فيما وصل إلينا من آثارها مما ييسر لها ذلك. وقد صار هذا منذ انبثاق الإسلام يجري في نطاق أوسع مما كان سابقاً بما لا يقاس عليه، لأنهم عاشوا في ظل وحدة مستمرة مهما كان فيها من ثغرات سياسية، وكان الدين الإسلامي دين أكثريتهم العظمى، وحيث غدت عادات وتقاليد الزواج والأعراس والمآدب والمآتم والمعاشرة والتعامل والبيع والشراء واللهو والزينة والرياضة والسحر والأكل والشرب والأذواق والعواطف والأساليب الدينية والفنية والثقافية والمناهج الدراسية متشاركة متبادلة.

ولست أرى هذا الهتاف الهادر من أقصى شرق بلاد العرب إلى أقصى غربها بالوحدة وضرورتها، مما يعقل أن يكون مرتجلا حديثاً، بل إنه نابع من روح الأمة عبر القرون التي مر ذكرها، لأنها عاشت وراءها دائماً في ظل الوحدة، وكانت تجني منها أطيب البركات، كما كانت تتعرض حينما تنفصم بسبب النزوات

والتغلب لأقسى النكبات، كما يحدثنا تاريخنا القديم والمتوسط والحديث حديثاً صادقاً.

10 آب 1962.

***

(51) برقية هاتفية أرسلها الكاتب في 12 شباط 1963 إلى اللواء عبد السلام عارف رئيس الجمهورية العراقية بالاشتراك مع نبيه العظمة والمير بهجة الشهابي ومحمد علي دروزة.

تمهيد:

قامت في تموز 1958 حركة انقلابية في بغداد أطاحت بحكم الأسرة الهاشمية الملكية، وقام مقامها حكم عسكري برئاسة عبد الكريم قاسم. وقامت في العراق حركة تنادي بانضمام العراق إلى الجمهورية العربية المتحدة، التي كانت مؤلفة من الاقليمين المصري والسوري، وقام ضدها حركة شيوعية شعوبية انحرف فيها عبد الكريم وصار عهده عهد طاغية، قاسى العراق منه شديد البلاء والأذى. وفي 8 شباط 1963 قامت حركة برئاسة اللواء عبد السلام عارف الذي كان زميلاً لعبد الكريم قاسم في الحركة السابقة ضد عهد الطاغية، وأطاحت به، وعاد العراق نتيجة لذلك نحو الخط الوحدوي القومي. فأرسل الكاتب ورفاقه البرقية في هذه المناسبة.

نص البرقية:

السيد عبد السلام عارف رئيس الجمهورية العراقية

بغداد

تحياتنا وإجلالنا للثورة التي أزالت وصمة العار عن جبين العراق العربي المجاهد، وحطمت العقبات التي أقامها الطاغية في سبيل وحدة العرب وعزتهم وكرامتهم، وأسندت الرئاسة لبطل الوحدة، وأنعشت آمال الأمة العربية. وفّق الله العراق إلى تحقيق هذه الأهداف المقدسة بالتضامن التام مع العاملين الصادقين في سبيلها.

محمد علي دروزة - بهجة الشهابي - عزة دروزة - نبيه العظمة.

***

(52) رسالة من الكاتب للسيد منير الريس صاحب ورئيس تحرير جريدة بردى

كتبت قبيل حركة 8 آذار 1963 التي أطاحت بالعهد الانفصالي. وقد رأينا إثباتها لأن فيها صوراً لأفكار ومواقف ونشريات في عهد الإنفصال المشؤوم.

الأستاذ المجاهد منير الريس حفظه الله.

سلام الله عليكم ورحمته. وبعد، فقد اغتبطت بصدور بردى بعد طول انتظار اعتقدنا من خلاله أن يكون المجرمون قد نجحوا في منع صدورها، لما علموه من روح صاحبها القومية الوحدوية وجرأته في الحق وغلبته المحققة على باطلهم وضلالهم وأكاذيبهم وتهويلاتهم وتناقضاتهم، التي تصدر عن فقد الضمير والشرف، وتمول بأموال الرجس من رجعية واستعمارية، حتى احتكروا الميدان وانعقدت فيه كلمة الحق، وغدت سورية المجاهدة من جراء ذلك في محنة أخلاقية

مريرة، تكاد تضيع كل مزاياها في خضمها. وإني أدعو بردى أن تتمكن من دحر الباطل، وأن تكون عنوان كلمة الحق وهدف الأمة العربية في ما تكتبه في مختلف الأغراض المحلية والقومية.

ولقد أصبتم كبد الحقيقة في مقالكم الأول، الذي قلتم فيه أن الأخطاء لا يمكن أن تبرر فك الوحدة حتى لو صدق ما ذكر منها. وإن مثل ما وقع في عهد الوحدة منها قد وقع قبله وبعده في سورية وسائر بلاد العرب، لأنه من طبيعة بنية الأمة العربية. غير أن الذي أحب أن تلتفتوا إليه ولا أظنه فائتاً عن فطنتكم، أن الأخطاء هي ذريعة الذين باعوا ضمائرهم وشرفهم وأخلاقهم وأقلامهم للسحت، إلى ستر جريمة الانفصال الكبرى التي لعبت أموال الرجعية والاستعمار في الداخل والخارج في اقترافها، دون أن يكون لها ـ أي للأخطاء ـ أي مدى آخر. بدليل أنهم سكتوا ويسكتون عن أخطاء أعظم منها وقعت في سورية قبل الوحدة وما تزال تقع فيها بعدها بكل فظاعة. ولقد سألكم قبل يومين أحد فرسانهم الذي هو عار في وجود الأمة العربية: (ماذا كان ينبغي أن نصنع لتصحيح الأخطاء غير فك الوحدة؟)، وهو ورفقاؤه الخائنون يعلمون في قرارة أنفسهم أنهم يهولون ويضخمون ويهوشون ويكذبون في ذكر الأخطاء، وأنهم بالإضافة إلى ذلك يعرفون أن أخطاء الحكم طبيعية، ومن طبيعة بنية الأمة العربية. ويرون ما يقع كل يوم في سورية وغير سورية من أخطاء فظيعة، دون أن يرفعوا صوتاً في انتقادها وتصحيحها، بل وفي ذكرها، متجاهلين عن عمد وتصميم أن العداء للوحدة والتصميم على هدمها وتهويل الحكم في ظلها بل واختلاق الأكاذيب بسبيل ذلك، قد بدأ منذ قيامها، وقبل أن يظهر خيرها من شرها، ثم استمر بكل لؤم وحقد مع حملة مسعورة فاجرة لتعميق الكراهية وروح الانفصال بين سورية ومصر، وتغذية الإقليمية وإثارَتها، لمنع أي احتمال لعودة الوحدة بينهما، لأن الذين باعوا لهم ضمائرهم وشرفهم وأخلاقهم قد ارتعدت فرائصهم من هذه الوحدة ومن اندماج أقوى وأكبر مجموعة عربية في الحركة العربية، بعدما بقيت معزولة عنها بفعلهم سنين طويلة، فأخذوا يقذفون بكل ما في جعبتهم من كيد ومكر ووسوسة ومال من أول يومها. ومتجاهلين كذلك عن عمد وتصميم حقيقة أن الوحدة ليست سحراً، كما أن الاستقلال ليس سحراً، وأن الأخطاء لا يمكن أن تبرر قصمها، كما لا يمكن أن تبرر نبذ الاستقلال، وإلا فيكون الأمر تبرير قتل الإنسان ابنه لتصحيح أخطائه، وليس بعد الموت حياة. وأن بنية الأمة بعد أن رضخت للأجنبي مئات السنين، ونشأ جيلها الحاضر على مناهجه وقوانينه وخططه وأجهزته، تحتاج إلى مدة طويلة حتى تسير في الطريق السوي، وأن من المعقول جداً أن تقع أخطاء، وأنه لا يوجد بشر في الدنيا حتى ولا في مجاهل أفريقية يرتكس في فك وحدة بلاد طبيعية بسببها، وأن المجرمين بجريمتهم الكبرى قد جعلوا من سورية أسوأ مثل في التاريخ. وأن استمرار فريق من الانتهازيين والحاقدين والمأجورين في غيهم ليس من شأنه أن يغطي وجه سورية الحر العربي الوحدوي. وأن كل ما كان من حصيلة الجريمة أنها سجلت عليهم كفرهم بكل ما كانوا يدعونه أو يتاجرون به من قومية ووحدوية وتقدم وريادة.. الخ، تلك الألقاب التي هي منهم براء.

وفي اعتقادي أن من الواجب على الأقلام

الحرة أن تظل تردد هذه المعاني حتى تتم فضيحة المجرمين وتعريتهم أمام أنفسهم وأمام أمتهم وأمام البلاد العربية الأخرى، ليظل وجه سورية الحقيقي مشرقاً وضاءً لا يتحمل لعنة هؤلاء المجرمين.

وهناك نقاط أخرى أعتقد أن من الواجب التركيز عليها، منها التناقض الذي وقع فيه المجرمون حينما تظاهروا بأنهم ضد الديكتاتورية والطغيان والفردية، واختلقوا ما شاؤوا من صفات وتهويلات، وقلبوا الحقائق وحرفوا الوقائع، ثم مدوا أيديهم بل عفروا وجوههم على أقدام أسوأ وأخس وأفظع ديكتاتور في الدنيا، أي عبد الكريم، ليتضامنوا معه في محاربة عبد الناصر، وإبعاد أي احتمال لعودة الوحدة بين مصر وسورية. وأخذوا يغدقون عليه الألقاب ويبررون جرائمه ويدافعون عنه ويصورونه كالمنقذ الأعظم والملجأ الأكبر، ويغازلونه طيلة سنة ونصف، وينشرون تصريحاته بحماية سورية والدفاع ضد عودة الوحدة بينها وبين مصر. ولقد أخزاهم الله بالثورة العراقية المجيدة، فلم يند لهم جبين، إذ سارعوا إلى نسيان كل ما كان بينهم وبينه، وانقلبوا يشجبون حكمه ويعرضون أنفسهم على العراق الثائر أملًا بأن يقوم محور جديد يبعدهم عن الوحدة مع مصر ويتضامنون معه ضدها.

ومنها صرفهم نعت عدم التحرر والرجعية الذي نعتتهم به العراق والجزائر واليمن الى سورية، بقصد إثارة كبريائها القومي، في حين أن الأطفال يعرفون أن هذا النعت إنما هو موجه لعهدهم الخائن الذي قام بتمويل أعوان الاستعمار والرجعيين، والذي سلط على سورية بقوة الحديد والنار كالإنكليز والإفرنسيين في عهد الانتداب، لأن الناس في سورية وغير سورية يرون دلائله بارزة تقلع عيون المكابرين، وذلك بتضامنه مع سعود وحسين وعبد الكريم، وإقامته جبهة واحدة ضد أي اتحاد أو تقارب أو تصاف مع مصر، وتآمره معه في مختلف المواقف. ولم يكونوا يحسبوا حساب الله المنتقم الجبار، الذي أثار ثورة العراق، فدق بذلك الإسفين القوي الذي أذهلهم وأرعب قلوبهم وأحبط مكرهم وكيدهم وأوقعهم في هم مقيم مقعد، حيارى فيما يفعلون، فكان ذلك التناقض المضحك الكاذب في إعلان استعدادهم للتضامن مع العراق والمشاركة في الحملة على عبد الكريم وطغيانه، ناسين مغازلاتهم وتآمراتهم معه. ومنها دعواهم أنهم ينطقون باسم سورية، وأن الأكثرية الساحقة من الشعب يؤيد الإنفصال ويحارب الاستعمار المصري لسورية. وهذا تعبير يكفي وحده للتدليل على كفر المجرمين بكل معاني القومية العربية. وهم كاذبون في دعواهم كل الكذب، فالأكثرية الساحقة في سورية هم العمال والفلاحون، وهؤلاء كانوا سعداء كل السعادة في ظل الوحدة، لأنها ضمنت لهم مصلحتهم المعاشية بالإصلاح الزراعي وقوانين العمل وتحديد الأجور والأرباح وتخصيص العمال بجزء من الأرباح، وجعلتهم ممثلين في مجالس الشركات الخ، أقوى ضمان. ثم لأنها طمأنت كبرياءهم القومي مع سائر الشعب العربي في كل بلاد العرب بما صار للعرب بعد الوحدة من قيمة ودوي وقوة وعزة في مشارق الأرض ومغاربها، وما أثارته من آمال عظمى بشمول الوحدة وتطهير أرض العرب من كل رجس، وتكامل الازدهار الاقتصادي والثقافي والعمراني والصناعي في جميع بلاد العرب، ولن تنسى الأكثرية الساحقة كل هذا، وهي في معزل عن

كل ما يختلقونه أو يهولون به من أخطاء الحكم والديكتاتورية. وهي كانت وما تزال ترى الأخطاء الفظيعة تقع في كل دوائر الدولة وأعمالها في سورية قبل الوحدة وبعد الانفصال. وكل ما هنالك أنهم يتكلمون باسم فريق لم يهضم بعض الأضرار أو بالأحرى بعض التحديد لمكاسبهم في سبيل مصالح جمهور الشعب من إقطاعيين واحتكاريين واستغلاليين، ثم باسم فريق من المثقفين الذين برزوا على مسرح السياسة، والذين ضيقت الوحدة مجال بروزهم، وما كان يعود عليهم من هذا البروز من مناصب ومراتب ورواتب ونيابات ووزارات ونهابات وسمسرة ووكالات الخ الخ... والفريق الأخير لا يبلغ عشر طبقة المثقفين من أطباء ومحامين وأساتذة مدارس ومهندسين وصيادلة وكتّاب، الذين لم يكن لهم أو لم يطمعوا بذلك البروز السياسي الاستغلالي. وتستطيعون أن تتحدوهم معها بنوع خاص باستفتاء الشعب في الوحدة مع مصر، وبذكر جمال عبد الناصر الذي كان أعظم زعيم وقائد عربي ظهر في هذه الحقبة من تاريخ العرب، وانقادت له الزعامة العربية، وتعلقت به قلوب الأكثرية العربية الساحقة، وأنتم مطمئنون كل الاطمئنان إذا جرى استفتاء حر نزيه بأن النتيجة ستكون ساحقة قاصمة لظهورهم ومخرسة لألسنتهم ومكسرة لأقلامهم ومثبتة لكذبهم وكفرهم بكل القيم القومية في سبيل مآربهم الخسيسة، وما يغدقه عليهم أعداء الوحدة في الداخل والخارج من مال السحت. والاستفتاء المطلوب ليس هو تلك المهزلة التي تسمى الانتخابات النيابية، والتي نعرف كيف جرت وتجري. على أن الانتخابات التي جرت بعد النكسة المشؤومة ورغم ما جرى فيها من تزييف ورشوات وتهويش أثبتت شيئاً من الحقيقة القاصمة، لأنه لم يشترك فيها في المدن الكبرى من المسلمين إلا نحو عشرة بالمئة من الناخبين، إلى جانب الناخبين من غير المسلمين الذين تألبوا أشد تألب لإنجاح الانتخاب. والذين اشتركوا من المسلمين إنما اشتركوا بتأثير ذلك الفريق وأمواله وأموال أعداء الوحدة في الداخل والخارج. وهذه الحقيقة قد دمغوا بها من قبل حركة 28 آذار سنة 1962 دمغاً سربلهم بعار الأبد وفضيحته.

وفقكم الله والمخلصين لأمتهم وقوميتهم إلى ما فيه الخير والسداد، ونصرهم على أعداء الوحدة من حاقدين ومأجورين وموتورين واستغلاليين وإقطاعيين واستعماريين ورجعيين في داخل سورية وخارجها.

1963/3/7

***

(53) صور وخواطر عن عهد الانفصال بين سورية ومصر أيلول 1961 ـ آذار 1963

لقد صدمتني حركة الانفصال التي قامت صباح 28 أيلول/ 1961 صدمة شديدة متناسبة مع شدة ما كان من عظيم جهودي وآمالي وتفكيري في الوحدة التي أكاد أظن أنه لا يلحقني فيها أحد. وشغلت ذهني وتفكيري، وآثارت فيّ رد فعل شديد ضد كل عمل وأمل قومي، حتى عزمت لفترة ما على أن أكتب شيئاً بعدها عن حركة العرب الحديثة. وتخليت عما صرت أعتاده من حفظ ما يقع في يدي من وثائق وصحف، لأنها قلبت كل ما قام عندي من مفاهيم، وما كان للناس الذين كانوا يتظاهرون

بالقومية والوحدوية والاستعداد للتضحية في سبيلهما من قيم. وصرت أشعر بخيبة مريرة شديدة من المشاهد التي رأيتها من مختلف الفئات، حتى انقلب ما اشتهرت به من تفاؤل إلى تشاؤم.. ولما ذهبت في صيف عام 1965 إلى الزبداني، أخذت الصور والخواطر عن ذلك الحادث المشؤوم تتوارد عليّ من جديد، فدونتها في هذه الورقات. وقد يكون فيما دونت تقديم وتأخير وثغرات وأخطاء في الأسماء والأوقات لأني كتبتها من الذاكرة بعد أربع سنين من وقوعها. ولقد احتوت صحف سورية ولبنان ومصر تفصيلات وافية بكل ذلك، فلم أر بأساً مع ذلك في تدوين ما توارد عليّ من صور وخواطر بالشكل والأسلوب الذي جاءت به، لأن تلك الصحف والمنشورات الكثيرة الأخرى قد احتوت تسجيلات وصوراً متسلسلة لمن شاء التدوين التاريخي، على شرط أن يتحفظ المدون إزاءها تحفظاً شديداً جداً، لأن فيها كثيراً من المبالغات والافتراءات والتشويهات بالنسبة للأحداث السابقة للإنفصال، وللأحداث التي جرت أثناءه أيضا.

1 ـ كان لخبر الحركة عليّ وقع الصاعقة حتى لم أرد أن أصدقه وأخذت أهتف بشيء من الهياج بالذين أخبروني به بأنها لن تلبث أن تقمع، وأن أنصار الوحدة من شباب وأحزاب وضباط وجنود ورجال سوف يبادرون إلى إحباطها، وأن الرئيس جمال لن يلبث أن يطير إلى حلب لإدارة معركة ضدها. إن الطائرات سوف تقصف دمشق، لأن الحركة حركة تمرد من حق مركز الدولة أن يعالجها بالقمع والقوة. وكنت على مثل اليقين بردود فعل قوية وشديدة سوف تظهر في أنحاء سورية ضد هذه الحركة من القوميين والوحدويين وضباط الجيش الذي كان فيه مئات من الضباط السوريين والمصريين في المراكز الحساسة، ومن جمهور الشعب الذي كان يظهر من الحماس لزيارات جمال والهتاف للوحدة ما يملأ النفس أملاً وقوة. وكان المشير عامر نائب الرئيس موجوداً في دمشق. وكنا على مثل اليقين أنه هو الآخر كثائر سوف يتصدى للحركة بحركة ثورية مهما كلف الأمر. وخابت كل هذه الآمال، وصار اليقين عدماً وهباء. وظهر أن المشير كان في غفلة ،الذين كان منهم من هو شديد الصلة، وهو عبد الكريم النحلاوي. واشتد جمال أول يوم، ثم هبطت حرارته في اليوم الثاني، فسلم تسليماً حزيناً بما جرى (إذا كان الشعب السوري راضياً)، وقال كلمته المشهورة (المهم أن تبقى سورية). ولم يستطع أو لم يحاول الضباط المصريون أن يفعلوا شيئاً، وظهر أنهم هم الآخرون كانوا في غفلة وقد اعتقلوا دون مقاومة.

2 ـ وكان قواد الحركة من الضباط، مزيجاً من جماعة مغامرين، ومن جماعة متذمرين، يقولون أن حركتهم ليست للانفصال، وإنما هي لتصحيح الأوضاع. وكان لهم مطالب بالنسبة لوضع الجيش السوري والضباط والموظفين المصريين، والشخصية السورية الخ الخ.. وكان المغامرون ممولين من الأردن مباشرة، وبالتواطؤ والتضامن مع السعودية والمخابرات الأميركية على ما أعتقد ويعتقده كثيرون غيري. وكان المتذمرون أقوى صوتا ويداً وتجاوباً مع الشعب، فاضطر المغامرون إلى مسايرتهم، واتفق الفريقان على مفاوضة المشير في صدد المطالب، وتم الوصول معه إلى تسوية. وأذيع بيان بذلك، فكانت مظاهرات ابتهاجية شعبية، لأن الشعب وحدوي وإنما وعيه جامد. فلما رأى الانفراج نحو الوحدة تحمس

وابتهج وتظاهر. ولكن الفريق المغامر كان على ما يبدو أذكى من الفريق الأول، أو كان الذين من ورائه يوحون له بما يجب أن يفعل إزاء مسايرة المتذمرين، حيث أخذ يطالب بمطالب جديدة، مما جعل الاتفاق الأول يحبط، وصوت هذا الفريق يقوى، والانفصال يثبت. فانفرد المشير في الموقف، حتى قيل أنه جعل رهينة مع الضباط المصريين حتى لا يقوم جمال بحركة قمعية شديدة. ثم سمح له بمغادرة سورية، وبذلك ثبتت الحركة المشؤومة أقدامها.

3 ـ ومع أن جمالاً سلم بالواقع تسليماً حزيناً يائساً في اليوم التالي للحركة، فقد أذيع بعد يومين أن قطعاً بحرية مصرية جاءت إلى مياه اللاذقية، وأنزلت بعض القوات بالمظلات، فتصدت لها القوات السورية وأحبطت محاولاتها وأسرت بعض أفرادها. وقيل أن هذا كان تلبية لطلب ونداء من بعض السوريين. ولقد أثار خبر ذلك أملاً شديداً في الوحدويين وهلعاً شديداً في الانفصاليين، كما كان عكس ذلك في الطرفين نتيجة إخفاق المحاولة. وكانت العملية موضوع حملات ومبالغات وتحديات في الصحف الانفصالية. ونشرت صور أوراق مالية سورية قيل أنها صودرت من المظليين، وأنها بقيمة ملايين، ونشر شيء من ذلك بالتلفزيون. وعرف بعد ذلك أن في ما نشر شيئاً كثيراً من الكذب والتلفيق. ويجوز أن يكون جمال أعطى أمره ساعة قيام الحركة لقطعة بحرية بالتوجه إلى ميناء اللاذقية، فوصلت بعد يومين، وكان هو قد أعلن بعد يوم تسليمه الذي ذكرناه، فكان ما كان من ضجة حول القطعة البحرية التي جاءت بأمر سابق. ومما قيل عن سبب تسليم جمال بالأمر الواقع، أن نهرو رئيس الهند نبهه إلى أن هناك تحفزاً مشابهاً لحركة السويس لإحباط أي حركة قمعية من جانبه ضد الحركة الإنفصالية، وأن ذلك قد ينتج عنه مضاعفات، وأن تركية مستعدة للتدخل مدفوعة من الحلف الأطلسي وبمطمع اقتطاع ولاية حلب. بالإضافة إلى المحرك الظاهر للحركة، الطامع بعرش سورية، والذي تحت إمرته جيش قوي مطيع له، ونحن لم نستبعد كل ذلك، ولا سيما من تركية الحاقدة على سورية لتضامنها مع مصر ضد حلف بغداد.

4 ـ ولقد كان واضحاً ويقيناً وعلناً أن الملك حسين كان وراء الحركة المباشرة. وكان عملاؤه ووسطاؤه هم المتصلون بجماعة المغامرين الذين كان على رأسهم حيدر الكزبري قائد قوة البادية الهجانة. وهم الذين تصدوا لإحباط الاتفاق مع المشير عامر. وبمجرد إعلان الحركة استخفه الفرح، حتى جاء بنفسه إلى الإذاعة وأذاع بياناً بالتهنئة والابتهاج، وأعلن أن ما جرى مما يخص سورية، وأن أي تدخل لإحباطه سوف يقابل بتدخل معاكس.

ولقد شاع فيما شاع أن مما اتفق عليه مع المغامرين أن يؤلفوا حكومة، ثم تستدعيه هذه الحركة إلى دمشق وتنادي به ملكاً على سورية والأردن. وأنه لما مر يومان ولم يستدع، استدعى لورانس الشعلان الذي كان واسطة الدفع بينه وبين بعض المغامرين، وعاتبه واستعجل تنفيذ ما اتفق عليه. ولكن جو سورية لم يسعف المغامرين بأكثر مما حصل من تثبيت الإنفصال. فحبط أمله.

5 ـ ولقد ابتهج الرأسماليون وأصحاب المصانع والإقطاعيون بالانفصال، وكان الأولون وعلى رأسهم رجال الشركة الخماسية يوزعون المآكل والحلويات على دوريات الجيش التي

كانت تجوب الأزقة وترابط في بعض الأماكن الحساسة في دمشق للإرهاب وحماية المؤامرة. وكان ذلك منهم نتيجة حقدهم على الوحدة، وما أعلنه جمال قبل شهرين من القوانين الإشتراكية ومراسيم التأميم، وقبلها من قوانين الإصلاح الزراعي التي تسمح بأخذ الزائد من الأراضي من يد الإقطاعيين وتمليكه للفلاحين، ومن قانون العشائر الذي حدّ يد المشايخ عن أفراد العشائر. وكان المشايخ هم الذين سجلت عليهم أراضي قبائلهم، وصاروا هم المتحكمين فيها وفي أفراد قبائلهم. وكانوا بالإضافة إلى ذلك لا تطالهم القوانين الجزائية المعتادة، فصحح القانون كل ذلك. . .

ولقد كانت النقمة والغيظ شديدين في جمهور الشعب العربي في الأردن والعراق ولبنان والجزائر والخليج العربي على ما سمعناه ممن قابلناه من أهلها وقرأناه في جرائدها.

وكانت النقمة في الأردن شديدة على الملك حسين، لأن أصبعه كانت ظاهرة، حتى صار يخشى على نفسه، وظل لا يعرف النوم الهنيء ولا الطمأنينة إلا بعد أن استطاع بعد سنتين أن يجد طريقة ليتصالح مع جمال.

6 ـ وإذا كان الشعب السوري لم يقم بحركات مجدية في بداية الانفصال، فإن مرد ذلك إلى ضعف الوعي الإيجابي المتحرك بذاته في جمهورنا العربي عامة، وكان مما بدله من قواد يقودونه ومنظمين ينظمون نقمته. ولو تيسر له ذلك لكان فعل الأعاجيب.

ولكن لم يتقدم أحد من القياديين الوحدويين من ضباط وحزبيين وعقائديين الى قيادته وتنظيمه وانكمشوا أو ذهلوا لمدة ما. ولقد أثبت نقمته على الانفصال وحماسه للوحدة، حينما أعلن التوافق بين المشير عامر وقواد المؤامرة أو بعضهم، حيث قام بمظاهرات فرح وابتهاج عارمة على ما مر ذكره. وعتبنا خاصة هو على جماعة القوميين العرب (جورج حبش والحكم دروزة وهاني الهندي ورفاقهم)، التي كانت أقوى من اندمج في تيار الوحدة وتعلق بها. ولقد نشطت هذه الجماعة فيما بعد نشاطاً دعائياً قوياً كان له الأثر في ثورة 8 آذار 1963، التي أطاحت بالانفصال، بدليل أنهم أشركوا في الحكم والوزارة حينما قامت ونجحت الحركة المذكورة. ولم يندمج أي منهم في عهد الانفصال.

7 ـ ومن الحق أن أذكر في هذا السياق أنه مع موقف أقطاب البعث الذي ذكرته في سياق رسالتي إلى الاستاذ صلاح الدين البيطار الواردة في الرقم (49)، أن كثيراً من البعثيين ضباط وغير ضباط كانوا ضد الانفصال بدءاً واستمروا. وقد حاول بعضهم القيام بحركة انقلابية وحدوية في حلب على ما سوف يأتي شرحه بعد. وهم الذين قاموا بحركة الثامن من آذار 1963 مع مساهمة عناصر وحدوية أخرى، وأطاحوا بالعهد الانفصالي المشؤوم. وكانت العناصر الأخرى التي ساهمت بأسلوب باقي الحركة واشتركت نتيجة لذلك في الحكم الذي قام نتيجة لها تمثل تنظيمات القوميين العرب والاتحاد الاشتراكي والوحدويين الاشتراكيين والجبهة العربية المتحدة التي ذكرنا بروزها ونشاطها أثناء الأنفصال في الرقم (48) بمناسبة تأييدنا لمذكرة قدمتها إلى رئيس جمهورية الانفصال.

8 ـ ومن الجدير بالتسجيل أن الذين قاموا بحركة الإنفصال كانوا يتظاهرون بالوحدوية، وكانوا يصبون كرههم وحقدهم على الوحدة المصرية السورية، ويظهرون سيئاتها، ويزعمون أنهم طالبوا الوحدة الكبرى. حتى أنهم أصدروا

جريدة بهذا الإسم، جعلوا رئيس تحريرها سامي الدهان الذي كان يدس السم بالدسم في ما يكتبه من وحدويات.

9 ـ وقد أصدروا كتيباً ملأوه بكثير من الأكاذيب والمفارقات والمبالغات لتبرير حركتهم. ووزعوه على مقياس واسع. وجمع أكرم حوراني ما كتب من مثل ذلك في كتب بدوره ووزعه على مقياس واسع أيضاً. وفعل مثل ذلك أحمد عبد الكريم كذلك.

10 ـ بعد أن اطمأن القائمون بحركة الانفصال المشؤوم إلى استقرارها، قدمت الحكومة التي أقاموها برئاسة مأمون الكزبري مذكرة إلى هيئة الأمم تعلمها فيها أنها فكت ارتباطها بالوحدة مع مصر، وتطلب استعادة مقعدها، وقبل طلبها بدون معارضة، لأن مصر هي صاحبة الحق بالاعتراض فسكتت.

11 ـ ثم تقدمت بمثل ذلك إلى جامعة الدول العربية، وقال مندوب مصر فيها أن مصر لا تعارض في استعادة سورية لمقعدها في الجامعة، ولكنها تطلب تأليف هيئة تحقيق عربية محايدة لتحقق في كل ما نسب إلى عهد الوحدة. وهي واثقة من أن التحقيق سيظهر أن كل ما نسب إلى مصر وعهد الوحدة كان كذباً وافتراء. وكان القائمون على حركة الإنفصال أصدروا بعد قيامها بياناً طويلاً نسبوا فيه كثيراً من الأعمال والتصرفات السيئة الضارة الخاطئة إلى مصر ومندوبيها وحكومة الوحدة. وكان مملوءاً بالأكاذيب والافتراءات والمبالغات. ووقف جمال الفرا مندوب سورية، فقال إننا لا نريد أن نرجع إلى الوراء ونوسع الخلافات وندخل في مهاترات. فوقف الأمر عند هذا الحد. واستعادت سورية مقعدها في الجامعة العربية أيضاً.

12 ـ ولقد جمع قادة الانفصال بعد أيام قليلة من الحركة، وبعد أن اطمأنوا إلى استقرارها، فريقاً كبيراً من رجالات سورية البارزين، فيهم رؤساء وزارات ووزراء سابقون، وفيهم المحامون والأطباء وأساتذة من الجامعة وملاكون ورأسماليون وتجار، وعرضوا عليهم بياناً فيه تبرير لحركة الانفصال وتعداد الأخطاء، وتصرفات فيها كثير من التجني ضد سورية وشخصها واقتصادها. وطلبوا منهم توقيع البيان، فوقعه نحو 100 شخص منهم، وكان منهم غير واحد من زملائنا وإخواننا في الحركة العربية منذ أمد طويل، وكانوا مبتهجين بالوحدة حينما تمت. وكان منهم على ما بقي في الذاكرة توفيق الحياني ونجيب الأرمنازي وحسن الحكيم وفخري البارودي وشفيق سليمان وعبد الكريم العائدي وأبو الهدى اليافي وعبد القادر الميداني وظافر القاسمي وصبري العسلي ومعروف الدواليبي ومحمد المبارك ولطفي الحفار وبدوي الجبل وعرفات الجلاد وصبحي أبو غنيمة وعفيف الصلح ورشاد برمدا وسامي الدهان وشفيق جبري وغيرهم من أمثالهم، بالإضافة إلى أركان البعث ميشيل عفلق وأكرم الحوراني وصلاح الدين البيطار وخليل كلاس ومصطفى حمدون وعبد الغني قنوت وأحمد عبد الكريم ورياض المالكي وغيرهم. بالإضافة إلى عدد من التجار والملاكين والإقطاعيين.

13 ـ ولقد كانت تبريرات الوحدويين من إخواننا وزملائنا في الحركة العربية لتوقيعهم على البيان متنوعة. منهم من كان يعلل بالتهور والتعجل اللذين جريا في التأميم والقوانين الاشتراكية. أو بالأخطاء التي وقعت في سياق تطبيق الإصلاح الزراعي، أو بأسلوب الحكم وأجهزته وضياع شخصية سورية وكرامتها، أو

بالديكتاتورية الفردية، أو بإهمال الشخصيات السورية وعدم استشارتهم، أو بهضم حق سورية في البروز، أو بالإستغلال المصري وكثرة الموظفين والضباط المصريين الخ الخ.. محملين مسؤولية كل ذلك على الرئيس جمال، ومتناسين لما كان وراء حركة الانفصال من أصابع خارجية عربية وغير عربية، وهي الأصابع التي أنجحت الحركة. وكان أصحابها يصدرون عن حقد ضد الوحدة من أول أيامها، وأن الأصابع العربية المباشرة كانت تتحرك بالأصابع الإنكليزية والأميركية، لأن الإنكليز والأميركان رأوا في جمال وثورة مصر قوة دافعة للحركة القومية العربية، ثم رأوا في الوحدة بوادر دخول هذه القوة في مرحلة نشاط ضد مصالحهم الإستعمارية.

ولقد كانت الدعايات الإنكليزية والأميركية واليهودية والهاشمية والسعودية الذين انحازوا إلى هؤلاء في مناوأة الوحدة خوفاً من منافسة جمال ومصر وقوة دفعهما للقومية العربية والاشتراكية العربية من أول يوم قامت فيه، بعد أن أخفق الملك السعودي في منعها برشوته الضخمة لعبد الحميد السراج. وكانت هذه الدعايات مليئة بالتهجم والأكاذيب والدسائس. وكل هذا قبل أن يتاح الوقت لظهور ما زعم وضخم وبولغ فيه من أخطاء وتصرفات وشذوذ وتهور أثناء الوحدة، بحيث كانت هذه المزاعم ذرائع آنية اتخذها المتآمرون والحاقدون ومن كان وراءهم. ومن عجيب أمر أولئك الإخوان والزملاء أنهم كانوا يعترفون بأن الأصابع العربية الخارجية والأصابع الإنكليزية والأميركية هي التي كانت وراء حركة الانفصال وهي التي أنجحتها. وغفلوا عن أن هذه الأصابع لم تكن في أي حال تريد خير سورية وإنقاذها، وإنما أرادت فصم الوحدة لأنها رأت فيها بادرة لقوة العرب ونهوضهم وهيبتهم ومعرقلاً لمطامعهم ومصالحهم وخططهم وظلوا رغم ذلك يرددون ما ساقوه من مبررات ترديداً غبياً على أحسن الفروض. وكشفوا بذلك عن عدم إدراكهم لأبعاد الوحدة ومداها الصحيح، وهي أنها مسألة مصيرية وجودية لا ترتبط بشخص ولا ظرف ولا أسلوب حكم. لأن كل ذلك عابر، وأنها من الممكن أن تسير إلى الإصلاح. وأنه لو صح سوق مثل هذه المبررات لما اتحد بلد شقيق مع بلد شقيق آخر. بل ولا إقليم مع إقليم آخر، لأن لكل قطر وناحية وإقليم ما يمكن أن يشكو منه من التي هي أكبر منها، وأن تلك المعاذير لا يصح في أي منطق أن تحمل على الوحدة لذاتها.

وكانوا يبالغون كثيراً فيما يذكرون من أحداث وأخطاء. ومع التسليم بأن منها ما وقع أثناء الوحدة، فقد تناسوا وتجاهلوا حقائق كثيرة كانوا يعترفون بها حينما كنا نتناقش معهم. فليس فيما يذكرونه من مآخذ وأخطاء شيء لم يكن في سورية وفي مصر وفي البلاد الأخرى قبل الوحدة وبدونها. وليست الوحدة سحراً تزول بها فوراً كل العيوب والنقائص التي هي رواسب السنين والأجيال والأجهزة والقوانين والتربية الاستعمارية. وهكذا انكشف هؤلاء الإخوان عن ضعف في الإيمان القومي والوحدوي الذي كانوا يتظاهرون به، وبدا أن ما كانوا يظهرونه من رغبة في الوحدة وإيمان بها وهتاف لها وسعي في سبيلها ليس إلّا قشرة رقيقة. وانهم كانوا يقيسون الوحدة أو يفترضونها بمقاييس وفروض بعيدة عن مداها وأبعادها القومية الصحيحة فلم تلبث تلك القشرة أن زالت عند أول تجربة واحتكاك، لتظهر تحتها إقليمية عميقة وأنانية

ومطامح شخصية وقصر إدراك لمدى الوحدة وأبعادها وتجربتها.

وقد تناسوا في غمرة هذا الانفعال النفسي والعاطفي والإقليمي والنفعي ما صار للعرب بفضل الوحدة التي قامت من إسم داوٍ في مشارق الأرض ومغاربها، ومن هيمنة وقوة مادية ومعنوية، وما تم في عهدها في سورية من مشاريع وإصلاحات كثيرة صناعية وزراعية وتشريعية وعمالية وتنظيمية، كانت تتلاحق خطواتها وتؤتي مع الزمن أكلها.

14 ـ ولا نذكر الكثيرين الذين اندمجوا في حركة الانفصال وابتهجوا بها من الذين لم يكونوا قوميين ووحدويين ورجال حركة عربية ووطنية أصلاً، فهؤلاء كانت الإقليمية شديدة قوية الجذور فيهم. ولم يرتاحوا للوحدة حينما قامت وكانوا ناقمين. ومنهم الذين تأثرت مصالحهم بما صدر في عهد الوحدة من تشريعات وإصلاح زراعي وتأميمات من أصحاب المعامل ومشايخ القبائل. ومنهم جملة من المشايخ الدينيين الذين زعموا أنهم أهملوا في عهد الوحدة. والإخوان المسلمون الذين كانوا حاقدين على جمال بسبب صدامه مع جماعتهم. ومنهم الشيوعيون الذين كانوا ينشطون في سبيل تقوية حركتهم في سورية، وكانوا يحسبون أن الرياح تجري بما تشتهيه سفنهم، ولا سيما أن بعض زعمائهم كانوا أصحاب مراكز في الجيش، ومنهم عفيف البزري الذي كان رئيس أركان الجيش. وكانوا يتهيأون لانقلاب يستلمون به الحكم في سورية، فقضت الوحدة على مطامحهم. ومنهم موظفون سوريون كثيرون تحسبوا من أنهم سوف يغمرون بسعة نطاق الوحدة، في حين كانوا يرون لأنفسهم حظاً للترقي في نطاق سورية الضيق. وكان لهؤلاء أثر شديد في ما كان من سلبيات عهد الوحدة التي حسبت ضدها واتخذت ذرائع ومبررات للانفصال. .

15 ـ ولقد كان عدد من الصحفيين من المندمجين المبتهجين أيضاً، منهم نصوح بابيل وأحمد عسه ووديع الصيداوي والقواص، أصحاب جرائد الأيام والرأي العام والنصر والعرب. وصدرت جرائد انفصالية أخرى لأكرم الحوراني والإخوان المسلمين انضمت إلى هذه الجوقة.

وكان يكتب في هذه الصحف مقالات مقذعة في الشتيمة والتجريح عن جمال ومصر فيها ترديد لمزاعم الأخطاء والتصرفات بأسلوب مثير. وكان يبدو أن منهم من وظف لذلك. ومنهم زهير الشلق الذي كان يكتب كل يوم مقالاً عن جمال مملوء بالسخرية والبذاءة والتهم . ومنهم أحمد عسه صاحب الرأي العام الذي شاع عن علاقاته المريبة بالمخابرات الاستعمارية والصهيونية معا، حيث كان يكتب يومياً مقالات ونبذاً عن سوء حالة مصر ونقمتها على جمال وحكمه، وما ينشر في مصر من مناشير ضده، وما يقوم من تمرد في الجيش عليه، وما ملأ قلبه من خوف من كل ذلك، حتى صار سجين بيته محيطاً نفسه بحراسة شديدة.

وفتحت النصر أعمدتها لمحمود أبي الفتح، وهو الذي كان هارباً من مصر وناقماً على ثورة الأحرار ومتآمراً عليها، وهو صاحب جريدة المصري. وقد كتب سلسلة مقالات وصم فيها جمالاً بالعمالة للاستخبارات الأمريكية قبل حركة الثورة، وادعى أن هذه الحركة من تخطيطها. وكانت أقلام كتاب هذه الصحف تتبارى بهذه الأكاذيب، فكان ذلك من أشد ما

ابتليت به النفوس والأذهان من بلاء ومحنة. واستمر كل هذا البلاء والهراء والقذارة إلى آخر عهد الانفصال. وظهر الثراء على أصحاب هذه الصحف.

ونظم بدوي الجبل وشفيق جبري قصيدتان فيهما هجو للوحدة ولجمال ولمصر، وصارت الصحف والألسن تتغنى بهما، وكانت صلة الملحقين الصحافيين في سفارات الأردن والسعودية وبريطانية وأميركا بل والسفراء والسفارات بالصحف وكتابها ملموسة بصورة مفضوحة. وصار حديث الشيكات التي تدفع لهم حديثاً للناس، حتى لقد كتبت جريدة المضحك المبكي إعلاناً ساخراً عن مكافأة كبيرة تدفع لمن يكتب أعنف مقال وأشده ضد جمال والوحدة. .

16 ـ ومن عجائب مكر هذه الفئات أنها ظلت بكل صفاقة وغباء تردد هتاف الوحدة وتقول بوجوبها، على أن تقوم على أساس صحيح فيه تصحيح للأوضاع، إدراكاً منها وللعار الذي تسربلت بهما سورية أشد البلاد تظاهراً وهتافاً للوحدة، دون أن يدروا أن مثلهم كمثل من يقتل ابنه لأجل إصلاحه. وأن من الخزي العظيم أن تكون سورية التي يتبجحون بأنها أشد البلاد تعلقاً بالوحدة هي المنفردة في هذا العار، لأن الوحدة قد ضربت ضربة قاتلة بهذه الحركة المشؤومة قد تمر عشرات السنين دون أن تتحرك المساعي منها نحوها. وأعجب ما في الصورة وأخزاها أن معظم هذه الفئات تعترف أن المستعمرين وعملاءهم وأموالهم كانوا وراء هذه الحركة أو النكبة.

17 ـ ولقد ترأس أول حكومة انفصالية مأمون الكزبري ابن عم أحد أبطال مؤامرة الانفصال. وكان نائباً في برلمان الوحدة، وركناً بارزاً في تشكيلة الاتحاد القومي الذي قام كتنظيم شعبي في سورية ومصر معاً في ظروف الوحدة، حيث يبدو في هذا صورة من الصور المزيفة التي كان يتظاهر بها بعض رجالات سورية، وكان شديداً في انفصاليته وتثريبه لعهد الوحدة وإلصاق المطاعن والأخطاء بها وتبرير الانفصال. ولقد قيل فيما قيل إنه اندمج في المؤامرة قبل وقوعها. . وكان ترؤسه للحكومة الانفصالية الأولى من الأدلة على صلته بالمغامرة مسبقاً. والتي كان حيدر الكزبري وأخوه الضابطان في الجيش السوري من رؤوسها. ولقد سمعت أن مأمون كان قبل الانفصال في أوروبا، وأنه زار الرئيس شكري القوتلي الذي كان في سويسرة حينما وقع الانفصال.

18 ـ ومن أشد الصور إثارة للحزن والأسف موقف الرئيس القوتلي. . ولقد كان في سويسرة. وسمعت أن مأموناً زاره كما قلت آنفاً. وقد ذكرت الصحف أنه أدلى بتصريح مؤيد للانفصال: وأنه اتصل بمأمون بعد تأليفه الوزارة وهناه وبارك له. وكدت أصعق. وظننت أولاً أن ذلك كله أكاذيب صحفية للتطمين والتدعيم. وكانت الأكاذيب الصحفية من أجل ذلك متواصلة تعبق منها رائحة الإفتعال والافتراء.

وبعد أيام عاد إلى دمشق، وتوافد قادة الحركة والحكومة ورجالات سورية السياسية والإقطاعيين وكبار التجار على بيته. ولم يلبث أن أذاع بياناً أمام التلفزيون كرر مباركته للعهد الجديد، وأطنب في تثريب عهد الوحدة وأخطائها المتنوعة، فازددت حزناً وأسى. وكنت أظن وأتمنى أن يكون قد صعق من الحركة، وأنه لن يعود إلى سورية بل يذهب إلى مصر

معارضاً محتجاً على هدم البناء الشامخ الذي شارك في تشييده، والذي منح العرب إسماً داوياً وقوة معنوية عظيمة في العالم، وأملاً شديداً بالقومية والعزة والازدهار. ولكنه انكشف هو الآخر عن ذلك الضعف الذي انكشف في إخواننا على ما شرحناه قبل، وهان عليه أن ينزل عن عرش تبوأه كان محاطاً فيه بهالة من الاحترام والرعاية من الجميع، ومعتبراً به الأب الروحي للوحدة والدولة، وصار لقبه (المواطن الأول) مثلاً معبراً عن ذلك المجد الذي بلغه، لأنه كان الوحيد بين الزعماء، الذي قبل أن يضحي برئاسة الجمهورية في سبيل الوحدة.

ولقد قيل إن مأمون الكزبري زاره في جولته في أوروبا، وأن الملك سعود كان يقيم في مكان قريب من إقامته حينما وقعت النكبة. وربط الناس بين هذه وبين هذا الموقف الذي وقفه. ولقد أحزنني موقفه أكثر من كل إنسان، لأني بذلت جهدي معه ونجحت في تشجيعه وتحريضه على الدأب في سبيل إقامة الوحدة وإقناع جمال وسعود بها منذ سنة 1954، وكتبت له المذكرات وتجاوب هو واندفع. وكان يذهب إلى مصر ويعود ليظهر لي أسفه، لأن جمالاً غير مرتاح للفكرة. وقال لي إنه أرسل إليه أنور السادات ليرجوه بتأجيل بحثها إلى اجتماع بينه وبين الرئيس شكري والملك سعود، كان العزم على عقده بعد تجديد رئاسته. وكان يقول لي إن جمالاً يتحجج بأن الملك سعود غير مرتاح للوحدة، فاقترحت عليه أن يكتب هو لسعود، فكتب وجاءه جواب يظهر فيه ارتياحه للفكرة استعداده للسير فيها وأطلعني عليه. وقد ظللت ألح عليه وظل هو مندفعاً، حتى لان جمال وتجاوب مع سورية حينما قررت حكومة صبري العسلي مع البرلمان عرض إقامة اتحاد بين سورية ومصر في تموز 1956، حيث قرر مجلس الأمة المصري الموافقة على ذلك، ثم توقف السعي بسبب العدوان الثلاثي. وبعد قليل من ارتداد العدوان وكانت سورية وقفت أقوى موقف تضامني مع مصر في ظروفه وقطعت أنابيب النفط، استؤنف الحوار مع مصر لأجل الوحدة، ووصل الأمر إلى خاتمته السعيدة، وكان الابتهاج والحماس بالغين على جميع الناس، وشكري كالقديس مناراً للتعظيم والتمجيد.

ولقد صممت في نفسي على مقاطعته بسبب موقفه، ويظهر أنه شعر بذلك، فأرسل من يسأل عني ظناً أني مريض، ويقول بأنه يجب أن يراني، وأنه لولا مرضه لزارني. فارتأى أخي أبو الحكم أن نزوره، وذهبنا معاً لزيارته. وبعد مراسيم السلام قلت له أني كنت أتمنى أن تبقى على الأقل على الحياد حتى تكون الخيط الذي يمكن أن يربط الوحدة بين مصر وسورية، ولكنك قطعته بمباركتك للانفصال، ثم ببيانك العجيب في التلفزيون. وحاول أن يبرر ذلك بما كان من خطوات التأميم التي أثارت نقمة الناس وأثرت تأثيراً سيئاً على اقتصاديات سورية، ثم بما كان من تهور وشذوذ وسوء تصرف أثناء الوحدة. واتهم جمالاً بالسير نحو الشيوعية وما في ذلك من مناهضة للدين. ففندت أقواله وأظهرت له ما فيها من مفارقة ومبالغة، وقلت له أن كل ذلك لو صح لا يمكن أن يبرر فك الوحدة التي هي وجودية ومصيرية. وقلت له إن نقمة الناس المزعومة لم تكن هي التي أحدثت الانفصال، وإنما أموال الحسين وسعود والإنكليز والأمريكان من ورائهما. إن أصابع الجميع كانت بارزة يقينية، وإنهم حاقدون على الوحدة من أول يومها، بل منذ قيام الحوار بين

سورية ومصر لأجلها، وكانوا يتأهبون لمنعها ويتآمرون قبل التأميم. وأنهم لم يفعلوا ذلك لنجدة سورية وإنقاذها بطبيعة الحال، وإنما لأنهم رأوا في الوحدة خطراً على مصالحهم ومآربهم. فاعترف بذلك. وقلت له إني كنت خلال السنين السابقة على صلة دائمة به، وبيني وبينه من ارتفاع الكلفة وحرية تبادل الرأي ما يعرف، ومع ذلك لم أسمع منه نقداً ولوماً، بل كنت أسمع الثناء والإعجاب.. وليس المعقول أن تكون نقمته بنت ساعة. فجمجم إزاء ذلك، ثم عاد إلى تبرير ما كان منه، وكرر الأسباب التي ذكرها.. ولقد علمت أنه أذاع بيانه نتيجة إلحاح جماعة الشركة الخماسية ورجال الإنقلاب وحكومته، حيث قدروا أن ذلك يقوي تبرير الحركة واستقرارها. وكان عنده حينما زرناه أنور القطب، وهو من أركان الشركة الخماسية، وكان أركان هذه الشركة من أشد الفئات ابتهاجاً بالانفصال واندماجاً فيه، ولقد جنحت مصر بعد حركة الانفصال بأيام إلى عملية فرض الحراسة على أصحاب الأموال والثروات الطائلة، حتى لا يمثلوا الدور الذي مثله زملاؤهم في سورية، وكان من جملة من وضعت الحراسة عليه زوج ابنته فائز العجل. ولعل هذا أيضاً مما أثاره وجعله يقف موقفه ويحمّل الوحدة ذنباً لم يكن ذنبها على كل حال. وبعد ذلك انقطعت عنه، وكان هذا آخر العهد بيني وبينه. وقد قاطعه غيري من الذين ظلوا على إيمانهم بالوحدة، وغضبوا من الجريمة وحزنوا مثلي. ومنهم نبيه العظمة والأمير بهجة الشهابي ونهاد القاسم وغيرهم. ولقد قال لي نهاد القاسم الذي كان وزيراً للعدل في زمن الوحدة، أنه كان يتردد عليه، ولم يسمع منه أي شكوى وتذمر، وأنه كان حينما يزور مصر ويجتمع بالرئيس جمال يحمله سلاماته واحتراماته له ويبلغها له، ويحمله هو بالمقابلة مثل ذلك، دون أي نقد وشكوى. وأن الرئيس جمال دعاه بواسطته إلى مصر، وكان يحيطه بكل رعاية وتوقير. وكان حينما يزور دمشق يزوره في بيته في نفس اليوم الذي يصل فيه.. ومع الأسف أنه استمر في خطته وصار بيته بمثابة أركان الانفصال رسميين وغير رسميين، وصار يتصدى لإصلاح البين والتوفيق عندما كان ينشب خلاف بين الانفصاليين. وكان هذا يتكرر كثيراً ويؤدي إلى أزمات وزارية وعسكرية. وبخاصة بعد أن قام حكم نيابي بعد بضعة أشهر من الحركة المشؤومة، حيث كانت حكومة الانفصال الأولى قد وعدت بذلك.

ولقد أثار موقف شكري القوتلي عجيب وغضب كثير من الناس في سورية وخارج سورية. وكان القادمون من خارج سورية يقولون ذلك ويتذكرون ما أحرزه القوتلي من تجلة واحترام حينما قبل التضحية بمركزه، ويتأسفون ويتألمون لما كان من موقفه الجديد.

19 - وأقرر في هذه المناسبة أن نقمة الجماهير على الانفصال والإنفصاليين كانت عامة في سورية والأقطار العربية الأخرى، مما كانت بوادره تظهر في مختلف المناسبات وفي الصحف وعلى ألسنة الناس، بحيث يمكن القول إن الانفصال والانفصالية كانوا معزولين ممقوتين شعبياً، ولم يكن لهم سند إلا حراب الجيش الذي كان يملك زمامه ضباط الإنفصاليين، ثم جماعات الإقطاعيين والرأسماليين الذين اندمجوا معهم، بالإضافة إلى السياسيين الذين أيدوا الانفصال. ومن المحتمل كثيراً أن يكون كثير من الموظفين وخاصة كبارهم في سورية باستثناء أكثر أساتذة

المدارس الثانوية والابتدائية كانوا راضين عنه أيضاً بباعث الإقليمية من جهة والخوف على مراكزهم في ظل الوحدة الواسع الذي قد لا يتسع لهم من جهة أخرى. أما أساتذة المدارس فلم تكن عقدة مثل هذه عندهم، فظلوا على سجيتهم وشعورهم مع الوحدة وضد الانفصال. وقد وقفوا من الحكومة الانفصالية مواقف عديدة كانت الدليل على ذلك. ومن مواقفهم الرائعة إضرابهم العام في عهد وزارة معروف الدواليبي ورشاد برمدا وزير المعارف، وقد كاد يتطور إلى حركة وطنية وحدوية قوية، وهز أعصاب وأركان دولة الانفصال، حتى اضطرت إلى مراضاتهم وتلبية طلباتهم.

20 ـ ولقد كانت حكومة الكزبري وعدت بإجراء انتخابات نيابية والعودة إلى الحياة الدستورية التقليدية. واشتد الإلحاح على الوفاء بالوعد، وكان الجيش وراء الإلحاح. وحاول مأمون وحكومته أن يبقى في الحكم أثناء الانتخابات، وسانده فريق من قادة الانقلاب والعسكريين، غير أن فريقاً آخر ناوأ ذلك، وتأزم الموقف بسبب الحملات التي كانت تبثها وسائل إعلام مصر على الكزبري، فأدى ذلك إلى استقالته وقيام حكومة انتقالية من أعضاء غير سياسيين وغير مرشحين للانتخابات برئاسة الدكتور عزة النص الأستاذ في الجامعة السورية، وكان معه في الوزارة غير واحد من أساتذة الجامعة وكبار الموظفين. ولقد كان عزة النص هذا من أقوى المتظاهرين بمناصرة الوحدة ودعاتها، حتى أنه ألف كتاباً في جغرافية البلاد العربية نوه فيه بالخصائص التاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يمتاز بها الوطن العربي وأهله، والتي تجعل الوحدة العربية الشاملة طبيعية.

وبعد أن صار رئيس حكومة أخذ يحمل على الوحدة ويردد ما ذكره الإنفصاليون من أخطاء وأحداث فيها كثير من المغالطات والمبالغات. وهكذا كشف هو الآخر عن قشرته الوحدوية التي ما لبثت أن زالت بقوة الروح الإقليمية الراسخة في الأعماق، وعن سطحية قياسه الوحدة بالمقاييس العابرة. ونسي ما كتبه في كتابه، فكتب من جديد مقالاً بعد أن انتهت رئاسته نشرته له مجلة المعرفة، أنكر فيه قابلية العرب للوحدة، وهشاشتها فيهم، وازورارهم عنها في مختلف الأدوار. وقد كتبت مقالاً رددت عليه، أثبت فيه من وقائع التاريخ القديم والحديث ما ينقض أقواله، وأرسلته إلى المعرفة فلم تنشره. وقد أوردته في هذه المجموعة في الرقم (50).

21 ـ وجرت الانتخابات النيابية في عهد حكومة النص هذه، وقد قاطعها السواد الأعظم من المسلمين وبخاصة في دمشق وحلب، نتيجة للنقمة الشديدة على الانفصال، وتدليلاً عليها. ولم يشترك فيها إلا الفئات الرأسمالية والإقطاعية والسياسيون التقليديون الذين أيدوا الإنفصال، وأركان حزب البعث بشطريهم ـ قبل الانشطار ـ. واشترك كذلك الإخوان المسلمون الذين اندمجوا في الانفصال من بدايته نتيجة لحقدهم على جمال بسبب ما كان بينه وبين جماعتهم في مصر. ولقد كان اشتراك في المدن الصغيرة أوسع من دمشق وحلب، بدافع من الاعتبارات والمنافسات المحلية التي تتغلب على سواها في الانتخابات. وكان إقبال المسيحيين عليها على أوسع نطاق. وكانت أصواتهم في حلب ودمشق وحمص واللاذقية التي يتكتلون فيها هي التي أكسبت الفائزين من المسلمين، بل التي أعطت شيئاً من قوة حركة

الانتخاب في هذه المدن التي كانت غالبية المسلمين فيها مقاطعين لها. وكان هذا ملموساً بصورة قوية في فرز الأصوات. ولقد نجح أكرم الحوراني ورفاقه الاشتراكيون في حماه، بسبب جعل حماه والقرى دائرة واحدة، وسقط نتيجة لذلك المرشحون من أهل المدينة المناوئون لهم من أمثال العظم والبرازي.

وسقط صلاح الدين البيطار الذي رشح نفسه في دمشق برغم حياده ونيله عدداً غير قليل من الأصوات.

ونجح في الانتخابات عدد من الإخوان المسلمين، من جملتهم عصام العطار وزهير الشاويش نتيجة لتنظيمهم الحزبي. ونجح عدد من الساسة المؤيدين للانفصال مثل معروف الدواليبي وأحمد قنبر ورشاد برمدا وخالد العظم وسهيل الخوري ومأمون الكزبري.

22 ـ ولما تمت انتخابات المجلس النيابي واجتمع المجلس، قرر اعتماد دستور سنة 1953، ثم ترشح ناظم القدسي لرئاسة الجمهورية، وعاضده قادة الانقلاب ونجح. واختار هذا معروفاً الدواليبي لرئاسة الوزارة. وكان هذان الرجلان من أكثر الناس حماساً للوحدة وهتافاً بها.

ولقد كانت حكومة الانفصال سارعت منذ بدء حكمها إلى إلغاء قوانين التأميم والإصلاح الزراعي، فكان أكرم وجماعته يسعون للاستيلاء على الحكم وإعادة التأميم والإصلاح الزراعي. وكان الإخوان المسلمون يناوئون ذلك. وكانت صحف الطرفين تتبادل التهم والشتائم والتهديد والوعيد. وصار عصام العطار وأكرم الحوراني قطبي الرحى في الدولة، يثيران الأزمات ويسعى بينهما للتسوية والتهدئة. ولقد كان ناظم من أقوى دعاة الوحدة قبل قيامها ومن عهد مبكر.

وكان اول من قدم مذكرة رسمية بالمطالبة بها لجامعة الدول العربية حينما كان رئيساً للوزارة سنة 1951، شرح فيها ضرورة الوحدة ووجوب الاتفاق على وحدة ما، لأنها العلاج الوحيد لحالة الأمة العربية بعد النكبة، ولعلاج هذه النكبة. وكان مندمجاً في عهد الوحدة، ويرسل برقيات التهنئة لجمال في المناسبات، وكان معروف الدواليبي ألقى محاضرات عديدة في مصر في القومية العربية والوحدة العربية قبل الوحدة السورية المصرية وفي أثنائها. فاستبشر الوحدويون بتوليهما الرئاستين.

وكان يوم 22 شباط الذي كان إعلان الوحدة في مثله سنة 1958 قد قرب، فأمرت الحكومة بإقامة الزينات إحياء لذكراها، فجاء هذا مقوياً للاستبشار. وكان بيني وبين الدواليبي صلات ود وتزاور قبل الوحدة وفي أثنائها، فأبرقت له برقية أعلن فيها استبشاري برئاسته ومبادرات حكومته، وأطلب منه تحقيق الآمال بإعادة الحوار وإعادة الوحدة. ولكنه لم يحقق الأمل، ووقف موقفاً مخيباً له. فقد أذاع عشية ذكرى الوحدة بياناً، وبدلاً من أن يكحل أعمى كما يقول المثل. حيث قال فيه متبجحاً إن سورية هي التي فرضت الوحدة، وأنها لم تعامل المعاملة الكريمة اللائقة بها، وأن حكومة الوحدة وقيادتها ارتكبت أخطاء فادحة أدت إلى الانفصال. فكان في بيانه مبرراً للانفصال هو الآخر، وكشف بدوره عن روح إقليمية، وعن عدم نفوذ إلى أبعاد الوحدة، بقطع النظر عن كل شيء، كما كان ذلك مقتضى محاضراته وكتاباته. وكان إذاعة بيان الدواليبي عشية الذكرى كما قلت. وفي يوم الذكرى خطب جمال، فرد على الدواليبي رداً شديداً. وغمزه بموقف قديم له حيث ذكر تآمره في زمن حكم

الشيشكلي سنة 1953 مع الحكومة العراقية الهاشمية، وتلقيه منها أموالاً لمناوأة هذا الحكم على أساس توحيد سورية مع العراق وتنصيب الأمير عبد الإله نائبا للملك في سورية. وثارت ثائرة الدواليبي لهذه الغمزة، فعادت الإذاعات والصحف السورية إلى الحملات ضد الوحدة ومصر وجمال.

ولقد كان بيني وبين ناظم القدسي رئيس الجمهورية صلات ود حسنة قديمة متجددة. وكنا سمعنا أنه يبشر في مجالسه بعد إنتخابه بموقف إيجابي مناسب، مع ما كان له من جهود وتطلعات توحيدية وقومية، فأرسلت إليه بالاشتراك مع نبيه العظمة والمير بهجة الشهابي رسالة (نصها في الرقم 48)، ناشدناه فيها بالسعي في سبيل رتق الفتوق، ولا سيما بوقف الحملات المسعورة من الشتائم والمهاترات ضد مصر والوحدة، وقلنا له إننا نؤمن بضميره الوطني. ولكنه هو الآخر خيب الأمل.

ولقد كان الخلاف والمهاترة قائمين بين عبد الكريم قاسم الذي صار طاغية العراق وبين الكويت، بسبب نزوة عبد الكريم التي جعلته يعلن أن الكويت أحد أقضية العراق ويجب أن تعود إليه. وأثار ذلك ضجة في العالم العربي بل في العالم، وجعل الكويت تطلب المساعدة من بريطانية. وسارعت هذه فأعلنت أنها سوف تحمي الكويت استجابة لطلب حكومتها. واستناداً إلى معاهدة دفاعية كانت بينها وبين الكويت. وكانت مصر حكومة وإذاعة وصحفاً من أكثر البلاد العربية ثوراناً ضد هذه الدعوة، وحملت عليها، فأدى ذلك إلى نشوب المهاترة ثم اشتدادها بين العراق ومصر.

ولم نلبث أن علمنا أن ناظم القدسي ومعروف الدواليبي وضابطاً من ضباط الجيش الإنفصاليين ذهبوا إلى الرطبة واجتمعوا مع عبد الكريم قاسم بناء على اتصالات سابقة، وصدر بيان مشترك فيه تنويه بوحدة الأهداف بين العراق وسورية، وإعلان الاتفاق على التعاون في سبيل حل المشاكل القائمة، مع إشارة ما إلى تأييد وجهة النظر العراقية في الخلاف القائم بين العراق والكويت. وهكذا صارت سورية تحت رئاسة القدسي والدواليبي جبهة واحدة مع طاغية العراق عبد الكريم قاسم ضد مصر. .

ولقد كانت حكومات الانفصال منذ بدايتها إلى نهايتها وفيها حكومة الدواليبي على أحسن الصلات والتعاون مع الملك حسين والملك سعود وحكومتيهما. ولقد كان الملكان شديدي العداء والتجهم والتهجم على مصر ورئيسها، وكانت الدول الثلاث جبهة واحدة وقد صارت الجبهة رباعية بالعراق.

ولقد كانت رحلة القدسي والدواليبي إلى الرطبة ولقائهما بعبد الكريم، والبيان المشترك الذي صدر عنها، من أشد ما آلمني وأحزنني بسبب ما مثله ذلك من تردّ، وما كان بيني وبينهما من صداقة ومودة، وما كنت أعتقده فيهما من القوة والروح القومية والوحدوية. لأن عبد الكريم لم يكن عدواً للوحدة وللعروبة ولمصر ورئيسها فقط، بل كان متآمراً مع الشيوعيين والشعوبيين، وقد أوقع أو سمح بإيقاع مجازر رهيبة في القوميين، وارتكب في سبيل الاحتفاظ لنفسه بالسلطة كل جريمة، حتى صار مثلاً فريدا من الطغاة والمجانين. .

ولقد أرسل لي ناظم القدسي بواسطة زكي التميمي وتوفيق الحياني أكثر من مرة تحياته ورغبته في زيارتي له، فلم تكن نفسي تسيغ الاستجابة بسبب تقززها من جريمة الإنفصال واندماجه فيها أولاً. وازددت نفرة منه حينما رأيته

جامداً ناقضاً لما وعد بـه من بذل الجهـد في إعـادة الحوار مـع مصـر، ثم لمـا لم يستجب لمناشدتي له بإيقاف الحملة الدعائية المسعورة ضد مصر والوحدة التي اشتدت. فجاءت هذه الـرحلة حاسمـة. وكان هـذا كذلـك بـالنسبـة للدواليبي، الذي أرجح أنه ركب رأسه بعد كلام الرئيس جمال عنه، وجعله يجر ناظماً معه إلى هذه الهوة. ولقد اعتقل الدواليبي بعد قليل على ما سوف أذكره بعده وخرج من الاعتقال. وكان ما بيني وبينه يوجب زيارته فلم أفعل. وفوجئت بعد أشهر من خروجه من المعتقل بمجيئه بنفسه إلى البيت، وفي يده كتاب جديد له جعله على الأغلب ذريعة للزيارة التي جاءت عليّ غريبة. وقد جاملته مضطراً في الحديث. وقد قال فيما قـال إن الوحـدة يجب تأسيسهـا على التـربيـة الصحيحة، لأن الناس غير أقوياء في عقيدتهم، فقلت لـه هذا صحيـح. وأن ما وقـع في هذه الحقبة من أناس لم يكن يتوقع منهم ما وقع، قد حطم في نفسي أقدار كثير من الناس، وأظهـر زيف ما كانوا يرددونـه من شعارات. فـاستأذن عقب ذلك وانصرف، وكان هذا آخر العهد بيني وبينه.

23 ـ ولقد كانت حكـومة الانقـلاب الأولى ألغت كما ذكرت سابقاً قوانين التأميم والإصلاح الزراعي. فلما قامت الحكومة الدستورية النيابية كان ذلك من أهم ما دار الصراع حوله، حيث كان الحوراني وجماعته يـطالبون بـإعادة هـذه القـوانين، وخـالـد العـظم وجمـاعـة الإقـطاع والـرأسماليـة مع الإخـوان المسلمين يـناوئـون ذلك.

وسـرى الصراع إلى الجيش، فـانقسم إلى فريق مؤيد للفريق الأول، وفريق مؤيـد للفريق الثاني. وتفوق الفـريق الأول (المؤيد للتـأميم والإصـلاح الزراعي وإلغـاء إلغائهمـا)، فقـام بانقلاب أطاح بالحكومة الـدستوريـة، واعتقل رئيس الجمهـورية ورئيس الـوزراء وكثيـراً من الـوزراء والنـواب والمؤيـدين لإلغـاء التـأميم والإصلاح الزراعي، وعـطل البرلمـان، وأذاع بياناً وصف فيه المعتقلين بأقـذر الأوصاف من عمـالة وخيـانة وسـوء نية نحـو الشعب وعـداء للوحدة وتزييف لـلانتخابـات النيابيـة. . الخ. ووعـد بتقـديمهم للمحـاكمـة والحكم عليهم بأقسى العقوبات، وبشر بعـزمه على استئنـاف الحوار مع مصر لأجل إعادة الوحدة. فكان كل هـذا مما أثـار الشماتـة في نفـوس المخلصين المتألمين من العهد المشؤوم، لأنه شاهـد من أهله، ومما أثار الاستبشار معا.

وقد أصدر زعماء الانقلاب تشريعاً عسكرياً أعادوا به التأميم والإصلاح الـزراعي في نطاق أضيق مما كان في زمن الـوحدة، بحيث أبقى التأميم بالنسبة للشركات الكبرى وعلى رأسهـا الخماسية. وجعـل حد الأراضي الـزائدة التي تؤخذ من الملاكين وتوزع على الفلاحين أوسع من ذي قبـل، وقام حكم عسكـري امتد نحـو أسبوعين. ثم أجرى مفاوضات مع سياسيين غير معتقلين لإقامة حكم مدني، وقامت صعـوبات متنوعة في سبيل ذلك. فراجع الانقلابيون ناظماً القـدسي وعـرضـوا عليـه العـودة إلى رئـاسـة الجمهورية حلًا للأزمة، وليكون منطلقاً لعـودة الحياة الدستورية. وقبل ناظم التكليف، وأذاع بياناً ذكر فيه أنه رأى من واجبه القومي أن يعود لإنقاذ سورية من الموقف المتأزم المتوتر، وبذل الجهد في تحسين الأحوال بمـا فيه خيـر الأمة والبـلاد. وعين الدكتـور بشير العـظمـة رئيسـاً للوزارة. وتـألفت وزارة مـزيجـة من الإخـوان المسلمين وجماعة أكرم الحوراني، وكـان من

الأولين الدكتور نبيل الطويل وعمر عودة، ومن الآخرين بهيج الكلاس وأحمد عبد الكريم وأمين النفوري. وأفرجت الوزارة الجديدة عن الموقوفين من نواب ووزراء، ولكنهم ظلوا مدة ما شبه معزولين جانب قيادة العهد الجديد.

وعاد الصراع ثانية بين الفريقين الحزبيين حول التأميم والإصلاح الزراعي، وكان أكرم وجماعته يبذلون جهدهم لتوسيع نطاقهما، وكان جماعة الإخوان ومعهم الرأسماليون والملاكون يناوئون ذلك. ولم يكد يمر يوم أو أسبوع إلا ويكون اصطدام في داخل الوزارة، وتصريحات ومهاترات خارجها، وصار عصام العطار كممثل للإخوان، وأكرم الحوراني كممثل للاشتراكيين، قطبي الرحى والشخصيتين البارزتين من وراء الصراع، وكان كل منهما يرسل التصريحات الطنانة الرنانة، وصار العطار بطلاً شعبياً تقام له الحفلات والاستقبالات، ويخطب في عشرات الألوف خطباً رنانة يهدد فيها بالإطاحة بالوزارة إذا جنحت للاستجابة إلى مطالب الاشتراكيين. وجاء وقت تعطلت فيه اجتماعات مجلس الوزراء، وكان الوزراء الاشتراكيون يهددون بالإستقالة، وكان البعض يقترح أن يستقيل وزراء الفريقين الحزبيين، فيرفض العطار وفريقه ويتحدى وزراء الحوراني بالاستقالة.

24 ـ وكان فريق من المشايخ الدينيين قد نشطوا برئاسة الشيخ الكتاني واندمجوا اندماجاً قوياً في الانفصال نقمة على جمال بزعم أنه لم يكن يعنى بهم، ثم على الأسلوب الاشتراكي الذي كانوا يزعمون أنه مخالف للدين. وكان ممن اندفع في هذا السير المفتي الشيخ أبو اليسر عابدين، لأن حكومة الوحدة أقالته. فكان المشايخ هؤلاء يتدخلون للتوفيق بين الطرفين، حتى لا يتداعى العهد الانفصالي وينهار. وكان شكري القوتلي يتدخل وتعقد عنده الاجتماعات التي يحضرها ممثلو الحزبين المشايخ، وأحيانا ناظم القدسي وبعض الوزراء بسبيل التأليف والتوفيق.

25 ـ ومما كان في هذا الظرف أن بشير العظمة ألقى بياناً أبدى فيه رغبة في إعادة الحوار مع مصر لأجل الوحدة على أسس جديدة. وكتبت الأهرام رأي الدوائر العليا المصرية بالترحيب بهذه الرغبة لو جاءت من ممثلي الشعب، ولا سيما أن مصر اعتبرت الانقلاب الذي أطاح بحكومة الدواليبي انقلاباً ضد الانفصال، استناداً إلى ما أذاعه القائمون به من بيانات وصفوا فيها الإنفصال والانفصاليين بالأوصاف التي ذكرناها قبل. وننبه على أن الرغبة في إعادة الحوار مع مصر كانت دائمة الظهور في هذا العهد بأشكال مختلفة على ما ذكرنا قبل، حيث تدل على الإحساس الوحدوي القوي، والرغبة في إعادة الوحدة الرائدة، وقد استبشرنا مع غيرنا من المتألمين ببيان العظمة وبجواب مصر، وظننا أن الكلام من جانب العظمة جدي، ولا سيما أنه كان من وزراء عهد الوحدة. وجن جنون الصحف المأجورة والجماعات الحاقدة، فضاعفوا حملاتهم ضد عهد الوحدة، وصارت تكتب العرائض بذلك بحجة أن الوحدة لا يمكن أن تتجدد في نطاق رئاسة جمال وحكمه. وكان من ذلك عرائض وقعها كثير من المحامين، وعرائض وقعها كثير من الأطباء، وعرائض وقعها كثير من المهندسين، وعرائض وقعها كثير من التجار، وعرائض وقعها كثير من الزراع. وكان الموقف بائساً مريراً، لأن معظم هؤلاء من المثقفين الذين يعدون وجه الشعب السوري. ولا شك في

أن الأصابع الخارجية التي كانت وراء الإنفصال كانت بشكل ما وراء حركة العرائض أيضاً. ولم نلبث أن رأينا العظمة يتراجع، بحجة أنه لم يتلق جواباً رسمياً على عرضه ورغبته، وأن ما كتبته الأهرام لا يعد كذلك، ويعد إهانة له وللعهد القائم وبسورية. وحرنا في تعليل ما كان من العظمة بدءاً وانتهاءً، ورجحنا أنه فعل ما فعل أولاً بتحريض أو تشجيع بعض قادة الإنقلاب ضد العهد النيابي الذين كانوا يؤيدون النهج الإشتراكي الوحدوي الإصلاحي كما ذكرنا قبل، فسارع الفريق الآخر الإقليمي الإنفصالي الحاقد على الوحدة، والذي كان منه المغامرون المتآمرون مع الأصابع الخارجية لإحباط هذه الحركة. ويظهر أن هذا الفريق كان في هذا الظرف أقوى، فذهبت المبادرة هباء، واشتدت المهاترة ثانية بين مصر وسورية.

26 ـ في هذا الظرف ظهر ما عرف باسم الجبهة العربية المتحدة التي كان أركانها البارزون نهاد القاسم وراتب الحسامي وعبد الصمد الفتيّح وعبد الوهاب حومد وعلي بوظو، وهم من السياسيين المثقفين الوحدويين المستقيمين والمستقلين، وممن لهم حرمة في أوساطهم. وقد بدأوا نشاطهم بإذاعة بيان نوهوا فيه بالوحدة وعواطف سورية الوحدوية وضرورتها لقوة العرب وازدهارهم ومواجهة التحديات الخارجية. وعبروا عن آلامهم من الانفصال. ودعوا مختلف طبقات الشعب ومثقفيه المخلصين إلى بذل الجهود لإعادة الوحدة المنفصمة. ثم قدموا مذكرة لرئيس الجمهورية قالوا فيها أن جواب مصر في الأهرام على بيان بشير العظمة باستئناف الحوار حول الوحدة هو جواب إيجابي ملائم يجب الإنطلاق منه، والسير في الحوار بسبيل إعادة الوحدة المنفصمة. وقد نشروا بيانهم ومذكرتهم في جريدة (الوحدة) التي كان يصدرها نزيه الحكيم، والتي كانت معارضة للحكم الانفصالي. وقد قوبل البيان والمذكرة بحملة مقذعة من الصحف المأجورة ومن وراءها. ولكن جماعة الجبهة لم يبالوا وصمموا على الاستمرار في مساعيهم. وبين أوراقي منشوراً آخر منهم كرروا فيه ما جاء في بيانهم الأول بأسلوب آخر، وقد أوردنا نص البيانين في الرقم (48).

اتصلت بنهاد القاسم الذي كان بيني وبينه صلة ود وتزاور، وهنأته ورفاقه بحركتهم، وشجعتهم على المضي فيها، ثم اتفقت مع الأمير بهجة الشهابي ونبيه العظمة على كتابة رسالة موجهة إلى ناظم القدسي، فيها تأييد للمذكرة وتعظيم للوحدة وحسرة على فكها وعلى ما يجري في سورية من أعمال ومواقف مؤذية للقومية والوحدة، ومنافية للأخلاق الوطنية، وإلحاح على وجوب إنهاء عهد المهاترة المريرة الذي جعل سورية وقضية الوحدة ترتكسان في أحلك الظلمات. وأعلمت نهاداً بما فعلنا فابتهج. وقد أوردت نص الرسالة أيضاً في الرقم المذكور آنفاً.

ومما لا شك فيه أن ظهور الجبهة كان تعبيراً عن طائفة كبيرة من المثقفين الوطنيين المخلصين الذين سخطوا على الإنفصال، وإن لم تكن تنظيماً شعبياً أو حزباً عقائدياً، وكان لها نشاط وبروز في أوائل ثورة الثامن من آذار مستمد من هذا التعبير. واشتركت في الحكومة التي تألفت عقب الثورة ممثلة في ثلاثة عناصر هم نهاد القاسم وعبد الصمد الفتيح وعبد الوهاب حومد. وكانت من العناصر التي قام عليها عهد الثورة الأول، حيث يفيد هذا أن

القائمين بالثورة لمسوا وأدركوا فعلاً أنها تعبير عن طائفة كبيرة من الوطنيين والمثقفين والوحدويين الذين لا يرتبطون بتنظيم حزبي خاص. وإلى ظهورها أثناء الانفصال ومساعيها، مما ساعد على نجاح حركة الثورة.

وكان نهاد بمثابة الرأس فيهم، وكان ذا اعتبار وثقة من حيث أخلاقه واتزانه ونزاهته وتجرده وتقواه، وعمق إخلاصه للهدف الذي تحركت الجبهة في سبيله، وكان الناس يعتبرونه رأساً للجبهة بسبب كل هذه الاعتبارات. وكان في عهد الوحدة وزيراً للعدلية ذا سمعة عطرة في أخلاقه ومقدرته واتزانه..

27 ـ وعلى ذكر جريدة الوحدة التي كان يصدرها نزيه الحكيم، أقول إنها صدرت في عهد وزارة العظمة، وكانت تنشر ما يشفي النفس نوعاً ما، وبالقدر الذي يسمح به الجو. وكان موضوع الوحدة ووجوب استئناف الحوار لأجل إعادتها وضرورتها الحتمية، وتفنيد ما كان ينسب إليها من تهم، من المواضيع التي تتصدى لها. وكانت تتصدى لبعض ما يكتب في الصحف من أقوال ودعاوٍ زائفة ومغرضة ولأخطاء رجال الحكم في الأقوال والأفعال. وكانت تتعرض لحملات وردود الصحف الانفصالية. وكانت البعث هي الجريدة المعارضة الثانية التي تصدر في عهد الانفصال وتتصدى لأخطاء رجال الحكم في الأقوال والأفعال وتدعو إلى الوحدة وضرورتها.

وكانت الحكومة تعطل أحياناً الجريدتين مدة ما ثم تعودان. وقد قدمت صلاح الدين البيطار بصفته رئيس تحرير البعث للمحاكمة، واستصدرت حكماً ضده بالحبس شهراً مع تعطيل جريدته، ولكن الحكومة لم تجرؤ على تنفيذ الحكم. وكان هذا من الأمور التي كان الناس يتندرون بها ويستدلوا منها على وهن سلطات الانفصال.

28 ـ وبالمناسبة أيضاً أذكر أن منير الريس أصدر في أواخر عهد الانفصال جريدة بردى، وهو قومي وطني مجاهد وحدوي متحمس. فكانت جريدته هي الثالثة المعارضة لعهد الانفصال. وحاول أن يصدرها قبل، فوقفت عراقيل عديدة في طريقه. وقد كتبت إليه رسالة هنأته فيها على خطوته وشجعته وحرضته على التصدي للأقلام المأجورة التي تنفث سمومها وقذارتها ضد الوحدة ومصر وسورية، والتي سودت وجه سورية العربي وسمعتها، وطلبت منه تنبيه الناس إلى ذلك. وثاني يوم الذي أرسلت إليه فيه الرسالة قامت ثورة الثامن من آذار، فعظم الاستبشار والابتهاج، وكان شعارها (الوحدة والحرية والاشتراكية)، وقد أوردنا نص الرسالة التي أرسلناها إليه في الرقم (50).

29 ـ ومما وقع في أواخر عهد وزارة بشير العظمة وله مناسبة مع ما مر، أن نبيه العظمة نشر في جريدة الوحدة كتاباً مفتوحاً موجهاً إلى رئيس الجمهورية، حمل فيه على الإنفصال والحملات القذرة المسعورة المأجورة ضد جمال والوحدة والمحنة التي تعانيها سورية من ذلك، والخسران العظيم الذي ألم بها مادياً وأدبياً وقومياً بجريمة الانفصال التي ارتكبت باسمها. وطلب من الرئيس التخلي عن منصبه إذا كان لا يستطيع أن يمنع هذه الأمور. وقد أكد في رسالته كذب ما ينشره الانفصاليون من أن سورية بأسرها معهم، وتحداهم بإجراء استفتاء. وكان بياناً قوياً صريحاً هزّ أركان العهد هزاً شديداً. فانبرت الصحف المأجورة للحملة عليه وشتمه ونعتته بالخرف وعدم الاتزان وشهوة الحكم. وكان للبيان ضجة استحسان لدى

الـوحدويين. وقـد ذهبت مع الأمير بهجة إلى زيارته، وحمدنا له بيانه وأشدنا به. وقد أخبرنا أنه تلقى هواتف كثيـرة من مجهولين منهم من كـان يهنيء ويشجـع ومنهم من كـان يسب ويشتم.

30 ـ وبالمناسبة أذكر أيضاً أن جماعة حركة القوميين العرب كانت تنشط نشاطاً نشرياً قوياً. وكـانت تصـدر نشـرة سـرية بـاسم (صـوت الجمـاهيـر)، تحمـل فيهـا على الانفصـال والانفصاليين، وتحرض عليهم، وتشيد بالوحدة وفـوائدهـا العظيمـة، وتدعـو إلى تجديـدهـا، وتفضـح أعمـال وأخـطاء وجـرائم وعمـالات الإنفصاليين وصحافتهم. وقد أصدروا جـريدة بهذا الإسم عقب حركة الثامن من آذار. وكان إبن أخي الحكم رئيس تحريرها، حيث دل هذا على أنه كان من الرؤوس للجماعة الذين كانوا يبذلون نشاطاً وحدوياً ونضـالياً ضـد الانفصال وعهده. ولقد أشركوا في وزارة ثورة آذار ممثلين بهاني الهندي. ولا شك في أن القائمين بالثورة لمسوا مقدار جهودهم ونضالهم. والمتبـادر أن منهم من كـان في الجيش وفي عداد من قـام بالثورة فعلاً، حتى صار لهم هذا المركز.

31 ـ ولقـد ظـل الصـراع حـول الأسلوب الإشتراكي محتداً داخل الوزارة التي كـان فيها ممثلون عن الفريقين المتصارعين. وكان رئيس الوزارة مذبذباً ضعيفاً. واستقال بعض أعضـاء الوزارة، فأدى كل هذا إلى تمييع الموقف.

32 ـ وارتفعت أصوات النواب بوجوب عودة الحيـاة النيابيـة، وتكتلوا حول أحـدهم خـالـد العـظم، وتـداعـوا إلى الاجتمـاع في قصـره، فاجتمعوا واعتبروا اجتماعهم شـرعياً ورسميـاً، وأجـروا تعـديـلاً في الـدستـور، يمنـح رئيس الجمهورية ورئيس الـوزارة صلاحيـات أوسع، ويجعل انتخاب رئيس الوزارة منوطاً بالمجلس النيابي. ثم قرروا انتخاب خالد رئيساً للوزارة. ثم قـرروا تعليق اجتماع مجلسهم لأجـل غيـر مسمى. وقبل رئيس الجمهورية وقادة الإنقلاب بما تم، وانسحب بشير العـظمة من الـوزارة، وحـل محله خالـد العظم بـوزارة جـديـدة من أشخاص مختلفي الميول، بعضهم من جماعة الحـوراني وبعضهم من جمـاعـة الإخـوان وبعضهم حياديون. وبـادر خالـد إلى تصريـح حاسم في صدد الأسلوب الاشتراكي، فقال إن ما تم من تأميم وإصـلاح في نطاق المـراسيم السابقة التي أصدرها قادة الانقلاب هو كل ما سـوف يبقى ولن يكـون بعـده تـأميم. وسكت المتصارعون وقيادة الإنقلاب، فكان هذا بمثابة الحل الوسط. ولقد نسي الإنقلابيـون في هذه الغمرة أيضاً ما كان من وصفهم للنواب والعهد السـابق بمـا وصفـوه، ومـا كـان من وعـدهم باستئناف الحوار مع مصر. فكان كل ما جرى مهزلة عجيبة من مهازل هذا العهد.

33 ـ بعد قليل من تأليف وزارة العظم اجتمع مجلس الجامعة العربية في شتورا (أي 1962) وكان أمام شكويان. واحدة من مصر ضد عهد الانفصـال السوري الـذي يوغـل في الشتيمـة والأكاذيب ضدها. وواحدة من سورية ضد مصر لتحريضها على الحكم القـائم، وتدخلهـا في شؤون سورية الـداخلية. وكـانت قصة إرسـال مصر قوة بحرية إلى اللاذقية وإنزال مظليين فيها من جملة الشكوى السورية. ولقد كـان رئيس الوفد المصري للجامعة أكرم الديري، وهو أحد وزراء سورية في عهد الوحدة، وكان قبـل من ضباط الجيش. وكان خرج أو طرد من سورية مـع آخـرين من رفـاقـه بسبب شـدة تعلقهم بالوحدة، فرحبت بهم مصر وعينت أكرم رئيساً

لوفدها زيادة في الدلالة والعناية. ولقد حاول وفد سورية رفض الإعتراف بأكرم ممثلاً لمصر، لأنه سوري. ولكن مجلس الجامعة رفض المحاولة على اعتبار أنه يحمل جنسية الجمهورية العربية المتحدة. وكان الرئس جمال قرر وأعلن أنه سوف يحتفظ باسم (الجمهورية العربية المتحدة) اسماً للدولة المصرية وعلمها ونشيدها علماً ونشيداً لهذه الدولة. وكان سفير مصر في لبنان وبعض أركان وزارة الخارجية المصرية ضمن الوفد تحت رئاسة الديري، مما كان له وقع مثير عند مختلف الفئات. وكان الوفد السوري برئاسة أسعد محاسن، ومن أعضائه خليل الكلاس وأمين النفوري.

وقدم الفريقان مذكرات وألقيا خطباً في تأييد شكويهما. وكنت إذ ذاك مصيّفاً في حمانا وأطلع على ما كان يجري مما كانت تنشره صحف بيروت ومصر. وكانت الحجج والأرقام والأحداث التي يقدمها الفريق المصري دامغة، يقابلها الفريق السوري بالتهويش والمهاترة والطعن الشديد في جمال وحكمه وأسلوبه وعهد الوحدة. ولما أصر هذا الفريق على أسلوبه وتمادى فيه، أنذر الفريق المصري بأنه سينسحب من الاجتماع ما لم يصدر المجلس قراراً بإدانة سورية ولومها على لهجتها التهويشية الشتائمية. وتأزم الموقف، وكان ممثلو السعودية والعراق والأردن متضامنين أشد التضامن مع سورية. أما بقية أعضاء مجلس الجامعة، فمنهم من كان مع مصر ومنهم من كان حيادياً.

وقد اتخذ المجلس بالأكثرية قراراً فيه ترضية وتنزيه لجمال ومصر، فأنقذ الموقف بذلك، وكان جماعات كثيرة تأتي وتروح بين دمشق وشتورا لتعضيد وفد سورية بالتهويش والمغالطة والتهديد. وتظاهر بعضهم بمحاولة البطش بأكرم الديري وبعض من معه من رسميين وصحفيين وإذاعيين أو خطفهم. وكان قرب شتورا لدمشق مما أتاح لحكومة الانفصال وأنصاره الحاقدين وجوداً كبيراً وصوتاً داوياً لم يكن متاحاً لمصر. وكانت صورة مريرة جداً عمقت الثغرة والكراهية المتبادلة بين جماعة مصر وجماعة الإنفصال، بالإضافة إلى حكومات وحكام ووفود العراق والسعودية والأردن. ولقد كان كل من ممثلي العراق والسعودية والأردن أعدوا خطباً لإلقائها في جلسات المجلس ضد مصر والوحدة ورئيس مصر. فلما لم تسنح لهم الفرصة بسبب الموقف الحاسم الإنذاري الذي وقعه الوفد المصري، وجنوح أكثرية أعضاء المجلس إلى الترضية وإغلاق الجلسات، نشروا خطبهم في الصحف اللبنانية، ومنهم من جعل خطبته كتصريح رسمي.

34 ـ ومما كان من صور وأحداث في عهد الإنفصال التحقيق القضائي مع عدد من العسكريين والمدنيين بتهمة اتصالاتهم بالإنكليز والأميركان والملك حسين، وتآمرهم على القيام بحركة الإنفصال وقبضهم أموالاً بسبيل ذلك. منهم مأمون الكزبري وعبد الكريم الدندشي، وفيصل الحسيني وحيدر الكزبري وأخوه خلوصي وآخرين لم تحضرني أسماؤهم. ثم تقديم بعضهم إلى المحاكمة والحكم عليهم.

ولقد نشر محمد حسنين هيكل في الأهرام مقالاً ذكر فيه أن في دائرة المباحث السورية ملفاً فيه وثائق عن اتصالات عبد الكريم الدندشي ببعض السياسيين الأميركان. وملفاً عن حلف بغداد فيه وثائق عن اتصالات بعض السياسيين ببغداد وحلف بغداد. وملفاً فيه وثائق عن اتصالات ضباط ومدنيين سوريين بالأردن. وفيه تحقيقات محقق عسكري في ذلك، وثبوت

قبضهم أموالاً من يد وصفي ميرزا وزير داخلية الأردن في بيروت. وأن هذا التحقيق أوقف وجمد من قبل الدواليبي خشية نسف الأساس الشرعي الذي يزعمه الانفصاليون لوضع سورية الانفصالي وكونه بإرادة السوريين، وثبوت كون الانفصال وقع بأصابع خارجية، وتأييد شرذمة من الحاقدين الموتورين من السرجعيين والإقطاعيين الحاقدين والرأسماليين، وبراءة جمهور الشعب منه.

ثم نشرت الأهرام وثائق دامغة في صدد كل ذلك، وتحدت حكومة الانفصال بمحاكمة المتهمين إذا كانت تدعي أن الانفصال كان بإرادة الشعب السوري. وكان مأمون الكزبري في ظرف نشر المقال والوثائق رئيساً لمجلس النواب، وعبد الكريم الدندشي نائباً فيه، وكان العهد عهد وزارة الدواليبي. وقد نفى الكزبري والدندشي التهمة، وطلب الكزبري إجراء تحقيق، فجرى تحقيق من قبل قاضي تحقيق، وقدم هذا القاضي تقريراً يثبت فيه التهمة بحق الدندشي وحيدر الكزبري وفيصل الكزبري، ويقول في صدد مأمون أنه لم يثبت ثبوتاً قطعياً... ووصل التقرير بطريقة ما إلى مصر، فنشرته الأهرام، واشتدت الفضيحة واشتد حرج سورية الإنفصالية. ولم تجرأ حكومة الدواليبي مع ذلك على تقديم المتهمين للمحاكمة..

فلما قامت الحركة الانقلابية التي أطاحت بالعهد النيابي واعتقلت القدسي والدواليبي وكثيراً من رجال الحكم والمجلس، ووجهت إليهم التهم والأوصاف الفظيعة على ما مر شرحه، حركت القضية وقدم التقرير لمحكمة عسكرية، وجرت محاكمة المتهمين وثبت أخذ أموال من الأردن من قبل فيصل الحسيني وأخيه وخلوصي الكزبري بواسطة محمد صبحي الحلبي ولورانس الشعلان، وحكمت المحكمة عليهم بالحبس والتغريم. وبرأت المحكمة حيدر الكزبري.. وشعرت المحكمة بعد الحكم أو بسببه بالحرج الشديد لإدانة من أدانتهم، لأنها كانت بذلك تدين الإنفصال وما كان نتيجة له، فما كان من رئيس المحكمة إلا أن يقول بكل صفاقة أن هذه الإدانة لا تعني أن حركة الانفصال كانت بتأثير الأموال والمؤامرات الخارجية..

35 ـ ومن الصور والأحداث التي كانت في عهد الانفصال الحركات والخلافات العسكرية التي منها ما كان بسبيل التناحر على السلطة، ومنها ما كان ضد الإنفصال وبسبيل إعادة الوحدة.

ولقد كان عبد الكريم النحلاوي وبعض رفاقه الضباط الذين قادوا الحركة الانفصالية قد غلبوا على أمرهم من قبل ضباط آخرين، فنشطوا حتى صار لهم غلبة وتسلط، فحاولوا القيام بحركة إنقلابية جديدة يضمنون لأنفسهم غلبة وتسلطاً مستمرين. وأدى ذلك إلى انقسام في الجيش بين مؤيدين لهم ومعارضين، ومرت أيام كانت الحالة تتأزم وتتوتر. ثم تداعى الضباط إلى عقد مؤتمر في حمص، فكان من قراراته نفي النحلاوي ورفاقه الانفصاليين الأقحاح بأسلوب ما إلى خارج سورية. وبدء الحوار مع مصر بسبيل إعادة الوحدة. وأمكن تنفيذ القرار الأول، فمنح النحلاوي ورفاقه مبالغ كبيرة ووظائف سياسية وأقنعوهم أو بالأحرى أجبروهم على الخروج، ولكنهم لم يلبثوا إلا مدة قصيرة ثم عادوا. غير أن المتسلطين استطاعوا للمرة الثانية إرغامهم على العودة من حيث أتوا...

36 ـ وفي هذه الظروف قامت حركة عسكرية في حلب كان من قوادها إبراهيم العلي الذي

صار قائد الحرس القومي في عهد ثورة الثامن من آذار. وكانت بعثية وحدوية، وكادت تنجح في الاستيلاء على السلطة في حلب، وأيدها جمهور الشعب في حلب وغير حلب واستبشر بها. وقد كان صدام في سياقها قتل فيه بعض الضباط الانفصاليين. واهتم المتسلطون بالأمر، واستطاعوا أن يتغلبوا في النهاية على الحركة ويقمعوها ويعتقلوا ابراهيم العلي وبعض رفاقه ويقدمونهم إلى محكمة عسكرية. وقد حكم على إبراهيم ورفيق له بالإعدام، ولكن الحكم لم ينفذ، وكانت المحاكمة مجالاً لتشاد وترادّ بين محامين انفصاليين وكلّوا عن أسر القتلى والنيابة العامة من طرف، ومحامين وحدويين انتدبوا للدفاع عن المتهمين من طرف. وبرز من هؤلاء المحامي جهاد ضاحي ورفيق له لم أعد أذكره، مما كان من قوة تنديدهما بالانفصال وجريمته، وإشارتهما بالوحدة وتعلق الجماهير بها. وكان المحامون الانفصاليون يكيلون بدورهم التهم لعهد الوحدة ولجمال ولمصر. وكان الجو يتوتر أثناء المحاكمة، والصحف الإنفصالية تحمل على جهاد ضاحي ورفيقه وتطلب اعتقالهم ومحاكمتهم. وبلغ الأمر إلى تهديدهم بالقتل.

ولقد كان من جملة ما وجه من تهم إلى حركة إبراهيم العلي التقاط نداء لاسلكي لسفارة مصر في بيروت من القائمين بالحركة، بضرورة إرسال طائرات لتأييد حركتهم وأموال للإنفاق عليها. وكان المبلغ الذي ذكر (عشرة آلاف ليرة) مما ينطوي فيه تفاهة ودليل على الكذب. وكانت هذه التهمة مما ذكره ممثلو الإنفصال في جلسات مجلس الجامعة في شتورا، وكذّبه مندوبو مصر تكذيباً شديداً ومفحما.

37 ـ وكان من المحرجات لي في عهد الانفصال قدوم الأخ أكرم زعيتر سفيراً للأردن في حكومة سورية. ولقد كان الأخ واصف كمال أخبرني بخبر تعيينه للسفارة، وقال لي إنه اعتذر وتمنى أن يذهب إلى المغرب، ولكن الملك أصّر عليه. ورجوت واصفاً أن ينقل له رجائي ونصيحتي بعدم القدوم إلى دمشق، لأن في ذلك إحراجاً له ولأصدقائه. فهو صديق لنا عزيز علينا ورفيق كفاح طويل، وهو من دعاة الوحدة الهاتفين لها. وقد كان للملك حسين الذي سوف يمثله إصبع في فصم الوحدة، وهو على أحسن الصلات والتضامن مع حكومة الانفصال. ولسوف تلزمه مهمته الانسجام مع هذه الحكومة.. ولسوف يكون من الصعب علينا حسن التواصل المعتاد والواجب للصداقة والرفقة الطويلتين، بسبب حالتنا النفسية والمرارة الشديدة التي نعيشها من محنة فصم الوحدة وآثار ذلك.

ويظهر أنه لم يكن له بد من قبول التعيين والقدوم. ولم يكن بد من أن يكون التواصل بيننا ضعيفاً محدوداً، وقد بقي في دمشق إلى أن قامت ثورة الثامن من آذار التي أطاحت بعهد الانفصال. وقامت مظاهرات ابتهاج وحماس في أنحاء سورية وفي دمشق خاصة. وكانت تهتف للوحدة وبسقوط الاستعمار والعملاء وأعداء الوحدة. فلما هدأت المظاهرات والهتافات ضد الانفصال ومقترفي جريمته غادر دمشق واستقال واختير سفيراً لطهران.

***

(54) برقيتان أرسلهما الكاتب بالاشتراك مع المير بهجة الشهابي ومحمد علي دروزة في تاريخ 1963/3/8

واحدة للمجلس الوطني لقيادة الثورة، وواحدة للسيد صلاح الدين البيطار ورئيس مجلس الوزراء عقب نجاح حركة الثامن من آذار وإطاحتها بعهد الانفصال المشؤوم.

البرقية الأولى:

نحيي الثورة المباركة ونؤيدها وندعو الله بتوفيقها في تحقيق أهداف الأمة العربية بالحرية والوحدة والاشتراكية. الله أكبر والعزة للمؤمنين.

البرقية الثانية:

نكرر تحياتنا وإجلالنا للحركة المباركة التي أعادت سورية العربية إلى الطريق العربي القويم، وأزالت وصمة العار عنها. ونهنئكم وزملاءكم المحترمين وندعو لكم بالتوفيق إلى تحقيق الآمال المعقودة عليكم في تحقيق أهداف شعبنا العربي المقدسة.

***

(55) رسالة من الكاتب بالاشتراك مع المير بهجة الشهابي الى الأستاذ صلاح الدين البيطار رئيس الوزارة السورية بتاريخ 1 نيسان 1963.

ـ في صدد الحث على التوافق بين البعث والتنظيمات الوحدوية التقدمية ـ

تمهيد وتوضيح:

قام في الثامن من آذار 1963 حركة انقلابية ضد عهد الانفصال المشؤوم، ونجحت في الإطاحة بهذا العهد. وكان قوام هذه الحركة ضباط وغير ضباط وبعثيون وغير بعثيين. ونتيجة لذلك تألف مجلس الثورة برئاسة لؤي الأتاسي، ومجلس وزارة برئاسة صلاح الدين البيطار، مزيجين من هذه العناصر. وكانت العناصر غير البعثية تمثل حركة القوميين العرب، والوحدويين الإشتراكيين، والاتحاد الاشتراكي، والجبهة المتحدة الوطنية التي ألفها نهاد القاسم ورفاقه أثناء الإنفصال. وكان للبعثيين اليد الأقوى والأوسع والعدد الأكثر في الحركة، فكانوا هم الأبرز والأقوى والأكثر عدداً في المجلسين. وتم اتصال بين الحركة الجديدة والرئيس جمال بسبيل استئناف الحديث وإعادة الوحدة المنفصمة على أسس جديدة وصريحة. ولقد أخذت العناصر غير البعثية تلمح وتشكو من رغبة العناصر البعثية في أن يكون لها القيادة والإملاء، وتتململ من كونها سوف تصبح بذلك صفراً في الوزن السياسي، وسوف تضطر بالتالي إلى الانسحاب من مجلس الثورة والوزارة. وكان الرئيس جمال يشترط لاستئناف الحديث والوحدة أن لا يكون البعثيون هم المنفردين في الموقف، وأن يكون البنيان الجديد قائماً على مختلف العناصر التي اشتركت في حركة الانقلاب. فرأى الكاتب بالاشتراك مع المير بهجة الشهابي توجيه هذه الرسالة إلى الأستاذ صلاح الدين البيطار.

نص الرسالة:

السيد صلاح الدين البيطار
سلاماً واحتراماً.

وبعد، فإننا نلمح علائم خلاف ومناظرة بين القوى الوحدوية المخلصة بسبب الاعتبارات

الحزبية، ونخشى كثيراً أن يعكر ذلك الصفاء والتضامن اللذين يجب أن يسودا بين هذه القوى لتسير معاً نحو تحقيق الأمل العظيم الذي لاحت تباشيره السارة. وإننا نذكركم بالمسؤولية الكبرى التي تتحملونها، ونستحلفكم مع إخوانكم بكل مقدس أن تتغلبوا على كل اعتبار وتبذلوا كل جهد وتضحية في سبيل إزالة هذا الخلاف وضمان اشتراك جميع القوى الوحدوية المخلصة اشتراكاً صريحاً وفعالاً، حتى يعود للجو صفاؤه وللنفوس طمأنينتها، ويتيسر للأمل المقدس أن يتحقق دون ما عثرة وتباطوء وانتكاس.

والله يوفقكم والمخلصين إلى ما فيه الخير لأمتنا العربية.

9 ذو القعدة 1382

1 نيسان 1963

بهجة الشهابي عزة دروزة

***

(56) كتاب من الكاتب الى الدكتور سامي الدروبي 2 مارس 1963

في صدد الحث على التوافق بين البعث والتنظيمات التقدمية الوحدوية

تمهيد:

ذهب وفد سوري مؤلف من العناصر المتعددة التي قامت بحركة الانقلاب ضد الانفصال وأطاحت به، واشتركت في مجلس الثورة والوزارة اللذين قاما في سورية على ما شرحناه في سياق كتابنا للأستاذ صلاح الدين البيطار الذي أوردناه في الرقم (55)، إلى المفاوضة على استئناف الوحدة وأسسها. ولقد كانت قامت حركة انقلابية جديدة في العراق في 8 شباط 1963 ضد عبد الكريم قاسم الطاغية الانفصالي، وأطاحت به برئاسة عبد السلام عارف. وكان معظم عناصر هذه الحركة من البعثيين. فلما قامت حركة الانقلاب السورية التي أطاحت بعهد الانفصال، تم الاتصال بين العراق وسورية، وتم الاتفاق على اشتراك العراق أيضاً في مفاوضات الوحدة الجديدة مع مصر. ونتيجة لذلك اشترك وفد عراقي مع الوفد السوري. وفي مصر جرى عتاب وأحاديث فيما جرى وفيما يجب أن يجري لتقوم الأمور من جديد على أسس صريحة قويمة. وتم الاتفاق:

(1) على أن يقوم في كل من سورية والعراق جبهة قومية تتألف من جميع العناصر الوحدوية ويكون لها التنظيم الرسمي والشعبي. وكان هذا استجابة لشرط الرئيس جمال الذي قال أنه ليس مستعداً لإقامة وحدة مع حزب البعث وحده، وأنه يفضل أن ينتظر وأن يكون أولاً اتحاد عراقي سوري، مادام معظم العناصر البارزة وصاحبة اليد الآن في القطرين من البعث، ثم ينضم إليهما. فلما قالوا له أن الشعب يأبى أن يكون اتحاد وليس على رأسه مصر. قال إذاً يجب أن يكون في كل من العراق وسورية جبهة قومية واحدة ينتظم فيها العناصر القومية الوحدوية. ويكون الاتحاد معها ويكون الحكم في يدها.

(2) على أن يكون مجلس رئاسة مشترك يكون رأي الأكثرية فيه هو النافذ. وكان هذا استجابة لملاحظات أبداها ممثلو البعث نتيجة لتجربتهم السابقة قبل الانفصال، على ما كان يجري في عهد الوحدة السابق من تصرفات واجتهادات فردية جعلتهم ينسحبون من حكم الوحدة. ونتيجة لذلك وقع ممثلو مصر وسورية والعراق على ميثاق (17 نيسان 1963)، الذي

ينص على قيام وحدة اتحادية بين الأقطار الثلاثة على أساس الاتفاقين السابقين. وعاد وفدا العراق وسورية لاستكمال الأسباب. وكانت المشكلة في سورية، لأنه لم يكن في العراق عناصر كثيرة مهمة غير بعثية. وكان تباطؤ في تأليف الجبهة القومية، وتعثر، حيث أصر البعثيون على أن لا يكونوا عنصراً نداً لكل عنصر، وأن يكون لهم الأكثرية والقيادة. وأخذت العناصر الأخرى تتململ وتشتكي وترى أنها في مجلس الثورة والوزارة بمثابة الصفر الذي لا وزن له، لأنها تبقى دائماً أقلية في كل موقف وقرار وتمشي القرارات بالأكثرية. إن هذا سوف يكون شأنها في حالة تأليف جبهة قومية تكون أكثريتها للبعثيين. .

وكان الدكتور سامي الدروبي وزيراً في الوزارة، وهو بعثي يرغب في التوفيق والوفاق، وكان يتردد على الكاتب ويتحدث معه في هذا الشأن. وكان بعض أركان العناصر مثل نهاد القاسم وعبد الصمد الفتيح وراتب الحسامي وهاني الهندي يترددون عليه ويبثون همومهم ومواقفهم. فرأى أن يكتب هذا الكتاب إلى الأستاذ سامي الدروبي يناشده فيه بذل الجهد في تلافي الموقف وتأمين التوفيق والوفاق.

وهذا نص الكتاب:

الأخ الفاضل الدكتور سامي الدروبي

وبعد، فإني أهنئكم بسلامة العودة، وأرجو من الله أن يجعل التوفيق حليفكم فيما تقومون به من أعمال فيها خير أمتنا وصلاحها.

وبعد، فقد كنت كتبت للسيد صلاح الدين البيطار كتاباً قبل سفر وفد المفاوضات إلى مصر، ذكرته فيه ما لمحته من علائم الخلاف والمناظرة بين القوى الوحدوية المخلصة بسبب الاعتبارات الحزبية. وأبديت تخوفي من أن يعكر ذلك الصفاء والتضامن اللذين يجب أن يسودا بين هذه القوى لتسير معاً نحو تحقيق أملنا العظيم. وذكرته بالمسؤولية الكبرى التي يتحملها، واستحلفته هو وإخوانه بكل مقدس بأن يتغلب على كل اعتبار وأن يبذل كل جهد وتضحية في سبيل إزالة الخلاف، وضمان اشتراك جميع القوى الوحدوية المخلصة اشتراكاً صريحاً وفعالاً، حتى يعود للجو صفاؤه وللنفوس طمأنينتها، ويتيسر للأمل المقدس أن يتحقق دون ما عثرة وانتكاس.

وقد وفق الله إلى التفاهم بين القوى الوحدوية، حيث أذيع بذلك بيان وعد باتمام الخطوات التطبيقية بعد العودة من مصر.

وإني ما أزال ألمح علائم الخلاف والمناظرة والاعتبارات الحزبية. وقد يكون من دلائل ذلك عدم الوصول إلى نتيجة إيجابية بين العناصر الوحدوية المخلصة في صدد تلك التنظيمات التطبيقية الموعودة. ويستغل الانفصاليون والحاقدون والأجراء وذوو النوايا الخبيثة ذلك استغلالاً واسعاً، ويضخمون كثيراً من الأحداث، ويختلقون كثيراً من الإشاعات، حتى تتبلبل الأفكار وتثار الشكوك، وأكثر ما يركزون حملتهم على ضرب البعث. ولقد كان لذلك آثار غير يسيرة في مختلف الأوساط.

والبيان التاريخي في الوحدة الذي وقعه جميع أعضاء وفود مصر وسورية والعراق، جعل مسألة توحيد العناصر الوحدوية في جبهة واحدة تناط بها القيادة السياسية على مختلف المستويات، من المسائل الأساسية، وركز الكلام عليها تركيزاً شديداً، بحيث قد يكون أي تراجع أو انحراف أو ابطاء فيها مؤثراً تأثيراً شديداً في الخطوات التنفيذية التي حددها ذلك

البيان. بل إن هذا يلمح بكل قوة ما كتبه وما يزال يكتبه بعض كتاب مصر المشتغلين في ميدان الوحدة السياسية القومية.

أنا لا أجهل حسب تجاربي قوة الاعتبارات الحزبية، ولا أريد مع ذلك أن أتهم حزب البعث بأن اهتمامه بهذه الاعتبارت ناشىء عن أنانية، بل أريد أن أسلم بأن ذلك ناشىء عن اعتقاده أنه هو الذي يستطيع قيادة السفينة إلى ساحل السلامة بقوة وجد وعدم تفريط أكثر من غيره، وأنه من أجل ذلك أحق من غيره وأولى بقيادتها والاحتفاظ بمركز القيادة إلى آخر الشوط. غير أن هذا لا يمكن أن يبرر إهمال تنفيذ ما التزم به ممثلو البعث، سواء في البيان الذي وقعوه مع العناصر الوحدوية قبل السفر إلى مصر، أم في البيان التاريخي الذي وقعوه في مصر. كما أنه لا يبرر أن ينتقص من أهمية العناصر الوحدوية الأخرى وقدرتها على المشاركة في قيادة السفينة وقائدة هذه المشاركة في الوقت نفسه. ولا أن يتجاهل ما يمكن أن يكون لعدم تنفيذ ذلك الالتزام معها من أثر عميق في أفكار هذه العناصر ونشاطها، وما يمكن أن يعكسه ذلك على الجمهور من جهة وعلى الخطوات المحددة التي عينها البيان التاريخي في سبيل تحقيق الوحدة من جهة أخرى.

وهنا تبرز مسؤولية تاريخية كبرى يتحملها الذين يفعلون ذلك. ولقد كان لحزب البعث موقف قومي عظيم حينما قبل حل نفسه قبيل وحدة 1958. حينما جعل حل الأحزاب شرطاً لا بد منه لتحقيقها، حتى كتبت في جريدة البعث يومئذ كتاباً مجدت فيه هذا الموقف، واعتبرته حاسماً في تحقيق الوحدة. وليس يطلب اليوم من حزب البعث موقف مثل ذلك الموقف. وكل ما يطلب منه تحقيق التزامه الذي التزمه مع العناصر الوحدوية وفي البيان التاريخي. وتقدير كون التحلل من ذلك الالتزام قد يثير من المشاكل والعثرات ما يضاعف تلك المسؤولية.

ولقد لمحت فيكم حينما شرفتموني بزيارتكم إخلاصاً وعمق إدراك وتجرداً، فرأيت بدافع حرصي الشديد على تحقيق الآمال التي لاحت تباشيرها، وخوفي الشديد من أي عثرة وانتكاس، أن أكتب إليكم رجاء أن تبذلوا جهودكم المخلصة مع إخوانكم للتغلب على كل اعتبار وبذل كل تضحية وجهد في سبيل تحقيق ذلك الإلتزام في سوريا، والمساعدة على تحقيقه في العراق أيضاً، لأن الموقف مشترك في الإلتزام وفي التنفيذ وفي الآثار المترتبة عليه لضمان اشتراك جميع القوى الوحدوية المخلصة اشتراكاً صريحاً وصميماً وفعالاً، حتى يعود للجو صفاؤه وللنفوس طمأنينتها، ويتيسر للأمل المقدس أن يتحقق دونما عثرة وتباطوء وانتكاس، وترتد سهام الدساسين والحاقدين إلى نحورهم. وليس من مانع عندي من إطلاع السيد صلاح الدين البيطار وغيره من إخوانكم على هذا الكتاب، بل إني أحب ذلك، مستحلفاً إياهم مرة أخرى بكل مقدس على بذل تلك التضحية والجهد والتغلب على كل اعتبار.

2 مارس 1963

***

(57) مقال للكاتب بعنوان: (جدوى الدعوة الى الحلف والتضامن الإسلامي ومداها وما وراءها). نشر في جريدة بيروت المساء نيسان 1966

توضيح:

نشرت جريدة الحياة البيروتية في شباط 1966 مقالاً بإمضاء جبران شامية، يؤيد فيه الدعوة إلى الحلف والتضامن الإسلامي، فرأى الكاتب في المقال ما يثير الريبة ضد الوحدة العربية، كما رأى فيه مغالطات ومفارقات عديدة، فكتب هذا المقال رداً عليه:

نص المقال:

نشرت جريدة الحياة مقالاً للسيد جبران شامية حول فكرة التضامن الإسلامي، وحبذها بزعم أنها دعوة صادقة وواجبة لإيقاظ الروح الدينية في المسلمين، ومحاربة الإلحاد والماركسية، اللذين أخذا ينتشران في بلاد العرب. وشبهها بما قام في أوروبا الغربية من حركة (إحياء المسيحية) بعد الحرب العالمية الثانية للهدف نفسه، ونبه إلى ما فيها من فوائد للإسلام والمسلمين في البلاد العربية. وقدم صاحب الحياة كاتب المقال كمسيحي يدلي رأيه في موضوع النضال الإسلامي، ونشر مقاله في صفحة مستقلة زيادة في الحفاوة والاهتمام. وفي المقال مغالطات ومتناقضات ومقاصد مريبة. نسجلها فيما يلي:

1 ـ إن الاشتراكية التي تمارس في مصر وسورية والجزائر ليست ماركسية، وإنما هي عربية إسلامية على ما نبه عليه زعماء هذه البلاد في مناسبات عديدة، وبينوا الفروق العظيمة بينها وبين الماركسية، من حيث إنها تعترف بالشخصية الفردية والنشاط الفردي والتوارث والأديان. ومن حيث إن هدفها ليس ديكتاتورية البروليتاري، وإنما منع احتكار الثروة واستغلال الطبقات الكادحة وجعل الفرص متكافئة للجميع وتذويب الطبقات، وجعل الناس سواسية أمام القانون مما هو مستمد من تلقينات الإسلام القرآنية والنبوية. وعهد الناس بشرح جمال عبد الناصر محدداً لذلك حديث لم يمض عليه أكثر من ثلاثة أسابيع.

2 ـ ليس صحيحاً أن بلاد الذين يدعون إلى الحلف أو التضامن الإسلامي، والذين تجاوبوا مع الدعوة من عرب وغير عرب، مزدهرة، وأن البلاد العربية التي تنحو نحو الاشتراكية متخبطة متخلفة بالنسبة إليها، بل العكس هو الصحيح.

3 ـ ليس موقف تركية من العرب وإسرائيل هو نتيجة موقف العرب من قضية قبرص ومساندتهم لمكاريوس، فهذه المسألة جديدة جداً.

4 ـ موقف تركية وإيران من العرب متعمد ومستهدف إلى إحباط أي جهد للتضامن والوحدة العربية، لأنهما يعتبران ذلك ضربة على مصالحهما ومطامعهما في بلاد العرب.

5 ـ تشبيه موقف الدول الاشتراكية بموقف أميركا، والتسوية بينهما بالنسبة لإسرائيل مغالطة، فقد تكون الدول الإشتراكية وافقت على قيام إسرائيل في البدء نتيجة لغفلة العرب وشدة اندماجهم في سياستي أميركا وبريطانية ورضوخهم لهيمنتهما. ثم تحولت منذ خمس عشرة سنة لصالح العرب وماتزال، في حين أن أميركا كانت وظلت وماتزال ممعنة بكل عناد ضد العرب ودعم إسرائيل.

6 ـ تشبيه موقف الدول الإسلامية الإفريقية بموقف إيران وتركية أيضاً مغالطة. فموقف هاتين الدولتين متعمد، يهدف كما قلنا إلى إجهاض النشاط العربي ووحدتهم دون موقف تلك الدول.

7 ـ لم يقل أحد إنه لا ينبغي السعي لتنبيه الدول الإسلامية التي تتعامل مع إسرائيل. وتبذل الآن جهود كبيرة في سبيل ذلك مع الدول الإسلامية الإفريقية. والبوادر تدل على أنها بدأت تثمر، وسوف تتلاحق حتى تتم إن شاء الله. أما تركية وإيران فقد بذلنا جهوداً كبيرة إيجابية وسلبية طيلة خمس عشرة عاماً، فلم تثمر لأن موقفها كما قلنا متعمد. ولأنه متأثر في الوقت نفسه بضغط يدفع لهما أجرته. وأمامنا أمثلة رائعة في موقف أندونيسيا وباكستان وأفغانستان التي أدركت هدف إقامة إسرائيل وما تمثله من عدوان على العرب والمسلمين، فوقفت منها الموقف الواجب على كل دولة إسلامية.

8 ـ الارتباط واضح لا يتحمل مراءً بين الذين يدعون إلى الفكرة ويتجاوبون معها، وبين أميركة وإنكلترا. ومن الصدق كل الصدق أن هذا النشاط مماثل في مداه للنشاط الذي قام حلف بغداد نتيجة له، بحيث يقال بحق أنه بسبيل إحيائه وتجديده.

9 ـ ولقد قيل يوم حلف بغداد أنه لصالح قضايا العرب وبخاصة فلسطين، ولحماية بلاد العرب من الغزو الشيوعي، واليوم يقال نفس الشيء.

. . . ولقد ثبت أن حلف بغداد كان لمناهضة ما بدا من نشاط قومي عربي وتطلع إلى وحدة عربية عاجلة وحملة ضدها. ووضع البلاد العربية تحت هيمنة أميركا وإنكلترا وتركيا لضمان مصالحهم ومطامعهم وحياة إسرائيل معاً، ولا يمكن إلّا أن يستمر ذلك ما دام أنه النشاط البادي والمستتر هو نفس النشاط البادي والمستتر السابق.

10 ـ ولقد أرادت أميركا وإنكلترا أن يكون الحلف شاملاً لجميع بلاد العرب باسم الدفاع المشترك. وحينما قيل لهما أن الغزو الشيوعي الذي تخوفان العرب منه وهمي، بينما غزوكما وغزو ربيبتكما القذرة هو القائم، وأن الواجب أولاً حل ما بيننا وبينكم من القضايا على الأقل غضبا وأصرا على مطلبهما وحينئذ رفضت مصر وسورية، وكانت السعودية معهما، فأقدمتا على إنشاء الحلف لتفتيت الأمة العربية. وهذه الصورة تبدو اليوم من خلال الدعوة الجديدة.

11 ـ وكما أنه لم يكن إذ ذاك خطر غزو شيوعي ضد البلاد العربية لذاتها، وكان الخطر القائم هو خطر أميركا وإنكلترا وإسرائيل. فليس اليوم خطر ماركسية ملحدة، والبلاد التي تنحو نحو الاشتراكية وفي طليعتها مصر تعلن قولاً وفعلاً أنها أشد تمسكاً بالإسلام وتقاليده والقيم الدينية الصادقة والاعتزاز بها، ومن الدعاة إلى محاربتها، وليس ينكر إلا مكابر أن مصر هي قلعة الإسلام الحصينة. والخطر الماثل اليوم مايزال هو الخطر الأميركي الإنكليزي الإسرائيلي. وما تقدمه أميركا وإنكلترا إلى إسرائيل من سلاح ومال لتكون وهي المسخ متفوقة في ذلك على مئة مليون عربي. وكل الناس يلمسون أن ما يغدق على بعض دول العرب من ذلك هو لزيادة التوتر والتنافس بين العرب، ولا يمكن أن يكون لمقاتلة اليهود. ومن المضحك أن يذكر الحرب ضد الإلحاد، ثم تكون تركية من جملة المدعوين والمرشحين إلى ذلك.

12 ـ ولقد لمحت أميركة وإنكلترا وإسرائيل منذ البدء أن مصر التي هي ثلث الأمة العربية عدداً، وأكثر من ثلثها قوة وحيوية، تترشح بزعامة عبد الناصر لقيادة الأمة العربية إلى أهدافها القومية والاجتماعية، ومنها القضاء على مصالح الإستعمار وربيبته إسرائيل. ورأت فيه كابوسها الأكبر، فأخذت تبذل كل جهودها في تطويقه وتحطيمه وإشاعات السوء ضده منذ بدء بروزه ولمعانه، وحتى قبل أن يكون اشتراكية وقبل أن تكون وحدة. وكان من ذلك حلف بغداد، والعدوان الثلاثي والتآمر على الوحدة حين إنشائها والعدوان عليها. وكان يتجاوب معها ويندمج في كل نشاطها المخرب أصحاب العروش الذين يتصرفون بأموال الشعب وموارد البلاد، والذين رأوا فيه بدورهم كابوسهم الأكبر. وما نراه الآن من نشاط إنما هو امتداد لذلك وصورة من صوره.

13 ـ ليس من مسلم لا يحب أن يقوم تضامن صادق بين المسلمين ودولهم، وهذا شأن كل عربي أيضاً، لأن الأكثرية الساحقة العربية هم مسلمون ولكن حين يضطلع بالدعوة إلى ذلك أناس لا يألون جهدهم في الكيد لمصر بنوع خاص وتحطيمها وتطويقها واستنزاف جهودها وأموالها في المعارك الجانبية والداخلية وتمويل الانقلابات والاعتباطات ضد زعمائها، وهي أمل الأمة العربية وقبلة شعوب آسيا وأفريقيا معاً، لا يمكن لمن لديه حس سليم إلا أن يرتاب فيها ويرى خلالها المقاصد المضادة لمصالح العرب وأهدافهم.

14 ـ إذا كان حقاً أن مؤتمر الدار البيضاء قرر الاتصال بالدول الإسلامية وتحسين العلاقات بينها وبين العرب، فقد كان السبيل القويم البريء إلى ذلك هو الجامعة العربية، بحيث تتألف الوفود في نطاقها إلى هذه الدول، كما جرى حينما قرر مؤتمر القمة الأول شرح قضية فلسطين لدول العالم، والقفز عن ذلك والمبادرة الشخصية إليه هو ما يريب كل الريبة.

15 ـ أما قول كاتب المقال أنه قام الدليل على أن القومية العربية كانت هزيلة وسطحية في ضمير الشعب العربي إلا بمقدار ما تكون امتداداً للشعور الديني الإسلامي تعبيرا عنه، فهو مساوٍ للقول أنه ليس هناك قومية عربية. وفي هذا نسف لحقيقة تاريخية واجتماعية كبرى، قامت الأدلة التي لا تدحض عليها بعد الاسلام، ولا يمكن أن يذهب بها طارىء عارض من نوع ما هو اليوم.

وليس هناك تعارض بين ذلك وبين كون العروبة والإسلام متلازمين كل التلازم، وهو ما نفذ منه غير العرب من المسلمين وتسلطوا به على العرب طيلة ألف عام.. ومن العجيب أن هذا هو ما تبذل أميركا وإنكلترا ملايينها لترسيخه وإقامة المنظمات والعملاء والدعوات المزيفة من أجله.. لأنهم يعلمون أن تحقيق التضامن فضلاً عن الوحدة بين المسلمين على اختلاف أجناسهم، وشاسع أقطارهم أبعد منالاً من تحقيق التضامن والوحدة بين العرب، ويعملون على إبعاد الخطر الأقرب والأكثر مكاناً، بترويج ما هو الأبعد والأشد استحالة، وصرف أنظار العرب وجهودهم إليه... ولقد كنت أحسن الظن بعقل كاتب المقال قبل هذا، لأني كنت أظن أنه يعرف ذلك، ويتحاشى قوله حتى لا ينطبق عليه القول (كاد المريب يقول خذوني)، وينكر بسبيله الحقيقة الكبرى التي يزعم أنه كان يؤمن بها ويعمل لها.

ومن المضحك أن يرحب بذلك ويحث عليه رغم كونه مسيحياً، متظاهراً بذلك بأنه أشد

حرصاً على المسلمين من المسيحيين أنفسهم. ولقد تناسى في غمرة حماسه أن الأكثرية الساحقة من العرب مسلمون، وأن المعقول والمجدي والممكن أن يكون التضامن والوحدة فيما بينهم أولاً، حتى إذا تم لهم ذلك مدوا أيديهم إلى إخوانهم الاخرين، وان من المفارقة والسخف والسخرية أن يطلب منهم أن يغفروا عن أنفسهم وينصرفوا إلى ما هو الأبعد عنهم وهم متفرقون شعوباً وأحزاباً وأقطاراً...

16 - أما قوله أن الشعور بالقومية في العرب هزيل وسطحي، فهو أبعد ما يكون عن الحق والواقع.. وكل ما هنالك أنه في عامة الشعب جامد غير متحرك بذاته لأسباب ثقافية واجتماعية.. وحينما تكون الحوافز يظهر قوياً جارفاً.. ومن الأدلة على ذلك تضامن القوى بين المسلمين والنصارى في الحركات النضالية التي قامت في مختلف بلاد العرب أيام الاحتلال، ثم التجاوب القومي في كل بلد..

وكاتب المقال وصاحب الحياة وآخرون من رفاقهم العقلاء المحنكين من هؤلاء.. فالأرجح أن كاتب المقال قال ما قاله لأنه استشعر به من نفسه ومن رفاقه الذين اتسموا بالقومية العربية كذباً وزيفاً، وهم اليوم يتسمون بالشعور الإسلامي والرغبة في التضامن الإسلامي كذباً وزيفاً، ومن العجيب أن صاحب الحياة كان الداعية الأكبر لحلف بغداد ورجاله ودوله، والمناهض الأكبر للحركة القومية التحررية. ويتنطح اليوم ليكون الداعية الأكبر للحلف الإسلامي ورجاله ودوله والمناهض الأكبر للحركة القومية التحررية مع رفاقه الغر الميامين أمثال كاتب المقال.. لأن ذلك فتح وما زال يفتح لهم أبواب الخيرات والبركات...

ولله في خلقه شؤون.

(58) رسالة تلقاها الكاتب فيها تعقيب وثناء على المقال السابق الكويت في 1966/3/21

أستاذنا المجاهد محمد عزة دروزة حفظه الله،

تحية العروبة وبعد،

فقد جئت نيابة عن نفسي ورفاقي أشكر لك مقالك القيّم في صحيفة بيروت المساء، تدحض فيه المزاعم والأباطيل وبهلوانيات المستعمرين ومأجوريهم في وطننا العربي... وتلقي النور على درب قوميتنا واشتراكيتنا بشجاعة تعودناها منك أيها المناضل القديم الحديث.. فأنا أعتبرك أستاذي وإن لم أحظ بشرف لقائك بعد.. لقد سمعت منذ طفولتي في وطني - فلسطين العربية ونابلس بالتحديد - عن جهادكم يا رجال الطليعة، وتضحياتكم، والشعلة المنيرة التي رأيتها تشع وتدحض أقوال المستشرقين في كتبك التاريخية، وللآن - والحمد لله - أراها وقد زادت إشعاعاً في هذا المقال الرائع..

إنني أنحني لك يا سيدي وأنت الرائد الذي لا يخشى في قول الحق لومة لائم، أستكتبك المزيد والمزيد في سبيل من كتبت عنهم قائلا: .. وكل ما هنالك أن الشعور بالقومية في عامة الشعب جامد غير متحرك بذاته لأسباب ثقافية واجتماعية... فمن أجل هذا الوطن وهذه الأمة (وقد أحببتهما بكل كيانك) أستكتبك المزيد، مبقياً على هذه الشعلة المتوقدة من مشعل العروبة، منيرة بتوهجها وضيائها الدرب لهذه الأجيال الصاعدة... والله معكم.

الداعي لكم
عدنان كامل عطعوط

ملحوظة: بيروت المساء العدد رقم 5871 الصادر في 20 آذار 1966.

وقد أرسل الكاتب هذا الجواب،

وبعد منذ استلمت رسالتك الكريمة وإني أشكرك ورفاقك على عواطفكم وجميل وفائكم وشعوركم. وأسأل الله أن يقوينا جميعاً على خدمة أهداف أمتنا وبلادنا بالوحدة والحرية والاشتراكية الإسلامية. وتحرير وطننا السليب وتطهير سائر وطننا من رجس الغاصبين والخائنين. وإني أشعر بالاعتزاز بخاصة حينما ألمس الدليل بعد الدليل على قوة الوعي القومي في كثير من أبناء الجيل الجديد. وأتمنى أن يقوى ويعم. لأنه الجيل المؤهل لتحقيق تلك الأهداف التي بذل الجيل القديم ما استطاعه من جهد في سبيلها، والتي ما تزال في حاجة إلى كثير من الجهد والجهاد.

ولكم التحيات والسلام.

1966/3/27

***

(59) دراسة حول (الطريق إلى الوحدة العربية) 1967/1/22

توضيح:

زار الكاتب المحامي عدنان المجركش وقال له: إن المحامين العرب سيعقدون مؤتمراً، وأنه طلب من محامي سورية دراسة حول الطريق إلى الوحدة العربية، وطلب من الكاتب كتابة هذه الدراسة للاستنارة بها وتقديمها لمؤتمر المحامين.

وما جاء في هذه الدراسة قد قصد به شرح الواقع دون قصد تجريح أو تقرير مسؤوليات. وقد أصبح الآن دراسة تاريخية وموضوعية وحسب.

أولاً

1 ـ إن عناصر الوحدة العربية في البلاد العربية متوفرة أكثر مما هي متوفرة في أي بلاد وأمة تعيش الآن في نطاق وحدة ما.

2 ـ والأسباب الملحة للوحدة العربية قوية شديدة من مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية.. وهي وحدها الكفيلة بحل مشاكل البلاد العربية وتكامل مصالحها وتخلصها من استغلال المستعمرين ومطامعهم، وتطهير المغتصب من أراضي العرب من رجسهم.

3 ـ والرغبة في الوحدة العربية مستقرة في ضمير وقلب كل عربي في جميع الأقطار العربية. وهم يعبرون عن ذلك في كل مناسبة سانحة منذ خمسين سنة على الأقل.

4 ـ ولكن وعي جماهير الشعب وشعورهم بضرورة الوحدة سلبيان أو جامدان، غير متحركين بذاتهما لأسباب عديدة، من أهمها الجهل وضعف التنظيم الشامل، وانفقاد الوحدة الوطنية بين العناصر الوحدوية القادرة على الحركة والتحريك. وكل هذه العناصر مهمة جداً في قيام الوحدة وبخاصة الأخيرة منها.

5 ـ ولقد كانت الوحدة تحدث بالقوة. ومعظم البلاد المتحدة اليوم التي لم تكن متحدة قبل إنما أتحدت بالقوة والفرض. غير أن الظروف الدولية الراهنة تجعل ذلك الآن غير ممكن وغير وارد. وتجعل قيام الوحدة العربية رهناً بالقناعة والرضاء من جانب الجمهور العربي في كل قطر وعناصره الوطنية المختلفة

الواعية الوحدوية القادرة على الحركة والتحريك. وهذا لن يكون مضمونا بدءاً أو نتيجة إلا بتقوية الوعي والتنظيم الشامل ووحدة هذه العناصر بنوع خاص.

6 ـ وقيام الوحدة بدون ذلك رهن بموافقة وقناعة السلطات الحاكمة في البلاد العربية، ومعظمها تستند إلى القوة أكثر من استنادها إلى ولاء الأكثرية الكبرى من أهل البلاد. وافتقاد الوحدة الوطنية الذي يعني وجود تناقضات واختلافات في الأفكار والميول والرغبات والمبادىء والدوافع والموانع بين العناصر الوطنية الصالحة الواعية المحركة، يجعل الوحدة التي تقوم بموافقة وقناعة السلطات الحاكمة في خطر دائم، بسبب كون معظمها يستند إلى القوة فحسب دون تأييد وولاء الجماهير. وبعد التجارب التي مرت يمكن أن يقال إن الانقلابات لن تجدي في إقامة الوحدة إذا كانت تظل تفتقر لتأييد جمهور الشعب وعناصر وطنية عديدة واعية وقومية وتقدمية، وتكون في خطر دائم وعرضة للانتكاس.

ثانياً:

1 ـ إن الحكم الوراثي القائم في بلاد عربية عديدة بصفة (ملك) أو (أمير) أو (سلطان) أو (شيخ) عائق مهم في طريق الوحدة، لأن أصحابه لا يرضون بزوال حكمهم. ولا تتم وحدة صحيحة بغير ذلك.

ومن الأمور اليقينية التي نعرفها أن الملك السعودي وإمام اليمن اشترطا للانضمام إلى جامعة الدول العربية سنة 1944 أن تحتفظ كل دولة بكيانها القائم، وأن يكون التنظيم الجديد شكلاً وحدوياً أو توحيدياً أو اتحادياً.

2 ـ إن أسلوب الحكم في البلاد العربية مختلف بل ومتناقض كما يبدو مما يلي:

أ ـ هناك حكومات تسير على الأسلوب الاشتراكي، وحكومات لا تسير عليه. بل وحكومات تحاربه أشد حرب.

ب ـ وهناك حكومات، الحكم فيها لحزب واحد دون اندماج عناصر أخرى أو ولائها لها. وتستند إلى قوة الجيش والتشكيلات الحزبية والحكومية والشعبية التي تحت قيادة الحزب.

ت ـ وهناك حكومات لا تستند إلى حزب ولا تشكيل آخر، وإنما تستند إلى قوة الجيش والتشكيلات الحكومية والشخصية الحاكمة.

ث ـ وهناك حكومات تستند إلى قوة جيش وتشكيلات حكومية وشخصيات حاكمة وتشكيلات جماهيرية موالية.

جـ ـ وهناك حكومات ذات برلمان ودستور وحكومات ليس لها ذلك.

ح ـ وهناك حكومات تجعل الوحدة العربية شعاراً ومطلباً لها. وهناك حكومات تحارب ذلك بشتى الأساليب.

خ ـ ثم هناك حكومات تستطيع أن تعيش على مواردها، ومتحررة نتيجة لذلك من الارتباط بالقوى والدول الكبرى وبخاصة الاستعمارية والرأسمالية.

د ـ وهناك حكومات لا تستطيع أن تعيش على مواردها. ولا بد لها من مساعدات خارجية تتلقاها من الدول الاستعمارية والرأسمالية بنوع خاص. وهي بناء على ذلك شديدة الارتباط بها وتسير في فلكها وبتوجيهاتها. وهذه الحكومات هي التي تحارب الأسلوب الاشتراكي الذي تسير عليه حكومات أخرى، وهي التي ترى ارتباطها بالدول الاستعمارية الرأسمالية مما يقويها على محاربة هذا الأسلوب ومناوأته ومنع تسربه إليها، ومما يحفظ كيانها أيضاً.

ذ ـ وهناك حكومات وإن كانت تستطيع أن تعيش على مواردها، فإنها تحارب الأسلوب الاشتراكي وترتبط وتتضامن مع الدول الاستعمارية والرأسمالية، لأنها ترى في ذلك قوة لها على محاربة هذا الأسلوب، ووسيلة لحفظ كيانها معاً.

ر ـ والدول الاستعمارية والرأسمالية يهمها أن تبقى بلاد العرب مجزأة متناحرة متأخرة حفاظاً على مصالحها الكثيرة في هذه البلاد. وهي التي غرست إسرائيل في قلب بلاد العرب، وأمدتها وما تزال تمدها بأسباب الحياة والبناء والقوة والصمود بل والتفوق من أجل ذلك. وتبذل جهدها دائماً لجعل الدول التي تعيش على مساعدتها وتتقوى بها على موقفها المناوىء المحارب للأسلوب الاشتراكي، وعلى حفظ كيانها، أو ترتبط بها من أجل ذلك. ولو لم تعش على مساعدتها تضع العراقيل في سبيل أي وحدة. ولقد قدّم لضابط سوري كبير هو عبد الحميد السراج شيك بمليون جنيه رشوة ليقوم بحركة تعرقل أو تحبط قيام الوحدة السورية المصرية حين قيامها في شباط 1958، وعرف ونشر أن الشيك من الجانب السعودي الذي كان الارتباط والتواثق إذ ذاك شديدين بينه وبين الولايات المتحدة وبريطانيا.

ولقد أقدم الملك الأردني على الاضطلاع لفصم الوحدة المذكورة التي أخفقت محاولة منعها المذكورة. وتمكن من ذلك في أيلول 1961، وعرف ونشر أن للجانب السعودي والأميركي والإنكليزي يداً ومالاً في ذلك.

وكان من الحوافز لذلك أن الوحدة السورية المصرية سوف تسير على الأسلوب الاشتراكي، وأنها قد تستقطب الجماهير العربية وتهدد كيان المملكتين الأردنية والسعودية، ومصالح الدولتين الاستعماريتين الرأسماليتين.

3 ـ فليس هناك من أمل في رضاء هذه الحكومات بقيام أي وحدة عربية مجدية كما هو واضح.

4 ـ وهناك لبنان ذو التركيب العجيب المتناقض بطائفياته واقتصادياته وعشائرياته، وحكمه البرلماني الدستوري الذي يحب زعماؤه النافذون أن يبقى على حاله دون الانضمام لأي وحدة، وكان هذا شرطاً أساسياً اشترطه زعماء مسلمون ونصارى معاً لدخوله في منظمة جامعة الدول العربية سنة 1944. ولا يتورع من التقوي بالدول الاستعمارية على مطلبه هذا، والامتناع عن الانضمام إلى أي وحدة.

ثالثاً:

قد يرد على البال، أن تكون الوحدة على مراحل، وأن تكون المرحلة الأولى على أساس (الدول العربية المتحدة)، فتحتفظ كل دولة فيها بنظام حكمها ومنشآتها وأساليبها وتركيبها الداخلي. ويكون هذا علاج لحالة الحكومات العربية المختلفة. غير أن هذا الشكل فارغ من مضمون الوحدة العربية المجدية التي فيها علاج لحالة البلاد العربية وضروراتها الملحة.

ولقد جرب هذا الشكل في سنة 1959 بين الجمهورية العربية المتحدة وإمامة اليمن، فخاب، للمتناقضات الكثيرة بين الطرفين.

وهذا الشكل يقتضي على أقل تقدير ليكون ذا جدوى بصورة ما أن تتنازل الدول عن سيادتها في شؤون هامة تتولاها حكومة اتحادية عليا. وأهم هذه الشؤون (القوات الحربية ووحدة قيادتها والتشريع العام والسياسة الخارجية، والاقتصاد العام والمواصلات العامة والثقافة العامة)، وكل أمر من هذه الأمور يخيف

أصحاب الحكم الوراثي والشخصي والحزبي والطائفي، كما يخيف الذين لا يوافقون على الأسلوب الاشتراكي ويحاربونه. ويجعلهم يرفضون حتى هذا الشكل الضعيف، خشية أن يتطور ويجر عليهم ما لا يريدونه ويهدد كياناتهم ومصالحهم واحتكارهم. ويخيف الدول الاستعمارية خشية أن يتطور كذلك. ويجعلها تبذل مساعيها مع أوليائها وتحملهم على رفضه وإحباطه.

رابعاً:

1 ـ وقد يرد كعلاج للحكومات التي ترتبط بالدول الاستعمارية الكبرى لحاجتها اليها، أن تكفي الدول العربية القادرة تلك الدول غير القادرة على العيش بدون مساعدة أجنبية، فيكون ذلك ميسراً لقيام وحدة (الدول المتحدة) على الأقل. ولقد جربت هذه الطريقة سنة 1956، حينما تعهدت مصر والسعودية وسوريا للأردن بدفع ما كانت تأخذه من بريطانيا. وأقدمت نتيجة لذلك على إلغاء معاهدتها مع بريطانيا وتحرير نفسها منها.

ولقد قام نتيجة لذلك وحدة قيادة مشتركة بين الدول الأربعة، وعسكرت الكتائب السورية والمصرية والسعودية في الأردن، كما انعقدت معاهدة وحدة اقتصادية بين سورية والأردن في أعقاب ذلك. غير أن الدولتين الاستعماريتين الكبريين وبخاصة الولايات المتحدة أثارت خوف الملك حسين على عرشه، وقالت له أنه وضع نفسه وبلاده تحت رحمة الدول الثلاث، وأنه عرض بلاده للشيوعية. فتراجع وافتعل الأسباب ونقض الاتفاقيات المبرمة، وطرد الكتائب العسكرية، وحل الوحدة الاقتصادية السورية الأردنية، وأقال الحكومة الوطنية التي جرى كل هذا بمساعيها، وأتى بحكومة عميلة رجعية، وجعل نفسه وبلاده تحت رحمة الدولتين الاستعماريتين مرة ثانية، وصارتا تسدان عجز ميزانيته الدائم البالغ نحو نصفها، وتقوى بهما على محاربة الأسلوب الاشتراكي وحفظ عرشه، وغدا خاضعاً لتوجيهاتها.

2 ـ وبعد انهيار العرش الهاشمي في العراق، قوّى صلاته مع العرش السعودي بتحريضهما، وتناسى الطرفان عداوتهما الشديدة المتأصلة، وصارا يدا واحدة تحت لواء الدولتين ومباركتهما. وكان من آثار ذلك استطاعتهم تحطيم وحدة سورية ومصر في أيلول 1961 كما ذكرنا قبل. كما كان من آثار ذلك التآمر على ثورة اليمن التي انفجرت في أيلول 1962 لتخلص اليمن من عهد الظلم والظلمات. ولولا مسارعة الجمهورية العربية المتحدة إلى دعمها لنجح ذلك التآمر الذي كان الدافع عليه الخوف من سريان الثورة ضد الحكم الملكي الاستبدادي الإحتكاري. وفي اليمن الآن حرب غير معلنة بين الجمهورية العربية المتحدة من ناحية وبين السعودية وبريطانية من ناحية. . وما يزال التساند والتآمر بين العرشين السعودي والأردني قائمين تحت لواء الدولتين ومباركتهما، لمناوأة كل حركة تقدمية أو وحدوية تقوم في البلاد العربية. والصيال والنكايات والعداء الآن على أشد ما يكون بين الحكومتين السعودية والأردنية من ناحية، والحكومات المصرية والسورية واليمنية من ناحية أخرى بتحريض ومساندة ومباركة الدولتين الاستعماريتين.

3 ـ وهناك حكومات تستطيع أن تعيش على مواردها بدون حاجة ملحة إلى مساعدات الدول الاستعمارية، وتربط نفسها مع ذلك بهذه الدول لتقوى بها على محاربة الأسلوب الاشتراكي

وتفاديه وحفظ كيانها منها. وهي الكويت والبحرين والمغرب وتونس وليبية والسودان. وتونس من هذه الحكومات خاصة تتضامن بكل قوة مع السعودية والأردن في مواقفهما العدائية تجاه مصر وسورية.

ويتلخص من هذا أن احتمال جنوح هذه الحكومات إلى التوافق مع الدول الاشتراكية الأسلوب، المتحررة من الارتباط بالدول الاستعمارية ضعيف أو مفقود. فضلاً عن ضعف وانفقاد الأمل في اندماجها معها في أي شكل من أشكال الوحدة.

خامساً:

1 ـ وقد يرد على البال أن على الحكومات المتطابقة في نظام الحكم غير الوراثي. وفي الأسلوب الاشتراكي والاكتفاء الذاتي والتحرر من الارتباط بالدول الاستعمارية، أن تقيم فيما بينهما وحدة كمرحلة أولى.

2 ـ وهذه الحكومات هي الآن مصر وسوريا والجزائر، وقد يصح أن يضاف إليها العراق واليمن من ناحية التحرر ونظام الحكم، واحتمال أخذهما بالأسلوب الاشتراكي، بقدر ما تساعد عليهما ظروفهما وحالتهما. وقد يقوي هذا ويعظم الأمل في تحقيق الوحدة بينهما أن هذه الحكومات تجعل الوحدة من أهم شعاراتها فضلاً عن شعوبها. غير أن من الحق أن يقال أن التطابق والتجانس غير تام بين هذه الحكومات أيضاً.

3 ـ والحكم في مصر وإن كان في يد عبد الناصر ورفاقه الضباط الأحرار استمراراً للثورة العسكرية الصبغة التي قاموا بها سنة 1952، ويستند إلى قوة الجيش، فإنه قام في ظله تشكيل جماهيري صار له قيادات سياسية متسلسلة وهو الاتحاد الاشتراكي، وأصبح سنداً له. وقام كذلك مجلس أمة منتخب نصف أعضائه يمثلون جماهير الشعب أي الفلاحين والعمال، وهو كذلك سند له.

4 ـ والحكم في العراق لا يستند الآن إلى حزب ولا إلى تشكيلات شعبية، وإنما إلى قوة الجيش والتشكيلات الحكومية والشخصيات الحاكمة. وفي العراق عناصر عديدة واعية ووحدوية وتقدمية غير مندمجة في هذا الحكم وغير موالية له. ويحاول هذا الحكم أن يقيم تشكيلاً باسم الاتحاد الاشتراكي، يندمج فيه هذه العناصر وغيرها على غرار مصر. وأن يضع دستوراً ويجري انتخابات لمجلس أمة أيضاً. ولكن ذلك لم يتم.

5 ـ ومثل هذا يقال بالنسبة للحكم في اليمن الآن، وقد قام مؤخراً تشكيل جماهيري باسم الاتحاد الشعبي، ولكنه لم يستقر بعد.

6 ـ والوحدة إذا قامت بين هذه الأقطار الخمسة في حالتها الراهنة، ستكون كما هو واضح وحدة بين حكومات مختلفة في أسلوب الحكم ومستنداته، ويفتقد معظمها الوحدة الوطنية بين العناصر الوحدوية التقدمية الواعية. وتكون بالتالي معرضة للانتكاس.

7 ـ ولقد جوبه هذا الأمر في مفاوضات الوحدة الثلاثية في نيسان 1963 التي جرت بين مصر وسورية والعراق. وعولج بالاتفاق على قيام جبهة وطنية في سورية والعراق، تتمثل فيها تلك العناصر. ويكون لها مكتب سياسي يتولى تنظيم الدولة والحكم في سورية والعراق، والإشراف على انتخاب مؤسسات الوحدة. وقد اعتبرت التشكيلات الشعبية القائمة في مصر (الاتحاد الاشتراكي) ممثلة لجميع العناصر. ولذلك اقتصر هذا العلاج على سورية والعراق.

غير أن هذه المعالجة لم تسفر عن نتيجة ايجابية لأسباب واعتبارات متنوعة، وأدى ذلك الى انتقاض الميثاق.

سادساً:

1 - من كل ما تقدم يظهر أن طريق الوحدة بأي شكل مجدٍ غير سالك الآن بل وإلى أمد غير قصير مع الأسف الشديد، رغم الضرورات الملحة القومية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ورغم توافر كل عناصر الوحدة ومقوماتها، ورغم الرغبة المستقرة في ضمير الشعب العربي في جميع الأقطار.

2 - على أن هذه الضرورة والعناصر والرغبة توجب عدم اليأس وعدم نفض اليد من العمل للوحدة، لأنها كما قلنا ضرورة ملحة لا يمكن أن يقوم للأمة العربية عهد زاهر متكامل وعزة وتحرر إلا في ظلها.

3 - ولقد تبنت مؤتمرات المحامين العرب الدعوة إلى الوحدة منذ بدء انعقادها، واستمرت تدعو إليها وتضع الاقتراحات لها في كل دورة من دوراتها. ومن الواجب على المؤتمر في دوراته الآتية أن يستمر في دعوته، وأن تشتد أكثر من ذي قبل تبعاً لاشتداد الضرورة الملحة. ونرى أنه يجب عليه في الدورة المقبلة القريبة أن لا يكتفي بالنداء والمناشدة، بل عليه أن يعين لجنة خاصة متفرغة مؤلفة من أعضاء ذوي إيمان بالوحدة وضرورة التعجيل في إقامتها، وذوي لباقة ونزاهة وعلم وعقل ونشاط وخلوص نية وترفع عن الاعتبارات الحزبية والمحلية والإقليمية، تبذل مساعيها وجهودها بخاصة في الأقطار الخمسة المتحررة، وتزورها وتتصل بذوي الكلمة والرأي والنفوذ فيها. وتقترح الحلول التي يمكن التغلب بها على العوائق والاعتبارات المختلفة، وتقوم بدور الوسيط المقرب للأفكار والنزعات. ولا تمل من العمل ولا تيأس مهما قام في الطريق من صعوبات ومتناقضات.

4 - ومايزال ميثاق 17 نيسان 1963 صالحاً ومتناسباً مع ظروف البلاد العربية. ويصح أن يكون الأساس الذي تقوم عليه الوحدة الاتحادية في نطاق الدولة الواحدة، سواء في نصوصه ومداه، أم في إقامة الجبهات الوطنية في البلاد التي لا تنضوي فيها العناصر الوحدوية التقدمية الواعية في تنظيم شامل. إن لم يكن الأخذ بفكرة الاتحاد الاشتراكي ذي التنظيمات القيادية والسياسية المتسلسلة الذي تنضوي فيه جميع العناصر الوطنية الواعية المخلصة وتتفاعل فيه مختلف الأفكار والمبادىء والمصالح. إن الوحدة ضرورة قوية ملحة، وهذا ما يوجب على كل قومي عربي مخلص إدراكه والعمل في سبيل تحقيقه بكل جهد وتحمل كل مشقة وصعوبة بصدر رحيب وأناة وهو ما يجب أن تكون اللجنة المقترح تفرغها عليه. والله الهادي الى سواء السبيل(*).

***

(*) أخبرنا الأستاذ عدنان المجركش الذي طلب هذه الدراسة وأخذها حينما عاد مع زملائه من مؤتمر المحامين أنهم قدموا للمؤتمر بحثاً مقتبساً من هذه الدراسة، وأن المؤتمر قرر بناء على ذلك تأليف لجنة دائمة في مكتبه لتبذل الجهود في سبيل لقاء القوى التقدمية الوحدوية. 22 مارس 1967.

(60) مقال للكاتب بعنوان: اتحاد الدول العربية هو العلاج الوحيد الملّح

نشر في مجلة المعرفة الدمشقية في عدد أيلول 1967:

تمهيد،

من عجائب الصدف أن يكون المقال الأول في هذه المجموعة الذي نشر على أثر نكبة فلسطين في سنة 1948، وهذا المقال الذي نشر على أثر نكبة حزيران 1967 في معنى واحد، وصادرين من وحي الموقف الراهن المرير. مع أننا نسينا المقال الأول ولم نعد نذكره، وإنما وجدناه بين أوراقنا القديمة مؤخراً.

- بعد هذا التمهيد نورد المقال كما يلي:

نص المقال:

عادت الأصوات تتعالى وتتوالى في هذه الأيام بالوحدة على أنها العلاج الملح الوحيد للنكسة التي ألمت بالأمة العربية. لأن في نطاقها فقط يمكن تجميع قوة العرب وطاقاتهم البشرية والاقتصادية والعسكرية، والصمود إزاء قوى الشر والصهيونية والاستعمارية التي تتآمر عليهم لبسط هيمنتها عليهم، بعد أن استطاعوا أن ينفلتوا من أسلوبها التقليدي القديم.

وهذا حق كل الحق. فالوحدة - التي كانت وما تزال مطلب الشعب العربي ومناط أمله وعزته وقوته وتكامله وازدهاره وحل قضاياه، في غير ظرف نكبة طاحنة مثل النكبة التي ألمت به، والتي تتوفر كل أسبابها في الوطن العربي والشعب العربي بأوسع مقياس توفرت به عند أية أمة أخرى من أمم الأرض، حتى غدا عدم تحقيقها وصمة عار في جبينهم، وصاروا بذلك مثار سخرية الأمم التي لم يبق غير متحد منها غيرهم - هي الآن أشد إلحاحاً وضرورة من أي وقت، لأنها العلاج الملح الوحيد لتلك النكبة الطاحنة. ولا نريد أن نبحث في الأسباب والظروف المتنوعة التي حالت دون قيام الوحدة، والتي اقتصرت الآن على الداخلي منها المتمثل بالدرجة الأولى في اختلاف النظم السياسية والإقتصادية، وفي قوة جذور الإقليمية التي غرسها المستعمر، وفي شدة الحرص على الاحتفاظ بالشخصية. وكل هذا مما تنفذ منه دسائس الاستعمار وتجعل التغلب عليه عسيرا.

ومع ذلك فإننا نعتقد أن هذه الحالات يمكن أن تعالج بالاتحاد بدلاً من الوحدة.

وللاتحاد أسلوبان: أسلوب الدولة المتحدة وأسلوب الدول المتحدة. وفي حالتنا، في ضوء الأسباب والظروف التي نعيشها، يكون الأسلوب الثاني هو الأكثر إمكاناً، بحيث تحتفظ كل دولة من الدول العربية بشخصيتها ونظام حكمها وشؤون إقليمها وثرواتها المحلية، وتتنازل عن سيادتها في الشؤون العسكرية والسياسية والاقتصادية والمواصلات العامة والجمارك لحكومة اتحادية. على أن تحل مشكلة اختلاف النظام الاقتصادي المحلي أي الرأسمالي، الذي يسير عليه بعض الدول، والاشتراكي الذي يسير عليه بعض آخر، باحتفاظ كل فريق بأسلوبه، دون أن يكون لحكومة الاتحاد تدخل فيه.

ولقد اتفقت بعض الدول العربية فيما بينها على إقام وحدة اقتصادية وسوق عربية مشتركة، برغم ما بينها من تغاير في السير الاقتصادي، ويعتبر هذا دليلاً على سواغ ما قلناه.

ولقد كنت رسمت خطوطاً دستورية لمثل هذا

الاتحاد. ومازلت أراها إجمالاً صالحة للتطبيق ومجيبة للحاجة الملحة لمعالجة النكبة الطاحنة، ومواجهة التحدي الذي يفرض علينا والتغلب عليه، إذا قبلت الحكومات العربية بها أو بما يشابهها وأقدمت على تنفيذها. وليس من محنة ونكبة تحدّ يمكن أن يلم بالعرب أشد مما هم واقعون فيه وواقفون أمامه الآن. فإذا لم ينفذوا مثل هذه الخطة التي هي أضعف الإيمان في سبيل توحيد طاقاتهم البشرية والاقتصادية والعسكرية والسياسية، فأخشى ما يخشى أن لا يستطيعوا شيئاً مما يقولونه ويعلنونه، ويكونون قد تحملوا أعظم مسؤولية قومية أمام الله والتاريخ والوطن.

وقد يكون وزراء خارجية العرب على أحسن الفروض قد اتفقوا على توحيد الخطط والقيادة العسكرية والسياسية والاقتصادية، وقد يوافق مؤتمر الملوك والرؤساء المزمع عقده على ذلك على أحسن الفروض أيضاً. ولكنه سيظل معرضاً للعثرات والنكسات، ما لم تتنازل الدول العربية كما قلنا عن سيادتها في هذه الشؤون، وتوضع في عهدة جهاز اتحادي قادر على التنفيذ والتجاوز عن الاعتبارات والأسباب المتنوعة التي تنشأ عنها العثرات والنكسات. . . وأمامنا جامعة الدول العربية التي سجلت مئات القرارات والاتفاقات الاجتماعية في مختلف الشؤون العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية، ثم بقيت حبراً على ورق، لأن التنفيذ ظل في يد الدول التي تحتفظ بسيادتها على هذه الشؤون، ولم تنفذ الدول ما وافقت عليه لاعتبارات إقليمية وسياسية بل وشخصية. وأمامنا كذلك معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي التي جاءت صيغتها مستوفاة. بل وأمامنا من قريب مؤتمرات القمة التي تقررت فيها قرارات مهمة، مثل إنشاء القيادة الموحدة، وهيئة تحويل الروافد، ومنظمة التحرير، والتجنيد الإجباري، واستكمال التسلح، والوقوف من الدول الأجنبية حسب مواقفها من قضايانا عامة وقضية فلسطين خاصة. فقد تعثر بعضها لنفس الأسباب. وليس لهذا علاج غير خطة اتحادية دستورية مثل الخطة المقترحة. ولا سيما أن التحدي الذي تواجهه الأمة العربية ويظل يستنفد قواها وجهودها ويكون لها هماً مقيماً مقعداً ـ لن يقف حتى ولو تحقق سلمياً المطلب العاجل، وهو انسحاب القوات الإسرائيلية إلى ما وراء خطوط الهدنة، ما دامت جرثومة الشر باقية في أرضنا، والاستعمار يحاول عبرها بسط هيمنته على بلادنا واستغلال ثرواتنا. وما دمنا نتطلع إلى تحقيق أهداف أمتنا في الحرية والكرامة والعزة والوحدة الشاملة والتكامل والازدهار. لأن كل هذا يفرض علينا أن نستمر في الاستعداد للمعركة والتضامن فيها، حتى نقتلع جرثومة الشر ونقضي على آمال الاستعمار ونحقق أهداف أمتنا مهما طال الزمن وعظمت التضحيات. وهذه هي الخطوط الدستورية المقترحة:

أولاً: اختصاص الاتحاد:

يختص اتحاد الدول العربية بالشؤون الآتية:

أ ـ شؤون الدفاع والحرب والصلح:

وتكون جميع القوات الحربية في الدول العربية موحدة نظماً وإدارة، وتابعة لقيادة واحدة ووزارة دفاع اتحادية فقط.

ب ـ الشؤون الخارجية:

ويشمل ذلك التمثيل الخارجي والسياسة

الخارجية والمعاهدات[1] الخارجية، ويكون هناك وزارة خارجية اتحادية واحدة.

ت ـ الشؤون الاقتصادية في النطاق التالي:

1 ـ وحدة جمركية نظماً وإدارة وجباية.

2 ـ وحدة نقد وإدارة.

3 ـ تنظيم وتوجيه السياسة الإقتصادية الخارجية.

4 ـ الطوابع المالية (التمغة) نظماً وإدارة وجباية.

5 ـ الاستقراض الداخلي والخارجي.

6 ـ وحدة سوق عربية مشتركة.

وتقسم هذه الاختصاصات بين وزارتين اتحاديتين اولاها الوزارة المالية وثانيتهما الوزارة الاقتصادية.

ث ـ شؤون المواصلات:

ويكون البرق والبريد والطيران المدني والملاحة المدنية والخطوط الحديدية والموانىء والمطارات موحدة النظم والإدارة والجباية. وتشرف على هذه الشؤون وزارة اتحادية باسم وزارة المواصلات، ويدخل في اختصاصها مشاريع الطرق والعمران المشتركة بين دولتين أو أكثر.

جـ ـ الشؤون الثقافية:

في نطاق وحدة النظم والمناهج والخطط الثقافية العامة توخياً لتوطيد الانسجام القومي والفكري والأدبي والاجتماعي العام، وتشرف على هذه الشؤون وزارة ثقافية اتحادية.

ح ـ التشريع المدني والجزائي والاجتماعي والعمالي:

ويشرف على ذلك وزارة تشريع اتحادية.

ثانياً ـ المواطن العربي في الاتحاد:

أ ـ يكون لرعايا الدول المتحدة جنسية اتحادية تخولهم حق التنقل والإقامة والنشاط والعمل في أية دولة من دول الاتحاد، وحق الاستيراد والتصدير على قدم المساواة مع أبناء تلك الدولة دون أن يتقيدوا إلا بما تضعه السلطات الاتحادية من قوانين وقيود على ذلك.

ب ـ يكون لرعايا كل دولة جنسية خاصة أيضاً تخولهم حق ممارسة الحقوق الانتخابية والمدنية في دولهم.

ت ـ ييسر لمن أراد من رعايا أية دولة من الدول المتحدة أن يبدل بجنسيته جنسية الدولة التي يقيم ويعمل فيها إذا مر عليه فيها مقيماً وعاملاً سنتان، وحينئذ يستطيع أن يمارس الحقوق الانتخابية في الدولة التي تجنس بجنسيتها، وينقطع حقه في ذلك في دولته الأولى.

ث ـ كل من اقترف جرماً مهما كان نوعه، وفر إلى دولة أخرى، يسلم إلى سلطات الدولة التي اقترف جرمه فيها حينما تقدم هذه السلطات ملف قضيته مؤيداً بقرار الإدانة من قاضي التحقيق. على أن يكون له حق استئناف قرار التسليم أمام محكمة الاستئناف في الدولة التي هو فيها. ويكون تسليمه رهناً بقرارها. وكل من حكم عليه في قضية مدنية، واكتسب الحكم الدرجة القطعية، وفر إلى دولة أخرى، أو هرب إليها أمواله، أو كان يقيم فيها، تنفذ سلطات

(1) من الممكن مع ذلك أن تحتفظ الدول المتحدة بوزارات خارجيتها الخاصة لضمان بقاء تمثيلها في المجالس الدولية على نحو ما في بعض جمهوريات الاتحاد السوفياتي مثل أوكرانيا وروسيا البيضاء، من غير أن يكون هناك تمثيل خارجي متعدد وعمل خارجي متعدد.

هذه الدولة الحكم حينما تقدم سلطات الدولة التي صدر فيها ملف قضيته مؤيداً بالحكم القطعي. أما الجريمة التي يقترفها أحد رعايا دولة في أرض دولة أخرى، أو الحقوق المدنية التي تستحق عليه فيها، فقضاء الدولة التي هو فيها هو المرجع لذلك.

ج - يضمن الاتحاد لجميع المواطنين في الدول الأعضاء الحريات والحقوق الشخصية التي تنص عليها شرعية حقوق الانسان العالمية، أو التي جرى العرف عليها وأقرتها دساتير العالم.

ح - يضمن الاتحاد لجميع الأديان والمذاهب في الدول المتحدة تقاليدها الخاصة، على أن لا يتنافى ذلك مع الوحدة القومية ومصلحة الدول المتحدة والأمن والذوق العام.

ثالثاً - المنظمات الاتحادية:

1 - يقوم على شؤون الاتحاد مجلس تنفيذي ومجلس تشريعي ومحكمة عدل عليا وقيادة عامة.

2 - المجلس التنفيذي:

أ - يتألف هذا المجلس من رئيس ووزراء للخارجية والمالية والدفاع والمواصلات والثقافة والتشريع العام والجنسية والعمل.

ب - رئيس المجلس هو رئيس الاتحاد أيضاً، ومدة رئاسته سنتان، ومهمته تمثيل الدول المتحدة، وقبول سفراء الدول الأجنبية، وإيفاد السفراء والبعثات السياسية، وإبرام المعاهدات والاتفاقات والقوانين الاتحادية، وإعلان نفاذها، وإدارة جلسات المجلس، وما يمكن أن تنص عليه لائحة المجلس التي يضعها المجلس ويوافق عليها المجلس التشريعي من شؤون أخرى. وتتناوب الدول المتحدة الرئاسة حسب الحروف الهجائية العربية. ويختار المجلس التشريعي بأكثرية عدد أعضائه الرئيس من بين ثلاثة مرشحين ترشحهم الدول صاحبة الدور.

وإذا مات أو استقال أو أدين أو عزل يتمم مدته رئيس يختاره كذلك المجلس التشريعي من بين ثلاثة مرشحين من الدولة صاحبة الدور.

وإذا وقع هذا في عطلة المجلس التشريعي الاتحادي، وجب اجتماعه اجتماعاً خارقاً خلال أسبوع واحد لملء الفراغ. أما إذا تغيب الرئيس مؤقتاً لمرض أو سفر أو سبب آخر، فيقوم مقامه رئيس المجلس التشريعي. ويقوم هذا مقام الرئيس أيضاً في الحالة الأولى، إلى أن يجتمع المجلس التشريعي ويختار خلفاً له.

ت - وزراء الاتحاد ينتخبون من قبل المجلس التشريعي بأكثرية عدد أعضائه من بين مرشحين ترشح كل دولة واحداً منهم لكل وزارة. وليس لهم مدة. وإذا استقال وزير أو مات أو أدين وعزل، فينتخب المجلس التشريعي آخر مكانه من بين مرشحين ترشح كل دولة واحداً منهم. ويجوز أن يكون مرشحو الدول أو بعضهم من غير رعاياها.

ويصرف كل وزير شؤون وزارته وفق لائحة داخلية يضعها المجلس التنفيذي ووفق القوانين النافذة. أما مشاريع القوانين والاتفاقيات والمعاهدات السياسية والاقتصادية والعسكرية فالنظر فيها عائد إلى المجلس التنفيذي، وتنفذ قراراته وفقاً لما تنص عليه اللائحة الداخلية، والمجلس متضامن في المسؤولية في السياسة العامة، وكل وزير مسؤول عن أعمال وزارته الخاصة.

3 - المجلس التشريعي الاتحادي:

أ - يتألف المجلس التشريعي الاتحادي من

أعضاء منتخبين من قبل مجلس الأمة القائم في كل دولة، أو ما يقوم مقامه حسب نظام الدول، بنسبة عضو واحد عن كل نصف مليون من أهلها أو كسوره، إذا كان الكسر لا يقل عن ربع مليون، وعلى أن لا يقل عدد أعضاء كل دولة عن اثنين ولا يزيد عن أربعين، ومن أعضاء مختارين من قبل مجلس وزراء كل دولة بنسبة عضو واحد عن كل مليونين من أهلها وكسوره إذا كان الكسر مليوناً على الأقل، على أن تمثل الدول التي لا تبلغ المليونين بعضو واحد على كل حال، وعلى أن لا يزيد عدد هؤلاء الأعضاء من أي دولة عن عشرة[1].

ب ـ مدة المجلس أربع سنين ويعقد دورتين في كل سنة: واحدة في أول تشرين الأول (اكتوبر)، وثانية في أول آذار (مارس). وتستمر كل دورة شهرين. ويتولى تشريع جميع الشؤون الاتحادية بما فيها الموازنة.

ت ـ المجلس التنفيذي هو الذي يقدم المشاريع للمجلس التشريعي، ولربع أعضاء هذا المجلس أن يقدموا ما يرونه من المشاريع أيضاً.

ث ـ يتخذ المجلس التشريعي قراراته بأكثريته العددية، عدا قرارات إعلان الحرب ومعاهدات الصلح والاتفاقيات الاقتصادية التي لا تزيد مدتها عن خمس سنين. فإن ذلك يتم بأكثرية ثلاثة أخماس أعضائه. ويستثنى الدخول الاضطراري في حالة الحرب نتيجة لعدوان مسلح على إحدى الدول المتحدة، حيث يكون ذلك بقرار من المجلس التنفيذي، على أن يعرض الأمر على المجلس التشريعي.

جـ ـ تنفذ القوانين والقرارات التي تتقرر في المجلس التشريعي بعد إبرامها من رئيس الإتحاد الذي يجب عليه أن يعيدها باعتراض مدلل في خلال أسبوعين، إذا لم ير إبرامها، فإذا أصر المجلس وجب إعلانها وتنفيذها.

ح ـ للمجلس التشريعي حق سؤال المجلس التنفيذي بما فيه الرئيس والوزراء بانفراد عن كل شأن من شؤون الاتحاد. وله حق إدانتهم بالتقصير والإهمال ومخالفة الدستور والقوانين، أو الخيانة، بأكثرية ثلاثة أخماس أعضائه. وحينئذ تنظر محكمة العدل الاتحادية في الأمر وتصدر قرارها. وإذا كان قرارها إيجابياً في تهمة التقصير والإهمال ومخالفة الدستور والقوانين فإنه يعني العزل. وإذا كان قرارها إيجابياً في تهمة الخيانة، فتحيله إلى محكمة جنايات الدولة العليا في مركز الاتحاد. ولها أن تحيله إلى هذه المحكمة إذا ترتب على الإهمال والتقصير والمخالفة خسارة مادية لخزانة الاتحاد.

خ ـ يجوز للمجلس التنفيذي أن يدعو المجلس التشريعي لاجتماع فوق العادة إذا اقتضت ذلك المصلحة والظروف. ولربع أعضاء المجلس التشريعي طلب ذلك، ومثل هذا الحق لدولتين من الدول المتحدة. واجتماعات هذا المجلس الخارقة تتم بدعوة من المجلس التنفيذي. وطلب دعوته يقدم إلى هذا المجلس وعليه تنفيذه.

4 ـ محكمة العدل الاتحادية:

أ ـ تتألف هذه المحكمة من عضو لكل دولة

---

(1) القصد من جعل مجلس الوزراء يختار الفئة الثانية من الأعضاء ضمان الكفاءة والخبرة. وبعض الدول الاتحادية تسير على طريقة مجلسين بدلا من مجلس واحد، يسمى أحدهما مجلس الأمة أو الشعب وثانيهما مجلس الدول أو الأقاليم. ونحن فضلنا المجلس الواحد تفادياً للإشكال. والأسلوب الذي رسمناه جامع للمجلسين كما هو ظاهر.

يقل عدد سكانها عن خمسة ملايين، وعضوين لكل دولة يزيد سكانها عن هذا العدد.

ب ـ يختار أعضاؤها من قبل المجلس التشريعي الاتحادي بأكثريته العددية من بين مرشحين بقدر ثلاثة أضعافهم، ترشحهم الدول حسب استحقاقها المذكور آنفاً. ويشترط أن يكون المرشحون من رعايا الدولة المرشحة.

ت ـ ينتخب المجلس التشريعي رئيس المحكمة أيضاً من بين مرشحين ترشح كل دولة واحدا.

ث ـ إذا شغر مكان في المحكمة يملأ بنفس الطريقة.

ج ـ رئيس وأعضاء المحكمة لا يعزلون، ويعتزلون الخدمة بالاستقالة أو ببلوغ سن السبعين.

ح ـ مهمة محكمة العدل :

1 ـ حل الخلافات التي تقوم بين الدول المتحدة في مختلف الشؤون التي لا يمكن حلها بالمحادثات الثنائية. وبطلب من إحدى الدول المختلفة مع غيرها، أو من رئيس الإتحاد.

2 ـ النظر في قرارات إدانة رئيس المجلس التنفيذي والوزراء الصادرة من المجلس التشريعي، وإصدار قرار فيها بعد منح المدان فرصة الدفاع.

3 ـ النظر في دستورية أي تشريع أو قانون أو نظام أو أمر أو قرار صادر من المجلس التشريعي أو المجلس التنفيذي، وإصدار قرار في ذلك إذا طلبته إحدى الدول المتحدة.

4 ـ النظر في أي شكوى يتقدم بها أحد رعايا الدول المتحدة في حالة وقوع ضرر وبغي عليه من حكومته الخاصة أو من الحكومة الاتحادية، ويكون فيه مخالفة للدستور أو أي تشريع وقانون ونظام وأمر وقرار صادر من المجلس التشريعي أو المجلس التنفيذي، ورفضت حكومة الإتحاد أو حكومته المحلية النظر فيها وإصدار قرار فيها.

5 ـ النظر في أي خلاف يحدث بين المجلس التنفيذي وإحدى الدول المتحدة إذا طلب ذلك المجلس أو الدولة، وإصدار قرار فيه.

6 ـ تفسير ميثاق الإتحاد ومواد الدستور إذا طلب منها ذلك المجلس التنفيذي أو إحدى الدول المتحدة.

خ ـ دعوة المحكمة واجبة التلبية وقراراتها التي تصدر بالأكثرية. وترجيح رأي الرئيس في حالة التساوي، واجبة التنفيذ. وإذا رفضت الجهة المدانة تنفيذ القرار فالمجلس التنفيذي يقترح على المجلس التشريعي ما يراه في صدد التنفيذ، بما في ذلك فرض ما يراه من عقوبات ثم الإرغام بالقوة. وينفذ ما يقرره المجلس التشريعي بأكثرية ثلاثة أخماسه، وإذا كانت الجهة الرافضة للدعوة أو التنفيذ هي المجلس التنفيذي، فالمحكمة ترجع إلى المجلس التشريعي في أول انعقاد له، والمجلس يقرر ما يقتضيه الموقف بأكثرية ثلاثة أخماسه.

5 ـ القيادة العامة :

أ ـ تنشأ قيادة عسكرية، عامة للإشراف على تنظيم وحركة الجيش الإتحادي.

ب ـ يعين المجلس التنفيذي القائد العام للجيش العربي الاتحادي من بين مرشحين ترشح إثنين منهم كل دولة، ولا يشترط أن يكون المرشحون من رعايا الدولة المرشحة. ويكون القائد العام هو الرئيس الطبيعي للقيادة العامة في وقتي السلم والحرب.

ت ـ المجلس التنفيذي يعين هيئة القيادة

العامة من مرشحين يرشحهم القائد العام، يكون عددهم ضعف العدد المقتضى.

ث ـ القيادة العامة مرتبطة بوزارة الدفاع الإتحادية من ناحية التموين والتمويل والتنظيم والتجهيز، وبالمجلس التنفيذي من ناحية العمل الحربي.

ج ـ القيادة العامة هي التي تنظم وتحرك القطاعات العسكرية في كل دولة في وقت السلم والحرب، على اعتبار أنها قطاعات جيش واحد وليس للدول أي سلطة عليها.

رابعاً ـ مواد متنوعة عامة:

1 ـ للدول المتحدة راية عامة تكون من ثلاثة ألوان أفقية، الأخضر فالأبيض فالأسود، ويكون في الأبيض نجوم حمراء خماسية بعدد الدول المتحدة.

2 ـ ينشأ في مركز كل دولة مكتب إتحادي مرتبط برئيس الاتحاد ليكون واسطة الإتصال والتنسيق بين الإدارة الاتحادية والدول التي يكون فيها.

3 ـ ينشأ في كل دولة فروع للوزارات الإتحادية تكون تابعة إدارة ونظماً لإدارة الشؤون الاتحادية.

4 ـ يحظر على حكومات الدول المتحدة ومجالسها التشريعية وضع أي قانون أو اتخاذ أي قرار يتناقض مع الدستور الاتحادي والقوانين والقرارات الاتحادية. وحينما يكون تباين بين أي قانون أو قرار في دولة من الدول وبين دستور الإتحاد وقوانينه وقراراته، فإن هذه هي التي تكون نافذة في الدول المتحدة بما فيها تلك الدولة.

5 ـ إذا قدمت ثلاث دول من الدول المتحدة، أو ثلث أعضاء المجلس التشريعي الإتحادي، طلباً بإدخال تعديل ما على الدستور الإتحادي، فيجب على المجلس بحث الإقتراح في الدورة التالية للدورة التي قدم فيها الطلب. وما يقره المجلس بأكثرية ثلثيه يصبح دستوراً.

6 ـ ما يزيد من ريع المصالح والمؤسسات الإتحادية بعد نفقات الإدارة الإتحادية بما فيها الجيش، يوزع على الدول بنسبة ميزانية كل منها، إلا إذا قرر المجلس التشريعي بأكثرية ثلاثة أخماسه الإحتفاظ بالزيادة كاحتياطي للإتحاد، أو تعديل النسبة إزاء بعض الدول بسبب حالتها الخاصة من اليسر والعسر. وإذا نقص الريع عن هذه النفقات يوزع النقص على الدول بنفس النسبة، إلا إذا قرر المجلس التشريعي بأكثرية ثلاثة أخماسه تعديل هذه النسبة إزاء بعض الدول بسبب حالتها الخاصة من اليسر أو العسر كذلك.

7 ـ لكل دولة من الدول المتحدة الإحتفاظ بنظام حكمها ودستورها وتشكيلاتها ونظمها الراهنة. كما أن لها أن تدخل على ذلك ما تراه من تعديل وتغيير لا يتناقضان مع الدستور الإتحادي. وتتولى كل دولة الشؤون التي لم تدخل في اختصاص الاتحاد وصلاحيات منظماته تشريعاً وتنفيذاً.

8 ـ الشؤون الداخلية لكل دولة هي من شأن شعب هذه الدولة، وليس لأية دولة حق التدخل فيها.

خامساً ـ الخطوات الإجرائية نحو إخراج الإتحاد إلى الوجود:

1 ـ تجتمع وفود الدول الراغبة في الاتحاد في مؤتمر، وتتفق على ميثاق باسم (ميثاق الدول العربية المتحدة) يوقعه كل وفد منها. وينص الميثاق على:

أ ـ الموافقة على قيام اتحاد عربي باسم (الدول العربية المتحدة) في الشؤون السياسية والعسكرية والإقتصادية والثقافية والمواصلات.

ب ـ جواز انضمام الدول والكيانات العربية التي قد تتأخر عن الانضمام إلى الميثاق أو تنشأ نتيجة للتحرر من الاستعمار.

ت ـ وضع دستور إتحادي ـ تحدد فيه المقاصد والحقوق والواجبات والسلطات التي تشرف على الإدارة الاتحادية. وإسم العاصمة ـ من قبل مجلس تأسيسي يتألف من أعضاء منتخبين من المجالس التشريعية القائمة في كل دولة حسب نظامها، بنسبة عضو واحد عن كل نصف مليون من السكان، على أن لا يقل عدد ممثلي كل دولة عن اثنين ولا يزيد عن أربعين. ثم من خمسة أعضاء من كل دولة تعينهم حكوماتها ويراعى فيهم الكفاءة والخبرة.

2 ـ إبرام الميثاق وفقاً للطريقة الدستورية أو أسلوب الحكم القائم في كل دولة في مدة لا تتجاوز الشهرين.

3 ـ انتخاب المجلس التأسيسي خلال مدة لا تتجاوز الشهرين من إبرام الميثاق. واجتماعه بعد أسبوعين من انتخابه برئاسة أكبر الأعضاء سناً ليختار مكتبه ويضع لائحته الداخلية ويباشر مهمته التي يجب أن ينتهي منها في مدة لا تزيد عن ستة أشهر.

4 ـ إنشاء أمانة عامة للاتحاد لملاحقة تنفيذ الميثاق وإتمام خطواته، تنتهي مهمتها حينما تقوم الإدارة الاتحادية الدستورية.

5 ـ حينما ينتهي وضع الدستور تسارع الدول الموقعة على الميثاق إلى الموافقة عليه وإبرامه حسب حالتها الدستورية، ثم إلى تعديل دساتيرها وفقاً له. وبذلك يغدو الاتحاد في حيز التطبيق، وتتم تباعاً خطواته لانتخاب المجلس التشريعي الاتحادي ثم المجلس التنفيذي ثم محكمة العدل الاتحادية ثم القيادة العامة الإتحادية، وفقاً لنصوص الدستور التي تكون في نطاق الخطوط السابقة.

هذه خطوط ومبادىء عامة قابلة طبعاً للتعديل والتوسيع والتركيز. وقد روعيت فيها مختلف الاعتبارات القائمة في البلاد العربية، والتي لا يمكن تجاوزها في الوقت الحاضر.

وتستطيع كل دولة وفاقاً لها أن تحتفظ باستقلالها الداخلي فيما يتصل بطرق التطبيق وحفظ الأمن والنظام ومشاريع العمران والتنظيم والطرق، والشؤون البلدية والصحية والزراعية والصناعية والتجارية والتعليمية والضرائب المحلية من دخل أرض وعقار ورسوم متنوعة أخرى، كما تحتفظ بنظام حكمها الراهن، وتشكيلاتها الداخلية، وثرواتها المكنوزة في أرضها. ويكون لها دستورها ومجلس أمتها، ومجلس وزراء يضم وزارات للشؤون المتروكة لها، وشرطتها ودركها الخ. في حين تغدو الدول العربية متحدة دستورياً وإجرائياً وعسكرياً وسياسياً وإقتصادياً وثقافياً. ولم تدخل الثروات المكنوزة في أراضي الدول المتحدة في نطاق الاتحاد ـ مع أن المعقول والمتعارف عليه أن تكون داخلة فيه ـ لحساسية المسألة ، وحرصاً على عدم انكماش الدول التي تعتبر هذه الثروات رأس مال قوي لها تعول عليه في حياتها الاقتصادية. ونحن نقر أن النطاق المرسوم ضيق، ونتمنى أن يكون أوسع، بحيث يكون الإتحاد من الأسلوب الأول (الدول المتحدة)، ولكن حالة الدول العربية الحاضرة إذا أريد جمعها وتجميع طاقاتها لا تحتمل غير هذا النطاق.

وإذا توقف بعضها عن الاستجابة لهذا النطاق

على ضيقه، فمعنى ذلك أنها تقبل لنفسها وأمتها وبلادها أن تظل مهانة مهيضة الجناح مبعثرة الطاقة عاجزة عن مواجهة التحدي والخروج من النكبة بسلامة وعزّة، مستسلمة للواقع الأليم المهين، ولما يمكن أن يقع عليها من واقع أليم مهين جديد. ويكون واجب الدول الأشد شعوراً بخطورة المواقف والواقع المهين، وبوجوب رفضه والنضال ضده، وتحقيق أهداف أمتنا باقتلاع جرثومة الشر والقضاء على آمال الاستعمار، وبالحرية والكرامة والوحدة والازدهار والتكامل، أن تجمع أمرها ويتم الإتحاد فيما بينها بأوسع نطاق ممكن.

ومن حسن الحظ أن ظواهر الأحوال تدل على أن هذا الفريق يمثل ثلاثة أرباع الأمة العربية عدداً وقوة ونشاطاً وطاقة، كما أنه الأكثر مواجهة وتعرضاً واستهدافاً للبغي والعدوان والتحدي والتآمر.

* * *

(61) رسالة من الكاتب للدكتور سعدون حمادة الأستاذ في الجامعة السورية بتاريخ 29/8/1967 في صدد إنشاء جهاز للدعوة إلى الوحدة

تمهيد:

السادة يوسف شقرا معاون وزير الثقافة والإرشاد في سورية، وأديب اللجمي رئيس مجلة المعرفة، والدكتور سعدون حماده الأستاذ في الجامعة السورية،التقوا مع الكاتب في أواخر شهر آب 1967 في الزبداني، فيما كان يقضي فيها بعض فصل الصيف، وأطلعوه على بيان بالدعوة إلى الوحدة من وحي نكبة حزيران 1967 كانوا يأخذون عليه توقيعات رجال الحركة العربية والقوميين من العرب الداعين إلى الوحدة، وأخذوا منه توقيعاً عليه. ثم تحدثوا في النكبة وآثارها، واقترحوا على الكاتب كتابة مقال في معالجتها، فكتب المقال الوارد في الرقم (58). ثم خطر له اقتراح بإنشاء جهاز للدعوة إلى الوحدة فكتب هذه الرسالة للأستاذ الدكتور سعدون حمادة الذي كان محراكاً في الموقف والدعوة.

نص الرسالة:

الأخ الدكتور سعدون حمادة المحترم

سلام الله عليكم ورحمته. وبعد فقد خطر لي بعد فراقكم خاطر اعتقدت أنه مهم وضروري ومفيد، فرأيت أن أكتبه إليكم لعلكم توافقوني عليه وتبذلون جهدكم وأنتم أفتى مني ولكم قدرة على النشاط ومعارف واتصالات بكثير من مثقفي العرب المتحمسين للوحدة، الذين يرون فيها كما نرى العلاج الملح العاجل والوحيد من جيلكم الذي هو الذي يجب أن يضطلع بالمسؤولية أكثر من جيلنا.

ما دمنا نعتقد بضرورة قيام وحدة أو اتحاد ما شامل أو جزئي لمعالجة الحالة الخطيرة التي تواجهها أمتنا وبلادنا، ويجمع طاقاتها بأسرع مدى ممكن، فإنه يجب أن يوجد جهاز متفرغ للدعوة والعمل في سبيل ذلك وملاحقته، لأن التوعية والدعوة بالنداءات والبيانات والمقالات والمحاضرات وحدها إنما تفيد على المدى الطويل، أما على المدى المستعجل الذي يكون طرفه الفعلي هو الحكومات والسلطات الحاكمة، فإن مثل ذلك الجهاز المتفرغ يصبح ضرورياً جداً، حيث يقوم بدور المحرك المستمر الذي يقوم بالإتصالات المباشرة والعمل على التوفيق بين الأفكار والاتجاهات

وإزالة العقبات المتنوعة.

وليكن هذا الجهاز في صورة لجنة أو جمعية باسم الدعوة إلى الوحدة العربية، تتألف من ثلاثة أشخاص متفرغين مؤمنين بالوحدة وواعين لأبعادها، وعلى درجة كافية من المرونة والنشاط والشخصية. ويكون لها مجلس استشاري غير متفرغ يجتمع من آن لآخر لوضع خطط العمل أو الاتفاق عليها وتيسير السير في تنفيذها. أو في شكل لجنة رئيسية متفرغة، ولجان في كل قطر متضامنة معها، أو في شكل آخر قد يخطر لكم أو لبعض أصدقائكم يفي بالغرض على وجه أتم وأقوى.

ولقد كنت اقترحت مثل ذلك على مؤتمر المحامين العرب الذي انعقد في القاهرة قبل بضعة أشهر ووافق عليه، ولكن لم أر ولم أسمع شيئاً عن نتائجه.

وإني أقترح عليكم أن تتصلوا بمن ترونه متحمساً للموضوع ومؤمناً به من الأشخاص الذين اتصلتم بهم أثناء أخذكم التواقيع على بيان المثقفين، حتى إذا تطابق معكم بضعة أشخاص اجتمعتم ووضعتم خطة لتأليف الجهاز وتركيزه وطريقة تمويله الخ.

وأرجو أن أراكم في دمشق بعد أسبوع إن شاء الله إن كنتم باقين فيها. ولكم محبتي ودعائي.

الزبداني 1967/8/29.

***

(62) اقتراح عملي في سبيل الوحدة

1967/9/11

توضيح:

رأى الكاتب أن يتابع اقتراحه الذي أرسله إلى الدكتور سعدون حمادة، فكتب هذه الفقرة وأرسلها إلى مجلة (دراسات عربية) التي كانت تصدر في بيروت، فنشرتها في عدد تشرين الأول 1967 وهذا نصها:

«تشتد الدعوة في هذه الآونة إلى الوحدة أكثر من أي وقت مضى، في الصحف والمجلات والنداءات والتصريحات الرسمية وغير الرسمية، وضرورتها وغدوها ملحة أشد من أي وقت لتكون وسيلة عاجلة لا بديل منها لتجميع طاقات الأمة العربية البشرية والإقتصادية والعسكرية لمواجهة التحديات والأخطار والمؤامرات التي تواجهها أمتنا وبلادنا الآن أشد من أي وقت مضى، والتي ستستمر حتى لو تم تحقق المطلب العربي العاجل، بانسحاب قوات الشر من الأرض الجديدة التي احتلتها، مستهدفة إعاقة نمو وتكامل وازدهار العرب ووحدتهم الشاملة، والحيلولة دون تطهير بلادهم من رجس المغتصب ودرء مطامع الطامعين والمستغلين المستعمرين إذا لم يتم شكل من أشكال الوحدة التنفيذية بين البلاد العربية.

والحاجة الملحة العاجلة المذكورة تحتاج إلى حركة فعلية تتمثل في رأيي بقيام جهاز للوحدة يقوم بالاتصالات مع الحكومات العربية، ويبذل جهوده في تقريب وجهات النظر وتذليل العقبات المتنوعة، وتيسير قيام الوحدة بالأسلوب الممكن بينها جميعاً أو بين المستعد لها مبدئياً منها. على أن يتألف هذا الجهاز من أشخاص ذوي كفاءة ولباقة ومرونة وشخصية محترمة من المؤمنين بالوحدة المتجردين عن مختلف الأهواء والاعتبارات والعصبيات، أو ممن هم مستعدون لهذا التجرد. ويحسن أن يكون عددهم أكثر من عشرة، يكونون منتسبين إلى أقطار متنوعة، ويختارون منهم مكتباً تنفيذياً متفرغاً من رئيس وأمين عام وأمين مال، ويكون الجميع مجلساً للجهاز يجتمع مرة في الشهر

لوضع خطط العمل والتحركات، ويكون لهذا الجهاز فروع في العواصم العربية يقوم عليها أشخاص متصفون كذلك بنفس الصفات.

وهذا الإطار أو الاقتراح قابل للتوسيع والتعديل والتركيز، والمطلوب الآن أن يترشح خمسة للعمل على إقامة هذا الجهاز ووضع تفاصيله وطريقة تمويله والسير في تحقيق تكامله. ويعلنوا أسماءهم، بحيث يتصل بعضهم ببعض للاجتماع وبدء العمل، أو يعلن واحد منهم للجميع.

ولقد طرحت الحكومة السورية وحزب البعث الحاكم القائد فيها بعد النكبة موضوع إيجاد صيغة للوحدة بين الحكومات التقدمية، وأعلنت ذلك مرة بعد أخرى رسمياً وصحفياً. ولقد تكرر مثل ذلك من الحكومة العراقية أيضاً.

وفي هذا وذاك تشجيع وتيسير لإقامة الجهاز ونجاحه مادياً وأدبياً.

* * *

(63) مقال للكاتب نشر في مجلة حضارة الإسلام الدمشقية

(حول دعوة مريبة وخبيثة لسعيد عقل إلى استعمال اللغة المحكية والحرف اللاتيني بدل الفصحى والحرف العربي ـ عدد ذي القعدة 1387 ـ شباط 1968).

والمقال متصل بمعنى من المعاني بالوحدة العربية أيضاً، لأن اللغة العربية الفصحى هي من أهم جوامع الوحدة العربية ومظاهرها، والدعوة ضدها دعوة ضد الوحدة. ولذلك رأينا إثبات المقال في هذه المجموعة.

﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾.

نشرت مجلة الأسبوع العربي في عددها 442 وتاريخ 1967/11/27 حديثاً بين سعيد عقل وإدوارد البستاني، أكد الأول فيه دعوة له بدأها منذ أكثر من عشر سنين، ويتهيأ الآن للسير في تحقيقها على نطاق واسع، بزعمه إلى اصطناع اللغة المحكية والحروف اللاتينية بدلاً من اللغة الفصحى والحروف العربية في لبنان وبلاد العرب الأخرى.

والدعوة خطيرة بعيدة المدى والأثر في كيان الأمة العربية وتراثها المقدس. ولا شك في أن وراءها أعداء لؤماء للعروبة والإسلام. وهي تجديد لمحاولات سابقة مماثلة. ومن واجب كل عربي مسلم التنبه لها والوقوف في وجهها بدون هوادة ولا توان، والدعوة متهافتة لا تتحمل جهداً كبيراً في مجال المساجلة العلمية أيضاً، فضلاً عما يبرز عليها من الخبث وسوء القصد بروزاً صارخاً.

وأسرع ما يتبادر إلى الذهن في مجال المساجلة العلمية أن يقال أن الأمة العربية لو جنت وأخذت بنظرية سعيد عقل، لصار مع الزمن في بلاد العرب لغات جديدة ممسوخة لا تكاد تحصى. من حيث أنه يوجد في كل بلد منها ومنها لبنان أكثر من لغة محكية. فاللغة المحكية في الهرمل وبعلبك أو في صيدا وصور وجبل عامل أو عكار أو الشوف أو بشري وكسروان مختلفة عن بعضها في الأداء بل والمفردات والاصطلاحات. واللغة المحكية في المدن مختلفة عن اللغة المحكية في القرى، واللغة المحكية بين المثقفين مختلفة عن اللغة المحكية بين غيرهم. ومثل هذا الاختلاف على تنوعه قائم في مختلف أنحاء مصر وسورية والعراق وجزيرة العرب والسودان والصومال والحبشة وليبية وتونس والجزائر والمغرب

الأقصى وموريتانيا، فضلاً عن الإختلاف بين كل اللغات المحكية في كل قطر وبين اللغات المحكية في القطر الآخر. وتدوين اللغات المحكية والاقتصار عليها يؤدي أولاً إلى إلغاء الفصحى التي يتفاهم بها جميع الشعب العربي في جميع الأقطار العربية داخل كل قطر، ومع الأقطار الأخرى، التي هي العنوان الأعظم لوحدة الأمة العربية. وثانياً إلى نشوء جماعات لا تحصى لكل منها لغة مختلفة عن الأخرى في الوطن العربي الكبير ولو كانت من أصل واحد. ثم تتباعد مع الزمن حتى تصبح أمماً متميزة.

وهذا ما صار في القديم بالنسبة للفينيقيين والآراميين والعموريين والمصريين والأحباش والسبئيين والحميريين والمعينيين والقتبانيين والثموديين واللحيانيين والنبطيين والتدمريين، الذين كانت لغاتهم في البدء لهجات للغة واحدة، ثم تباعدت وصارت لغات قائمة برأسها لأمم متميزة عن بعضها قليلاً أو كثيراً. وهذا صار في الحديث بالنسبة للفرنسيين والطليان والأسبان والبرتغال، الذين تفرعت لغاتهم عن اللاتينية والجرمانية. وإذا تحكمنا ودونا لهجة واحدة من اللهجات المحكية العديدة في كل قطر من الأقطار العربية، فيصبح هناك أمم مصرية وشامية ولبنانية جبلية ولبنانية ساحلية وعراقية وسعودية ويمنية وسودانية وليبية وتونسية وجزائرية وموريتانية وصومالية وحبشية، تختلف لغة كل منها عن الأخرى. أما إذا أردنا أن نطبق النظرية على سجيتها، فإنه يجب حينئذ أن تدون كل لغة محكية لكل ناحية وفئة في كل قطر. مما سوف يزيد التعدد والتفتت على أوسع قياس.

ويأتي بعد ذلك موضوع الحرف العربي الذي يريد سعيد عقل تبديله بحرف لاتيني، وخلق إشارات وحروف جديدة تستوعب الأداء المحكي الذي لا تستوعبه الحروف اللاتينية في حالتها الراهنة، حيث تصبح الكلمة بالحروف الجديدة عجائبية في نطقها وأدائها.

ويستتبع هذا إحداث ثورة تعليمية عظمى، تتجسد في إنشاء مئات دور المعلمين لتخريج آلاف المعلمين الذين يتولون بدورهم تعليم الكبار والصغار. وفي إلغاء جميع الكتب المكتوبة بالفصحى التي تدرس في المدارس على اختلاف درجاتها وأنواعها، وكتابة كتب جديدة باللغة والحروف الجديدة وباللهجات المحكية في كل ناحية من كل بلد.

وتأتي بعد هذا دور جميع كتب العربية القديمة والحديثة، بما فيها كتبنا المقدسة، لتلغي دفعة واحدة، وينقطع ما بين الأمة العربية وبينها، وتصبح بالنسبة للأجيال الجديدة التي سوف تتعلم اللغة المحكية بالحروف الجديدة مثل الهيروغليفية والبابلية والآرامية والسريانية والتدمرية والنبطية وغيرها وغيرها المكتوبة بحروفها القديمة، فلا يقرأها ولا يفهم معناها إلا الأثريون.

ولا يرد هنا أننا نستطيع أن نعيد كتابة كتبنا القديمة بما فيها كتبنا المقدسة بالحروف الجديدة، لأن لغتها فصحى، وقد غدت بالنسبة للأجيال الجديدة لغة مجهولة.

فهل من خطر وضرر أشد وأنكى على الأمة العربية ووحدتها ولغتها وكتابها المقدس الذي خلدها ووحدها، من هذا الخطر والضرر الذي يتمثل في هذه النظرية. وهل من التجوز والتجني أن يقال أن هذه النظرية تجسد أشد الحقد وأعمقه على وجود الأمة العربية ووحدة كيانها وتراثها المقدس. وهل لأشد المستعمرين عداء للعرب بما فيهم إسرائيل الطامعين في بلادنا وهدم مقوماتنا وتراثنا وتدميرنا والاستيلاء

على أوطاننا وثرواتنا وتفتيت كياننا ووحدتنا، أن يرحبوا بشيء أكثر من ذلك ويتمنوه ويدفعوا من أجل تحقيقه طائل الأموال بالغاً ما بلغت من الكثرة - لأنها أقل من جزء من مليون مما يقتضيهم إنفاقه على تحقيق تلك الغاية - التي تساعد على إقامة المطابع ودور النشر وأجور الكتاب والمترجمين والورق ثم المعلمين والمدارس الخ. . .

ولقد تناسى صاحب النظرية في غمرة هوسه وحقده وسخفه وتهافته حقيقة علمية مشهورة النتائج بدورها كالحقائق السابقة، وهي أن اللغة حينما تدون وتصبح لها قواعد لا يلبث أن ينبثق إلى جانبها لغة محكية مختزلة لا تتقيد بهذه القواعد. وهذا ما جرى في كل لغات الدنيا المدونة. وهذا يعني زيادة في تفتيت الأمة العربية التي سيصبح لها بالتدوين عشرات اللغات، حيث يصبح لها أضعاف ذلك كلغات محكية. وحينئذ يأتي سعيدون عقلون آخرون فينادون بالويل والثبور وعظائم الأمور من وجود لغة مدونة ولغات محكية، ويدعون إلى تدوين اللغات المحكية والإقتصار عليها في الكلام والكتابة. وتدور العجلة دواليك جيلاً بعد جيل. . . ولقد كانت اللغة الفصحى هي لغة العرب في دور من أدوارهم، فلما ثبتت قواعدها صار يقوم في جانبها لهجات محكية مختزلة، هي هذه اللهجات في أنحاء لبنان وأنحاء البلاد العربية الأخرى.

ومثل هذا موجود في لغات الدنيا المدونة المتحضرة وغير المتحضرة. وإن كان من فرق في البعد والقرب بين اللهجات المحكية واللغة المدونة فهو ناشىء عن سعة التعليم والثقافة وضيقهما في بلد دون بلد. حيث يكون الفرق بين المحكية والمدونة قليلاً في الأمم التي يكون فيها التعليم عاماً وواسعاً جداً، وكثيراً في الأمم التي لا يكون التعليم فيها عاماً وواسعاً جداً. ومن الأدلة على ذلك أن المثقفين والمتعلمين في البلاد العربية ومنها لبنان متقاربون في لغتهم المحكية مع اللغة الفصحى أكثر من غيرهم. وحينما يعم التعليم جميع العرب، وهذا في حيز الإمكان والتحقيق، تضيق الشقة بين اللهجات المحكية والفصحى، ولا يبقى هذا النشاز الذي يضرب على وتره سعيد عقل ويريد أن يعبر منه إلى غاية ما.

وتناسى كذلك في غمرة حقده وهوسه وسخفه وتهافته حقيقة علمية أخرى: وهي أن اللغات المحكية هي لغات تعامل سوقي وبيتي وشخصي عاجل، وأنها تفقد أية سعة وإمكان للتعبير العلمي والفني. والمتبادر أن صاحب النظرية بعد أن أساغ نظريته المتهافتة العجيبة سوف يسيغ ترقيع لغته بالألفاظ والتعبيرات الأجنبية، ولو صارت أعجب لغة لأعجب أمة. .

ولقد أنطق الله سعيد عقل بكلمة صادقة بقطع النظر عن ما فيها من عجيب المفارقة حين قال: (إن العرب لو اعتمدوا اللغات المحكية لما كانت نكسة الخامس من حزيران). ونحن لم نفهم تماماً ماذا أراد بهذا القول العجيب المثير. ولكن صدقه فيه يبدو لنا في أن العرب حينئذ لا يكونون أمة واحدة ذات لغة واحدة ووطن واحد وشعور واحد، يهم كل أهل بلد ما يلحق بالبلد الآخر من ضيم وعدوان، ولا يكون لأي منهم أن يعبأ بعدوان إسرائيلي على أي جزء آخر من أجزاء الوطن العربي، لأن ذلك لا يعنيه في قليل ولا كثير. .

ولقد جاء في مطاوي الحديث تكرار لدعوى متهافتة يحلو لسعيد عقل وأمثاله أن يسوقوها ويدندنوا بها دون أن ينتبهوا إلى ما يقعون فيه من

تناقض وضحالة وسخف. وهي أن اللغة الفصحى لا تستجيب للحضارة ولا تستوعبها، وأنها عسيرة على الذين يتعلمونها. وكل هذا وهم من وحي الأعداء. وقد تلقاه القائلون به وكرروه دون تروٍ شأن كثير من الأقطار الموحى بها منهم. فليس في الدنيا لغة مثل اللغة الفصحى مستعدة بما هي عليه من مرونة وسعة صدر عجيبتين لاستيعاب كل فكر والاستجابة لكل مطلب. والقصور من هذه الناحية هو قصور أبنائها وليس قصورها، بدليل أنها استوعبت في القديم كل أفكار ونظريات وعلوم وفنون اليونان والرومان والهند والعجم وغيرهم وغيرهم استيعاباً فيه غاية الروعة والانسجام. وهذا القصور مع ذلك أخذ بالتلافي والتضاؤل. ومن العار على أي عربي أن يتمسك بمثل هذا الزعم أو الوهم الموحى به من الأعداء، ليهون عليه التخلي عن لغته العظيمة. ومن العجيب أن يتمسك الآخرون حتى الذين لا يعدون في الأمم شيئاً مهماً، ولا يشغلون في الأرض حيزاً كبيراً، المنسيين في زوايا أوروبا وآسيا وأمريكا وأفريقيا، بلغاتهم الفقيرة الضيقة، ويصرون على جعلها وحدها لغة العلم في الجامعات. ثم يتنكر بعض أبناء أغنى وأعظم لغة للغتهم، ويستجيبون لوحي الأعداء بدعوى أنها تقصر عن كلمات الحضارة والفنون الحديثة. وهو كذب صراح. لأنه ليس ما يمنع من أخذ هذه الكلمات كما هي، أو تعريبها إذا لم يكن اشتقاق ما يعبر عنها من المفردات المصادر الأصلية. وهذا ما فعله علماء العرب وكتابهم ومترجموهم في إبان ازدهار العلم والحضارة العربية.

دعوى صعوبة تعلم اللغة العربية الفصحى بسبب قواعدها وحروفها هي كذلك من وحي الأعداء الذين يريدون بكل وسيلة أن يضربوا هذه اللغة ويجرحوها ويهونوها على أهلها. ويكفي أن يقال لبيان تهافتها أن ملايين الملايين قد تعلموا العربية بحروفها عبر عشرات القرون، وأنه لم يتسن لطفل عربي مدرسة أو معلم إلا تعلمها، ولم يذكر أحد أن صعوبة قواعدها وحروفها المزعومة كانت سبب إخفاق ما في ذلك، أو سبب عزوف عن تعلمها لمن أراد أن يتعلمها من غير العرب. وفي كل لغة من لغات الدنيا شواذ وصعوبات، ولم نسمع أمة أرادت أن تتخلص من لغتها بسبب ذلك.

أما بعد فإننا أمام فرضين لا ثالث لهما:

فإما أن يكون سعيد عقل وهو يبدىء ويعيد في نظريته منذ أكثر من عشر سنين ويدعو إليها بكل حماس، ويحاول أن يطبقها بكل جد مهووس ملتاث غبي، لا يدرك أبعاد هذه المسألة من مختلف النواحي، ولا يخطر بباله استحالة تطبيقها على المدى الواسع. وهذا ما لا يقبل سعيد عقل أن يتهم به ويبرئه منه كثير من الناس.

وإما أن يكون يصدر في ذلك عن حقد شديد على وجود اللغة الفصحى وحروفها العربية، وما تمثله من تراث مقدس وانتظام شمل العرب كأمة واحدة بفضلها، بالإضافة إلى من ينضوي إليها من مئات الملايين، فيجسد حقده في أمنية خيالية ترمي ولو نظرياً إلى قطع لبنان من جسم الأمة العربية، وتركيب وجه غير عربي له، وإنطاقه بلغة غير عربية، وإلى جعل الأمة العربية مائة أمة لكل منها لغة غير لغة الأخرى، ولينسف بذلك كله أعظم وأقدس وأعز تراث عربي، حتى يهدأ روعه وروع حزبه، مهما كان في ذلك من انسجام تام مع أماني أعداء العرب وتحقيق لها. وهو الصحيح الذي يقصده سعيد عقل، والذي يجب على سعيد عقل أن لا يصل به

الغباء والحمق إلى الظن أن جمهرة العرب والمسلمين لا يلمحونه. . . وقد يستطيع سعيد عقل بما يناله من مال ويتلقاه من تأييد وتحميس من الداخل والخارج، وبما تتيحه له الحرية العجيبة في لبنان التي تسمح بمثل دعوته الهادمة لكيان الأمة والوطن العربي، أن ينشىء مطبعة بالحروف الجديدة، وأن يطبع كتاباً واثنين وثلاثة مثل كتابه (يارا) السخيف، ولكنه أعجز هو وحزبه ومن وراءهم من أن يستطيعوا تحقيق قصدهم في لبنان فضلاً عن غيره، فلبنان ليس لسعيد عقل وحزبه. وأكثرية أهله الساحقة التي تتكون من جميع طوائف المسلمين ومن جمهرة كبيرة من المسيحيين حريصة أشد الحرص على بقائه عربي الوجه واللسان والروح، متضامناً أشد التضامن مع شقيقاته البلاد العربية الأخرى في كل شيء. ومدافعاً أشد الدفاع عن التراث العربي الذي يأتي في طليعته اللغة الفصحى والحروف العربية. والأمة العربية في غير لبنان حريصة أشد الحرص على بقاء لبنان كذلك، بالإضافة الى شدة حرصها حتى النفس الأخير على لغتها وحروفها وتراثها، وتشجب أشد الشجب مع أكثرية لبنان الساحقة هذه الدعوة، وتعرف أشد المعرفة ما وراءها من أمان مريبة خبيثة، وستميتها في مهدها مهما مدت بالأموال والجهود من الداخل والخارج. وسيكون هذا موقفها من نحو آخر ينحوه سعيد عقل وأمثال له في صدد إحياء ما يسمى بالتراث الفينيقي الذي يرمي هو الآخر الى مقاصد مريبة خبيثة.

ولقد سبق سعيد عقل آخرون في لبنان وغير لبنان دعوا بمثل دعوته، وحاولوا أن ينحو نحوه، فرد الله كيدهم وماتوا بغيظهم، وظلت اللغة الفصحى وحروفها متلألئة مشرقة على جميع بلاد العرب من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، وعلى ساحة شاسعة واسعة، وصارت لغة عالمية يرتفع رنينها في أعظم الندوات. وستبقى كذلك أبد الدهر هي وما تمثله من تراث مقدس وأدب رفيع، وسيموت بغيظه كل من يدعو بمثل هذه الدعوة الخبيثة المريبة ويرتد كيده إليه. ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾. صدق الله العظيم.

***

(64) الطريق إلى الوحدة

مقال أرسله الكاتب إلى مجلة الطليعة المصرية تاريخ 3 حزيران 1969 :

قرأت مقال الأستاذ الطريقي في عدد الطليعة 154 ـ 17 أيار عن الوحدة. ورأيتكم تعلنون فتح باب الحوار لإسهام الكتاب في البحث عن الطريق المؤدي إلى تحقيق هذا الهدف القومي المصيري.

وأقول مبدئياً أن قيام الوحدة ومصيريتها وأثرها في حياة الأمة العربية لم تعد في حاجة إلى إسهاب وإطناب. ومما لا شك فيه أن الوحدة المصرية السورية لو استمرت، أو لو أن الوحدة الثلاثية التي انعقد ميثاقها في نيسان عام 1963 تحققت، لكان احتمال تفادي الكارثة الحاطمة قوياً، بالإضافة إلى أنه كان قد مر عشر سنوات أو ست سنوات، وكان بنيان الوحدة قد رسخ وخطا نحو التكامل خطوات كبيرة. ومهما يكن من رأي مصر في وقت قيام الوحدة وتأجيلها إلى ما بعد المعركة، فإن الوحدة تظل

شديدة الخطورة والضرورة وواجبة التعجيل.

ولقد كان ميثاق نيسان 1963 فصلاً مستأنفاً غسل عار نكسة الإنفصال، وأعتقد أنه يجب أن يكون منطلق البحث.

إن محاضر المفاوضات التي أدت إلى ذلك الميثاق تذكر أن مصر ركزت على ضرورة قيام الوحدة بين شعوب مصر وسورية والعراق وليس بين أحزابها. واعتبرت تنظيم الاتحاد الاشتراكي فيها معبراً عن شعب مصر. وقد تم الاتفاق على أن يقوم في سورية والعراق ما يوازي ذلك حسب حالتهما التنظيمية التي كانت متعددة الأحزاب، بحيث يقوم في كل منهما جبهة وطنية تندمج فيها التنظيمات الحزبية القومية الوحدوية، ويكون لها مكتب يتولى تنظيم أجهزة القطر والوحدة. ولكن الاختلاف على التمثيل في الجبهة أدى إلى تعثر قيامها، ثم إلى تجميد الميثاق كما هو معروف، ولا يتحمل الظرف تفصيله.

وأخذ حزب البعث يرفع شعار الوحدة بين مصر وسورية أو بين سورية والحكومات التقدمية بصورة متواصلة.

والمتبادر أنه وهو يرفع هذا الشعار يقدم نفسه الطرف الوحيد الذي يجب الاتفاق معه على الوحدة، والذي يجب أن يقوم عليها دون شريك تنظيمي آخر. وهذه في اعتقادنا هي العقبة الصعبة في الطريق، فالحزب على كل حال لا يتوازى في نظر مصر مع تنظيم الاتحاد الاشتراكي الشامل. وإذا كان الحزب يعلن أنه مستعد للتعاون مع من سماهم الشرفاء التقدميين، فهو يعني على الأغلب أفراداً ولا يعني تنظيماً، ويأبى قيام تنظيم إلى جانبه. وهو قادر على منع ذلك.

ونرجح أن تكون هذه العقبة هي السبب الحقيقي في عدم تجاوب مصر مع ما يردده الحزب من شعار الوحدة وتحقيق صيغة متقدمة لها بين مصر وسورية أو بين الحكومات التقدمية. وتعتقد أنها ستظل في طريق الوحدة بين مصر وسورية حتى بعد المعركة التي تقول مصر بتأجيل بحث الوحدة إلى ما بعد انتهائها.

والجهد الذي يجب بذله يجب أن يركز على معالجة هذه العقبة، فإما أن تقنع مصر بالتخلي عن مطلب قيام تنظيم جبهوي وحدوي يوازي تنظيم الاتحاد الاشتراكي فيها، وباعتبار حزب البعث هو الطرف الوحيد الذي يتم الاتفاق معه على إقامة الوحدة. وإما أن يقنع الحزب بالتخلي عن وحدانيته التمثيلية ويهضم فكرة قيام تنظيمات قومية أخرى تتألف منه ومنها جبهة وحدوية موازية لتنظيم الاتحاد الاشتراكي. ولست أرى طريقاً آخر لوحدة قريبة، سواء قبل المعركة أو بعدها.

تعقيب على المقال:

وتعقيباً على ما تقدم نسجل فيما يلي حادثاً إيجابياً هاماً في صدد قيام جبهة تقدمية وطنية في سورية.

قامت في 1970/11/16 بقيادة حافظ الأسد حركة في داخل حزب البعث بقصد تصحيح مسار الحزب في تنظيماته وفي الدولة وسميت حركة تصحيحية. وقادها حافظ الأسد ورفاقه. وقد عينت القيادة الجديدة أحمد الخطيب رئيساً مؤقتاً للدولة، وحافظ الأسد رئيساً للوزارة. وألف هذا وزارة مؤلفة من 25 وزيراً، منهم 13 بعثياً و 12 غير بعثي، لأول مرة ممن سموا بالتقدميين. وكان من هؤلاء فوزي

الكيالي وأديب النحوي كممثلين لتنظيم الاتحاد الاشتراكي السوري. وسامي صوفان وفائز إسماعيل ومصطفى الحلاج ومحمود قنباز كممثلين عن تنظيم الوحدويين الاشتراكيين. وعبد الغني قنوت وسهيل الغزي كممثلين عن تنظيم الاشتراكيين العرب. ويوسف فيصل وعمر السباعي كممثلين عن التنظيم الشيوعي. وغالب عبدون ونور الله نور الله وشاكر الفحام كممثلين عن المستقلين. وكان هذا يعني اعتراف حزب البعث بهذه التنظيمات (التقدمية) وصلاحيتها للمشاركة في الحكم والوجود السياسي، بعد أن كان الحزب منفرداً في حكم سورية منذ تموز 1963، نتيجة لاستقالة العناصر الأخرى من وزارة ثورة الثامن من آذار 1963، وقيام القطيعة بينها وبينه، وتجميد ميثاق الوحدة المنعقد بتاريخ 17 نيسان 1963 بين مصر وسورية والعراق، نتيجة لعدم قيام جبهة وطنية في سورية والعراق كما نص الميثاق.

ثم خطت خطوة ثانية، فتم اختيار حافظ الأسد في 8 آذار 1971 لرئاسة الجمهورية السورية، مع احتفاظه بأمانة حزب البعث العربي العامة. ثم تم الاتفاق بين قيادة الحزب والتنظيمات المذكورة على قيام جبهة وطنية تقدمية مؤلفة من حزب البعث والتنظيمات المذكورة، وتكون الأكثرية المطلقة والرئاسة فيها للحزب، ويكون للتنظيمات حق النشاط (التنظيم السياسي المستقل في البلاد باستثناء الجيش). وتكون هذه التنظيمات ممثلة في السوزارات وفي مجلس الأمة وفي مجالس الشعب والمحافظات بنفس النسبة. وتجتمع الجبهة من حين لآخر اجتماعات دورية عادية كلما دعت الحاجة، واجتماعات فوق العادة بدعوة من الرئيس للنظر والبحث في الأمور الراهنة المهمة. وسار الأمر على هذا المنوال منذ أواسط سنة 1971. ورئاسة الجبهة لأمين عام الحزب الذي هو رئيس الجمهورية. وكان هذا كذلك تطوراً إيجابياً مهماً. وقد أعقب ذلك أو رافقه انفراج بين حزب البعث من جهة، وبين عناصر هذه التنظيمات التي كان كثير منها متوارين أو بعيدين عن سورية أو معتقلين، حيث أفرج عن المعتقلين وسمح بعودة البعيدين وظهور المتوارين وباندماجهم في نشاط تنظيماتهم. ولقد ساعد هذا التطور المهم أو نتج عنه اندماج سورية في عمليات وحدوية مع مصر وليبية والسودان على ما سوف يأتي شرحه بعد.

***

(65) رسالة أرسلها الكاتب الى رئيس وأعضاء مجلس الثورة والوزارة في السودان في 17 حزيران 1969 بالتهنئة والحث على الاتحاد مع مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فإني بصفتي رجل عربي مسلم قومي يشتغل في الحركة العربية القومية عامة وقضية فلسطين خاصة منذ ستين سنة، أكتب إليكم هذه الرسالة فأقول:

إن ما قرأته من تصريحاتكم المتنوعة عن أهداف حركتكم المباركة وما بدا منكم من مواقف صائبة في المجال النظري والقومي، وما دلت عليه هذه المواقف من تفتح ذهن وسعة أفق وتجرد عن المآرب الشخصية، أثلج

صدري كما أثلج صدور كثير من رجال الحركة العربية، وأثار فينا عظيم الاستبشار والغبطة والفرح. وجعلنا نبارك هذه الحركة وندعو لها بالتوفيق والنجاح والوقاية من الغدر. ونعلق عليها كبير الآمال.

ولقد شجعني كل هذا على أن أقترح عليكم القيام بخطوة قومية سيكون لها أعظم الأثر في حياة أمتنا وبلادنا. وهي الاتجاه نحو إقامة اتحاد بين القطرين الشقيقين مصر والسودان، حيث يتحدان في الشؤون العسكرية والخارجية والثقافية والمواصلات والجمارك والاقتصاد والتخطيط، على أن يحتفظ كل منهما بحكمه وشؤونه المحلية الأخرى من حيث التنفيذ والتطبيق.

والتنسيق الشوري البادي بينكم وبين مصر أولاً، وإعلانكم البارع الموفق بعزمكم على منح السودان الجنوبي الحكم الذاتي ثانياً، وما بدا منكم من تفتح سعة أفق ثالثاً، وما هو متحقق من ذلك في قيادة مصر رابعاً. كل هذا سوف ييسر تحقيق هذه الخطوة التي يكون القطران بها متضامنين ضد كل ثورة مضادة، وتقوى بها جبهة الكفاح المسلح العربية من جهة، لمواجهة المعتدين ومن وراءهم، وتكون وسيلة ناجعة لتكامل القطرين الاقتصادي والاجتماعي والثقافي من جهة ثانية. وكل هذا مما سوف تكون فائدته للسودان أعظم فيما أعتقد.

ولقد كان من واجب ومصلحة كل من القطرين أن تتم هذه الخطوة قبل خمس عشرة سنة. أي منذ تم الاتفاق مع الإنكليز على الجلاء. ولقد كان هذا مما بدا حينذاك أنه قريب المنال، بل مؤكداً نتيجة للسياسة البارعة الحكيمة التي توخى حكم الثورة في مصر السير فيها في عرضه على الإنكليز الاتفاق أولاً على حل مشكلة السودان، وإعلانه الموافقة على جعل الخيار للسودان في الاتحاد مع مصر أو الاستقلال، لولا المآرب الخاصة والدسائس الإنكليزية. ولقد سارع الإنكليز إلى الترحيب بذلك على أمل أن يحولوه إلى مآربهم. ودخل الأزهري وحزبه في الانتخابات النيابية على أساس الإتحاد مع مصر، واستطاع أن يحرز نجاحاً كبيراً، لأن الشعب السوداني العربي كان يرغب في الوحدة مع مصر شقيقته الكبرى. غير أن الأزهري وحزبه لم يلبثوا أن انقلبوا ضد الاتحاد مع مصر متآمرين مع المهدويين الذين قادوا حركة العداء للوحدة، متآمرين في ذلك مع الإنكليز، برغم أن هؤلاء هم الذين سحقوا جدّهم وقضوا على أصل مجدهم. ثم كانت مذبحة البرلمان، فتحقق بكل ذلك ما أمّله الإنكليز، حيث قرر البرلمان الاستقلال. وعرف عندها حكمة ترحيب الإنكليز بعرض الحكم الشوري في مصر. وأخفق الأمل الذي راود شعبي مصر والسودان ورجال العرب في وحدة مصر والسودان التي أقام الله أسبابها بالنيل ووحدة الأصل واللغة والتراث والتقاليد والمصلحة والتاريخ والتراب والجهاد والكفاح. فكان ذلك مما أحزن الشعبين ورجالات العرب المخلصين أشد الحزن.

وقد سجلت هذا الموقف المخزي الغادر للأزهري وحزبه، والتآمر مع عملاء الإنكليز وأعداء الوحدة، والذي لم يكن له حافز إلا المآرب الشخصية، في كتابي الضخم (الوحدة العربية) وانتقدته أشد الانتقاد. وتمنيت أن يرد الله في القريب العاجل كيد الكائدين إلى نحورهم، وتعود الأمور إلى مجراها الطبيعي، ويجتمع الشمل الذي فرقه الاستعمار وعملاؤه ومآربهم الخسيسة.

ولقد ظلت الأمور مع الأسف على ما لا نحب ولا يحبه المخلصون في ظل العهد السابق لحكم عبود، ثم في ظل حكم عبود الكريه، ثم في ظل حكم الأحزاب الأخير الذي أطحتموه بحركتكم المباركة.

والآن وقد انتهى هذا العهد البغيض بحركتكم المباركة، وجئتم بروحكم ونظرتكم وآفاقكم المتحررة المتفتحة، المجردة عن المآرب والقومية الأهداف والغايات، والتقدمية الأفق والنظرة، كما سمعناه منكم، فصار لزاماً عليكم أن لا تضيعوا الفرصة ولا الوقت، وأن تباشروا حالاً في اتخاذ الخطوات الممهدة لتحقيق ذلك الأمل القومي العظيم (وحدة وادي النيل)، كما كان ذلك في كل وقت، وكما هو مقتضى الطبيعة والمصلحة العامة والخاصة القومية والسياسية والاجتماعية والدفاعية والاقتصادية معاً.

وإني أرى أن تبدأ هذه الخطوات بتحقيق ما صرح به بعض أركانكم عن العزم على إقامة تنظيم اتحاد اشتراكي على غرار مصر، تندمج فيه جميع قوى الشعب العاملة من عمال وفلاحين وكسبة ومثقفين ومهن حرة ورأسماليين وطنيين مخلصين، على أن يعزل عنه المحتكرون والموتورون وأعداء الوحدة والمستغلون وأرباب المآرب الخاصة المرتبطون بالإستعمار ومآربه. ثم بدأ الحوار بين تنظيمي الجنوب والشمال إلى أن ينتهي بحول الله إلى ميثاق إتحادي عملي. وكل ما كان ذلك سريعاً كان أفضل، حتى لا تترك فرصة للأعداء للالتفاف والعرقلة.

ونعتقد أن وحدة السودان ومصر طبيعية جداً في نظر كل الناس، إلى درجة أنها لن تثير أي حساسية في أي قطر عربي. وإلى درجة أن مصر نفسها مهما كان موقفها من الوحدة مع غيرها، فإنها سوف تتجاوب مع هذا الحوار لأنه أمر طبيعي جداً وسائغ جداً، وواجب كل الوجوب، ومفيد كل الفائدة للطرفين.

فبادروا رحمكم الله وقواكم وأصلحكم واستجيبوا لهذا النداء الصادر من قلب عربي مؤمن مجاهد، يتمنى أن يرى قبل أن يموت حركة وحدوية مجدية بين الأقطار العربية، تقر بها عينه، ويرجو أن تكون مثل هذه الخطوة الطبيعية جداً فاتحة خير إن شاء الله، وتسجلون بذلك المأثرة القومية العظمى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

2 ربيع الآخر 1389 ـ 17 حزيران 1969

تعقيب:

الحمد والشكر لله عز وجل على استجابته لدعائي وإلهامه رئيسي مصر والسودان ورفاقهما الانسجام فيما بينهما والاتفاق على خطوات اتحادية على ما سوف يأتي شرحه بعد.

***

(66) رسالة أرسلها الكاتب إلى رئيس وأعضاء مجلس الرئاسة والوزارة في الجمهورية اليمنية الجنوبية في 1969/6/27 بالتهنئة والحث على الاتحاد مع اليمن الشمالي

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،

فإني بصفتي رجل عربي مسلم قومي يشتغل في الحركة القومية العربية وبقضية فلسطين منذ ستين عاماً، أكتب الكم هأقول، إنني وكثيرون

من رجال العرب استبشروا أعظم استبشار بتحرر جنوب اليمن من الإستعمار الإنكليزي البغيض الطويل الأمد، وتوحيد مقاطعاته نتيجة للحركة الكفاحية التي كان لكم ولرفاقكم شرف قيادتها، كما استبشرنا أعظم استبشار حينما أخذنا نسمع ونقرأ منذ غداة إعلان الاستقلال اتجاه قادة الحركة الكفاحية في الجنوب إلى إقامة الوحدة بين جنوب اليمن وشماله. وهي الوحدة الطبيعية التي أقام الله أسبابها منذ أقدم الأزمنة بالأصل الواحد واللغة الواحدة والوطن الواحد والتاريخ الواحد والدين الواحد والتقاليد الواحدة والمصلحة الواحدة والارتباط الترابي الوثيق. وانتظرنا في لهفة نتائج هذا الاتجاه وخطواته، ولكن مر على ذلك الشهور دون أن نلمح أثراً جدياً لذلك، بل رأينا ما يثير الألم من قيام توتر وتنافس بين الجنوب والشمال. وأخذنا ندعو الله أن يجعل رجال الجنوب والشمال يتغلبون على كل عائق خاص وعام يعوق تحقيق ذلك الأمل الذي فيه وحدة وضمان المصلحة العامة والخاصة للقطرين الشقيقين. ويساعدهما على التضامن التام تجاه كل كيد داخلي وخارجي، وفي سبيل التكامل والازدهار الاقتصادي والثقافي والعمراني في القطرين. ولقد استبشرنا مرة ثانية حينما تم الانقلاب الأخير وسمعنا التصريحات الجديدة بأن الوحدة بين الجنوب والشمال ستكون أهم مقاصد ومساعي رجال هذا الإنقلاب. فبادرنا بكتابة هذا الكتاب إليكم نناشد فيه قوميتكم وشرفكم وضميركم وجهادكم وتضحياتكم، بأن تبدأوا حالاً الحوار مع الشمال في سبيل إقامة وحدة ما بين القطرين، وعلى الأقل في النطاق العسكري والسياسي والاقتصادي والثقافي والتخطيط العام والمواصلات، في المرحلة الأولى والعاجلة. وأن توصلوه إلى نهايته الحميدة في أقرب وقت ممكن.

وما سمعناه وقرأناه من رغبة الشمال في مثل هذه الوحدة، يجعلنا على ثقة تامة بأن التجاوب سيكون سريعاً. ومهما كانت الظروف التي تمر فيها الأمة العربية اليوم، فأن وحدة شمال اليمن وجنوبها طبيعية جداً، ليس من شأن هذه الظروف أن تمنعها أو تؤخرها. وكل ما كان الأمر أسرع، كل ما أمكن ضمان عدم ضياع الفرصة، وإتاحة الفرصة المضادة لأعداء الوحدة وأعداء العروبة والكائدين لهما.

فبادروا رحمكم الله وقواكم وأصلحكم واستجيبوا لهذا النداء الصادر من قلب عربي مؤمن مجاهد يتمنى أن يرى قبل أن يموت حركة وحدوية مجدية بين الأقطار العربية تقرّ عينه بها، ويرجو أن تكون مثل هذه الخطوة الطبيعية جداً فاتحة خير لغيرها إن شاء الله. وتسجلوا بذلك المأثرة القومية العظمى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

27 حزيران 1969

***

(67) رسالة أرسلها الكاتب إلى رئيس وأعضاء مجلس الثورة الليبية في 3 رمضان 1389 15 تشرين الثاني 1969 بالتهنئة والحث على الاتحاد مع مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

السادة رئيس وأعضاء مجلس الثورة الليبية المحترم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،

بصفتي أحد رجال الحركة العربية القومية منذ

نشأتها في أول هذا القرن، ومن الذين جاهدوا علماً وعملاً في سبيل قضاياها في كل ميدان وبكل أسلوب، أبادر إلى إعلامكم بعظيم ابتهاجي واغتباطي بحركتكم المباركة التي أطحتم بها عهد الفساد والعمالة والاستغلال والهوان، وضربتم الاستعمار الطاغي ضربة ساحقة، وقضيتم على ما كان له في القطر الليبي الشقيق من هيمنة وأوكار وعملاء ومراكز خطيرة جداً ومهددة لأمن الأمة والبلاد العربية، وهيأتم هذا القطر بعميق شعوركم القومي وأفقكم الواسع وشبابكم المتحفز، ليأخذ مكانه في الركب العربي القومي المتحرر.

ولقد جاء ذلك كله دعامة قوية للحركة العربية القومية التي استهدفت ومازالت تستهدف الوصول بالأمة العربية والبلاد العربية إلى ما تستأهله أمجادها وخصائصها من القومية والكرامة والعزة والإزدهار في ظل وحدة شاملة متحررة. ثم في ظرف مواجهتها للعدوان الصهيوني الاستعماري الباغي الذي يستهدف ترسيخ وجوده، وتفتيت الأمة العربية وإذلالها، والحيلولة بينها وبين تلك الغايات المقدسة.

وإني أبارك خطوتكم، وأدعو الله أن يمنحكم القوة والتأييد المتناسبين مع ما ظهر منكم من إمارات الإخلاص والصدق والتحرر للأمة والبلاد العربية، وأن يقيكم شر الدسائس والمكائد الداخلية والخارجية.

واسمحوا لي أن أقول لكم إن المستعمرين وأعداء العروبة والعملاء وذوي المآرب لن يتوانوا في حبك الدسائس والمؤامرات ضد حركتكم التي فاجأتهم وهدمت كل ما بنوه مادياً وسياسياً واستعمارياً واستغلالاً، ليبقوا القطر الليبي مستغلاً ومرتكزاً ووكراً وجسراً وتهديداً لسائر بلاد العرب وحركاتهم القومية، وإن خير ضمان لإحباط مكائدهم وسد الباب على دسائسهم المبادرة حالاً لاتخاذ الخطوات السريعة لإقامة وحدة أو على الأقل اتحاد بين القطر الليبي والقطر المصري، اللذين لا يفصلهما فاصل، واللذين كانا في معظم الظروف ومنذ أقدم أزمنة التاريخ متحدين متعاونين، يحمي واحدهم الآخر ويقوي واحدهم الآخر ويساعد واحدهم الآخر. وأقصد بالاتحاد أن تكون شؤون السياسة والدفاع والمواصلات والتشريع والثقافة والاقتصاد العام موحدة في نطاق جهاز اتحادي تنفيذي وتشريعي واحد. وأن يكون لكل قطر تشكيلاته وحكومته التي تباشر في نطاقها الشؤون المحلية التي لا تدخل في نطاق الاتحاد.

واتحاد ليبيا مع مصر طبيعي، إلى درجة أنه لا يمكن أن يثير أي حساسية في العالم العربي، بل سوف يكون موضع ترحيب واغتباط من كل مخلص قومي في المشرق والمغرب. وستكون فائدة ليبية من ذلك أشد من فا ئدة مصر من مختلف الاعتبارات.

ولقد كنت كتبت لمجلس الثورة والوزراء في السودان عقب قيام أعضائهما بحركتهما المباركة المماثلة لحركتكم، أهيب بهم بمثل ذلك، فإذا يسر الله الأمور ووفق، فيكون اتحاد الأقطار الثلاثة قيد التحقيق السريع، وتتحقق بذلك أحلام رجالات العرب القوميين، ويكون مقدمة مباركة لاتساع الحركة وتأييد القافلة واحدة بعد أخرى.

فبادروا رحمكم الله وقواكم وأصلحكم، واستجيبوا لهذا النداء الصادر من قلب عربي مؤمن مجاهد، يتمنى أن يرى قبل أن يموت حركة وحدوية مجدية بين الأقطار العربية، تقر بها عينه ويرتد بها كيد الكائدين والطامعين،

ويقوى بها أمله في ازدهار ومجد وتكامل الأمة العربية، وتبوئها المركز اللائق بأمجادها وخصائصها.

ولي وطيد الأمل في أن تفعلوا وقد تكررت تصريحاتكم القوية في صدد الوحدة العربية التي تنم عن إدراككم العميق لمداها وأثرها وضرورتها العاجلة والآجلة. والله يوفقكم ويسدد خطاكم إلى ما فيه خير العروبة والإسلام.

3 رمضان 1389 ـ 15 تشرين ثاني 1969

تعقيب:

الحمد والشكر لله عز وجل على استجابته لدعائي وإلهامه رئيسي مصر وليبية ورفاقهما الانسجام فيما بينهما والاتفاق على خطوات اتحادية على ما سوف نشرحه بعد.

* * *

(68) رسالة للرئيس أنور السادات أرسلها الكاتب في مناسبة إعلان الاتحاد بين مصر وليبيا والسودان 10 رمضان 1390 ـ 1970/11/9

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس أنور السادات رئيس الجمهورية العربية المتحدة بواسطة سفارة الجمهورية العربية المتحدة في دمشق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فقد تلقيت خبر الخطوة الإتحادية المباركة التي قررتها مصر والسودان وليبية فيما بينها بالغبطة والابتهاج، لما فيها من بوادر تحقيق الوحدة العربية التي بذلت ومازلت أبذل جهدي مع العاملين في سبيلها منذ عشرات السنين. والتي بها وحدها يتبوأ العرب مركزهم اللائق بخصائصهم وأمجادهم. ويستطيعون أن يصمدوا لمختلف المكائد والأخطار والمطامع ويحبطوها. ويتم عبرها تكامل بلادهم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي، واستئنافهم رسالتهم الإنسانية الخالدة.

ولقد خففت هذه الخطوة المباركة من لواعج أحزاننا الشديدة على فقد الزعيم الخالد الذي أعتقد أن روحه قد رفرفت على اجتماعاتكم المباركة، وأوحت لكم بخطوتكم السعيدة، وسعدت بها في برزخها السماوي. ولقد حققتم بها حسن ظنه باستخلافكم، والآمال العظيمة التي أملتها أمتنا في كل أقطارها، والتي جعلها الراحل البطل العظيم بمواقفه ومبادراته وصفاته وأخلاقه ومنجزاته وواسع أفقه وشجاعته معلقة على مصر في ظل زعامته.

وإني أهنئكم على خطوتكم المباركة من كل قلبي، وأدعو الله أن يبارك فيها وأن يؤيدكم وإخوانكم قادة مصر والسودان وليبية في جميع خطواتكم ومواقفكم، حتى تتموا ما بدأتم به وتسيروا به إلى أن تتكامل الوحدة العربية الشاملة إن شاء الله. كما أدعوه أن يمنحكم وسائر المخلصين من قادة العرب ومنظماتهم القوة والتأييد في معركتنا الراهنة، حتى يتم النصر الأكبر وتتحرر الأرض المحتلة مع جميع فلسطين من رجس المعتدين البغاة. ولسوف يكون للخطوة المباركة الأثر القوي في ذلك إن شاء الله. والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

توضيح:

هذه الخطوة الاتحادية التي هنأت الرئيس

أنور السادات عليها في هذه الرسالة، ثم هنأت الرئيسين معمر القذافي وجعفر النميري عليها في رسالتين بعد هذه الرسالة، هي ميثاق بإقامة اتحاد بين الحكومات الثلاث. وكانت تطوراً لعملية توحيدية بدأت في كانون الأول 1969 في شكل مواثيق تضامنية وتعاونية في مختلف المجالات السياسية وغير السياسية بين الحكومات الثلاث في حياة الرئيس جمال، حيث اتفق زعماء الحكومات الثلاث جمال ومعمر وجعفر على ذلك، وساروا فيه خطوات عديدة في سنتي 1969 و1970. وقد رأى الرؤساء الثلاثة أن يطوروا العمل بعد وفاة الرئيس جمال، فاتفقوا على نص ميثاق وحدوي أوفى من قبل.

***

(69) رسالة أرسلها الكاتب للرئيس جعفر النميري في مناسبة اعلان الاتحاد بين مصر وليبية والسودان. 10 رمضان 1390 ـ 1970/11/9

السيد الرئيس جعفر النميري رئيس مجلس الثورة والوزارة السودانية المحترم

بواسطة سفارة الجمهورية السودانية في دمشق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فقد تلقيت خبر الخطوة الاتحادية المباركة التي قررتها مصر والسودان وليبية فيما بينها، بالغبطة والابتهاج، لما فيها من بوادر تحقيق الوحدة العربية التي بذلت ومازلت أبذل جهدي مع العاملين في سبيلها منذ عشرات السنين، والتي بها وحدها يتبوأ العرب مركزهم اللائق بخصائصهم وأمجادهم، ويستطيعون أن يصمدوا لمختلف المكائد والأخطار والمطامع ويحبطوها، ويتم عبرها تكامل بلادهم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي واستئنافهم رسالتهم الإنسانية الخالدة.

وإني أهنئكم على خطوتكم المباركة من كل قلبي، وأدعو الله أن يبارك فيها، وأن يؤيدكم وإخوانكم قادة مصر والسودان وليبية، حتى تتمموا ما بدأتم به وتسيروا به إلى أن تتكامل الوحدة العربية الشاملة إن شاء الله. كما أدعوه أن يمنحكم وسائر المخلصين من قادة العرب ومنظماتهم القوة والتأييد في معركتنا الراهنة، حتى يتم النصر الأكبر وتتحرر الأرض المحتلة وجميع فلسطين من رجس المعتدين البغاة. ولسوف يكون للخطوة المباركة الأثر القوي في ذلك إن شاء الله.

والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

***

(70) رسالة أرسلها الكاتب إلى الرئيس معمر القذافي في مناسبة إعلان الاتحاد بين مصر وليبية والسودان. 10 رمضان 1390 ـ 1970/11/9

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس معمر القذافي رئيس مجلس الثورة والوزارة الليبية المحترم

بواسطة سفارة الجمهورية العربية الليبية بدمشق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فقد

تلقيت خبر الخطوة الاتحادية المباركة التي قررتها مصر والسودان وليبية فيما بينها بالغبطة والابتهاج، لما فيها من بوادر تحقيق الوحدة العربية التي بذلت ومازلت أبذل جهدي مع العاملين في سبيلها منذ عشرات السنين، والتي بها وحدها يتبوأ العرب مركزهم اللائق بخصائصهم وأمجادهم ويستطيعون أن يصمدوا لمختلف المكائد والأخطار والمطامع ويحبطوها. ويتم عبرها تكامل بلادهم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي واستئنافهم رسالتهم الإنسانية الخالدة.

وإني أهنئكم على خطوتكم المباركة من كل قلبي. وأدعو الله أن يبارك فيها ويؤيدكم وإخوانكم قادة مصر والسودان وليبية، حتى تتمموا ما بدأتم به، وتسيروا به إلى أن تتكامل الوحدة العربية الشاملة إن شاء الله. كما أدعوه أن يمنحكم وسائر المخلصين من قادة العرب ومنظماتهم القوة والتأييد في معركتنا الراهنة، حتى يتم النصر الأكبر وتتحرر الأرض المحتلة وجميع فلسطين من رجس المعتدين البغاة. ولسوف يكون للخطوة المباركة الأثر الأكبر في ذلك إن شاء الله.

والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

***

(71) رسالة أرسلها الكاتب للرئيس حافظ الأسد في مناسبة إعلان انضمام القطر السوري إلى الميثاق الثلاثي السوداني المصري الليبي الاتحادي. 30 رمضان 1390 1970/11/28.

السيد الفريق حافظ الأسد

رئيس مجلس الوزراء السوري المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فقد تلقيت بالاغتباط والابتهاج خبر انضمام القطر السوري العزيز إلى الميثاق الثلاثي المصري السوداني الليبي. الذي تقرر فيه السير نحو إقامة الاتحاد بين الأقطار الثلاثة، لما في ذلك من بوادر تحقيق الوحدة العربية التي بذلت ومازلت أبذل جهدي مع العاملين في سبيلها منذ عشرات السنين، والتي بها وحدها يتبوأ العرب مركزهم اللائق بخصائصهم وأمجادهم، ويستطيعون أن يصمدوا لمختلف المكائد والأخطار والمطامع ويحبطوها، ويتم عبرها تكامل بلادهم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وإتمامهم رسالتهم الإنسانية الخالدة. وانضمام سورية العزيزة إلى هذا الميثاق ذو خطوة خاصة، لأنها هي العمود الفقري للوطن العربي الآسيوي، التي تترشح بها أي حركة وحدوية عربية للشمول والتكامل.

وإني بصفتي رجل اشتغل في سبيل الحركة القومية والوحدة العربية وقضية فلسطين منذ ستين سنة، أهنئكم على خطوتكم المباركة من كل قلبي، وأدعو الله أن يبارك فيها ويؤيدكم وإخوانكم قادة مصر والسودان وليبية، حتى تتموا

ما بدأتم به، وتسيروا به إلى أن تتكامل الوحدة العربية الشاملة إن شاء الله. كما أدعوه أن يمنحكم وسائر المخلصين من قادة العرب ومنظماتهم القوة والتأييد في معركتنا الراهنة، حتى يتم النصر الأكبر وتتحرر الأرض المحتلة وجميع فلسطين من رجس المعتدين البغاة. ولسوف يكون لخطوتكم المباركة الأثر الأكبر في ذلك إن شاء الله.

والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين. والسلام.

***

(72) رسائل أرسلها الكاتب الى:
السيد الرئيس أنور السادات
السيد الرئيس حافظ الأسد
السيد الرئيس معمر القذافي
في 23 صفر 1391
18 نيسان 1971

في مناسبة الاتفاق على إقامة اتحاد بين الأقطار الثلاثة باسم **(الجمهوريات العربية المتحدة)**.

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فإن إعلان اتحاد الجمهوريات العربية المتحدة أثار فينا عظيم الآمال، وأسال منا دموع الفرح والابتهاج، وإني بصفتي رجلاً يعمل منذ ستين سنة في الحركة القومية العربية وقضية فلسطين، وفي سبيل الوحدة العربية، أبارك خطوتكم المباركة وأرجو الله أن ييسر إتمامها، وأدعوه أن يأخذ بين قادة الاتحاد إلى ما فيه خير الأمة العربية ومجدها وازدهارها ووحدتها الشاملة. وأن يجعل هذه الخطوة المباركة وسيلة عاجلة للنصر المبين في معركتنا الراهنة وتحرير جميع الأرض المغتصبة وطرد المعتدين منها وتحقيق حقوق الشعب العربي الفلسطيني كاملة في وطنه السليب.

والله أكبر والسلام عليكم.

تعقيب وتوضيح:

كان تنظيم اتحاد الجمهوريات العربية واسعاً ومستوفياً ومركزاً وفيه كل ملامح الاتحاد الحقيقي الفدرالي. وليس مثل ميثاقي الاتحاد السابقين.

وقد وضع له دستور وافٍ ذو فصول وأبواب عديدة، لتنظيم مختلف الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدفاعية على أساس اتحادي. وجعل للجمهوريات المتحدة الثلاث علم واحد وشعار واحد ونشيد واحد. وجعل على رأسه مجلس رئاسة اتحادي ومجلس أمة اتحادي ومجلس وزراء اتحادي.

وأذيع بين يدي الدستور بيان هام فيه الأسباب والأهداف، وجعل جزءاً من الميثاق الاتحادي، وقد عرض البيان والدستور على الاستفتاء الشعبي في كل من الأقطار الثلاثة في تاريخ 11 رجب 1391 الموافق لتاريخ 1 أيلول 1971. ونال أكثرية أصوات الشعب الكبرى، وصار (اتحاد الجمهوريات العربية) قائماً.

وكان المفروض أن يقوم هذا الاتحاد على الأقطار الأربعة مصر وليبية وسورية والسودان، التي كانت ارتبطت قبله بالمواثيق الاتحادية التي سبق ذكرها. ولكن السودان اعتذر مؤقتاً لمشاغل إقليمية يجب عليه إنجازها أولاً. فاقتصر على الأقطار الثلاثة.

ومن الأسف أن نسجل أن في التنظيم ثغرة

خطيرة قد تعرقل أو تجمد الفعالية والآمال العظيمة التي بعثها البيان والدستور. وهي:

أولاً: احتفاظ الحكومات الثلاث بكامل سيادتها.

وثانياً: جعل تنفيذ قرارات مجلس الأمة الاتحادي والوزراء الاتحادي منوطاً بموافقة مجلس الرئاسة الاتحادي، مع اشتراط الإجماع في المسائل الهامة السياسية وغير السياسية(1).

***

(73) نص إعلان دستور الجمهوريات العربية المتحدة

رأينا للفائدة والعلم والتاريخ أن نثبت هنا النصوص الرائعة القوية لإعلان دستور الجمهوريات العربية المتحدة التي تألفت من جمهوريات مصر وسورية وليبية التي أرسلنا رسائلنا السابقة بالتهنئة عليها لرؤساء هذه الجمهوريات.

أولاً

نص الإعلان(2)

في دمشق قلعة العروبة وحصن الوحدة، في دمشق التي ارتبطت باسمها على مدى نضالنا المعاصر الدعوة إلى الوحدة، وحققت مع القاهرة أول وحدة في تاريخ العرب الحديث. ودفعاً واستمراراً للخطى الوحدوية التاريخية التي بدأ في بنغازي(3) في 31 صفر 1391 الموافق 17 إبريل نيسان 1971، بتوقيع الرؤساء الثلاثة أنور السادات رئيس الجمهورية العربية المتحدة، ومعمر القذافي رئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس مجلس الوزراء في الجمهورية العربية الليبية، وحافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية، على إعلان قيام اتحاد الجمهوريات العربية والأحكام الأساسية لهذا الاتحاد(4). وتتويجاً للجهود المستمرة التي لم تتوقف منذ ذلك الحين، والتي اشترك فيها ممثلون عن الجمهوريات الثلاث لإنجاز مشروع دستور اتحاد الجمهوريات العربية.

واستجابة لإرادة الشعب العربي في دفع الخطى ومضاعفة الجهد في استكمال كل الخطوات التحضيرية والتمهيدية لقيام هذا الاتحاد كحقيقة عربية أصيلة تواجه دورها العربي وتستجيب لمسؤولياتها التاريخية في مسيرة النضال العربي وفي حركة الثورة العربية.

وشعوراً من الرؤساء الثلاثة بضخامة المسؤولية التاريخية التي يتحملها الجيل العربي الحاضر في مواجهة موجة العدوان الشرسة التي تعرضت لها الأمة العربية، كان اجتماعهم في دمشق خلال الفترة من 26 ـ 28 جمادى الآخرة 1391هـ، الموافق 18 ـ 20 أغسطس آب سنة 1971م، للانتهاء من مناقشة مشروع دستور اتحاد الجمهوريات العربية وإقراره، تمهيداً

---

(1) نص البيان والدستور منشور في الصحف ومن جملتهما البعث العدد 2584 تاريخ 29 جمادى الآخرة 1391 ـ 21 آب 1971.

(2) النص منقول من جريدة البعث العدد 2584 وتاريخ 29 جمادى الآخرة 1391 ـ 21 آب 1971.

(3) ميثاق بنغازي كان أولاً ثلاثياً بين مصر وليبية والسودان، ثم انضمت إليه سورية فصار رباعياً. واعتذر السودان لمشاغل خاصة موقتة، فتم اتحاد الجمهوريات العربية ثلاثياً بين سورية ومصر وليبية.

(4) لوحظ كما هو المتبادر في تاريخ وتوقيع إعلان قيام الاتحاد في بنغازي وهو 17 نيسان قصد إحياء ذكرى ميثاق الاتحاد الاشتراكي بين سورية والعراق ومصر الذي تم في هذا التاريخ من سنة 1963 ثم تجمد.

لدفع الخطوات المتفق عليها في بنغازي لقيام الاتحاد ومؤسساته، وبدء الممارسة الفعلية لمسؤولياته العربية والتاريخية.

وقد جرى اجتماع الرؤساء الثلاثة وسط مشاعر التأييد الواسع والأمل الكبير الذي عبر عنه الشعب العربي السوري العظيم. الذي ظل رغم كل الظروف أميناً على الوحدة العربية، داعياً لها وعاملاً لها ومن أجلها ومناضلاً في سبيلها.

وقد أكد الرؤساء الثلاثة خلال المداولات التي جرت بينهم وفي الاجتماعات التي عقدوها مع الوفود المرافقة لهم، والتي تركزت حول المعركة وتقييم الوضع بكل ظروفه واحتمالاته، أن المواجهة مع العدو الصهيوني الجاثم فوق أرضنا العربية قد اقتربت من الحسم. وأن العدو استشعاراً منه بذلك قد زاد من ضراوته وشراسته وتصميمه على تكريس احتلاله، مستخدماً في ذلك أبشع وسائل القهر والغصب ضد المواطنين العرب في الأراضي المحتلة، إلى جانب تصعيد قوى الاستعمار العالمي بكل أشكاله بقيادة الولايات المتحدة الأميركية المعادي للأمة العربية والمستقبل العربي ومؤامراتها، في محاولات محمومة لإضعاف جبهتنا المواجهة للعدو وتفتيت وحدتها النضالية وسلب قدراتها على حسم المعركة عسكرياً مع العدو لصالح الحق العربي المشروع. وإن ما يجري الآن من تصفيته المقاومة الفلسطينية وإجهاض حركتها هو جزء من المخطط الصهيوني الإستعماري الواسع الذي يستهدف حماية الاحتلال الإسرائيلي للأرض العربية، وتأمينه ودعمه وتكريسه ضد الانتفاضة الكبرى التي يتأهب لها الشعب العربي على امتداد الوطن العربي كله.

ويؤكد الرؤساء الثلاثة أن هذا المخطط الصهيوني الاستعماري محكوم عليه بالفشل أمام إصرار الشعب العربي على تحرير أرضه واسترداد شرفه. وأن الأمة العربية تملك من الطاقات ومن الأسلحة الحاسمة ما تستطيع أن تدفع بها في معركة المصير في مواجهة أعتى التحديات، وأن تحسم المعركة لصالح الحق والسلام.

ويرى الرؤساء الثلاثة في العمل الوحدوي الذي حققه إعلان بنغازي، وفي قيام اتحاد الجمهوريات العربية في هذ الفترة الصعبة، التي ظن فيها العدو أنه اقترب من فرض الاستسلام عل الأمة العربية، هو الرد الحاسم الذي يؤكد قدرة الإرادة العربية الصميمة على تجميع طاقاتها، وعلى مواجهة أعدائها وإحباط مؤامراتهم.

وقد عبر الرؤساء الثلاثة عن إيمان الشعب العربي بالوحدة العربية عن وعي وفهم لحقيقة التاريخ العربي ولحقيقة الصراع العربي مع أعداء الإنسان العربي على امتداد التاريخ كله. ولحقيقة الوضع الدولي والأطماع التي تحيط بالمنطقة العربية، وعن وعي وفهم للاعتبارات التي تتصل بمستقبل المنطقة، وضرورة انبثاق كيان سياسي اقتصادي متصل العناصر على اتساع الأرض العربية، مسايرة لمقتضيات العصر الذي نعيشه. لذلك كان تركيزهم على أن يقوم هذا الاتحاد على أساس يكفل له الاستقرار والبقاء. وأن يكون انطلاق هذا الاتحاد من أرض صلبة تأخذ من دروس الماضي عبرة للحاضر والمستقبل.

واعتماداً من الرؤساء الثلاثة على أنهم يضعون بهذا الاتحاد النواة الصلبة للأمل الكبير الذي يختلج في وجدان الشعب العربي، أمل الوحدة العربية الشاملة، فإنهم على ثقة من أن

الجماهير العربية في الجمهوريات الثلاث ستدفع بهذه الخطوة إلى الأمام، وستحقق بإرادتها وبعملها الغايات العربية الكبيرة التي يستهدفها قيام هذا الاتحاد، لتستكمل ومعها الشعب العربي كله أمل الوحدة العربية الشاملة.

من أجل ذلك كله، وانطلاقاً من إعلان بنغازي بأن تكون دولة الاتحاد نواة الوحدة العربية الشاملة، وسبيل الجماهير العربية إلى إقامة المجتمع العربي الاشتراكي الموحد، والأداة الرئيسية للأمة العربية في معركة التحرير.

وتأكيداً على أن تحرير الأرض العربية المحتلة هو الهدف الذي ينبغي أن تسخر في سبيله كل الإمكانيات والطاقات. وأنه لا صلح ولا تفاوض مع العدو الصهيوني، ولا تنازل عن أي شبر من الأرض العربية المحتلة، وأنه لا تفريط في القضية الفلسطينية ولا مساومة عليها، واستمراراً في طريق إقامة اتحاد الجمهوريات العربية، فقد أقر الرؤساء المجتمعون مشروع دستور دولة الاتحاد، ليعرض على الاستفتاء الشعبي مع إعلان بنغازي وأحكامه الأساسية في الجمهوريات الثلاث يوم الأربعاء في 11 رجب 1391 ـ الموافق للفاتح من سبتمبر أيلول 1971.

والله ولي التوفيق.

أنور السادات

رئيس الجمهورية العربية المتحدة.

معمر القذافي

رئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس مجلس الوزراء بالجمهورية العربية الليبية.

حافظ الأسد

رئيس الجمهورية العربية السورية.

***

ثانياً
نص الدستور الاتحادي[1]

إن الشعب العربي في الجمهورية العربية السورية والجمهورية العربية الليبية وجمهورية مصر العربية إيماناً منه بأنه جزء لا يتجزأ من الأمة العربية، وأن الجمهوريات الثلاث تؤمن بالمصير العربي الواحد، وأن القومية العربية هي دعوة تحرير وبناء وعدل وسلام، وأنها طريق العرب إلى الوحدة الشاملة وبناء نظام ديموقراطي واشتراكي يحمي حقوق المواطن ويصون حرياته الأساسية ويدعم سيادة القانون.

واستجابة منه لنداء الوحدة العربية التي تحتل مكان الصدارة في الوجدان العربي، والتي عززها الكفاح العربي المشترك ضد الاستعمار والصهيونية والنزعات الإقليمية والحركات الانفصالية، وأكدتها الثورة العربية المعاصرة ضد التسلط والاستغلال، وإهدار حقوق الإنسان السياسية والاجتماعية.

وثقة منه بأن جميع الإنجازات التي حققها أو يمكن أن يحققها أي قطر من واقع التجزئة، تظل مقصرة عن بلوغ كامل أبعادها ومعرضة للتشوه والانتكاس، ما لم تعززها وتصنها الوحدة العربية.

وانطلاقاً من موقع الصمود العربي في معركته الحاسمة لتحرير الأرض العربية المحتلة، وما يفرضه من تجميع الطاقات العربية من أجل مجابهة التحدي لوجود الأمة العربية.

(1) النص منقول عن عدد جريدة البعث المذكور في ذيل سابق. و (جمهورية مصر العربية) هو العنوان الجديد للجمهورية العربية المتحدة على ما قررته مصر وجاء في دستورها، لأن التسمية السابقة قد استنفدت هدفها بعد قيام اتحاد الجمهوريات العربية.

وإيماناً بدور الأمة العربية الحضاري في قهر التخلف والتبعية، ومساهمة إيجابية منها في دفع عجلة التقدم الإنساني وصيانة السلام والأمن الدوليين وإرساء قواعد العلاقات بين الدول والشعوب على أساس من العدل والقانون.

وتنفيذاً للأحكام الأساسية لاتحاد الجمهوريات العربية الصادرة في بنغازي بتاريخ 31 من صفر 1391 والموافق 17 من أبريل نيسان سنة 1971 ميلادية.

قد أقر بعد التوكل على الله قيام دولة اتحاد الجمهوريات العربية على أسس المبادىء والأحكام الآتية:

الباب الأول
المقومات الأساسية لاتحاد الجمهوريات العربية

مادة 1 ـ أقام الشعب العربي في كل من الجمهورية العربية السورية والجمهورية العربية الليبية وجمهورية مصر العربية على أساس من الاختيار الحر المتساوي في الحقوق دولة تسمى (اتحاد الجمهوريات العربية).

مادة 2 ـ السيادة في الاتحاد للشعب، وتمارس السلطات الاتحادية اختصاصاتها بإسمه على الوجه المبين في هذا الدستور.

مادة 3 ـ الشعب في اتحاد الجمهوريات العربية جزء من الأمة العربية.

مادة 4 ـ نظام الحكم في إتحاد الجمهوريات العربية ديموقراطي شعبي.

مادة 5 ـ اللغة العربية هي اللغة الرسمية في الاتحاد.

مادة 6 ـ تؤكد دولة الاتحاد على القيم الروحية وتتخذ الشريعة الإسلامية مصدراً رئيسياً للتشريع.

مادة 7 ـ للاتحاد وجمهورياته علم واحد. وشعار واحد. ونشيد واحد. ويصدر قانون اتحادي بتنظيم هذه الأمور.

مادة 8 ـ للاتحاد عاصمة واحدة تحدد بقانون.

مادة 9 ـ تقبل في عضوية الاتحاد بقرار إجماعي من مجلس رئاسة الجمهوريات العربية التي تؤمن بالوحدة العربية وتعمل من أجل تحقيق المجتمع العربي الاشتراكي الموحد. وترتضي بالأحكام المقررة في هذا الدستور.

مادة 10 ـ إلى أن يتم صدور قانون اتحادي ينظم شؤون الجنسية الموحدة للاتحاد، تتولى كل جمهورية من جمهوريات الاتحاد تنظيم الشؤون المتعلقة بجنسية مواطنيها في نطاق الأسس العامة التي يصدر بها قانون إتحادي.

مادة 11 ـ تلتزم كل جمهورية من جمهوريات الاتحاد بألا يتعارض دستورها مع أحكام هذا الدستور.

مادة 12 ـ تكفل دساتير الجمهوريات وقوانينها كحد أدنى المبادىء والحقوق التالية:

أ ـ المواطنون أمام القانون والقضاء متساوون، ولا تمييز بينهم بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين.

ب ـ حرمة المساكن.

جـ ـ لا جريمة ولا عقوبة إلا بقانون. والمتهم بريء حتى تثبت إدانته بحكم قضائي.

د ـ عدم جواز القبض على المواطنين إلا في حدود القانون.

هـ ـ شخصية العقوبة.

و - حق التقاضي وسلوك سبل الطعن والدفاع أمام جهات القضاء.

ز - حرية التنقل واختيار محل الإقامة.

ح - حظر الإبعاد عن الوطن.

ط - حرية الاعتقاد وإقامة التعاليم الدينية.

ي - حرية البحث العلمي.

ك - حرية الرأي والصحافة والنشر.

ل - حرية الاجتماع.

م - سرية المراسلات.

ن - حق المواطنين في اختيار حكامهم ومحاسبتهم.

س - حرمة الملكية الخاصة في حدود القانون بما لا يتعارض مع حق المجتمع في الملكية العامة والتعاونية.

ع - حق العمل.

ف - حق التنظيم.

ص - الحق في الضمان الاجتماعي والتأمينات الاجتماعية.

ق - الحق في الرعاية الصحية.

ر - حماية الطفولة والأمومة والأسرة.

ش - تحقيق تكافؤ الفرص بين المواطنين في مختلف المجالات.

مادة 13 - حق الانتقال والإقامة والعمل مكفول لمواطني الاتحاد بين جمهورياته. وينظم قانون اتحادي في كيفية ممارسة هذا الحق.

الباب الثاني
اختصاصات الاتحاد - مؤسساته وماليته

الفصل الأول
اختصاصات الاتحاد :

مادة 14 - يتولى الاتحاد ممارسة الاختصاصات التالية :

أولاً - في المجال الخارجي :

أ - وضع أسس السياسة الخارجية والعمل على توحيد السياسات التي تتبعها الجمهوريات في علاقاتها الدولية.

ب - مسائل السلم والحرب. وتصدر فيها قرارات مجلس الرئاسة بالإجماع.

جـ - التنسيق بين الجمهوريات الأعضاء في مجال التمثيل الديبلوماسي والقنصلي مع الدول الأجنبية.

د - إبرام المعاهدات والاتفاقات الدولية مع الدول الأجنبية والمنظمات الدولية في الأمور الداخلة في اختصاص الاتحاد.

ثانياً - في مجال الدفاع :

أ - تنظيم وقيادة الدفاع عن اتحاد الجمهوريات العربية.

ب - قيام قيادة عسكرية مسؤولة عن التدريب والعمليات.

جـ - تحريك القوات بين الجمهوريات بقرار من مجلس الرئاسة أو من يفوضه في ذلك أثناء العمليات.

د - التنسيق في الصناعات العسكرية في الجمهوريات الأعضاء.

ثالثاً - في مجال الأمن القومي :

حماية الأمن القومي ووضع خطة تأمين سلامة الإتحاد :

هـ - العمل على توحيد السياسات الاقتصادية للجمهوريات الأعضاء في علاقتها مع الدول الأخرى، وتنسيق التعاون مع المنظمات الاقتصادية والمالية الدولية.

و - إنشاء المرافق ذات النفع المشترك للجمهوريات الأعضاء والمشروعات المشتركة بينهما والإشراف عليها.

ز ـ إنشاء المؤسسات الاقتصادية الاتحادية والإشراف عليها.

رابعاً ـ في مجال التربية والتعليم والثقافة:

أ ـ وضع سياسة تعليمية وتربوية وثقافية تستهدف بناء جيل قومي عربي اشتراكي ومؤمن.

ب ـ وضع سياسة موحدة للبحث العلمي تكفل ملاحقته للتطور العالمي.

جـ ـ وضع سياسة إعلامية اتحادية تخدم أهداف الاتحاد وفقاً لما يقرره مجلس الرئاسة.

خامساً ـ في مجال الإقتصاد:

أ ـ وضع خطط التنمية العامة المشتركة على النحو الذي يكفل تحقيق التكامل فيما بين اقتصاديات الجمهوريات الأعضاء، وتلزم هذه الجمهوريات بأن تراعي في وضع الخطط الوطنية مقتضيات تنفيذ الخطط العامة.

ب ـ تنظيم انتقال السلع والخدمات ورؤوس الأموال بين الجمهوريات الأعضاء، وتنظيم إقامة واستخدام مواطني إحدى الجمهوريات في جمهورية أخرى عضو في الإتحاد.

جـ ـ العمل على توحيد النظم والسياسات الإقتصادية والمالية في الجمهوريات الأعضاء، وتقديم الخدمات الإحصائية والمحاسبية التي تهم مجموع هذه الجمهوريات.

د ـ التنسيق بين اقتصاد الاتحاد واقتصاد الدول العربية الأخرى بما يحقق التكامل الاقتصادي العربي، وذلك وفقاً لوسائل التنظيم التي يقررها.

سادساً ـ في مجال التنسيق والتشريعات وتوحيدها:

تتولى السلطات الاتحادية التنسيق بين التشريعات والأنظمة في الجمهوريات الأعضاء وتعمل على توحيدها.

الفصل الثاني
مؤسسات الاتحاد
الفرع الأول ـ السلطة التنفيذية للاتحاد

أولاً ـ مجلس رئاسة الاتحاد:

مادة 15 ـ يتكون مجلس رئاسة الاتحاد من رؤساء الجمهوريات الأعضاء، وهو السلطة العليا في ممارسة الإختصاصات المقررة للاتحاد في هذا الدستور.

مادة 16 ـ ينتخب مجلس الرئاسة رئيساً له من بين أعضائه وذلك لمدة سنتين قابلة للتجديد. ويضع المجلس لائحة داخلية تنظم عمله.

مادة 17 ـ يؤدي كل من أعضاء مجلس الرئاسة أمام مجلس الأمة الاتحادي اليمين التالية: «أقسم بالله العظيم أن أحافظ مخلصاً على اتحاد الجمهوريات العربية، وأن أحترم الدستور والقانون، وأن أناضل لخدمة مصالح الشعب وتحقيق أهداف الأمة العربية».

مادة 18 ـ تصدر قرارات مجلس الرئاسة بالأغلبية فيما عدا الحالات التالية:

أ ـ المسائل التي يشترط فيها الدستور والأحكام الأساسية لاتحاد الجمهوريات العربية الإجماع.

ب ـ المسائل الهامة الأخرى التي يرى أحد أعضاء مجلس الرئاسة ضرورة الإجماع فيها. وذلك خلال سنتين من تاريخ نفاذ هذا الدستور.

مادة 19 ـ إن حدث فيما بين أدوار انعقاد مجلس الأمة الاتحادي أو في فترة حله ما يوجب الإسراع في اتخاذ تدابير لا تحتمل التأخير، جاز

لمجلس رئاسة الاتحاد أن يصدر في شأنها بالإجماع قرارات تكون لها قوة القانون. ويجب عرض هذه القرارات على مجلس الأمة الإتحادي لإقرارها في أول دورة انعقاده. فإذا لم تعرض على المجلس زال ما لها من أثر في تاريخ انعقاد المجلس.

أما إذا عرضت ورفضها المجلس فيزول ما كان لها من أثر من تاريخ الرفض.

مادة 20 ـ يصدر مجلس رئاسة الاتحاد اللوائح اللازمة لتنفيذ القوانين الاتحادية وتنظيم المؤسسات والمرافق التي يشرف عليها الاتحاد.

مادة 21 ـ لا تنفذ قرارات مجلس رئاسة الاتحاد إلا بعد نشرها في الجريدة الرسمية الاتحادية، ما لم ينص على غير ذلك في صلب القرار.

مادة 22 ـ ينعقد مجلس رئاسة الاتحاد في عاصمة الاتحاد، ويجوز بقرار منه عقده في أي مكان آخر داخل الاتحاد.

ثانياً ـ المجلس الوزاري الاتحادي:

مادة 23 ـ يعين مجلس رئاسة الاتحاد عدداً من الوزراء يتكون منهم مجلس وزاري اتحادي برئاسة رئيس يعينه مجلس الرئاسة. ويحدد مجلس الرئاسة اختصاصات كل وزير اتحادي. ولا يجوز الجمع بين منصب الوزير الاتحادي وبين أي منصب عام أو وظيفة عمومية في إحدى الجمهوريات إلا في حالات استثنائية يوافق عليها مجلس رئاسة الإتحاد.

مادة 24 ـ الوزراء الاتحاديون مسؤولون أمام مجلس الرئاسة في ممارسة مهامهم، ويؤدون أمامه اليمين المنصوص عليها في المادة (17) من هذا الدستور.

مادة 25 ـ يعقد المجلس الوزاري الاتحادي اجتماعات دورية وطارئة للنظر في الشؤون التنفيذية للاتحاد ولتنسيق أعمال الوزراء الاتحاديين، ويمارس المجلس والوزراء المسائل التالية على وجه الخصوص.

أ ـ إعداد مشروعات القوانين والقرارات الإتحادية.

ب ـ إعداد الدراسات التي يقتضيها تحقيق المهام المنوطة بالاتحاد.

جـ ـ الاتصال بالسوزراء المختصين في الجمهوريات الأعضاء لممارسة اختصاصات الاتحاد وفقاً للقواعد التي يقررها مجلس الرئاسة.

د ـ متابعة تنفيذ القوانين والقرارات الاتحادية وإعداد تقارير دورية لرفعها لمجلس الرئاسة.

هـ ـ إعداد مشروع موازنة الاتحاد.

مادة 26 ـ يضع مجلس الرئاسة بقرار منه نظام عمل المجلس الوزاري الاتحادي.

ثالثاً ـ المجالس والهيئات المتخصصة واللجان الفنية:

مادة 27 ـ ينشىء مجلس الرئاسة مجالس اتحادية للشؤون التخطيطية والاقتصادية والاجتماعية ولشؤون الأمن القومي والسياسة الخارجية والتربية والتعليم والثقافة والبحث العلمي والإعلام، وأية مجالس أو هيئات متخصصة أو لجان فنية أخرى يراها لازمة لتحقيق أهداف الاتحاد. ويتحدد تشكيل واختصاصات تلك المجالس والهيئات واللجان وعلاقاتها بالوزراء الاتحاديين بموجب قرارات تصدر عن مجلس الرئاسة.

رابعاً ـ الموظفون الاتحاديون:

مادة 28 ـ يصدر قانون اتحادي بنظام

الموظفين الاتحاديين يبين شروط توظفهم وواجباتهم والمزايا المادية والمعنوية المقررة لهم وما يكفل لهم الاستقلال في اداء أعمالهم.

الفرع الثاني ـ السلطة التشريعية :

مادة 29 ـ يتكون مجلس الأمة الاتحادي من عشرين عضواً عن كل جمهورية. ينتخبهم مجلس الشعب فيها من بين أعضائه. وتكون مدة مجلس الأمة الاتحادي أربع سنوات. ويؤدي عضو مجلس الأمة الاتحادي أمام المجلس اليمين المنصوص عليها في المادة (17) من هذا الدستور. ولا يجوز الجمع بين عضوية مجلس الأمة الاتحادي وعضوية مجلس الشعب. وفي حالة غياب مجلس الشعب في إحدى الجمهوريات وإلى أن يتكون ذلك المجلس فإن القيادة السياسية في تلك الجمهورية تضع قواعد اختيار ممثلي جمهوريتها في مجلس الأمة الاتحادي.

مادة 30 ـ ينتخب مجلس الأمة الاتحادي رئيساً له ونائباً أو أكثر للرئيس من بين أعضائه.

مادة 31 ـ يعقد مجلس الأمة الاتحادي دورتين في العام وذلك بناء على دعوة من رئيس مجلس رئاسة الاتحاد. وتحدد اللائحة الداخلية مدة كل دورة وموعد انعقادها. ويجوز دعوة المجلس لدورة انعقاد غير عادية إذا دعت الضرورة إلى ذلك بناء على طلب من مجلس رئاسة الاتحاد أو ثلث أعضاء المجلس.

مادة 32 ـ يعقد مجلس الأمة الاتحادي اجتماعاته في المكان المحدد له في عاصمة الاتحاد. ويجوز بعد موافقة مجلس رئاسة الاتحاد أن يعقد المجلس اجتماعاته في أي مكان آخر داخل الاتحاد.

مادة 33 ـ لا يصح انعقاد مجلس الأمة الاتحادي الا اذا حضر الاجتماع ثلثا أعضائه على الأقل.

مادة 34 ـ تصدر قرارات مجلس الأمة الاتحادي بموافقة الأغلبية المطلقة لأعضائه إلا اذا اشترط الدستور خلاف ذلك.

مادة 35 ـ لمجلس رئاسة الاتحاد ولأعضاء مجلس الأمة الاتحادي حق اقتراح القوانين.

مادة 36 ـ يدخل في اختصاص مجلس الأمة الاتحادي ما يلي:

أ ـ مناقشة وإقرار القوانين الاتحادية.

ب ـ مناقشة وإقرار موازنة الاتحاد.

جـ ـ مناقشة وإقرار المعاهدات والاتفاقات التي يبرمها الاتحاد والتي يشترط هذا الدستور إقرارها من المجلس.

د ـ مناقشة السياسة العامة لدولة الاتحاد واقتراح كل ما من شأنه تدعيم الاتحاد وتحقيق أهدافه.

هـ ـ توجيه الأسئلة والإستفسارات إلى الوزراء الاتحاديين.

مادة 37 ـ تنفذ القوانين بعد التصديق عليها من مجلس رئاسة الاتحاد بالاجماع ويعمل بها بعد شهر من تاريخ نشرها بالجريدة الرسمية للاتحاد الا إذا نص على خلاف ذلك في صلب القانون. وللقوانين الاتحادية الأولوية على قوانين الجمهوريات فيما يتعلق باختصاصات الاتحاد.

مادة 38 ـ تقوم السلطات المختصة في الجمهوريات بتنفيذ القوانين الاتحادية في إقليم كل منها. ولمجلس رئاسة الاتحاد ان يعين الموظفين اللازمين لمراقبة سلامة تنفيذ القوانين الاتحادية في الجمهوريات الأعضاء وتقديم تقارير دورية الى كل من مجلس رئاسة الاتحاد ومجلس الأمة الاتحادي.

مـادة 39 ـ جلسـات مجلس الأمـة علنيـة. ويجوز انعقاده في جلسة سرية بناء على طلب مجلس الـرئـاســة أو ثلث أعضـائــه وللوزراء الاتحاديين حق حضور جلسات المجلس.

مـادة 40 ـ يصدر مجلس الأمـة الاتحـادي لائحته الداخلية.

مادة 41 ـ يتولى رئيس مجلس الأمـة حفظ النظام والأمن داخل المجلس.

مادة 42 ـ لا يسأل أعضاء مجلس الأمة عما يبـدونـه من آراء داخـل المجلس. ولا يجـوز القبض عليهم في غير حالة التلبس إلا بإذن من المجلس.

مادة 43 ـ يصدر قانون اتحادي بيان المزايا المادية والمعنوية التي يتمتع بها أعضاء مجلس الأمة الاتحادي. ولا يجوز لعضو المجلس أن يشغل منصباً عاماً أو وظيفة عموميـة في إحدى الجمهوريات الأعضاء أو في الحكومة الاتحادية أو أن يحصل على أية ميزة غير منصوص عليها في القانون الاتحادي المشار اليه.

مادة 44 ـ تعود لعضو مجلس الأمة الاتحادي عضـويته في مجلس الشعب الـذي انتخبه اذا انتهت عضويته في مجلس الأمة الاتحادي لأي سبب كـان وفقاً للقـواعد التي ينـظمها دسـتـور جمهوريته. واذا فقد أحد أعضاء مجلس الأمة الاتحـادي عضويتـه في مجلس الشعب الـذي انتخبه بسبب حل المجلس أو انتهاء مدته يستمر العضـو في ممـارســة عمله في مجلس الأمـة الاتحادي حتى يتم انتخاب بديل عنه.

مـادة 45 ـ لمجلس الرئـاسة أن يقـرر حل مجلس الأمـة الاتحـادي على أن يتم تشكيـل المجلس الجديد خلال ثلاثة أشهر على الأكثر من صـدور قرار الحـل. واذا لم يتم اجتمـاع المجلس الجديد فى هـذا الموعـد لأي سبب يجتمع المجلس القديم تلقائيا الى أن تتم دعوة المجلس الجديد للاجتماع. واذا حـل مجلس الأمـة الاتحادي لسبب فـلا يجـوز حله لـذات السبب مرة أخرى.

الفرع الثالث ـ السلطة القضائية:

مـادة 46 ـ يشكل مجلس رئـاسـة الاتحـاد محكمة دستورية من عضوين عن كل جمهورية ويعين المجلس رئيسـاً للمحـكمــة مـن بيـن أعضائها ويكون له صوت مرجح عند تسـاوي الأصوات.

ولمجلس رئاسة الاتحاد أن يعين بالمحكمة أعضاء آخرين إذا اقتضت المصلحة العامة ذلك بشرط مراعاة مبدأ التساوي بين الجمهوريات. وتكون مدة العضوية بـالمحكمة أربـع سنوات قابلة للتجديد.

مـادة 47 ـ يقسم أعضـاء المحكمـة اليمين التالية (أقسم بـالله العظيم أن أحتـرم الدستـور والتانون وأن أحكم بالعدل).

مـادة 48 ـ تختص المحكمـة الـدستـوريـة الاتحادية بالأمور الآتية:

أ ـ الفصــل في الـطعــون التي تقــدم في دستورية القوانين الاتحادية.

ب ـ الفصــل في مـدى مــطابقة قـوانين الجمهوريات لدستور الاتحاد وقوانينه.

جـ ـ الفصـل في المنازعـات ذات الـطابـع القــانــوني التي تقـوم بين سلطات الإتحـاد وسلطات الجمهوريات أو فيمـا بين جمهوريـة وأخرى عضو في الاتحاد.

د ـ الفصـل في الـطعـون المـوجهــة ضـد القرارات الإدارية الاتحادية.

هـ ـ إبداء الرأي الإستشاري في أية مسـألة دسـتـورية أو قـانونيـة يطلب من مجلس رئـاسة

الإتحـاد أو الـوزراء الإتحـاديين أو إحـدى الجمهوريات الأعضاء.

و ـ أية اختصاصات أخرى يصدر بها قانون إتحادي.

مادة 49 ـ تصدر المحكمة الدستورية قراراتها بالأغلبية، وباسم الشعب.

مادة 50 ـ قرارات المحكمة الدستورية واجبة النفاذ في جميع أراضي الجمهوريات الأعضاء في الإتحاد.

مادة 51 ـ تعقد المحكمة الدستورية جلساتها في عاصمة الاتحاد. ويجوز لها أن تعقد جلساتها في أي مكان آخر داخل الاتحاد.

مادة 52 ـ يصدر قانون اتحادي ببيان نظام المحكمة وإجراءاتها والشروط التي يجب توفرها في من يعين عضواً. والحصانات والمزايا المادية والمعنوية التي يتمتع بها أعضاء المحكمة والعاملون بها.

الفصل الثالث

مالية الاتحاد:

مادة 53 ـ يعد مجلس رئاسة الإتحاد مشروع موازنة الإتحاد ويحيله إلى مجلس الأمة الإتحادي لمناقشته وإقراره بقانون اتحادي.

مادة 54 ـ تبين الموازنة السنوية للإتحاد المبالغ التي تسهم بها كل من الجمهوريات الأعضاء في نفقات الإتحاد على أساس حصص ذات قيمة متساوية وتنظم الموارد الأخرى للاتحاد بقانون اتحادي.

مادة 55 ـ يصدر قانون اتحادي ببيان تاريخ بدء ونهاية السنة المالية للاتحاد وطريقة إعداد الموازنة الإتحادية. وعلى الجمهوريات الأعضاء أن توحد بداية ونهاية السنة المالية في كل منها بما يتفق وبداية ونهاية السنة المالية للاتحاد.

مادة 56 ـ يعرض الحساب الختامي على مجلس الأمة الاتحادي لمناقشته وإقراره.

مادة 57 ـ يبين بقانون اتحادي كيفية مراقبة الحسابات الاتحادية ومراجعتها.

الباب الثالث

أحكام عامة وانتقالية

مادة 58 ـ تختص الجمهوريات الأعضاء بكل ما لا يدخل في إختصاص الاتحاد وفقاً لأحكام هذا الدستور. ولكل جمهورية من الجمهوريات الأعضاء أن تعهد إلى سلطات الاتحاد بممارسة أي من اختصاصاتها على أن يقرر ذلك مجلس رئاسة الإتحاد.

مادة 59 ـ يعقد مجلس الرئاسة بإسم الإتحاد المعاهدات والاتفاقات الدولية المتعلقة بالمسائل الداخلية في إختصاص الاتحاد. ويبلغها إلى مجلس الأمة الاتحادي مشفوعة بالبيان المناسب. وتكون هذه المعاهدات والاتفاقات الدولية نافذة في الجمهوريات الأعضاء بعد التصديق عليها من مجلس الرئاسة ونشرها وفقاً للأوضاع المقررة في الدستور. غير أن المعاهدات والاتفاقات الدولية التي تمس السيادة أو يترتب عليها تعديل في أحكام القوانين الاتحادية أو تحمل خزانة الاتحاد نفقات غير واردة في ميزانيته لا تكون نافذة إلا إذا أقرها مجلس الأمة الاتحادي.

مادة 60 ـ تظل المعاهدات والإتفاقات الدولية التي أبرمتها الجمهوريات الأعضاء قبل قيام الإتحاد نافذة طبقاً لأحكامها وفي المجال المقرر لها وقت إبرامها وفقاً لقواعد القانون الدولي.

مادة 61 ـ دون إخلال بالاختصاصات المقررة للاتحاد في هذا الدستور يحق لكل جمهورية أن تبرم المعاهدات والاتفاقات الدولية طبقاً لأوضاعها الدستورية وتبلغها إلى مجلس رئاسة الاتحاد.

مادة 62 ـ تتكون بقرار إجماعي من مجلس رئاسة الاتحاد جبهة سياسية تضم ممثلين عن قيادة التنظيم السياسي في كل من الجمهوريات الأعضاء. وترتبط هذه الجبهة بميثاق للعمل القومي في اتحاد الجمهوريات العربية من أجل تحقيق التفاعل والترابط بين جماهير الشعب في جمهوريات الاتحاد وترسيخ أسس الديموقراطية وقيمها وتوحيد منطلقات وأساليب العمل السياسي في الجمهوريات الأعضاء وخلق المناخ الملائم لقيام الحركة العربية الواحدة. وإلى أن يتحقق ذلك تكون القيادة السياسية في كل جمهورية هي وحدها المسؤولة عن تنظيم ممارسة النشاط السياسي داخل الجمهورية.

مادة 63 ـ تكون القيادة العامة للقوات المسلحة في كل من الجمهوريات الأعضاء لرئيس الجمهورية أو لمن تحدده النظم المعمول بها في كل منها.

مادة 64 ـ إذا وقعت اضطرابات من الداخل أو الخارج في إحدى الجمهوريات تهدد أمنها أو تهدد أمن الاتحاد تخطر حكومة هذه الجمهورية السلطات الاتحادية فوراً لكي تقوم الأخيرة بإتخاذ الإجراءات الضرورية ضمن حدود صلاحياتها لحفظ الأمن والنظام. وفي حالة ما إذا كانت حكومة إحدى الجمهوريات الأعضاء في وضع لا يسمح لها بطلب العون من الاتحاد أو إذا كان أمن الاتحاد في خطر، فللسلطات الاتحادية المختصة أن تتدخل وبدون طلب لحفظ النظام وإعادة الأمور إلى نصابها.

مادة 65 ـ للإتحاد أن يتملك أو يحوز العقارات الضرورية في العاصمة وفي غيرها من أراضي الجمهوريات الأعضاء لإقامة مؤسساته ولا تخضع ممتلكات الاتحاد وأمواله للضرائب والرسوم المقررة في قوانين الجمهوريات الأعضاء وينظم ذلك قانون اتحادي.

مادة 66 ـ ينشىء مجلس رئاسة الاتحاد جريدة رسمية إتحادية تنشر فيها القوانين والقرارات واللوائح الإتحادية.

مادة 67 ـ إلى أن تقوم المؤسسات الاتحادية المنصوص عليها في هذا الدستور يشكل مجلس الرئاسة لجنة للمتابعة تضم ممثلاً عن كل جمهورية تكون مهمتها متابعة العمل على وضع الدستور الاتحادي موضع التنفيذ في أسرع وقت.

مادة 68 ـ لا يجوز تعديل هذا الدستور إلا بموافقة ثلثي أعضاء الأمة الإتحادي وتصديق مجلس الرئاسة على هذا التعديل بالإجماع. وإذا كان التعديل يمس حكماً من الأحكام الأساسية لاتحاد الجمهوريات العربية فلا ينفذ إلا بعد عرضه على الاستفتاء الشعبي وتوفر الأغلبية له في كل جمهورية.

مادة 69 ـ تعتبر مقدمة هذا الدستور جزءاً لا يتجزأ منه.

مادة 70 ـ يستمد هذا الدستور مبادئه من الأحكام الأساسية لاتحاد الجمهوريات العربية ويفسر في ضوئها.

مادة 71 ـ يتم التصديق على هذا الدستور من قبل المؤسسات الدستورية المختصة في كل جمهورية من جمهوريات الاتحاد. ويطرح على الإستفتاء الشعبي مع الأحكام الأساسية لاتحاد الجمهوريات العربية الصادرة في بنغازي بتاريخ 21 صفر سنة 1391 هجرية الموافقة 17 من

إبريل نيسان سنة 1971 ميلادية وتكسب الأحكام الأساسية للاتحاد ونصوص هذا الدستور قوة النفاذ بعد توافر الأغلبية لها في كل جمهورية من الجمهوريات الأعضاء.

مادة 72 ـ يتم تبليغ هذا الدستور فور نفاذه كوثيقة رسمية إلى كل الدول العربية وإلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية.

التواقيع

ـ أنور السادات ـ رئيس الجمهورية العربية المتحدة.

ـ معمر القذافي ـ رئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس مجلس الوزراء بالجمهورية العربية الليبية.

ـ حافظ الأسد ـ رئيس الجمهورية العربية السورية.

هذا، ولقد سارعت المؤسسات الدستورية في كل من الجمهوريات الثلاث[1] إلى المصادقة على الإعلان والنصوص خلال المدة 27 ـ 30 آب 1971، وفي أول أيلول 1971 الموافق 11 رجب 1371، عرض على ناخبي كل جمهورية مع إعلان الاتحاد والأحكام الأساسية معاً الصادر في بنغازي كإستفتاء عليه. وتمت الموافقة على كل ذلك بنسبة عالية جداً تراوحت بين 96,4 و 99,9 من نسبة المقترعين التي كانت أيضاً نسبة عالية جداً تراوحت بين 89٪ و 97٪. وأصبح إتحاد الجمهوريات العربية قائماً. وقرت عيننا به وقد جاهدنا في سبيل الوحدة أو إلى خطوة إليها منذ شبابنا، واشتد جهادنا خاصة بعد نكبة العرب العظمى في فلسطين سنة 1948، وزال بذلك بعض أحزاننا من فصم الوحدة السورية المصرية في 28 أيلول 1961، وكانت قامت في 22 شباط 1958 ثم من تجميد الميثاق الاتحادي الثلاثي الذي تم الاتفاق عليه بين مصر وسورية والعراق في 17 نيسان سنة 1963.

ولقد لقيت هذه النتيجة ترحيباً عاماً من جماهير الشعب العربي في جميع أقطاره ومن كثير من الحكومات العربية والحكومات الصديقة.

ولقد أخذت لجنة المتابعة التي نصت عليها المادة (67) من الدستور المؤلفة من وفود من الجمهوريات الثلاث برئاسة نائبي رئيس جمهورية سورية ومصر ونائب رئيس مجلس الوزراء الليبي تجتمع في مصر منذ الأسبوع الثاني من شهر أيلول 1971 وتدرس كيفية تنفيذ الخطوات الإتحادية المنصوص عليها في الدستور وقيام المؤسسات التي نص عليها. والمأمول أن لا يمر وقت طويل حتى يتم ذلك، ويتأكد ذلك الواقع على صعيد التنفيذ.

ولقد سارع رئيس السودان جعفر النميري وأركان ثورته وحكومته إلى الترحيب بما تم وإعلان العزم الحاسم على الانضمام إليه في حال إستكمال ما هم بسبيله من منشآت دستورية إقليمية وتنظيمات شعبية أخرى، على أن يتم ذلك على أبعد تقدير في أوائل السنة القادمة. وكان ممثل عن الجمهورية السودانية يحضر اجتماعات لجنة وضع الدستور كمراقب حتى

---

(1) هذه المؤسسات في مصر مجلس الوزراء واللجنة التنفيذية واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي ومجلس الشعب. وفي ليبية مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء. وفي سورية مجلس الوزراء والقيادة القطرية لحزب البعث ومجلس الشعب. نقول بعض أحزاننا لأن الفصم لو لم يقع أو لو لم يتجمد الميثاق الثلاثي لكانت الوحدة العربية قطعت شوطاً عظيماً وصار لها آثار ايجابية كبيرة في البلاد المتحدة وفي الوطن العربي عامة وفي مواجهة المؤامرات العدوانية الصهيونية الاستعمارية.

يكون الأمر بالنسبة للجمهورية السودانية معلوماً مسلماً به مشاركاً فيه.

ونصوص الدستور صريحة الدلالة على أن الاتحاد الذي تم هو اتحاد دول تحتفظ بشخصياتها السياسية والدولية والإقليمية من نوع ما يعرف باسم: (الكنفدراسيون).

ولقد كنا في كتابنا (الوحدة العربية) وفي مقالاتنا ومشاريعنا الوحدوية التي كنا ننشرها في الصحف والمجلات والتي أوردنا نصوصها في هذا الكتاب قررنا أن ظروف الدول العربية وحالتها ونظمها سياسياً واجتماعياً وذهنياً تجعل المرحلة الأولى للوحدة العربية هي مرحلة (اتحاد الدول العربية) وهذا ما تم فعلاً في إتحاد الجمهوريات العربية، استلهاماً من تجربة الوحدة المصرية السورية، وهو ما أشير إليه في الإعلان.

ولقد كنا نتمنى أن يكون الدستور منح الاتحاد صلاحيات وإختصاصات تنفيذية وتشريعية أوسع وفقاً لما كنا نقترحه في مقالاتنا ومشاريعنا الدستورية لمرحلة (الدول العربية المتحدة)، ويبدو الفرق كبيراً بين ما منحها الدستور وبين ما اقترحناه في مشاريعنا.

ومهما يكن من أمر فإن ما تم جدير يبعث الإغتباط في نفوس الأمة العربية المتطلعة إلى الوحدة الشاملة التي هي وحدها مناط قوتها وعزمها ونهضتها وتقدمها. ونرجو أن لا يمر وقت طويل حتى تنضم السودان ومن على شاكلته من الحكومات العربية إلى هذا الاتحاد واحدة بعد أخرى ثم يتحول إلى (الدولة العربية المتحدة) إن شاء الله.

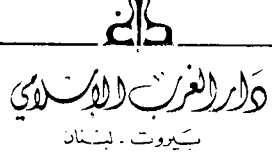
وما تقدم كتب في سنة 1974 حينما هيأنا المجلد للطبع، ونقول الآن وحينما عدنا لتهيئته مرة أخرى للطبع في أيلول 1978 إنه رغم ما طرأ على بيان (الجمهوريات العربية المتحدة) من تعثر وفتور ونقص كان من أسبابه الثغرات التي ذكرناها، فإن هذه العملية التوحيدية صارت تاريخاً، وجاءت معبرة عن ضمير الشعب العربي في الرغبة الملحة في الوحدة أو الاتحاد. والبنيان من جهة أخرى ظل قائماً حكماً بالتسمية وبوحدة العلم والشعار والنشيد وبالمؤسسات المشتركة. ولم يعلن رسمياً إلغاؤه أو تجميد ميثاقه. ومن الجائز أن تنبعث فيه الحياة إذا طرأت طوارىء تساعد على ذلك.

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الجزء - 20 -



دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان
لصاحبها الحبيب اللمسي
شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء، بناية الأسود
تلفون البناية: 340131/2 تلفون مباشر: 350331 ص. ب. 113-5787 بيروت، لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم	:	1993 - 10 - 1000 - 204
التنضيد	:	سامو برس – بيروت
الطباعة	:	دار صادر – بيروت

Mohammed Izzat Darwazeh

97 Years

Autobiography

A long side with Arab movments
and Palestinians cause
Memories and Registrations

Volume VI



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI